محمود مهدي الإستانبولي

تحفة العروس

أو

الزواج الإسلامي السعيد

الطبعة الشرعية الوحيدة

تشتمل على كل ما يحتاج اليه الزوجان

لتحقيق حياة سعيدة بناءة

مع ملحق موسع من عشرات الأسئلة والأجوبة عن الجنس

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد
الرياض

موسوعة علمية بناءة

تحفة العروس

أو

الزواج الإسلامي السعيد

تأليف

محمود مهدي الإستانبولي

الطبعة الشرعية الوحيدة

تشتمل على كل ما يحتاج اليه الزوجان
لتحقيق حياة سعيدة بناءة

مع ملحق موسع من عشرات الأسئلة والأجوبة عن الجنس

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد
الرياض

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ، فلا يجوز نشر أي
جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ،
أو تصويره أو ترجمته دون موافقة خطية مُسبقة من الناشر .

الطبعة الأولى للطبعة الشرعية الوحيدة
١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م

ح مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الاستنبولي ، محمود مهدي
تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد . الرياض .
٤٣٢ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٩-٥٢-٨٥٨-٩٩٦٠
١ - الزواج (فقه إسلامي) أ - العنوان
ديوي ٢٥٤,١ ٢٢/١٦٢٦

رقم الإيداع : ١٤٢٦/١٥٩٤
ردمك : ٦ - ٤٩ - ٧٦٩ - ٩٩٦٠

(يُمنع الاقتباس إلاَّ بإذن خاص)

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
هاتف : ٤١١٤٥٣٥ - ٤١١٣٣٥٠
فاكس ٤١١٢٩٣٢ - ص.ب ٣٢٨١
الرياض الرمز البريدي ١١٤٧١

كلمة شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد . .

هذه هى الطبعة الشرعية الأولى من كتاب « تحفة العروس أو الزواج الإسلامى السعيد » من تأليف والدنا الشيخ الأستاذ محمود مهدى الإستانبولى غفر الله تعالى له وأسكنه فسيح جناته . وقد تم الاتفاق بين جميع ورثة المؤلف على بيع حقوق طبع ونشر وتوزيع وترجمة وتسجيل وتخزين كتاب « تحفة العروس » وكتاب « لكل سؤال جنسى جواب » وملحقاته بيعًا نهائيًا للشيخ الفاضل سعد بن عبد الرحمن الراشد صاحب مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض ، وله ذلك الحق فى جميع أنحاء العالم ، وتعتبر هذه الطبعة هى الطبعة الشرعية الوحيدة التى تم الاتفاق بين ورثة المؤلف وبين الناشر على طباعتها ، وكلُّ ما عداها فهو غير شرعى ولا قانونى ، ونطالب جميع الدول والمؤسسات والوزارات والمكتبات بسحب ومحاربة الطبعات غير الشرعية خاصة التى طُبعت فى الأردن ومصر والجزائر والمغرب وسوريا ولبنان ، والأهم من كل ذلك مطالبة الجمهور وجميع الناس بعدم شراء النسخ الأخرى لعدم شرعيتها ؛ لأنها طبعت بدون موافقة ورثة المؤلف ، وحتى المؤلف فى أثناء حياته .

نشكر بهذه المناسبة شيخَنا الفاضل سعد بن عبد الرحمن الراشد لتقدمه لشراء الحقوق ؛ فقد بذل جهدًا كبيرًا فى متابعة الورثة والاتصال ببعضهم بالهاتف متجاوزًا كلَّ الصعاب ، ولم يعمل كما عمل بعض أصحاب دور النشر والمكتبات من طبع هذه الكتب والمتاجرة بها دون إذن أصحابها ؛ فجزاه الله خيرًا وبارك له فى عمره وولده وماله .

لقد بذل الوالدُ - رحمه الله - جهودًا كبيرة فى تأليف الكتاب وفى الحصول على الأجوبة للأسئلة التى كان يتلقاها من القراء ، وكان يقرأ أحيانًا الكتب ليحصل على الأجوبة المقنعة للأسئلة ، بالإضافة إلى الكتاب الأصلى « تحفة العروس » الذى بدأه عام ١٩٧٠ تقريبا ولم تكن فى ذلك الوقت تلك الوسائل التى تسهِّل على المؤلف والباحث عمله ؛ من برامج (الكمبيوتر) والمراجع التى تسهل عملية البحث ولم تكن

تتوفر حتى آلة تصوير ؛ فكان يكتب كل شيء بيده . فجزى اللّهُ المؤلف كلَّ خير ، ورزقه من الحسنات عن كل من قرأ هذا الكتاب وغيره من كتبه ، وجعلها اللّهُ صدقةً جارية ليوم القيامة ؛ إذ إنها تدخل تحت صفة « علمٌ نافع يُنتفع به » . والحمد لله ، فإن كتاب تحفة العروس ، وكتاب « ألف سؤال وجواب » ، و« لكل سؤال جنسى جواب » مليئة بالمنفعة والفائدة والنصح الإسلامى السليم لكل قارئ رجلاً كان أم امرأة .

ولقد كان الوالد - رحمه الله - فى مقدمات كتبه يسأل الله سبحانه أن يجعل عمله خالصا لوجهه العظيم ، نافعًا للجيل المؤمن ؛ فيسارع إلى بناء أسرته على أسس إسلامية سامية ودعائم من القوة والحق والخير والجمال .

هذه هى أهداف الوالد رحمه الله ، كان عمله خالصًا لوجه ربه ؛ خاصَّةً فى الآخرة ؛ لقد كانت الجنة هدفه الوحيد ، ولم تكن للدنيا قيمة عنده ، ولم تشغله يومًا عن الآخرة ، وكان يردد دومًا ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ كم كان يستيقظ فى الليل ويمسك القلم ويكتب ، لقد جاءته فكرة أو توصل إلى جواب سؤال ، ثم يعود إلى النوم .

ولا يفوتنى أن أقدم الشكر الجزيل إلى والدتنا زوجة المؤلف التى قدمت كل المساعدة وهيأت الأجواء المناسبة للوالد ، وقدَّمَتْ له الرعاية الصحية فى أواخر حياته وأثناء مرضه وعجزه ، لقد كانت مشجعةً له مؤكِّدةً أن فائدةَ كُتُبه للآخرة فقط ، ولم يجن الوالد ولا الوالدة مكسبًا ماديا فى الدنيا من الكتب ، بل كانت مصدرَ خسارة مادية ؛ حيث كانوا ينفقون من جيوبهم ولا يستفيدون شيئا ، ولم يأخذوا إلا الوعود بالدفع من أصحاب دور النشر والمكتبات ، ولكن كل ذلك لم يكن ليثبط عزائمهما ، ولا كانت الوالدة لتدعوه للتوقف لعدم حصول الربح المادى ، بل كانت تشجعه ولا تسىء له ، ولم ترهقه يومًا فى تلبية طلباتها المادية والمنزلية والحياتية ؛ فصار متفرِّغًا لعلمه ، وخصص كل حياته للقراءة والكتابة والتأليف .

كما أشكر الأخت باحثة البادية محمود الإستانبولى (أم ضياء) الابنة الكبرى للمؤلف ؛ حيث دعت والدها إلى « جَدَّة » وترك بلده دمشق ، فأجابها ، ولم يعد إليها لآخر حياته (إلا لبعض الزيارات القصيرة) .

لقد كان الوالد رحمه الله يُسَمِّى هذه الابنة (أُمَّة) على غرار إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ ؛ فلقد لَقِىَ منها ومن زوجها أبى ضياء المهندس تاج الدين

الحاج حسين ، ومن أولادهما : ضياء ، ومحمد ، وبراء ، ومحمد ، ومهند كلٌّ عون ومساعدة ومساندة ، فلقد هيئوا له اللقاءات وقدَّموا له المساعدات المادية والمعنوية وشجعوه على استمرار الكتابة ، ومن الكتب التى كتبها فى تلك الفترة كتاب « الإعجاز العلمى للأحاديث النبوية » وهو كتاب عظيم يقع فى ٤٠٠ صفحة .

كما أخص بالشكر الجزيل ابنَ أختى الدكتور ضياء الدين الحاج حسين الذى وضع تحت تصرف جده المؤلف رحمه الله مكتبةً علمية ليأخذ منها ما شاء من الكتب والمراجع .

ولا يفوتنى أن أشكر الأخ الأكبر محمد عصام محمود الإستانبولى رحمه الله الذى خصص للوالد بيتا مستقلا يقيم فيه مع الوالدة ، وقدم لهما الإمكانيات المادية ، وأسَّس له مكتبة بيده ، ودفع كل مستلزماتهما ومصروفاتهما المادية طيلة عشر سنوات ، رحمه الله ؛ فلقد كان ابنًا بارًا ومعينًا عطوفًا على والديه .

وأخص بالشكر أيضا ابنة المؤلف الثانية السيدة انتصار الإستانبولى التى وهبت حياتها خلال العشر سنوات الأخيرة لخدمة والدها ، وقدَّمت العناية الصحية والطبية له فى أواخر حياته ، جزاها الله خيرًا فى الدنيا والآخرة .

كما أخص بالشكر الأخ عبد العظيم الإستانبولى الابن الثانى للمؤلف ، الذى رعى الوالد والوالدة وقدم لهما كل الرعاية والمساعدة المادية والمعنوية والطبية خلال الفترة قبل عام ١٩٨٢ عندما كانوا يعيشون معه فى دمشق ؛ فجزاه الله خيرًا وجعل عمله فى موازين حسناته فى الآخرة ، وأثابه فى الدنيا والآخرة .

وفى الختام لا يتبقَّى إلا أن أدعو للشيخ الفاضل سعد بن عبد الرحمن الراشد بالتوفيق والصحة والسعادة ؛ بارك الله له فى هذا الكتاب وفى جميع أعماله ، وجعله بركةً له فى الدنيا والآخرة ، ووسَّع فى رزقه الحلال ، وأدامه ذخرًا لنشر وطباعة الكتب الإسلامية .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

مكتب المهندس

جهاد محمود الإستانبولى

جدة فى ٥ محرم ١٤٢٢ هـ

الموافق ٣٠ مارس ٢٠٠١ م

الإهداء

إلى قرينة حياتى الموفقة . . .

صاحبة القلب الكبير . .

مَنْ غمرتنى بالسعادة والطمأنينة

وجعلت من البيت جنة الدنيا

وواحة هناء وسكينة

مما ساعدنى على تأليف ما يزيد على مائة كتاب وكتاب ؛

شطرُها مطبوعٌ ، والشطرُ الآخر فى طريقه إلى الطبع ؛

فلِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

أهدى

هذه الموسوعة العلمية البناءة « تحفة العروس » أو الزواج الإسلامى السعيد .

لِزوجتى

وإلى كل شاب مسلم وشابة مسلمة

الحريصين على حياة العفة

الراغبين فى حياة المتعة

والساعين لإعداد جيل قوى مُؤمن

مع أسمى الأمنيات ، وأحلى التحيات .

محمود مهدى الإستانبولى

الرموز الموجودة فى هذا الكتاب

● = الآيات	خز = ابن خزيمة فى صحيحه
❋ = الأحاديث	قط = الدارقطنى
خ = البخارى	حب = ابن حبان
م = مسلم	حا = الحاكم
د = أبو داود	ق = الحافظ العراقى
ن = النسائى	هق = البيهقى
ت = الترمذى	طى = الطيالسى
مي = الدارمى	حم = أحمد فى المسند
هـ = ابن ماجه	شب = ابن أبى شيبة
سع = ابن سعد	بز = البزار
طح = الطحاوى	ص = حديث صحيح
ط = الطبرانى	ح = حديث حسن
عب = عبد الرزاق	ج = حديث جيد

المُشَوِّقات

❑ « . . الحمد لله جلَّ ثناؤه ، وتقدَّست أسماؤه ، رفع النكاح ، وأعلى شأنه ، وأقام بحلاله الأديان ، وجعل به بقاء الحيوان ، وعمّر به البلاد ، وكثَّر العباد ، وحضَّ عليه فى كتبه المنزَّلة . . . وأبان لنا عن جلالة محله ، بما خصَّ اللذةَ به من الزيادة على غيرها ، والإنافةِ على نظائرها ، ثم بإضعافها فى النساء ، وإلهامهن إرادته ليكون ذلك داعيًا إلى طَاعتهن ، وباعثًا على متابعتهن » .

من فاتحة الكتاب

لأبى الحسن بن نصر الكاتب

* * *

❑ « اللذةُ من حيث هى ، مطلوبةٌ للإنسان ، بل ولكل حى ؛ فلا تُذَمُّ مِن جهة كونها لذة ، وإنما تُذَمُّ ويكون تركُها خيرًا مِن نَيْلها وأنفع إذا تضمنت فوات لذة أعظم منها وأكمل ، وأعقبت ألمًا حصولُه أعظم من ألَم فواتها ؛ فهاهنا يظهر الفرق بين العاقل الفطن ، والأحمق الجاهل . فمتى عرفَ العَقلُ التفاوت بين اللذتين والألمين ، وأنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر ، هان عليه تركُ أدنى اللذتين لِتحصيل أعلاهما ، واحتمال أيسر الألمين لِدفْع أعلاهما .

وإذا تقررت هذه القاعدة : فلذةُ الآخرة أعظم وأدوم ، ولذة الدنيا أصغر وأقصر ، وكذلك ألمُ الآخرة وألمُ الدنيا ، والمُعَوَّلُ فى ذلك على الإيمان واليقين ، فإذا قَوِىَ اليقينُ ، وباشر القلبَ ، آثر الأعلى على الأدنى فى جانب اللذة ، واحتمل الألَمَ الأسهلَ على الأصعب ، والله المستعان » .

ابن قيِّم الجوزية

« الفوائد »

❑ « **اعلم أن شهوة الوقاع سُلِّطَتْ على الإنسان لفائدتين** :

إحداهما : أن يُدْرِك لذتَه ، فيقيسَ بها لذات الآخرة ؛ فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذَّات الأجساد ، كما أن آلامها أعظمُ آلام الجسد ، والترغيبُ يسوق الناسَ إلى سعادتهم ، وليس ذلك بألـمٍ محسوس ولذة محسوسة مدرَكة ؛ فإن ما لا يُدرَك بالذوق لا يعظمُ إليه الشوق .

الفائدة الثانية : بقاءُ النسل ودوام الوجود ، فهذه فائدتها .

ولكن فيها من الآفات ما يُهلك الدين والدنيا إن لم تُضبَط . . . ولم تُرَدّ إلى حد الاعتدال . وقد قيل فى تأويل قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ إنّ معناه شدَّة الغلْمة . . .

وقد تنتهى هذه الشهوة ببعض الضلاَّل إلى العشق ، وهو غاية الجهل ، ومجاوزةٌ فى البهيمية لِحَدِّ البهائم ؛ لأن المتعشق لا يقنع بإراقة شهوة الوقاع . . . . حتى اعتقد أن الشهوةَ لا تنقضى إلا من محلٍّ واحد ، والبهيمة تقضى الشهوة أين اتَّفَقْ ، فتكتفى به ، وهذا لا يكتفى إلا بشخص معين حتى يزداد به ذلاً إلى ذلٍّ ، وعبودية إلى عبودية ، وحتى يُسَخِّرَ العقلَ لخدمة الشهوة ! وقد خُلق ليكون مُطاعًا ، لا ليكون خادمًا للشهوة ومحتالاً لأجلها . وما العشقُ إلا سعة إفراطِ الشهوة ، وهو مرضُ قلبٍ فارغ ، لا هَمَّ له ، وإنما يجب الاحترازُ من أوائله بترك معاودة النظر والفكر ، وإلا فإذا استحكَمَ عَسَرَ دفعُه » . .

أبو حامد الغزالى

« الإحياء »

المُقَدِّمات

مقدِّمة الطبعة الأولى

الحياة الزوجية فن . . .

فن جميل وهام . . .

قلَّ مَن يعرفه ، فتحدثُ المشكلات والأزمات بين الزوجين نتيجة الجهل بهذا الفن ، بل بهذه العبادة المقدسة ، وتتعرض الأسرة إلى هزَّات عنيفة ، كثيرًا ما تؤدى إلى زعزعة أركانها وتشريد أطفالها ! .

وكم أتمنى لو تؤسَّس صفوفٌ خاصة لدراسة فن الزواج قبل إقدام الفتى والفتاة عليه ، ولكن شيئًا من ذلك لم يكن ، حتى وزارة التربية - المفروض فيها إعداد النشء للحياة - لا تُولِى هذا البحثَ المكانة اللائقة به فى مناهجها ، بل لا تعيره أدنى اهتمام .

وقد كنت قلتُ منذ ربع قرن تقريبًا فى كتاب « **كيف نربى أطفالنا** » ولا أزال أقول : « إن كنتُ أعجب ، فعجبى شديدٌ لأمة لا تسمح تقالِيدُها بوضع قطعة الحديد بِيَدِ مَن لا يُحسن صناعته كيف لا تُلْزِم أفرادهَا قبل الزواج أن يتعلموا السياسة الزوجية وآدابها ودراسة نفسيات الأطفال ومعرفة طرق تربيتهم » ؟! .

ولا يقف الأمر فى أمتنا على الجهل بفن الزواج ، بل ويتعداه إلى تسميم الجو بالكتب الجنسية الوفيرة التى ليس لأكثرها من غاية إلا نشر بذور الانحراف لتضليل شبابنا وشاباتنا باسم تعليمهم الزواج ، مما يؤدى بكثير منهم إلى سلوك طريق الرذيلة والغواية [١] .

---

(١) وبمناسبة الكلام عن أدب الجنس يؤلمنا أن نذكر أن كثيرًا من معاهد الآداب فى بلادنا تُدرِّس لطلابنا وطالباتنا - وهم فى ذروة البلوغ وثورة الشباب - أدب الفساق والمخمورين والإباحيين ، بحيلة تقوية لغتهم وتنمية ذوقهم وسليقتهم الأدبية ، كأن الأدب العربى خلا إلا من هذه المفاسد والموبقات التي يَندَى لها جبينُ الفضيلة ، ورحمَ الله أبا إسحاق الحصرى ، فقد نقَّى كتابه « زهر الآداب » من الماجن الفاجر ، وقد قال عن أسد بن أرشد : « وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره صنتُ الكتاب عن ذكره !! » .

وليس هذا رأى صاحب زهر الآداب فقط ، بل ذهب إلى ذلك الفلاسفة والمربون كأفلاطون قديمًا وجون ديوى حديثًا ، داعين إلى وجوب تنظيف الأدب قبل تعليمه إلى النشء ، وقد حضَّ علماءُ المسلمين على ذلك ، خشية أن تُطبع نفسيات المطَّلِعين بطابع الاستهتار ، واعتياد مشاهد =

ومن أهم دسائس وإغراءات مؤلفى الكتب الجنسية : الدعاية للاختلاط وتوابعه من رقص وموسيقى وسياحة وخلوات . . . زاعمين أن كلَّ ذلك كفيلٌ بتهذيب الغريزة الجنسية لدى الذكور والإناث على السواء .

وكل ذلك مخالف للحقيقة والواقع ، والغرضُ منه الترويجُ للفسقِ والفجورِ بين شبابنا وشاباتنا ليدَمِّروا أخلاقَنا ويعرِّضونا للانهيار .

ومن المؤسف والمؤسف جدًّا أن يُروِّج هؤلاء المؤلفون لفكرة الاختلاط ، وقد مرَّ بها الغرب فى العصور الخالية ، فلاقَى - ولا يزال يلاقى - من ويلاتها وأخطارها ما تقشعرُّ له الأبدان .

وقد كان لهذه الاختلاط فى الغرب خطران رهيبان :

الأول : انتشار الفساد والخلاعة وانحلال الأسرة والانغماس فى الرذيلة وتهديد المجتمع بأفدح الأخطار . وإلى القارئ ما جاء فى رسالة « أمريكا دولة تحكمها العصابات » للصحفيين الأمريكيين « جال ليب » و « لى مورتيمر » وترجمة حبيب نحولى (ص ٢٦) :

« وقد كان من جرَّاء هذه الحرية المطلقة التى نالتها المرأة أن نشأت عدة صعوبات اقتصادية واجتماعية ، أبرزها وأشدها خطرًا : إعراضُ الرجل الأمريكى عن الزواج ، لا سيما من الفتيات اللاتى يدَّعين التحرر والانطلاق مع أهوائهن ؛ لأنهن فى نظره غير صالحات لتكوين أسرة وتربية أطفال .

= الخمر والدعارة والسير بهم فى واد سحيق من أودية الرذيلة . وكم أتمنى لو يُستعاض عن أدباء السوء بعلماء أدباء صالحين أمثال الأئمة : الشافعى ، وابن الجوزى ، وابن تيمية ، وابن القيم وغيرهم ، فتكون الفائدة من دراستهم مزدوجة ! ومن الغريب - والغريب جدًا - أن ينسب الكثيرون إلى رسول الله ﷺ أنه سمع قصيدة « بَانت سعاد » لكعب بن زهير وفيها ما فيها من وصف تقاطيع جسم سعاد ، وهذا من أقبح الكذب على رسول الله ﷺ ؛ فإن هذا الحديث الذى يروى هذه القصة حديث غير صحيح !! - كما قال كبار علماء الحديث .

ومما يؤسف له أن بعض من يزعمون أنهم يحملون فكرة إسلامية ، يعترضون على كلامنا هذا ، ويسمونه نسكًا أعجميًا ، ولا يرون مانعًا من دراسة طلابنا وطالباتنا لأقبح أشعار امرئ القيس ، وعمر بن أبى ربيعة ، وأبى نواس ، وبشار بن برد وغيرهم من شعراء المجون والفسق .

وإذا كان الشارع الحكيم يجعل من صفات المؤمنين أنهم ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ - فماذا يقول عن محللى دراسة شعر الفساق الذين يروجون للزنا والخمر واللواط ويزينونه للناس ؟! وكل ذلك من مخططات الصهاينة .

وهكذا ازدادت أزمة الزواج تعقيدًا وارتفع عدد الفتيات العازبات بضعة ملايين أيضًا . وإذا أمعنّا النظر فى سبب استفحال هذه المشكلة الاجتماعية تبيَّن لنا أن سببًا آخر يأتى فى الطليعة ، وهو أن الرجل الأمريكى راح يعمد إلى أهون الوسائل لإشباع غرائزه الجنسية . . فالمرأة متوفرة له فى جميع الأماكن التى يرتادها ؛ سواء فى المكتب أو فى النادى ، فى الحانة والمطعم أو على شواطئ البحر ، فيختار لنفسه الفتاة التى تحلو له ويتخذها عشيقة لمدة من الزمن ، فلا ترهقه بطلباتها ونفقاتها . حتى فتيات الجامعات والكليات أصبحن يزاحمن خادمات المطاعم والحانات . . . والمومسات !!

والرجلُ الأمريكى العادى يفضِّلُ هذا النوعَ مِن النساء المجرِّبات على الفتاة البسيطة المحافظة ، الطامحة للزواج !!

وخلال رحلتنا فى الولايات المتحدة لاحظنا أن بيوت الدعارة الرسمية قد قلَّتْ بشكل ظاهر ، وقد يتبادرُ إلى الأذهان أن ذلك شىء ناتجٌ عن تغلب الفضيلة فى بلادنا على الرذيلة ! . . ولكن الحقيقة المؤلمة عكس ذلك تمامًا ؛ فقد تعرضت تلك البيوت الرسمية لمزاحمةٍ شديدة مِن قِبل الفتيات وطالبات المتعة والمومسات السريات ، فقضت على قسم كبير منها بالخراب والإقفال !

وفى السنين الأخيرة نشأت وسائل حديثة ، سارت مع عصر الذرة والسرعة جنبًا إلى جنب ، فأصبحَ هناك « فتيات طريق » و« فتيات الرحلات » و« فتيات تحت الطلب » يمكن الاتصال بهن بواسطة رقم معين للهاتف .

وفى المدن الأمريكية الكبيرة ؛ كشيكاغو مثلاً ، يُشرف على هذا النوع من الفتيات بائعاتِ الهوى ، عصابةٌ لها مقر معين ، تقدم للفتيات السيارات والبيوت أو الفنادق الفخمة وجميع أنواع الخمور ، ويجوب رجالُ هذه العصابات أمريكا من أقصاها إلى أقصاها بحثًا عن فتيات بائعاتٍ جميلات ، لتلبية طلبات الزبائن الملحة ، وتعتبر « فتيات العِشْرَة » من أفضلهن لأنهم يتخذن لهن مكانًا (بيتًا) أو (فندقًا صغيرًا) معينًا ، ويتصل بهن طالب المتعة بالهاتف ليحدد لإحداهن موعدًا ترافقه بعده إلى سهرة فى أحد الملاهى .

وعلى الرغم من حملات رجال البوليس الاتحادى فى مكافحة الرقيق الأبيض ، ففتيات هذا النوع مازلن يعملن بهدوء دون أن يتمكن رجال الشرطة من التدخل للحَدِّ من فسقهن وفجورهن . والغريب أن الرجل الأجنبى لا يستطيع أن يميز بين الفتاة العادية

والفتاة المحترفة ؛ لأن كلتيهما ، فى بعض الأحيان تقومان بالترفيه عن الرجال مجانًا لمجرد الحب أو التسلية أو كليهما معًا » . أ.هـ .

والخطر الثانى للاختلاط هو « مرض البرود الجنسى » عند المرأة والرجل على السواء ، قال الدكتور محمد محمد حسين :

« أما النتيجة الثانية [١] الخطرة لشيوع البرود الجنسى - وهى انتشار الشذوذ واستفحال دائه - فهى راجعة إلى أن الرجل الذى ألفَ أن يقع نظره على مفاتن المرأة فلا يثور ، يحتاج لكى يثور إلى مناظر وأوضاع تخالف ما ألفَ . ثم إن إصابته بالبرود تحرمُه لذةً مِن أكبر اللذائذ ، ومتعةً مِن أعظم ما ينطوى عليه الناموسُ من المتع ، وهى متعةٌ تسكنُ عندها النفس ويطمئن القلب ويستقر الاضطراب . ومصيبته هذه بالبرود الجنسى تحرمه من الإحساس بذكورته ، فيعانى أشدَّ الألم مما يحسُّه فى أعماق نفسه من الذلة والمهانة ، ويدفعه ذلك إلى أن يحاول تحقيقَ متعةِ الاتصال الجنسى وإثباتَها من كل الوجوه ؛ عن طريق التقلُّب بين الخليلات وبائعات الهوى والتماس الشاذ الغريب من الأساليب والأوضاع رجاءَ انبعاث ما ركد من ذكورته . وقد تدفعُه مع ذلك إلى إغراق نفسه فى المخدِّرات تعويضًا لِما فقده مِن لذة ، أو إلى الإجرام أو المغامرة إثباتًا لذكورته مِن وجه آخر .

ومثل هذا الشذوذ يشمل المرأةَ والرجل على السواء ؛ لأن البرود الجنسى الذى يؤدى إليه هذا الاختلاط - بل الذى يسعى إليه هذا الاختلاط ويدعو له دعاتُه - هو برودٌ ذو شقين ، لا يحقق ما يزعمونه من أهداف إلا إذا شمل الذكر والأنثى ، فانتفت الرغبة الجنسية الجسدية فى الطرفين كليهما عند اللقاء وعند اللعب والممازحة والمراقصة .

ويستطيع القارئ أن يتتبع هذه الظاهرة فى المجتمع الغربى ليتبين آثارها المدمرة فيه ، وهى آثارٌ لا مفرَّ معها من مثل مصير الذين خلَوْا من البائدين ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ .

وأنا أعلمُ أن كثيرًا من الناس لا يقع منهم الدليلُ موقعَ الإقناع إلا إذا نُسب إلى الغرب ، وإلى هؤلاء أسوق بعضَ ما نقلته صحفٌ لا تُتهم عندهم بالرجعية عن علماء الغرب وهيئاته . فمن ذلك ما نقله المصور (العدد ١٦٨٩ ص ٤) عن الأستاذ بيتيريم

---

(١) أما النتيجة الأولى فهى فى نظر الكاتب الزواج بالأقارب ، وذكر حديثًا في تأييد ذلك لا يصح ، والحقيقة أن الزواج بالأقارب يضر إذا كان هناك أمراض مشتركة بين الأقارب .

ساروكين مدير الأبحاث بجامعة هارفارد فى كتابٍ له صدرَ أخيرًا بعنوان « الثورة الجنسية » ، حيث يقرِّر أن أمريكا سائرةٌ بسرعة إلى كارثة الفوضى الجنسية ، كما يقرر أنها متجهة إلى الاتجاه نفسه الذى أدى إلى سقوط الإمبراطورية الإغريقية ثم الإمبراطورية الرومانية فى الزمان القديم . ويقول فى ذلك الصدد : « إننا محاصرون من جميع الجهات بتيار مطَّرِد من الجنس يغرق كلَّ غرفة من بناء ثقافتنا وكل قطاع من حياتنا العامة . وهذه الثورة التى تعبر بنا ، آخذةٌ فى تغيير حياة كل رجل وكل امرأة فى أمريكا أكثر من أى ثورة أخرى فى هذا العصر » .

ومن ذلك ما جاء فى صحيفة « الأخبار » (عدد ٢٦ محرم ١٣٧٧ ص ٢) تحت عنوان : (عالم أمريكى يقول إن المرأة الأمريكية باردة) ؛ حيث نقلت ما صرح به الدكتور جون كيشلر أحد علماء النفس الأمريكيين فى شيكاغو ، حيث قال : « إن ٩٠٪ من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسى ، وإن ٤٠٪ من الرجال مصابون بالعقم . وقال الدكتور : إن الإعلانات التى تعتمد على صور الفتيات العاريات هى السبب فى هبوط المستوى الجنسى للشعب الأمريكى » . [نقلا عن كتاب « حصوننا مهددة من داخلها » ص ١٢٣ - ١٢٦] .

هذا - وقد بدت ظاهرةٌ غريبة فى « جماعة أنصار العرى » ؛ حيث فُقدت الرغبة الجنسية بين الجنسين نتيجة الاختلاط وكشفِ جميع أجزاء البدن بصورة دائمة ، مما يثبت مبلغَ الجناية التى ترتكبها النساء فى بلادنا على أنفسهن وعلى الأمة من جَرَّاء التبرج والاختلاط والتعرى .

إن هذه الفوضى الجنسية ، والأهواء الشهوانية السائرة فى بلاد الغرب نحو كارثة الانهيار والدمار باعتراف علمائه ومفكريه ، قد انتقلت إلينا بسبب وجود الفراغ والجهل فى الجيل الجديد بهذه القضايا الجنسية ، فأخذت تفتك فيه فتكَ أخطر الأسلحة وأشد السموم .

لهذا كله سارعتُ إلى نشر هذا الكتاب الطريف لإفهام الجيل الراشد فَنَّ الزواج حسب ما خطَّطَ له الإسلام ؛ هذا التشريع العظيم والدين الجميل الذى أوْلَى الأسرةَ اهتمامًا عظيمًا ورسم لها كل ما يكفل استمرار سعادتها ويسهل مهمتها فى إعداد جيل مؤمن طموح وبنّاء ، كما خطط لِكلٍّ من الزوج والزوجة حقوقهما وواجباتهما ، فلا ينازع أحدهما الآخر فى حقوقه ، ولا يهمل واجباته . وإذا وقع نزاع ، سارعا معًا للاحتكام إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ اتباعًا لقوله سبحانه : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ

فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ وليس أضمن وأفضل فى إزالة الخلاف من التشريع الصريح الذى يوضح لكل من الزوجين ما له وما عليه .

إننى لم آتِ بشىءٍ من عندى ، إنما هى آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة تجد طريقها إلى النور لأول مرة ، مجموعة فى كتاب ، بعد ما بقيت مبعثرة فى كهوف الكتب القديمة أجيالاً وأجيالاً ، حتى راح كثير من شبابنا ينهلون من حمأة الكتب الجنسية الحديثة التى تخلط السُمَّ بالعسل لإغراء الجيل المسلم بالانحراف والفساد ! .

ولا شكَّ أن القارئ والقارئة سيفاجآن ببحوث صريحة إلى غاية الصراحة فى هذا الكتاب ، لا عجب ؛ فالإسلام دين الحياة ، والغريزةُ الجنسيةُ جزءٌ هامٌ من هذه الحياة ، فكان من الطبيعى أن يعالجها هذا الدينُ الحنيف بشىء من الطرافة والتشويق والموضوعية ما دام الزواج ركنًا عظيمًا ومن أهم أركان صرح الأمة .

كل ذلك دون أن أُغرِقَ الزوجين فى بحرين من العاطفة والخيال ؛ فسيجد كل منهما مواقف الخير ، ومواقف الحزم ، ومواقف الجهاد إلى جانب مواقف المتعة . . . فى جو من التوجيه والتنسيق والرغبة ؛ فإنَّ من أعظم توجيهات القرآن العظيم أنه إذا تحدث عن مسألة جنسية يحيطها بهالة من التقديس ويسارع إلى تذكير المستمع بالله سبحانه ووجوب مراقبته وتقواه ؛ كى يسود البحث الاحتشامُ والوقارُ والأدَبُ ؛ فَلا يغوصُ القارئ فى أغوار الشهوة الحيوانية ، وهذا مما امتاز به الأسلوبُ القرآنى . وكم كان إغفال ذلك فى كتب الجنس سببًا فى انحراف القارئ .

نأخذ كمثال على ذلك قوله تعالى وهو يتحدث من علياء سمائه عن طرق إتيان المرأة : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

وقد كنت منذ عام ١٣٧٣ هـ ألَّفتُ رسالة « التربية الجنسية » [١] اتخذت فيها من بعض آيات من سورة يوسف ، ومن التلقيح النباتى ، وسيلةً لتعليم الشبان المراهقين بعض قضايا الجنس التى يسألون عنها ، فى جو من الهيبة والقداسة والعلم المجرد ، دعوتُ فيها إلى وجوب دراسة هذا الموضوع الهامّ فى المدارس الثانوية ، خشيةَ أن

---

(١) طبعت حديثًا طبعة موسعة ومصورة .

يتلقاه الجيلُ الجديد من أبناء الشارع ومن المفسدين فى الأرض . وكم نقع فى الضلال البعيد إذا ظننا أننا إذا لم نحدِّث أبناءنا وبناتنا عن هذه المعلومات ، يبقون بعيدين عنها ؛ فإن غريزتهم فى دور المراهقة والبلوغ تُلِحُّ عليهم إلحاحًا قويًّا فى معرفة أسرارها وخفاياها .

« والمستقرئ لألفاظ القرآن وتعبيراته فى هذا الميدان كقوله : ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ ﴿ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ ؛ المتتبع لهذه الآيات السالفة يجدها ومثيلاتها ، تتسم بالإشارة والتلميح ، أو بلفها فى غلالة من رقيق اللفظ ، أو بكونها مصبوبة فى قالب كنائى جميل ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ ﴿ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ أو تشبيهاتٍ أخّاذة كتشبيه النساء بالحرث فى قوله : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ ، ولعل القرآن يهدف من وراء تعابيره وإرشاداته تلك ، أن يوجه الأنظار إلى لونٍ من التربية الاجتماعية يربى بها الخلائق ، ويرشد بواسطتها الزوجين إلى أن التقاءهما الجنسى يجب أن يُحاط بسياج من الآداب والرقة والبعد عن المصارحة والمكاشفة ، بل تكفى الإشارةُ أو اللمحة ، أو إبداء الزينة أو التجميل والتطيُّب دون الدعوة المباشِرة من أحد الزوجين »[١] .

وبمناسبة الكلام عن قصة يوسف عليه السلام ؛ يحسن أن أشير فى هذه المقدمة إلى ما فى هذه السورة من روعة ودرسٍ وتوجيهٍ وتصوير تحليلى دقيق خليق بالزوجين الوقوفُ على فهمه ؛ إنها « نموذج من نماذج ذلك القصص القرآنى الهادى الهادف ، تضع لوحات حية للشرف ، موحية بالطهر ، نابضة بالعفة ، نرى فيها شبابًا فائزًا ، واشتهاءً متمكنًا ، نرى الجو المتهيئ والرغبة المندلعة . . . والجوع الجنسى .

نرى العاطفة المتأججة تطول ألسنتها ، ويندلع فحيحُها فى وجه العقل الصامد . . . وتندلع الألسنة ويشتد أوارها ، وتتطاول لذعاتُها ولا يطمئنُّ العقل من جهته ولا يحنى هامة أمامَها . . . نرى امرأة العزيز تُعِدُّ العُدة وتستخدم أسلحتها وأساليبها ؛ تبدى زينتها وتظهر مفاتنها . . . تتفنن وتتحايل ، ويوسف يستعصم ويقاوم بعد أن رأى برهان ربه »[٢] .

---

(١) نقلاً عن كتاب « الإسلام والحياة الجنسية » للأستاذ محمود بن الشريف ص ١٠٥-١٠٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ .

« ذلك البرهان الذى رآه يوسف إنما هو الإيمان . . . نعم . . صوت الإيمان وحده . . ففى هذه اللحظة الحاسمة التى يكون الإنسان فيها على شفا الهاوية ، وفى هذه المعركة الحامية التى تآزرت عليه فيها كل قوى الشر ، وفى هذه الصورة الطاغية التى يندفع فيها المرء بلا وعى ولا شعور ، حضرَهُ إيمانه ، فذكَّرَهُ : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يُوسُف : ٢٣] » .

وفى التوجيه النبوى قصةٌ أيضًا تصوِّرُ الصراع بين الغريزة الجنسية وبين الإيمان وخشية الله ، كاد صاحبها ينزلق فى جَهَنَّم الشهْوةِ لولا كلمةٌ ممن أحبَّ ذكَّرتْه بربه ، فتراجع ووطئَ بقدمه على الحب والمَال [١] ؛ يقول رسول الله ﷺ :

« انطلقَ ثلاثةُ نفرٍ ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيتُ إلى غارٍ . . فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدَّتْ عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . . .

فقال أحدُهم :

اللهم إنه كان لى ابنةُ عمٍّ ، كنتُ أحبها كأحبّ ما يحب الرجالُ النساءَ ، فراودتها عن نفسها ، فامتنعت منى ! حتى ألَمَّت بها سَنةٌ من السنين فجاءتنى فأعطيتُها عشرين ومئة دينار على أن تخلِّىَ بينى وبين نفسها ، حتى إذا قدرتُ عليها وقعدتُ بين رجلَيْها ، قالت : اتق الله ! ولا تفض الخاتم إلا بحقِّه !!

فتحرَّجتُ من الوقوع عليها ، وانصرفتُ عنها وهى من أحب الناس إلىَّ ، وتركتُ الذهب الذى أعطيتُها .

اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرِجْ عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة . . . » إلى آخر الحديث .

وفى هذه المقدمة ، وخاصة وقد تطرقنا إلى قصة يوسف عليه السلام ، وهيام امرأة العزيز به . . . لا بد من التنبيه إلى التُّهم الغرامية التى نسبها بعض المفسرين - جَهْلاً منهم - إلى طائفة من الأنبياء متأثرين ويا للأسف بالإسرائيليات من أجل ترويج الفاحشة والتهوين من شأنها ما دام الأنبياء أنفسهم - كما كذبوا عليهم - قد انجرفوا فيها .

---

(١) من مقال للأستاذ أمين دويدار فى مجلة لواء الإسلام عدد مارس ١٩٥٩ .

من هذه التهم الغرامية قولُهم : إن يوسف عليه السلام هَمَّ بجماع امرأة العزيز ، كما همَّتْ به ، وهذا غير صحيح ؛ فإنَّ هَمَّ هذا الفتى ليس من نوع هَمِّ زليخا ، إنما كان مِن قبيل خواطر النفس التى لا يملكها الإنسان ولا يحاسَب عليها ، قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « إذا همَّ عبدى بحسَنةٍ فاكتبوها له حسنةً ، فإنْ عملَها فاكتبوها له بعَشْرِ أمثالها ، وإنْ هَمَّ عبدى بسيئة ولم يفعلها فاكتبوها حسنة ؛ فإنما تركها من جرَّائى ، فإن عملَها فاكتبوها بمثلها » متفق عليه .

ومن أعظم الأدلة على أن همَّه ليس كهمِّها : أنها راودته عن نفسها وغلَّقت الأبواب وقالت : هيت لك !! بينما هو قد تخلَّص حتى من هواجس النفس ورفض طلبها وقال : معاذ الله . وكذلك بعضُ المفسرين - جهلاً منهم - يُرجعون ضمير ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ﴾ فى الآية إلى يوسف ، وهذا خطأ فاحش ؛ فإن هذا الكلام لامرأة العزيز ، اعترفت بخطيئتها ، وقد كان يوسف لا يزال سجينًا ؛ بدليل طلب العزيز له بعد سماع اعترافها : ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ [يوسف : ٥١ : ٥٤] .

ومن أهم هذه التهم أن بعض المفسرين ، متأثرين بالإسرائيليات ، راحوا يفسرون النعجة بالمرأة فى قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢١ : ٢٤] .

أَجَلْ راحوا يفسرون الآية بـ : أنه كان لداود عليه السلام تسع وتسعون امرأة ، فأحب زوجةَ قائدِه وأخذها ، فصار عنده مئة امرأة ، وهو عملٌ إجرامى قبيح لا يصدر مِن أفظع المجرمين فضلاً عن نبى معصوم من أنبياء الله تعالى !

وقد اختلف المفسرون ؛ فقال بعضهم : إنما استغفر داودُ ربَّه ؛ لأنه خَصَّصَ قسمًا من وقته للعبادة فى بيته ، تاركًا مصالح الناس حتى تسوَّروا عليه داره ليحكم بينهم ،

وقال آخرون : قد استغفر ربه لأنه سارَعَ إلى إعطاء حكمٍ لمجرد سماع أحد الخصمين دون سماع الآخر !

ولم يَكتفِ المفسرون الجاهلون بتوجيه التهم إلى يوسف وداود عليهما الصلاة والسلام ، بل راحوا أيضًا نتيجة غفلتهم واستسلامهم للأحاديث الضعيفة والموضوعة ينسبون إلى رسول الله ﷺ حُبَّ زينب ابنة عمته وهى زوجة زَيْدٍ الذي توسط له محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أجل زواجها .

فزعم بعض هؤلاء المفسرين أن النبىَّ ﷺ أبصرَها بعدَما أنكحها زيدًا ، فوقعت فى نفسه فقال : « سبحان اللهِ مقلِّب القلوب » فسمعت زينبُ التسبيحة ، فذكرت ذلك لزيد ، ففطنَ لذلك ووقَعَ فى نفسه كراهةُ صحبتها . . وعاتبَ اللهُ رسولَه بقوله : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ﴾ أى من حبها إلى آخر هذا التفسير السخيف المستند إلى الحديث السابق غير الصحيح [1] . ويكذِّب هذا الزَّعْمَ أمران :

الأول : أن الله سبحانه أراد بزواج النبى ﷺ من زينب أن يُبطل عادةَ العرب من تحريم الزواج من امرأة المتبنَّى ، والآية صريحة : ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

الثانى : لا يتصوَّرُ العقل أن يتوسط الرسول ﷺ لزواج زيدٍ من ابنة عمته زينب وهو يحبها ، بل لا يتصور العقلُ أن يزهد بها بِكْرًا ويرغبَ فيها ثيِّبًا !!

ومما يؤسَفُ له أن كثيرًا من المبشِّرين والمستشرقين أخذوا هذا التفسير الخاطئ واستغلُّوه إلى أبعد حدود الاستغلال فى الطعن فى الرسول ﷺ مما هو منه بَراءٌ ! ومن المؤسف أن بعض الكُتَّاب الذين يَدَّعون نُصرة الإسلام ، قلَّدهم فى ذلك بسبب جهله بالسُّنة وتكبُّره عن سؤال المختصين بها ، فردد هذه الأسطورة الباطلة .

أكتفى بهذا القدر من التمهيد لهذا الكتاب ، سائلًا اللهَ سبحانه أن يجعل عملى خالصًا لوجهه العظيم ، نافعًا للجيل المؤمن ؛ فيسارع إلى بناء أسرته على أسس إسلامية سامية ودعائم من القوة والحق والخير والجَمال .

محمود مهدى الإستانبولى

---

(١) قال الحافظ ابن كثير فى تفسير : « ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ ذكر ابن أبى حاتم والطبرى هنا آثارًا عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها ، فلا نوردها » أ هـ .

مُقَدمَةُ الطبعَةِ الثالثة

أضع بين أيدى القراء والقارئات هذه الطبعة الثالثة من كتاب « تحفة العروس أو الزواج الإسلامى السعيد » ، بِحُلَّةٍ قشيبة ، وإخراج جميل ، بعدما نفدت الطبعة الثانية ، وقد بيعت النسخة الواحدة فى السوق السوداء بـ (١٠ - ١٥) ل. س ، مما دفعنى للإسراع بهذه الطبعة تلبيةً لطلبات القراء الكثيرة وخدمةً للأجيال الحائرة . . .

وقد أضفتُ إليها أبحاثًا عديدة ، وأجوبةً هامة كثيرة ، كلها تدور حول ما يُهم الزوجَ والزوجة ، وما يجول بخاطرهما من أجل حياة أسعد ، وزواج أفضل .

ولا أكتم الأنصار من القراء الذين أُعجبوا بهذا الكتاب ، باعتراضات بعض مَن اطَّلع عليه ، لما فيه من صراحةٍ فى معالجة قضايا الجنس وأسراره ، مما لم يألفوه ، وما أصدقَ قولَ شوقى :

والـنـاسُ فـى عـداوةِ الـجـديـد وقـبـضَـةُ الأوهـامِ مِـن حـديـد !

وأذكر بهذه المناسبة نقاشًا بين الدكتور طه حسين ، والدكتور زكى مبارك لَعلّ فيه ما يزيل الإشكالَ ويطرد الأوهام التى مرَدُّها تقاليدُ يجب أن تزول ، تقاليد كانت سببًا فى هدم كثير من الأسر وتشريد الألوف من الأطفال يَحْسَبونها دِينًا ، وهى ليست عند الله بِدِينٍ ، بل ضلالاتٌ بصورة آداب .

إن زكى مبارك لمَّا أصدر كتاب : « مدامع العشاق » وصفه طه حسين بأنه يُحرِّض على الشهوات ، ونسى هو أو تناسى كيف تُحرض كتبُه على الزندقة والموبقات ككتابه « حديث الأربعاء » ، فردَّ عليه زكى بالعبارة التالية جاءت فى كتابه المذكور ، وإن كنا نشاركه رأيه فيما جاء فى هذا الكتاب ؛ لأننا لم نطَّلع على مضمونه ، فنذكر عبارته للطرافة :

« نحن لم نبتكر الكلامَ على الحب ؛ فهو عاطفةٌ عرفتْها الأرواح منذ أقدم العهود ، ما قيمةُ الدنيا إذا خلت من الحب ؟! ولأى غرض يحيا الناس إذا أصيبت أفئدتهم بالاعتلال ، فلم تحس ذلك الروح اللطيف ؟! وهل ينصرف القلب عن الحب [١] وهو فى عافية ؟! » .

---

(١) بشرط كونه مشروعًا وألاّ يكون المحب فى غير عافية .

فأنا أتحدث عن الحب بصفة جدِّية وأتعقب أخباره فى كل ما أرى وأسمع ، نحن نريد أن نشغل الناسَ بأخلاقهم وأذواقهم . .

« نريد أن نسيطر عليهم بالأدب والعقل ، بعدما سيطر عليهم السياسيون بالمناوشات الحزبية والسياسية ، فهل أنت مستعد لاقتحام هذا الميدان ؟!» .

نحن نفكر فى خلْق عُصْبة أدبية تعلو العُصبةَ السياسية ، ولن نصل إلى ذلك إلا يوم يؤمن الجمهور بأن الأدب هو الترجمان الصادق لشهوات العقول ، وللعقول شهواتٌ أعنف وأخطر من شهوات الأحاسيس ، وتثقيف الشهوات العقلية يصل بنا إلى منازل الحكماء ويطمئنّا فى الخلود » [١] .

وقبل الخاتمة ، فإنى أعلنها صريحةً أننى إذا أحسنت ؛ فذلك فضل من الله العظيم ؛ فله الحمد ، وإنْ أخطأتُ ؛ فمِن نفسى [٢] ، فأستغفره سبحانه سائلاً منه السداد والتوفيق .

محمود مهدى الإستانبولى

---

(١) مجلة الرسالة : « تشريح عاطفة الحب » عدد ٢٩ شباط (فبراير) ١٩٤٠ .

(٢) ولا أقول كما قال أحد المغرورين فى مقدمة كتابه للطبعة الثانية : إن ما جاء به هو إلهام ربانى !! فلنستمع إليه يقول :

« الحمد لله . . أقولها بملء فمى وكل مشاعرى وقلبى . . لقد ألهمنى الحقَّ وبصرَّنى بسبيل الدلالة عليه . . . » . ثم أكد مرة أخرى إلهامه هذا بعد كلام قصير :

« كتبتُ منذ عامين تقريبا ما ألهمنى اللهُ من دلائل وجوده الواجب الأزلى . . . » .

مع أنه لم يَسُقْ من هذه الأدلة المزعومة إلا ما ساقه قبله منذ زمن بعيد علماءُ الكلام المنحرفين الذين تركوا أدلة القرآن العظيم ، وتمسكوا بأدلة اليونان الضالين التى نهى عنها علماء السلف وأئمة المذاهب ، وأمروا بضرب المتكلمين بالجريد والطواف بهم فى الأسواق ومقاطعتهم .

وقد رجع عن هذه الأدلة المتكلمون فى آخر حياتهم وأثبتوا فشلها وضلالها ، وأعلنوا توبتهم منها ونصحوا الناسَ بالابتعاد عنها ، وحضُّوهم على التمسك بأدلة القرآن وحدها . . مما لا مجال لتفصيله فى هذا المكان . . وقد رددنا على بعض ما جاء فى بعض هذا الكتاب فى رسالة نرجو أن نوفق لطبعها قريبًا رحمةً بالقراء ، كذَّبنا فيها ادعاء مؤلفه الإلهام ، وأثبتنا ما جاء فيه من أباطيل وضلالات وأكاذيب . . .

مُقَدمَةُ الطبعَة الرابعة

ما كادت الطبعة الثالثة تصل إلى أيدى القراء الكِرام ، بعد نفاد الطبعتين الأولى والثانية ، حتى سارعوا إلى اقتنائها ، فلم تمض شهور قليلة حتى نفدت من الأسواق ، فوجدوا فيما زدتُه معارفَ ومعلومات جنسية توجِّه حياتهم الحاضرة والمستقبلة ، وتحقق لهم سعادةً ومتعةً مستمرتين ، وتكرَّمَ بعضُهم بإرسال كلمات تقدير وشكر ، جزاهم الله خيرًا . .

وقد اقْتنت من هذه الطبعة بعض الجامعات الإسلامية كميةً كبيرة ، فوصل الكتاب لأول مرة إلى أيدى الطلبة بصورة رسمية ؛ جزى الله القائمين عليها خيرًا .

وكلُّ ذلك إن دلَّ على شىء ، فإنما يدل على الوعى العظيم والتفكير الجدى والاهتمام فى دراسة القضايا الجنسية بطريقة علمية وموجهة فى آن واحد ، بعيدةٍ عن الإثارة ، كما هو الحال فى الكتب الجنسية المترجَمة وغيرها ، مما لا يخْفَى ضررُها ومبلغُ تضليلِها للأجيال . .

ودفعنى هذا إلى المسارعة بهذه الطبعة الرابعة ؛ كى أسُدَّ الفراغ ، ولا أدع مجالاً للشبان والشابات للاضطرار إلى اللجوء للكتب الجنسية المشبوهة .

ويسرُّنى كل السرور توزيعُ بعض الأسَر الفاضلة والواعية لكتاب « تحفة العروس » ، على المدعوين فى حفلات العرس ، بدلاً من العلب الخشبية والزجاجية الغالية ، والتى ليس فيها نفعٌ ، والتى تذهب ضياعًا وإهمالاً ، بينما هذه التحفة تبقى إلى الأبد تشعُّ بالإيمان والتوجيه ، وتعبق بروائح الحب والوئام ، وتبنى البيوت ، وتُنشئ الأجيال على أسس متينة من الخير والصلاح والحب ، فيا لها من ذكرى خالدة ! .

وأختتم هذه المقدمة بعبارة قيمة للدكتور خالد الحديدى الأستاذ المساعد بالجامعة الليبية سابقًا ، بعنوان « فن مصنوع » [١] إتمامًا للفائدة وزيادة فى الإيضاح :

« إن على الزوجين أن يدرس أحدُهما الآخرَ جسديًا وروحيًا وجنسيًا . . ويجب ألاّ تشعر المرأةُ أو الرجلُ بأدنى خجل أو خوف من مناقشة المسائل الجنسية مع الطرف الآخر . . إن عليهما أن يعرفا الطريقَ المناسبَ والمكانَ المناسب لممارسة الجنس . . .

---

(١) مجلة طبيبك الخاص عدد ٥٤ - السنة : ٥ .

إن هدفَ الزوجين هو الإحساس بالاتحاد وبأنهما أصبحا شيئًا واحدًا . . وقد يوحى الحبُّ الأفلاطونى بذلك فى البداية ، ولكن العلاقة الجنسية هى الوحيدة القادرة على بعث مثل هذا الإحساس فى نفسيهما ، أكثر من أى شىء آخر . . وتصبح لمساتُ الشفاه أو النظرات المعبرة أو « الضمَّة » الحانية ، يصبح كلُّ هذا جزءًا لا يتجزأ من حياتهما بدلاً من أن تصبح رمزًا للحب فقط . . كما يصبح الإشباعُ الجنسى الكامل قمةَ هذا الشعور بالاتحاد . .

ولن يصبح كذلك إلا إذا شعر كلٌّ من الشريكين أنه يشارك فيه وبنفس القدر وفى نفس اللحظة .

أما إذا أحسَّ أحدُهما أن شريكه يسعَى إلى إشباع غرائزه هو وحده فقط ، فإن الجنس بالنسبة له يصبح تضحيةً مريرة . . . وعملاً قاسيًا لا معنى له ولا فائدة فيه .

وإن أصعب ما يواجهه الأزواج فى بلادنا هو الخجل البالغ من التحدث فى هذه الأمور . . وحتى الأطباء أنفسهم يعانون ذلك ؛ نتيجة لعادات مترسبة فى أعماقنا منذ قرون ، حينما كان الآباء يظنون أن الغريزة تقوم وحدَها بتعليم الأبناء كل شىء وأنها توضح لهم السبيل . . . وحينما كانت الأمهات تحمَرُّ وجوههن خجلاً فى مواجهة أسئلة الأبناء التى تدور حول الجنس .

إن هناك عَقَباتٍ شتَّى فى طريق المواءمة الجنسية بين الزوجين ؛ هناك الفرق الذى قد يكون كبيرًا فى الزمن الذى يحدث بعده الإشباع عند الرجل وعند المرأة . . . هناك فرق فى قوة العاطفة . . . هناك البَوْنُ الذى قد يكون شاسعًا بين سن الرجل والمرأة . . وهناك بعد ذلك المتناقضات الطفيفة التى قد تحدُث فى المكان أو الزمان الملائمَيْن لكل من الرجل والمرأة .

ولم يضع هؤلاء فى الاعتبار أن السعادة التى تمنحنا إياها المواءمة الجنسية فى الزواج كافيةٌ للقضاء على مثل ذلك الملل .

أعود فأقول : إن الإشباع الجنسى فى الزواج ليس شيئًا غريزيًا وهبتْنا إياه العناية الإلهية فحسب ، وإنما هو شىءٌ مصنوعٌ مكتَسب دقيق يحتاج إلى فهم ، ومن ثَمّ إلى تكيُّف . . فهو فَنٌّ مثل سائر الفنون يجب أن يدرسه الأزواج ، فنٌّ يُكتسَب ، ومن أجل ذلك يجب أن ينمَّى وأن يمارس » ؛ ولهذا صنفنا « تحفة العروس » بعون الله تعالى وتوفيقه .

الحَياةُ الزوجيّةُ عبادةٌ

الزواجُ مِنْ نِعَمِ اللهِ على عبادِهِ (١)

الآيات :

● ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا (٢) لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً (٣) وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

● ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ (٤) إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

---

(١) الحياة على الأرض إذا خلت من المتعة ، كانت جافة قاسية ، لذلك أحاطت حكمة الله كل غرائز البقاء بأسباب المتعة ، وإنّ تدبر هذه الحكمة يجعل الإنسان على بيِّنة من الغاية منها ، إنها ليست هدفًا لذاتها ، وإنما هى وسيلة إلى أهداف كريمة ؛ فإن الفرع الكريم لا يأتى إلا من أصل كريم [الحياة الزوجية] .

(٢) كانت المرأة تعتبر فى القديم حيوانًا لا روح له ، ولم تكن زوجة ، فلما أرادوا إنصافها فى المؤتمر الفرنسى سنة ٥٨٦ كان جهدُ ما قرَّروه لها أنها إنسان وليست بحيوان . . إنسان خُلق لخدمة الرجل ! . .

ونحن بإزاء آية كريمة تنطق نورًا ورقةً ، وتروع صدقًا وقوة ، مما جاء به محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرنًا ؛ فهى تقرر أن المرأة آية من آيات الله . . . خلقها من أنفس الرجال ، لا من طينة أخرى . . . وخلقها لتكون زوجة لا لتكون خادمًا ، وذلك قوله سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ . وخلق تلك الزوجة ليسكن إليها . . والسكنُ أمرٌ نفسانى ، وسرٌّ وجدانى ، يجد فيه المرء سعادة لشمل المجتمع ، وأنس الخلوة التى لا تكلُّفَ فيها . وذلك من الضرورات المعنوية التى لا يجدها المرء إلا فى ظل المرأة . [المرأة بين البيت والمجتمع للبهى الخولى ص ٣٧] .

(٣) احتمت امرأةٌ بأحضان زوجها فى عرسها عقب الدخول وقالت له : أدين لك بسعادتى ولا أدرى كيف أردُّ بعضَ الدين ، فأجابها قائلا : « أجملُ ردٍّ هو وجودُك الآن بين ذراعى ! . . . » .

(٤) إن القرآن بهذا النص يضع أسس الحياة العاطفية الهانئة الهادئة ؛ فالزوجة ملاذ الزوج يأوى إليها بعد جهاده اليومى فى سبيل تحصيل لقمة العيش ، ويركن إلى مؤانستها بعد كَدِّه وجهده ، وسعيه ودأبه . . يلقى فى نهاية مطافه بمتاعبه إلى هذا الملاذ . . إلى زوجته التى ينبغى أن تتلقاه فرحة مرحة ، طلقة الوجه ، ضاحكة الأسارير . . يجد منها آنئذ أذنًا صاغية وقلبًا حانيًا ، وحديثًا رقيقًا حلوًا يخفف عنه . . ويُذهب ما به .

فالزوجة سكنٌ لزوجها يسكن إليها ليروى ظمأه الجنسى فى ظلال من الحب والمودة والطهارة ، فيسكن القلب عن الحرام ، وتسكن الجوارح عن التردِّى فى حمأة الرذيلة والانزلاق فى مهاوى الخطيئة ! [الإسلام والحياة الجنسية ص ٢١ - ٢٢ تأليف محمود بن الشريف] . =

الحَضُّ على الزواجِ

الآيات :

● ﴿ فَٱنكِحُوا۟ [١] مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء : ٣] .

● ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ [٢] ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

= تُرى هل تستطيع الزوجة التى تعمل خارج البيت الساعات الطويلة فى الأعمال المتعبة ، أن تقوم بمهمة مواساة الزوج والتخفيف من همومه وأتعابه ؟!!

(١) تشير هذه الآية إلى وجوب الزواج ، غير أنه قد كثر فى محيط أهل التبذل السخريةُ من الزواج . . أو التندر به . . أو اصطناع الندم عليه . . تظرفًا ممجوجًا . . والتماسًا للهْوِ الحديث مع المسامرين . . ذلك العبث يذهب بأصحابه بعيدًا عن طريق الله . . . وعن القداسة الواجبة لأمر عظيم شرعه الله تعالى فى كتابه وحث عليه . [الحياة الزوجية] .

(٢) ما أرق وأروع تفسير الإمام الطبرى لهذه الآية فقد قال : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ أى أن يكون كلٌّ منهما جعل لصاحبه لباسًا ؛ لتجردهما عند النوم واجتماعهما فى ثوب واحد ، وانضمام كل واحد لصاحبه بمنزلة ما يلبسُه على جسده من ثيابه ! فقيل : لكل واحد منهما « هو لباس » لصاحبه . أو أن يكون جُعل لكل واحد منهما لصاحبه « لباسًا » ؛ لأنه سكن له كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ يعنى بذلك سكنًا تسكنون فيه ، وكذلك زوجة الرجل سكن يسكنُ إليها كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ فيكون كل واحد منهما « لباسًا » لصاحبه بمعنى سكونه إليه .

وقال أحد كبار الكُتاب فى تفسير هذه الآية :

« يصف القرآن العلاقة بين الرجل والمرأة فى تعبير دقيق جميل حيث يقول : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ ؛ ففى هذه الكلمات القليلة تصوير بارع لعلاقة الجسد وعلاقة الروح فى آن ؛ فاللباس أهم شىء لبدن الإنسان ، وهو الستر الذى يستتر به ، وهو فى الوقت ذاته مفصَّل على قده لا ينقص ولا يزيد .

والرجل والمرأة ألصق شىء بعضهما لبعض ، يلتقيان فإذا هما جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدة ، وفى لحظة يذوب كلٌّ منهما فى الآخر ، فلا تُعرف لهما حدود ، وهما أبدًا يهفوان إلى هذا الاتصال الوثيق الذى يشبه اتحاد اللباس بلابسه .

ثم هما سترٌ ، كل واحد للآخر ؛ فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة ، وهما على الدوام سترٌ روحى ونفسى ، فليس أحد أستر لأحد من الزوجين المتآلفين ، يحرص كل منهما على عِرض الآخر وماله ونفسه وأسراره أن ينكشف منها شىء فتنهبه الأفواه والعيون ، وهما كذلك وقاية تُغنى كلاً منهما عن الفاحشة وأعمال السوء ، كما يقى الثوبُ لابسه من أذى الهاجرة والزمهرير .

وهما بعد ذلك كاللباس فى تفصيله مضبوطًا على القد ؛ يلبسه صاحبه فيستريح إليه ، ويتحرك نشيطًا فى محيطه ، ويكتسب به جمالاً وزينةً تعجب صاحبها وتعجب الناظرين . =

الأحاديث :

* « إذا تزوج العبدُ فقد استكملَ نصفَ دينه [١] ، فليتَّقِ اللهَ فى النصف الباقى » (هق) (ح) لِطُرُقه .

* « الدنيا مَتاعٌ ، وخيرُ مَتاعِها المرأةُ الصالحة » [٢] (م) .

= فليس أبدع من تصوير هذه المعانى فى تشبيه واحد شامل عميق .

وإذا كانت العلاقة بين الرجل والمرأة وثيقة إلى هذا الحد ، فقد وجب أن يلتقيا ليكون كلٌّ منهما لباسًا لصاحبه ، يزينه ويكمله ، ويلتصق به للوقاية والستر » . [الإنسان بين المادية والإسلام ص ٢٤٩] .

(١) فى الزواج يتقرر نصف مصير المسلم ؛ مما يدعوه إلى الاهتمام بحسن اختيار الزوجة والبحث الدقيق والاستخارة الشرعية بعدَهما ، وذلك بصلاة ركعتين ثم قراءة الدعاء المأثور عن الرسول ﷺ ، فما حَصلَ بعد ذلك فهو خير . وهذا هو دعاءُ الاستخارة كما رواه البخارى فى صحيحه :

« اللهم إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ؛ فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إنْ كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال : عاجل أمرى وآجله - فاقدُره لى (أى اقض لى به وهيِّئه) ويسِّره لى ، ثم بارِكْ لى فيه ، وإن كنت تعلمه شرًا لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال : عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخيرَ حيث كان ثمَّ رَضِّنِى به » .

(٢) جاء فى كتاب « نحن المعمرون » :

« وصدِّقنى يا بُنَىَّ ، إن الزواج لَمِن أفضل الأمور التى تساعد على إطالة العمر ، ويؤدى إلى حياة مستقرة منظمة .

وقد يشوب الحياة الزوجية شىء من المتاعب بسبب الأولاد وأعباء المنزل ، ولكن المتزوج يشعر مع ذلك بالرضا والطمأنينة وإشباع النفس ، فى حين أن الأعزب غالبًا ما يشعر بفراغ فى حياته ونقص فى معيشته ، وصدق مَن قال : « إن الأعزب قد يكون مَلِكًا فى شبابه ولكنه يصبح عبدًا مسكينًا فى شيخوخته ، أما المتزوج فقد يكون عبدًا مسخرًا فى السنين الأولى من حياته الزوجية ، بيد أنه عندما يهرم يجد نفسه ملكًا متوجًا فى بيته ، ولا يحس بالوحشة والعزلة التى يشعر بها غير المتزوج من المسنين » !

ويقول الدكتور هافلبرج ، مدير مستشفى الأمراض العقلية بنيويورك : إن عدد الذين يدخلون المستشفيات العقلية نسبتهم عادةً أربعةٌ من غير المتزوجين إلى واحد من المتزوجين !

وتدل الإحصاءات التى قام بها برتلون ، على أن حوادث الانتحار بين غير المتزوجين أكثر منها بين المتزوجين ، وأن المتزوجين يتصفون عادة بالاتزان العقلى والخلقى ، وحياتهم هادئة ولا يشوبها الشذوذ والسويداء اللذان يتصف بهما عدد قليل من غير المتزوجين ، كما أن النساء المتزوجات ، =

* « ثلاثةٌ حقّ على الله عونهم : المكاتِبُ [١] الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف [٢] ، والمجاهد فى سبيل [٣] اللهَ » (ت. ن. هـ) .

= مع ما يعانينه من متاعب الولادة والأمومة ومشاكل الحياة الزوجية والمنزلية ، غالبًا ما يعمِّرن أطول من زميلاتهن اللاتى يقضين حياتهن عانسات !

(١) العبد الذى يريد أن يعتق نفسه بالمال ، فيعمل ويكد للحصول عليه .

(٢) أغلب الذين لا يتزوجون ، وهم قادرون عليه ، يفكرون فى الزنا ! والزنا يبعد الإنسان قطعًا عن طريق الإيمان ، فكأن المسلم الذى لا يتزوج يغامر بدينه ، فلينظر أية جريمة هو غارق فيها ، كان ابن مسعود يقول : « لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكى لا ألقى اللهَ تعالى عزبًا » .

وكان الرجل من مسلمى السلف إذا بلغ أولاده الحلم ، وتهيأت لهم القدرة على الزواج حدَّثهم فى ذلك ، وعاونهم ورغَّبهم فيه والتمس لهم صاحباتِ الدِّين من البيوت المطهرة والمحافظة ، إن ذلك أسلوبٌ لتطهير الحياة ودفعها فى طريق كريم [الحياة الزوجية] .

(٣) ما أعظم هذا الحديث الذى سوَّى بين الزواج وبين الجهاد فى سبيل الله وبين إعطاء الحرية للرق ! .

التَّسامي بالغريزةِ الجنسيةِ [١]

الآيات :

● ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور : ٣٣] .

الأحاديث :

* « يا معشر الشباب : مَن استطاع منكمُ الباءَةَ [٢] فليتزوَّج [٣] ؛ فإنه أغَضُّ للبصر وأحصَنُ للفَرْج ، ومَن لم يستطِعْ [٤] فعليه بالصوم فإنه له وِجاء » [٥] .

---

(١) نقصد بالتسامى بالغريزة الجنسية ما اصطلح عليه كثير من علماء النفس بوجوب تعلية هذه الغريزة ، وتصعيدها فى آفاق علمية وأدبية وفنية نافعة فى حالات تعذُّر الزواج ، وقد أمر الرسول ﷺ بالصوم للعُزَّاب ، وهو نوعٌ رفيع من أنواع التسامى بهذه الغريزة ، سبق إليه الإسلامُ ، وليس معنى ذلك أن يستمر ، كما يفعل بعض رجال الدين من غير المسلمين !

وهذا التسامى بالغريزة يؤدى إلى فوائد عظيمة فى عالم الدراسة والبحث والإنتاج ، فأين هذا التوجيه السامى الإسلامى من دعوة « فرويد اليهودى » الذى يدعو إلى مسارعة إشباع الغريزة الجنسية ، ويزعم - كذبًا وزورًا - أن عدم الإشباع يؤدى إلى الكبت ويسبب الأمراض النفسية !

قال الدكتور ألكسيس كارليل فى كتابه القيم « الإنسان ذلك المجهول » : « من المعروف أن الإفراط الجنسى يعرقل النشاط العقلى ، ويبدو أن العقل يحتاج إلى وجود غدد جنسية حسنة ، حتى يستطيع أن يبلغ منتهى قوته » ص ١٧٤ .

وخلاصة نظرية فرويد : دعـــوة يهودية للإباحية والاستغراق فى الشهوات لإضعاف الجنس البشرى حسب المخطط الإسرائيلى العالمى ؛ فقد جاء فى بروتوكولات زعماء صهيون : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان ، فتسهل سيطرتنا . إن فرويد - نحن اليهود - مِنّا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى شىء مقدس !! ويصبح همُّه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذٍ تنهدم الأخلاق » !! .

وقد طُردت نظرية فرويد مِن كثير من بلاد العالم ، حتى من الاتحاد السوفيتى ! بعد ظهور آثارها السيئة فى إفساد الجيل ، بينما لا تزال تدرَّس فى كثير من معاهدنا - ويا للأسف - كحقيقة ثابتة !!

ومهما كان مِن شأن التسامى بالغريزة الجنسية ، فلا يصح أن يرافقه الإثارة بمشاهدة المناظر المثيرة ومطالعة الكتب والروايات المهيجة . . . .

(٢) أى من استطاع منكم الزواجَ بقدْرَته على المؤونة والنفقة والقدرة الجنسية !

(٣) إن النصوص الإسلامية من قرآن وسنة تشير إلى وجوب الزواج للمستطيع ، ولا أدرى كيف استنتج بعض الأئمة أن هذه الأوامر للاستحباب أو الإباحة ؟!

(٤) وهذا لا شك كان فى أول الإسلام ، أما حينما تغنَى الدولة : فإن لكل مسلم الحق فى =

. . . . . .

= الزواج والاستدانة لتأمين المهر ونفقات الزواج الأخرى ، والدولة كفيلة بتسديد دَيْنِه من سهم الغارمين (أى المدينين) من سهام الزكاة .

وإلى القارئ ما يثبت ما ذهبت إليه :

جاء فى كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لابن عبد الحكم : طلب ابنٌ لعمر بن عبد العزيز إلى أبيه أن يزوِّجه وأن يتصدَّق عليه من بيت المال (أى يدفع له المهر) ، وكان لابنه ذلك امرأة فغضب لذلك عمر بن عبد العزيز وكتب إليه : لقد أتانى كتابك تسألنى أن أجمع لك بين الضرائر من بيت مال المسلمين ؟ وأبناء المهاجرين لا يجد أحدهم امرأةً يستغنى بها ، فلا أعرف ما كتبت كمثيل هذا ؟! ثم كتب إليه : أن انظر إلى ما قِبَلَكَ مِن نحاسِنا ومتاعنا فبعْه واستعن بثمنه على ما بدا لك (ص ١٢٥ طبعة عبيد) . فالخليفة لم يستغرب طلب ابنه مهرًا من بيت المال ، لكن آثر عليه زواج أبناء المهاجرين .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عُمّاله : أن اقضوا عن الغارمين . . فكتبوا إليه : إنا نجد الرجلَ له المسكن ، والخادم ، وله الفرس ، وله الأثاث فى بيته ! . فكتب عمر : لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى إليه رأسه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه (ولعل اليوم لا بد من سيارة إذا كانت من إنتاج إسلامى) وأثاث فى بيته - أى له ولزوجه وأولاده ، ومع ذلك فهو غارم ، فاقضوا عنه ما عليه من دَيْن . [ص ١٦٤ من المصدر السابق] .

وقد صَحَّ فى ذلك حديث بلزوم تكفُّل الدولة لعاملها بالزوجة ، والمسكن ، والخادم .

(٥) وبمناسبة الكلام عن وجوب العفة والتسامى بالغريزة الجنسية ريثما يتيسر الزواج كما أمر الشارع الحكيم ، رأيت من المفيد الرد على أنصار نظرية « فرويد » الإجرامية اليهودية الذين يشجعون على الفاحشة بحجة خطر العفة على الصحة . قال العالم « هنرى ميلر » :

إن خير وسيلة لحفظ أجسادنا من المرض هو امتناعنا عن طلب اللذة الجنسية قبل الزواج من أية وسيلة كانت ، ومع هذا فهنالك غيرُ هذا النفع ، فما هو يا ترى ؟

إن الاستسلام لكل فرصة سانحة للفعل الجنسى ، يُفقدنا إرادتنا وشخصيتنا المبنية على قوة إرادتنا !

ومن العوامل التى تقوِّى الشخصية - كما نعلم - أن نَحُدَّ من النزعات الغريزية الكثيرة . والامتناع عن الاستسلام للغرائز ، قد يبدو صعبًا لأول وهلة ، ولكننا متى اعتدنا ذلك أصبح هينًا يسيرًا .

كما أن من يندفع مع غرائزه الجنسية الخاصة ، لا يرى الأشياء إلا من منظار غريزى ، ولذلك فالشك يلازمه فى كل نقاء وصفاء ، وينطفئ فيه الشعور بما هو سام ورفيع ، ويستنكر فضيلة النساء ، ويتحرر من كل تقاليد المجتمع ، ثم لا يجنى فى النهاية إلا الملل والفراغ ! ولكن من يترفع بنفسه من حاجات الجسد : فإن حياته ستملأ بالمشاعر الرفيعة والأحاسيس الصافية ، والفرح العميق الذى يبعثه الحب الطاهر الصافي ؛ إن جسده نبيل ، وقلبه نبيل ، وتفكيره نبيل ، هكذا تصبح حياته فيَّاضة خصبةً بالمعانى السامية .

هذا ، وإنَّ من يتزوج بعد أن عرف الكثيرات ، لن يستقر على حالٍ ؛ فهو لن يستطيع أبدًا أن يتفهم العواطف الجياشة فى صدر زوجته ، ومن هنا كان سبب الكثير من حالات الطلاق ! =

. . . . . .

= أما ذلك الذى بقى طاهرًا حتى الزواج ، فقد تعوَّد أن يحترم المرأة ، ويحترم فيها شريكة حياته وأم أبنائه ، ويرى فى الحب منحة أبدية خالدة ، والمرأةُ أبدًا ترى فى هذا الطهر عنوانًا لإخلاصه ، فتتعلق به وتتمسك به حتى النهاية .

ولنذكر أخيرًا أن الامتناع ضروري حتى أثناء الزواج ؛ فهناك أمور كثيرة تضطرك للامتناع ، منها الحمل ، والرغبة فى تطويل المدة بين الولادة والولادة ، وبعض الأمراض العارضة إلخ . . . ومن تعوَّد الامتناع قبل الزواج وتمرَّس به ، فيستطيع الحرص على مصلحة الزوجة فى مثل هذه الأحوال .

قد تقول لى : هذا جميل جدًّا ، ولكن هل يمكن ذلك ؟ . . أجل ! إن الإنسان الطبيعى بستطيع أن يحفظ نفسه من الزلل حتى الزواج ، وأمثالُ ذلك كثيرة . . وقد تقول لى : ولكن ألا يضر الامتناع بالصحة ؟ وهأنذا أجيب عن سؤالك هذا بما يلى :

١ - يظن البعض أن الامتناع يسبب هزال الأعضاء الجنسية ، والحقيقة أن العكس هو الصحيح ! وليس لك إلا أن ترجع للأطباء وسترى أنهم سيقولون لك إن الآباء الذين يمارسون الفعل الجنسى على خير ما يمكن هم الذين استطاعوا التمسك بعفتهم قبل الزواج .

٢ - يقول البعض : إن الامتناع يثير الأعضاء الجنسية . والحقيقةُ أن التمرس بالفعل الجنسى هو الذى يثيرها ؛ فإن ممارسة الفعل الجنسى تجعل الأعضاء فى حالة تنبه دائم ، ثم يأتى يومٌ لا تستطيع فيه الإرادة المقاومة . أما الامتناع الفعلى فيهدئ ويلطف من حدة الرغبة على شرط أن تهدأ الأفكار والتصورات !

٣ - ويقول لك آخرون : إن الامتناع يقود إلى التعود على الاستمناء باليد ، ومن المؤكد أن رفقاء السوء ، أو المشاهد المثيرة قد تقود بعض الشبان إلى هذا الفعل ، ومتى انقاد إليه مرة ، استسلم إليه مرات كثيرة غيرها ؛ لأن فقدان الإرادة يساعد على ذلك ، وكذلك فى السجون ، كثيرون هم الذين ينقادون لمثل هذا الفعل ، ولكن هناك شيئًا واحدًا طالبنا به منذ البدء وهو قوة الإرادة والطهر الكافيان للامتناع ، ولا ننسى أن أولئك الذين يتبعون النساء يُقبلون أكثر من غيرهم على هذا الفعل ، وخاصةً كلما تعذَّر عليهم إيجاد امرأة يقضون معها وطرهم ، فهم يجدون فى الاستمناء وسيلة أسهل لتصريف حاجة الجسد . إذن من الضرورى قبل كل شىء الاقتناع بأن الامتناع نافعٌ وضرورى وإلا فلن يجدى شيئًا .

٤ - يأخذون على الامتناع أنه يقود إلى خطرين :

الأول : فقدان المادة المنوية بطول الامتناع . والحقيقةُ أن هذا مرضٌ يأتى من ممارسة الفعل الجنسى الدائمة ؛ فليس هو إذن نتيجة الامتناع وإنما هو نتيجة الممارسة والإقبال .

الثانى : « الاستنوام » : أى الإفرازات التى ترافق النوم ، وهذا الاستنوام إن رافقته أحلام أوْ لا : فهو وسيلة طبيعية ، يصدر فيها جهازنا العضوى الفائضَ عنه ، وليس فيه أى حرج ، ومن الخطر أن نُفهم الفتى أن هذه الوسيلة مضرة ؛ لأنه خوفًا منها سيستسلم لأفكار سوداء ، وهذه الأفكار السوداء إذن ليست إلا خطأ الفهم . =

النساءُ مِنْ أجملِ [١] مُتَعِ الحياةِ

الآيـــة :

● ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم

= ولننتبه إلى شيء ، هو أن كثرة التفكير فى النواحى الجنسية تكثر من حالات الاستنوام ، وعندئذٍ يصبح هذا الإفراز فعلاً إراديًا غير مباشر . وإذن فهذه النتيجة ليست من الامتناع وإنما انحطاط الروح هو المسئول !

أما العنة التى تحدث فى بعضهم فليس مصدرُها الامتناع ، بل هى نتيجة الإسراف فى الاستمناء باليد أو الإسراف فى الفعل الجنسى .

والبحث هنا طويل فى مثل هذا الموضوع ، ولذلك نحيل القارئ على أشهر الأطباء وعلى مؤلفاتهم ، وسيجدون أننا لم نختلق اختلاقًا ، ولكنها تجارب ودراسات واقعية صحيحة إلى أبعد حد .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى تعليقًا على حديث « يا معشر الشباب . . . » : وقوله : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » فُسِّرت الباءة بالوَطْء ، وفُسرت بمؤن النكاح ، لدينا فى التفسير الأول إذ المعنى على هذا « مؤن الباءة » ثم قال : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء » فأرشدهم إلى الدواء الشافى الذى وُضع لهذا الأمر ، ثم نقلهم عنه عند العَجْز إلى البدل وهو الصوم فإنه يكسر شهوة النفس ويُضيق عليها مجارى الشهوة ؛ فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغـــذاء وكيفيته ؛ فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان فى توليدها ، والصوم يضيق عليها ذلك ، فيصير بمنزلة وجاء الفحل ، وقلَّ مَن أدمن الصوم إلا وماتت شهوته أو ضعفتْ جدًا ، والصوم المشروع يعدلها . واعتدالُها حسنة بين سيئتين ، ووسطٌ بين طرفين مذمومين ، وهما : العنة ، والغلمة الشديدة المفرطة ، وكلاهما خارج عن الاعتدال ، وكلا طرفَىْ قصد الأمور ذميم ، وخير الأمور أوساطها ، والأخلاق الفاضلة كلها وسط بين طرفين ، وجُعل بينهما إفراط وتفريط ، وكذلك الدين المستقيم وسط بين انحرافين ، وكذلك السنة وسط بين بدعتين ، وكذلك الصواب فى مسائل النزاع إذا شئتَ أن تحظى به فهو القول الوسط بين الطرفين المتباعدين ، وليس هذا موضع تفصيل هذه الجملة ؛ فإنّا لم نقصد له . وبالله التوفيق .

(١) . . . . . فالأنوثة لم تبدع فى الإنسانية جسدًا وصورة فحسب ، بل قد سكبت فى الإنسانية أيضًا مع لبن الرضاع مِن ذَوْب حبها وحنينها ما أحال غموض الطفولة وغفلتها إلى وضوح وعبقرية فى استيحاء معانى الإنسانية ، من النظرات والبسمات وقسمات الوجوه ، وفى إيحائها .

لا ، بل من هذب الرجولة فى بواكيرها فبدَّلها بالغلظة شهامةً ومروءة ، وبالوحشة أنسًا وفرحًا ، وبالأنانية فيضًا وفداء ، وبالامبالاة تعلقًا وتمسكًا ؟ من ثقفها فى فجرها فكشف لها عن أسرار الحياة ؟ مَن أعطى الزهرةَ جمالَها ، وللأغصان دلَّها ودلالها ؟ مَن سَكَبَ الروعة على ثنيات السفوح وصبَّ فى الذروة صبوتها ؟ من لوَّن لها ناتئات الصخور وقاحلات الدروب ودارسات الربوع ، بجميع ألوان الحياة ولا حياة ولا ألوان ، إلا الذكريات ؟ =

مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[١] [الروم : ٢١] .

الحديث :

* « حُبِّب إلىَّ مِن دُنْياكم : النساءُ والطِّيبُ . وجُعلت قرةُ عينى فى الصلاة »[٢] (ن حم حا) وسنده صحيح .

= من فهَّمها نجوى الطيور وهمسَ النجوم ووشوشات الغدران ، من أحال لها خيامَ الناس وأكواخهم فراديس تفيض على الوجود غبطة ونعمى وسلامًا ؟

أية يدٍ ساحرة مسَّت بأناملها العبقرية هذه الفتوة البكر ، توقظ فيها البطل خلوقًا فنانًا ، فتستعيد الحياةُ على يديه جدَّتَها وصبوتها ، همة وتوثبًا ، وفيضًا بالمعانى ، لحظةً بعد لحظة وجيلاً بعد جيل ، إلى أن تفنى الحياة ولا فناء ؟!

مَن فعل فينا كل ذلك غيرُ طيف الأنوثة يوم تراءت لنا بقامتها الطلقة وقسمات وجهها المهذبة ، مع أحلام الشباب وأمانيه العذاب ؟

وهذه الرجولة فى أوج شدتها ، مَن رَقَّق لها من خشونتها حتى لا أرقَّ ولا ألطف ؟ ومن قسَّى لها من مفاهيم الشرف والكرامة حتى الموت وحتى الدمار ؟ من ذا الذى يستطيع أن يستنفد كل ما فى الرجولة من خير وخصب وروح عبقرية مبدعة غيرُ الأنوثة الصحيحة ، هى وطنٌ أول للرجل ، قد غلا وعزَّ على قلبه مِن أجل هذا الوطن الحبيب ، كلُّ شِبْرٍ مقدس من أرض الوطن ؛ هذه هى الأنوثة الصحيحة .

فالأنوثة ليست جسدًا فحسب ، بل هى قَبْلَ ذلك تجسُّدٌ للحب المقدس والجمال والرقة والروح المهذبة والتعلق النبيل ، فلو استطاع الرجلُ العبقرى أو غيرُ العبقرى ، أن يعيش هذه المظاهر الإنسانية الأصيلة فى رسالةٍ أو هواية ، فإنه قد يستطيع أن يستعيض بها عن المرأة ، ولكن استعاضة الظمآن عن الماء القراح بِمُقَطَّرِ الفواكه وعصيرها !..

وهيهات !!

وإذن فعندما يقتصر الفنان فى فنه على الجانب الجسدى من الأنوثة ، ألا يكون ذلك ضِيقًا منه فى الأفق ، وقِصرًا فى النظر ، لم يستطع معه أن يستوحى من الأنوثة إلا الجانب الجنسى ، والأنوثة على ما هى عليه من خصب وفيض وتلون ؟!

وعندما ينحدر الفنان إلى المستوى الجسدى ، ألا يعنى ذلك أيضًا أنه ضاوى الصبوة ، هزيل النزعة الفنية ، لم يستطع أن يرتفع بها إلى مستواها الصحيح ؛ تجسيدًا للجمال والحنان والرحمة والحب ، إلى حيث يتمازج الجفن بالأخلاق ، فى قسمات الوجوه وبسمات الثغور والنظرات . [رسالة : لا فن بدون أخلاق] (فسبحان الله الذى خلق الجمال ويحب الجمال) ! .

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى معنى سام رفيع ، وتبين أن الرابطة بين الرجل والمرأة ليست رابطة مضاجعة فحسب ، بل رابطة رعايةٍ وحبٍّ وحنان وعطف ، وكم فى ذلك مِن تكريم لشخصية المرأة ورفع لمكانتها .

(٢) ومهما كان من حب الرسول ﷺ لنسائه حتى عائشة منهن ، فإنه ترك لربه نهاية الحب فقد صحَّ عنه أنه قال : « لو كنت متخذًا فى الأرض خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً » . وفى لفظ « لكن صاحبكم خليلُ الله » . =

المسارعةُ لاستئصالِ أساليب العبادةِ المنحرفةِ

الحديث :

* جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ ، فلما أخبروا عنها كأنهم تقالّوْها ، فقالوا :

وأين نحن من رسول الله ﷺ ، وقد غفر الله له ما تقدَّم من ذَنْبه وما تأخَّرَ ؟!

فقال أحدهم : أمّا أنا فإنى أصلى الليل أبدًا .

وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ، ولا أتزوج أبدًا .

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال :

« أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! . . . أَمَا واللهِ إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى

= وقوله : « من دنياكم » أى حببنى الله فى هذين أكثر من غيرهما ، وهما نعيمٌ فى العاجل وقربٌ فى الآجل . أما النساء : فلأنهن مصابيحُ البيوت وعمّارها وأنسها ، ومنبتُ الأولاد وأسسها ، وما أعظمها مزية ! وأما الطِّيبُ فلأنه منعشٌ للنفوس ومفرحٌ للملائكة الكرام ، وأما الصلاة : ففيها قرةُ العين وعِظَمُ السرور ولذة المناجاة بين العبد وربه تعالى . وهذه أسعد أحوال الإنسان وأشرفها » . [التاج الجامع للأصول] .

ذكر الإمام ابن الجوزى فى كتاب « نوادر الأذكياء » أن شاعرًا مر بنسوة فأعجبه حسنهن ، فأنشد يقول :

ذكر بعضهم أن شاعرًا غضب من امرأته فأنشد :

إنّ النِّساء شياطينُ خُلِقْنَ لنا نعوذُ بالله مِن شَرِّ الشياطين !

فأجابته إحداهن :

إنّ النِّساءَ رَياحينُ خُلِقْنَ لَكُمْ وكلُّكمْ يَشْتَهِى شَمَّ الرَّياحينِ !!

جاء فى كتاب « تحفة العروس » وهو كتاب قديم أخذنا منه اسم كتابنا هذا : وعلى قولها : « إن النساء رياحين » حكى صاحب (كتاب واجب الآداب) قال : وقع خالد بن يزيد ان معاوية يومًا فى عبد الله بن الزبير ، وأقبل يَصِفُهُ بالبخل - وزوجتُه رملة بنت الزبير أخت عبد الله جالسة - فأطرقت ولم تتكلم بكلمة ، فقال لها خالد : ما لكِ لا تتكلمين ! أرِضًا بما قلتُه أم تنزهًا عن جوابى ؟! فقالت : لا هذا ولا ذاك ! ولكن المرأة لم تُخلق للدخول بين الرجال ، إنما نحن رياحين للشم والضم ! فما لنا وللدخول بينكم ؟! فأعجبه قولها وقبَّلها بين عينيها !

أصوم وأُفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساءَ ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتى فليس منى[(١)] » !! (خ) .

* « آخَى رسولُ الله ﷺ بين سَلْمان وأبى الدرداء ؛ فجاء سلمان يزوره ، فإذا أم الدرداء متبذلة[(٢)] فقال : ما شأنكِ يا أم الدرداء ؟ قالت : إن أخاك أبا الدرداء يقوم الليلَ ويَصوم النهار ، وليس له فى شىءٍ من الدنيا حاجة !

فجاء أبو الدرداء ، فرحَّب بسلمان ، وقرَّب إليه طعامًا ، فقال له سلمان : اطعَمْ ! قال : إنى صائم .

قال : أقسمتُ عليك لتفطرنَّ ؛ ما أنا بآكل حتى تأكل - فأكل معه ، ثم بات عنده ، فلما كان الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم ، فمنعه سلمان ، وتكرر ذلك مرارًا ، ثم قال سلمان :

---

(١) ومما يؤسف له أنه على الرغم من جميع توجيهات القرآن والسنة فى الحض على الزواج ، نرى الصوفية ينفرون منه ، ويأمرون الناس بتركه ! وفى هذا منتهى الحماقة ، أو منتهى المؤامرة على إفناء المسلمين وتعريضهم للفواحش ، وقد ردَّ عليهم الإمام ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس إبليس » وأوضح ضلالهم ، فكان مما قاله تحت عنوان تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك النكاح :

« واعلم أنه إذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى **ثلاثة أنواع** :

النوع الأول : المرض بحبس الماء ؛ فإن المرء إذا طال احتقانه تصاعد إلى الدماغ منه منيه ، قال أبو بكر بن زكريا الرازى : أعرف قومًا كانوا كثيرى المنى ، فلما منعوا أنفسهم من الجماع لِضربٍ من التفلسف بردت أبدانهم ، وعسرت حركاتهم ، ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب ، وعرضت لهم أعراض الماليخوليا (المزاج السوداوى) وقلَّتْ شهواتهم وهضمهم ، وقال : ورأيتُ رجلاً ترك الجماع ، ففقد شهوة الطعام ، وصار إن أكل القليل لم يستمرئه (يستطيبه) وتقايأه ، فلما عاد إلى عادته من الجماع ، سكنت عنه هذه الأعراض سريعًا .

النوع الثانى : الفرار إلى المتروك ؛ فإن منهم خَلْقًا كثيرًا صابروا على ترك الجماع ، فاجتمع الماء فأقلقوا (أى أزعجوا) ورجعوا فلامسوا ولابسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه (أى صار عندهم ردُّ فعلٍ فانغمسوا فى الشهوات . . .) .

النوع الثالث : الانحراف إلى صحبة الصبيان !! .

وقد حمل الجهلُ أقوامًا فجَبُّوا أنفسهم (أى قطعوا أعضاء تناسلهم) وزعموا أنهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى ! وهذه غاية الحماقة ؛ لأن الله تعالى شرَّف الذكر على الأنثى بهذه الآلة لتكون سببًا للتناسل ، والذى يَجُبُّ نفسه يقول بلسان الحال : الصواب ضد هذا ، ثم قطْعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس ، فما حصل مقصودهم » أ . هـ بقليل من الاختصار .

(٢) أى لابسةٌ البذلة ؛ أى ثياب المهنة ، المراد أنها تاركة لباس الزينة .

يا أبا الدرداء : إنّ لجسدك عليك حقًّا ، وإن لأهلك عليك حقًّا ، صُمْ وأفطِر وصَلِّ وأْتِ أهلك ! وأَعْطِ كلَّ ذى حقٍّ [١] حقَّه . فلما كان فى وجه الصبح ، قال : قم الآن إن شئتَ . فقام فتوضأ ثم ركعا ثم خرجا إلى الصلاة ، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسولَ الله ﷺ بالذى أمره سلمانُ ، فقال له رسول الله ﷺ :

« يا أبا الدرداء إنَّ لجسدك عليك حَقًّا » مثل ما قال سلمان ، (وفى رواية) : « صدق سلمان » خ . ت .

* * *

---

(١) إن الإسلام دين الحياة ، فهو لا يقف حائلاً دون تحقيق الرغبات والغرائز ، بل يشجعها ويفتح لها المجال ، ولا غرابة فى ذلك ؛ فإن على هذه الغرائز يتوقف بقاء البشرية فمحاربتها حماقةٌ ما بعدَها حماقة ، إنما السعادة في توجيهها ورسم الطريق لها .

ولا يستغرب القارئ إذا قلنا : إن الإسلام يسعى لتحقيق المتعة الدائمة واستمرار الحياة السعيدة ، فهو حينما حرَّم الزنا والخمر مثلاً ، فإنما قصد - من جملة ما قصد - الإبقاء على سلامة الجسم وقوته ليتسنى له الاستمرار على تحقيق متعته فى أطول وقت ممكن ، فهو لا يضع - كما يظن بعض الجهلاء - القيود والسدود أمام متع الإنسان للحيلولة دون الأخذ بها بنصيب وافر ودائم ، وإنما غايتُه تحقيق وتوفير أعظم متعة ممكنة .

وقد رأينا كيف ثار النبى ﷺ على النفر الثلاثة حينما رسموا لأنفسهم طريقًا منحرفًا يحارب الطبيعة البشرية ويَحُولُ دون تنفيذ غرائزها ، ظانين أنهم بذلك يتقربون إلى الله ، فأخبرهم الرسول العظيم ﷺ أنهم بعملهم هذا يبتعدون عن الإسلام وعن مبادئ الفطرة السليمة !! يعانون آلام وسوسة الشيطان ، ويشغلون أنفسهم بمقاومة الشهوة الجنسية وكل ذلك لأن العزوبة شرٌّ كلها ، ولا ينجو من آثامها إلا النادرون ، وإذا نجَوْا فإنه يصرفهم عما فرضه الله تعالى عليهم فى أحيان كثيرة .

قال ابن عباس : تزوَّجوا فإن يومًا مع التزوج خيرٌ مِن عبادة كذا عام !

وقال ابن مسعود - وهو مطعون - زوِّجونى فإنى أكره أن ألقَى الله عازبًا ! . .

ويقال : إن أحمد بن حنبل تزوج فى اليوم الثانى لوفاة أُمّ وَلَدِه عبد الله وقال : أكره أن أبيت عزبًا !

على عتبةِ الزواجِ

اختيارُ الزوجِ والزوجةِ الصالحَين [١]

الآيات :

- ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .
- ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ [٢] مِنْ عِبَادِكُمْ

---

(١) إن أهم مشكلات الزواج وصعوباته وانحلاله ناجم عن التسرع فى اختيار شريك أو شريكة الحياة دون بحث وتدقيق . وكم سارع الشاب - ومثله الشابة - فى انتقاء عروسه بمجرد سحره بجمالها ، فوقع على أم رأسه وقاسَى الويلات ، وقُل مثل ذلك فى الشابة المتسرعة ! وإنى أذكر بهذه المناسبة أسطورة رجل خُيِّرَ بين أن يختار زوجته من طائفة من الفتيات الفاتنات كن على مَقْرُبة منه ، فأرسل بنظره إلى جبل عال يناطح السماء ، واختار فتاة فوق قمته وقال :

أتزوج هذه المرأة لأنها صعبة المنال بعيدة عن الأنظار !!

لهذا كله حضَّ الإسلام على حسن اختيار الزوج أو الزوجة من ذوى الأخلاق والصلاح والدين والعفة والمنعة كما سترى من الآيات والأحاديث التالية . .

ومن طريف أعمال الجامعات الغربية أن إحداهما عمدت إلى تأليف مجلس خاص أسمته « المجلس الاستشارى لشئون الزواج » يعالج الأمور الجنسية ويفيد الشبان والشابات فيما يختص باختيار شريك الحياة ، وينصح كلاً منهما فى انتقاء الآخر وينهى عن التسرع ، ويحذر ممن هو طائش وغير جدير بتحمل تبعات الزوجية !!

حبذا لو تنهج جامعاتنا هذا المنهج ؛ لإنقاذ طلاّبها مما يعانونه من فوضى خُلقية متهتكة ! ولو كان لى من الأمر شىء ، لأوجبتُ على من يود - أو تود - الانتساب إلى الجامعة أن يتقدم مع أوراقه الثبوتية باسم زوجته أو خطيبته بعقد شرعى ! ويمكن أن يقدم لزوجته جزءًا بسيطًا من المهر ، ويجعل باقيه دَيْنًا عليه ريثما يتخرج ويعمل . وطعام الواحد يكفى الاثنين ، فتعيش معه فى بيته كما يعيش بكل بساطة .

(٢) لم تشترط هذه الآية من الكفاءة فى الزواج إلا الصلاح ؛ وهو الدين وحسن الخلق والقدرة على النكاح ، ولم تشترط الغِنَى ، بل وعد الله فيها بأنه يغنى الفقراء من الأزواج ، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ ! الكفـــاءة هى التمسك بالإسلام ومكارمه . وإذا أضيف إلى ذلك العلم يكون أفضل ، والعلم يدخل فى الإسلام إلى حد بعيد ، والمقصود بالعلم هنا دراسة القرآن والسنة والعمل بهما .

أما كفاءة النَّسب والمال فليس لها وزنٌ فى الإسلام ؛ فقد زوَّجَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ابنةَ عمته من زيد بن حارثة ، وزوَّجَ عبدُ الرحمن بن عوف أختَه من بلالٍ الحبشىّ ، وزوَّجَ أبو حذيفة سالمًا من هند بنت عُتبة بن ربيعة وهو مولى لامرأةٍ من الأنصار . .

قال ابن أبى مليكة (نقلا عن كتاب الدين الخالص لصديق حسن خان رحمه الله تعالى ٤/ ٤٢٧ =

وَإِمَآئِكُمْ (١) إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ (٢) يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢] .

الأحاديث :

* « إذا أتاكم مَن تَرْضَوْن دِينَه وخُلُقَه فزوِّجوه ؛ إلاّ تفعلوا تَكُنْ فتنةٌ (٣) فى الأرض وفسادٌ عريض (٤) » !! (ت) صحيح .

= - ٤٢٨) : لما كان يوم الفتح رقى « بلال » فأذّن على الكعبة ، فقال بعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة ؟

وقال بعضهم : « إن سخط الله هذا يغيره » فنزلت الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ . أخرجه ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الدلائل .

وعن الزهرى قال : أمر رسول الله ﷺ بنى بياضةَ أن يزوِّجوا أبا هند منهم ، فقالوا : يا رسول الله أنزوِّج بناتنا موالينا ؟ فنزلت هذه الآية . [أخرجه أبو داود فى مراسيله ، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه] .

قال الزهرى : نزلت فى أبى هند خاصَّة .

وعن عمرِ بن الخطاب أن هذه الآية مكّية ، وهى للعرب خاصَّة .

(١) والأيِّم هى التى لا زوج لها ، أو من ليس له زوجة . ومعنى الآية كما قال ابن الجوزى : « زوِّجوا المؤمنين من عبيدكم وولائدكم » .

(٢) قد يقول قائل : كيف يمكن التساهل فى زواج الغنى من الفقيرة ، أو الفقير من الغنية ، وهما يختلفان فى العادات والتقاليد التى من شأنها أن تجعل اختلافا فى الطباع مما يؤدى إلى التنافر ؟

أقول : إن الإسلام من شأنه أن يوحد بين المسلم والمسلمة فى عاداتهما وتقاليدهما ، ما دامت أوامره ونواهيه مشتركة بين الجميع ، فيكيفهما على نسقٍ واحد حتى فى الميول . ومن هنا يزول التباينُ والتباعدُ مهما كان اختلاف فى الغِنَى والفقر ، ويتم التفاهم والتوافق فى التفكير والاهتمامات المشتركة .

قال أحد العلماء الغربيين : إن المسلم الهندى أشبه بالمسلم العربى منه بمواطنه الهندى البوذى الذى عاش بجواره قرونًا طويلة ، وذلك لأن الدين إذا تمسك به أتباعه بحق من شأنه أن يصهرهم فى بوتقة واحدة ويوحِّدَ بينهم ويكيِّفهم على نَسَقٍ واحد بعيدًا عن الاختلاف والتباين .

وهذا شِبْهُ مفقود اليوم - ويا للأسف - بين المسلمين ؛ بسبب بعدهم عن العادات الإسلامية المشتركة ، وتقليد الأغنياء منهم - على الغالب - للأجانب مما أفقدهم شخصياتهم حتى غدوا ذيلا لهم !! .

(٣) الأمر الذى لا شك فيه أنه لولا الزواج لانتشرت الرذائل والمفاسد ، وتحللت الأخلاق . لهذا يقول النبى ﷺ : « إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، ولذلك لا عاصم لكثير من الناس من هذا البلاء ما لم يتزوجوا ، إلا بالتقوى وغض البصر ومجاهدة النفس ، وهو مع ذلك عُرْضة لوساوس الشيطان .

إن عدم الزواج يشغلُ القلب ، والقلبُ السليم هو رأسُ مالِ المسلم فى طريقه إلى الله ، فإذا اشتغل القلب عنه تعالى : فاته الكثير من الخير . [الحياة الزوجية] .

(٤) إن كانت الزوجة فاسدة الدين استهلكت مال الرجل وعرَّضت شرفه للخطر ، ولم يزل =

* « تُنكح المرأةُ لأربع : لمالها ، ولِحَسَبِها ، ولِدِينِها [١] ، ولجمالها [٢] ، فاظْفَرْ بذاتِ الدين تَرِبَتْ [٣] يداك » . (خ.م.د.ن.هـ) .

= عيشه مشوشا معها ، فإن سكت ولم ينكر عليها : كان شريكًا فى المعصية مخالفًا لقوله تعالى : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ، وإن أنكر وخاصم ، تعب ، ولهذا أكد رسول الله ﷺ فى الحَضّ على ذات الدين فقال : « . . عليك بذات الدِين تَرِبَتْ يداكَ » ، وإنما ركز الشارع على الدين ؛ لأن الزوجة المتدينة تكون عونًا على الدين ، فإذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدِين ؛ ومشوشة له [عن رسالة الحياة الزوجية بقليل من التصرف] .

(١) إن الدين أهم عامل فى الكفاية (الكفاءة) ؛ فالرجل الذى يعمل بأوامر الإسلام ويتجنب نواهيه ، يكون بَرًا بزوجته ، أمينًا عليها . والمرأة ذاتُ الدين لا تنخدع لهواها ولا تُرخِّص لنفسها ، ولا تهمل شأن بيتها ، ولا تغفل عن تربية أبنائها وتأديبهم ، وإصلاح شأنهم ، ولا عن حقوق زوجها . فالدين يَحُدُّ من قوتَي الغضب والشهوة ، ويكفى أنه علاج ناجح لشفاء النفوس ، ووِاق لها مِن فساد الخلُق والتردِّى فى مهاوى الرذائل . والتدينُ شىءٌ والغلوُّ فى الدين شىءٌ آخر . فقد قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : « خيرُ هذه الأمة النمطُ الأوسطُ ؛ يَرْجع إليهم الغالى ، ويلحق بهم التالى » . وقد عرفتُ أسرًا فيها الرجل الذى يقضى معظم أيام الأسبوع صائما والليالى قائما ، وكانت زوجته تشكو مر الشكوى من هذه الحالة . وكانت فى كثير من الظروف مُعرَّضةً لما لا يَرضى به الرجل العزيز النفس . وعرفتُ أُسرًا كانت بها المرأة متطـرفة فى صومها وتعبدهـا وكانت لمنزلها مهملة ولأولادها غير مكترثة ، وكانت النتيجة فى الحالتين وبَالاً ، فالحسنة بين السيئتين : أى بين الإفراط والتقصير فى الدِين ، وخيرُ الأمور أوسطُها ، وقد يُفسِّرُ علماءُ النفس هذا الإفراطَ بأنه مرض نفسانى ، غير أنه يكون عن عقيدة ، أو تقليدًا ، أو أنانية للاستئثار برضا الخالق ، ولكنه ما لم يُخِلّ بهناء الزوجة والسعى على الرزق ، فهو خيرٌ ألف مرةٍ من التفريط . فاللهُ له علينا حق ، والبدن له حق ، والأهل لهم علينا حق . وحديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع عبد الله بن عمرو مستفيض ؛ فقد كان ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يصوم الدهر ، وبلغ ذلك النبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فدعاه وقال له : « إذا لم يكن بُدٌّ من الصوم فصم صوم أخى داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، وخيرٌ لك أن تعلم أن لبدنك عليك حقًّا ، ولأهلك حقًّا » . إلى آخر الحديث . رواه الشيخان . [الأزمات الزوجية وعلاجها للدكتور محمد زكى شافعى - ص ٧٢ - ٧٣] .

(٢) وليس معنى ذلك أن مطلب الجمال ليس مقصودًا ، إنما أن لا يقتصر عليه فى طلب الزواج ، وإلا فإن للجمال اعتباره كما يتضح من حديث « انظر إليها فإنه أحْرَى أن يؤدَمَ بينكما » وحديثُ رفضِ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمرأة التى عرضت نفسها عليه بعد ما تأملها !

(٣) ومعناه : اظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال - أكثرَ الله مالك - ومما سبق ندرك أهمية اختيار الزوجين لكل منهما ، والحذر الحذر من الاختيار السريع الناجم عن الحب البدهى ؛ فكثيرًا ما يؤدى إلى أسوأ العواقب ، والاختيارُ الصحيح ما كان بعدَ رَوِيَّةٍ وتأمل وبحث عن السلوك والتربية .

جاء فى كتاب « السعادة الزوجية فى الإسلام » :

كنت أستمع إلى المذياع يومًا ، فسُئل رجل :

هل تحب أن تكون امرأتك جميلة جدا ؟ =

* قال أنس : « تزوَّج أبو طلحة أمَّ سُلَيم ، فكان صداقُ ما بينهما الإسلامَ ؛ أسلمتْ أمُّ سُلَيم قبل أبى طلحة ، فخطَبها ، فقالت : إنى قد أسلمتُ ، فإن أسلمتَ نكحتُك ؛ فأسلمَ ، فكان صداقُ ما بينهما » . (ن) ص .

= قال الرجل : لا !!

قيل له : هل هناك أحدٌ يكره الجمال الفتَّان ؟!

قال الرجل : إن الجمال الفتان يعقبه دلال فتّان ، ومشكلاتٌ لا تنتهى !!

وأعجبنى هذا الجواب !

فلنبحث عن إنسانية المرأة أولاً .. عن دِينها .. عن خُلقها .. عن عفافها .. عن عنصرها الأصيل .. عن ثقافتها التهذيبية .. عن عقلها الرشيد .. وذلك لا يمنع من البحث عن الجمال (بعد ذلك) . [ص ١١٥ - ١١٦] .

وقد ذكر بعضهم النصائح التالية لاختيار الزوج أو الزوجة :

١ - لا تسأل عن المدرسة التى تعلمت فيها الفتاة ، قبل أن تسأل عن البيت الذى رُبِّيَتْ فيه .

٢ - تزوَّجْ ابنةَ والدةٍ صالحة .

٣ - الزواج شركة معيشية ؛ فاختر لك شريكةً توافقك مشرَبًا وطباعًا وأخلاقًا .

قد يقول قائل :

إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحضُّ على الزواج بذاتِ الدِين ، فكيف أَذِنَ اللهُ سبحانه بالزواج بنساء أهل الكتاب ؟!

الجواب - فيما يبدو لى - أن الله تعالى شفقةً على المرأة الكتابية ورحمةً بها ، أَذِنَ بالسماح بزواج المسلم بها ؛ لعلها ترجع إلى دين الفطرة الذى جاء به إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرُهم من الأنبياء صلى الله عليهم وآلهم وسلم . فتدرك الحقيقة وتدخل فى دين الله حين اتصالها بالحياة الإسلامية .

وقد كان لهذا الأسلوب الإسلامى أعظمَ الآثار وأبرك النتائج فى دخول أكثر الزوجات - إذا لم نقل كلهن - فى دين الله أفواجًا ، يوم كان للزوج شخصيته الإسلامية الواعية والعالية القوية .

هذا - وإننى أرى أن الزواج بنساء أهل الكتاب مقيَّدٌ بضمان تربية الأولاد تربيةً إسلامية ، وصيانة البيت الإسلامى من مظاهر الشرك ؛ لئلا تسرى العدوَى إلى الأبناء والبنات . والقاعدة الفقهية تقول : « ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب » . وقد ذكر بعض الصحابة أن الزواج بالكتابيات يوم كانت المسلمات قليلات . وأرى توقيف هذا الزواج إذا خُشى منه بوار المؤمنات .

وهذه الشروط غير متيسرة اليوم - ويا للأسف - لضعف شخصية أكثر الأزواج أمام نسائهم ، وتَرْكِ تربية أولادهم لهن . . !!

لهذا أدعو إلى التوقف عن نكاح الكتابية فى هذه الحال بناء على القاعدة الفقيهة : « درء المفاسد مُقدَّمٌ على جلب المصالح » وكيف وإن مصلحة هداية الكتابية مشكوكٌ فيها فى الوقت الحاضر على يد زوجها المستهتر ؟!

زد على ذلك أن العلماء اختلفوا فى نكاح الكتابية الحربية ؛ فقال ابن عباس : لا تحلُّ ، =

. . . . . .

= والجمهور على خلافه ، وإنما كُره ذلك لقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

والنكاح يوجب الوُدَّ ، وأرى صواب رأى ابن عباس إذا تحقق الخطر من الزواج بالحربية . وهذا هو الواقع على الغالب . وقد كان الأزواج المسلمون من الجزائريين يلاقون الأمرَّين من زوجاتهم الفرنسيات خلال الحرب الجزائرية الأخيرة ضد فرنسا !

ورحم الله تعالى الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعى ؛ فقد قال فى مقال بعنوان « الأجنبية » :

« لا تتزوجوا يا إخوانى بأجنبية ؛ إن أجنبيةً يتزوج بها مسلمٌ هى مسدس جرائم فيه ستُّ قذائف :

الأولى : بوار امرأة مسلمة ، وضياعُها بضياع حقها فى الزواج ، وتلك جريمة - كما سماها - وطنية ! فهذه واحدة .

والثانية : إقحام الأخلاق الأجنبية على طبائعنا وفضائلنا ، فى هذا الاجتماع الشرقى ، وتوهينه بها وصَدْعِه ؛ وهى جريمة أخلاقية !

والثالثة : دَسُّ العروق الزائفة فى دمائنا ونَسْلِنا . وهى جريمة اجتماعية !

والرابعة : التمكين للأجنبى فى بيتٍ من بيوتنا يملكه ويحكمه ويصَرِّفُه على ما يشاء . وهذه جريمة سياسية !

والخامسة : للمسلم منَّا إيثارُه غيرَ أخته المسلمة ، تحكيمه الهوى فى الدين ما يعجبُه وما لا يعجبه ، ثم إلقاؤه السُمَّ الدينى فى نبع ذريته المقبلة ، ثم صيرورته خزيًا لأجداده الفاتحين الذين يأخذونهن سَبايا ، ويجعلونهن فى المنزلة الثانية أو الثالثة بعد الزوجة ، فأخذته هى رقيقًا لها ، وصار معها فى المنزلة الثانية أو الثالثة بعد . . - يريد بعد عشيقها - وهذه جريمة دينية .

والسادسة : بعد ذلك أن هذا المسكين يؤثر أسفلَه على أعلاه . . ولا يبالى فى ذلك خمسَ جرائم فظيعة ، وهذه السادسة جريمةٌ إنسانية !! » أ . هـ .

زد على ذلك أن هؤلاء الأجنبيات هن كتابيات بالاسم ، فإنَّ أغلبهن مشركاتٌ ملحدات فكيف يمكن الجمع بينهن وبين الرجال المسلمين ، فهُمْ كما قال الشاعر :

أيُّها المُنْكِحُ الثريا سُهَيْلا ... عمرك الله ، كيفَ يلتقيانِ
هِىَ شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ ... وسهيلُ إذا ما استقلَّ يَمانِ

وينبغى أن نذكر بهذه المناسبة أن الله سبحانه حرَّم زواجَ المسلم بالمشركة والكافرة كالمجوسية والبوذية بقوله : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ .

وذلك لاستحالة اجتماع الزوجين على عقيدتين متنافرتين ؛ مما يسبب نزاعهما ويؤدى إلى المخاطرة بعقيدة الأولاد وفسادهم حتمًا .

فإذا ترتب من زواج الكتابية هذا المحذور الرهيب - كما هو الحال الآن - رجع الحكم إلى أصله بالتحريم !

مَنْ تزوجَتْ زانيًا كانت زانية مثلَه

الآيات :

● ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ (١) أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾ [النور : ٣] .

---

(١) ذهب الإمام أحمد ابن حنبل - رحمه الله تعالى - إلى أنه لا يصح العقدُ من الرجل العفيف على المرأة البغى (المومس) ما دامت كذلك حتى تستتاب . فإن تابت صح العقد عليها ، وإلا فلا . وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح ؛ حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى : ﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أ . هـ .

(٢) قال الإمام ابن كثير : « أى حرم تعاطى الزنا ، والتزوج بالبغايا . أو تزوج العفائف بالرجال الفجّار » .

ومما يؤسف له أن هذا المقياس ليس له اعتبار فى كثير من الأسر ، فإذا قيل إن الخاطب يزنى ، قال أقرباء المخطوبة : « لا مانع ؛ ما فى شجرة إلا ما هزها الهواء » ، وإذا قيل لهم : إنه لا يصلى . قالوا : إنه لا يزال جاهلاً وشابًا . وإذا قيل لهم : إنه يشرب الخمر ، قالوا : إن الله سيمحى كاساته . وإذا قيل لهم : إن عقيدته فاسدة ، لم يأبهوا لذلك مطلقا ، أما إذا قيل لهم : إنه متوسط الحال ، فيصيحون ويرفضونه مهما كان صالحًا وحَسَن السيرة !!

الويل ثم الويل لهذه الفتاة من هذا الزوج ؛ فإن مستقبلها مهدد بالكوارث ، وحياتهما معرضة للفساد والفتنة بسبب وجودها عند رجل زان ؛ فهى إما أن تفقد دِينها بارتكاب المحرمات ، وإما أن تعيش بائسة شقية إذا كانت متدينة .

وقد علمتُ أن فتاة تزوجت شابًا يشرب الخمر ، فسافر بها لقضاء شهر العسل فى أحد فنادق لبنان ، فأجبرها على الشرب فى الليلة الأولى قبل الدخول بها ، فسكرتْ وسكرَ ، ثم خرجتْ من غرفتها لقضاء حاجتها ، ولما رجعتْ دخلتْ غرفةً غير غرفتها بسبب السكر ، وكان فيها رجلٌ فافترسَها وبقيتْ عنده إلى الصباح . وكان زوجُها قد استسلم للنوم نتيجة السكر . .

فكان ما كانَ مما لستُ أذكرهُ ... فظُنَّ شرًا ولا تسألْ عن الخبرِ

- روى أبو نعيم فى الحلية قال :

خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يُسلمَ ، فقالت :

أما إنى فيك لراغبة ، وما مثلك يُرَدُّ . . ولكنك رجل كافر ، وأنا امرأة مسلمة لا يصح لى أن أتزوجك .

فقال : ماذا دهاك يا رمصاء ؟!

قالت : وماذا دهانى ؟

قال : أين أنتِ من الصفراء والبيضاء (يريد أن يغويها بالذهب والفضة) ؟ =

الحذرَ الحذرَ مِنَ الخداعِ بالمظاهرِ

الآيات :

● ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون : ٤] .

الأحاديث :

* مرَّ رجل على النبى « صلى الله عليه وآله وسلم » ، فقال ﷺ : « ما تقولون فى هذا ؟ » .

قالوا : هذا حَرِيٌّ إنْ خطبَ أن يُنكح ، وإن شفع أن يُشَفَّع ، وإن قال أن يُسمَع . ثم سكَتَ .

فمر رجلٌ من فقراء المسلمين فقال النبى ﷺ : « ما تقولون فى هذا ؟ » .

قالوا : هذا حَرِيٌّ إن خطَب ألاَّ يُنكح ، وإن شَفَع ألا يُشَفَّع ، وإن قال ألاَّ يُستمَع ! .

فقال رسول الله ﷺ : « هذا خيرٌ مِن مِلءِ الأرض مِن مثل هذا ! » (خ) .

وجوبُ النظرِ [1] إلى الخاطبِ والمخطوبةِ

الأحاديث :

* قال أبو هريرة رضى الله عنه : كنتُ مع النبى ﷺ ، فأتاه رجل ، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ : « أنظرتَ إليها ؟!» قال : لا !

= قالت : لا أريد صفراء ولا بيضاء ؛ فأنتَ امرؤ تعبدُ ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغنى عنك شيئا . أما تستحى أن تَعبد خشبةً من الأرض نَجَّرها حبشى بنى فلان ؟! إنْ أنتَ أسلمتَ فذلك مهرى ، لا أريد من الصداق غيره !

قال : ومن لى بالإسلام يا رمصاء ؟

قالت : لك بذلك رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » ، فذهب إليه وأسلم . [الحديث] .

(١) وبمناسبة الكلام عن وجوب النظر إلى الخاطب والمخطوبة نلفت الانتباه إلى عادة سيئة تفشت فى أسر كثير من المسلمين والمسلمات - ويا للأسف - وهى عادة الاختلاط المحرمة قبل عقد الزواج بقصد التجربة والاختبار . وقد جاء فى رسالة « تقاليد يجب أن تزول » (منكرات الأفراح) - وقد قمت بتحقيقه والتعليق عليه - وصفٌ رهيب لهذا الاختلاط ونتائجه الفظيعة ننقله للآباء والأمهات ليكونوا على حذر منه : =

قال : « فانظر إليها ؛ فإنَّ فى أعين الأنصار شيئًا » يعني الصِّغَر (م . ن . ط) (ص) .

وقد جاء تعليل هذا الأمر فى حديثٍ صحيح وهو :

= باسم المدنية الخدّاعة التى غزتنا فى ديننا وأخلاقنا وسلوكنا ، وصرنا لها أسرَى . باسم هذه المدنية والتقليد الأعمى قَبِلْنا وضعًا شاذًّا لا يتناسب مع خُلُقٍ ولا دِينٍ . ألا وهو الاختلاط بين الخطيبين على سبيل التجربة قبل زفافهما ، وأطلقنا الحبلَ على الغارب فى هذا المضمار حتى تم الاختلاط على أبشع صوره دون رقيب أو حارس من ضمير أو أهل أو دِينٍ . وهناك قرَّبنا البارودَ للنار والفريسة لقمةً سائغة للوحش الضارى باسم الحضارة ، ولا تسَلْ عن الفضائح والمخازى التى نجمت ولا تزال تسود أكثر الصحف كل يوم من الاختلاط الآثم وفضِّ العذارى وهتك العرض حتى صار عادة لا يتمَعَّرُ لها وجه ولا يُندَى لها جبين .

وبعد أن يمتص الثعبان رحيق متعته ويملَّ منها طبعًا - فإن المملوكَ مملولٌ ، وأحبَّ شىء إلى الإنسان ما مُنِع - يهجر هذه تحت أى عيب يلصقه بها يحملها من أجله عارًا أو شنارًا . وقد تكون حاملة آية الجريمة الخلقية فى أحشائها ، ثم يبحث عن فريسة جديدة يمثل معها نفس الدور ، ومن ثم تشيع الفاحشة ويبور سوق الزواج . فما الذى يدعو هذا الشاب الطليق الذى ينطلق من بنت إلى بنت ، ومن شهوة إلى أخرى بلا حسيب ولا غريم ؟

ما الذى يدعوه إلى قيد الزواج وتبعاته وأغلاله ، والفاجرات أمامه يعرضن أعز ما يملكن عليه بلا ثمن ؟

وهنا يحجم الشبان عن الاقتران بالحلال ، ويتساءل الآباء والأمهات عن هذا الإعراض ما سببه ؟ وما هى المدنية الكاذبة التى حملنا أوزارها وهجرنا من أجلها تقاليدنا ودِيننا وشرفنا . إن الإسلام يحذر من خلوة الأجنبية بالأجنبى ، وينذر بأن الشيطان ثالثهما . ويقول الرسول ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » .

ويقول بعضهم : لو لم يبقَ فى الدنيا إلا عرق رجل وامرأة لَحَنَّ كلاهما للآخر ، وهؤلاء يدَّعون زورًا أنه اختلاط شريف بين فردين من أسر محترمة ، جاهلين أو متجاهلين غرائز الفطرة وشغف أحد الجنسين بالآخر .

إن الإسلام أباح للخاطب - إذا صدق فى عزمه وهيَّأ الأسباب المعتادة للزواج - أن ينظر إلى الوجه والكفين ، وأن يرسل من السيدات المخلصات من تتعرف على أخلاق مخطوبته وسلوكها ، وله أن يتحرى فى هذا كثيرًا وأن يتخير لنطفته ؛ فإن العرق دساس . أما أن يصل الأمر إلى درجة ما حرَّم الله فهذا ما جلب العار والدمار ، ولن يفلح الناس إلا بالعودة إلى شريعة دينهم والمباعدة بين الجنسين ، كلٌّ منهما يعمل فى ميدانه الذى أُمر به غيرَ باغٍ ولا عاد . وفيما تطالعنا به الصحف كل يوم عبرة وعظة ، ولن تُقبل نفس الشاب على البنت بتلهُّفٍ وشغف إلا إن عادت إلى خدرها مصونةً مِن التبذل والرخص وتحصنت فى حصن حجابها الحارس لها ، من ذئاب البشرية ؛ فهناك تهفو لها القلوب وتبحث عنها النفوس .

* « انظر إليها ؛ فإنه أحْرَى أن يُؤدَمَ [١] بينكما » (ت. ن. هـ) ص .

* « إذا خطب أحدُكم المرأة : فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » . (د. طح. حم. هـ. بز) (ص) .

* « إذا خطبَ أحدُكم امرأةً فلا جُناحَ عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته ، وإن كانت لا تَعْلَمُ » [٢] . (طح. حم) (ص) .

---

(١) أى أنه أدعى لدوام المحبة والألفة . قال الإمام ابن القيم : أن يؤدم بينكما : أى يلاءم ويوفّق ويُصلَح ، ومنه الأُدْم الذى يصلح به الخبز . وإذا وُجد ذلك كله ، وانتفت المناسبة والعلاقة التى بينهما ، لم تستحكم المحبة وربما لم تقع البتة ؛ فإن التناسب الذى بين الأزواج من أقوى أسباب المحبة . (روضة المحبين ص ٦٦) .

ومما يؤلم ويحز فى النفس أن كثيرًا من الآباء يمتنع عن السماح للخاطب برؤية ابنته ، ويسمح له بإعطائه صورتها الشمسية التى التقطها لها أجنبى عنها وهى بحالة يُندَى لها الجبين ، وربما نتج عنها المساوئ نتيجة بقاء الصورة عند المصُوِّر أو الخاطب عن طريق نسخها ، وكلُّ ذلك نتيجةَ تَرْكِ السنة النبوية والتمسُّكِ بالعادات الباطلة !

(٢) وقد عمل بهذا الحديث بعض الصحابة ، وهو محمد بن مَسْلَمةُ الأنصارى فقال سهل بن أبى حثمة : رأيت محمدَ بن مَسْلَمة يطارد بُثَينَة بنت الضحاك فوق إجّارٍ لها ببصَره طردًا شديدا ! فقلت : أتفعل هذا وأنت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إذا أُلقى فى قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن يَنْظُرَ إليها » . (هـ . طح . حم) وغيرهم (ص) .

وقد اختلف الفقهاء فى المقدار الذى يباح النظر إليه ، فقيدته بعض المذاهب بالنظر إلى الوجه والكفين فقط ، وهذا التقييد لا حجة لهم به ، وفيه تعطيل لفهم الصحابة له .

ويحسن أن نذكر بهذه المناسبة صنيع نبى الله سليمان عليه السلام فى بناء الصرح لينظر إلى ساقَى الملكة بلقيس وقد كان عزمَ على الزواج بها . فلما رأت هذا الصرح حسبتْهُ ماءً فكشفَتْ عن سَاقيها فشاهدهما هذا النبى الكريم ثم تزوج بها .

وهنا سؤال يخطر على البال : إذا كان الشارع الحكيم سمح للرجل بالنظر إلى المرأة قبل العقد ، فهل يحق لوليها أن يعرضَها عليه بدون التقيد بالحجاب الشرعى ؟! الذى أراه - والله أعلم - جوازُ ذلك ؛ ما دام هذا الشارع سمح للخاطب أن ينظر من خطيبته ما يقدر عليه ، ولو كانت لا تعلم .

قال الإمام ابن القيم فى « تهذيب السنن » (٣/ ٢٥ - ٢٦) :

وقال داود : ينظر إلى سائر جسدها . وعن أحمد ثلاث روايات : إحداهن ينظر إلى وجهها ويديها ، والثانية : ينظر إلى ما يظهر غالبًا كالرقبة والساقين ونحوهما . والثالثة : ينظر إليها كلِّها : عورةٍ وغيرَها ؛ فإنه نص على أنه يجوز أن ينظر إليها متجردة !

وقال ابن قدامة فى « المغنى » (٧/ ٤٥٤) : « ووجه جواز النظر إلى ما يظهر غالبًا : أن النبى ﷺ لما أذن فى النظر إليها مِن غير علمها ، عُلِمَ أنه أَذِنَ فى النظر إلى جميع ما يظهرُ عادةً ؛ إذ لا يمكن إفراد الوجه بالنظر مع مشاركة غيره له فى الظهور . . . » . =

الفَحْصُ الطِّبى قبلَ الزواجِ

الأحاديث :

* « فِرَّ مِن المجذوم فرارك من الأسد » (خ) .
* « لا يوردَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحّ » [١] (خ) .
* « لا ضَرَرَ ولا ضِرَار » (حم . هـ) (ص) .

= وكما للرجل أن ينظر فى دِين المرأة ، ينبغى للولى أن ينظر عادةً فى دِين الرجل وأخلاقه وأحوالِه ؛ لأنها تصيرُ بالنكاح موقوفة ، ومتى زوَّجها من فاسق أو مبتدع ، فقد جنَى عليها وعلى نفسه . (منهاج القاصدين ص ٧١) .

(١) يشير هذان الحديثان الشريفان الصحيحان إلى الحذر من العدوى . وقد سنت أكبر الحكومات الحديثة القوانين فى وجوب الفحص الطبى قبل الزواج ، وكان السبق للإسلام فى هذا التوجيه .

ويؤسفنى أن أقول : إن هذا الاختيار الطبى أصبح يتساهل فيه أكثر الأطباء ، ويتهرب منه الزوجان مما قد يسبب لهما ولأولادهما نتائج سيئة . هذا ومن واجب كلٍّ من الزوجين الدينى عدم الإقبال على الزواج إذا كان مصابًا بمرض ضارٍّ . وقد جاء فى الحديث الصحيح : « لا يؤمن أحدُكُمْ حتى يُحِبَ لأخيه ما يُحِبُ لنفسه من الخير » .

قال الدكتور وجيه زين العابدين فى رسالته « الإسلام والتربية الجنسية » : أفهم من هذه الأحاديث « لا ضَرَر ولا ضرارَ » أنه لِتَحرى المرأة الصالحة ، ودفع الضرر عنها وعن الرجل ، يجوز بل يجب أن يكون فى النظام الإسلامى فحصُ الزوجين قبل الزواج ، خاصة لمعرفة الوَلود من النساء ، وكذلك لفحص الرجل المصاب بالمرض المُعدى ، ومن ناحية العنة أو العُقْم أو الجنون .

وأما الرجل : فأهم شرط فيما يخص سلامته الصحية هو استطاعته الباءة ؛ لما ورد فى الحديث : « . . . من استطاع منكم الباءة فليتزوج . . » الحديث .

والباءة تعنى القدرة على تهيئة السكن وما يلزم للزواج ، وكذلك تعنى القدرة الجنسية . . . كما جاء فى القاموس المحيط للفيروزآبادى .

هذا وإن هناك تحاليل ضرورية ، لا بد للخطيبين من إجرائها قبل الزواج ، والهدف واضح : الاطمئنان . . . والتأكد من كل شىء من أجل معرفة أوجه القصور والضعف ومحاولة علاجها .

فحص فصائل الدم للزوجين :

ونعنى هنا فصيلة « البريزيز » أو الـ « أر اتش » فهناك احتمالات أربعة يمكن حدوثها :

الاحتمال الأول : أن تكون فصيلة الدم لكل من الزوجين إيجابية .

الاحتمال الثانى : أن تكون فصيلة الدم لكل من الزوجين سلبية .

الاحتمال الثالث : أن تكون فصيلة الدم للزوجة إيجابية وللزوج سلبية .

وفى هذه الاحتمالات الثلاثة نعتبر أن فصائل الدم متجانسة ومتوافقة . . . =

النَّهىُ عن المنافسةِ فى الخِطْبةِ [١]

الآيات :

● ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

● ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

= **أما الاحتمال الرابع** : فعندما تكون فصيلة الدم للزوجة سلبية وللزوج إيجابية ، فعندئذ يكون هناك عدم توافق فى الفصائل بين الزوجين ، ولحسن الحظ أن هذا الاحتمال نادر الحدوث ، ومن المتوقع فى هذه الحالة أن الطفل سيرث الفصيلة الإيجابية عن الوالد وتتولد عند الأم سلبية الفصيلة أجسامٌ مضادة فى دمها نتيجة حملها لطفل إيجابى الفصيلة ، وتتم أولُ ولادة دائمًا بصورة طبيعية بالنسبة للطفل الأول ، ولكن فى الحمل الثانى والثالث وما بعدهما قد يُعانى الجنين - الذى يرث الفصيلة الإيجابية من نفس الوالد - من الأجسام المضادة التى تكونت فى دم الأم نتيجة الحمل الأول .

وبديهى أن نسبة المضاعفات فى الطفل الثالث تكون أكثر منها فى الطفل الثانى ، وفى الرابع أكثر من الثالث ، وهكذا . . . نتيجة ازدياد نسبة الأجسام المضادة مع كل حمل . على أن هذه المضاعفات نادرة الحدوث ؛ لأن من حكمة الله سبحانه وتعالى أن دم الجنين لا يختلط بدم الأم إلا فى بعض حالات خاصة نادرًا ما تحدث .

واحتمال حدوث هذه المضاعفات لا يزيد على ١٠٪ فقط . كما أنها لو حدثت فإننا الآن نستطيع أن نُجرى بنجاح عمليةَ تغيير دم الطفل فى الساعات الأولى بعد الولادة لو لزم الأمر .

تحليل السائل المنوى للزوج والتأكد من عدد الحيوانات المنوية وحيويتها :

فالمفروض ألاّ يقل العدد الطبيعى للحيوانات المنوية عن أربعين مليونا فى المليتر ، وألاّ تقل نسبة الحيوية عند القذف عن ٦٥٪ ، فإذا اتضح بعد التحليل أن هذه المعدلات لم تصل إليها صورة السائل المنوى عند الأخصائيين فيمكن اللجوء إلى المعالجة الطبية لتنشيط الحيوانات المنوية وزيادة عددها ، وقد أصبح ميسورًا الآن .

تحليل إفرازات غدة البروستاتا :

وذلك للتأكد من خلوها من الالتهابات المزمنة ؛ لأن وجود مثل هذه الالتهابات قد يسبب التهاب عنق الرحم عند الزوجة . [مجلة طبيبك الخاص] .

(١) قال البهى الخولى فى كتابه « المرأة بين البيت والمجتمع » :

« ولا يحل لذى مروءة أن يذهب لخِطبة امرأة يعلم أن سواه يخطبها لنفسه ؛ فإن ذلك يقطع الأواصر ويورث العداوات والشحناء ، إلى أنه حِطَّةٌ فى الخلق وفساد فى العقل ؛إذ إن من يغشى ميدانَ هذه المنافسة الوضيعة لا بد له أن يمدح نفسه ، ويذمّ غريمه . . . فيسند إلى نفسه من المزايا ما لو كان صادقًا فيه لكفاه نقصًا أن يمدح نفسه . . . ويسند إلى منافسه من المثالب ما لو كان صادقًا فيه لكفاه إثمًا أنه مغتاب . . . » . =

الأحاديث :

* « لا يخطب الرجلُ على خِطْبة أخيه حتى يَنكحَ أو يتركَ » . (خ.م) .

الحبُّ الدائمُ والزواجُ الناجحُ

الآيات :

● ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن[1] يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

● ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ[2] ﴾ [المدثر : ٦] .

الأحاديث :

* « لا يؤمن أحدُكُمْ حتى يُحبَّ[3] لأخيه ما يحب لنفسه [من الخير] » . (حم.ت.ن.) ، والزيادة بين [ ] لغيرهم (ص) .

= كل ذلك إذا لم يترك الخاطبُ الخِطبةَ ، أما إذا تركها فيحق للخاطب الآخر أن يتقدم للخِطْبة .

كما يحقُّ له أن يتقدم لهذه الخطبة إذا كان الخاطبُ الأوَّل فاسقًا ، فمن حقه إنقاذ الفتاة من وقوعها في عصمة مَن لا دِينَ له !.

ويحقُّ للمسلم أن يقترحَ من يراه أفضل إذا استُشير .

جاء فى كتاب « جماع العلم » للإمام الشافعى بتحقيق أحمد محمد شاكر :

« قالت فاطمة بنت قيس : قال لى رسول الله ﷺ : إذا حَلَلْتِ فآذِنينى - أى أعلمينى - فلما حلَّتْ مِن عدتها أخبرتْهُ أن معاوية وأبا جهم خطباها ، فقال النبى ﷺ : « أمّا معاوية فصعلوكٌ لا مال له ، أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، ولكن انكحى أسامةَ بن زيد » فكرهته ، فقال : « انكحى أسامة » ، فنكحتْه ، فجعل الله فيه خيرًا ، واغتبطت به » .

الاغتباط : الفرح بالنعمة - والحديث رواه الشافعى فى كتابه الأم ، وكذلك رواه أحمد ، وأصحاب الكتب الستة إلا البخارى .

(١) خصاصة : أى حاجة إلى ما يؤثرون به .

(٢) أى لا تعطِ شيئًا من مالك لِتُعْطَى وتطلبَ أكثرَ منه .

(٣) قال أحدهم : هل تريد أن تعلم أن زواجك سيكون ناجحا ومستمرا وسعيدا ؟ إذا كنت تريد ذلك فاسأل نفسك هذه الأسئلة :

أ - هل تهتم بإسعاد الشخص الذى تحبه ؟ هل تشعر برغبة فى مساعدته على عمل الأشياء التى يحبها ويهتم بعملها ؟ أو أنك تهتم أولاً وقبل كل شىء بسعادتك الشخصية وتنتظر منه بصفة مستمرة أن يعمل دائمًا على زيادة إسعادك ؟ وليس المفروض أن تتزوج الفتاةُ رجلاً يرجَى إصلاحُه بعد الزواج ، أو تعتقد أنها قادرة على تغيير بعض سمات شخصيته لمجرد أنه يحبها . =

. . . . . .

= ب - هل تشعر بحماسة دائمة لحل خلافاتكما وقت حدوثها ؟ هل تشعر باهتمام وحرص على حياتكما الزوجية أكثر من حرصك على إثبات صحة وجهة نظرك فى كل خلاف يقوم بينكما ؟

هل أنت مستعد للتنازل عن شىء من كبريائك أثناء منازعاتكما فى سبيل الوصول إلى التفاهم المنشود .

هل ترى فى الخلافات التى تنشب بينكما احتمالات بنّاءة لدعم حياتكما الزوجية ؟

إن حُبًا هذه خصائصه يختلف عن الحب الذى يتجنب فيه الإنسان حدوث أى مناقشة بأى ثمن ، أو يصرُّ على صحة رأيه فى عموم ما ينشب بينهما من منازعات . إن الحب الناضج يركز على دعم الحياة الزوجية ، أكثر مما يركز على دعم شخصية أحد الزوجين باستمرار .

جـ - هل تفكر بمعنى « نحن » عندما تخطط للمستقبل ؟ أى هل تخطط لمستقبلكما أنتما الاثنين ؟

هل ناقشتما معًا آمالكما ورغباتكما ؟ هل يشعر كل منكما أنه جزء من الآخر ؟ .

هل أنتما شخصان قادران على الحب الناضج ؟

د - هل تشعران أنكما شريكان فى غايةٍ مشترَكةٍ ؟ هل تجد أنَّ فى هدفكما المشترك ما يشبع أحلامكما وآمالكما المتبادلة ؟

هل تشعران أن حبَّكما قادر على إنعاش وإثارة اهتمامكما بالقيام بالأعمال التى كنتما تشعران بقيمتها ؟

وهل هناك امتداد وتطور واتساع فى تلك الاهتمامات ، نشأت عن الحب الذى تكنانه ؟ ليس بكاف أن تكونا رفيقين لطيفين ، بل لا بد لك أن تجعل لزواجك هدفًا ومعنى ، إن أردت له الدوام . إذا كانت هى تلك الفتاة التى تحب أن تكون أمًا لأطفالك ، أو إذا كنت تَرْينَ فى فتاك هذا الرجل الذى تُحبين أن يكون أبًا لأبنائك : إذَنْ فإنَّ حبك لم يعد هدفًا فى حد ذاته ، بل طوَّر نفسه إلى أهداف أبعد منه ، إن الحب الدائم هو ذلك الحب الذى يهدى المحبين إلى إنجاز أكبر بكثير مما عرفاه من قبل . وبسبب حبهما المتبادل يصبح كل منهما يرى فى صاحبه شخصًا أفضل ، شخصًا أسعد ، شخصاً أكثر إبداعًا .

كيف تُبْقِى حُبَّكَ حيًا ؟ .

إنَّ مجرد نجاح الحب فى اجتياز هذه الاختبارات دون جهد واهتمام خاص ليس ضمانًا لدوامه . إن الحب الثابت كالنبات الثابت ، يحتاج إلى تغذية وعناية ليبقى صحيحًا قويًا .

ويختلف الناس حسبما نشأوا عليه ، فى رغبتهم فى التعبير عن حبهم ؛ فبعضهم يهمه دائمًا أن يحصل على أدلة تؤكد له حب الشخص الآخر وعطفه وحنانه ، وبعضهم الآخر يضايقه أىُّ شىء أكثر من التقبل الواعى لدفء العلاقة التى تربطه بشريكه ، وعلى كل زوجين أن يختارا النموذج الذى يناسبهما أكثر من غيره .

إنَّ تبادل الهدايا ، وتذكر المناسبات الخاصة ، ونظرة الإنسان إلى شريكه كشخص مرغوب فيه كثيرًا ، والنظرات التى تنمُّ عن الحب ، والتحية الحارّة والوداع الحارّ ، والاشتراك معًا فى عمل الأشياء التى يستمتع بها كلٌ منهما والإنصات بشغف واهتمام ، والتعبير عن عميق الاهتمام بأعمال الطرف الآخر ونشاطه ، كلها أساليب أساسية ، تؤدى إلى الإبقاء على حيوية الحب ، وعلى حب المحب .

الحَذَرُ مِنَ الزواجِ بالصغيرةِ [١]

الآيـــة :

● ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

---

(١) لعل أول ما يخطر بالبال فى هذا البحث زواجُ الرسول ﷺ بعائشة « رضى الله عنها » مع الفارق الكبير بينهما فى السن . وهذه الحال تخرج عن القاعدة لأسباب أذكر منها :

أ - شخصية الرسول ﷺ التى لا يمكن مقارنتها بشخصية أخرى . لذلك كانت عائشة سعيدة بهذا الزواج ، وقد خُيِّرت فيه ، فاختارت رسول الله ﷺ .

ب - الغاية السياسية من هذا الزواج لزيادة الروابط بين الرسول ﷺ وبين أبى بكر رضى الله عنه وقد كان من زعماء العرب ، ولتسهيل المصلحة بينه وبين صاحبه ، فقد كان أبو بكر يكثر الدخول عليه لصالح الدعوة الإسلامية .

جـ - قوة دِين عائشة ، ومثلها جميع الصحابيات وعفتهن ؛ فلا يمكن أن يتصور وقوع محذور من هذا الزواج .

د - قوة الرسول ﷺ ؛ فقد أوتى قوة أربعين رجلاً من الصحابة كما جاء فى الحديث الصحيح .

وإننى أنصح الرجال والنساء على السواء بالحذر من وجود الفرق الكبير بين عمريهما ؛ لما قد يؤدى ذلك إلى محاذير ومساوئ كثيرة فى هذا الوقت الذى ضعف فيه الوازع الدينى .

قال الإمام ابن الجوزى فى كتابه « صيد الخاطر » (٢/٤٤٦) .

« . . وأبلَهُ البُلْه الشيخ الذى يطلب صبية . . . ولَعَمْرُ الحق إن كمال المتعة إنما يكون بالصِّبا كما قال القائل : (فقلت بنفسى النشء الصغار) ومتى لم تكن الصبية بالغةً ، لم يكمل بها الاستمتاع ، فإذا بلغت أرادت كثرة الجماع ، والشيخ لا يقدر ! فإن حمل على نفسه ، لم يبلغ مرادها ، وهلك سريعًا !

ولا ينبغى أن يغتر بشهوته إلى الجماع ؛ فإن شهوته كالفجر الكاذب ! وقد رأينا شيخًا اشترى جارية فبات معها ، فانقلب عنها ميتًا !.

وكان فى المارستان شابٌ بقى شهرين بالقيام (لعل هذا تحريف والصحيح بالمرض) فدخلت عليه زوجته فوطئها ، فانقلب عنها ميتًا !

فبان أن النفس باقية بما عندها من الدم والمنى ، فإذا فرغا ولم تجد ماءً تعتمد عليه ذهبت . .

وإن قنع الشيخ بالاستمتاع من غير وطء ، فهى لا تقنع ؛ فتصير كالعدو له ، فربما غلبها الهوى ففجرت ! أو احتالت على قتله . خصوصًا الجوارى اللاتى أغلبهن قد جئن من بلاد الشرك ، ففيهن قسوة القلب .

وقبيح بمن عبر الستين أن يتعرض بكثرةٍ للنساء ، فإن اتفقت معه صاحبةُ دينٍ قبْلَ ذلك ، فليرْعَ لها معاشرتها ، وليتمم نقصه عندها تارةً بالإنفاق ، وتارة بحسن الخلق ، وليزد فى تعريفها أحوال الصالحات والزاهدات ، وليُكْثِر من ذكر القيامة ، وذَمِّ الدنيا ، وليُعَرِّضْ بذكر محبة العرب ؛ فإنهم كانوا يعشقون ولا يرون وطء المعشوق كما قال قائلهم : =

الأحاديث :

* « لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه [من الخير] » . (حم.ت.د.هـ) وغيرهم ، والزيادة ما بين [ ] لغيرهم (ص) .

* « لا ضَرَرَ ولا ضِرار » . (حم.هـ) (ص) .

* * *

= إنما الحب قُبْلَةٌ وغمزُ كف وعَضُدْ
ما الحبُّ إلا هكذا إن نكح الحبُّ فَسَدْ

فإن قدر أن يشغلها بحملٍ أو ولدٍ عرقلها به ، فاستبقى قوته فى مدة اشتغالها بذلك ! فإن وطأ فليصبر على الإنزال حفظا لقوته ، وقضاءً لحقِّها .

وقد قيل لِبِشر : لِمَ لَمْ تتزوج ؟! فقال : غَلامَ أغر مسلمةً وقد قال عز وجل : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ؟! .

والمسكين مَن دخلَ فى أمر لم يتلمح عواقبه قبل الدخول ! ورأى حبة الفخ . فبادر طالبًا لها ، ناسيًا تعرقلَ الجناح والذبح !!

ومجموعُ ما قد بسطتُه : حفظُ البصر عن الإطلاق ، ويأس النفس عن التحصيل قنوعًا بالحاصل ؛ خصوصًا من علت سنه ، وعلم أن الصبية عدو له ، متمنية هلاكه ، وهو يربيها لغيره !! وفى بعض ما ذكرته ما يردع العاقل من التعرض لهذه الآفات .

نسأل الله عز وجل توفيقًا من فضله وعملاً بمقتضى الشرع والعقل ، إنه قريب مجيب » . أ.هـ .

اشتراطُ الولىِّ فى النكاحِ

الآيـة :

● ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ (١) وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢] .

الأحاديث :

* « لا نكاحَ إلا بولىٍّ وشاهِدَىْ عَدْلٍ » (ص) .

* « أيُّما امرأةٍ نكحت بغير إذنِ ولَيِّها فنكاحُها باطل ، فنكاحُها باطل ، فنكاحها باطلٌ » . (حم.ت.هـ) (ح) .

* * *

(١) استدل المفسرون على أن الآية دليل على أن المرأة لا تُنكح نفسَها ، إلا بولى ؛ فإن الخطاب فى الآية للأولياء والسادة . . . ووجوب الولى واجبٌ فى نكاح القاصرة والبالغة على السواء .

وهذا الشرطُ للولى فى الموافقة على الزواج يتفق مع الفطرة والذوق السليم ، شأنُه شأنُ جميع أوامر الشريعة ونواهيها ، فكَمْ تكون مفاجأةُ الولى رهيبةً إذا شاهد قريبته ، وقد دخلت عليه البيت ، ومعها ما يسمَّى زوجها الذى لم يعلم به ؟! مما لا يقبل به كل ذى عقل ومروءة !

ويحتج الحنفية على زواج البالغة بدون وَلِىٍّ بحديث : « الثَّيِّبُ أحقُّ بنفسها من وليها » ولا حجة لهم فيه ، قال المناوى فى شرح الجامع الصغير فى تفسيره : « بمعنى أنه لا يزوِّجها حتى تأذن له بالنطق ؛ لأنها أحق منه بالعقد . وتأويل الحنفية لهذا الحديث ترده الأخبار الصحيحة المقيدة لاشتراط الولى ! » .

وكم كان لإهمال الولى فى النكاح من محاذير وأخطار فى تسرع المرأة بتزويج نفسها ممن لا خلاق له ؛ فخدعها بمعسول الكلام لعدم خبرتها ، وسبب لها الشقاء ، وربما طلقها بعد قضاء حاجته منها ؛ فالحذر الحذر أيتها المرأة من الهلاك !

ومهما كان من وجوب موافقة ولى المرأة على زواجها ، فقد قيَّدَه الإسلام فى حدود مصلحتها ، فإذا تعسف فى هذا الحق الذى أعطاه إياه الشارع فللمرأة مراجعة القاضى بذلك ، فإذا ثبتَ له رفضه لمجرد الهوى ، زوجها بمن تشاء بعد التأكد من صلاحه .

وكم سمعنا بتعسف بعض الأولياء فى استخدام هذا الحق رغبة فى بقاء ابنته عنده لتخدمه أو تخدم زوجته - خالتها - فما أجهله وأقصر نظره وأضعف تفكيره !

رأىُ الإسلام فى الحُبّ

ليسَ للمُتحابين [١] مثلُ التزويجِ !

الأحاديث :

* عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً قال :

يا رسول الله ! فى حِجْرى يتيمةٌ قد خَطَبها رجلٌ موسِرٌ ورجلٌ مُعْدِمٌ ، فنحن نحبُ الموسِرَ وهى تحب المُعدمَ !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« لم يُرَ للمتحابين مثْلُ النكاح ! » [٢] . (هـ) وغيره .

تفضيلُ الفتاة الزوجَ الشابَّ على الكهلِ

ذكر الهيثم بن عدى : عن محمد بن زياد أن الحارث بن السليل الأزدى خرج زائرًا لعلقمة بن حزم الطائى ، وكان حليفًا له ، فنظر إلى ابنةٍ له تُدعَى الرباب ، وكانت من أجمل النساء ، فأعجب بها وعشقها عشقًا حال بينه وبين الانصراف إلى أهله ! .

---

(١) ليس المراد بالحب حب الشهوة العارمة والرغبة الجنسية العابرة ، واللذة القوية ؛ فإنه حب كاذب سرعان ما يزول ، تاركًا بعده أسوأ النتائج وأفدح المآسى .

جاء فى كتاب « كيف تبنى حياتك الزوجية » (ص ٢٤) : الحبُّ الذى تصوره لنا القصص ما هو إلا نسيج الأحلام ؛ إنه ينشأ عن الأمانى والتصورات ، ويجعل الإنسان يرى فيمن يحب صورة للرجل المثالى أو المرأة المثالية ، التى لا يمكن أن يحياها إنسان فى عالم الواقع ، الحقائق تقف حجر عثرة فى سبيله . ومن أجل ذلك كان هذا الحب أعمى .

إنك عندما تفكر فى الزواج ، عليك أن تميز بين ما هو خيالى فى الحب ، وما هو حقيقى .

ينمو الحب الحقيقى بين الزوجين على مر الأيام ، وتدعمه العشرةُ والصحبة ؛ إذ إنه يَحُلُّ تدريجيًا محلَّ الحب الخيالى ، كلما ازدادت العشرة والصحبة . . . وليس معنى ذلك أنه لا يصح الزواج بين غير المتحابين ؛ فإن الحب - غالبًا - يتولد بعد الزواج نتيجة تبادل المودة وحسن التفاهم والمعاملة الطيبة ، وإنكار الذات .

(٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقى والطبرانى وغيرهم . . . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . والحديث حسن بمجموع طرقه .

قالت هند بنت المهلب : ما رأيت لصالحى النساء وشرارهن خيرًا من إلحاقهن بمن يسكنَّ إليه من الرجال ، ولَرُبَّ مسكونٍ إليه غيرُ طائل ، والسَّكَنُ على كلٍّ أوفقُ .

فقال لعلقمة : إنى أتيتك خاطبًا ، وقد يُنكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنع الراغب . قال له : كُفؤٌ كريم ، فأقِمْ ننظُرُ فى أمرك .

ثم انكفأ إلى أم الجارية فقال لها :

إن الحارث سيد قومِهِ حسبًا ومنصبًا وبيتًا ، فلا ينصرفَنَّ من عندنا إلا بحاجته ، فشاورى ابنتك وأديريها عمًا فى نفسها . . .

فقالت لها :

أى بنيتى !

أى الرجال أعجب إليك ؟

الكهل الجَحْجاحُ (السيد) ، المفضَّل الميَّاح (الكثير الصلة والمعروف) ، أم الفتى الوضاح الملول الطمَّاح (المعجب برأيه) ؟

قالت : الفتى الوضاح .

فقالت : إن الفتى يُغَيِّرُكِ [١] ، وإن الشيخ يَغِيرُكِ ، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل [٢] كالحديث السنِّ ، الكثير المَنِّ .

فقالت : يا أماه ! أحب الفتى كحُبِّ الرّعاءِ أُنيقَ الكلأ !

قالت : يا بنية ! إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب .

قالت : يا أماه ! أخشى من الشيخ أن يُدنس ثيابى ، ويُبْلى شبابى ، ويُشمت بى أترابى (صديقاتى) .

فلم تزل أمها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحارث ثم ارتحل بها إلى أهله .

وإنه لجالس ذات يوم بفناء بيته ، وهى معه ، إذ أقبل شبابٌ مِن بنى أسد يتلاعبون ، فتنفست الصعداء ، ثم بكَتْ .

فقال : ما يُبكيكِ ؟!

فقالت : ما لى وللشيوخ الناهضين كالفروخ !

فقال : ثكلتك أمك ، الحقى بأهلك ؛ فلا حاجة لى بك . [روضة المحبين : ص ٣٨٨] .

---

(١) يغيرك : الأولى : يتزوج عليك وهى بضم (الياء) وفتح (الغين) من التغيير ، ويغيرك الثانية بفتح (الياء) وكسر (الغين) من الغيرة وهى الميرة .

(٢) النائل : المعطى .

- قال الإمام ابن الجوزى فى كتابه «الأذكياء» :

حدثنا رجل من تغلب قال :

كان فينا رجلٌ له ابنةٌ شابة ، وكان له ابن أخ يهواها وتهواه ، فمكثا كذلك دهرًا . ثم إن الجارية خطبها بعض الأشراف ، فأرغبَ فى المهر ، فوافق أبو الجارية . واجتمع القوم للخِطبة ، فقالت الجارية لأمها :

يا أماه ! إنى حامل ، فاكتمِى إن شئتِ أو بُوحى !

قالت : أمرًا كان مقضيًا !

قالت : واللهِ ما أَحْسَنَ ! ربَّاه صغيرًا ثم تركه كبيرًا . . ثم قالت :

يا أماه ! إنى حامل فاكتمى إن شئت أو بوحى !

فأرسلت الأم إلى الأب فأخبرته الخبر .

فقال : اكتمى هذا الأمر !

ثم خرج إلى القوم فقال :

يا هؤلاء ! إنى كنتُ أجبتُكم ، وإنه قد حدث أمرٌ رجوتُ أن يكون فيه الأجرُ . وأنا أُشهِدُكم أنى قد زوجتُ ابنتى فلانةَ مِن ابن أخى فلان .

فلما انقضى ذلك ، قال أبوها : أَدْخلوه عليها ، فقالت الجارية : هى بالرحمن كافرة إن دخل عليها من قبل سنة أو تبَيَّن حَمْلُها .

قال : فما دَخَلَ عليها إلا بعدَ عامٍ ، فعلمَ أبوها أنها احتالت عليه !!

الحُبُّ صَعْبٌ [1] !

الآيات :

- ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .
- ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] .

---

(١) إن مصدر الحب هو النظرات المتتابعة والاختلاط ، فليتجنب المؤمن كل ذلك ، ليكون بمنجاة من أخطاره ، وإلا فعلى نفسه يجنى ، وقد حرَّم الإسلام كلَّ ذلك .

● ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : ٣١] .

الأحاديث :

* قال عمرو بن العاص : بعثنى رسول الله ﷺ على جيش ، وفيهم أبو بكر وعمر ، فلمّا رجعْتُ قلتُ :

يا رسول الله ! مَن أحبُّ الناسِ إليك ؟

قال : وما تريد ؟

قلتُ : أحبُّ أن أعلم .

قال : عائشة .

قلت : إنما أعنى من الرجال .

قال : أبوها » . (خ.م) بنحوه .

* قالت عائشة رضى الله عنها :

أرسلَ أزواجُ النبى ﷺ فاطمةَ بنت النبى ﷺ ، فدخلت وهو مضطجع معى فى مرطى ، فقالت :

يا رسول الله ! إن أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة .

وأنا ساكتة ، فقال رسول الله ﷺ :

« ألستِ تُحبين ما أحِبُّ ؟ » .

قالت : بلى .

قال : « فأحِبِّى هذه » . (م.ن) .

* كان مغيث يمشى خلف زوجته بريرة بعد فراقها له ، وقد صارت أجنبيةً عنه ودموعُه تسيل على خدَّيْه [١] ، فقال النبى ﷺ :

« يا ابن عباس ألا تَعْجَبُ مِن حب مُغيث بريرة ، ومِن بُغضِ بريرة مغيثًا ؟! » ثم قال لها : « لو راجَعْتِهِ » .

---

(١) قال نافع عن ابن عمر رضى الله عنه فى حديث طويل جاء فيه :

« أمر رسولُ الله ﷺ برجل وامرأة ، فرُجِمَا » قال ابن عمر : « فرأيتُ الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة !! » (د) ح .

فقالَتْ : أتأمُرُنى [١] ؟!

فقال : « إنما أنا شافع » . قالت : لا حاجة لى فيه » . [٢] (خ).

* « شكا إلى النبى ﷺ رجلٌ أن امرأته لا تَرُدُّ يَدَ لامسٍ ! فقال : طلِّقْها . قال : إنى أخاف أن تَتبعها نفسى .

فقال : استمْتِعْ بها » [٣] (حم.ن) (ح) .

---

(١) جاء فى كتاب « حجة الله البالغة » (٢/ ٧١٤) وصفٌ لقصة بريرة : أنها أُعتقت ، وكان زوجها عبدًا ، فخيَّرها رسول الله ﷺ ، فاختارت نفسَها . أقول السبب فى ذلك أن كون الحرة فرشًا للعبد عارٌ عليها ، فوجب دفعُ ذلك العار عنها ، إلا أن ترضى به . وإنصافاً : فالأمَة تحت يد مولاها ليس رضاها - أى بالنكاح - رضًا حقيقةً . وإنما النكاح بالتراضى . فلما أُعتقَتْ صار أمرها بيدها ، ووجب ملاحظة رضاها . .

قَال الإمام ابن القيم تعليقًا على هذا الحديث : فهو شفاعة من سيد الشفعاء لمحبٍّ إلى محبوبته ، وهى أفضل الشفاعات وأعظمها أجرًا عند الله ؛ فإنها تتضمن اجتماع محبوبين على ما يحب الله ورسوله ، فلهذا كان أحبُّ ما لإبليس وجنوده التفريقُ بين هذين المحبوبين .

(٢) قال الإمام ابن القيم تعليقًا على الحديث السابق : ولم ينهه الرسول ﷺ عن عشقها فى هذه الحال ؛ إذ ذلك شىء لا يُملك .

(٣) جاء فى كتاب « روضة المحبين » للإمام ابن القيم :

قال بعض أهل العلم : راعَى النبى ﷺ دفع إحدى المفسدتين بأدناهما ؛ فإنه لما شكا إليه أنه لا يصبر عنها ، ولعل حبه يدعوه إلى معصية ، أمره أن يمسكها مُداراةً لقلبه ودفعًا للمفسدة التى يخافها باحتمال المفسدة التى شكا منها .

وقد فسَّر بعضهم هذا الحديث بصور كثيرة ، وأصحُّها ما ذكره الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فى كتابه السابق فقد قال :

إن الرجل لم يشكُ من المرأة أنها تزنى بكل من أراد ذلك ، ولو سأل عن ذلك لمَا أقرَّه رسول الله ﷺ على أن يقيم مع بَغِىّ ويكون زوج بغى ديوثاً ! وإنما شكا إليه أنها لا تجذب نفسَها ممن لاعبَها ووضعَ يده عليها ، أو جذب ثوبها ، ونحو ذلك ؛ فإن من النساء من تلين عند الحديث واللعب ونحوه ، وهى حَصانٌ عفيفة إذا أريد منها الزنى ! وهذا كان عادة كثير من نساء العرب ، ولا يعُدّون ذلك عيبًا ! (ص ١٣٠) .

وبمناسبة الكلام على الحب ، فإنه كثير ما ينقلب إلى عشق جامح - والعياذ بالله - فيشقى صاحبه أو صاحبته ويوقعه فى المهالك والأمراض ، فينبغى للعاقل الفرار من أسبابه ، وقد نهى الإسلام عنها جميعًا ، وهذه بعضها :

١ - إدمان النظر . ٢ - الاختلاط والاجتماع .

قال الإمام ابن الجوزى فى كتابه « ذم الهوى » : =

الرحمةُ بالمحبين والشفاعةُ [١] لهم

الآيات :

● ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴾ [النساء: ٨٥] .

● ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة : ٢] .

الأحاديث :

* « اشفعوا تُؤجروا ويَقضى اللهُ على لسان رسوله ما أَحَبّ » (خ . د . ت . ن) .

* راجع قصة بُريرة فى البحث السابق .

* زوَّج رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ ابنةً له ، وكان خطبها قبل ذلك آخر ، فبلغ النبىَّ ﷺ أنها كارهةٌ هذا الذى زوَّجها أبوها ، وأنه كان يعجبها أن يزوِّجها بالآخر ، فأهدر ﷺ نكاحَ أبيها وزوَّجها مَن تريد . (خ . ن . هـ) . وبألفاظ أخرى .

* « مر أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته بطريق من طرق المدينة ، فإذا جارية تطحن برحاها وتقول :

وهَويتُه مِن قبل قَطْعِ تمائمى ... متمايسًا مثل القضيب الناعمِ
وكأن نور البدر سُنَّةَ وجْهِه ... ينمى ويصعدُ فى ذُؤابةِ هاشمِ

= « ويتأكد العشق بإدمان النظر ، وكثرة اللقاء ، وطول الحديث ، فإن انضم إلى ذلك معانقةٌ ، أو تقبيل فقد تم استحكامه !! » .

٣ – ومن أسباب العشق سماع الغزل والغناء ، فإن ذلك يصور فى النفوس نقوش صور ، فتخمَّر صورة موصوفة ، ثم يصادف النظر مستحسنًا ، فتتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف .

إن العشق يفسد عقل الرجل ودينه ، وقد يظلم الرجل بسببه أبويه وأولاده من زوجته العتيقة أو المتوفاة من أجل زوجته الجديدة ، وقد يحرمهم من ميراثهم ، ويبدد أموالهم لإرضائها ، مما قد يسبب نقمتهم وتشردهم ! .

(١) هذه الشفاعة ينبغى أن تقتصر على ما إذا كان الطرفان صالحين ، أما إذا كانا غير ذلك أو كان أحدهما فاسقًا فلا تنبغى تلك الشفاعة ، ويجب تحذير الطرف الصالح من محبة الضال ، مع تنبيهه إلى وجوب اختيار شريك حياته عن تفكيرٍ متزن وبحث عميق ، لا عن هوًى وحب أهوج تنسجه الأحلام ، وهو صائر إلى افتراق أو إلى مآس لا تُحمَدُ عقباها ! .

وما أصدق ما قالته إيفيلين ميليس دوفال فى كتابها : كيف تبنى حياتك الزوجية ص ٢٤ :

« إن الحب ليس كل شىء ؛ فهناك عوامل كثيرة لكل منها شأنٌ وأثرٌ هامّان لنجاح الحياة الزوجية . والاندفاع للزواج على غير أساس سوى الحب مخاطرة اجتماعية وشخصية » .

فدقَّ عليها الباب ، فخرجت إليه ، فقال : ويلك أحرَّةٌ أنتِ أم مملوكةٌ ؟!
فقالَتْ : بَل مملوكة يا خليفة رسول الله . قال : فمن هويتِ ؟! فبكَتْ ثم قالَتْ : بحقِّ الله عليكَ إلا انصرفْتَ عنى ، قال : لا أريمُ أوْ تُعلِمينى .
فقالَتْ :

وأنا التى لعِبَ الغرامُ بقَلْبِها فبكتْ لِحُبِّ محمَّدِ بن القاسم

فصار أبو بكر إلى المسجد ، وبعث إلى مولاها فاشتراها منه ، وبعث إلى محمد ابن القاسم بن جعفر بن أبى طالب وقال : هؤلاء فِتَنُ الرجال ، وكم مات بهن من كريم ، وعطبَ عليهن من سليم !

* جاءت جاريةٌ عثمانَ بن عفان تستعدى على رجل من الأنصار ، فقال لها عثمان : ما قصتك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين كلفتُ بابن أخيه ، فما أَنْفَكُّ أراعيه .
فقال له عثمان : إما أن تهبها لابن أخيك أو أُعطيك ثمنها من مالى ؟.
فقال : أُشهدُك يا أمير المؤمنين أنها له .

* أُتى علىّ بن أبى طالب « رضى الله عنه » بغلام من العرب وُجِدَ فى دار قومٍ بالليل ، فقال له : ما قصتُك ؟ فقال : لستُ بسارق ، ولكنّى أصْدُقُكَ :

تعلَّقْتُ فى دار الرباحى خَوْدةً يدلُّ لها مِن حسنها الشمسُ والقمر
لها مِن نبات الدوْحِ حسنٌ ومنصبٌ إذا افتخرت بالحُسنِ صَدَّقَها الفخرُ
فلما طرقتُ الدارَ مِن حُبِّ مهجة أتيت وفيها مِن توقُّدِها جَمْرُ
تَبادَرَ أهلُ الدار لى ثم صَيَّحوا هو اللصُّ محتوم له القَتلُ والأسْرُ

فلما سمع علىٌّ شعرَه رقَّ له وقال للمهلب بن رباح : اسمح له بها ونعوضك منها .
فقال : يا أمير المؤمنين : سَلْهُ مَن هو لِنعرِفَ نَسَبَه ، فقال : النهاس بن عيينة العجلى .
فقال : خذها فهى لك .

* اشترى معاوية بن أبى سفيان جاريةً من البحرين فأُعجب بها إعجابًا شديدًا ، فسمعها يومًا تنشد أبياتًا منها :

وفارقتهُ كالغصن يهتزُّ فى الثَّرَى طريدًا وسيمًا بعدَما طُرَّ شاربُهْ

فسألها معاوية ، فقالت : هو ابن عمى . فردَّها إليه ، وفى قلبه منها [1] !

---

(١) خرج المهدى إلى الحج حتى إذا كان فى سفر يتغدى إذ أتَى بدوىٌ فناداه : يا أمير المؤمنين ، إنى عاشق ! ورفع صوته . فقال للحاجب : ويحك ما هذا ؟! قال : إنسان يصيح إنى عاشق ! =

. . . . . .

= قال : أدخلوه . فأدخلوه عليه ، فقال : مَنْ عشيقتك ؟ قال : ابنةُ عمى . قال : أوَ لها أب ؟ قال : نعم ، قال : فما له لا يزوجك إياها ؟! قال : ها هنا شىء يا أمير المؤمنين . قال : ما هو ؟ قال : إنى هجين (والهجين الذى أُمُّه أَمَة ليست عربية) . قال له المهدى : فما يكون ؟ قال : إنه عندنا عيب . فأرسل المهدى فى طلب أبيها ، فأتى به ، فقال : هذا ابن أخيك ؟ قال : نعم . قال : فلم لا تزوجه كريمتك ؟ فقال له مثل مقالة ابن أخيه . وكان من ولد العباس وعنده جماعة . فقال : هؤلاء كلهم بنو العباس ، وهم هُجْن ، ما الذى يضرهم من ذلك ؟ قال : هو عندنا عيب . فقال : زوِّجه إياها على عشرين ألف درهم ؛ عشرة آلاف للعيب ، وعشرة آلاف مهرها . قال : نعم . فحمد الله وأثنى عليه وزوَّجه إياها . فأتى ببدرتين فدفعهما إليه . فأنشأ الشاب يقول :

ابتعتُ ظبيةً بالغلاء وإنما ... يُعطَى الغلاء بمثلها أمثالى
وتركتُ أسواقَ الصِّباح لأهلها ... إن الصِّباحَ وإن رُخِصْنَ غوالى

[روضة المحبين ص ٣٧٥ - ٣٨٢ بتصرف واختصار] .

وقد روى الإمام ابنُ حزم قصةً غريبة فى الشفاعة التى نحن بصدد الكلام عنها فقال :

باع رجلٌ أندلسى جارية ، وكان يحبها كثيرًا ، لفقر أصابه ، إلى رجل من أهل ذلك البلد ، ولم يظن بائعها أن نفسه تتبعها بعد البيع ، فلما حصلت عند المشترى كادت نفس الأندلسى تخرج ، فأتى الذى ابتاعها منه وحكَّمه فى ماله أجمع ، فأبى عليه . فوسَّط أهل البلد ، فلم يفلح ، فشكى أمره إلى الملك ، فلما مثل بين يديه أخبره بقصته واسترحمه وتضرع إليه ، فرَقَّ له الملكُ ، فأمر بإحضار الشارى ، فحضر ، فقال له الملك : هذا رجل غريب ، وهو كما تراه ، وأنا شفيعه إليك . فأبى هذا الشارى وقال : أنا أشد حبًّا لها منه . فاعتذر الملك من الأندلسى . فما كان منه إلا أن ألقى بنفسه من أعلى العلية إلى الأرض ، فارتاع الملك وصرخ ، فابتدر الغلمان من الداخل فأنقذوه وأعادوه إلى الملك ، فهَمَّ أن يرمى بنفسه ثانيةً فمُنع . فالتفت الملك إلى المشترى وقال له : إن صاحبك هذا أبدى عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت ، فأنت قم فأثبت حبك وترام مِن أعلى هذه العلية كما فعل صاحبك ، فإن متَّ فبأجَلك ، وإن عشتَ كنتَ أولى بالجارية . فتردد الشارى وقبلَ إعادتها ، فاشتراها منه الملك ودفعها إلى بائعها العاشق . [روضة المحبين بتصرف واختصار ص ٣٧٥ - ٣٨٢] .

تيسير الزواج وَبركتُه

وجوبُ استئذانِ الفتاة قبلَ الزواجِ

الأحاديث :

* قال النبى ﷺ : « لا تُنكَح الأيِّمُ حتى تُستأمَر ، ولا تُنكَح البِكْرُ حتى تُستأذن ، قالوا : يا رسول الله ! وكيف إذنُها ؟

قال : أن تسكُت » (خ.م) .

* « وعن خنساء بنت خذام : أن أباها زوَّجها بدون إذنها - وهى ثيب - فأتت رسولَ الله ﷺ ، فردَّ نكاحَها »[1] (الجماعة إلا مسلم) .

* وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال :

جاءت فتاةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت :

« إن أبى زوَّجنى ابنَ أخيه ؛ لِيرفعَ به خسيسته . فجعل ﷺ الأمْرَ[2] إليها ،

---

(١) كم أغفل الآباء الأمر النبوى فى وجوب استئذان الفتاة قبل الزواج ، فكان له نتائج سيئة وعواقب مدمرة ، والأمثلة على ذلك كثيرة لا تخفى على أحد . ونذكر على سبيل الطرافة والعبرة قصة هند لما تزوجت الحجاج بن يوسف الثقفى أحد ولاة الخليفة عبد الملك بن مروان ، فوقفت يومًا تتأمل حسنها أمام المرآة وأنشدت تقول :

وما هندُ إلا مُهرةٌ عربيةٌ ... سليلة أفراس تحلَّلها بغلُ !

فإن ولدت مُهرًا فللَّهِ دَرُّها ... وإن ولدت بغلاً جاء به بغلُ !

وكان الحجاج عندئذ آتيًا مِن وراء حجاب ، وصكَّ أذنيه مما سمعه من هند ، فقال غاضباً : يا هندُ : لقد كُنتِ فَبِنْتِ وطلَّقها . وسرعان ما أجابته :

« لقد كُنّا فما فرحنا ، وبِنَّا فما نَدِمنا ! » .

ويصل الأمر إلى الخليفة عبد الملك بن مروان ، فيعجب من فصاحة هند ، وخطبها إلى نفسه . وتقبل هند ، إلا أنها تشترط أن يقود الحجاج هودجَها من بيتها إلى قصر الخليفة . ويقبل عبد الملك ، ويسير الحجاجُ بالهودج ومِن فوقه هند التى ما كاد الطريق ينتصف حتى تلقى أمام الحجاج بدينار من ذهب ثم تصيح :

« يا جمَّال ! لقد سقط منِّى درهم » .

فتناوله الحجاج من الأرض قائلا : « إنه ليس درهما ، ولكنه دينار ! » .

فتجيبه هند فى تشَفٍّ : « الحمد لله الذى أبدل بدرهمى ديناراً ! » .

ويبتلع الحجاج على مضض منه تلك الإجابة القاتلة ؛ إنها زوجة أمير المؤمنين ! .

(٢) إذا كان الإسلام أعطى المرأة حق الحرية فى انتخاب رجلها ليقوم الزواجُ على أساس =

فقالت : قد أجزتُ أبى ، ولكن أردتُ أن أُعْلِمَ النساءَ أن ليس للآباء مِن الأمر شىءٌ ! »
(ق) ورجاله رجال الصحيح .

عَضْلُ المرأةِ

الآية :

● ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ [١] أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] .

الحديث :

* روى الحسنُ أنَّ معقل بن يسار زوَّج أختَه مِن رجلٍ من المسلمين ، فكانت عنده ما كانت ، ثم طلَّقها تطليقةً ، ثم تركها ومضت العدة ، فكانت أحقَّ بنفسها ، فخطبها مع الخُطّاب ، فرضيت أن ترجع إليه ، فخطبها إلى معقل ، فغضب معقلُ ، وقال : أكرمتُك بها ، فطلقتَها ، لا واللهِ لا ترجع إليك آخِر ما عليك .

= الحب ، فإنّا ننصح الفتاة أن تحسن استخدام هذا الحق ، فـلا تستسلم للعواطف الهوجاء ولا تغترّ بجمال الزوج وحدَه ؛ فإن الجمال - كما يقولون - عارية مستردَّة ، قد تزول ، بل هى زائلة مع الزمن ، فعليها أن تختار الزوجَ الصالحَ المتحلّى بالأخلاق الطيبة والمعاملة الحسنة والمعاشرة السليمة وحب الجدِّ والعمل ، فهى مزايا ثابتة مع الدهر تُنشئ الحب وتولده مع الأيام وتكون السعادة المستمرة . ولله دَرُّ القائل :

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبْرِ المجوسي !!

يحكى أن أعرابية تقدم لخطبتها شابٌّ فأعجبها جماله ، ولم تفكر بأخلاقه وسلوكه ، فنصحها والدها بعدم صلاحه ، فلم تَرْضَ ، فأكّد عليها عدم قبوله ، فرفضت ، وأخيرًا تزوجته .

وبعد شهر من زواجها زارها أبوها فى دارها ، فوجد جسمها عليه علامات الضرب من زوجها ، فتغافل عنه وسألها :

كيف حالك يا بنيتى ؟!

فتظاهرت بالرضا ، فقال لها أبوها : وما علاماتُ الضرب فى جسمك ؟!

فبكت ونحبت طويلاً ثم قالت :

ماذا أقول لك يا أبتاه ؟

إننى عصيتك واخترته ، دون أن أفكر بأهمية الأخلاق وحسن المعاملة .

(١) العضل : منع المرأة عن التزويج بمن يخطبها وترغب فيه ، وهو حرام ، وقد نهى الله تعالى عنه كما فى الآية .

قال الحسن : فعلم الله عزَّ وجلَّ حاجةَ الرجل إلى امرأته ، وحاجةَ المرأة إلى بعلها ، فنزلت الآية السابقة ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ فسمعها معقل فقال : سمعًا لربِّى وطاعة ! ودعا زوجَها وقال : أزوِّجُك وأُكرِمُك »[1] (خ.د.ت) .

عَرْضُ الرجلِ ابنتَه على الصالحين

الآيات :

● ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ ﴾ أى موسى ﴿ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ

---

(١) قال الترمذى بعد روايته : « وفى هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولى ؛ لأن أخت معقل كانت ثيبة ، فلو كان الأمر إليها ، لزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليها معقل . وإنما خاطب الله تعالى فى الآية الأولياء فقال : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ .

راعت الشريعة الإسلامية ظروف المرأة واحترمت رغبتها ، وقدرت إرادتها ، فحرَّمت على الولى أن يؤخر زواجها إذا واتتها الفرصة وحانت لها الظروف الملائمة ، بأن خطبها من تحب أن تقترن به ومن ترغب أن تعيش معه ؛ فحرمانها من النكاح شر ينبغى التحرز منه ؛ ذلك لأنها ذات غريزة جنسية لا بد لها من منفد تنفذ منه . والكبتُ يؤثر على صحتها ويسىء إلى عاطفتها ويضر عقلها وأعصابها ، ولا يُنجى مِن هذه الأخطار والأضرار إلا أن نسمح لها بالزواج ، ونيسر لها سبيل النكاح . وهنا يجب أن نراعى رغبتها ونحترم مشيئتها فلا نزوجها إلا بمن تحب ولا ننكحها إلا لمن تميل إليه ، وما قيمة الحياة الزوجية إذا قامت من عنصرين لا ألفة بينهما ؟ إنها تكون حينئذ بابًا من أبواب الشر . ووسيلة من وسائل القلق ، ومبعثًا على السخط والهوان . فالزواج المفروض فيه أن يكون سكنًا ورحمةً ومودةً ، ينقلب فيصبح نفورًا وقسوةً وفتنةً ، لا تجد المرأة فرصة للتخلص من زوجها الذى تبغضه حتى تنتهزها وتستغلها حلالاً كانت أم حرامًا ، وهكذا تبحث وتعمل جاهدةً على ما يوصلها إلى غرضها ويهيئ لها سبيل الفراق ، ولا يجنى الزوجان من وراء هذه الرابطة المنحلَّة سوى الشر وسوء العاقبة والإساءة إلى شعور المرأة وسمعتها وتضييع الفرصة الصالحة عليها ، مما يولد عندها عقدةً نفسية تؤثر عليها طول حياتها .

سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١) [القصص : ٢٣ - ٢٨] .

الحديث :

* قال عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » وقد مات زوجُ ابنته حفصة : « لَقِيتُ عثمانَ بن عفان ، فعرضتُ عليه حفصةَ ، فقلت :

إن شئتَ أنكحتُك حفصةَ بنتَ عمر !

فقال : سأنظر فى أمرى .

---

(١) وهكذا عرض هذا الرجل العظيم - وهو من الرؤساء الصالحين - وليس بالفقير أو العادى - ابنته على موسى عليه الصلاة والسلام ، وتم النكاح فى جو بسيط ، فلا تقاليد موروثة بالية ، ولا تكاليف باهظة معرقلة . كلُّ ذلك ضرب به هذا الأبُ الكريم عُرْضَ الحائط ، وسارع إلى زواج موسى من ابنته لمّا علم بأمانته وعفته وشهامته وقوته . . على الرغم من فقره المادى . وزواج الرسول ﷺ وأصحابه كلهم كان يتم بسهولة ويُسْرٍ ، فما هذه التقاليد التى تمسكنا بها إلا طقوس فرعونية جهنمية لِهَدْم الأسرة وعرقلة زواج الشباب وقطع النسل ، فمتى نصْحو من هذه التقاليد الجاهلية ؟!

أذكر أننى لما عقدتُ زواجَ ابنتى على أحد الصالحين اكتفيت بكتابة المهر عليه دون قبض إلا قليلاً منه حسب ما تيسَّر . وكان أولُ شرطٍ وآخِرُ شرطٍ من شروطى ألاَّ يقدِّم لابنتى شيئاً من الحلى وسواها ! وبمناسبة الكلام على خِطْبة المرأة للرجل أقول ما كنت قلته منذ ثلاثين عامًا فى كتابى « السبيل إلى أسرة أفضل » :

« . . . وإنى لأتمنى ذلك اليوم الذى يسمح الأبُ لابنته - أو الأخُ لأخته - أن تخطب الفتى الذى تريده وتقول - كما يقول الفتى - « اذهب يا أبتاه أو يا أخى اخطب لى الشاب الفلانى الصالح فيذهبُ ويفاوضه » .

وكل ذلك يسمح به الإسلام ويدعو إليه .

وبمناسبة عرض الرجل ابنته على أهل الصلاح نذكر القصة التالية الرائعة التى ذكرتها كتب التاريخ :

عن عبد الله بن أبى وداعة قال : كنتُ أجالس سعيدَ بن المسيب ، فتفقدَّنى أيامًا ، فلما أتيته قال : أين كنت ؟ قلت : تُوفيت أهلى فاشتغلتُ بها . قال : هلاَّ أخبرتنا فشهدناها ؟! قال : ثم أردت أن أقوم ، فقال : هل استحدثتَ امرأة ؟ فقلت : يرحمك الله تعالى ! ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثًا !

فقال : أنا . فقلْتُ : وتفعل ؟! قال : نعم . فحمد الله تعالى وصلى على النبى ﷺ وزوَّجنى على درهمين - أو قال ثلاثة - قال : فقمتُ وما أدرى ما أصنع من الفرح ، فعدتُ إلى منزلى وجعلتُ أفكِّر ممن آخذ ؟ ممن أستدين ؟ فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلى ، فأسرجت وكنت صائمًا ، فقدمت عشائى لأفطر - وكان خبزًا وزيتًا - وإذا ببابى يُقرع ، فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد . قال : ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد ، إلا سعيد بن المسيب - وذلك أنه لم يمرّ أربعين سنةً إلا بين =

فلبث ليالٍ ، ثم لقيتُه ، فعرضتُ ذلك عليه ،

فقال : قد بدا لى أن لا أتزوج .

فلقيتُ أبا بكر فقلت له :

إن شئتَ أنكحتك حفصةَ بنت عمر [١] ، فصمتَ ولم يَرجع إلىَّ شيئًا ، فكنتُ عليه أوْجَدَ مِنِّى على عثمان . فلبثتُ ليالى ، ثم خطبها رسولُ الله ﷺ ، فأنكحتُها إليه . فلقينى أبو بكر فقال :

لعلك وجدتَ علىَّ حين عرضتَ علىَّ حفصة فلم أَرجع إليك شيئًا ؟ فقلت : نعم . فقال : إنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضتَ علىَّ إلا أنى كنتُ علمتُ أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد ذكرَها ، فلم أكن لأُفْشِىَ سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو تركَها لَقبلتُها » (خ.ن) .

= داره والمسجد - فخرجتُ إليه ، فإذا به سعيد بن المسيب ، فظننتُ أنه بدا له (أى رجع عن رأيه) فقلت : يا أبا محمد لو أرسلتَ إلىَّ لأتيتُكَ ! فقال : لا ! أنت أحقُ أن تُؤتَى . فقلتُ : ماذا تأمرنى . قال : إنكَ كنْتَ رجلاً عزبًا فتزوجتَ ، فكرهتُ أن تبيتَ الليلةَ وَحْدَكَ ، وهذه امرأتك ، وإذا هى قائمة خلفه فى طوله ، فدفعها فى الباب وردَّه !

قال : ثم دخلت بها ، فإذا هى من أجملِ النساء وأحفظِ الناسِ لكتاب الله تعالى وأعلمهم لسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج !

وكانت بنتُ سعيد بن المسيب هذه خَطَبها منه الخليفة عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاَّه العهد ، فأبى سعيدُ أن يزوجه !!

هذا وليس المقصود من القول السابق أن سعيد بن المسُيَّب كان يقصر حياته على الصلاة فى المسجد فقط ، فهذا ليس من صنع العلماء العاملين ، بل كان يعمل فى المسجد على تعليم المسلمين .

ولم تقتصر عادةُ عرض الرجل بناته على الناس على السلف الصالح فقط ، بل لا تزال لدى كثير من الصالحين فى جميع العصور ، فقد حدثنى أحد الأصدقاء أن إمامًا لمسجد فى حى الميدان بدمشق خطب فى المسلمين يومًا يحض الشباب على الزواج ويحض الآباء على تيسير المهر ، وكان مما قاله :

إن عندى عدة بنات ؛ فمن كان يرغب فى الزواج ، فإنى على استعداد لأعطيه ، وليس لى من شرط إلا شرط الدين والأخلاق ، ولم يمض أكثر من شهر حتى تزوجت بناته كلهن !

(١) ما أعظم صنيع عمر وما أوعاه وإلى هذا ذهب المثل العربى : « تخير لابنتك واخطب لها ، ولا تتخير لولدك أو تخطب له ! » ولا شك أن القسم الثانى من هذا المثل غير صحيح !.

النهىُ عن التغالى فى المهور

الأحاديث :

* « إن مِن يُمْنِ المرأة تيسيرَ خِطْبَتها ، وتيسيرُ صَداقها ، وتيسيرُ رَحِمِها » (حم . ن) (حسن) .

* جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت :

« يا رسول الله ! إنِّى وهبتُ نفسى لك . فنظر إليها الرسول ﷺ فصعَّد النظرَ إليها وصوَّبه ، ثم طأطأ رأسَه ، فقامت طويلاً ، فقامَ رجلٌ فقال : يا رسول الله : زوِّجنيها إن لم تكن لك فيها حاجة . فقال : هل عندك شىء تُصْدِقها ؟ قال : ما عندى إلا إزارى هذا !

قال : فالتمِسْ ولو خاتمًا من حديد [1] ، فالتمسَ فلم يجد شيئًا . فقال رسول الله ﷺ : هل معك من القرآن شىءٌ ؟ قال : نعم سورة كذا وسورة كذا . فقال : زوَّجتُكها بما معك من القرآن » .

وفى رواية قال : « انطلِقْ فقد زوجتُكها ، فعلِّمها القرآن » (خ . م) .

وفى رواية أخرى طريفة بعد ما طلب منه رسولُ الله ﷺ خاتمًا من حديد ولم يجد ، قال لرسول الله ﷺ : ولكن هذا إزارى ، فلها نِصْفُه . فقال رسول الله ﷺ : « ما تصنع بإزارك ؟! إن لبسْتَه لم يكن عليها ، وإن لبسَتْه لم يكن عليك منه شىءٌ ! » .

فجلس الرجل حتى طال مجلسه ، ثم قام ، فرآه رسولُ الله ﷺ مُوَلِّيًا ، فأمر به ، فدُعى ، فلما جاء قال : « ما معك من القرآن ؟! قال : معى سورة كذا وسورة كذا . . . » الحديث ، رواه الخمسة .

* عن أبى سَلمة بن عبد الرحمن قال :

« سألت عائشةَ : كم كان صَداقُ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قالت : كان صداقه لأزواجه ثنتى عشرة أوقية ونَشًّا .

قالت : أتدرى ما النَّش ؟

قلتُ : لا .

---

(١) ليس معنى هذا الحديث جواز لبس خاتم الحديد حتى للنساء ، بل المراد الانتفاع بقيمته ؛ لما ورد من النهى عن لبسه ؛ فقد رأى النبى ﷺ على بعض أصحابه خاتمًا من ذهب ، فأعرض عنه ، فألقاه واتخذ خاتمًا من حديد ، فقال : هذا شر ؛ هذا حلية أهل النار ، فألقاه واتخذ خاتمًا من وَرِقٍ (فضة) . (حم) وسنده صحيح .

قالت : نصف أُوقية ، فقلتُ : خمسمئة درهم »[١] (م)

* عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

لما تزوج علىٌ فاطمة رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ : « أعطِها شيئًا ! » قال : ما عندى شىء !

قال : « أين درعُك الحطمية ؟ فأعْطِها إياه »[٢] . (ن.ر.حا) (ص) .

* عن أنس قال : « تزوَّج أبو طلحة أمَّ سُليم ، فكان صَداقُ ما بينهما : الإسلام ، أسلمتْ أمُّ سليم قبل أبى طلحة ، فخطبَها . فقالَتْ : إنى أسلمتُ ، فإن أسلمتَ نكحتُك . فأسلمَ ، فكان صداق ما بينهما » (ن) ص .

* عن عمر بن الخطاب قال :

« ألا لا تُغالوا[٣] بصداق النساء !! فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا وتقوى عند الله : لكان أولاكُم بها نبى الله ﷺ !

ما علمتُ رسولَ الله ﷺ نكح شيئًا من نسائه ولا أنكح شيئًا من بناته على أكثر من اثنتى عشرة أوقية » (حم.ت.ن) (ص) .

---

(١) والأوقية : أربعون درهمًا ؛ فيكون المهر خمسمئة درهم ، والدرهم يساوى أربعين قرشًا سوريًا ، فيكون مجموع المهر مئتى ليرة سورية !! .

قلت : كان هذا بحساب العملة قديمًا ، فأما الآن فقد تضاعفت كثيرًا ؛ فيُعَدَّل .

(٢) وهكذا كان مهر بنت رسول الله ﷺ التى لا تقدر بثمن ، لقد زوجها أبوها بهذا الدرع الذى لا تستفيد منه شيئًا ، إنما هو رمزٌ لا أكثر ولا أقل !

ما أعظم الفرق بين يسر الإسلام فى الزواج والعرس وبين تقاليدنا الجاهلية فى هذا العصر حتى بات الزواج يسبب للزوج النكبات وما أحسن ما قاله الشاعر :

ثلاثة تشقى بهن الدار العرس والمأتم ثم الزار

والزار : حفلة يقيمها الدجالون باستخدام الطبول لإخراج الجن من المصروع ! .

(٣) لا صحة لقصة المرأة التى ردَّت على عمر بن الخطاب لما دعا إلى عدم التغالى فى المهور بآية ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾ وذلك من ناحيتين :

إحداهما حديثية : إن هذه القصة جاءت من روايات عديدة بعضها فيها انقطاع ، وبعضها فيه ضعف بسبب مجالد بن سعيد أو قيس بن الربيع ، وكلاهما ضعَّفه ابن حجر العسقلانى ، **والأخرى فقهية** : فإن التغالى فى طلب المهور حرام لما يترتب عليه من المفاسد . والآية السابقة تفيد تطوع الزوج من نفسه فدفع لزوجته قنطارًا أو قناطير . أما أن تطلب هى ووليها : فهذا هو المنهى عنه ، لا يعقل أن تعترض هذه المرأة على الخليفة ، وأن يسكت عنها فضلاً عن أن يقول : أخطأ عُمرُ وأصابَتْ امرأةٌ ! وخاصة وقد علمنا فيما سبق عن المهر ، جَعْلَ الرسول ﷺ مِنْ يُمن المرأة - أى بركتها - يُسْرُ مهرها .

* قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« جهَّز رسولُ الله ﷺ فاطمةَ رضى الله عنها خميلاً ووسادةً حشوها إذخر » - أى قش - .

* وعن جابر رضى الله عنه قال : حضرنا عُرس فاطمة ، فما رأينا عرسًا أحسن منه ؛ حشونا الفراش ليفًا ، وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا ، فراشها ليلة عرسها إهاب (جلد) كبش [١] .

مشروعُ زواج

* كان أحدُ الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخدمه ويبيت عنده ليلبى أمره إذا نزلت بالرسول حاجة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) أين هذه البساطة واليسر مما ذكره التاريخ عن أعراس بنات الملوك والأمراء وزوجاتهم التى استنزفت مالية الدولة وعرَّضتها للإفلاس . نذكر على سبيل المثال :

أولاً : زواج المأمون ببوران : فقد فرش دار الخلافة باللآلئ الثمينة ، وطلب من النساء المدعوات أن يكرمن بوران : بتناول ما يُردنه من هذه اللآلئ .

ولما حضر هذا العرس القادة والأمراء ألقى المأمون عليهم أوراقًا تحمل أسماء قرى ، أخذ كل منهم القرية التى كانت نصيبه ! والغريب أن بعض المؤلفين أَلقى على هذا العُرْسِ الإبليسى اسم « دعوة الإسلام » .

ثانياً : جاء فى رسالة « ثلاث أعراس أودت بالخزانة إلى الإفلاس » للدكتور محمد أحمد الحفنى ما خلاصته :

يقرر المؤرخون أنه كان من بين جهاز « قطر الندى » ابنة خمارويه وزوجة الخليفة المعتضد : دكة من أربع قطع من الذهب عليها قبة من ذهب مشبك ، فى كل عين من التشبيك قرطٌ مغلقٌ فيه حبة من الجواهر لا تقدَّر بقيمة ، وكان من الجهاز معه هاون من الذهب يُدق فيها العود والطيب ! وألف دكة ثمن الواحدة منها عشرة دنانير .

ولم يكتفِ خمارويه بهذا الإسراف فيما أعده من جهاز لابنته ، فقد غالى كذلك فى الإنفاق على انتقالها من مصر إلى بغداد . فأمر بأن يُبنى لها على رأس كل مرحلة من مراحل هذا الطريق الطويل قصرٌ تنزلُ فيه « قطر الندى » يُجَهَّز كل منها بكل ما تحتاجه العروس فى سفرها من الراحة وأسباب الرفاهية . . وذكر ابن خلكان أن مقدار صداق - مهر - قطر الندى بلغ مليون درهم . وليس هذا بالشىء الكثير إذا قيس بما أنفقه خمارويه فى هذا العُرْسِ . ويكفى أن نذكر أن ابن الخصاص ، وهو الجواهرى الذى عهد إليه بإعداد الجهاز ، نال وحده جائزة قدرها أربعمائة ألف دينار . وشاعت فى تلك الأوقات الأغنية العامية :

الجِنَّة ، الجِنَّة يا « قطر الندى » شَباك حبيبى يا عينى جَلاَّب الهَوَى

ثالثًا : زواج أولاد الخديوى إسماعيل : =

« ألا تتزوج ؟ » .

فقال : يا رسول الله إنى فقير لا شىء لى ، وأنقطع عن خدمتك . فسكتَ ثم عاد ثانيًا ، فأعاد الجواب ، ثم فكر الصحابى وقال : واللهِ لَرسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم بما يُصلحنى فى دنياى وآخرتى ، وما يُقرِّبنى إلى الله . ولئن قال لى الثالثة لأفعلَنَّ ، فقال له الثالثة : ألا تتزوج ؟

فقال : يا رسول الله زوِّجنى ، فقال : اذهب إلى بنى فلان ، فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمركم أن تزوِّجونى فتاتكم . . فقال : يا رسول الله لا شىءَ لى (أى لا يملك شيئًا) ، فقـــال لأصحابه : « اجمعوا لأخيكم وزن نواة [١] من ذهب » ، فجمعوا له وذهبوا به إلى القوم فَزَوَّجوه ، وجمع له أصحابه شاةً للوليمة » [٢] . (حم) ص .

= تجلَّتْ نزعة إسماعيل ومَن حوله من الشغف بالترف والإسراف والبذخ فى « جهاز » العرائس - بناته الأربع - فقد بلغ من الفخامة مبلغًا يعجز عنه الوصف ، حيث جمع أثمن الحلى والجواهر المرصعة بالماس والياقوت ومجموعات كثيرة من الأوانى الذهبية والأطقم المصنوعة من الكهرمان الخالص مطوقة بالأحجار النادرة . وقد احتوى كل جهاز على سرير مكسوٍّ بطبقة سميكة من الذهب الخالص . رُصِفت أعمدته بالياقوت والزُمرُّد والفيروز ! ا.هـ باختصار .

وقد أعقب الأعراس - التى ذكرنا نماذج بسيطة منها - إفلاس خزائن الدولة من العالم العربى وعجزها عن الاستعداد وتجهيز الجيوش ، مما أدى فى القديم إلى هجوم الصليبيين والتتار على العالم العربى ، وفى التاريخ الحديث إلى تدخل الإنجليز فى مصر واستيلائهم عليها .

(١) مبلغ ستين ليرة سورية تقريبًا !

وقد كانت العادة قديمًا فى بعض البلاد أن الشاب إذا أراد الزواج - وقد عقد العقد - يقيم حفلة بسيطة بهذه المناسبة ، فيأتيه أصدقاؤه وأقرباؤه وجيرانه ، فيستقبلهم وهو جالس ، وقد أمسك بطربوشه مقلوبًا ، فيضع له كلٌ منهم ما يتيسر كهدية ، فلا يلبث هذا الطربوش بالامتلاء ، فينفقه الشاب على المهر والوليمة .

(٢) كنت نشرتُ منذ أكثر من عشرين عامًا كلمة فى كتاب : « السبيل إلى أسرة أفضل » تحت عنوان : « امشِ إلى الزواج » أقتطف منها ما يلى :

امشِ إلى الزواج ! هذه هى العبارة الذهبية التى ينبغى أن تقوم مقام « امشِ إلى السينما أو امشِ إلى المقهى » . كما ينبغى أن يكون الزواج بسهولتها وبسرعتها ، بعد التأكد من كل من الزوجين !

إن إحصاء تعداد الشبان والشابات الذين لم يدخلوا الحياة الزوجية بعدُ يُنذرنا بشر مستطير ، ويهددنا بكارثة مخيفة اجتماعية وسياسية وخلقية ! فما تهاونت أمة بالزواج إلا انتشرت الفاحشة بين أفرادها ، وتعرضت للغزو الخارجى بسبب الانحلال الخلقى وقلة النسل . لقد كان المارشال بيتان يخاطب قومه فى فرنسا عقب الغزو الألمانى لبلاده :

« زِنوا خطاياكم ! فهى ثقيلة فى الميزان ، إنكم لم تريدوا أطفالاً ، وهجرتم حياة الأسرة ، =

المهرُ والحرصُ على الوفاء به

الآيات :

● ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ (١) نِحْلَةً (٢) فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء : ٤] .

● ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء : ٢٠ ، ٢١] .

= ونبذتم الفضيلة وكلَّ المثل الروحية ، وانطلقتم إلى الشهوات تطلبونها فى كل مكان ، فانظروا إلى أى مصير قادتكم الشهوات . . . » .

إن مما يؤسف له أن الرجل إذا تقدم لخطبة فتاة سارع أبوها بطلب المهر الفاحش ، والتجهيزات الضخمة . ويزعم أنه معذور فى طلبه ؛ فطلبُه أمر طبيعى لا بد منه .

أليست الزوجة بحاجة إلى حلى وملابس وأمتعة وغرفة طعام ، وغرفة استقبال ، وغرفة نوم ، وبراد ، وغسالة ، ومروحة كهربائية ، وسجاد ، بل وسيارة . . . فضلا عن حفلة العقد وحفلة الزواج . . .

لا أريد أن أناقش هذا الأب فى طلباته التى يُعتبر كلها أو أكثرها كماليًّا وغير ضرورى ، ولكنى أُذكره بمبلغ مهر ابنة النبى ﷺ ووصف جهازها وأثاث بيتها .

عن ابن عباس قال :

« لما تزوَّج علىٌ فاطمةَ رضى الله تعالى عنهما قال رسول الله ﷺ : أعطِها شيئًا ، قال علىٌ : ما عندى شىء ! قال : أين درعُكَ الحطمية ؟ قال : هى عندى ، قال : فأعْطِها إياها » .

وعن على قال : « جهز رسولُ الله ﷺ فاطمةَ فى خميل ووسادة حشوُها إذخر - أى قش من النبات » .

وعن جابر قال : حضرنا عُرْسَ فاطمَة ، فما رأينا عُرْسًا أحسنَ منه ، حشونا الفراش - يعنى بالليف - وأتينا بتمـــر وزبيب فأكلنا ، وكان فراشها ليلة عُرْسِها إهاب - أى جلد كبش - . . .

وقد ذكرنا ذلك قبل قليل ، ونعيده هنا لتوكيده .

(١) المهر .

(٢) عطية من طيب نفس .

وينبغى أن نعلم بهذه المناسبة أن المهر والصداق هو حقٌّ للمرأة تملكه كما تملك أى مال لها ، وليس لزوجها حق الولاية عليه كله ولا بعضه . . . ولا حقَّ للزوج أن يجبر زوجته أن تتجهز إليه بشىء من الصَّداق قلَّ أو كَثُرَ ؛ فإن عليه السكن ، وعليه جهاز البيت ، وعليه كسوتها وسائرُ نفقتها (بخلاف ما هو شائع اليوم) إلا أن تَطيبَ هى نفسًا بشىء من ذلك . ودليل ذلك من كتاب الله سبحانه قوله تعالى : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ .

فما يفعله كثير من الأزواج من إرهاق أهل زوجته بشراء ألوان الثياب ، والأثاث والتحف =

الأحاديث :

* « أَحَقُّ الشروط أن تُوفوا به ما استحللتُمْ به الفروج » . (خ.م) .

* « أيّما رجل تزوج امرأةً على ما قلَّ من المهر ، أو كُثرَ ، وليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها ، خدعَها ، فمات ، ولم يؤدِّ إليها حقها ، لَقِىَ اللهَ يوم القيامة وهو زانٍ ! » . (طب) ص .

الخُطبة ودعاؤها

* ينبغى أن يُخطب بين يدى العقد خُطبةٌ يبدؤها بالحمد لله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأفضلُ الخُطَب خطبتُه - ﷺ - المسماة :

خُطْبَةُ الحاجةَ

« إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . مَن يهْدِه اللّهُ فلا مُضِلّ له ، ومن يُضللْ فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عَبدُه ورسوله . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

= والآنية ، هو من قبيل أكل أموال الناس بالباطل ، ومخالفٌ كل المخالفة لما شرع الله تعالى لعباده . وذلك ما لا يُقبِلُ عليه ذو كرامة أو يرضاه لنفسه مؤمنٌ بالله واليوم الآخر .

إن كثيرًا من الشباب أو من الأزواج يطلب بنفسه أن يكون الجهاز كيت وكيت ، فيضطر أهلُ الزوجة إلى أن يُنفقوا صداقَها ومثلَه أو أمثالَه معه . وقد يركبهُم مِن ذلك دَيْنٌ كثير ؛ فمثل هذا الجهاز لا بركة فيه ؛ لأن النفوس لم تطب به ، ولأن الزوج بتحكمه هذا إنما يتبع سبيل الإكراه والإجبار على ما ليس له بحق .

وقد جرى العرف فى بلادنا على أن تُجهِّز الزوجة بصداقها أو بما يزيد عليه . ولا حرج فى ذلك ما دامت قد طابت نفسها بذلك ، ولم يضطرها هو إليه . وفى هذه الحالة يجب تجنب السرف والمغالاة التى يقصد بها الزهو والمخيلة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٧] .

فأولئكَ الذين يلتزمون الأثاث المموه بالذهب ، ويجهدون أن يكون منه آنية الذهب والفضة ، إنما يسلكون طريق الشيطان ، ويتكلفون ما يذهب بيسر المؤنة . ويجعلون لأنفسهم ما نهاهم عنه =

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

ثم يذكر الخاطبُ حاجته ؛ كأن يقول :

جئتُكم راغبًا فتاتكم فلانة ، أو نَحو ذلك .

* قال النبى ﷺ : « كلُّ خطبةٍ ليس فيها تَشَهُّدٌ : فهى كاليد الجَذْماء » . (المقطوعة) (ت) وحسَّنه .

* * *

= النبى ﷺ بقوله : « إن الذى يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة إنما يجرجر فى بطنه نارَ جهنم » . وسنده صحيح .

وصايا وتوصيات قَبلَ الزواجِ

وصايا الأبوين للزوجةِ

استحباب وصية الزوجة :

* قال أنسٌ : « كان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا زَفُّوا امرأةً على زوجها : يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه » .

وصيةُ الأبِ ابنتَه عندَ الزواجِ

أوصى عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب ابنتَه ، فقال :

« إيّاكِ والغيرة ؛ فإنها مفتاحُ الطلاق !

وإياكِ وكثرة العتبِ ؛ فإنه يورث البغضاء .

وعليكِ بالكحل [1] ؛ فإنه أزينُ الزينة .

وأطْيَبُ الطِّيبِ الماءُ » .

---

(١) لما حمل الفُرافِصَةُ بن الأحوص ابنته نائلةَ إلى أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه - وقد تزوجها - نصحَها أبوها بقوله :

« أى بُنيتى ! إنك تُقْدِمين على نساء من نساء قريش هنَّ أقدرُ على الطِّيب مِنك ؛ فاحفظى عنى خصلَتين : تكحَّلى وتَطيَّبى بالماء حتى يكون ريحُك ريحَ شنٍّ أصابه مطرٌ » . [الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى] (الشن : القربة) .

خطب عمرو بن حجر ملك كندة ، أم إياس بنت عوف بن مسلم الشيبانى ، ولما حان زفافها إليه خلتْ بها أمُّها « أمامة بنت الحارث » ، فأوصتها وصية تبيِّن فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة وما يجب عليها لزوجها مما يصلُح أن يكون دستورًا لجميع النساء فقالت : « أى بُنية : إنكِ فارقتِ الجوَّ الذى منه خرجتِ ، وخلَّفتِ العشَّ الذى فيه درجتِ للغافل ومعونة للعاقل .

ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لِغِنَى أبويها وشدة حاجتهما إليها ، كنتِ أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خُلقن ، وَلَهُنَّ خُلِقَ الرجال !

أى بُنية : إنك فارقتِ الجوَّ الذى منه خرجت وخلَّفت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح بِملكه عليك رقيبًا ومليكًا ، فكونى له أمَةً يكن لك عبدًا وشيكا ، واحفظى له خِصالاً عشرًا تكن لك ذخرًا :

أما الأولى والثانية :

فالخضوع له بالقناعة ، وحسنُ السمع له والطاعة . =

وصيةُ العمِّ لصهرِهِ

* لما خطب عليٌّ رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ فاطمةَ رضى الله عنها فقال : « هى لك على أن تُحسن صُحبتَها » . (ط) ، (ص) .

- خطبَ عثمانُ بن عنبسة بن أبى سفيان إلى عمه عُتبةَ ابنتَه ، فأجلسه بجانبه ، وأخذ يمسح على رأسه ثم قال :

« أقربُ قريب ، خطبَ أحبَّ حبيب ، لا أستطيع له ردًّا ، ولا أجِدُ مِن إسعافِه بُدًّا . قد زوَّجْتُكما وأنت أعَزُّ علىَّ منها ، وهى ألْصَقُ بقلبى منك .

فأكرِمْها يَعْذُبْ على لسانى ذكرُك .

ولا تُهنْها فيصْغُر عندى قدْرُك .

وقد قرَّبتك مع قربك ، فلا تُبعد قلبى مِن قلبك » .

= **وأما الثالثة والرابعة :**

فالتفقُّد لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينُه منكِ على قبيح . ولا يشمُّ منكِ إلا أطيب ريح !

وأما الخامسة والسادسة :

فالتفقُّد لوَقْت منامه وطعامه ؛ فإنَّ تواتر الجوع مَلْهَبةٌ ، وتنغيص النوم مغضبة !

فأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله ، ومِلاك الأمر فى المال حسنُ التقدير ، وفى العيال حسن التدبير !

وأما التاسعة والعاشرة :

فلا تعصين له أمرًا ، ولا تفشين له سرًّا ، فإنك إن خالفتِ أمره أوغرتِ صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتما ، والكآبة بين يديه إن كان فرحًا !

* وزوَّج رجلٌ ابنته من ابن أخيه ، فلما أراد تحويلَها قال لأمها : مُرِى ابنتك ألاّ تنزل مغارة إلا ومعها ماء ؛ فإنه للأعلى جلاء ، وللأسفل نقاء ! ولا تُكثر مضاجعته ؛ فإنه إذا ملَّ البدنُ ، مل القلب !! ولا تمنعه شهوته ؛ فإن الخطوةَ فى الموافقة . . .

وقال أبو الأسود لابنته : إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وعليك بالزينة ، وأزينُ الزينة الكحل ، وعليك بالطِّيب ، وأطيبُ الطيب إسباغ الوضوء . . .

* وقد نصحت إحدى الجميلات الغربيات بناتَ جنسها بالإكثار مِن غسل الوجه مرات كل يوم بالماء البارد !

فما أعظم حكمة الوضوء !

* وأذكر على سبيل الدعابة والاعتبار وصية أمٍّ خبيثة لابنتها حيث قالت لها :

« اقلعى زجَّ رُمحِه ، فإن أقرّ فاقلعى أسنانه ، فإن أقر فاكسِرى العظام بسيفه ، فإن أقرَّ فاقطعى اللحم على تُرسه ، فإن أقر فضعى الإكافَ على ظهره ؛ فإنما هو حمار ! » .

وصيةُ الزوجِ لزوجتِه

- قال أبو الدرداء لامرأته :

إذا رأيتنى غضبتُ فرَضِّينى ، وإذا رأيتُك غَضْبَى رضَّيتُكِ وإلا لم نصطحب :

خذى العفو مِنِّى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى سَوْرَتى حين أغضبُ
ولا تنقُرينى نقرَكِ الدفَّ مَرةً ... فإنكِ لا تدرين كيف المُغَيَّب
ولا تُكْثِرِى الشكوى فتَذهَب بالقُوَى ... ويأباكِ قلْبِى والقلوبُ تُقلَّب
فإنى رأيتُ الحُبَّ فى القلب والأذى ... إذا اجتمَعا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ

وصيةُ أمٍّ معاصرة لابنتها قبلَ الزفاف

ونصحَتْ أمٌّ معاصرة ابنتَها بالنصيحة التالية وقد مزجتها بابتسامتها ودموعها :

يا بنيتى !

أنت مقبلة على حياة جديدة .. حياة لا مكان فيها لأمكِ أو لأبيك أو لأحد من إخوتك فيها ... ستصبحين صاحبةً لرجلٍ لا يريد أن يشاركه فيكِ أحدٌ حتى لو كان مِن لحمك ودمك ...

كونى له زوجةً يا ابنتى وكونى له أُمًا ، اجعليه يشعرُ أنك كلُّ شىءٍ فى حياته وكل شىء فى دنياه ... اذكرى دائمًا أنَّ الرجل - أىّ رجلٍ - طفلٌ كبير ، أقلُّ كلمةٍ حلوة قد تُسعده . لا تجعليه يشعر أنه بزواجه منكِ قد حرمَكَ من أهلك وأسرتكِ ؛ إن هذا الشعور نفسه قد ينتابه هو ، فهو أيضًا قد ترك بيت والديه وترك أسرته من أجلكِ ، ولكنَّ الفرقَ بينكَ وبينَه هو الفرق بين المرأة والرجل .. المرأة تحنُّ دائمًا إلى أسرتها ، إلى بيتها الذى وُلدَتْ فيه ونشأَتْ وكبرَتْ وتعلمَتْ ... ولكن لا بد لها أن تعوِّد نفسَها على هذه الحياة الجديدة ، لا بد لها أن تُكَيِّف حياتها مع الرجل الذى أصبح لها زوجًا وراعيًا وأبًا لأطفالها ... هذه هى دنياكِ الجديدة .

يا ابنتى ، هذا هو حاضرُكِ ومستقبلكِ ، هذه هى أسرتك التى شاركتما - أنت وزوجك - فى صنعها ، أما أبواك فهما ماضٍ ... إننى لا أطلب منك أن تنسى أباكِ وأمكِ وإخوتكِ ؛ لأنهم لن ينسَوك أبدًا يا حبيبتى ، وكيف تنسى الأم فلذة كبدها ؟! ولكننى أطلبُ منك أن تحبى زوجك وتعيشى له وتسعدى بحياتك معه .

* * *

أفراحُ العُرسِ

الغناءُ والضربُ بالدُّفِّ

الأحاديث :

* قالت الربيِّع بنت مُعَوّذ :

جاء النبى ﷺ يدخل حين بُنى علَىَّ ، فجلس على فراشى كمجلسِكَ مِنِّى ، (الخطاب للراوى عنها) فجعلتْ جويرياتٌ لنا يضربْنَ بالدُّفِّ ، ويندُبْنَ مَن قُتل مِن آبائى يوم بدر ، إذ قالت إحداهن : « وفينا نبىٌ يعلمُ ما فى غد » .

فقال : « دَعِى هذه وقولى الذى كنت تقولين » (خ. هق. حم) .

وفى روايةٍ صحيحة : قال رسول الله ﷺ : « لا يعلم ما فى غدٍ إلا الله[1] سبحانه » . (ط) ص .

---

(١) قال تعالى يخاطب نبيه ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ .

فأين كل هذا من قول الشاعر البوصيرى صاحب البردة يخاطب النبى ﷺ :

فـإنَّ مـن جُـودِك الـدنيـا وضـرَّتَـهـا ... ومِـن عـلـومِك عِـلـمَ الـلـوح والـقـلـم

ومن الأبيات المنحرفة أيضًا فى البردة يستغيث بها البوصيرى برسول الله ﷺ وهو القائل : « إذا سألتَ فاسأل الله وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله » ، وقال أيضًا يخاطب ابنته فاطمة : « يا فاطمة !! لا أُغْنى عنكِ من الله شيئًا ! » :

يا أكرَمَ الخَلْق ما لِى من ألوذُ به ... سواكَ عند حلول الحادث الْعَمَمِ

ما سامَنِي الدهرُ ضيمًا واستجرتُ به ... إلا ونـلـتُ جـوارًا مـنـه لـم يُـضَـمِ

لـو نـاسـبـتْ قـدرةَ آيـاتُـه عِـظَـمًـا ... أحيا اسْمُه حين يُدْعَى دارس الرِّمَمِ

أى أن معجزات النبى ﷺ - ومنها القرآن العظيم - لا تناسب قدره والعياذ بالله ! فإن اسمه يُحيى الموتى !!

ومما يؤسف له أن قصيدة البردة على الرغم مما فيها من كثير من الانحراف والضلال ، حتى والشرك أيضًا كما رأيت ، فإنا نجدُ كثيرًا من المشايخ يعلِّمونها طلابهم المغفلين ينشدونها فى مجالسهم ويتدارسونها أكثر مما يتدارسون كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ويأمرونهم أيضًا بكتابتها فى الآنية - حسب البدعة المعروفة - وشُرب مائها للشفاء ! وقد اضطررت لمرافقة جماعة من طلبة هؤلاء الشيوخ فى سيارة كبيرة إلى الحج ، فكانوا طوال طريقهم ينشدون البردة ذهابًا وإيابًا كأنهم يعلنون - على الرغم من حجهم - أنهم على عهد الضلال محافظون ، وعلى عقيدتهم الباطلة ثابتون . =

* عن عائشة رضى الله عنها أنها زَفّت امرأة إلى رجلٍ من الأنصار ، فقال نبى الله : « يا عائشة أما كان معكم لهوٌ ؟ فإن الأنصار يُعجبهم اللهو » . (خ) وغيره .

* « فَصْلُ ما بين الحلال والحرام الصَوتُ والدُّفُّ » [١] (ن ت هـ) وغيرهم (ص) .

= وقد روَّج المضللون - لنشر آفات البردة - أن ناظمها البوصيرى الذى يطاف حول قبره فى بلد الأزهر ويا للحسرة - كان مصابًا بالفالج فرأى الرسول ﷺ فى الرؤيا بعد نظمها ، فألقَى بردتَه عليه ، فأصبح معافًى ، وكل ذلك كذب وافتراء .

(١) لا يجوز التوسع فى موضوع الغناء ؛ فالجائز منه أيام العرس - كما هو فى الأحاديث - ما كان سليم المعنى ، خاليًا من معانى الفجور وخاليًا من المعازف ما عدا الدُّفّ فقط . . فإن هذه المعازف والأغانى الخليعة تسبب مفاسد كثيرة وتوقظ الشهوات المحرَّمة ، فلينتبه الآباء والأمهات والأزواج إلى خطر سماع أمثال هذه الأغانى والمعازف .

ويروِّج بعضهم للموسيقى والمعازف بأنها ترقِّق الشعور وتنمِّى العاطفة ، وهذا ليس صحيحاً ؛ فهى مثيرة للشهوات والأهواء ، ولو كانت تفعل ذلك لرقَّقت شعور الموسيقيين وهذبت أخلاقهم . وأكثرهم ممن نعلم انحرافهم وسوء سلوكهم !

ومما يؤسف له أن بعضهم يبيح هذه المعازف فى حفلات الأعراس قياسًا على إباحة الدفوف . وهذا افتراء ؛ وقد كانت هذه المعازف أيام الرسول ﷺ فنهى عنها فى مثل قوله : « لَيكونَنَّ من أمتى أقوام يستحلون الحِرَّ (أى الزنا) والحرير والمعازف » . الحديث أخرجه البخارى تعليقًا ، ووصله أبو داود وغيره بسند صحيح . وقال النبى ﷺ أيضاً : « صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة : مزمارٌ عند نِعمة ، ورنَّةٌ عند مصيبة » وسنده صحيح .

قال الإمام صديق حسن خان :

وأما السماع بدون معازف ؛ ففيه خلاف واسع بين السلف والخلف .

والذى يظهر من الرجوع إلى مقالاتهم ودلالاتهم أن السماع المجرد عن الزمر مباح ، ليس بمكروه ولا حرام . ولا أجمع أهل العلم على تحريمه ، كما زعم بعضهم .

ولكن المراد به ، سماع شعر رائق ، أو نثر فائق ، فيه ذكر الله ، أو ذكر رسوله ، أو كلمة حكمة ، أو مقالة نصيحة ، أو ترجمة حديث أو آية ، أو تشبيه نفيس ، أو استعارة لطيفة لم تبلغ إلى حد يُكره فى الإسلام .

وأما الذى اشتمل على غير ذلك ؛ فالأوْلى والأحوط الاجتناب مما هنالك ، كما أوضحه صاحب « دليل الطالب على أرجح المطالب » ، و« هداية السائل إلى أدلة المسائل » ، فراجعهما .

وللعلاّمة الشوكانى - رحمه الله - رسالة اشتملت على أقوال أهل العلم فى مسألة السماع ، وعلى ما استدل به محلِّلوه ومحرِّموه حقق فيها هذه المسألة بما لا يحتاج بعده إلى كتاب آخر ، ورسالة أخرى سماها « أبطالُ دَعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع » ، وقال فى آخرها : « السماع - لا شك - بعدما ذكرنا من اختلاف الأقوال والأدلة - أنه من الأمور المشتبهة ، والمؤمنون وقّافون عند الشبهات ، كما ثبت ذلك فى الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم : =

الأحاديث :

* سمع النبئ ﷺ ناسًا يُغنُّون فى عُرْسٍ وهم يقولون :

وزوجُكِ فى النادِى ويَعْلَمُ ما فى غدِ

فقال النبى ﷺ :

« لا يعلم ما فى غدٍ [1] إلا الله سبحانه » ؟ (ط. حا. هق) (ح) (ص) .

= « فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لعِرضه ودينه ، ومَن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه » . « ليس هناك شبهات » ، فالأحاديث صريحة بتحريم المحرم منه . (م.م) .

ولا سيما إذا كان مشتملا على ذكر الخدود والقدود ، والإدلال والجمال ، والهجر والوصال ، والضم والرشف ، والتهتُّك والكشف ، ومعاقرة العقار ، وخلع العذار والوقار .

فإنَّ سامع هذه الأنواع فى مجامع السماع ، لا ينجو من بلية ، ولا يسلم من محنة ، وإن بلغ من التصلب فى ذات الله إلى حد يقصر عنه الوصف .

وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمُه مطلول ، وأسير بهموم غرامه وهيامه مكبول ، ولا سيما إذا كان المغنِّى حَسَنَ الصورة والصوت ، كالمرأة الحسناء والغلام الجميل .

وما كان الغناء الواقع فى زمن العرب - فى الغالب - إلا بالأشعار . فيها ذكرُ الحرب وصفاتُ الطعن والضرب ، ومدحُ صفاتِ الشجاعة والكرم ، والتشبيب بذكر الديار ، ووصفُ أصناف النعم .

فليحذر المتحفظ لدينه ، الراغب فى إسلامه عن ذلك ؛ فإن الشيطان له حبائل ينصب لكل إنسان منها ما يليق به ، وربما كان الغناء على الصفة التى وصفناها من أعظم خدائع اللعين الخبيث ، ولا سيما لمن كان فى الأزمان السيئة ؛ فإن نفسه تميل إلى المستلذات الدنيوية بالطبع .

وأيضا السماع من أعظم الأسباب الجالبة للفقر ، المذهبة للأموال ، وإن كانت عظيمة القدر .

وقد قال بعض الحكماء : إن السماع من أسباب الموت .

فقيل : كيف ذلك ؟

فقال : كان الرجل يسمع فيطرَب ، فينفق فيسْرِف ، فيفتقر فيغتمّ ، فيعتلّ فيموت . انتهى .

وقد رأينا من ذلك وسمعنا ، ما لا يتسع له هذا المقام . وليس فى ذكرها وذكر أهلها بالأسماء والصفات كثير فائدة ؛ لأن المقصود هنا ، بيان النهى عن المعازف والغناءات ، بالتسجيل عليها بأنها سيئات .

فالشحيحُ بدينه والبخيل بإيمانه ، تكفيه الإشارات عن طول العبارات .

ولِلَّه دَرُّ القائل :

ومن يَكُ وَجْده وَجْدًا صحيحًا فلم يحتَجْ إلى قول المغنِّى

له مِن ذاته طربٌ قديمٌ وسُكْرٌ دائمٌ مِن غَيْرِ دنٍّ

(١) كنا ذكرنا فيما سبق مبلغ مخالفة البردة لهذا الحديث ولغيره من الأحاديث .

ومما جاء فى أبيات هذه القصيدة من مخالفات شرعية قول البوصيرى :

إنْ آت ذنبًا فما عهدى بمنتقصٍ مِنَ النبىِّ ولا حَبْلى بمنصَرِمِ

فإنَّ لى ذمَّةً منه بتسميتى محمدًا وهو أوْفَى الناس بالذمم =

وعن عامر بن سعد قال : « دخلت علَى قرظة بن كعب ، وأبى مسعود - وذكَرَ ثالثًا - وجَوارٍ يضربْنَ بالدُّفِّ ويغنين . فقلت : تُقرُّون هذا وأنتم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟! قالوا : إنه رخص لنا فى العرسات » الحديث . (حا. هق. ن. طى) ص .

= يشير إلى حديث باطل : « من سُمّى محمدًا أعتق الله جسده من النار » . فما أرخص النجاة من النار فى عُرف أمثال هذا المغفل . قال العلامة صدِّيق حسن خان :

وإنى أقول - والله شهيدٌ على ذلك - إنَّ فى نفسى وجدًا بألفاظ القرآن وكلمات الحديث ، وطربًا بالكلام الإلهى والمعانى السنية ، لا أتمكن من بيانه ولا أقدر على كشفه لغيرى ، ليس بى وجدٌ مثله ، ولا طرب فى شىء من هذه المنكرات ، أو المشتبهات .

إذا تلوت آية ، وخضت فى لُطف مبانيها وحُسْن معانيها ، أسكر سُكْرَ الشارب بلا مبالغة .

وإذا وقفتُ على حديث ، واستلذذتُ بفصاحة عبارته وبلاغة إشارته ، أطرَبُ طرب السامع ، ولم أجد قط ذاك الحال فى غيرهما من المقال ، وإن كان بليغًا فى نظمه ونثره . يهزُّ القلب هذا القرآن ، ما لا يهز مثله نظم جُمان البيان من إنسان ، ويطرب الجنان هذا الحديث من سيد ولد عدنان ، ما لا يُطرب مثله كلام أحد من الأعيان .

فمن كان حالته هذه فأنَّى له أن يميل إلى ذاك القال والقيل ؟!!

وإن مال : فهو يعلم أنه عند هذه الطربات الربانية شىء ذاهب قليل .

فدعْ صاحبَ المزمار والدف والغنا ... وما اختاره مِن طاعة الله مذهبا
ودعه يعش فى غيِّه وضلاله ... إلى الجنة الحمراء يدعى مقربا
سيعلم يوم العرض أىَّ بضاعةٍ ... أضاع وعند الوزن ما خفَّ أو رَبا
ويعلم ما قد كان فيه حياته ... إذا حصلتْ أعمالُه كلّها هبا

فيا هذا إن كنت ممن لهم عبودية للحق ، وخلوص بالرب ، واستقامة بالشريعة الصادقة ، واتباع للسنة البيضاء ، واقتداء بالكتاب المنزل من السماء . فكن عن هذه الأسكار الفانية والأشعار الزانية على طرفى نقيض ، والزم التقوى والعمل الصالح مع صحيح الإسلام ، تدخل - إن شاء الله تعالى - دار السلام بالأمن والإيمان والسلامة والإكرام .

فَحَىَّ على جناتِ عَدْنٍ فإنها ... منازِلُكَ الأولَى وفيها المخيَّمُ
ولكننا سبْىُ العَدو فهل لنا ... نعود إلى أوطاننا ونسلَم

اللهم يا رب النفس الناطقة ، اهدها لما ترضى عنه ، وصُنها عما تسخط عليه ، وتب علينا واغفر لنا فرطاتنا فى الزمان الأول إلى أن تجذبنا إليك مِن خوخة حُسن الخاتمة ؛ فأنَت أنتَ ، وأنا أنا » [من كتاب الدين الخالص] : [٤/ ٤٢٥ - ٤٢٨] .

وقد ذكر الإمام ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس إبليس » أن الخليفة سليمان بن عبد الملك كان فى بادية له ، فسمرَ ليلةً على ظهر سطح ، ثم تفرق عنه جلساؤه ، فدعا بوضوئه ، فجاءت به جارية =

تَزَيَّنْ لِزوجتِكَ ودَعْها تتزينُ لكَ [١]

الآيات :

● ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

الأحاديث :

* « سُئلتْ عائشة رضى الله عنها : بأى شىء كان يبدأ النبىُّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل بيته ؟ . . . » .

قالت : بالسواك [٢] » (م) .

- قال ابن عباس رضى الله عنه :

إنى لأتزين لامرأتى كما تتزين [٣] لى ، وما أحب أن أستطفَّ كل حقى الذى لى

= له ، فبينما هى تصبُّ عليه ، إذ استمدَّها بيده ، أى طلب منها ، وأشار إليها ، فإذا هى ساهية مصغية بسمعها ، مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء فى ناحية المعسكر ، فأمرها فتنحت واستمع هو للصوت ، فإذا هو صوت رجل يغنى ، فأنصت له حتى فهم ما يغنِّى به من الشعر . . . فلما أصبح الصباحُ تحقَّق فى الأمر وعرف المغنى فى تلك الليلة فأحضر . ولما تأكد من صوته قال : هدرَ الجملَ فأسرعت الناقة إليه ، وهب التيس فحنت الشاة ، وهدل الحمام فتبخترت الحمامة ، وغنَّى الرجل ، فطربت المرأة ، ثم أمر بالمغنى فعاقبه ومنعه من الغناء [بتصرف وتلخيص] .

ويذكر صاحب كتاب « جوامع اللذة » أن أهل اللواط من قوم لوط كانوا يصطادون الغلام بالطنبور ، فإذا أعجبهم الأمر استمالوه بضرب الطنبور حتى يبلغوا منه ما يريدون .

وقد رأيت بعينى شبابًا من الفسّاق فى بعض البساتين ، يضربون « بالدربكة » ضربات مثيرة ، فكانت الفتيات فى المنتزهات يلحقن بهم متأثرات بالعزف ، فيتوغلون بهن بين الأشجار . . وعلمتُ أن كثيرًا من المغنيين يتلقون رسائل من النساء المتأثرات بأصواتهم ، طالبات اللقاء !!

والغريبُ أن الغربيين الذين يقلِّدهم المسلمون فى موسيقاهم ، قد ملُّوا الغناء الجنسى الفاسق ، وحنُّوا إلى المعانى السامية والعواطف الراقية ، فقد نشرت بعض الصحف أن إذاعة الولايات المتحدة الأمريكية راجعت ١٨٠٠ أغنية شعبية لمعرفة أكثر هذه الأغنيات نجاحًا وأبعدها صدى . . وقد تبين أن الملل من الأغنيات الخليعة التى راجت رواجًا كبيرًا ، جعلت هذه الأغنيات لا تأتى فى المقدمة ، بينما دفع الحنين إلى حياة الأسرة والأم والطفولة (الأشياء التى حُرمَتْ منها الأمريكية) إلى تفضيل الأغانى التى تصور هذه الآمال المفقودة .

(١) ورد فى بعض الآثار : « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا ، وتزَيَّنوا وتنظفوا ؛ فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك ، فزنت نساؤهم » .

(٢) لعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يفعل ذلك ليستقبل زوجاته بالتقبيل ! وما أحلى أن يتفرق الزوجان صباحًا بالتقبيل ، ويلتقيا مساءً بالتقبيل ؛ لتبقى الذكريات مستمرة .

(٣) أجل عليها أن تتزين لك ولا تتزين للرجال الآخرين فى الشوارع والحفلات .

عليها ، فتستوجب حقَّها الذى لها علىَّ [١] ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ .

- وقد دخل على الخليفة عمر زوجٌ أشعثُ أغبر ، ومعه امرأته وهى تقول : لا أنا ولا هذا [٢] يا أمير المؤمنين ؛ فعرف كراهيةَ المرأة لزوجها ؛ فأرسل الزوجَ ليستحمَّ ، ويأخذَ من شعر رأسه ، ويقلِّم أظافره ، فلما حضر أمَرَهُ أن يتقدم من زوجته ، فاستغربته ونفرَتْ منه ، ثم عرفتْهُ فقبِلَتْ به ورجعَتْ عن دعواها .

---

(١) قال القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس ما ملخصه : « فإنما يعمل الرجل اللائق ، ليكون عند امرأته فى زينة تسرها ، ويعفها عن غيره من الرجال . ومما قاله : « وأما الطيب والسواك ، والخلال ، والرمى بالدرن (الوسخ) وفضول الشعر ، والتطهر ، وقلم الأظافر ، فهو بيِّن موافق .

ثم قال : عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجال ، فيعفها ويغنيها عن التطلع إلى غيره ، وإن رأى الرجل من نفسه عجزًا عن إقامة حقها فى مضجعها أخذ الأدوية التى تزيد فى باهه وتقوِّى شهوته حتى يُعفها » .

(٢) أى خلصنى منه .

جاء فى كتاب « تحفة العروس » : « النساء لعبُ الرجال ؛ فليزيِّن الرجل لعبته ما استطاع ! » .

إن الزينة أدعى لشهوة الرجل وأملأ لعينه ، وأظهر لمحاسن المرأة وأدوم للألفة والمودة ! وقال أبو الفرج فى كتاب « النساء » ما معناه :

إن المرأة تحظى عند زوجها - بعد تمام خلقها وكمال حسنها - بأن تكون مواظبة على الزينة والنظافة ، عاملة بما يزيد فى حسنها من أنواع الحلى واختلاف الملابس ووجوه التزين بما يوافق الرجل ويستحسنه منها فى ذلك ، ولتحذر كل الحذر أن يقع بصرُ الرجل على شىء يكرهه من وسخ أو رائحة مستكرهة ، أو تَغيُّر مستنكر .

وإن الخطر فى تضييعه عائد عليها خشيةَ أن يتبين لبعلها التقصير منها ، فتطمح نفسه إلى غيرها . . . وتضاعف الزوجة من تزينها فى الأوقات التى ذكرها الله سبحانه فى القرآن ، ونهى الأرقاء والأطفالَ من الدخول على الزوجين أثناءها إلا بإذن :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ﴾ [النور : ٥٨] الآية أ هـ .

ومهما كان من شأن الزينة فيجب على المرأة أن لا تبالغ فيها ، ولا تجعلها أكبر همها ومبلغ علمها ، وأعظم مشاغلها ، وإلا برهنت على خفتها وجهلها وسطحية تفكيرها . إن البساطة والاعتدال فيهما الجمال كل الجمال ، وفى الإغراء والإغواء الضرر كل الضرر ! وعلى كل حال ؛ فإن المرأة المسلمة بمنجاة من المبالغة فى الزينة والدهونات التى تأتينا من الغرب على الدوام ؛ لما فى التشبه بالأجنبيات من التحريم الشديد ؛ محافظة على شخصيتها وأصالتها .

فقال عمر : وهكذا فاصنعوا لهن ؛ فوالله إنهن ليُحْبِبْنَ أن تتزينوا لَهُنَّ كما تحبونَ أن يتزينَّ لكم !

* « إذا دخلت ليلا فلا تدخل [١] على أهْلِكَ حتى تستَحِدَّ المغيبة [٢] ، وتمتشط الشَّعِثةُ [٣] : الكيْسُ [٤] الكَيْسَ » (م) بنحوه .

* « عَشرةٌ مِـــنَ الفطرة : قَـــصُّ الشارب [٥] ، وإعفاءُ اللحية [٦]

---

(١) جاء فى « فيض القدير » ما ملخصه : « أنه لو قرب سفره بحيث تتوقع حليلته إتيانه ، فتتأهب : فلا يُكره . . بزوال العلة المقتضية للكراهة وهى عدم تأهب حليلته فيعافها » .

وللحديث غاية أخرى وهى عدم تطلُّب عثرات زوجته . .

ولا يقول عاقل فضلاً عن عالم : إن الإنسان ينبغى له التغافل عن أهل بيته وإهمال النظر فى دواخل أحوالهم ؛ ليتمكنوا من فعل ما شاءوا من ضروب الفساد ويستمر ذلك مستورًا عليهن ، واستكشافه لأحوالهم لا ينافى الستر المطلوب ؛ فإنه إن رأى ريبة كتمها وفارق أهلَه أو أدَّب سرًّا وحسمَ طريقَ الفساد .

وفى هذا الحديث توجيهٌ لطيف وهامٌ للزوجة أن تعنى بهندامها ولا تظهر أمام زوجها إلا فى أجمل صورة وكأنها فى ليلة عرسها ، وكثيرًا ما تغفل بعض الزوجات هذه القضية الهامة ، فتظهر لزوجها بملابس رثَّة مما يسبب اشمئزازه ونفوره منها .

(٢) تستحدَّ المغيبة : التى غاب عنها زوجها فتزيل الشعر المأمورة بإزالته .

(٣) المرأة المتفرقة شعر رأسها .

(٤) أى انتبه وكن فطنا ، واستعمل العقل والصبر حتى لا تقع فى محرم ؛ كالجماع فى الحيض لطول العزوبة وامتداد الغربة .

(٥) يشير هذا الحديث إلى وجوب قص الشارب بقصد المبالغة بإزالة ما زاد على الشفة ، لا استئصاله وحلقه كما يفعل من أعفوا لحاهم ، وذلك جهل منهم بمعنى الحديث ، وقد كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه شاربان يفتلهما عند الغضب !

وقد سئل الإمام مالك عمَّن يُخفِى شاربه ؟ قال : « أرى أن يوجَعَ ضربًا » رواه البيهقى : (١/ ٣٥٣) .

(٦) إعفاء اللحية من وسائل جمال الرجل قبل أن تمسخ الفطرة فى العصور المتأخرة . ألا ترى أن الأسد أجمل من اللبؤة ، والديكَ أجمل من الدجاجة ، والطير أجمل من الطيرة ، وكل ذلك لوجود الشعر فى وجوهها . واللحية مِن أقوى العوامل فى تنشيط الجنس ؛ تساعد على إفراز هرمونات الذكورة فى الدم ، وبعكسها حلْقها فإنه يساعد على إفراز هرمونات الأنوثة بالدم بسبب التشبه بالنساء ! ومن المشهور قوة الشيوخ الجنسية (أى الملتحين) على غيرهم .

وقد ذكر الدكتور صبرى القبانى فى مجلته أن وجود اللحية يزيد فى إثارة المرأة عند العملية الجنسية .

فكم يخسر الرجل والمرأة من فقدان هذه اللحية ، وقد جاء فى الحديث النهىُ عن حلق اللحية ولعنُ من يتشبه بالنساء !!

والسواك [١] ، واستنشاق الماء ، وقص [٢] الأظافر ، وغسلُ البراجم [٣] ، ونتفُ الإبِطْ [٤] ، وحَلْقُ العانة ، وانتقاصُ الماء [٥] » . (م وغيره) .

---

(١) لقد اهتم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتنظيف الأسنان بالسواك (العود المعروف أو غيره) محافظةً على نظافة الأسنان وجمالها . وفى الحديث الصحيح : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك » .

(٢) ومما يؤسف له أن بعض النساء أخذت تخالف الفطرة بإطالة أظافرها حتى باتت كالوحش المفترس ، وهكذا مصير من يخالف فطرة الله ! وصبغ الأظافر بـ « المنيكور » محرم أيضا لما فيه من التشبه بالكافرات ولمخالفته للذوق والفطرة السليمة التى فطر الله تعالى الناسَ عليها ، وهو يمنع وصول الماء إلى البشرة فلا يصح الوضوء به ! .

والغريب أن المرأة التى تسمى نفسها حديثةً وتقدميةً تخالف بعملها فى إطالة الأظافر الفطرة والذوق السليم بحيث تظهر كهرة تنشب أظافرها .

(٣) البراجم : مفاصل الأصابع .

(٤) نتف الإبط خير من حلقه ، وهو سهل أثناء الحمام أو بعده ، والحلق قد يسبب الجروح وحدوث الخرّاج .

(٥) انتقاص الماء : هو الاستنجاء .

هذا - وما دمنا نتحدث عن وجوب تزين المرأة لزوجها ، نسوق الموضوع التالى عن كتاب الهلال : « سعادة لكل يوم » للأستاذ ماهر قنديل :

فكل امرأة تمر بدورات من الرغبة الجنسية ترتبط بالعادة الشهرية والاختلاف فى توازن الهرمونات . والوقت الذى تصل فيه المرأة إلى قمة رغبتها مسألة تتفاوت بين سيدة وأخرى ، فبعض السيدات يبلغ القمة قبل العادة الشهرية ، فى حين يبلغها بعضهن بعدها .

وقد يكون الاندفاع الهرمونى للفترة التى تبلغ فيها الإثارة قمتها مع بعض العوامل الأخرى هو السبب الحاسم فى تعرض المرأة للتأثر بسحر الرجل الآخر .

ومن العوامل الجسمية الأخرى التى تدفع المرأة فى هذا الاتجاه تلك الفترة التى يطلقون عليها « سن اليأس » . . أى الفترة التى تتوقف فيها العادة الشهرية عن الظهور . .

ومجتمعنا - كغيره من المجتمعات - يترك فى ذهن المرأة آثارًا سيئة عن سن اليأس ؛ إنه يوحى إليها بأن كل شىء فى حياتها فى الطريق إلى الذبول ؛ جمالها ، فتنتها ، نشاطها ، حيويتها . . كل ذلك سائر إلى نهايته الحزينة !

والمرأة فى كثير من الأحيان لا تستطيع أن تقاوم هذه الإيحاءات . . لا تستطيع أن تقف موقف التحدى من شائعات ثبت علميا أنها غير صحيحة !! ولكنها فى العادة تلجأ إلى مرآتها فيصيبها الذعر إذا ما رأت الشعيرات البيضاء تتسلل إلى رأسها ، أو إذا رأت بعض التجاعيد تدغدغ هذا الجزء أو ذاك فى وجهها .

ماذا تفعل فى هذه الحالة ؟ =

النهْىُ عن نتفِ الحواجبِ والوجهِ ووصلِ الشعرِ

* « لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الواشمات [١] والمستوشمات [٢] ، والنامصات [٣] ، والمتنمصات [٤] ، والمتفلجات [٥] لِلْحُسْنِ المغيِّرات خَلْقَ الله » (خ.م) وغيرهما .

* « لعن الله الواصلةَ [٦] والمستوصلةَ » . (خ.م) .

= تتشبث بما يرضى رغبتها فى أن تبدو كما كانت فتاة العشرين أو الثلاثين . فتلجأ إلى وسائل التجميل تستنجد بها . . ولا بأس بالطبع فى أن تلجأ المرأة فى كل مراحل حياتها إلى وسائل التجميل . . فالمرأة التى تحترم نفسها هى التى تحرص على أن تبرز أجمل ما فيها . .

ولكن المأساة تتمثل فى المبالغة التى تبعد المرأة عن كل معانى الاحترام وتدفعها إلى الجانب الآخر . . جانب الزراية بها والسخرية منها .

وتبلغ المأساة ذروتها عندما تتناسى المرأة كل شىء . . اتزانها ، ووقارها ، وعقلها ، وبيتها ، وزوجها ، وأولادها ، لتلبى إشارة يلوِّح بها عابث ، أو رغبة يكشف عنها مخادع ، وذلك لا لشىء إلا لتثبت لنفسها أنها ما زالت شابة قادرة على إغراء الرجال وإيقاعهم فى حبائل جمالها .

وقد تُحِسُّ المرأةُ فى الفترات المتقدمة من العمر أن النهاية قريبة ، فتصاب بشىء من الفزع يدفعها إلى اقتناص كل فرصة مواتية ليتحقق فيها شيئا من رغباتها . .

وهى بذلك إنما تخدع نفسها ؛ لأن اقتناص الفرص فى مثل هذه الظروف لن يحقق لها من اللذة مقدار ما يترك لها من الألم . . فالمجتمع قابع فى أعماقنا ، وهو لن يرحمنا من عذابه إذا ما تحرك حارسه الذى يسمى « الضمير » .

(١) جمع واشمة ، من الوشم ، وهو غرز الإبرة ونحوها فى الجلد حتى يسيل الدم ، ثم حشوه بالكحل أو النيل فيخضر .

(٢) جمع مستوشمة : وهى التى تطلب الوشم .

(٣) جمع نامصة : وهى التى تفعل النماص .

(٤) المتنمصات جمع متنمصة : وهى التى تطلبه . والنماص : إزالة شعر الوجه بالمنقاش ، وأضرار ذلك على الصحة وسرعة تجعيد الوجه مما لا يخفى ، وكذلك يحرم على المرأة نتف غير الوجه أيضًا .

(٥) المتفلجات : جمع متفلجة : وهى التى تطلب الفلج ، وهو فرجةُ ما بين الأسنان ، والتفلُّج أن يفرج ما بين المتلاصقين بالمبرد ونحوه .

(٦) التى تزيد الشعر للمرأة بوصله بغيره ، كما هى - ويا للأسف - موضة اليوم . ويدخل فى ذلك وضحُ ما يُعرف (بالبروكة) و(البوستيج) .

نهى النساء عن قَصِّ الشعرِ وكيِّه تقليدًا للأجنبيات

* « لعن رسولُ الله ﷺ المتشبهين من الرجال وبالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال » . (خ. د. حم) .

* « مَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم » [١] (د. حم. طح) (ص) .

النهيُ عَنْ خاتَمِ الذَّهَبِ [٢]

* « رأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتمًا من ذهب فى يد رجل فنزعه ، فطرحه وقال : « يعمِدُ أحدُكم إلى جمرةٍ من نار ، فيجعلها فى يده » !!

فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خُذْ خاتَمكَ وانتفِع به .

قال : لا والله لا آخُذُه أبدًا وقد طرحه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم » . (م. ن. طب) .

* « أبصر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فى يد رجلٍ خاتمًا من ذهب ؛ فجعل يقرعه بقضيب معه ؛ فألقاه ، فقال الرسول ﷺ : « ما أرانا إلا قد أوْجَعْناك وأغرمناك » . (ن. حم) (ص) وسنده صحيح .

* « مَن كان يؤمِن بالله واليوم الآخر فلا يلبَسْ حريرًا ولا ذهبًا » (حم) ح .

---

(١) مما سبق ندرك مبلغ تحريم قص المرأة شعرها إذا كانت تقلِّد فى ذلك الرجالَ والأجنبيات من النساء .

أما إذا كان قص الشعر لغير غاية التشبيه : فلا يحرم لما رواه مسلم (١/١٧٦) عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : دخلتُ على عائشة أنا وأخوها من الرضاعة ، فسألها عن غسل النبى ﷺ من الجنابة . . . قالت : وكان أزواج النبى ﷺ يأخذن من رءوسهن حتى تكون كالوفرة (هى من الشعر ما كان إلى الأذنين ولا يجاوزهما) . وأما كى الشعر وتصفيفه : فالتشبه فيهما بالأجنبيات واضح وأكيد ، لذلك كانا حرامًا !

(٢) إن الإسلام ينهى عن لبس الخاتم للرجال والنساء على السواء ، إذا كان باسم خاتم الخطبة ، ولو كان من فضة ؛ لأنه عادة غيـــر إسلامية ، والشارع يحرص على محافظة المؤمن على شخصيته الإسلامية . وقد جاء الحديث الصحيح : « من تشبه بقوم فهو منهم ! » .

جاء فى كتاب : « آداب الزفاف » للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ما يلى :

« ويرجع ذلك - أى عادة التختم بخاتم الخطبة - إلى عادة قديمة عندما كان العروس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى ويقول : باسم الآب ، ثم ينقله واضعًا على رأس السبابة ويقول : وباسم الابن ، ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول : وباسم روح القدس . وعندما يقول : « آمين » يضعه أخيرًا فى البنصر حيث يستقر .

تحريمُ الذهبِ حتى على النساءِ أنْفُسِهنّ !

الأحاديث :

* « مَن أحَبَّ أن يُحَلِّق حبيبه [١] بحلقة مِن نار فَلْيُحَلِّقْه حلقةً من ذهب ، ومن أحبّ أن يطوِّقَ حبيبه طوقًا من نار فليطوقه طَوقًا من ذهب ، ومن أحب أن يُسوِّر حبيبه سوارًا من نار فليسوِّره سوارًا من ذهب . ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها » . (د. حم) (ص) .

* عن ثوبان رضى الله عنه قال :

جاءت بنت هبيرة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفى يدها فتخٌ من ذهب (أى خواتيم كبار) ، فجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم يضرب يدها بُعصيَّةٍ معه يقول لها : « أيسرُّكِ أن يجعل الله فى يدك خواتيم من نار ؟! » فأتت فاطمة تشكو إليها . قال ثوبانَ : فدخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وأنا معه ، وقد أخذت من عنقها سلسلةً من ذهب فقالت : هذا أهدَى لى أبو الحسن (تعنى زوجَها عليًا رضى الله عنه) - وفى يدها السلسلة - فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « يا فاطمة ! أيَسُرُّكِ أن يقول الناس : فاطمة بنت محمد فى يدها سلسلة من نار ؟! » ثم عذمها (أى عنَّفها) عذمًا شديدًا ، فخرج ولم يقعد ، فعمدت فاطمة إلى السلسلة فباعتها فاشترت بها نسمةً

---

(١) وقد يقول قائل : كيف نجمع بين هذه الأحاديث المحرمة للذهب على النساء وبين الحديث الذى أباحه لهن : « أحل الذهبُ والحرير للإناث من أمتى وحرم على ذكورها » .

(حم . ن . ت . وصححه) .

فالجواب : إن هذا الحديث مطلق قيَّدته الأحاديث السابقة فيحرم على النساء السوار والطوق والحلقة من الذهب ، وإنهن فى هذه المذكورات كالرجال فى التحريم . وإنما يباح لهن ما سوى ذلك من الذهب المقطع ؛ كالأزرار والأمشاط ونحو ذلك من زينة النساء .

وقد رد الأستاذ محمد ناصر الدين الألبانى فى كتاب « آداب الزفاف » على الشبهات التى تدور حول هذا الموضوع ، فليراجعها من شاء .

وكم أتمنى أن تقتنع النساء بهذه الأحاديث ، فيتركن استعمال السوار والطوق والحلق من الذهب ؛ فإنه أحفظ للثروة وللرصيد الذهبى وأصون لشرفهن ؛ فإن فى ذهابهن إلى صانعى الحلى خطرًا شديدًا ، وهناك حوادث أخلاقية كثيرة وقعت من قبل كثير من هؤلاء الباعة فضلاً عن الغش والسرقة .

فليعتبر بكل ذلك الرجال والنساء على السواء !!

وينبغى أن نذكر بهذه المناسبة أن هذا الحلق من الحلى تُخفى كثيرًا من محاسن المرأة ، وهى قيود وأغلال فى يدها وعنقها . وفى الجواهر والحلى الاصطناعية الرخيصة غنى عن هذه الترهات والسخافات التقليدية إذا كان لا بد منها !

فأعتقتها . فبلغ ذلك النبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « الحمد لله الذى نَجَّى فاطمةَ مِنَ النار » . (ن . طيا . حا . وغيرهم) ص .

* عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت : جعلت شعائر من ذهب فى رقبتى ، فدخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأعرض عنى . فقالت : ألا تنظر إلى زينتى ؟

فقال : « عن زينتك أُعْرِضُ » . قالت : فقطعتُها ، فأقبل علىَّ بوجهه . قال : (أى راوى الحديث) زعموا أنه قال : ما ضَرَّ إحداكن لو جعلت خِرصًا من وَرِقٍ ثم جعلته بزعفران (أى صفَّرته بزعفران) ؟! » . (حم . طب) ح .

* * *

إنَّ الله جميلٌ [1] يُحبُّ الجمالَ

الآيات :

- ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [2] [فاطر : ١] .
- ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

---

(١) قال الإمام ابن القيم : ومن أسمائه الحسنى الجميل ، ومَن أحقُّ بالجمال ممن خلق كل جمالٍ فى الوجود ؟! فهو من آثار صنعه ؛ فله جمال الذات وجمال الأوصاف ، وجمال الأفعال ، وجمال الأسماء ؛ فأسماؤه كلها حسنَى ، وصفاته كلها كمال ، وأفعاله كلها جميلة .

فلا يستطيع بشر النظر إلى جلاله وجماله فى هذه الدار ، فإذا رآه المسلمون فى جنات عدن أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم ، فلا يلتفتون حينئذ إلى شىء غيره . ولولا حجاب النور على وجهه لأحرقت سبحات وجهه سبحانه وتعالى ما انتهى إليه بصره من خلقه (رواه مسلم) روضة المحبين ٤١٤ - ٤١٥ .

جاء عن الحسن - كما جاء فى تفسير ابن كثير ، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال : حسنة . ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهى تنظر إلى الخالق .

وقد كان من دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك » . (حم . ن . حب فى صحيحه) .

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا دخل أهلُ الجنة الجنةَ نادى منادٍ : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه . فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ، ويُدخلنا الجنة يُجِرْنَا من النار ؟ » .

فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ولا أَقَرَّ لأعينهم . [رواه مسلم وغيره] .

(٢) قال ابن القيم : قالوا فى تفسيره : هو الصوت الحسن والصورة الحَسَنة . قال : وهذا زينة الظاهر ، وهذا زينة الباطن . =

الأحاديث :

* « إنَّ اللَّهَ لا ينظر إلى صُوَرِكم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . (م . هـ) .

* قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

= وبمناسبة الكلام عن الجمال الظاهر والجمال الباطن قال الإمام ابن القيم فى « روضة المحبين » :

اعلم أن الجمال ينقسم إلى قسمين : ظاهر ، وباطن . فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته ، وهو جمال العلم والعقل ، والجود والعفة والشجاعة . وهذا الجمالُ الباطن هو محلُّ نظر الله من عبده وموضع محبته كما جاء فى الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . رواه مسلم .

وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة ، وإن لم تكن ذات جمال ، فيكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات .

وأما الجمال الظاهر : فزينةٌ خصَّ الله بها بعض الصور عن بعض هى من زيادة الخلق التى قال الله تعالى فيها : ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ قالوا : هو الصوت الحسن والصورة الحسنة .

وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده ، فالجمال الظاهر نعمةٌ منه أيضًا على عبده توجب شكرًا ، فإنْ شكره بتقواه ازداد جمالاً على جماله ، وإن استعمل جماله فى معاصيه سبحانه : قلبه له شينًا ظاهرًا فى الدنيا قبل الآخرة ، فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحًا وشينًا ، وينفر عنه كل ما رآه . فكل من لم يتق الله عز وجل فى حسنه وجماله انقلب قبحًا وشينًا بين الناس ، فحُسنُ الباطن يعلو قبحَ الظاهر ويستره ، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره :

يا حَسَنَ الوجه تَوَقَّ الخنا ... لا تُبدِّلَنَّ الزَّيْنَ بالشَّيْن
ويا قبيح الوجه كن محسنًا ... لا تجمعَن بين قبحَيْن

وقد جاء فى الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها : « اللهم كما حسَّنْتَ خَلْقى فحسِّن خُلُقى » .

وخرج أبو حازم يرمى الجمارَ فى الحج ومعه قومٌ متعبدون ، وهو يكلمهم ويحدثهم ، فبينما هو يمشى معهم ، إذ نظر إلى فتاة ترمى الناس بطرفها يمنةً ويسرة ، وقد شغلت الناسَ ، وهم ينظرون إليها مبهوتين ، فقال لها أبو حازم : « يا هذه اتقى الله ؛ فإنك فى مشعر من مشاعر الله عظيم ، وقد فتنت الناس ، فاضربى بخمارك على جيبك (أى صدرك) فإن الله عز وجل يقول : ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ . فأقبلت تضحك من كلامه وقالت : إنى والله من اللائى لم يحججن يبغين حسنة ولكن ليقتلن البرىءَ المغفلَ . أ . هـ باختصار عن كتاب « روضة المحبين » (٢٢٠ - ٢٢٥) . قبَّحَ الله مثل هذه الجميلة قبيحة النفس :

جمالُ الوجه مع قبح النفوس ... كقنديلٍ على قبرِ المجوسى!

« لا يدخلُ الجنةَ مَن كان فى قلبه مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » !

قالوا : يا رسول الله الرجل يحبُّ أن تكون نعلُه حَسَنَةً ، وثوبهُ حسنًا ، أفذلك مِن الكبر ؟

قال : « لا إن الله جميل يحب الجمال ؛ الكِبْرُ [١] : بَطَرُ الحقِّ ، وغَمْطُ الناس » (م. د. ت) .

الطِّيبُ يسبِّبُ المحبةَ

الأحاديث :

* « حُبِّبَ إِلىَّ من دنياكم النساءُ والطِّيبُ [٢] ، وجُعِلت قرةُ عينى فى الصلاة » . (حم. ن. هق) ص .

* عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة سألت النبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم عن غُسلها من الحيض ، فأمرها كيف تغتسل ؛ قال :

---

(١) وقال : فبطرُ الحقِّ جَهْدُه ودفعُه بعدَ معرفته . وغمط الناس : النظر إليهم بعين الازدراء والاحتقار والاستصغار لهم .

ولا بأس بهذا إذا كان لله أ . هـ .

أي بأن يحتقر أعداء الله باحتقار أهل المعاصى والخيانة !

ومثلهم المبتدعة الذين يبتدعون ويزيدون فى دين الله ما ليس منه وهم يَحْسَبون أنهم يحسنون صنعًا .

(٢) قال بعضهم : تزيُّن المرأة وتطُّيبها لزوجها من أقوى أسباب المحبة والألفة بينهما ، وعدم الكراهة والنفرة ؛ لأن العين - ومثلها الأنف - رائد القلب ، فإذا استحسنت منظرًا أوصلته إلى القلب ، فحصلت المحبة . وإذا نظرت منظرًا بشعًا أو ما لا يعجبها من زى أو لباس تلقيه إلى القلب فتحصل الكراهية والنفرة .

ولهذا كان مِن وصايا نساء العرب لبعضهن : إياك أن تقع عين زوجك على شىءٍ يستقبحه أو يشم منك ما يستقبحه . [المناوى فى فيض القدير] .

ونظرًا لخطورة الطيب وقوة تأثيره ، نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، عن خروج المرأة متعطرة إلى الشارع ، كى لا تفتن الرجال ، وتثيرهم !

وبمناسبة الكلام على الطيب ننصح بتعديد أنواعه وعدم الاقتصار على نوع واحد ، فيُملّ ويُصبح عادة ، كما ننصح باختيار ما يرغب فيه الطرف الآخر من أنواع العطور ، وينبغى أن نحذر مما يدخل الكحول فى تركيبه فإنه خمر ، وقد لُعن حاملها فى الحديث النبوى الصحيح !! وفى العطور الأخرى غِنًى عن ذلك .

« خذِى فِرْصَةً مِن مِسْكٍ فتطهَّرى بها .

قالت : كيف أتطهر بها ؟.

قال : تطهَّرِى بها !

قالت : كيف ؟

قال : سبحان الله !! تطَهَّرِى بها .

فاجتذبتُها إِلىَّ - أى عائشة - فقلت : تَتَبَّعِى أَثَرَ الدم » [١] . (خ.م) .

* « كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سُكَّةٌ [٢] يتطيب منها » (د) ح .

* « كان ابن عمر يستجمر بالألوة [٣] غير مُطراة ، وبكافور يطرحه مع الألوة ، ويقول : هكذا كان يستجمر رسولُ الله ﷺ » (م.ن) ص .

* « طِيبُ الرجال ما ظهرَ رِيحُهُ ، وخَفِىَ لونُهُ ، وطيب النساء : ما ظهر لونه وخَفِىَ ريحُه » (ت.ن) ص .

* « أطيبُ الطيبِ المسْكُ » (د) (ح.ص) .

* « مَن عُرض عليه ريحانٌ فلا يَرُدَّه ؛ فإنه طيِّبُ الريح ، خفيف المحمل » . (م) .

* « كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يردُّ الطِّيب » . (خ.ن) .

* * *

(١) والمعنى أن المرأة بعد الطهر من الحيض ، تأخذ قليلا مِن مسك - أو غيره من الروائح الطيبة - فتجعله فى قطنة أو صوفة أو خرقة أو نحوها فتجعله فى الفرج لتطيِّب المحل ، وتزيل الرائحة الكريهة . ولا يخفى ما فى ذلك من جلب المحبة .

(٢) نوع من العطر .

(٣) الألوة بفتح الهمزة وضَمّها : العود يُتبخر به ، والعود المُطْرَى : هو المطيَّب .

فى مَخدعِ العُرسِ والسَّعَادةِ

ملاطفةُ الزوجةِ عند الدخولِ بها

الأحاديث :

* عن أسماء بنت يزيد بن السكن :

قيَّنْتُ [١] عائشةَ لرسول الله ﷺ ، ثم جئتُه فدعوتُه لجَلْوَتها ، فجاء إلى جنبها فأتَى بعسٍّ (قدح) لبنٍ ، فشرب ، ثم ناولها النبئ ﷺ ، فخفضت رأسَها واستحْيَتْ [٢] .

---

(١) زيَّنتُها للنظر إليها مجلوة مكشوفة ، والجلوة عادةٌ عربية وإسلامية . وقد جلا النسوةُ عائشة للنبى ﷺ . ودخول أم الزوجة أو الزوج معهما إلى مخدع العرس بعض الزمن من الفائدة بمكان ؛ كى تستأنس العروس وتزول وحشتها ببعض الأحاديث والمداعبات . والحذر من إدخال غيرهما !!

قال مؤلف « تحفة العروس » : وينبغى للمرأة التى تتولى جلاء العروس أن تعرض على الرجل جميعَ محاسنها وتُظهر له ما خفى من خضابها أو زينتها . فإن أغفلت شيئًا من ذلك نبهتها العروس له ، بيدٍ أو رجلٍ ! أو إشارة ! قالت رعيب الماشطة : جلوتُ ربا بنت الحجاب على زوجها قدامة بن وكيع . وكانت جارية « سمينة » تنظر بعيني مهاة « غزالة » وتلتفت عن جيد غزالة فاتنة الحسن ، جامعة الخلق ، قالت : فإنى لأرفع يدها لأرى زوجَها حُسن خضابها ، إذ أخرجت رجلها من تحت غلالة ، فعلمتُ ما تريد ، فجعلت أريه مرةً يدها ومرة رجلها . فقال لى : رعيب إنى لأنظر إليها بكل نظرى فكلما ارتد طرفى إلى بدنها ، مال إلى رجلها ، فما قضيت وطرى من حلاوة نظرى ، قالت : فكان ذلك يعجب العروس !!

(٢) ولعل فى تصرف عائشة - رضى الله عنها - نوعًا من الدلال بالإضافة إلى الخجل . والدلال ضرورى ! وهو يثير عاطفة الرجل ويزيد من قوتها ونشاطها ، على أن لا يزيد هذا الدلال على حد الاعتدال . وإلا سبَّبَ نفورَ الرجل وظنَّه ببغض زوجته له . وفى تصرُّف الرسول ﷺ درس للشباب الذين يسيئون التصرف فى الليلة الأولى من العرس ، فيتخطون حدود اللياقة والكياسة فيتعجلون تحقيق الاتصال الجنسى دون مقدمات لاستئناس الزوجة وإبعاد الخجل عنها بصورة تدريجية . إن الليلة الأولى من حياة الزوجين ذات خطورة فى توليد الحب أو البغض .

قال مؤلف « تحفة العروس » : « ويستحسن للمرأة ليلة البناء بها أن لا تفرط فى التمنع على زوجها فيما يريد منها ، ولا بأس بالامتناع الخفيف الذى يهيجه ويقوى حرصه !

فإن قوى امتناعها فربما يؤدى إلى انكسار رغبته وعجزه عن الافتضاض من ليلته تلك . . . وربما تمادى انكسار رغبته أول ليلة إلى انكسارها زمنًا طويلاً ، فيجب على المرأة أن تحذر كل الحذر من هذا ! » .

قال صاحب « نثر الدر » ، وأبو الفرج فى « الأغانى » : لما أُهديت إحدى العرائس إلى زوجها وكان خليفةً وكان أخوها زوَّجها منه ووضع لها سريرًا إلى جانب سريره ، فجلست عليه ، ثم قال =

قالت أسماء : فانتهرتُها وقلت لها : خذى مِن يد النبى ﷺ .

= لها : إما أن تقومى إلىَّ ، وإما أن أقوم إليك ! فقامت إليه وجلست معه ، فوضع قلنسوته وقال : لا يروعك ما ترين من صلعى ، فإن وراء ذلك ما تحبين ! فقالت : إنى من نسوة أَحَبُّ أزواجهن إليهن الكهول الصُّلْع ! فأمرها أن تخلع ثيابها قطعةً قطعة بالتدريج ! ثم قال : حلِّى إزارك ، قالت : ذاك إليك ! (أى هذه وظيفتك بأن تحله بنفسك) قال : صدقت . فبنَى بها ، فأعجبته .

وبمناسبة الكلام عن تجريد الزوجة من ثيابها ، قالت إحدى العالمات النفسيات وتدعى مارى ستوب - وهى تعبر عن رغبة بنات جنسها : « . . . ويجب على الرجل أن يتجرد هو من ثيابه أيضًا بشكل لا يدعو إلى العجب ، بل بشكل عادى وبصورة تدريجية كى لا تفاجأ الزوجة ؛ لأنه لا يجوز مطلقًا أن تكون الزوجة عارية ، وهو بكامل ثيابه حتى لا تفسر الزوجة هذا تفسيرات خاطئة » .

قد يقول قائل : كيف يصح تعرية المرأة وقد جاء فى الحديث : « إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته ، فلا ينظر إلى فرجها ؛ فإن ذلك يورث العمى » ؟!

فأجيبُ أن هذا الحديث موضوع ؛ كما قال الإمام ابن الجوزى فى كتابه « الموضوعات » ، والنظرُ الصحيح يدل على بطلان هذا الحديث ، فإن تحريم النظر بالنسبة للجماع من باب تحريم الوسائل ، فإذا أباح الله تعالى للزوج أن يجامع زوجته ، فهل يعقل أن يمنعه من النظر إلى فرجها ؟! اللهم لا . ويؤيد هذا مِن النقل حديثُ عائشة قالت : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناءٍ بينى وبينه واحد ، تختلف أيدينا فيه فيبادرنى حتى أقول : دع لى دع لى ، وهما جُنبان » [رواه البخارى وغيره] .

فإن الظاهر من هذا الحديث جواز النظر ، ويؤيده رواية ابن حبان من طريق سليمان بن موسى أنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته ، فقال : سألتُ عطاء ، فقال : سألتُ عائشة فذكرت هذا الحديث بمعناه . قاله الحافظ فى الفتح (١/ ٢٩٠) : « وهو جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه » وإذا تبين هذا فلا فرق حينئذ بين النظر عند الاغتسال أو الجماع ، فثبتَ بطلانُ الحديث . فيا للذوق الإسلامى السليم .

ومثلُ هذا الحديث فى الوضع حديثُ : « لا تُكثروا الكلام عند مجامعة النساء ؛ فإن منه يكون الخرس والفأفأة » فهو ضعيف جدًا كما جاء فى كتاب الأحاديث الضعيفة والموضوعة [ح١ جـ٢ ص٩٨] .

ومثله فى الضعف حديث : « إذا أتى أحدُكم أهلَهُ فليستتر ولا يتجرَّدا تجرد البعيرين » ضعَّفه البيهقى والنسائى وغيرهما وقالوا : « حديث منكر » ولله دَرُّ من قال :

واحذَر من الجماع فى الثياب ... فهو من الجهل بلا ارتياب

بل كلّ ما عليها - صاحِ - فانزَعْ ... وكُنْ ملاعبًا لها لا تَفْزَعْ

ومهما كان من شأن تعرية الزوجة ووضع كنوزها أمام الرجل فلتتحاش أن يرى منها زوجها مواضع القبح قدر استطاعتها !

جاء فى كتاب « صيد الخاطر » للإمام ابن الجوزى : رأى كسرى يومًا كيف تُسلخ الحيوانات وتطبخ ، فتقلبت نفسه ونفى اللحم (كرهه) ، فذكر ذلك لوزيره ، فقال : « أيها الملك ! الطبيخُ على المائدة ، والمرأة على الفراش » . ومعنى ذلك : لا تفتش عن كل شىء !

قالت : فأخذتْ فشربتْ شيئًا ، ثم قال لَها : أعْطِ تِرْبَكِ [١] (صديقاتك) » الحديث (حم) وغيره (ص) .

ما يقولُ الزوجُ إذا دخلَتْ عليه امرأتُه ليلةَ الزفافِ

الحديث :

* « إذا تزوج أحدُكم امرأةً فليأخذ بناصيتها (أى بمقدَّمِ رأسِها) ويُسَمِّ اللهَ عَزَّ وجلَّ وليَدْعُ بالبركة وليقُل :

« اللهم إنى أسألُكَ مِنْ خيرِها وخيرِ ما جبلْتَها [٢] عليه ، وأعوذ بك مِن شَرِّها وشَرِّ ما جبلتَها عليه » . (خ . د . هـ) وغيرهم .

---

(١) وهكذا تمت حفلة الزفاف وانتهت بدون تكلف وبكل بساطة : غناء متزن ودفٌ لإعلان النكاح وقدح كبير من اللبن ، وهو ما تيسر . فأين هذا مما يفعله اليوم الكثيرون ؟! فينفقون الأموال الضخمة وربما استقرضوها بالربا للرياء والفخر ، فيكبدون الرجل النفقات الباهظة التى تثقل كاهله سنين وسنين ، وقد تطوَّح بمستقبله ومستقبل أسرته أيضًا بسبب مطالبة صاحب الدَّين وحجزه على أمواله !

زِدْ على ذلك ما يرافق هذه الحفلات من محرَّمات : كاختلاط الرجال والنساء وهن شبه عاريات ، وإحضار المغنيات الفاسقات ، ومعاقرة الخمور ، كل ذلك لإرضاء الناس ولو بغضب الله تعالى . وهكذا نكون قد جعلنا من أفراحنا - بسبب الإسراف - سببًا فى شقائنا . كما جعلنا مآتمنا كذلك . ولله دَرُّ من قال :

ثلاثة تَشْقَى بهن الدارُ العُرس ، والمآتم ، ثم الزار

والزار هو ما يسمَّى فى بلادنا « بالنوبة » حيث يحضر للمريض جماعة من العاطلين والدجالين ، فيقرعون الطبول والدفوف بقصد شفائه بزعمهم ، ويأخذون الأموال الكثيرة أجرًا لهم .

(٢) جبلتها : خلقتها وطبعتَها عليه . وبمناسبة الكلام عن وضع اليد على رأس الزوجة والدعاء لها أُذكِّر الزوجين إلى أن الدعاء الوارد هو المفيد فى مثل هذه الحالة وحالة المرض مما هو مذكور فى كتب الأذكار والأوراد (أمثال كتابى : الأوراد المأثورة) .

والحذر الحذر من كتابة التمائم (الحُجُب) ووضعها ؛ فإنه لا فائدة منها مطلقًا ، فهى حرام . ومنها ما هو شِرْك إذا كان فيها استعانة بالجن والعفاريت كما هو شأن كثير من التمائم وفى مثلها قال النبى ﷺ : « التمائم شِرْك » . وقال أيضًا : « من علَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له ! » . والحديثان صحيحان .

فعلى الأسرة الإسلامية أن تكون واعية ، متفقهة فى دينها ، بعيدة عن البدع والخرافات والشعوذات .

ومن هذه الشعوذات البحثُ عن الكنوز داخل البيوت الذى يفتريه كثير من الدجالين واللصوص =

صلاةُ الزوجينِ معًا قبلَ الدخولِ

الحديث :

* قال عبد الله بن مسعود يوصِى رجلاً تزوَّج شابةً بِكرًا ، وقد خشى أن تبغضه : إذا أتتك ؛ فأمُرْها أن تصلِّى وراءك ركعتين ، وقل : اللّهمَّ بارِكْ [١] لى فى أهلى وبارك لهم فىَّ ، اللهم اجمعَ بيننا ما جمعتَ بخَيْرٍ ، وفرِّقْ بيننا إذا فرَّقْتَ بخير » . (د. هـ) .(ح) .

محادَثَةُ النساء

الآيـة :

● ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ [٢] وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا [٣] ﴾

[الأحزاب : ٣٢] .

= والمتسترين بأزياء الصالحين . وقد قصَّ علىَّ أحدُ الدمشقيين أن واحدًا من هؤلاء الدجالين أخبره أن الجن أعلموه أن فى داره كنزًا ، وأوهمه أنه قد خابر الجن أمامه ، وحفر فى ناحية وزعم أنه أخرج منها ليرات ذهبية أراه إياها - وكان قد أخرجها من جيبه خفيةً .

فاستطاع بهذه الحيلة أن يبتز منه ٥٠ ألف ليرة سورية بصورة تدريجية بمختلف الحيل والوصفات وأثمان كافور . . . و . . . ثم فرَّ منه بعد ما أفقره وصيَّره أجيرًا عند لَحَّام على الرغم من كِبَر سنه !!

وكم هناك أمثال هذه الحادثة التى تسبِّبُ الشقاءَ للأسرة .

(١) لا شك أن فى هذه التوجيهات - علاوة على الدعاء والصلاة وبالإضافة إلى دعاء الولد - ما يوحى إلى الزوج والزوجة أن الغاية الأولى من الزواج الذى بدأ فى هذه الليلة ، ليست المتعة فقط ، بل أداء واجب دينى أيضًا وإنجاب أطفال يملأون البيت تغريدًا وجمالاً فى صغرهم ، ويخدمون دينهم وأمتهم فى كبرهم بفضل تربيتهما لهم !

وهكذا يرفع الإسلام من معنويات الزوجين فى هذه الليلة ، ويجعل مفهوم العمل الجنسى فوق اعتبار اللذة الحيوانية التى هى وسيلة لا غاية !

كل ذلك يدعو الزوجين إلى التخفيف من إسرافهما فى طلب اللذة وادخار قواهما لأداء مهمتهما المقدسة .

(٢) قال أحد كبار الكُتّاب ما ملخصه : ينهاهن الله سبحانه حين يخاطبن الأغراب من الرجال أن لا يكون فى نبراتهن ذلك الخضوع واللين الذى يثير شهوات الرجال ، ويحرك غرائزهم ويُطمع مرضى القلوب ، ويُهيج الفتنة فى القلوب .

(٣) وقال أيضًا : نهاهن الله تعالى مِن قبْل عن النبرة اللينة ، واللهجة الخاضعة ، وأمرهن فى هذا أن يكون حديثهن فى أمور معروفة غير منكَرة ؛ فإن موضوع الحديث قد يُطمع مثل لهجة الحديث . فلا ينبغى أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء ، ولا هذر ولا هزل ، ولا دعابة ولا مزاح ؛ كى لا يكون مدخلاً إلى شىء آخر وراءه من قريب ولا بعيد . وإذا كان لحديث المرأة =

الحديث :

* عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما أُدخِلَتْ ابنةُ الجون على رسول الله ﷺ ودَنَا منها قالت : أعوذُ بالله منك [١] .

فقال : « عُذتِ بعظيم ؛ الحقِى بأهلكِ » . (خ) .

وغادرها من لحظته ، وأمر أن تَلحق بأهلِها .

= وصوتها هذا التأثير وهذا السحر ، فينبغى للزوجة أن توجه كل ذلك لزوجها حتى تسارع للوصول إلى شغاف قلبه !!

وقد تبارى الشعراء فى وصف روعة وفتنة حديث المرأة ، فنذكر بعض أقوالهم لنوقظ فى الزوجة ما عندها من فتنة ؛ لتستفيد منها فى حياتها الزوجية وحلّ معضلاتها بأقرب الطرق .

قال بشار :

وحديثٌ كأنه قِطَعُ الروْ ... ض وفيه الصفراء والبيضاء

وقال القطامى :

وهنَّ ينبذن مِن قولٍ يُصبن به ... مواقعَ الماء مِن ذى الغلةِ الصادى

وقال غيره :

وقد تكون بها سَلْمَى تحدِّثنى ... تَساقُط الحلى حاجاتى وأسرارى

شبَّه كلامها بعقدٍ انقطع فتساقط لؤلؤه .

وقال آخر :

حديثٌ لو أنَّ اللحم يصلَى بحرِّه ... غريضًا ، أتى أصحابه وهو منضج

والغريض : الطرى أى النيئ .

وقال غيره : كأن حديثها سكر الشراب .

وقال آخر :

وكأن تحتَ لسانها ... هاروتَ ينفثُ فيه سِحْرا

وكأنَّ رَجْعَ حديثها ... قِطَعُ الرياض كُسِين زهرا !

(١) ليس للاستعاذة موضع هنا ، وقد جنَى على هذه المرأة منطقُها . والعامة تقول : المناطق سعادة ! وقد كان يجدر بها بدلاً من الاستعاذة ، أن تؤهِّل بالرسول وتسهِّل بوجهٍ باشٍّ باسم ، وتتجاوب معه فى عواطفه !

وإلى القارئ والقارئة بعض نوادر وأخبار النساء اللاتى أفادهن ذكاؤهن وحُسنُ جوابهن :

حُكى أنه كان لهارون الرشيد جارية سوداء قبيحة المنظر ، فنثر يومًا دنانير بين الجوارى ، فصارت الجوارى يلتقطن الدنانير ، وتلك الجارية واقفة تنظر إلى وجه الرشيد .

فقال لها : ألا تلتقطين الدنانير ؟!

فقالت : إن مطلوبهن الدنانير ، ومطلوبى صاحب الدنانير ! . . فأعجبته ، فقرَّبها وأثنى عليها خيرًا ، فقام حُسْنُ كلامها مقام الجمال .

وجاء فى « نوادر الأذكياء » : =

وفى رواية : قال لها : « عُذتِ بعظيم الحقى بأهلِك » (خ) .

= عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج . فخرجت إليه جاريته الشاعرة - وكانت تحبه كثيرًا - فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد بن عبد الله :

دمعةٌ كاللؤلؤ الرطـ ـب على الخَدِّ الأسِيل
هطلتْ فى ساعة البَيْن مِن الطرف الكحيل

ثم قال : أجيزى . فقالت :

حين هَمَّ القمرُ البا هرُ عَنَّا بالأفول
إنما يفتضِحُ العُشّـ ـاق فى وقت الرحيل

- وقال المفضل : دخلت على الرشيد ، وبين يديه طبق ورد ، وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أُهديت له . فقال : يا مفضل قل فى هذا الورد شيئًا . فأنشأ يقول :

كأنه خدُّ مرموقٍ يقبِّله فمُ الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية :

كأنه لونُ خدى حين يدفعنى كفُّ الرشيد لأمرٍ يوجبُ الغُسْلا

- وقال الأصمعى : كنت عند أمير المؤمنين الرشيد ، إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع ، فتأملها الرشيد ثم قال : خذ جاريتك ، فلولا كلف فى وجهها وخنس فى أنفها لاشتريتها . فانطلق بها . فلما بلغت الستر قالت : يا أمير المؤمنين اردنى إليك أنشدك بيتين حضرانى . فردَّها ، فأنشأت تقول :

ما سَلِمَ الظبىُ على حُسْنه كلاّ ، ولا البدرُ الذى يوصف
الظبى فيه خنسٌ بَيِّنٌ والبدرُ فيه كلفٌ يُعرفُ

فأعجبته فاشتراها وقرَّب منزلها ، وكانت أحظى جواريه عنده .

- ولما عُرضت الخيزران على المهدى ، قال لها : والله يا جارية إنك لعلى غاية المتمنى ، لكنك حَمِشة الساقين .

فقالت : يا أمير المؤمنين ! إنك أحوج ما تكون إلىَّ ؛ لا تراهما !

فقال : اشتروها ! فحظيت عنده ، فأولدها موسى وهارون .

- وحكى أبو بكر الصولى أن المهدى اشترى جارية ، فاشتد شغفه بها ، وكانت به أشغف . وكانت تتجافاه كثيرًا ، فدس إليها من عرف ما فى نفسها ، فقالت : أخاف أن يملنى ويدَعنى فأموت ؛ فأنا أمنع نفسى بعض لذاتها منه لأعيش .

فأعجب المهدىَّ حوابُها وأنشد :

ظفرتْ بالقلب منّى غادةٌ مثل الهلال
كلما صَحَّ لها وُدّى جاءت باعتلال
لا تحب الهجْرَ منّى والتنائِى عن وِصالى

قال على بن الجهم : اشتريت جاريةً فقلتُ لها : ما أحسبك إلا بكرًا ؟! فقالت : كثرت الفتوحُ فى زمان الواثق ! =

ما يقولُ الزوجُ عندَ الجِماع

الحديث :

* ينبغى أن يقول حين يأتى أهله : « بسم الله ، اللهمَّ جنِّبنا الشيطانَ ، وجنِّب الشيطانَ ما رزقتنا » [(١)] . (خ) .

قال النبى ﷺ : « فإن قضى الله بينهما ولدًا ، لم يضرّه الشيطانُ أبدًا » . (خ) وغيره .

تحريمُ نشرِ أسرارِ الاستمتاعِ

الآيات :

● ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ [(٢)] ٱللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] .

= وقلت لها ليلة : كم بيننا وبين الصبح ؟ قالت : عناق مشتاق . ونظرت إلى الشمس كاسفة ، فقالت : احتشمتْ محاسنى فانتقبتْ .

وقلت لها ليلةً : نجعل مجلسنا الليلة فى القمر . فقالت : ما أولعك بالجمع بين الضرائر !

وكانت تكره الحلى وتقول : إن الحلى تستر المحاسن كما تغطى القبائح !!

ما أعظم ذوق هذه الجارية ! وما أجدر نساءنا بالزهد فى الحلى لما سبق من سترها للمحاسن ، وما تكبده للرجال من النفقات ، وما تسببه من مشكلات ، ومن لم يصدِّق فليسأل عن حوادث وجرائم كثيرٍ من صانعى الحلى الخلقية فى أسواق الصاغة !

يحكى أنه كان لرجل جارية خاصمها لبعض الأسباب وأعرض عنها أمام جماعة من النساء من أقاربه فأنشدت تقول :

وقالوا لها هذا حبيبك مُعرِضٌ ... فقالت ألا إعراضُه أيسرُ الخَطْبِ

فما هى إلا نظرةٌ وتبسُّمٌ ... فتصطكُّ رِجلاه ويسقط للحُبِّ !!

فطرب لقولها وسارع لمصالحتها !

وضع الخليفة المعتضد رأسه فى حِجر بعض جواريه ، فجعلت تحت رأسه مخدة ونهضت ، فلما انتبه قال : لِمَ فعلت ذاك ؟ وأكبرَه ! فقالت : كذا عُلِّمنا : أن لا يقعد قاعد بحضرة من ينام ، ولا ينام بحضرة قَاعد ! فاستحسن المعتضد ذلك منها واستعقلها .

(١) ما أروع هذا التوجيه النبوى الذى يدعو إلى البدء بذكر الله حين العملية الجنسية للإعلان عن هدفها السامى وطهارتها ، بخلاف نظرية بعض الأديان الأخرى التى تعتبر هذه العملية قذارة ولوثة ، مما يصطدم مع الفطرة السليمة !

(٢) أى حافظات لما يجرى بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه ويجمل ستره ، كما قال أحد المفسرين .

الحديث :

* عن أسماء بنت يزيد ، أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود ، فقال : « لعل رجلاً يقول ما يفعلُ بأهله ، ولعل امرأةً تُخبر بما فعلت مع زوجها ؟ فأرِمَ[(١)] القومُ ، فقلت : إى واللهِ يا رسول الله ، إنهن ليفعلن ، وإنهم ليفعلونه[(٢)] . قال : فلا تفعلوا ؛ إنما ذلك الشيطانُ لَقِىَ شيطانةً فى طريقٍ فغَشِيَها ، والناسُ ينظرون »[(٣)] (حم) وله شواهد يقْوَى بها إلى درجة الحسن .

---

(١) أى سكتوا ولم يجيبوا .

(٢) ومن عادة بعض الرجال - ويا للأسف - أن يصف لأصحابه حتى جمال امرأته مما يؤدِّى ببعضهم إلى عشقها والافتتان بها ونصب شباك الحيل للوصول إليها ، وقد وقعت حوادث مؤسفة كثيرة نتيجةَ ذلك ، فالحذر الحذر .

(٣) جاء فى كتاب المدخل للإمام أبى عبد الله محمد الشهير بابن الحاج بعنوان : « آداب الرجل فى الاجتماع بأهله » . فإن كانت له حاجة إلى أهله ، فالسُّنة الماضية فى ذلك أنه لا يكون معه أحد فى البيت - أى الغرفة - غير زوجته ، وذكر عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : إذا كانت له حاجة إلى أهله أخرج الرضيع من البيت .

وهو مُخَيَّرٌ فى فعل ذلك أول الليل أو آخره ، لكن أول الليل أوْلى ؛ لأن وقت الغسل يبقى زمنه متسعًا بخلاف آخر الليل ، فإنه قد يضيق عليه ، وقد يؤول إلى تفويت الصبح فى جماعة أو إلى إخراج الصلاة عن وقتها المختار .

ووجهٌ آخر : وهو أن آخر الليل إذا فعل ذلك فيه ، عقيبَ نوم : قد يتعلق بالفم أو الأنف شىءٌ من بخار المعدة ، مما يغير رائحة الفم أو الأنف ، فإذا شمَّها أحدُهما كان ذلك سببًا لكراهة فى صاحبه . ومراد الشارع دوام الألفة والمحبة ، وذلك ينافيها .

ألا ترى إلى نهيه ﷺ عن أن يأتى الرجل أهلَه طُروقًا ليلاً ؛ لئلا يدخل عليهن قبل أن يتهيأن للقائه ، فنهى ﷺ عن ذلك لكى تمتشط الشعثة وتدَّهن وتتطيب وتتأهب ؛ فيكون ذلك أدعى إلى بقاء الألفة والمودة .

ألا ترى إلى فعله ﷺ أنه كان إذا قدمَ مِن سَفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ، وذلك لفوائد : **إحداها** : أن يبدأ بزيارة بيت ربه والخضوع له فيه بالركوع والسجود .

ومنها : أن يفضِّل ما هو منسوب إلى ربه ؛ لينبه أمته ﷺ لتقديم ما هو لله على ما لأنفسهم فيه حظٌّ ما .

ومنها : أن أصحابه ومعارفه يأخذون حظهم من رؤيته والسلام عليه حين قدومه ، فإذا فرغوا ودخل بيته لم يكن ثَمَّ مَن يحوجه فى الغالب !.

ومنها : ما تقدم ذكره من أن أهله يأخذون الأهبة للقائه .

ومنها : أن لقاء الأحبة بغتةً قد يؤول إلى ذهاب النفوس عند اللقاء ، لقوة ما يستولى على النفس إذ ذاك من الفرح والسرور ! وقد حكى عن كثير من الناس أنهم ماتوا بسبب ذلك ؛ فاجأهم السرور ، فماتوا من شدة الفرح ، وقوم فاجأتهم المصائب فماتوا من شدة الهم والغم . =

. . . . . .

= **وينبغى** للزوج إذا عزم على الاجتماع بأهله أن يتحرز مما يفعله بعض العوام ، وهو منهى عنه ؛ وهو أن يأتى زوجته وهى على غفلة ، بل حتى يلاعبها ويمازحها بما هو مباح مثل الجسة والقبلة ، وما شاكل ذلك ، حتى إذا رأى أنها قد انبعثت لما يريد منها وانشرحت لذلك ، وأقبلت عليه ، فحينئذ يأتيها !

وحكمة الشرع فى ذلك بينة ، وذلك أن المرأة تحب من الرجل ما يحب منها ، فإذا أتاها على غفلة قد يقضى هو حاجَته ، وتبقى هى ، فقد يشوش عليها ذلك ، وقد لا ينصان دينها ! فإذا فعل ما ذُكر تيسر عليها الأمر وانصان دينها .

(وينبغى) إذا قضى وطرَه أن لا يعجَلَ بالقيام ؛ لأن ذلك مما يشوش عليها ، بل يبقى هنية حتى يعلَمَ أنها قد انقضت حاجتها ، والمقصود الإحسان إليهن ، وهذا موضعٌ لا يمكن الإحسان إليها من غيره ؛ فيجتهد فى ذلك جهده ، والله المسئول فى التجاوز عما يعجز عنه المرء .

(وينبغى) له أن ينوى عند الجماع أن يكون بينهما ولدٌ يكثر به الإسلام ويكون من العلماء الصالحين .

(ثم) إن بدا له أن يعود إلى الاجتماع بأهله : فإن كان بعد الغسل أو الوضوء فيفعل أوَّلاً ، وإن قبل ذلك فليغسل ذكره قبل أن يعود .

قال القاضى عياض رحمه الله : لأنّ غسلَ الذكر يقوّى العضوَ وينشّطه . . [ص ٢/ ٣٣ - ٣٥ باختصار] .

وأرى أن أحسن أوقات الجماع بعد صلاة الفجر قليلاً حيث يكون الزوجان مستريحَي الجسم والفكر ، ولا بأس من النوم بعد ذلك ولو قليلاً ، وفى ذلك متعة عظيمة !

بعد شهر العسل

وما ذكره ابن الحاج من المحاذير الأخرى : فيمكن أن تزول بالنظافة واستخدام الطيب . وبمناسبة شهر العسل ، وهو بعض عنوان هذا البحث . بعثت زوجةٌ إلى أمها بالرسالة التالية : وهى تشتمل على كثير من النصائح والطرائف :

أمى . . . عدتُ اليوم إلى بيتى ، إلى عشنا الصغير الذى أعده زوجى ، بعد أن أمضينا شهر العسل . . كنت أتمنى أن تكونى قريبة منى يا أمى ؛ لأحكى لك كل شىء عن تجربتى فى حياتى الجديدة مع زوجى . . إنه رجل طيب ، وهو يحبنى ، وأنا أيضًا أحبه ، ولكننى لم أعتد على طباعه . . فى بعض الأحيان أشعر أننى أعرفه منذ سنوات . . وفى أحيان أخرى أحس أنه إنسان غريب تمامًا لا يمتُّ إلى عالمى الصغير الذى نشأت فيه بأية صلة ، ولكن أليست هذه الحقيقة ؟ . إننى أفعل كل ما فى وسعى لإرضائه . . تأكدى يا أمى أننى أحفظ كل نصاحك وأعمل بكل ما أوصيتنى به . . وخاصة تلك التى حدثتنى بها بدموعك وابتساماتك . . إننى ما زلْتُ أذكر كل كلمة . . كلَّ حرفٍ قلته لى وهمست به فى أذنى وأنت تحتضنيننى وتضمينننى إلى صدرك الحنون ليلة زفافى . . إننى ما زلت أذكر كل كلمة قلتها لى . . إننى أرى الحياة مِن خلال نظرتك أنت إليها . . إنك مَثَلى العالى . . . ولا هدَفَ لى سوَى أن أصنَعَ ما صنعْتِه أنت بأبى الطيب وبنا - نحن - أبناءك . لقد أعطيْتِنا كلَّ حُبِّك وحنانك ، وعلّمتينا معنى الحياة وكيف نعيشها . . ووضعتِ بيدكِ بذور الحب فى قلوبنا . =

ما يفعلُ الزوجُ صبيحةَ عُرْسِهِ

ينبغى للزوج صبيحة عرسه أن يسلِّم على أقربائه الذين فى داره ويسلِّموا عليه ويدعو لهم ، وأن يقابلوه بالمثل .

* « أوْلَمَ رسول الله ﷺ إذ بنى بزينب فأشبعَ المسلمين خبزًا ولحمًا ، ثم خرج إلى أمهات المؤمنين فسلَّم عليهن ، ودعا لهُنَّ وسلَّمن عليه ودعَوْن له ، فكان يفعل ذلك صبيحة بنائه » . (ن) . (ص) .

كيفَ يأتِى الزوجُ أهلَهُ

الآيات :

● ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ (١) إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ (٢) لَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

= حمل لى بريد أمس تهنئتك الحلوة بمناسبة زفافى ؛ لقد بكيتُ وأنا أقرأها يا أمى ، سمعت صوتك فى كل كلمة ، فى كل سطر منها . . شىء واحد افتقدته : إنها قبلتك الحانية التى عودتِنى عليها ، لقد انتهيت لتوى من إعداد طعام الغداء لزوجى فقد حان موعد عودته من عمله . . لا تقلقى يا أمى فقد أصبحت طاهيةً ماهرة . . . إننى أشعر بسعادة عندما أجلس أمام زوجى إلى المائدة وأرقبه وهو يأكل - بشهية - الطعامَ الذى أعددتُه لَه بيدى . حتى إذا فرغ منه لم ينس أن يشكرنى على ما صنعت له . . لا تنسَى أننى تلميذتك يا أمى . . أنت التى علمتينى الطهى . . أنت التى علمتينى أنَّ أقصر طريق إلى قلب الرجل هو معدته .

إننى أسمع المفتاح يدور فى قفل الباب لا بد أنه زوجى . . نعم أنه هو . . إنه يريد أن يقرأ رسالتى لك . . يريد أن يعرف ماذا أكتب لأمى . . . يريد أن يشاركنى هذه اللحظات السعيدة التى أقضيها معك بروحى وفكرى . . إنه يطلب منى أن أترك له القلم وأفسح له مكانًا لك . أقبّلك يا أمى وأقبّل أبى وإخوتى وإلى اللقاء . ابنتك [عن مجلة العربى] .

(١) قال البيضاوى فى تفسيره : « الرفث كناية عن الجماع ؛ لأنه لا يكاد يخلو من الرفث ؛ وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه . . . » وقيل : الرفث يكون فى الفرج بالجماع ، وفى العين بالغمز للجماع ، وفى اللسان للمواعدة به [المصباح المنير] .

(٢) كناية عن الالتصاق والمخالطة . قال ابن عباس فى تفسيره : يعنى هن سكن لكم وأنتم سكن لهن . وقال غيره : إن الزوجين بمنزلة اللباس لإفضاء كل واحد ببشرته إلى بشرة صاحبه ، فكنى عن اجتماعهما متجردين باللباس .

قال الزجاج : والعربُ تسَمِّى المرأةَ لباسًا وإزارًا ، قال النابغة الجعدى :

إذا ما الضجيعُ ثَنى جيدَها تَثَنَّتْ فكانت عليه لباسا

وقد قيل : إن لباس الرجل ما يستره ، ولباس المرأة ما يسترها . وعلى هذا المعنى رأى بعض الفقهاء أن الوضعية الصحيحة هى افتراش المرأة ! =

● ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [١] [البقرة : ٢٢٣] .

الأحاديث :

* عن جابر رضى الله عنه قال : كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته مِن دُبُرها فى قُبُلها كان الولَدُ أحْوَلَ فنزلت : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ . فقال رسول الله ﷺ فى تفسيرها : « مقبلةً ، ومدبرةً إذا كان ذلك فى الفَرج » . (خ . م) وغيرهما .

* سألت امرأةٌ أمَّ سلمة عن الرجل يأتى امرأته مجَبيَةً [٢] ؛ فسألت أمُّ سلمة رسولَ الله ﷺ ، فقال ﷺ : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ صمامًا واحدًا » . (ص) .

قال ابن عباس : كان هذا الحىُّ من الأنصار - وهم أهلُ وثنٍ - مع هذا الحى من اليهود - وهم أهل كتاب - وكانوا يرون لهم فضلًا عليهم فى العلم ؛ فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم ، وكان مِنْ أمْرِ أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرفٍ [٣] ، وذلك أستر ما تكون المرأة ، فكان هذا الحى من قريش يشرحون [٤] النساءَ شرحًا ،

= وليس معنى ذلك التشبث بهذه الوضعية ؛ فقد ذكر القرآن الكريم وضعيات أخرى ، وعلى الزوجين أن يصارح كلٌّ منهما الآخر عن الوضع الذى يروق له ، والتجديد فى الحركات والأوضاع له طرافته .

وقد قال أحد الأطباء : « أخبرتنى إحدى الزوجات أنها تكاد تنسحق تحت ثقل زوجها (ولعله يكون كالفيل !) بل تكاد أحيانا تختنق !! .

ولا تبرأ من هذا الكابوس المزعج إلا بعد ساعات من كل جماع ! ذلك لأن زوجها يأبى أن يتخذ وضعًا آخر غير هذا الوضع الذى يعتقد أنه الوضع الطبيعى الجائز شرعًا ! .

ومما زاد الطين بلة أنه كان يجهل أنه يجب عليه أن يُلقى ثقله على مرفقيه ، لا على جسم زوجته !! وفى هذه الحال من سِمَنِ الرجل ينبغى أن تفترشه المرأة ولا محذور فى ذلك !

(١) أى كيف شئتم ؛ مقبلةً مدبرة ، مِن مكان الولد .

(٢) قال المازرى : يعنى على وجهها . وقال عياض رضى الله عنه : المتجبية تكون على وجهين : إحداهما أن تضع يديها على ركبتيها ، وهى قائمة منحنية على هيئة الركوع ، والآخر تنكبُّ على وجهها باركةً .

(٣) أى على جنبٍ [نهاية] .

(٤) قال أبو منصور الثعالبى فى كتابه « فقه اللغة » : وتسمَّى المرأة وهى مستلقية على ظهرها : الشرح ، وهو معنى قول ابن عباس فى الحديث المتقدم : « وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء » وذكر الأطباء أن هذه الصورة هى آلَفُ صور النكاح وأقلها ضررًا .

قال عبد الملك بن حبيب : كان عمر بن الخطاب ينهى النساء أن ينمن على هذه الصورة - يعنى فى غير وقت النكاح - وكان يقول : لا يزال الشيطان يطمع فى إدراكها ما كانت مستلقية . يريد أن الشيطان يُسَوِّلُ لها حينذاك ، ذَكَر الرجل ؛ لأنها صورة اضطجاعها له !

ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات ، فلما قدم المهاجرون المدينة ، تزوج رجلٌ منهم امرأةً من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك ، فأنكرته عليه ، وقالت : إنما كنا نُؤتَى على حرف ، فاصنع ذلك وإلا فاجتنبنى حتى بَرِىَ أمرُهما [١] ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فأنزل الله عز وجل : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ : أى مُقبلات ، ومدبرات ، ومستلقيات ؛ يعنى بذلك موضع الولد » (د. والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبى وهو كما قالا) .

الأجرُ والثوابُ حتى فى الجِماعِ [٢] !

الأحاديث :

* قال أبو ذَرّ رضى الله عنه : إن ناسًا من أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى : يا رسول الله ذهبَ أهلُ الدثور [٣] بالأجور ، يُصَلُّون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدّقون بفُضولِ أموالهم .

قال : « أوَ ليس قد جعل الله لكم ما تصَّدَّقون ؟

إنَّ بكل تسبيحةٍ صدقةٌ ، وبكل تكبيرةٍ صدقةٌ ، وبكل تهليلةٍ [٤] صَدَقَةٌ ، ونَهْىٌ عن المنكر صدقةٌ ، وفى بُضْعِ أحدِكم [٥] صدقة » .

---

(١) أى عظمَ وتفاقمَ .

(٢) بشرط أن ينوى الزوجان طلبَ العفة والإحصان .

(٣) الأغنياء .

(٤) أى قول : لا إله إلا الله .

(٥) قال صاحب المدخل فى التعليق على هذا الحديث : « فدلَّ هذا الحديث على أن الإخلاص ليس من شرطه أن يكون فيه شهوة باعثة على العقل ، بل يشترط فيه شرط واحد : وهو أن تكون حظوظها وشهواتها تابعة للنية الصالحة ، وتكون النية جميعها متوجهة لمجرد العبادة » (٣/ ١٧٤) .

أين هذا المبدأ السامى من بعض الشرائع التى تجعل من قضية الجنس قضيةَ إثم وقذارة بل شيطانًا ! فكان من نتيجة ذلك - تجاه قوة الغريزة الجنسية الجياشة - إما اجتنابها وتحريمها بالكلية مما يؤدى إلى الشذوذ والكبت ، وإما الانحلال الجنسى والإغراق فيه عن طريق الحرام ، كما هو حادث اليوم فى الغرب .

ولا يقتصر الأمر على هذا الحد ، بل إن الغربيين بحسب عقيدتهم يعتبرون المرأة شَرًّا كلها بسبب تعاون حواء مع الشيطان فى إغراء آدم بالأكل من الشجرة المحرمة ، مما أدى إلى الوقوع فى الخطيئة الأولى التى أورثَتْها بنات جنسها .

بينما يعلن القرآن أن وسوسة الشيطان كانت لآدم وحواء على السواء ، وأن الله سبحانه تاب عليهما وعفا ، وأن الخطايا لا تورَّث ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ وجاء فى التوراة : « لا يُقتل الآباءُ بجريمة الأبناء ، ولا الأبناء بجريمة الآباء ، كلٌ يقتلُ بجريمة نفسه ! » . =

. . . . . .

= وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : وقد حض النبى ﷺ على استعمال هذا الدواء « المباضعة والجماع » ورغّب فيه ، وعلق عليه الأجر ، وجعله صدقةً لفاعله !!

ففى هذا كمالُ اللذة وكمالُ الإحسان إلى الحبيبة ، وحصولُ الأجر ، وثواب الصدقة ، وفرحُ النفس ، وذهابُ أفكارها الرديئة عنها ، وخفةُ الروح ، وذهابُ كثافتها وغلظها ، وخفة الجسم ، واعتدال المزاج ، وجلب الصحة ، ودفع المواد الرديئة ، فإن صادف ذلك وجهًا حسنًا وخُلُقًا دمثًا وعشقًا وافرًا ، ورغبة تامةً ، واحتسابًا للثواب ، فذلك اللذة التى لا يعادلها شىء ، ولا سيما إذا وافقت كمالَها ، فإنها لا تكمُلُ حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة ، فتلتذ العين بالنظر إلى المحبوب ، والأذن بسماع كلامه ، والأنف بشم رائحته ، والفمُ بتقبيله ، واليد بلمسه ، وتعكف كل جارحة على ما تطلب من لذتها ، وتقابله مِن المحبوب ، فإن فُقد مِن ذلك شىء لم تزل النفسُ متطلعة إليه ، منقادة له ، فلا تسكن كل السكون ! ولذلك تسمى المرأة سكنًا لسكون النفس إليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الروم : ٢١] .

وتمام النعمة فى ذلك فرحة المحب برضاء ربه تعالى بذلك ، واحتساب هذه اللذة عنده ، رجاء تثقيل ميزانه ، ولذلك كان أحب شىء إلى الشيطان أن يفرّق بين رجلٍ وبين حبيبته ليتوصَّل إلى تعويض كل منهما عن صاحبه بالحرام ، وفى صحيح مسلم قال النبى ﷺ : « إن إبليس ينصب عرشَه على الماء ثم يبثُّ سَراياه فى الناس ، فأقربُهم منه منزلةً أعظمُهم فتنة ، فيقول أحدهم : ما زلت به حتى زنى ، فيقول الآخر : ما زلت به حتى فرقت بينه وبين أهله ، فيهنئه ويلتزمه ويقول : نِعْمَ أنت نِعْمَ أنت » .

فهذا الوصال لما كان أحبَّ شىء إلى الله ورسوله ، كان أبغضَ شىء إلى عدو الله ؛ فهو يسعى فى التفريق بين الاثنين فى المحبة التى يبغضها الله ويسخطها . وأكثرُ العشاق من جنده وعسكره ، ويرتقى بهم الحال حتى يصير هو من جندهم وعسكرهم ! يقود لهم ويزّين لهم الفواحش ويؤلّف بينهم عليها ، كما قيل :

عجبتُ من إبليسَ فى نخوته ... وقُبْحِ ما أظهرَ مِن سيرته

تاه على آدمَ فى سجدةٍ ... وصار قَوَّادًا لذريَّتِهِ

وقد أرشد النبى ﷺ الشباب الذين هم مَظنَّةُ العشق إلى أنفع أدويتهم :

ففى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج » [باختصار عن روضة المحبين ص ٢١٦ - ٢١٧] .

فليحذر الزوجان من مكائد الشيطان وسعيه للتفريق بينهما !

قال الإمام ابن القيم فى التعليق على هذا الحديث : « . . كل لذة أعانت على لذات الدار الآخرة ، فهى محبوبة مُرضية للرب تعالى ، فصاحبُها يلتذ بها من وجهين : من جهة تنعمه وقرة عينه بها ، ومن جهة إيصالها له إلى مرضاة ربه ، وإفضائها إلى لذةٍ أكمل منها . فهذه هى اللذة التى ينبغى للعاقل أن يسعى فى تحصيلها ، لا اللذة التى تُعقبه غايةَ الألم وتفوّت عليه أعظم اللذات » . =

قالوا : يا رسول الله أياتى أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجر ؟!

قال : « أرأيتم لو وضعَها فى حرام ، أكان عليه وزر » ؟ قالوا : بلى .

قال : « وكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له فيها أجر [١] » وذكرَ أشياء . . صَدَقة ، صدقة .

ثم قال : « ويُجْزِئُ مِن هذا كله : ركعتا الضحَى » (م . ن) .

مكافأةُ مَنْ يأتى أهلَهُ يومَ الجمعةِ

الأحاديث :

* « مَن اغتسل يوم الجمعة غُسْلَ الجنابة [٢] ، ثم راح : فكأنما قرَّبَ بُدنَةً ، ومن

= ولهذا يثاب المؤمن على كل ما يلتذّ به من المباحات إذا قصد به الإعانة والتوصل إلى لذة الآخرة ونعيمها ؛ فلا نسبة بين لذة (صاحب) الزوجة والذى يحبها وعينُه قد قرَّتْ بها ؛ فإنه إذا باشرها والتذَّ قلبُه وبدنُه ونفسُه بوصالها لم يُثَبْ على تلك اللذة فى مقابلة عقوبة صاحب اللذة المحرمة على لذته ، كما قال النبى ﷺ : « وفى بُضع أحدكم أجر . . . » الحديث .

(١) أين هذا التوجيه العظيم فى الحض على الزواج والعطف على المرأة ورفع شأنها من بعض الديانات المحرَّفة التى تعتبر المرأة شرّا لا بد منه ، وأن الزواج دنس ، وتحضُّ على الاختصاء وترك الزواج !!

مما سبق ندرك « أن العبادة فى الإسلام ليست محصورة فى أعمال من الخشوع الخالص - كما قال الأستاذ محمد أسد - كالصلوات والصيام مثلاً ، ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضًا ، وإذا كانت الغاية من حياتنا على العموم عبادة الله - تعالى - فيلزمنا حينئذ ضرورة أن ننظر إلى هذه الحياة فى مجموع مظاهرها كلها ، على أنها تبعة أدبية متعددة النواحى . وهكذا يجب أن نأتى أعمالَنا كلَّها - حتى تلك التى تظهر تافهة - على أنها عبادات : أى نأتيها بوعى ! وعلى أنها تؤلف جزءًا من ذلك المنهج العالمى الـــــذى أبدعه الله . . . » [الإسلام على مفترق الطرق ط ٤ ص ٢٣] .

(٢) هذا هو الحد الأدنى لدى الشباب ، وهو يختلف باختلاف الأشخاص والسن ، على أن لا يزيد على مرتين فى الأسبوع - ما عدا شهر العسل طبعًا - وينبغى أن يقل بعد الستين من العمر ، وكما أن الكثرة تؤدى إلى إضرار بالجسم وانهيار فى العقل وتعطيل عن العمل ، كذلك الندرة تسبب خمود الغريزة الجنسية وتعطيلها ، علاوة على حياة زوجية فاشلة ومهددة بالانقطاع .

والزوجة الحكيمة تستطيع بلباقتها وزينتها وإغرائها أن تسلك سبيل الوسطية ، ومن ثم حفظ شبابها وشباب زوجها دون إفراط ولا تفريط .

وما أعظم توجيه الإمام ابن الجوزى ؛ فقد قال : « ينبغى للصبى (أى الفتى) إذا بلغ أن يحذر كثرة الجماع ليبقى جوهَرُه ، فيفيد ذلك فى الكبر ؛ لأنه من الجائز كِبَرُه ، والاستعدادُ للجائز حزمٌ ، فكيف للغالب ؟ =

راح فى الساعة الثانية : فكأنما قرب بقرةً ، ومن راح فى الساعة الثالثة : فكأنما قرّبَ كبشًا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة : فكأنما قرَّب دجاجة ، ومَن راح فى الساعة الخامسة : فكأنما قرَّبَ بيْضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذِّكْر » (خ.م. وغيرهما) .

= وليعلم ذو الدين والفهم أن المتعة إنما تكون بالقرب من الحبيب ، والقربُ يحصل بالتقبيل والضم ، وذلك يقَوِّى المحبة ، المحبة يلذ وجودها ، والوطء ينقص المحبة ويعدم تلك اللذة ، وقد كان العرب يعشقون ولا يرون وطءَ المعشوق ، وقال قائلهم : إنْ نكحَ الحب فسدَ .

فأما الالتذاذ بنفس الوطء - أى دائمًا - فشأنُ البهائم .

وقد تأملتُ المراد من الوطء ، فوجدتُ فيه معنى عجبًا يَخْفَى على كثير من الناس ، وهو أن النفس إذا عشقت شخصًا أحبت القرب منه ، فهى تؤثر الضمَّ والمعانقة ؛ لأنها غاية فى القرب ، ثم تريد قربًا يزيد على هذا ، فيقبّل الخد ، ثم تطلب القرب من الروح ، فيقبِّل الفم . وقد كان رسول الله ﷺ يتوشح عائشة ويقبِّلها ويمصُّ لسانها (إن حديث مص اللسان لم يصح سندًا ، ولكن ورد فى معناه فى غير هذا الموضع) فإذا طلبت النفس زيادةً فى القرب إلى النفس استعملت الوطء . فهذا سره المعنوى ، ويحصل منه الالتذاذ الحسى . [صيد الخاطر للإمام ابن الجوزى] .

ويحسن أن نذكر بهذه المناسبة محاورةً جرت بين أعرابى وحَضَرِىّ عن الحب ، فقال الأعرابى : الحبُ مَصُّ الريق ، ولثمُ الشفة ، والأخذُ من أطايب الحديث .

ثم سأل الأعرابى الحضرىَّ : وما هو الحب عندكم ؟

فقال : العفسُ الشديد ، والجمعُ بين الركبة والوريد ، وَرهْزٌ (صوت وحركة) يوقظ النائم ، ويَشْفى القلب الهائم . فاستغرب الأعرابى ذلك وقال مدهوشًا : بالله ! ما يفعل هذا العدوُّ الشديد ، فكيف الحبيب الودود ؟!!

والحق يقال إن هناك نشوة للزواج هى من أسعد وأجمل ساعات الحياة ، يجهلها أكثر الرجال الذين لا يعرفون من الزواج إلا اللذة . وما أحسن ما قاله الأستاذ حسن عباس فى التمييز بينهما فى رسالته « **بين أدب النشوة ، وأدب اللذة** » :

اللذة آنيةٌ لا عمق لها فى الزمن ، وللنشوة دوامٌ واستمرار .

اللذة السطحية لا عمق لها فى المشاعر ، ولا امتداد فى الجملة العصبية ، وللنشوة فى المشاعر أعماق ، ومع الجملة العصبية امتدادٌ ، ودوام اللذة انهزامٌ أمام الغرائز ، واستسلامٌ للأحاسيس .

والنشوة ظفرُ شعورٍ عليها ، وانتصار مشاعر اللذة نسيانٌ إنسانى وغفوة ضمير ، وموت شعور ؛ والنشوة حضورٌ لكل ذلك ويقظةٌ وخلود .

وقال الإمام ابن القيم : إن الإكثار من الجماع يُسقط القوة ويضُرُّ بالعصب ، ويُحدث الرعشة والفالج والتشنج ، ويُضعف البصر وسائر القوى ، ويطفئ الحرارة الغريزية ، ويوسع المجارى ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية . =

* « من غَسّلَ [١] يومَ الجمعة واغتسل ، وبكّر وابتكَر [٢] ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام ، واستمع ولم يَلْغُ : كان له بكل خطوةٍ عَمَلُ سنة ؛ أجْرُ صيامها وقيامها » . (د . ن . هـ) . (ص) .

تحريمُ إتيانِ المرأةِ فى غير موضعِ الولدِ

الآيات :

● ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ [٣] وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

= وأنفع أوقاته ما كان بعد انهضام الغذاء فى المعدة ، وفى زمان معتدل . لا على جوع ؛ فإنه يضعف الحار الغريزى ، ولا على شبع ؛ فإنه يوجب أمراضًا شديدة ، ولا على تعب ولا إثر حَمام ، ولا استفراغ ، ولا انفعال نفسانى ؛ كالغم والهم والحزن وشدة الفرح .

وأجودُ أوقاته بعد هزيع من الليل إذا صادف انهضام الطعام ، ثم يغتسل أو يتوضأ وينام عقبه ، فترجع إليه قواه . وليحذر الحركةَ والرياضة عقبه ؛ فإنها مضرة جدًّا . وما أنفع ما قال الشاعر الحكيم :

واحفظ مَنِيَّك ما استطعتَ فإنه ماءُ الحياة يُصَبُّ فى الأرحام

وقال أيضًا :

ثلاثٌ هُنَّ مِن شَرَكِ الحِمام وداعيةُ الصحيح إلى السّقام
دوامُ مدامةٍ ، ودوامُ وطءٍ وإدخالُ الطعام على الطعام

الخمرُ كلها شرٌّ وحرام ؛ قليلها وكثيرها ، وفى الحديث : « ما أسكَر كثيرُه ، فقليلُه حرام » .

(١) من غسّل : أى جامع امرأته فأحوجَها إلى الغسل ،واغتسل : أى بعد الجماع ، وذلك أغضُّ لطرفه إذا خرج إلى الجمعة .

(٢) بكّر : أى إلى الصلاة فى أول وقتها ، ابتكر : أدرك أول الخطبة .

(٣) قال أحدهم : معنى هذه الآية : نساؤكم أنتم ، لا نساء غيركم ، مقصورات عليكم ، العلاقة إذن تدور فى دائرة المشروعية المباحة المستمدَّة من الارتباط الروحى والعقد المشروع بين الرجل والمرأة ، فيجب أن تقوم تلك العلاقة فى نطاق هذه الحدود الشرعية المشروعة ، وبذلك يدعو القرآن إلى المزاوجة والمصاهرة ويُبعد عن الزنا .

ثم يصف القرآنُ المرأةَ بأنها حرثٌ لزوجها ، ومكانٌ للإنجاب ، ومحلُّ الاستيلاد ، وأرضٌ مخصبة للإنبات .

وهذا الوصف القرآنى يضع أمام الأنظار صورةً يتراءى فيها منظر أرضٍ مهيأة يحرثها صاحبها الزارع ، ويعِدُّها للإثمار بوضع البذور فيها على أن يرعاها ويتعهدها ويدرأ عنها ما يضرها ويضيرها مِن حشائش طارئة ونباتات دخيلة سامة حتى تؤتَى ثِمارَها المرجوة .

الأحاديث :

* « لا ينظر الله إلى رجلٍ يأتى امرأتَه فى دُبُرِها » . [١] (ن) . (ص) .

* « مَنْ أَتى حائضًا أو امرأةً فى دُبرها ، أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول : فقد كفَرَ بما أُنزل على محمد » . (د . ن . ت . هـ) (ص) .

* جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله هلكْتُ . قال : وما الذى أهلكك ؟ قال : حوَّلْتُ رَحْلِى [٢] الليلة !

---

(١) قال الإمام ابن القيم فى « زاد المعاد » فى الكلام على هَدْيه ﷺ فى الجماع ما نصه :

« وأما الدبُر ، فلم يُبَحْ قَط على لسان نبى من الأنبياء . ومَن نسب إلى بعض السلف إباحة وطء الزوجة فى دبرها فقد غلط عليه » . ثم ساق أخبارَ النهى عنه - وقال بعدُ :

وقد دلت الآية على تحريم الوطء من دبرها من وجهين : أحدهما : أنه إنما أباح إتيانها فى الحرث وهو موضع الولد ، لا فى الحشِّ الذى هو موضع الأذى ، وموضع الحرث هو المراد من قوله : ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ الآية ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ وإتيانها فى قبُلها من دبرها مستفاد من الآية أيضًا ؛ لأنه قال : ﴿ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ أى : من أين شئتم ؛ من أمام أو من خلف . قال ابن عباس : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ يعنى الفرج ، وإذا كان الله حرَّم الوطء فى الفرج لأجل الأذى العارض ، فما الظن بالحشِّ الذى هو محل الأذى اللازم ، مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل ، والذريعة القريبة جدًا مِن أدبار النساء إلى أدبار الصبيان .

وأيضًا ، فللمرأة حقٌّ على الرجل فى الوطء ، ووطؤها فى دبرها يفوِّت حقَّها ، ولا يقضى وطرها ، ولا يحصل مقصودها . وأيضًا فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يخلق له . وإنما الذى هُيِّئَ له الفرج ؛ فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعًا . وأيضًا فإن ذلك مُضرٌّ بالرجل ، ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة وغيرهم ؛ لأن للفرج خاصيَّة فى اجتذاب الماء ، ولا يُخْرِجُ الدُبُر كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعى . وأيضًا يضر من وجه آخر : وهو إحواجه إلى حركات متعبة جدًا لمخالفته للطبيعة . وأيضًا فإنه محلُّ القذر والنجْوِ فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه . . وأيضًا فإنه يضر بالمرأة جدًا ؛ لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع منافر لها غاية المنافرة ، وأيضًا فإنه يُحدِث الهمَّ والغمَّ والنفرة عند الفاعل والمفعول به . وأيضًا فإنه يسوِّد الوجه ، ويُظلم الصدر ، ويطمس نور القلب ، ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسيماء يعرفها من له أدنى فِراسة . وأيضًا فإنه يوجب النفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول له ولا بدّ . وأيضًا فإنه يفسد حال الفاعل والمفعول به فسادًا لا يكاد يرجى بعده صلاح ، إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح . وأيضًا فإنه يذهب بالمحاسن منهما ويكسوهما ضدَّها ، كما يذهب المودة بينهما ويبدلهما بها تباغضًا وتلاعنًا . وأيضًا فإنه من أكبر أسباب زوال النعم وحلول النقم ؛ فإنه يوجِبُ اللعنة والمقتَ من الله ، وإعراضه عن فاعله ، وعدم نظره إليه ، فأىُّ خيرٍ يرجوه بعد هذا ؟ وأى شر يأمنه ؟ وكيف تكون حياة عبد قد حلَّت عليه لعنة الله ومقتُه ، وأعرض عنه بوجهه ولم ينظر إليه ؟! .

(٢) كنى برَحْله عن زوجته . أراد به غشيانَها فى قُبُلها مِن جهة ظهرها ؛ لأن المُجامع يعلو المرأة ويركبها مما يلى وجهها ، فحين ركبها من جهة ظهرها كنى عنه بتحويل رحله . . [نهاية] .

فلم يُردّ عليه فأوحى اللهُ إلى رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ يقول : أقْبِل وأَدْبِر ، واتَّقِ الدبُرَ والحيضةَ » (ن . ت . طب) (ح) .

* « سأل رجلٌ النبىَ ﷺ عن إتيان النساء فى أدبارهن ، أو إتيان الرجل امرأته فى دُبرها ؟ فقال النبى ﷺ : حلال .

فلما ولَّى الرجلُ دعاه ، أو أمَرَ به فدُعِىَ ، فقال : كيف قلتَ ؟ فى أى الخرزتين [١] ؟ أمِن دُبُرها فى قبلها ؟ فنعم ، أمْ مِن دبرها فى دبرها ؟ فلا ؛ فإن الله لا يستحى من الحق ؛ فلا تأتوا النساء فى أدبارهن » [٢] (ن . طح) ص .

* « قال سعيد بن يسار : قلت لابن عمر : إنَّا نشترى الجوارى ، فنحمِّض لهن . قال : وما التحميض ؟ قلت : نأتيهن فى أدبارهن ، قال : أُفٍّ ! أوَ يَفعل ذلك مسلم [٣] ؟! » (ن وغيره) وسنده صحيح .

* * *

(١) يعنى فى أى الثقبين .

(٢) مِن غريب أمر اليهود أنه - كما جاء فى التلمود - يجوز للرجل اللواط بالزوجة ؛ لأن الزوجة - بزعمهم - بالنسبة للاستمتاع بها كقطعة لحمٍ اشتراها من الجزار ، ويمكنه أكلها مسلوقة أو مشويةً حسب رغبته !!

(٣) جاء فى كتاب « آداب الزفاف » للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، وهو - أى الخبر السابق - نصٌّ صريح من ابن عمر فى إنكاره أشد الإنكار إتيان النساء فى الدُبُر . فما أورده السيوطى فى « أسباب النزول » وغيره مما ينافى هذا النص ، خطأٌ قطعًا فلا يُلتفت إليه !

ومما يؤسف له أن بعض المفسرين - وفى مقدمتهم المغرضون - يضعون هذه الأحاديث ويفسرون الآية المذكورة فى أول البحث حسب أهوائهم ، مما لا يقرهم عليه شرع ، ولا عقل ، ولا ذوق ؛ فلا ينبغى لأحد أن يغتر بأقوالهم . إن إتيان المرأة فى دبرها يدفعها دفعًا إلى الزنا ما دامت لم تقْضِ شهوتها !

تحريمُ إتيانِ الحائض

الآيات :

● ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى [١] فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

الأحاديث :

* « مَن أتى حائضًا أو امرأةً فى دُبرها ، أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول : فقد كفر بما أُنزل على محمد » (د . ن . ت . هـ . حا) ص .

* « كان رسول الله ﷺ إذا أراد من الحائض شيئًا ألقَى على فرجها ثوبًا ثم صنع ما أراد » [٢] (د . هق) ص .

---

(١) جاء فى تفسير المراغى .

قد أثبت الطب الحديث أن الوقاع فى زمن الحيض يُحدث الأضرار الآتية :

١ - آلام أعضاء التناسل فى الأنثى ، وربما أحدث التهابات فى الرحم وفى المبيض أو فى الحوض تضر صحتَها ضررًا بليغًا ، وربما أدَّى ذلك إلى تلف المبيض وأحدث العقم .

٢ - إن دخول مواد الحيض فى عضو التناسل عند الرجل قد يُحدث التهابًا صديديًا يُشبه السيلان ، وربما امتد ذلك إلى الخصيتين فآذاهما ، ونشأ من ذلك عقم الرجل ، وقد يصاب بـ« الزهرى » إذا كانت جراثيمه فى دم المرأة .

وعلى الجملة فقربها فى هذه المدة قد يُحدث العقم فى الذكر أو فى الأنثى ، ويؤدى إلى التهاب أعضاء التناسل ، فتضعف صحتها ، وكفى به ضررًا ، ومن ثَمَّ أجمع الأطباء المحدَثون فى بقاع المعمورة على وجوب الابتعاد عن المرأة فى هذه المدة ، كما نطق بذلك القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم خبير [أ . هـ] . فيا لإعجاز القرآن العظيم !

وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنه فى الذى يأتى امرأته وهى حائض : « يتصدق بدينار أو بنصف دينار » رواه الخمسة ، واختلف فى رفعه ووقفه . أى نصف جنيه ذهب إنجليزى أو ربعه تقريبًا .

(٢) لقد كان من عادة اليهود ومَن قلَّدهم من العرب فى الجاهلية أنهم لا يؤاكلون الحائض ولا يساكنونها ، فنهى الإسلام عن ذلك ، ولكنه حرَّم إتيان الحائض ، وسمح بالتمتع بما دون الفرج كما جاء فى هذا الحديث ، وبذلك كان الإسلام وسطًا بين إفراط اليهود وتفريط الذين يُبيحون جِماعَها فى الحيض .

وبمناسبة الكلام على الحيض أذكر هذه القصة الغريبة التى تدل على بعض أنواع الحياء السخيف ، وهو حياء فى غير موضعه ، وشتان بينه وبين الحياء مِن ارتكاب ما نهى الإسلام عنه . قال الدكتور فريدريك لويس فى كتابه « ٢٠ سنة فى حجرة الاعترافات » : ليس صحيحًا ما يزعمه الناس من أن الفتاة الحديثة فى هذا العصر تعرف كل شىء ، ولم يفتها من المعلومات الجنسية شىء . وأضرب لذلك مثلاً تلك الفتاة المثقفة التى تخرَّجَتْ حديثًا من الجامعة لقد جاءت لاستشارتى فى =

. . . . . .

= موضوع كان الأحرى بها أن تكون فى غِنًى تام عن التحدث فيه ، جاءت تقصُّ علىَّ فى حيرة ويأس - أن موعد زواجها قد أعلن عنه فى جميع الصحف وأن الدعوة قد أرسلت للأصدقاء والأقارب ، وكل شىء أعد لحفلة القران الذى سيعقد بعد أيام معدودات على أصابع اليد الواحدة ، فسألتها : حسنا ، وما المشكلة فى ذلك ؟

فقالت والدموع تنهمر من عينيها : إن هذا الموعد سيكون فى فترة الدورة الشهرية ، مما لا يلائم مقتضى الحال !

- ولِمَ لمْ تحتاطى لذلك قبل تحديد يوم الزفاف ؟

- لأنى كنت لا أجرؤ أن أبوح لأحد بشىء خاص بهذا الأمر .

- ليس لدى ما أنصحك به ، سوى أن تستمروا فى مراسيم الزواج ومعداته على أن تخبرى خطيبك بما أسررته إلىَّ .

فأجابت فى شىء من الحيرة والدهشة : ولكن هذا مستحيل ؛ إذ لا يمكننى أن أبوح له بذلك . . وقد استشرتُ أمى فى هذا الأمر الشائن ، ولكنها اقترحت أن تهمس فى أذن أم العريس ، وستهمس أمه فى أذن أبيه ، وأخيرًا سيهمس أبوه فى أذنه .

ثم قال هذا الدكتور : ولعل هذا التمادى فى الحياء (فى غير موضعه) آخذٌ بالاختفاء الآن ، ولكنه لا يزال « بروتوكول » العائلات المتزمتة . . اللاتى يهون عليهن « البوار » عن أن يلوثن أفواههن أمام الزوج بعبارات جنسية صريحة « وضرورية » .

ولست أفهم شخصيًا كيف أن فتاةً على أبواب الزواج تعلم علم اليقين أنها سوف تعيش مع ذلك الذى يُدْعَى زوجَها - ولو قبل الدخول - وتنام معه البقية الطويلة الباقية من حياتها ، ومع ذلك تخجل أن تفاتحه أو تناقشه فى موضوع حيوى كهذا ، أجمع العارفون على أن التفاهم فيه أقوى العوامل على نجاح الزواج أو فشله !

ولست أقول إن التفاهم الجنسى أهم عناصر الحياة الزوجية السعيدة ، وإنما أريد أن أؤكد أنه فى مصلحتها . . . وحول محوره تدورُ نسبةٌ من علاقات الزوج بالزوجة . وفى اعتقادى أن كل حادثة طلاق غالبًا أساسها المباشر أو غير المباشر انعدامُ التوافق الجنسى كليةً ، أو تضعضع الحياة الزوجية لأسباب جنسية !

وقد دلتْ التجاربُ على أن طريقَى الزوج والزوجة لا بد أن تتعارضا - إن لم يكن عاجلاً أو آجلاً - ولا بد أن ينتهيا بالطلاق ، إذا لم يكن الحب والتعبير عنه تعبيرًا « متلاصقًا » متبادلاً بينهما [ص ٨١ - ٨٢ باختصار] .

وبمناسبة الكلام على **الحيض** يحسن أن نذكر **كيفية تطهر المرأة بعده** :

عن عائشة رضى الله عنها : أن أسماء بنت يزيد سألت النبى ﷺ عن غسل المرأة ؟ قال : « تأخذ إحداكن ماءها وسدرها فتتطهَّرَ فتحسن الطهور (أو تتوضأ جيدًا) ثم تصبُّ على رأسها الماء فتدلكه دلكًا شديدًا حتى يبلغ شئونَ رأسها ، ثم تأخذ مسكةً (أى قطعة قطن أو صوف مُطيَّبة بالمسك أو أى طيب آخر) فتطهّر بها » قالت أسماء : وكيف تطهر بها ؟ قال : سبحان الله ، تطهَّرى بها ! فقالت عائشة : كأنها تخفى ذلك (أى تسِرُّ به إليها) : « تتبعى أثرَ الدم ! » رواه الجماعة إلا الترمذى . وذلك لِتُطَيِّبَ المحَلَّ وتدفعَ عنه رائحة دم الحيض الكريهة .

ومن هذا الحديث يُفهم جواز إتيان المرأة بعد انتهاء الحيض ، ولو لم تغسل جميع بدنها ؛ لأن كلمة الطهر فى آية ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ تأتى بمعنى غسل مكان الحيض فقط . . راجع تفصيل ذلك فى كتاب « آداب الزفاف » .

سترُ العورةِ إلاّ عن الزوجةِ

الأحاديث :

* « عن معاوية بن حيدة قال : قلت : يا رسول الله عوراتُنا ما نأتى منها وما نَذَرُ ؟ قال : احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكتْ يمينُك » . الحديث

قلت : يا رسول الله ! إذا كان القوم بعضهم فى بعض ؟

قال : إن استطعتَ أن لا يَرينَّها أحدٌ فلا يرينها .

قال : قلت : يا رسول الله إذا كان أحدُنا خاليًا ؟

قال : اللهُ أحَقُّ أن يُستحيا منه مِن الناس !! » [١] (د.ن.ت.هـ) (ج) .

* « لا ينظر الرجلُ إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يُفْضِى [٢] الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد ، ولا تُفْضِى المرأةُ إلى المرأة فى الثوب الواحد » (م) وغيره .

استحسانُ الغُسْلِ بينَ الجِماعَيْن

الأحاديث :

* « إذا أتَى [٣] أحدُكم أهلَه ثم أراد أن يعود ؛ فليتوضأ بينهما وضوءًا » وفى رواية : [وضوءه للصلاة] (م.د) وغيرهما .

* « عن أبى رافع أن النبى ﷺ طاف ذات يوم على نسائه ، يغتسلُ عند هذه ، وعند هذه [٤] . قال : فقلت : يا رسول الله ألا تجعله غُسْلاً واحدًا ؟

---

(١) إن هذا الحديث محمولٌ على ما هو الأفضل والأكمل ، وليس على ظاهره المفيد للوجوب قاله البخارى والنسائى والشافعى ، ووافقهم ابن جرير ، وقال : لأن الله تعالى لا يغيب عنه شىء من خلقه عراة أو غير عراة . راجع تفصيل ذلك فى رسالة « آداب الزفاف » للأستاذ محمد ناصر الدين الألبانى .

(٢) والمراد من الإفضاء أن يلصق جسدَه بجسدها .

(٣) يفضل الإمام ابن القيم الجماع نهارًا لِتُمكن الحواس من أخذ حظِّها ، ولسبب آخر طبيعى ، وهو أن الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظَّها من السكون ، والنهار محل انتشار الحركات كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ . وفضّل آخرون الليل على النهار فى الجماع . وملخص القول : لا يصلح هذا الفعل للعامل إلا ليلاً ، كما ذكر لى بعضهم ، وأنصح غيرهم أن يكون ذلك بعد صلاة الفجر ، والنوم بعده .

(٤) ولا يخفى ما فى الماء من فائدة فى إعادة النشاط والقوة ، مما أثبته اليوم الطب الحديث .

قال : هذا أزكَى وأطْيَب وأطْهَر » . (د.ن.طب) ص .

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد أن يأكلَ أو ينامَ وهو جُنُبٌ غسلَ فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة » . (خ.م) وغيرهما .

* قالت عائشة : « كان رسول الله ﷺ ينام وهو جُنُبٌ من غير أن يمسَّ ماءً حتى يقوم بعد ذلك فيغتسل » (د.ت.هـ.شب) وغيرهم ص .

* وقالت عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله ﷺ إذا أَجْنَبَ فأراد أن ينام توضأ أو تيمم » [١] (هق.شب) ص .

غُسْلُ الجمعةِ فرضٌ [٢]

الأحاديث :

* « غُسْلُ الجمعة واجبٌ على كل محتلم [٣] ، والسواكُ ، وأن يمسَّ من الطِّيب ما يقدر عليه » . (خ.م) .

* « حقٌّ على كل مسلم أن يغتسلَ فى كل سبعة أيام يومًا يغسلُ فيه رأسَه وجسده » (خ.م) .

* « إذا جاء أحدُكُم إلى الجمعة فليغتسل » (خ) .

---

(١) مما سبق من الأحاديث يتضح لنا أفضلية الغسل بعد الجماع وقبل النوم ، وجواز الوضوء أو التيمم ، وجواز النوم أيضًا بدون غسل أو وضوء أو تيمم .

(٢) اختلف الفقهاء فى حكم غسل الجمعة ؛ فمن قائل بفرضيته ، ومن قائل باستحبابه ، وقد ساق الإمام الشوكانى فى كتابه « نيل الأوطار » (١/ ٢٥٣ - ٢٥٤) حجج الفريقين ثمَّ حكم بفرضيته ، وقال : « وبهذا يتبيّن لك عدم انتهاض ما جاء به الجمهور من الأدلة على عدم الوجوب وعدم إمكان الجمع بينها وبين أحاديث الوجوب ؛ لأنه وإن أمكن بالنسبة إلى الأوامر ، لم يمكن بالنسبة إلى لفظ « واجب » إلا بتعسف لا يلجئ طلب الجمع إلى مثله . ولا يَشُك من له أدنَى إلمام بهذا الشأن أن أحاديث الوجوب أرجح من الأحاديث القاضية بعدمه . . » .

وقد سُقت هذه الأحاديث بعد هذا الكلام ، ولا شك أن هذا الغسل يوم الجمعة يُذَكِّرُ الزوجَ بزوجته . وللنساء مَثَلٌ بهذا الخصوص : وهو : أن حيطان الحمّام تضحك من الرجل الذى يدخله بدون وصال !!؟

(٣) أى بالغٌ .

وجوبُ اتِّخاذِ الحَمَّامِ فى الدارِ

الأحاديث :

* « مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُدخِلْ حليلتَه الحمّام [١] ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمّامَ إلا بِمئزَر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر » (حا.ت.ق.حم) ص .

* « عن أم الدرداء قالت : خرجتُ من الحمام فلقينى رسولُ الله ﷺ فقال : من أين يا أم الدرداء ؟ قالت : من الحمام . فقال : والذى نفسى بيده ما من امرأة تضع ثيابها فى غير بيت أحدٍ من أمَّهاتها [٢] إلا وهى هاتكةٌ سِتْرَ ما بينها وبين الرحمن !! » (حم) بسند صحيح .

أدبُ الزوجِ مع أقاربِ زوجتِهِ

الحديث :

* قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « كنت رجلاً مَذَّاءً [٣] فاستحييتُ أن أسأل رسولَ الله ﷺ لِمكان ابنتِه مِنِّى ، فأمرتُ المقدادَ فسأله » [٤] .

---

(١) لقد أصبحت جميع المدن فى بيوتها حمامات - ولله الحمد والمنة - وكان خلوُّها منه جهلاً وتفريطًا . وبقى كثير من دور القرى بدون حمام ، فلعل مثل هذه الأحاديث تحض الرجال على سرعة إنشاء الحمام ، ولا يخفَى ما يقع من المفاسد بسبب ذهاب المرأة إلى حمام السوق ، ولعلَّ بعضَ الفاسقات المتزوجات يتخذن الذهاب إليه حيلة لقضاء مآربهن الإجرامية !

وقد ذكر بعضهم أن إحدى الزوجات الزانيات ، كانت تقول لزوجها من حين إلى آخر ، وبعد انقضاء مدة حيضها المعتاد : لقد عاودنى الحيض ، فاسمح لى بالذهاب إلى الحمام ، فيسمح لها ، وتذهب وتفسق ، ولو كان هذا الرجل مطلعًا على بحث الحيض لَعَلِمَ أنَّ ما يأتى النساء بعد المدة المعتادة فهو استحاضة لا يوجب الغسل !

(٢) لقد علمت أن بعض الخياطات والخياطين الفساق يعمدون بحيلة من الحيل لأخذ صور بعض النساء أثناء نزع ثيابهن الخارجية من أجل التجربة والقياس ، ثم يقومون بتهديدهن بهذه الصورة من أجل الاعتداء على عفافهن . وقد كانت العادة الإسلامية القديمة تقضى بحضور الخياطة إلى البيت .

(٣) المذْى : ماء أبيض رقيق يخرج أحيانًا عند ملاعبة الرجل زوجته وتقبيلها ، وهو يوجب الوضوء ولا يوجب الغسل .

(٤) قال الإمام النووى : اعلم أنه يستحب للزوج ألاَّ يخاطب أحدًا من أقارب زوجته بلفظٍ فيه ذكر النساء ، وتقبيلهن أو معانقتهن ، أو غير ذلك من أنواع الاستمتاع بهن ، أو يتضمن ذلك ، أو يستدل عليه ، أو يفهم منه ؛ مستدلاً على ذلك بحديث على رضى الله عنه .

الترهيبُ مِنْ إفساد المرأةِ على زوجها

الحديث :

* « ليس مِنَّا مَن حلف بالأمانة ، ومَن خبَّبَ [١] امْرَأَةً على زوجِهَا » . الحديث (حم . حب) ص .

---

(١) كان رجل من عباد بنى إسرائيل يعمل فلاحًا ، وكانت له امرأة من أجمل نساء بنى إسرائيل ، فبلغ جبارًا من جبابرة بنى إسرائيل جمالها ، فأرسل إليها عجوزًا فقال خَبِّبيها عليه ، وقولى لها : ترضين أن تكونى عند مثل هذا الفلاح ؟! ولو كنت عندى لحلَّيتك بالذهب وكسوتك بالحرير وأخدمتك الخدم .

فلما وقع الكلام فى مسامعها ، جاء زوجها بالليل ، وكانت تقرِّب إليه طعامه ، فلم تقربه ، ولم تفرش له فراشه ، وتغيرت عليه . فقال : يا هنتاه ! ما هذا الخُلق الذى لا أعرفه ؟ قالت : هو ما ترى ! فقال : أطلقك ؟! قالت : نعم .

فطلقها ، فتزوجها جبار بنى إسرائيل ، فلما دخلت عليه وأُرخيت الستور ، عَمِىَ وعمِيَتْ ، فأهوى بيده ليلمسها ، فجفت يده ، وأهوت بيدها تلمسه ، فجفت يدها ، وصمَّا وخرسا ونُزعت منهما الشهوة . فلما أصبحا رُفعت الستور ، فإذا هم صُمٌّ عُمْىٌ خُرْسٌ ، فرُفع خبرُهما إلى نبى بنى إسرائيل ، فرفع خبرَهما إلى الله تعالى ، فقال : إنى لست أغفر لهما أبدًا ؛ ظنًّا أنْ ليس بعينى ما عملا بالفلاح !

– كان أبو مسلم الخولانى إذا دخل بيته أخذت امرأتُه رداءه ونعلَيْه ثم أتته بطعام ، فدخل مرة ، فإذا بالبيت ليس فيه سراج ، وإذا امرأتُه جالسةٌ فى البيت منكسة تنكتُ الأرض بعود معها . فقال لها : ما لك ؟ فقالت : أنت لك منزلة من معاوية ، وليس لنا خادم ، فلو سألتَه فأعطاك خادمًا ومالاً ! فقال أبو مسلم : اللهم مَن أفسد علىَّ امرأتى ، فعاقِبْه .

وقد كانت جاءتها امرأةٌ قبل ذلك فقالت : زوجُكِ له منزلة عند معاوية ؛ فلو قلت له يسأل معاويةَ يُعطيه خادمًا ومالاً .

وبينما تلك المرأة جالسةٌ فى بيتها ، إذ أنكرت بصرها فقالت : ما لسراجكم طُفئ ، فعرفت ذنبها ، فأقبلت على أبى مسلم تسأله أن يدعو الله عزَّ وجلَّ لها يردَّ عليها بصرَها . فرحمها أبو مسلم ، فدعا الله عزَّ وجل ، فردَّ لها بصرها .

ومِن طريف ما يُحْكَى عن نبل المرأة ما ذكر العتبى قال : إنه كان ماشيًا فى شوارع البصرة وإذا امرأةٌ مِن أجمل النساء وأظرفهن ، تلاعب شيخًا سمجًا قبيحًا ، وكلما كلمها تضحك فى وجهه .

فدنوت منها وقلتُ لها : من يكون هذا منك ؟!

فقالت : هو زوجى . فقلت لها : كيف تصبرين على سماجته وقبحه مع حسنك وجمالك ؟! إن هذا من العجب .

فقالت : يا هذا لعله رُزق مثلى فشكر ، وأنا رُزقْت مثلُه فصبرتُ ، والصبور والشكور مِن أهل الجنة . أفلا أرضى بما قسمه الله لى ؟! فأعجزنى جوابُها ، فمضيتُ وتركتها . =

. . . . . .

= - ورأى ملكٌ امرأةَ أحد الفقراء ، وكانت ذات حسن وجمال ، فأحب أن يفسدها ، فأغراها بالذهب والحرير ثم قال لها : اختارى إن شئت أنا ، وإن شئت زوجك الفقير ؟ فأنشدت تقول ، وقد فضلت زوجها على الملك :

هذا ، وإن أصبحَ فى أطمار ... وكان فى نقصٍ مِنَ اليَسارِ
أفضَلُ عندى مِن أبى وجارى ... وصاحب الدرهمِ والدينارِ

أخشَى إن غدَرْتُ حَرَّ النار !!

وهناك قصةٌ مدهشة عَزاها بعضُهم جهلاً منه إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه . وقد نسى وجهل أن قصص التاريخ الشاذة لا يصح أن نسلِّم بها . وخاصَّةً إذا نُسِبَتْ إلى صحابى جليل هو معاوية وهو مِن كتّاب وحى رسول الله ﷺ ، وابنه يزيد كان قد قاد أول جيش غزا القسطنطينية ، وهو مغفور له كما جاء فى الحديث الصحيح ، ولا صحة لما جاء من فساد سيرته (راجع تعليقنا على كتاب « العواصم من القواصم ») .

مرض يزيد بن معاوية ، ولم يكن مرضُه إلا لوعة الحب (لعن الله الكاذبين) الذى يُكِنُّه لزينب بنت إسحاق ، وكانت زوجةً لعبد الله بن سلام القرشى . وما كادت أخته رملة تعلم بالأمر حتى هوَّنته على أخيها يزيد ، وعرضت الأمر على أبيها الذى ترك لها التصرف فيه بما تراه !! وأطاع معاويةُ ما رأته ، فأرسل إلى عبد الله بن سلام من يخبره بأن له ابنة يريد زواجها ولم يرضَ لها حليلاً غير عبد الله لدينه وفضله وشرفه ، ورغبةً منه فى تكريمه وتقريبه . فيفد إلى معاوية فرحًا بعرضه السخى ، ويستعرض معاوية الأمر مع ابنته من وراء حجاب وعلى مسمع من عبد الله ، فيكون جواب رملة أنها لا تكره ما اختاره أبوها ، ولكنها تخشى الضرّ ولا ترضى بحياة الضرائر ، سيما وأن زينب زوجة عبد الله تشتهر بأنها من أجمل نساء العرب !

ويُطمئن عبدُ الله معاويةَ وابنته ، بأنه سيطلِّق زينب . . ويتم الأمر عند هذا الحد .

وتنقضى العدة ، وتصبح زينب فى البينونة الكبرى حيث لا تحل بعد ذلك لعبد الله ما لم تتزوج من غيره .

وهنا فقط تُبدى رملة معارضتها فى الزواج من عبد الله بحجة أنه رجل لا يُطمأَن إلى معاشرته والحياة معه ؛ فقد غدر بزوجته زينب وسرَّحها ظلمًا على الرغم من مالها وجمالها ووفائها له ، وما ذلك إلا لمجرد التلويح له بتزويجه من ابنة معاوية .

ويذهب إلى زينب مَن يخطبها إلى يزيد من قِبل معاوية ، ويعلم الحسين بن على رضى الله عنه بأمر المكيدة ، فيطلب إلى رسول معاوية أن يخطبها له أيضًا ، ثم يترك لها الخيار ، ولكن زينب تجيب بقولها : لا أختار على الحسين أحدًا ، وهو ريحانة النبى ﷺ وسيد شباب أهل الجنة . ويصل الأمر إلى معاوية فيقول غاضبًا :

انعِمِى أمَّ خالد ... رُبَّ ساعٍ لِقاعد !

ولم يلبث الحسين أن ردَّها إلى زوجها قائلاً : ما أدخلتها بيتى للزواج رغبةً فى مالها وجمالها ، ولكن أردتُ أن أُحِلَّها لبعلها القرشى ! =

. . . . . .

= لقد وقع واضعُ هذه القصة - عليه مِن الله ما يستحق - فى أخطاء فقهية لا يقع فيها مَن عنده إلمام بالشريعة ، فضلاً عن صحابة رسول الله ﷺ ، نذكر منها :

١ - عدم جواز الخِطْبة خلال العدة .

٢ - لم يطلق عبد الله بن سلام زينب طلاقًا بائنًا حتى لا يجوز له مراجعتها إلا بعد أن تنكح زوجًا غيره .

وإذا فرضنا جدلاً أنه طلقها طلاقًا ثلاثًا دفعَةً واحدة : فإنه لا يقع إلا واحدًا ؛ لأنه فى مجلس واحد ، وذلك لما رواه ابن عباس عن النبى ﷺ قال : كان الطلاق فى عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر ثِنتين ، ومن خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا فى أمرٍ كان لهم فيه أناةٌ (أى مُهلة) فلو أمضيناه عليهم . [رواه مسلم] .

فلينتبه الزوجان إلى هذا الحكم كى لا يقعا فى الحرج ، إذا وقع من الزوج طلاقٌ بلفظ ثلاث فى مجلس واحد ، فهو يقع واحدًا . وقال الإمام ابن القيم : إن عمر رجع عن رأيه .

٣ - إن إدخال الحسين للمرأة إلى بيته لا يُحلِّلها لزوجها الآخر لحديث « حتى تذوقَ عسيلته ويذوق عسيلتها » !

حاشَا للحسين رضى الله عنه أن يقبل التحليل - وهو زنًا - وقد لعن الرسول ﷺ المحلِّل والمحلَّل له .

فنُّ المُدَاعبَةِ

مُدَاعبةُ الزوجةِ

الأحاديث :

* قال جابر رضى الله عنه :

« كنَّا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوةٍ ، فلما رجعنا - وكنَّا قريبًا من المدينة - قلت : يا رسول الله إنى حديثُ عهدٍ بعُرسٍ .

قال : أتزوجتَ ؟

قلت : نعم .

قال : أبِكرٌ أم ثَيِّب ؟

قلت : بل ثيِّب .

قال : فهلاَّ بِكْرًا [١] تُلاعبُها ؟

---

(١) قال الإمام ابن القيم : لماذا فضل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم البكر على الثيب ، وهذه الصفة تزول بأول وطء ، فتعود ثيبًا ؟ قيل : الجواب من وجهين :

أحدهما : أن المقصود مِن وطء البكر أنها لم تذق أحدًا قبل وطئها ، فتُزرع محبتُه فى قلبها ، وذلك أكمل لدوام العشرة ، فهذه بالنسبة إلى الواطئ ؛ فإنه يرعى روضةً لم يرعها أحد قبله ، وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى بقوله : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ ، ثم بعد هذا تستمر له لذة الوطء حال زوال البكارة .

والثانى : أنه قد ورد « أن أهل الجنة كلما وَطئ أحدُهم امرأةً عادت بكرًا كما كانت » رواه الطبرانى فى معجمه [روضة المحبين ص ٢٤٢] .

وكانت عائشة رضى الله عنها تُدِلُّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه لم يتزوج بِكرًا غيرها ، فكانت تقول له : « لو نزلت واديًا فيه شجرٌ أُكِل منها ، وشجر لم يؤكل منها ؛ فى أيهما ترتع بعيرك ؟ .

وكان يرد عليها : « فى التى لم يُؤكل منها » (خ) .

وجاء فى بعض الآثار : « عليكم بالأبكار ؛ فإنهن أعذب أفواهًا ، وأَنتق أرحامًا (أكثر ولادة) ، وأسخن أقبالاً (فروجًا) ، وأقلّ خِبًّا (أى خداعًا) ، وأرضى باليسير من النفقة » .

ومهما كان مِن شأن البكر ، فإن للثيب مزاياها أيضًا من الممارسة والخبرة فى حسن معاملة الزوج ، وقد أخبر الله سبحانه نبيه ﷺ بقوله : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] . =

. . . . . .

= وقد قال الإمام ابنُ كثير فى تفسيرها : أى منهن ثيبات ومنهن أبكار ؛ ليكون ذلك أشهى إلى النفس ؛ فإن التنويع يبسط النفس . ولهذا قال : ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ .

ولقد صوَّب الرسولُ ﷺ جابرًا لتفضيله الثيب على البكر من أجل رعاية وخدمة صغاره فى البيت ؛ لما لها من خبرة وصبر . . . كما سترى فى حديث مقبل .

وبمناسبة الكلام على الأبكار والثيبات نذكر الطرائف التالية للطرافة :

* عُرض على رجل جاريتان : بكر وثيب ، فمال إلى البكر .

فقالت الثيب : لم رغبْتَ فيها ، وما بيني وبينها إلا يوم ؟!

فقالت البكر : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

فأعجبتاه ، فاشتراهما .

* قال الجاحظ : قلت لجارية ببغداد : أبِكرٌ أنت ؟

فقالت : نعوذ بالله من الكساد ؛ تعنى الثيوبة .

* قال على بن الجهم : اشتريت جارية ، فقلت لها : ما أحسبكِ إلا بكرًا !

فقالت : يا سيدى كثرتِ الفتوح فى زمان الواثق .

* عُرضتْ على الخليفة المتوكل جاريةٌ ، فقال لها أبكرٌ أنت أم أيش ؟

فقالت : أنا أيش يا أمير المؤمنين .

فضحك واشتراها .

وبمناسبة الكلام عن البكر العذراء أرى من الإفادة والنصح التحدث عن **البكارة وكيفية فضها من قِبل الرجل** بشىء من التفصيل نظرًا لخطورة الموضوع ، وقد كان الجهل به سببًا فى كثير من حوادث الطلاق .

جاء فى أحد الكتب الجنسية أن أدق الساعات فى عالم الزواج هى ساعات الليلة الأولى ؛ كلٌّ من الزوجين مزوّد بالأحلام ، ومشحون بالمنى والآمال .

ولذلك فإن السلوك فى هذه الليلة يجب أن يكون محفوفًا بالحيطة والحذر .

ويعجبنى قولٌ لـ « بلزاك » فى هذا المقام :

« لا تبدأ حياتك باغتصاب !! » .

وهذه الحكمة سنجعلها مفتاح الحديث عن الليلة الأولى .

فى هذه الليلة يحفُّ بالفتاة الزوجة شعورٌ بالخوف العظيم والتهيب الكبير من الرجل الغريب ، ومن الحياة الجديدة . . . والزوج الحكيم هو الذى يُحسن استقبال هذا الشارد ، والإنسان الوديع ، والحبيب المضطرب ، والقلب الوجل .

كثير من الأزواج يقع فى خطأين فاحشين :

١ - يضع همَّه كله فى إزالة البكارة فى الليلة الأولى ، وبأى طريق ، وعلى أى شكل .

٢ - ينتظر من زوجته أن تَقبل هذا الأمرَ بحكم الواقع ، وترضى به بدون مقدمات أو ضياع وقت !!

وإن اعتبر هذا البعضُ أن هذا رجولةٌ ، فالإسلام يحكم بأن الرفق بالإنسان بل بالحيوان من =

. . . . . .

= الرجولة أيضًا ! أما أن المرأة يجب أن تقبل إزالة أعز شىء عليها من غير مقاومةٍ : فذلك قضاء على فطرتها ، ومحاربةٌ لطبيعتها . . ما أجمل الأحاديث عن الزواج السعيد ، وعن الأحلام اللذيذة ، وعن الأطفال الذين سيملؤون أرجاء البيت زغردةً وجمالاً !

حدِّث زوجتك عن حبك لها . . عن جمالها . . عن فتنتها . . ولا تستعجل فى حركاتك وأوضاعك الجنسية . . . هل قرأت ما أورده ابن حزم فى هذا المقام ؟

روى الإمام الفقيه ابن حزم فى كتابه « طوق الحمامة » قال :

« حدثنى أبو بكر محمد بن الحجرى ، عن رجل من شيوخنا ، أنه كان ببغداد رجلٌ رأى فتاةً فأحبَّها وتزوجها . . فلما كانت ليلة الزفاف استعجل أمره ، فرأت الفتاة كِبَرَ عضوه ، فنفرت منه ، وأبت الرجوع إليه حتى الموت . وهكذا كان استعجال الأمر سببًا فى فصم العُرَى ، وحل الروابط . ولو انتظر صاحبنا حتى لانت فتاته ، وهدأ غزاله ، لقرَّت عينه ، وسعدت حاله ! » .

قال الدكتور فريدرك كهن فى كتابه « حياتنا الجنسية » :

إن جهل الزوجة وقلة خبرة الزوج يمكن أن يؤديا فى هذه الحالات العصبية إلى مآس مؤلمة أدت إلى الانتقال من السرير الزوجى إلى مستشفى المجانين ؛ وتفصيل ذلك أن فتاة أحبها الجميع للطافتها وحسن أخلاقها ، قد تزوجت برضاها ، بَيْدَ أنها لا تعرف شيئًا عن الحياة الزوجية ، كما أن أهلها وخطيبها لم يهتمًا بالأمر . وفى ليلة الزفاف طلب منها خطيبُها الاستسلامَ ، فرفضت هذا العمل « الشائن » ، وحاولت منعه ، كما أن الزوج المتوحش هجمَ عليها ليحصل على ما يعتبره حقَّه الشرعى ! فغضبت الفتاةُ وأخذت تحطم أثاث الغرفة ، حتى هُرع رجال الفندق ، وبدلاً من أن يطلبوا لها طبيبًا ، اتصلوا برجال الشرطة الذين قيدوها وسلَّموها لمستشفى المجانين . . .

هذا - وللخوف من العملية الجنسية أسباب كثيرة أهمها عند الرجل : عجزه فى مطلع شبابه عن ممارسة العملية الجنسية نتيجة عدم الخبرة والأفكار الخاطئة عن الجنس . وتشترك الفتاة فى السببين الأخيرين من خوفها من العملية الجنسية .

ويعمد الطبيب النفسانى لِخَلاص مريضه أو مريضته من الخوف من العملية الجنسية إلى زيارة حديقة الحيوانات أو أحد الحقول لمشاهدة عديد من أنواع الحيوانات اللبونة - وهى تسعى - ذكورًا وإناثًا - إلى ممارسة العملية الجنسية بكل رغبة ، وخاصةً الأنثى التى تستسلم لذكرها ، مدفوعةً بقوة الغريزة التى وضعها الله سبحانه لبقاء النوع !

وبمناسبة الحديث عن فض البكارة لا بد من الإشارة إلى أن كثيرًا من الأزواج يعجز عن ذلك فى الليلة أو الليالى الأولى . وهذا أمر طبيعى ، نتيجة الشوق أو صلابة الغشاء ، فمن واجب أصدقائه وأقربائه وقريباته عدم الاهتمام بذلك بتضخيم القضية وكثرة القال والقيل والاستهزاء به والسخرية منه ، مما يُخشى أن يؤدى إلى إصابته بالعنَّة نتيجة الإيحاء الذاتى والخارجى بعجزه ؛ وكم لهذا الإيحاء من آثار خطرة سلبًا وإيجابًا !

ومن المعلوم أن أضمن طريق للنجاح هو أن يؤمن الإنسان قبل أى شىء آخر : أنه سينجح !!

حدثنى بعضهم عن عادة سيئة عند بعض القرى : أن الشاب إذا لم يتسنَّ له فض البكارة سخر =

. . . . . .

= منه أصحابه من الشباب صباحًا واتهموه بالعنة ! وإذا فضَّها قامت قيامة رفيقات زوجته واتهموها بالشبق لاستسلامها منذ الليلة الأولى !

لذلك تمانع ، فيضطر زوجها لضربها بالعصا لينجو هو بدوره من استهزاء وسخرية أصحابه !!

ونذكر فيما يلى **طريقة إزالة البكارة** :

إن المغازلات الطويلة والحسنة الإيقاع تزيل عقبات وصعوبات جمة ؛ لأن مقاومات المرأة إجمالاً تزول إثر المغازلات المثيرة .

وإذا استمر خروج الدم بعد زوال البكارة فينبغى للزوجة الخلودُ إلى الراحة وضَمِّ فخذيها مدة ، وعلى الزوج التوقف عن إتيانها حتى ينقطع الدم .

وعلى الزوجة أن تهتم بالنظافة بالاستعانة بالمطهرات بعد فض البكارة حتى يتم شفاء الجرح ، وعلى الزوج التوقف عن الجماع إذا استمر النزف ريثما يتوقف .

وينبغى للزوج أن يستعمل قليلاً من المواد اللزجة كدهن الحلو (الكليسيرين) أو (الوزلين) إذا شعر بألم الزوجة فى الليالى الأولى خشية حصول النزف .

وإذا طال أمد عدم فض البكارة فى الأيام والأسابيع الأولى ، فيجب مراجعة الطبيب وتناول الأطعمة والأشربة والمواد المقوية للباه التى ينصح بها الأطباء ، نذكر منها :

اللحوم والقرنبيط والبيض والكشك والأرز باللبن والسمك والجزر والفلفل والليمون والخردل والكمون والبصل ، والكرفس والهليون والبقدونس والزنجبيل والقرفة والنعناع الأخضر والزعفران ، وسلق أقدام العجل ، ولحم الطيور .

ومما يُضعف الرغبة الجنسية الألمُ والمرض الشديد والانهماك الكثير فى العمل ، وترك الرياضة ومنها الوضوء والصلاة والنظافة .

ومما يساعد على فض البكارة ممارسةُ العملية صباحًا ؛ حيث ينتعظ عضو الرجل قبل التبول ! وذلك عند ذوى الانتصاب الضعيف .

ينبغى تشجيع الزوج وطمأنته إلى مقدرته مع الأيام ريثما يزول الشوق والخجل المخزون من ماء الرجال .

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قضى بأن يؤجَّلَ العِنِّين سنةً ، ولعل ذلك لمعالجته ، وإن دامت العِنَّة أكثر من سنة فرَّقَ القاضى بينهما إن طلبت الزوجة .

ومن أطرف ما وجدته من التفاسير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ ، أنه يؤخذ من هذه الآية أن كثرة الاستغفار يزيد فى الرزق ويعين على الجماع بدليل قوله تعالى فى هذه الآية : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ ، هذا غير الأجر الأخروى المستدل عليه بقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح : ١٢] .

ويفهم مما سبق أنه ممّا يساعد على قوة الرجل : الدعاء إلى الله تعالى كما جاء فى الحديث الصحيح : « اللهم متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارثَ مِنّا » . =

. . . . . .

= هذا وإذا تعذر على الرجل فضُّ بكارة زوجته لصلابتها : فعليه مراجعة الطبيب لإزالتها بعملية بسيطة .

وعلى كل حال يجب فحصُ قدرة الرجل قبل الإقدام على هذه العملية ؛ خشية أن يكون مصابًا بالعنة الدائمة !

ولما كنّا فى صدد الكلام عن البكارة ، فيحسن أن نتحدث عن عادة قبيحة فى الديار المصرية ، وهى عادة **فض البكارة بالأصبع** ، وإليك ما جاء فى وصف هذه العادة الرهيبة :

ومن العادات التى عمَّت وطمَّت ، وملأت السهل والوعر ، وفشت فى كثير من القرى والحواضر : إزالة البكارة بالأصبع بطريقةٍ تقشعر مِن هولها الأبدان ، وتهتز من فظاعتها المشاعر لما يترتب عليها من ضرر بالغ ؛ هو الجناية على العرض وهتك المستور ، وفضيحة البرىء ، خاصةً إذا تولى هذه العملية الوحشية غيرُ زوجها من نساء جاهلات يؤتى بهن لهذا الغرض ، الضرر البالغ إذا تولاها زوجُها الغَرُّ الجاهل فيسدِّد أصبعه ليهتك به ذلك الغشاء الرقيق . وهناك حدِّثْ ولا حَرَج عن الأثر الذى يتركه فى نفس عروسه المسكينة وقد علاها الوَجل وتملَّكها الخوفُ وتمكَّن منها الرعب من شدة الصدمة وفظاعة الجرم . يرتكبون هذه الجريمة النكراء لا من أجل إزالة البكارة التى لا صعوبة فيها ولا مشقة ، ولكن ليحصلوا من وراء هذه العملية على دم البكارة التى لَبَّسها عليهم إبليسُ وأعوانُه من شياطين الإنس ، فيُظهرون بهذا الشرفَ المزعومَ أمام أعدائهم ومن يتربصون بهم الدوائر ، وقد لا يجدون هذا الدم لِكون البكارة غوراء ، أو لأنها زالت بسببٍ غير الوطء ، وهنا يسقط فى أيديهم ، فيبحثون عن المحلل لعلهم يجدونه وإلا أساءوا الظن واتهمُوا البرىء ، والمحلل فى هذا الوضع يختلف باختلاف البلاد : فبعضهم يأتى بدم مستعار ، وبعضهم يشق عضوَ التناسل بآلة حادة يسترون بذلك موقفهم وحسبهم هذا ، وفات هؤلاء الأغبياء أن المستور مهما بالغوا فى ستره وإخفائه ، فإنه لا بد من كشفه وظهوره على يد من ائتمنوها من النساء ، ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزوِّدِ :

ومهما تكن عند امرئٍ مِن خليقةٍ وإن خالها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

وأفضلُ العلاج ما تولته يدُ الشريعة الغرّاء وجاء به سيد الأنبياء ﷺ ؛ فهو البلسم الشافى والطب الوافى ، وذلك بترك الزوج لزوجته - تأتنس به ويأتنس بها ، وتسكن إليه ويسكن إليها ، فتحصل المودة وتصفو القلوب ، ثم تمر هذه العملية بسلام . [نقلاً عن رسالة « منكرات الأفراح » أصدرتها وزارة الأوقاف المصرية] . وقد حققتُها وأضفتُ إليها كثيرًا من البحوث المفيدة التى لا يستغنى عنها القارئ .

وبمناسبة الكلام على البكارة ، يؤسفنى أسفًا شديدًا أن أتطرق إلى موضوع مشين قلَّما يخطر على بال الزوج ، فيكتفى بالاطمئنان على عفة الزوجة ، والبكارة ، مع أن **ذلك لا يكفى** ! ولا بد من التثبت أنها لم تلجأ إلى الشذوذ الجنسى مع عشاقها من الشبان قبل الزواج رغبةً فى الحصول على المال ، مع الحفاظ على بكارتها ، وذلك لتأمين متطلبات الأزياء والموضات كما صرَّح بذلك بعضهن ، وقد كان بالإمكان غض النظر عن ذلك من بعض الأزواج أملاً بتوبتها . ولكن يبقى محذورٌ مدمر ، وهو أن المرأة - ومثلها الغلام - تصاب نتيجة ذلك بآفات تطالب بإلحاح بتكرار الفعل الشاذ وهو ما يسمى باللغة العربية بـ « الأُبْنَةَ » التى تدفع المصاب أو المصابة دفعًا شديدًا للاتصال بالأشرار من أجل إطفاء غلتها ؛ فالانتباه أيها الزوج ! =

وفى روايةٍ : هَلاَّ بكرًا تلاعِبُك [١] وتلاعبُها » (ك) ص .

= وقديمًا قال الشاعر :

لـيـس الـغـبـيُ بـسـيـدٍ فـى قـومـه ... لـكـنَّ سَـيِّـدَ قَـوْمِـهِ الـمُـتَـغـابِـى

وإنه إذا انتبه الأزواجُ إلى هذه المشكلات ، فلا شكَّ أن النساء يُقْلعن عنها ، ولا يقرَبْنها خشية الفضيحة والطلاق ، إذا كن لا يخشيْن الله سبحانه .

(١) **الملاعبة أو المداعبة** فنٌ هام يتوقف عليه وجود المتعة واستمرار الحياة الزوجية ، وقد نبه إليه الرسول الأعظم ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا بكل صراحة ، وأكَّد عليه كما يظهر من الروايات المتعددة ، وقد جاء علم النفس فى العصور المتأخرة يوضح أهميته .

يقول أحد العلماء :

« فى الزواج المثالى يجب أن يكون الجماع منسجمًا فى العمل والاستجابة له ، ومن ضرورات هذه المشاركة : المساواة فى الحقوق ، وفى الاستمتاع فى « **الاتحاد الجنسى** » ، أى الجماع .

ولكى يتمتع الزوجان بالاتحاد الجنسى ، لا بد من المداعبة أو الملاعبة أوَّلاً ؛ فإهمال الملاعبة يضايق المرأة ، ويثير اشمئزازَها بل يؤذيها إيذاءً بدنيًا ونفسيًا .

وإهمالُ الملاعبة دليلُ الغباوة والحماقة ؛ لأن الملاعبة فن غزير اللذات ، ولذّاته لا تقل عن لذات الجماع !

والألفاظ والنظرات لها أهميةٌ عظمى فى التمهيد ؛ لأنها دليل على الإفصاح عن المشاعر والأحاسيس فى هذا الدور الباكر ، حين تكون النفس أكثر استعدادًا من الجسم للتأثر والإثارة .

ومهما بدت هذه الأمور تافهة وصغيرة ، فإنها مهمة جدًا . ويكفى أن نراجع ما جاء عن ارتباط حاسة الشم بالناحية الجنسية وما قاله « روسو » عن قوة العطر فى حجرة النوم ! .

إن المداعبة هى تنفيذ الأعمال اللازمة للتمهيد للعلاقات الجنسية فى الزواج ، وهنا تصير المداعبة بين الزوجين شيئًا منعشًا جميلاً يجدد المشاعر الجنسية . . .

فيجب أن لا يخلو الجانب الفنى العلمى فى الزواج المثالى من الاهتمام بالمداعبة وإثارة الإعجاب والوله بالقَدْر المناسب وفى الوقت المناسب .

وقال أحدُ علماء النفس الأخصائيين فى مسائل الجنس تحت عنوان « **المغازلة والمداعبة** » :

واعلم أنه لا يكفى أن يستهوى الرجلُ زوجتَه ويستعطفها حتى تذعن له مرةً واحدة فقط حين يتزوجها ، بل يجب أن يلاطفها ويستعطفها ويستهويها عند كل وصال ؛ لأن كل وصال يمثل زواجًا جديدًا !!

وإذا كانت الحيوانات العجماء تفعل ذلك ، فيجدر بالإنسان أن يفعله مِن باب أَوْلى - بل يفعل أكثر منه ! - ويظهر أن هذه الحيوانات أقل جهلاً من بعض الناس فى هذا القبيل ؛ إذ لا يمكن أن تتزاوج إلا بعد المغازلة والمداعبة المألوفة فى جنسها . . .

وقد جاء فى أمثال العامة فى تفضيل الزوج القبيح الذى يحسن المداعبة على الزوج الجميل الجامد : « وِحِشْ ، لكنه نِعِشْ !! » .

فعلى الإنسان واجب مزدوج : عليه أن يثير الغرام فى نفس محبوبته ، وأن يفتن لبَّها ويشغف قلبها حتى يثير عواطفها إلى حد الاستعداد التام للمضاجعة ! =

. . . . . .

= وهنا لا بد من إعادة ما تقدم من القول : وهو أن غرام المرأة يتحمس مبدئيًا بواسطة قلبها وعقلها ؛ فالزوج القدير لا يهمل غرامها وعواطفها ؛ حتى يحلِّق الحب فى سماء عقليهما .

ليس جعلُ المرأة متأهبةً للوصول عملاً إنسانيًا فقط يراد منه تلافى تألمها ، بل هو أمرٌ ذو فائدة عظمى للرجل نفسه ؛ لأنه يحصل به على منتهى اللذة بسبب الإحساس المتبادل بين الجانبين . . » .

وبمناسبة الكلام عن المداعبات الجنسية عند الحيوانات قال الإمام ابن الجوزى فى كتابه « الأذكياء » بعدما وصف تدريب الأبوين من العصافير لأبنائهما ونجاح ذلك فيتم فرحهما : « فيبتدئ الذكر بالدعاء - أى دعاء أنثاه إليه - وتبتدئ الأنثى بالتأنى والاستعداد ، ثم ترفق وتتشكل ، ثم تمتنع فتجيب ، ثم يتعانقان ويتطاوعان ، ويحدث لهما من الغزل والتقبيل والرشف الشىء الكثير . . . » .

فما أحوج كثير من الأزواج إلى تعلم المداعبة فى مدرسة الطير وغيره من الحيوانات .

جاء فى عيون الأخبار ٤/ ٨٠ : « قيل للحجاج : أيمازح الأميرُ أهله ؟ قال : ما ترونى إلا شيطانًا !؟ والله لربما قبَّلتُ أخمصَ إحداهن ! » .

جاء فى كتاب « تحفة العروس ونزهة النفوس » وهو كتاب لمؤلف قديم يدعى أبا عبد الله ابن أحمد التيجانى : « قال أبو الريحان فى كتابه المسمى (بالجواهر) : كان أحد الملوك مولعًا بالنساء ، وكان ربما يجامع ويشتاق إلى المعاودة ، فيجد أعضاءه قد ضعفت عن حركات الرهز ، قال : فجُعل له حوض مليء من الزئبق وبُسطت عليه الفرش ، فكان يجامع عليه ، وكان الزئبق يحركه دون أن يستعمل الحركة ، قال : فاستلذ بذلك .

وقد أخبرنى أحد رجال الشرطة أنه عثر على زوجة شابة تزنى ، وكان لها زوج جميل . فاستغرب هذا الشرطى صنيعها ، فلما سألها عن السبب قالت : إن زوجها لا يعرف فخذَها ، فكان دأبُه جماعَها دون مداعبةٍ مكتفيًا بقضاء شهوته وكفى ! » .

وقال بعض الناصحين الخبيرين : إن من أقبح العجز والجهل أن يجامع الرجل زوجته قبل أن يحدِّثها ويؤانسها ويداعبها ، وليحذر من أن يقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه !!

وقالت الخبيرة النفسية « مارى ستوب » :

ويرى الذين يكتبون فى أمور الجنس ، ويطبقون اختباراتهم على تقدُّم علم النفس : إنه من الأفضل للعروس أن تشارك زوجَها العمل الجنسى ، وهى التى ترشد إلى إتمام تمزيق الغشاء ؛ إذ إنها هى التى تحس بقليل من الألم (إذا كان الغشاء صلبًا) .

ما إذا كان الرجل هو الذى يقوم بهذا العمل وحده ، فمن المؤكد أنه - وهو بحالة من النشوة قوية - قد تعميه عن رؤية أو تلمُّس الألم الذى تحس به فتاته .

وبذلك قد يوحى ذلك إلى العروس ، أن زوجها لا يهتم إلا برغباته ، ولو على حساب إزعاج زوجته .

أما إذا ساعدت الزوجةُ بمجهودٍ منها مشترك مع زوجها - وذلك بالتفاهم وسلوك الطريق الذى يرضى عنه الطرفان ، فإنه لا بد يخفف من الألم ، ولا تعود الزوجة تحس بالنفور من زوجها .

وكذلك كى يكون الاتصال الجنسى طبيعيًا وجميلاً ومستحَبًا ، لا بد أن تساهم الزوجة بدورها مع الرجل فى الوصول بهذا العمل إلى القمة التى ينشدها زوجها والتى يجب أن تنشدها هى أيضًا . =

وفى رواية عن جابر قال : قال لى رسول الله ﷺ : « من تزوجتَ ؟

فقلتُ : ثيبًا .

فقال : ما لَكَ ولِلعذارَى ولعابها [١] ؟!

= وهذا يستدعى منها أن لا تبقَى شريكًا سلبيًا ! بل عليها أن تندمج فى دورها اندماجًا كليًا : روحيًا وجسديًا ونفسيًا ؛ إذ إن هذا الاندماج ، وهذا الاندفاع من كل من العروسين الواحد نحو الآخر بشوق وحنين ورغبةٍ وتفاهم ، يخلع على الاتصال لونًا زاهيًا وجذابًا من ألوان المتعة واللذة المنشودة .

أما فى حال بقاء الزوجة سلبية التصرف - كما يفكر بعض النساء أن يتصرفن فى مثل هذه الحالات والمواضيع ، وإذا تَركت زوجهَا وحده فى أتون هذا العمل - فإن كثيرًا من الاعتبارات تُفقد وتذهب سُدًى ؛ لأن التعبير عن الحب يكون ناقصًا إذا لم يكن هناك الشوق والرغبة المشتركان .

كما أن الاتصال الجنسى نفسه يفقد روعته وكماله ومتعته ؛ لأن جمود الزوجة يقضى على أجمل ما فيه .

ويبلغ هذا الاتصال روعته ومتعته عندما يشترك الاثنان فى العملية الجنسية . . . !

وأهم ما ينبغى أن يراعيه الزوج فى ليلة الزفاف مراعاة عواطف زوجته ؛ فقد تركت عشها الذى درجت فيه إلى عش جديد لم تألفه بعد ، فقد تشعر بالوحشة والحياء .

لهذا كله يجب على الزوج أن يكون لبقًا جدًا ، فيجعل من ليلة الزفاف ليلةَ تقوية روابط الصداقة والحب ، لا ليلة إزعاج وإظهار المقدرة والرجولة بصورة فجائية وسريعة ، عليه ألاّ يُقْدِم على العملية الجنسية إلا إذا وجد استعدادًا ورغبةً وتعاطفًا من رفيقة حياته ، وإلا أجَّلها إلى وقت آخر .

وقبل الانتهاء من الكلام عن فن الملاعبة والمداعبة التى أمر رسول الله ﷺ بها ، ألفتُ الانتباه إلى **فترة الملاعبة بعد الجماع** ، فقد قال أحد العلماء المتخصصين بالجنس :

لهذه الملاعبة أهمية كبرى فى العلاقات الجنسية ، ومن المؤسف أنها لا تنال إلا الإهمال ؛ فمن عادة كثير من الأزواج أن يتباعدا بعد الجماع مباشرةً ، ولا سبب لذلك إلا الجهل أو الإهمال ، فيدير الرجل وجهه ويستغرق فى النوم ، بينما تشعر الزوجة بهبوط تلهُّفِها تدريجيًا ، فيحرِم الزوج نفسه من أعظم الفترات العاطفية ، كما يفسد على زوجته استمتاعها بمشاركته تلك اللحظة وحنانها الجميل ، وحاجتها الأكيدة إلى المداعبات والقبل والكلمات الحلوة التى تطلبها المرأة أكثر من الاستمتاع الجسدى .

لذلك يجب على الزوج الاستمرار فى إمتاع زوجته ومداعبتها بعد إشباع رغباته ، ويكفى أن يمنحها كلمةَ حُبٍّ أو قُبْلةً أو لَمسَةً رقيقة ، أو عناقًا ؟

(١) جاء فى كتاب « التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ﷺ » تعليقًا على هذا الحديث ما ملخصه :

فلما علم النبى ﷺ بأن جابرًا تزوج ثيبًا قال له ؟ « ما لك وللعذارَى ولعابها ؟! » .

« أى الأبكار وملاعبتها ، أو لُعابها وهو الريق ، إشارة إلى مص ورشف الشفة واللسان الذى يحصل عند الملاعبة » .

وقد سئلت عائشة رضى الله عنها عما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى أول دخوله بيته ، قالت : السواك ! ولعل ذلك لتنظيف أسنانه عند استقبال أهله بالقُبلات الحارة التى =

قلت : يا رسولَ الله ، إن عبد الله ماتَ وتركَ سبع بنات أو تسعًا ، فجئتُ بمن يقوم عليهن ، ويُصلِحُهنَّ .

قال : فدعا لى » . (رواه الخمسة) ص .

وفى رواية لمسلم : قال رسول الله ﷺ لجابر :

« فهَلَّا جاريةً تلاعبُها وتلاعبُك ؟

أو قال : تضاحكُها وتضاحكُك ؟ . . . [١] » الحديث .

* عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« جلسَتْ إحدى عشرة امرأةً فتعاهدْنَ وتعاقدْنَ أن لا يكتُمْنَ مِن أخبار أزواجهنَّ شيئًا . . . » .

واشتكت كثير منهن قلةَ النفقة ، وسوءَ العشرة ، وعدمَ المداعبة ، وقلةَ الجماع ، وكل ذلك من أهم أهداف الزواج عند المرأة !

ومما قالته الحادية عشرة ما خلاصته : « زوجى أبو زَرْع ، وما أبو زَرْع ؟ نقلنى من شدة العيش وجَهْدِه ، إلى الثروة الواسعة ، وجعل لى مَن يخدمنى ، فأنام ملء عينى . . .

ثم قالت أمُّ زرع : خرجَ أبو زرع ، فلقى امرأةً معها ولدان يلعبان من تحت خصرها برمّانتين [٢] فطلّقنى ونكحها . . »

قالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله ﷺ : « كنْتُ لكِ كأبى زرع لأُمِّ زَرْعٍ [٣] ! » .

= تجلب السعادة وتزيل هموم الحياة . ويحسن أن يفعل الزوج هذا عند خروجه من داره أيضًا ؛ ليتبادل الزوجان المحبة ويتذكرا أنهما على العهد ، وإن افترقا .

وهذا الحديث يسلّط الأضواء على دور الفم فى المداعبة ، فيا لعظمة النبوة وحكمتها . فقد جاءت العلوم النفسية تثبت روعة ما تحدَّث عنه مِن تأثير اللعاب ، فقد قالت (مارى ستوب) الخبيرة النفسية ، وهى تعبر عن رغبة بنات حواء بصراحة مكشوفة :

« على الرجل أن ينادى شفتيها بشفتيه ، وإذا لمس من عروسه هذا الاستسلام وتلبية ندائه : فعليه عندئذ أن ينتقل بشفتيه ، وأن لا يحصر نشاطهما على شفتيها ، ومزج لعابه بلعابها ، وهذا من العوامل التى تثير وتُنشط الشعور الجنسى بالتسلط ولا بأس ، بل من الضرورى الانتقال بشفتيه إلى أمكنة أخرى مثل الأذن والعنق والجيد » .

(١) ما أروع هذا التوجيه النبوى فى وجوب تبادل الزوجين إدخال كل منهما السرور على صاحبه بملاعبته ومداعبته وإضحاكه .

(٢) روينا الحديث باختصار وببعض معناه ، وهو عند مسلم .

(٣) أى فى الألفة والعطاء ، لا فى الفرقة والطلاق .

المداعبةُ حتى أثناءَ الحيضِ

الأحاديث :

* قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الحائض :

« اصنعوا كلَّ شىءٍ إلا النِّكاح » . وفى لفظٍ « إلاَّ الجماع [١] » (رواه الجماعة إلا البخارى) .

* « وَرَدَ عن أزواج النبى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد من الحائض شيئًا أَلْقَى على فرجها شيئًا ثم صنع ما أراد » . (د.ق) .

المداعبةُ حتى أثناءَ الغُسْل

الحديث :

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« كنت أغتسلُ أنا ورسولُ الله ﷺ من إناءٍ بينى وبينه ، تختلف أيدينا عليه ؛ فيبادرنى حتى أقول : دَعْ لى دَعْ لى [٢] ؛ قالت : وهما جُنُبان » . (خ.م) وغيرهما .

---

(١) ما أروع حكمة الإسلام ، فهو وسط بين ما يعتقده اليهود من تحريم حتى مساكنة المرأة الحائض فى غرفة واحدة ، وما يعتقده النصارى من إباحة إتيان المرأة فى الحيض .

(٢) نستنتج من هذا الحديث الصحيح الحكمين التاليين : **أولاً** : أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء ، بالإضافة إلى حديث تقبيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لزوجته ، وصلاته دون أن يتوضأ ، مما هو مذكور فى غير هذا الموضع .

وكم أدى الجهل بهذا الحكم إلى منازعات بين الأزواج والزوجات بسبب زعم نقض الوضوء بمجرد اللمس ! مما ليس فيه دليل مطلقًا ؛ إذ إن معنى الملامسة فى الآية : الجماع كما قال ابن عباس وغيره . وعليه بعض الأئمة ؛ فعلى الزوجين عدم إضاعة الفرصة !! ورحم الله الإمام الشافعى فقد قال - كما قال سائر الأئمة أيضًا - : « أجمع المسلمون على أن من استبانت له سُنَّةٌ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يَحِلّ له أن يدَعها لقول أحد ! » وقال الإمام أحمدُ بن حنبل رضى الله عنه : « من رَدَّ حديثَ رسول الله ﷺ فهو على شَفا هَلكةٍ !! » .

فأين كل هذه الأقوال مِن أكثر مقلِّدَةِ أئمة المذاهب ، المتعصبين الذين يُصِرُّون على التمسك بمذهبهم ، ضاربين بأحاديث رسول الله ﷺ عُرْضَ الحائط ، مما يخشى منه إحباط عملهم - والعياذ بالله ، ولو اتفق المسلمون اليوم على تحكيم الحديث كما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ والأئمة كلهم رضى الله عنهم ، لأصبحوا مذهبًا واحدًا كما كانت الحال أيام الصحابة . وذلك بسبب جمع الحديث بعد الأئمة . وقد قال الشعرانى فى « الميزان » ما معناه : « لو جاء أبو حنيفة اليوم - ومثله بقية الأئمة - لرجعَ عن كثير من آرائه بسبب جمع السنة بعدَه » !! . =

حُبٌّ نبويٌّ ومداعبةٌ من نوعٍ طريفٍ !

الأحاديث :

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« كنت أشربُ وأنا حائض - أى من إناء النبى صلى الله عليه وآله وسلم - فيضعُ فاه على موضع فىَّ ، فيشرب ، وأتعرَّق العرقَ ، وأنا حائض ثم أُناولُه النبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فيَضع فاه على موضع فىَّ » [١] (م) .

* « إذا أكل أحدُكم طعامًا ، فلا يمسح يدَه حتى يَلعقَها [٢] أو يُلْعِقَها » . (م) .

مداعبةُ الزوجةِ بترخيمِ اسمِها

الحديث :

* « يا عائشُ . . [٣] هذا جبريل يُقْرِئُكِ السلام ، قالت عائشة : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، وهو يرى ما لا أرى » . (خ.م) .

= **ثانيًا** : قال الحافظ فى الفتح (١ - ٢٩٠) : استدل به الداودى على جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه . وجاء فى كتاب آداب الزفاف للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ما ملخصه : « وهذا يدل على بطلان ما رُوى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « ما رأيتُ عورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَطّ » ؛ فإن فى إحدى رواياته كذّاب وضّاع وفى الأخرى مجهول !

لذا جزم العراقى (فى تخريج الإحياء ٢ - ٤٦) بضعف سنده ، وقال النسائى : حديث منكر ، أما حديث « إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته ، فلا ينظر إلى فرجها ؛ فإنه يورث العمى » فهو موضوع ، كما قال أبو حاتم الرازى وابن حبان وابن الجوزى وغيرهم ومثله فى الضعف حديث : « إذا أتى أحدكم أهلَه ، فليستتر ولا يتجردان تجرد البعيرين ! » .

ويمكننا أن نستدل من قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ إلى استحسان تعرية كل من الزوجين للآخر عند الممارسة الجنسية ، فيكون كل منهما لباسًا للآخر بعد أن ينزع عنه ثيابه ويعانق زوجه !

(١) أين هذه المحبة ، وهذه المداعبة مِن امرأة قَدَّمَ لها زوجُها تفاحةً قد أكل قطعة منها ، فأخذت سكينًا ، فقال لها : ماذا تريدين أن تصنعى بها ؟! قالت : « أريد أن أزيل عنها آثار أسنانك » . فطلّقها .

(٢) لعل المراد أن يطلب الرجل من زوجته أن تلعق أصابعه ، إذا لم يلعقها هو بعد الطعام . ولا شك أن لعق الزوجة لأصابع الرجل مداعبةٌ رائعة لا تنتهى بسلام غالبًا !

(٣) عائش : ترخيم عائشة .

رَفْعُ شأنِ مداعَبَة الزوجةِ

الأحاديث :

* « كلُّ شيءٍ ليس مِن ذكر الله ، لهوٌ ولَعِبٌ إلا أن يكون أربعة :

١- ملاعبةُ الرجل امرأته .

٢- وتأديب الرجل فرسه .

٣- ومشْيُ الرجل بين الغرضين [١] .

٤- وتعليم الرجل السباحة [٢] » . (ن) ص .

---

(١) أى بين الهدفين فى الرماية ، ويدخل فى ذلك السباق أيضًا .

(٢) ما أعظم هذه الأنواع من اللهو ؛ فكلها تعود على الأمة الإسلامية بالقوة وإعداد جيل ريّاض وثّاب ؛ فإن مداعبة الزوجة أسرع لإنجاب الأولاد جيش المستقبل . ويدخل فى باب ملاعبة الأهل آدابٌ كثيرة منها - كما قال صاحب التاج الجامع للأصول - : « اللطفُ بالمرأة والتأنّى عليها حتى تقضِىَ حاجتها إذا سبقها فى الإنزال ، والملاعبة التى تقتضيها الحال لِدوام المودة بينهما » وقد جاء فى حديث لا يصح سندًا ويصح معنًى : « لا يقع أحدكم على أهله كما تقع البهيمة ، وليكن بينهما رسولٌ : القُبْلَةُ والكلام ! » .

لأن الرسول ﷺ يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه مِن الخير » . وقال : « لا ضَرَر ولا ضِرَارَ » وإهمالُ حظ المرأة إضرار بها !

ويجب على مَن كان سريع الإنزال أن يتريث فى الجماع ، ريثما يداعب وتستعد زوجته . وعلى هذه الزوجة أن تسوِّفه عن قربها ريثما تستعد !

وإنى أنصح الرجل بمسح عضوه بالماء البارد أو بغسله أثناء المداعبة من حينٍ إلى آخر لتأخير هذا الإنزال ، كما أنصح بهذه المناسبة بمسح عضو المرأة جيدًا بقماش نظيف منَ الداخل كلما اتسع إفرازاتها أثناء المداعبة . وهذه القاعدة المهمة يجهلها كثير من الرجال والنساء ، حتى إنّ بعض الأزواج يهجر زوجته لإهمالها هذه النصيحة الثمينة دون أن يعرفا العلاج !

قال الغزالى فى « الإحياء » : « من آداب النكاح : إذا قضى الرجل وطره من الإنزال عليه أن يمهل المرأة حتى تقضى وطرَها ؛ فإن إنزالها قد يتأخر عنه ؛ فالقعود عنه إذ ذاك إيذاء لها » .

وقال أيضًا : « والاختلاف يوجب التنافر مهما كان الرجل سابقًا ، وإن سبقت هى فذلك لا يضرُّ الزوج » .

ثم قال الغزالى : « والتوافق فى وقت الإنزال ألذ للمرأة ؛ ليشتغلَ الرجل بنفسه عنها ، فإنها ربما تستحى منه ! » .

وسائل جديدة لمعالجة سرعة القذف :

جاء فى مجلة طبيبك (العدد ١٢٠٤ السنة ١١) ما ملخصه : =

. . . . . .

= ربما جاز القول إن القذف المبكر هو أكثر المشاكل الجنسية شيوعًا بين الرجال ، وإنه من أعظم أسباب الشقاء فى الحياة الزوجية . إن معظم حالات القذف المبكر تنشأ عن ازدياد حساسية الجهاز الجنسى المبكر . . قد تكون الحساسية الشديدة جسديةً ؛ وعندها تحدث الرعشةُ بمجرد الاتصال ، وقد تكون عاطفية ؛ فالرجل الممعن فى عاطفته ، والرجل الذى يعانى قدرًا يسيرًا من القلق فيما يتعلق بأمور الجنس ، كلاهما قد يكون غير قادر على تحمل عنفوان الإثارة الجنسية العنيفة إلا فترة قصيرة .

إن الشباب الحديث السن الذى يقذف قذفًا مبكرًا بسبب الإثارة العنيفة ، لا يعانى مشكلة حقيقية ، نظرًا لأنه يستطيع أن يعيد الكرَّة بعد فترة وجيزة ، والمعاشرة الثانية تستمر فترة أطول بصورة عامة .

أما بالنسبة لغيره من الرجال : فالسعى مستمر فى سبيل إيجاد الحلول ، والمراهم المخدرة مفيدة بالنسبة لبعض الرجال ؛ إذ يدهن العضو المذكر بها قبل المباشرة فيصبح أقل حساسية وقادرًا على تحمل الاحتكاك الطويل . ولقد استطاع كثير من الرجال استنباط حيل كثيرة لصرف أذهانهم عن العمل الجنسى أثناء الانهماك فيه مما يساعدهم على تأخير الرعشة .

وهناك شخص أعرفه يلجأ أثناء العمل الجنسى إلى حل المسألة الحسابية الصعبة فى ذهنه كوسيلة من وسائل التأخير !!

وآخَر يعمدُ إلى تلاوة الحروف الأبجدية تلاوةً مقلوبة لصرف انتباهه عنه !

وقد اكتشف الدكتور جيمس أحد أساتذة الطب فى جامعة ديوك طريقةً لمعالجة سرعة الإنزال ، وهى تتطلب من الزوجة أن تحرِّك الذكَرَ بيدها حتى يتولد الإحساس عند الزوج قرب حدوث القذف ، فيشير إلى زوجته بأن تتوقف . وعندما يزول الإحساس تعيد الزوجة الكرَّة ويتكرر التوقف بإشارةٍ من الزوج .

إنَّ تكرار هذه العملية يولد فى نفس الزوج شكلاً معينًا من الاستجابة الجنسية تصبح الإشارة فيه أمرًا يمكن تحمله (ويصبح لديه عادةً فى ضبط نفسه) وبذلك يتأخر القذف ، وسرعان ما يجد الرجل نفسه قادرًا على تأخير القذف حسب رغبته .

وبالنظر إلى أن القذف يكون أبطأ عند ابتلال العضو المذكر منه عند جفافه ، فإن هذا الأستاذ الجامعى ينصح به عند الممارسة بتلك الطريقة تبليدًا للحساسية .

وهناك **كلمة أخيرة** : إن طرق معالجة القذف المبكر السابقة لا تنفع إلا فى حالات القذف المبكر الطبيعى ، ما لم يكن نتيجة اعتلال الصحة عند الرجل ، ومعالجة هذا الاعتلال تحل المشكلة كلها .

وينصح بعض الأطباء بدهن عضو الرجل بمرهم (ترونوفال) من أجل تبليد الحساسية وإطالة مدة الاتصال والجماع . ا. هـ .

وبمناسبة الكلام عن سرعة الإنزال ، أنصح الأشخاص المصابين به ، بمنع زوجاتهم من الإكثار من التزين لهم كى تخفف رغبتهم فى الإسراع بالجماع !

وقد خرجت علينا مجلة طبيبك ببحث طريف تحت عنوان : « **زناد الارتعاش عند المرأة** » وتقصد بذلك « **البظر** » وهو القسم الزائد من الفرج ، ويقابل القضيب عند الرجل ! وهو عضو غنى بالأعصاب ، وله شبكة دقيقة من الأوعية الدموية الدقيقة إذا أثيرت باللمس أو التهييج الجنسى امتلأت بالدم وانتفخ البظر . . . =

القُبلةُ وإنْ كانت حارَّةً لا تنقضُ الوضوءَ !

الأحاديث :

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبَّل بعضَ نسائه ، ثم خرج إلى المُصلَّى ولم يتوضأ » . (حم والأربعة) (ح) .

قبلاتٌ حارّةٌ ومباشَرَةٌ حتى أثناءَ الصومِ !

الأحاديث :

* « قبَّلَ رجلٌ امرأتَه ، وهو صائم ، فوجد من ذلك وجْدًا شديدًا ، فأرسل امرأته تسأل عن ذلك ، فدخلت على أمِّ سَلمة أمِّ المؤمنين فأخبرتها . فقالت أم سلمة : إن رسول الله يُقبِّل وهو صائم .

فرجعت المرأة إلى زوجها فأخبرته ، فزاده ذلك شرًّا ، وقال : لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ يُحِلُّ اللهُ لرسوله ما شاء .

فرجعتْ إلى أم سلمة ، فوجدتْ رسولَ الله عندها ، فقال رسول الله : ما بال هذه المرأة ؟ فأخبرته أمُّ سلمة ، فقال :

ألا أخبرتِها أنِّى أفعل ذلك ؟

فقالت أم سلمة : قد أخبرتُها ، فذهبتْ إلى زوجها فأخبرتْه ، فزاده ذلك شرًّا ،

= والبظر نقطة مركزية لإثارة المرأة من الناحية الجنسية ووصولها إلى رعشة الجماع . . وما دام « البظر » على مثل هذه الأهمية فى حياة المرأة ، فعلى كل رجل أن يحوز معرفة تامة بالدور الذى يلعبه « البظر » وأن يتقن فنون إثارته أثناء المداعبة التى تسبق عملية الجماع ، فلا بد من الاهتمام بالبظر لتستكمل المرأة شهوتها . . .

إثارةُ البظر يجب أن تكون بكل لطف ؛ لأن هذا العضو حساس جدًّا إلى حد يكاد لا يصدقه العقل .

إن معظم النساء الطبيعيات يرحبن بمداعبة البظر قبل الجماع ، وقد يكون من المستحب استئناف مداعبة البظر عقب الجماع لاستكمال اللذة عند المرأة ، إذ ربما لا تكون قد استنفدت لذتها ، ويحدث أحيانًا أن يسبق الرجل فيقذف وتبقى المرأة متهيجة - فيتركها الرجل وحالَها تعانى توترًا فى الأعصاب كما يفعل كثيرون من الأزواج القساة ، أو الجهلاء الذين لا ينظرون إلى بعيد ؛ فعلى الزوج أن يعمل على إثارة البظر ومداعبته إلى أن يبلغ بالمرأة ذروة اللذة الجنسية وتحس بقرب الرعشة ، عندها يباشر العملية الجنسية .

والألمان يسمون البظر « المدغدغ ! » .

والإنجليز يسمونه : « مَلاَّح القارب ! » .

فقال : لسنا مثل رسول الله ، يُحلُّ اللهُ لرسوله ما شاء . فغضب رسول الله ثم قال : واللهِ إنى أتقاكُم للهِ وأعلَمكُم بحدوده [١] » .

* « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقبِّل [٢] وهو صائم ، ويباشر (*) وهو صائم ! » (م) .

مواقعةُ الزوجةِ فى رمضانَ

الأحاديث :

* « جاء رجلٌ إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

يا رسول الله ، هلكتُ . قال : وما أهلكك ؟ قَالَ : وقعتُ على أهلى وأنا صائم . فقال رسول الله : هل تجد رقبةً تُعتِقها ؟

قال : لا .

فقال : فهل تستطيع أن تصومَ شهرين متتابعين ؟

قال : لا .

قال : هل تجد إطعامَ ستين مسكينًا ؟

قال : لا .

قال : فاجلس .

---

(١) ما أروع يسر الإسلام وجماله ، وأين هذا من نزاع الزوجين فى كثير من الأحيان إذا مس أحدهما الآخر ! وهذا الحديث وأمثاله دليل على أن معنى الملامسة فى الآية الجماع وليس سواه ؛ فتأمل !

(*) المباشرة : من التقاء البشرتين ، وهى اللمس باليد .

(٢) بمناسبة الكلام عن القُبْلة وإباحة الشارع لها حتى أثناء الصوم ، فإننا نحذر منها الزوج الذى لا يملك نفسه ؛ لأنها تبطل صومه إذا جامع بعدها ، فتجب عليه الكفارة ؛ وهى صوم شهرين متتابعين ، ومن لم يستطع فيُطعِم ستين مسكينًا .

وينبغى للزوج أن يعلم **تحليل القبلة وتأثيراتها** حتى يكون على بيِّنة من أمره ، فيتركها خلال الصوم إذا كان ضعيف الإرادة . .

يقول الدكتور « أرنو » : إنه حينما يُقبِّل الشابُّ زوجتَه تطرأ عليه تغييرات سريعة ، بعضُها كيماوى ، وبعضُها الآخَر عضوى ، ولا يتصور أحدٌ أن الأمر يقتصر على مجرد إحساس الرجل بأن رأسه يدور وعينيه تزوغان ، بل إن دوران الرأس أو زيغ العينين ما هما إلا إعلانٌ عن هذه التغييرات ، ودليلٌ على أن هناك تفاعلات مختلفة تعمل فى كيانه . =

فبينما نحن على ذلك إذ أُتِىَ صلى الله عليه وآله وسلم بِعِرْقٍ [١] فيه تمر ، فقال : أين السائل ؟

قال : أنا .

قال : خذ هذا فتصدَّقْ به .

قال : أعلى الأرض أفقرُ منى ؟! فواللهِ ما بين لابتَيْها [٢] أهلُ بيتٍ أفقرُ مِنا . فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : أطعِمْه أهلَك » . (خ.م) وغيرهما .

= وأول ما يحدث هو أن الغدة النخامية فى الدماغ تبدأ العمل فتفرز مادة معينة تؤثر فى غدة الكظر (الأدرنالية) الكائنة فى الكليتين وتنشطها ، فتفرز هذه الأخيرة بدورها مجموعة من العناصر الكيماوية تلقى بها فى الدم ، وهكذا تتابع الظواهر بسرعة البرق - تبعًا لقوة الانفعال فى القبلة - فتشتمل بتأثيرها سائرَ أنحاء الجسم ، وتنتشر بعض الأعضاء ، ويرتفع ضغط الدم فى الأوعية ، وتُسرع دقّات القلب ، ويزدادُ نشاط الدورة الدموية ، وتقلُّ الكراتُ الحمراء فى الدم ، وتتفتح خلايا الجلد وتنعقد عليها حبات دقيقة من العرق . . .

هذا ما يثبته العلم من التأثيرات فى جسم الإنسان ، ولعل هذه الظواهر الناشئة القوية مجتمعةً هى التى دفعت النمساوى الشهير « زينوب » إلى القول بأن حرارة الحب - سيما فى عهده الأول - تَقِى المحبَّ من الإصابة بالبرد ونزلاته المختلفة ، أو هى - على أقل تقدير - تخفف مِن تَأثيره فيه .

مما سبق ندرك سِرَّ نهى الشارع الحكيم عن تقبيل الصديق لصديقه عند اللقاء أو الوداع أو الصديقة لصديقتها مما هو شائع بين النساء - ويا للأسف - مما هو حرام . رخص الشارع الاكتفاء بالمصافحة فقط ، ورتب عليها تحاتّ الذنوب وغفرانها . وإذا أباح الشارع تقبيل الأب لابنته والأخ لأخته فى أحوال نادرة جدًا ؛ فذلك لما فى الحرمة من رادع وقدسية وعدم التفكير إلا بالطهر والحنان .

ومما يؤسف له أن عادة التقبيل فاشية كثيرًا بين النساء ، كلما زارت الواحدة منهن صديقتها فى دارها سواء عند المجىء أو عند الانصراف ، وكم سببت هذه القبلات من عشق الجنس .

هذا - وقد ثبت طبيًا أن القُبْلة تنقُل كثيرًا من الأمراض كالسل والسفلس (داء الأفرنجى) من المصاب إلى غيره ، فيمرُّ الجرثومُ عن طريق الفم إلى الدم ومنه إلى جميع أطراف الجسم ، وتُسبِّبُ له التلفَ والجنونَ والموت .

(١) العِرق : الزنبيل .

(٢) اللابة : الأرض ذات الحجارة السود الكثيرة ، وهى الحَرَّة . ولابتا المدينة : حَرَّتاها من جانبيها .

الرسولُ ﷺ الزوجُ المرحُ [١]

الأحاديث :

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« واللهِ رأيتُ النبى ﷺ على باب حجرتى ، والحبشةُ يلعبون بالحِرابِ فى المسجد ، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم قائمٌ يَسْتُرنى بردائه ، لأنظرَ إلى لعبهم ، فأضع رأسى على كتفه ، بين أذنه وعاتقه ، ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف ، فاقْدِروا قَدْرَ الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » [٢] . (خ.م) .

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

إنى لأعلمُ إذا كنتِ عنى راضيةً ، وإذا كنتِ علىَّ غَضْبَى .

فقلت : من أين تعرف ذلك ؟!

فقال : إذا كنتِ راضية : فإنَّك تقولين : لا وربِّ محمد . . . وإذا كنت علىَّ غضبى ، قلت : لاَ وربِّ إبراهيم » .

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« إنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سفر ، وهى جارية ، قالت : لم أحمل اللحمَ ولم أبدنْ . فقال لأصحابه : تقدَّموا ؛ فتقدموا ، ثم قال : تعالى أسابقكِ ، فسابقتُه ؛ فسبقتُه على رجلَىَ . فلما كان بعْدُ - وفى روايةٍ - فسكتَ عنى حتى إذا حملتُ اللحمَ [٣] وبدِنتُ ونسيتُ ، خرجتُ معه فى سفر ، فقال لأصحابه : تقدَّموا ؛ فتقدموا ، ثم قال : تعالى أسابقك ، ونسيتُ الذى كان ، وقد حملتُ اللحم ، فقلت : كيف أسابقك يا رسول الله ، وأنا على هذه الحال ؟! فقال لتفعلنَّ ، فسابقتُه ، فسبقنى ، فجعل يضحك وقال : هذه بتلك السبقة [٤] » (حم.د.ن) ص .

---

(١) ينبغى للزوج أن ينمى فى نفسه صفات الفكاهة والمرح فى بعض الأحيان فى بيته وخاصة مع زوجته ؛ لإدخال السرور إلى قلبها ، والتحفيف من قسوة الحياة وإزالة التوتر الناجم من مشاكل الحياة والعمل ، وكل ذلك يساعد على تقوية أواصر المحبة بين الزوجين ! .

(٢) أى اللهو الحلال ، ولا يجوز إطاعة المرأة فيما حرم الله تعالى .

(٣) أى سمِنتُ .

(٤) لعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أراد بهذه المسابقة تعليمَ الزوجين استحسانَ =

* « قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك أو حنين ، وفى بهوتى [١] سِتْرٌ ، فهبّتْ ريحٌ . فكشفت ناحيةَ الستر عن بناتٍ لعائشةَ لُعَبٍ . فقال : ما هذه يا عائشة ؟! قالت : بناتى .

ورأى بينهنَّ فرسًا له جناحان من رِقاع ، فقال :

ما هذا الذى أرى وسطهن ؟

قلت : فرسى .

قال : وما الذى عليه ؟

قالت : جناحان .

قال : فرسٌ له جناحان ؟!

قالت : أما سمعتَ أن لسليمان خيلًا لها أجنحة ؟

قالت : فضحك حتى رأيتُ نواجذَه » . (د) ص .

* « كان رسول الله صلى الله عليه وعلى وآله وسلم أفْكَه [٢] الناس » . (ق) .

* قالت عائشة : « إنى لطخت وجه سَوْدَة بحريرة ، ولطختْ سودةُ وجه عائشة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك » .

* « كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتبادحون بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال » (خ فى الأدب المفرد) (ص) .

* * *

= استمتاع كل منهما بصحبة شريك حياته ، فيقومان معًا ببعض أوجه اللهو والنشاط معًا ؛ كى لا تكون الحياة الزوجية جَدًّا على الدوام ؛ فتكون مملةً وتصبح قيدًا ! .

(١) البهوة : بيت صغير شبيه بالخزانة أو المخدع ، وقيل غير ذلك .

(٢) قال المناوى فى فيض القدير فى شرحه : « أى مِن أفرحهم إذا خلا بنحو أهله » .

فرحَةُ الزواجِ وَوَليمتُهُ

وجوبُ الوليمةِ

الأحاديث :

* قال بُريدة بن الحصيب :

لما خطب عليٌّ فاطمةَ رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنه لا بد للعرس (وفى رواية : للعروس) من وليمة » (حم. ط. طح) ص .

* « رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة ؛ فقال : ما هذا ؟ فقال : تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، فقال : بارك الله لك ! أوْلِمْ ولو بشاة » (رواه الجماعة) .

وجوبُ إجابةِ دعوة الوليمةِ [١]

الآيــة :

* ﴿ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟[٢] ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

الأحاديث :

* « فُكُّوا العانى ، وأجيبوا الداعى ، وعودوا المريض » (خ) .

* « إذا دُعى أحدكم إلى طعام فليُجب ، فإن كان مفطِرًا فليطعَم ، وإن كان صائمًا فليَدَع » (م. حم) .

---

(١) ومن أهم غايات الوليمة إشهار الزواج ، واجتماع الأقارب والأصدقاء بمناسبة الزفاف لإدخال الفرح والسرور إلى نفوس الجميع ، ومجاملة العروس وتهنئته مما يزيد الألفة والمودة ، وهى معان يحرص عليها الشارع كثيرًا .

لذا ينبغى أن لا يتأخر من دُعى إلى وليمة . وقد دعا عبد الله بن عمر إلى طعامٍ ، فقال رجل من القوم : أما أنا فأعفنى . فقال ابن عمر : لا عافية لك من هذا فقم !

ويجوز أن تكون الوليمة بأى طعام تيسر ولو لم يكن فيه لحم أو خبز ، إذا تعذرت الشاة ، فقد أولم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمَّا بنى « بصفية » بتمر وأقط ، وسمن ، فشبع الناس . (خ) .

(٢) انتشروا : أى انصرفوا .

* « فبنَى بها - أى بنى رسول الله بصفية بنت حُيى - ثم صنع حَيْسًا [١] فى نطْع صغير » قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « آذِنْ مَن حولك » فكانت تلك وليمةُ رسول الله على صفية » . (خ.م) .

تحريمُ تخصيصِ الأغنياءِ بالدعوةِ للوليمةِ

الأحاديث :

* « شرُّ الطعام طعامُ الوليمة يُدْعَى إليها الأغنياء ، ويُمنعها الفقراء » . (خ.م) .

دعوةُ الصالحينَ لها فقط

الأحاديث :

* « لا تُصاحِبْ إلا مؤمنًا ، ولا يأكلُ طعامَك إلا تَقِىّ » (د.ت.حم.حا) ص .

مشاركةُ الأغنياءِ بمالِهم فى ولائِمِ الفقراءِ

الأحاديث :

* قال أنس فى قصة زواجه صلى الله عليه وآله وسلم بصفية : « حتى إذا كان بالطريق جهَّزَتْها له أمُّ سُلَيْم ، فأهدَتْها له من الليل ، فأصبح النبىُّ ﷺ عروسًا : فقال : مَن كان عنده شىءٌ فليجِئْ به » وفى رواية : « من كان عنده فضلُ زادٍ فليأتنا به » .

قال أنس :

وبسطَ نطعًا ؛ فجعل الرجلُ يجىء بالأَقط ، وجعل الرجل يجىء بالسمن ، وجعل الرجل يجىء بالتمر ، فحاسوا حَيْسًا ، فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس (الطعام المتخَذِ من الأشياء السابقة) ، ويشربون مِن حياض إلى جنبهم مِن ماء السماء ، فكانت تلك وليمةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [٢] » (خ.م. حم.هق) مع اختلاف فى رواية كل منهم .

---

(١) الحيس : الطعام المتخذ من التمر والأقِط والسمن ، وقد يُجعل عوض الأقِط الدقيقُ والفتيت .

كل ذلك تم دون تكلف ، مع البعد عن طلب المظاهر الكاذبة التى كثيرًا ما سببت خراب البيوت ووقوعها تحت طائلة الديون مما أفسد سعادة الزوجين .

(٢) أين هذه الحياة البسيطة من عادات المسلمين الجاهلية الشيطانية من تبذير أموالهم وتبديد ثرواتهم لإقامة الولائم الضخمة - ولو خربوا بيوتهم واستدانوا من الآخرين - كل ذلك من أجل =

* قال بُرَيْدةُ : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه بإقامة وليمة ، وكان لا يستطيع ، فقال سعد : علىَّ كبشٌ . وقال فلان : علىَّ كذا وكذا مِن الذرة . وفى رواية أخرى جمع له رهطٌ مِن الأنصار أصْوُعًا مِن ذرة .

تركُ حضورِ الوليمةِ التى فيها معصية [١] !

الأحاديث :

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« صنعتُ طعامًا ، فدعوتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاءنا ، فرأى فى البيت تصاوير [٢] ، فرجع » (هـ) ص .

* « عن ابن مسعود أن رجلاً صنع له طعامًا ، فدعاه ، فقال : أفى البيت صورة ؟ قال : نعم ، فأبى أن يدخل حتى كسر الصورة ، ثم دخل . » (هق) ص .

= الشهرة والرياء !! ألم يسمعوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٧] .

(١) لا مانع من حضور الولائم التى فيها معصية إذا استطاع المدعو الإنكار على أصحاب الدعوة أمام المدعوين ، وفى ذلك تعليمٌ للناس .

ويقع فى هذه الوليمة بعض الأخطاء الاجتماعية يجب أن يحذَّر منها ؛ كأن يسرف فيها الزوج فى البذخ ولو بالاستدانة حبًا للشهرة والتفاخر والرياء ، وقد حضر أحد الأجانب وليمةً من هذه الولائم وقُدمت له هدية فاخرة ، فدهش لهذه العادة ، وقال : لقد عُكس الموضوع ؛ فإن العروسين بحاجة إلى مَن يُهدى لهما لا العكس !

(٢) أين هذه الأحاديث التى تنهى عن الصور مهما كانت سواء كاملة أو غير كاملة ، وسواء كان لها ظل أو لم يكن لها مِن آراء بعض الفقهاء الذين يبيحون الصور الشمسية والصور غير الكاملة مما ليس لهم فيه دليل ، وقد ضلَّلوا العامة وجعلوهم يُصرون على وضع الصور فى بيوتهم . ومَن أراد زيادة التحقيق فليرجع إلى رسالة « الجواب المفيد فى حكم الصور » للأخ الفاضل العلامة عبد العزيز ابن باز الرئيس العام للإفتاء بالرياض ؛ فقد تكلم فيها بصراحة وجرأة نادرتين على تحريم الصور بمختلف أنواعها مجسمة أو غير مجسمة ، كاملة أو غير كاملة ؛ لحديث عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غائبًا فى غَزاة غزاها ، فلما تحينتُ قفوله ، أخذتُ نمطًا (نوع مِن البُسط) فيه صورة كانت لى ، فسترتُ به العُرض (أى الجانب) ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلقيتُه فى الحجرة ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، الحمد لله الذى أعزَّك ، فنصرك وأقرَّ عينك وأكرمك .

قالت : فلم يكلمنى ، وعرفت فى وجهه الغضب ، ودخل البيت مسرعًا وأخذ النمط بيده فجذبه حتى هتكه ثم قال : أتسترين الجدران ! إن الله لم يأمرنا فيما رَزَقَنا أن نكسو الحجارة والطين !

قالت : فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفًا ، فلم يعب علىَّ » . رواه مسلم وغيره .

* قال سالم بن عبد الله :

« أعرسْتُ فى عهد أبى ، فآذَنَ أبى الناسَ ، وكان أبو أيوب فيمن آذنَاه - وقد ستروا بيتى بنجادٍ [١] أخضر ، فأقبل أبو أيوب ، فدخل ، فرآنى قائمًا ، واطَّلَعَ ، فرأى البيتَ مستترًا بنجاد أخضر ، فقال :

يا عبيد الله أتسترون الجُدُرَ [٢] ؟!

فقال : مَن كنت أخشى عليه أنْ تغلبه النساءُ ، فلم أكن أخشى عليك أن تَغْلِبَنْكَ .

ثم قال : لا أطْعَمُ لكم طعامًا ، ولا أدخل لكم بيتًا ، ثم خرج » . (طب . وغيره) ج .

ما يُستحبُّ لمن حضرَ الوليمةَ

الأحاديث :

ينبغى لمن حضر الوليمة أن يقول للعروس (العريس) :

« بارَكَ الله لكَ ، وبارك عليكَ ، وجمع بينكما فى خير » . (د . ت) ص .

ثم يدعو لأصحاب الوليمة بأحد الأدعية التالية :

١- « اللهم اغفر لهم ، وارحمهم وبارك لهم فيما رزقتهم » (م . د . شب) .

٢- « اللهم أطعم من أطعمنى واسقِ من سقانى » (م . حا) ص .

٣- « أكلَ طعامَكم الأبرار ، وصلَّت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون » [٣] (حا . طح) ص .

---

(١) جمع نجد : وهو ما يُزيَّن به البيت من البسط والوسائد والفرش .

(٢) إن عادة ستر الجدران بالبسط والسجاد عادة سيئة قد فشت فى كثير من بيوتنا الإسلامية ويا للأسف ! وهو إسراف غير مشروع طبعًا . ويستثنى من التحريم طبعًا الصور التى تُتخذ للتربية والتعليم .

وفى الحديث الصحيح : « إن أصحاب هذه الصور » وفى رواية : « إن الذين يعملون هذه التصاوير » يعذَّبون يوم القيامة ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم ، وإن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة » (خ) . كما يحرم تعليق صور الإنسان والحيوان كاملاً كان أو ناقصًا لحديث الستر السابق ، ويحرم ستر الجدران بالسجاد لقوله صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طويل : « إن الله لم يأمرنا فيما رزقنا أن نكسو الحجارة والطين » (هق) ص .

ويستثنى من هذه الصور سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة ، ما كان ضروريًا للتعليم والصناعة كما ورد فى الصحيح من صنع عائشة للعب البنات . بدليل سماح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة باللعب بلعب البنات ، وصنع الخيول ، وبدليل صنع الصحابيات اللعب لأولادهن الصغار حتى يصبروا على ترك الطعام بغيةَ تدريبهم على الصيام .

(٣) أين هذه الأدعية الرائعة مما ألفه أغلب المسلمين ويا للأسف من قول كلمة دائمة لأصحاب الدعوة ، ناسين أو متناسين وجوبَ الدعاء لهم بما يُفرحهم ويُثلج صدورهم !

النهىُ عن الأكلِ والشربِ فى آنيةِ الذهبِ والفضةِ [١]

الأحاديث :

* « لا تلبسوا الحريرَ والديباج ، ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافهما » . (خ . م) .

* « الذى يأكل أو يشرب فى آنية الفضة أو الذهب إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » . (خ . م) .

* عن أنس بن سيرين قال : « كنت مع أنس بن مالك رضى الله عنه عند نفر من المجوس ، فجىء بفالوذج على إناء من فضة ؛ فلم يأكله ، فقيل له : حوِّله ، فحوَّله على إناء خلنج (إناء ليس من فضة) ، وجىء به ، فأكله » . (هق) بإسناد حسن .

« بالرفاءِ والبنين » تهنئةُ الجاهليةِ

الأحاديث :

* « عن الحسن بن عقيل بن أبى طالب أنه تزوج امرأةً ، فدخل عليه القوم فقالوا : بالرفاء والبنين [٢] ، فقال : لا تفعلوا ذلك ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن ذلك » . « شب . ن . هـ » وغيرهم ص .

---

(١) لعل من بعض حكمة تحريم استعمال آنية الذهب والفضة محاربة البطَرَ والبذَخ الذى يكون غالبًا على حساب أكل حقوق الفقراء وإهمال شئونهم ، وكذلك محاربة التنعم الذى لا يليق بأمة تريد الحياة العظيمة بما فيها من خشونة وصلابة . ومثل ذلك محاربة تهديد الرصيد المالى من الذهب مما يسبب تعطيل الاقتصاد الإسلامى ، وقد كنت قلت فى مناسبات عديدة : أعطونى أيها المسلمون أثمان حليكم وأوانيكم الذهبية ، وأنا كفيل بأن أغير لكم وجه العالم الإسلامى ، فيصبح من الدول العظمى !!

ويحسن أن نوصى أعضاء الأسرة بهذه المناسبة بوجوب الاقتصاد فى النفقة البيتية فى حدود قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩] وقوله سبحانه فى وصف المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

إن المال عصب الحياة ، ومن أهم سبل النجاح ؛ فإنى أعرف أسرةً كانت غنية غِنًى فاحشًا وكان أعضاؤها يبذرون أموالهم فى الترف الزائد مثل الأكل بآنية الذهب والفضة ، ثم مات عميدها أخيرًا كمدًا وحسرةً مِن الفقر . . .

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه « تحفة المودود بأحكام المولود » :

كانت الجاهلية يقولون فى تهنئتهم بالنكاح : بالرفاء والبنين .

والرفاء : الالتحام والاتفاق ؛ أى تزوجتَ زواجًا يحصل به الاتفاق والالتحام بينكما . أما =

رفقا بالقَواريرِ

حسنُ معاملةِ الزوجةِ

الأحاديث :

* « خيرُكم خيرُكم لأهله [١] ، وأنا خيرُكم لأهلى » . (طب) ص .

* « أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا ، وخيارُهم [٢] خيارهم لنسائهم » . (ت) وحسَّنه ، وهو كما قال .

* قال أنس رضى الله عنه :

« قدمَ رسول الله ﷺ من خيبر ، فلما فتح الله عليه الحصن ذُكر له جمال صفية بنت حُيَى - وقد قتل زوجَها ، وكانت عروسًا - فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه ، فخرج بها حتى بلغنا سدَّ الصهباء حَلَّتْ ، فبنى بها ، ثم صَنَعَ حيسًا فى نطع صغير ، ثم قال رسول الله ﷺ :

« آذِنْ مَن حولك » فكانت تلك وليمةُ رسول الله ﷺ على صفية .

ثم خرجنا إلى المدينة ، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ يُحَوِّى [٣] لَهَا وراءه بعباءةٍ ، ثُمَّ

= البنون فيهنئون بهم سلفًا وتعجيلاً ، ولا ينبغى للرجل أن يهنئ بالابن دون البنت ، بل يهنئ بهما أو يترك التهنئة بهما ليتخلص من عادة الجاهلية ؛ فإن كثيرًا منهم كانوا يهنئون بالابن وبوفاة البنت دون ولادتها ! وقال أبو بكر بن المنذر فى الأوسط : رُوينا عن الحسن البصرى أن رجلاً جاء إليه ، وعنده رجل قد وُلد له غلام ، فقال له : يهنئك الفارس ، فقال له الحسن : وما يدريك فارس هو أم حمار ؟! قال : كيف نقول ؟ قال : قل : بورك لك فى الموهوب ، وشكرتَ الواهب ، وبلغ أشُدَّه ، ورُزقت برَّه . والله أعلم .

(١) يقول أحدهم : « فإذا كان خيارُ الناس هم خيارهم لنسائهم كما جاء فى الحديث ؛ فمقتضاه أن مَن كان على عكس ذلك فهو فى الجانب الآخر من الشر » .

(٢) وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم : ١٣] قيل : العتل : الفظُّ اللسان ، الغليظ القلب على أهله !

وما أجمل ما قاله هوميروس الشاعر اليونانى : إذا اتخذتَها امرأةً فكن لها أبًا وأمًّا وأخًا ؛ لأن التى تترك أباها وأمها وأخوتها وتتبعك ، فمن الحق أن ترى فيك رأفة الأب ، وحنو الأم ورفق الأخ ، فإذا عملت بتلك النصائح تكن نعم الزوج الموفق !.

(٣) يحوى لها : أى يلفها ويسترها من جميع جوانبها .

يجلس عند بعيره فيضع ركبته ، فتضع صفيةُ رجلَها على ركبته حتى تركب » . (خ.م) .

* « هى لك على أن تُحسن صُحْبَتَها » [١] . (ط) ص .

* قالت عائشة رضى الله عنها : « كان ﷺ يكون فى مهنة [٢] أهله ، فإذا حضرت الصلاةُ خرجَ إلى الصلاة » . (خ.ت) .

كيفَ تُعامِلُ زوجةً لا تُحبُّها [٣]

الآيات :

- ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء :٣٤] [٤] .
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ١] .
- ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

الأحاديث :

- « لا يَفْرَكْ [٥] مؤمنٌ مؤمنةً ؛ إنْ كرهَ منها خُلقًا رَضِىَ منها آخَرَ » . (م) وغيره .

---

(١) قاله النبى ﷺ لِعَلِىٍّ رضى الله عنه حينما خطب فاطمة رضى الله عنها .

(٢) أى فى خدمة أهله ، وكان يخصف نعله ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه .

فما أجدَرَ الرجال بمثل هذه السُّنَّة الحسنة فى البيت إذا وجدوا فراغًا ، فيساعدون أهليهم فى الشئون المنزلية أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمل أطفاله ويداعبهم .

(٣) كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول : زوِّج ابنتك صاحبَ الدين ؛ فإنْ أحَبَّها أكرمَها ، وإن أبغَضَها لا يظلمها !

(٤) أى إذا أطاعت المرأةُ زوجَها فى جميع ما يريده منها مما أباحه الله تعالى له فيها ، فلا سبيل له عليها بعد ذلك ؛ فليس له ضربها ولا هجرانها ، تمامُ الآية تهديدٌ للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب .

(٥) لا يفرك : أى لا يبغض .

إن هذا الحديث العظيم ينبِّه إلى أمرٍ هام ينبغى أن يدركه الزوج ، كما ينبغى أن تدركه الزوجة أيضًا ؛ فإن الكمال لله وحده ، ولله در القائل :

ومن ذا الذى تُرضى سَجاياه كلُّها كفى المرءُ نُبلاً أن تُعَدَّ معايبُه !

إن اعتقاد كل من الزوجين بوجوب طلب السعادة الكاملة من الآخر هو سببٌ لأكثر المتاعب والمشكلات . =

. . . . . .

= والغريب أن كثيرًا من الأزواج أنانى يطلب لنفسه دون أن يفكر بمنحها لرفيقته ، ناسيًا أن فى الإعطاء سعادة لا تقل عن الأخذ !

ما أسعد الزوجة أو الزوج الذى يتحلى بالصبر والاحتمال ؛ فإن فى الحياة الزوجية عقبات وصخورًا قد تعرض لكل من الزوجين فى كثير من الأحيان ؛ ففى الصبر تذليل لكل ذلك . أما الطيشُ ففيه كل الخطر ، وسرعان ما يهدد الأسرة بالانحلال والتصدع . إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث يوجِّه كُلاً من الزوجين إلى التساهل ما دام ممكنًا ، فإذا أبغض أحدُهما من الآخر صفةً جاءت صفةٌ أو صفات أخرى تشفع لصاحبها . وبذلك يصير الوفاق ويتم الوئام وتسلَمُ الأسرة ، وإن التفكير بمصير الأطفال ، وألم الفراق ، كلُّ ذلك كفيل بتنازل كلٍّ من الزوجين عن شىء من سعادته من أجل استمرار الحياة الزوجية ، وهى مهمة دينية وليست متعة فقط !

وقد جاء فى كتاب « صيد الخاطر » للإمام ابن الجوزى (٣/ ٥٤٢) طبعة دار الفكر تحت عنوان « كيف تعامل زوجة لا تحبها؟ » نقتطف منه ما يلى :

« شكا رجل من بغضه لزوجته وقال : ما أقدر على فراقها لأمور منها كثرة دَيْنها علىَّ ، وصبرى قليل ، ولا أكاد أسْلَمُ مِن فلتات لسانى فى الشكوى ، وفى كلماتٍ تعلَمُ بغضى لها .

فقلت له : هذا لا ينفع وإنما تؤتَى البيوت من أبوابها ؛ فينبغى أن تخلو بنفسك فتعلم أنها إنما سُلطت عليك بذنوبك (ليس هذا غالبًا فهناك كثير من الصالحين لهم زوجات شريرات !) فتبالغ فى الاعتذار والتوبة . فأما التضجر والأذى لها فما ينفع كما قال الحسن بن الحجاج : عقوبةٌ من الله لكم ؛ فلا تقابلوا عقوبته بالسيف ، وقابلوها بالاستغفار .

واعلم أنك فى مقام مبتلَى ولك أجرٌ بالصبر ، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] فعامِلِ الله سبحانه بالصبر على ما قضَى واسأله الفرج .

فإذا جمعتَ بين الاستغفار ، وبين التوبة من الذنوب ، والصبر على القضاء ، وسؤال الفرج ؛ حصَّلْتَ ثلاثة فنون من العبادة تُثاب على كلٍّ منها ، ولا تضيع الزمان بشىء لا ينفع ، ولا تَحتلْ ظنًّا منك أنك تدفع ما قدَّر ، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ١٧] .

وأما أذاك للمرأة فلا وجه له ؛ لأنها مسلطة فليكن شغلك بغير هذا .

قال الرجل : وهذه المرأة تحبنى حبًّا زائدًا على الحد ، وتبالغ فى خدمتى ، غير أن البغض لها مركوز فى طبعى .

قلت له : فعامِل الله سبحانه بالصبر عليها ؛ فإنك تُثاب . وقد قيل لأبى عثمان النيسابورى : ما أرجَى عمَلِك عندك ؟

قال : كنت فى صبوتى يجتهد أهلى أن أتزوَّج فأبَى ، فجاءتنى امرأة فقالت : يا أبا عثمان إنى قد هويتك ، وأنا أسألك بالله أن تتزوجنى .

فأحضرتُ أباها وكان فقيرًا فزوَّجنى وفرحَ بذلك . فلما دخلتْ إلىَّ رأيتها عوراء عرجاء مشوَّهة ، وكانت لمحبتها لى تمنعنى من الخروج ، فأقعد حفظًا لقلبها ، ولا أُظهر لها من البغض شيئًا ، وكأنى على جمر الغضا مِن بغضها . =

● عن أم كلثوم بنت عقبة قالت : « ما سمعتُ رسولَ الله رخَّص فى شىء من الكذب [١] إلا فى ثلاث : الرجل يقول القول يريد به الإصلاح ، والرجل يقول القولَ فى الحرب ، والرجل يحدِّث امرأتَه ، والمرأة تحدِّث زوجها » . (م) .

- قال رجل للخليفة عمر بن الخطاب :

« إننى لا أحب زوجتى .

فقال : إن البيتَ لا يُبنى على الحب » [٢] .

* * *

= فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت ، فما من عملى عملٌ هو أرجَى عندى من حفظى قلبها . قلت له : فهذا عمل الرجال .

وأىُّ شىء ينفع ضجيج المبتلَى بالتضجر بإظهار البغض ؟ وإنما طريقه ما ذكرته لك من التوبة والصبر وسؤال الفرج .

(١) وأرى أن جواز الكذب هنا بين الزوجين يكون فى تظاهر كل منهما للآخر بالحب فى حال عدم ميل أحدهما للآخر ، وذلك من أجل تسيير سفينة المنزل وتربية الأطفال .

ولعل هذا الميل المتصنع ينقلب إلى حب حقيقى بعد ذلك ، نتيجةَ الممارسة والعاطفة والإيحاء . وقد جاء فى الحديث الصحيح : « إنما العلم بالتعلُّم ، وإنما الحلم بالتحلُّم ، ومن يَبْتَغِ الخير يَلْقَه ، ومن يَتَّقِ الشرَّ يُوقَهُ » .

ولا أرى الكذب يجوز فى غير هذه الحال التى لا يطَّلع عليها إلا الله سبحانه ، وما عدا ذلك فينبغى أن يسود الصدق بينهما ، وإلا زالت الثقة ، التى تتعذر الحياة الزوجية بدونها !

(٢) على الزوج أن يتنازل عن أنانيته من أجل مستقبل أبنائه ، خاصةً إذا كان هذا البغض نشأ بعد الزواج ، وخاصةً إذا كانت زوجته تحبه وتقوم له بكل حقوقه . . .

استحسانُ حلمِ الرجلِ على زوجتِهِ [١]

الأحاديث :

● « كان أزواجُ النبى صلى الله عليه وآله وسلم يراجِعْنَهُ الكلامَ ، وتهجرُه إحداهن إلى الليل » .

● وجرى بينه ﷺ وبين عائشة كلامٌ ، حتى دخل أبو بكر حَكَمًا بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبينها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تتكلَّمِى أو أتكلَّمُ ؟ فقالت : تكلم أنت ، ولا تقل إلا حقًّا !

فلطمها أبو بكر رضى الله عنه حتى أدمى فاها وقال :

أوَ يقول غيرَ الحق يا عدوةَ نفسِها ؟!

فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدتْ خلف ظهره .

---

(١) فى الحلم والصبر على المرأة رياضة للنفس ، وكسرٌ للغضب ، وتحسينٌ للخلق ؛ فإن المنفرد بنفسه لا يستطيع أن يختبر استعداده على الصبر ، ولا يستطيع أن يكشف عيوب نفسه ، فلا يضير سالكَ طريق الآخرة أن يتعرَّض لبعض هذا ؛ فإنه بالصبر عليه يتعلم المداراة وحسن السياسة ومواجهة الأحوال ، فترتاض نفسه ، وتصفو ، فهذا أيضًا من فوائد الزواج !! .

ومهما كان من وجوب حلم الرجل على زوجته ، فإنه ليس معناه أبدًا وقوف المرء مكتوف اليدين ، فتسترسل هى فى السوء ، ويقول الزوج فى نفسه : سأظل صابرًا فحسب .

لا .. ليس هذا هو المقصود ... المقصود أيضًا أن يعلمها فى رفق وهدوء .

لا تواجه الشر بالشر عند انفعال المرأة ، ولا تنفعل مثلها .

بل تصبر وتتأنَّى - ثم عند انقشاع الغمة فى لحظة صفاء ، تنتهز الفرصة بحكمة ولباقة لتعلِّمها فى سهولة ويسر كيف كان عليها أن تتصرف .

إنك لن تكن فى هذه اللحظات معاقبًا ، ولا عنيفًا ، وإنما معاتبًا .. مترفقًا لطيفًا .. من المستحيل أن يحدث هذا ثم لا تكون له نتائج طيبة ... فهذا تصرُّفٌ مجرَّب ومعروف .

الرجل أكبر حكمةً وأكبرُ عقلاً .. فعليه مسئولية توجيه من يعول بالحكمة والملاطفة وحسن الإرشاد والتوجيه فى اللحظة المناسبة .. وليس كل وقتٍ مناسبًا ... وخاصة أوقات العراك والمشاحنات (الحياة الزوجية) .

كان « سقراط »الفيلسوف تعسًا فى زواجه ، ولكن متاعبه مع زوجته لم تمنعه من الإدلاء بهذه النصيحة لشاب محجم عن الزواج : « فلتتزوج على كل حال ؛ فإن حصلت على زوجة صالحة ، غدوتَ سعيدًا ... وإن كانت من نصيبك امرأة سيئة الخلق ، غدوتَ حكيمًا ، وكلا النتيجتين نافعة للإنسان ! » .

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّا لم نَدْعُك لهذا ، ولم نُرِد منك هذا » . (خ) .

● قالت عائشة مَرَّةً ، وقد غضبتْ :

« أنت الذى تزعم أنَّك نبى ؟!

فتبسَّمَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واحتملَ ذلك حلمًا وكرمًا »[١] ص .

التوصيةُ بالمرأةِ

الآيـة :

● ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] .

الأحاديث :

* « استوصوا بالنساء خيرًا ؛ فإن المرأةَ خُلقت مِن ضِلْع أعوج ، وإنَّ أعوجَ شىءٍ[٢] فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبتَ تُقيمُهُ كسرْتَه ، وإن تَرَكتَه لم يزل أعوج ؛ فاستوصوا بالنساء خيرًا » . (خ.م) ص .

---

(١) ما أروع هذا التوجيه النبوى الذى يجعل من البيت جنةً يخيم عليها السلام ويضمن بقاء الحياة الزوجية ، فإذا غضب أحد الزوجين وجبَ على الآخر الحلم ، فإنَّ حال الغضبان كحال السكران لا يدرى ما يقول ويفعل ، فقد غلبه الشيطان ، فلا يجوز أن نكون عونًا لهذا اللعين على الطرف الغضبان بالمثل ، فتستحكم العداوةُ ويشتدُّ الخصامُ ويقع ما ليس بالحسبان ، وربما أدَّى إلى تمزيق شمل الأسرة وهدم أركانها !.

(٢) جاء فى كتاب « حجة الله البالغة » (٢/٧٠٨) أقول : « معنى هذا الحديث : اقبلوا وصيتى واعملوا بها فى النساء : إن فى خلقهن عوجًا وسوءًا ، وهو كالأمر اللازم بمنزلة ما يتوارثه الشىء من مادته ، وإن الإنسان إذا أراد استيفاء مقاصد المنزل منها ، لا بد أن يتجاوز عن محقَّرات الأمور ، ويكظم الغيظ فيما يجده خلاف هواه ، إلا ما يكون من باب الغيرة المحمودة وتداركًا لِجورٍ ونحو ذلك » .

جاء فى كتاب « المرأة بين البيت والمجتمع ص ٤٢ ... » وفى قـوله ﷺ : « وإن تركتها استمتعتَ بها على عوج » ، ما يفيد أن إغضاءه عمَّا لا يرضى مِن حال زوجته يكفل له إقباله على الاستمتاع بها ، ولا يحرمه تلك السعادة ... والرسول ﷺ لا يعنى بما قدَّمناه أنَّ المرأة مخلوق شرس ، وإنما يريد – كما ذكرنا – تقرير الحقائق ؛ ليخرج المرء من أحلامه وأوهامه ، ويوطِّن نفسه على ما يسوءه وما يَسُرُّه ، فإذا وجد منها خُلقًا يكرهه استقبله بصبر الحليم دون مبادرة إلى الانفعال والبغض ؛ فإنه موشك أن يرى منها إلى جانب ذلك خُلُقًا آخر يَسُرُّه ، فإنما هى إنسانٌ فيها ما فى سائر الناس من الخير والشر ، وإلى هذا يشير قوله ﷺ : « لا يفركْ مؤمنٌ مؤمنةً : إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِىَ منها آخر » .. والفركُ : البغض ، ولسنا نجد فى دينٍ من الأديان أو الآداب ، ما يذهب فى رعاية الزوجة وحقوقها إلى مثل هذا الحال من الذى يذهب إليه الإسلام . ا . هـ . =

وفى بعض روايات هذا الحديث : « إن المرأة خُلقت من ضلع ؛ لن تستقيم على طريقة ، فإن استمتعتَ بها ، استمتعتَ بها وفيها عوج ، وإن ذهبتَ تقيمها كسرتَها [١] ، وكسرُها طلاقُها » (م) .

* « اتقوا اللَّه فى النساء ؛ فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتهم فروجهن بكلمة الله » . الحديث .

رثاءُ الشعراءِ لزوجاتِهم !

لا شك أن القارئ سيستغرب هذا الموضوع فى مثل كتاب « تحفة العروس » ولكن استغرابه يزول إذا علم أننى قصدتُ منه ترقيقَ قلب بعض الأزواج وإيقاظ ضميرهم وإلهاب عاطفتهم نحو المخلوق الجميل ، والرفيق الأمين والجنس اللطيف الذى يسمى « الزوجة » ، التى كثيرًا ما يستهين بها الرجل ، ويهمل حقها ، ويعتدى عليها أحيانًا .

= وقد يقول قائل : ولماذا خلق الله سبحانه المرأة على هذه الحال ؟

فنقول فى الجواب : إن الله تعالى أوكَلَ بالمرأة وظائف ومهمات حساسة كالحمل والرضاع والتربية ، فأودع فيها صفات ومواهب تتناسب مع هذه الوظائف والمهمات التى تختلف مع كثير من صفات الرجل ومواهبه ، فيراها غريبةً عنه ، فهو إن كان واعيًا قَبِلَ بالأمر الواقع وتمتع بزوجته فى حدود فطرتها ، وإن كان غيرَ واعٍ ، حاولَ أن يصنع من زوجته تمثالاً مع ما يتناسب مع نفسيته وطبيعته من حيث التفكير والإدراك ، فيفشل ويحس بالخيبة . وربما هدمَ بنيانَ أسرته ، وهو يستأهل ذلك ؛ لأنه يطلب المستحيل الذى صوَّره الحديث بالأسلوب النبوى الرائع .

قال الدكتور « فريدريك كهن » فى كتابه « حياتنا الجنسية » ص ٧ :

« تظل المرأة محافظة على معالم الطفولة ، لا فى جسمها فحسب ، بل فى طباعها وحالتها النفسية . وهى لو اختلفت وجوه شبهها عن الطفل كثيرًا ، لما استطاعت أن تكون أمًا صالحة . فهى تفهم متطلبات الطفل بسبب شعورها الطفولى ، بينما يبتعد الرجل عن عقلية ومحيط الطفل بسبب تطوره الذهنى .

أما هى فتبقى كالطفل ؛ تستوعب أكثر مما تكون خلافه ، حنانها يزيد على تفكيرها ، وحَدَسُها يقظٌ أكثر من حياتها الذهنية ؛ إذ هى مكوّنة لتتحمل وتقاسى أكثر مما تتصرف ، قابلة للخضوع أكثر من السيطرة ، عيَّنتها العناية الإلهية متوسطة ما بين الزوج والطفل ، وهكذا تحتل فى العائلة المركز الأول لتحافظ على الانسجام بين أفراده المختلفى النزعات » .

وفى هذه الطبيعة الخاصة بالمرأة متعةٌ للرجل وجمالٌ وراحة .

(١) قال صاحب « تحفة العروس » فى تعليقه على هذا الحديث : « نبَّه صلى الله عليه وآله وسلم على أنه ينبغى الرفقُ بهن ومداراتهن ، وأن لا يُنَقِّصهن فى أخلاقهن وانحراف طبائعهم ؛ فإن ذلك يؤدى إلى مفارقتهن . ونظم الشاعر معنى هذا الحديث فقال :

هى الضلع العوجاء لستَ تُقيمُها ... ألا إن تقويمَ الضلوع انكسارُها
أيجمَعْنَ ضَعفًا واقتدارًا على الفتى ... أليس عجيبًا ضعفُها واقتدارُها !! »

ثم إذا هى ماتت - بعد عمر طويل - شعر الزوج بالفراغ بعدها ، وأقام عليها - وأطفالها حوله يبكون - مأتمًا وعويلًا ، يوم لا ينفع المأتم ولا العويل ، ولا يجدى الندم ، وقد طار العندليب من القفص ، بعدما كان يملأ الدار بتغريده ويزينها بجماله ، ويحيلها نعيمًا بحنانه ، وينعشها بدعابته ونشوته . . .

لقد كان أحد الصالحين خصَّص لنفسه صندوقًا كبيرًا ، يضع نفسه فيه كلما قسى قلبه وغفل عن ربه ، ليتخيل القبرَ وظلمته ، حتى إذا ضاق صدره وحبس نَفَسُه صاح بأعلى صوته : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠] .

فيفتح باب الصندوق ، ويخرج منه ، ويتذكر الموت هاذم اللذات ، والقبر ووحشته ، فيحسن سلوكه ويزداد طاعةً لربه .

وقد رأيت أن أقدِّم للأزواج قساة القلوب ، جامدى العاطفة ، مجموعة من الأبيات لشعراء ماتت زوجاتهم ، فرثوهن برقيق من الشعر ، ممزوجًا بالبكاء والحسرة . . فيتخيلون أن زوجتهم قد ماتت وفارقت الحياة ، وأظلمت بسبب فراقها الدارُ ، وضاقت عليه الدنيا بما رَحُبَتْ ، فيستغيث بخالقه ، ويسأله أن يعيد الروح لرفيقة حياته ، وجنة فؤاده ، وريحانة داره ، فيحسن معاملتها ويرفق بها . . .

وهكذا يأخذ درسًا مجانًا . . .

وأحب أن ألفت نظر القارئ قبل البدء بذكر بعض مراثى الشعراء أن بعض العرب - ويا لقسوة قلوبهم - كانوا يعيبون على الشاعر رثاء زوجته أو حتى زيارة قبرها . . . ولكن أصحاب العواطف النبيلة والمشاعر السامية منهم كانوا يفلتون من الطوق الوحشى ويحطمون التقاليد الهمجية وينشدون باكين زوجاتهم بأبيات مليئة بالعاطفة الجياشة التى قد لا يتمالك القارئ إلا مشاركتهم بالبكاء والحسرة حين سماعها .

لقد اشتهر من الشعراء الراثين لزوجاتهم جرير ، وقد أنشد بعد موت زوجته قصيدة رقيقة جاء فيها :

لولا الحياءُ لَهاجَنِى استعبارُ [١] ... ولَزرتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ
ولَهْتِ قلبى ، إذْ علتنى حسْرةٌ ... وذَوُو التمائم [٢] مِن بنيكِ صغارُ
صَلَّى الملائكة الذين تخيَّروا ... والطيبون عليكِ والأبرارُ

---

(١) استعبار : بكاء وحزن .

(٢) ذوو التمائم : الأطفال الصغار ، والتميمة أو العوذة : تعلق فى عنق الولد بزعم دفع الأخطار عنه ، وهذا شِرْك لقوله ﷺ فى الحديث الصحيح : « التمائم شِرْك » .

لا يلبثِ القرناءُ [١] أن يتفرقوا ... لَيْلٌ يَكُرُّ عليهِمُ ونهارُ

وأنشد أبو تمام :

أُصِبتُ بِخوْدٍ سوف أغبر بعدَها ... حليفَ أسًى أبكى زمانًا زمانَها
عنان من اللذات قد كان فى يدى ... فلما قضَى الإلفُ استردتْ عنانَها
مَنَحْتُ الدمى هجرى فلا محسناتها ... أوَدُّ ولا يهْوَى فؤادى حسانَها
يقولون : هل يبكى الفتى لخريدة ... إذا ما أراد اعتاض عشرًا مكانَها
وهل يستعيض المرءُ مِن عَشْر كفِّهِ ... ولو صاغ من حُرِّ اللُّجين بنانها ؟!

وقال محمود سامى باشا البارودى يرثى زوجته ، وقد ورد إليه نعيها وهو منفى فى جزيرة سرنديب ، وقد كان شجاعًا قوى العزيمة :

أيَدَ المنونِ قَدَحْتِ أىَّ زناد ... وأطرتِ أيَّةَ شُعلةٍ بفؤادِى
أوْهَنتِ عزمى وهو حملةُ فيْلَقٍ ... وحطمْت عُودِى وهو رمحُ طرادِ
يا دهرُ فيمَ فجعتَنى بحليلةٍ ... كانت خلاصةَ عُدَّتى وعتَادِى
إن كنتَ لم ترحم ضناى لِبُعْدِها ... أفلا رحمتَ مِنَ الأَسَى أولادِى ؟
لا لوعتى تَدَع الفؤادَ ولا يدى ... تَقْوَى على ردِّ الحبيب الغادِى
ومِن البلية أن يُسام أخو الأَسَى ... رَعْىَ التجلُّدِ ، وهْو غير جماد
هيهاتَ بعدَكِ أن تقرّ جوانحى ... أسفًا لبُعْدِكِ ، أو يلينُ مِهادى
وَلهَى عليكِ مُصاحبٌ لمسيرتى ... والدمعُ فيك ملازمٌ لِوسادى
فإذا انتبهتُ فأنتِ أوّل ذكرتى ... وإذا أويتُ فأنتِ آخِرُ زادى !

ولكنه بعد أن يذوبَ قلبُه حسراتٍ عليها ، يعود فيستسلم لقضاء الله الذى لا مرد له ، فيقول :

كلُّ امرئٍ يومًا مُلاقٍ ربَّه ... والناسُ فى الدنيا على ميعادِ

وأنشد الطغرائى يرثى زوجته :

إنْ ساغَ بعدَكِ لى ماءٌ على ظمأٍ ... فلا تجرَّعتُ غيرَ الصاب والصبرِ
وإن نظرتُ من الدنيا إلى حسن ... مذ غِبْتِ عنى فلا مُتِّعتُ بالنظرِ
صَحِبْتِنِى والشبابُ الغضُّ ثم مضى ... كما مضيت فما فى العيش مِن وَطرِ
سبقتمانى ولو خُيِّرتُ بعدكما ... لكنتُ أوَّل لحَّاق على الأثرِ

وقال أيضًا :

وبؤس منفرد عمَّن يضاجعُهُ ... مشرَّد النوم بين الأهل والمالِ

---

(١) القرناء : الأصحاب .

يزيد حَرَّ حشاه بردُ مضجَعِهِ ... ويملأ القلبَ شجْوًا رَبْعُهُ الخَالى
يبكى ويندب طولَ الليل أجمُعَه ... فلا يَقَرُّ ولا يهدا على حال

قال أبو جعفر البغدادى : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد المحبة لها ، فماتت ، فوجد عليها وجْدًا شديدًا ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته الجارية فى نومه ، فأنشدته هذه الأبيات :

جاءت تزور وسادى بعدما دُفنتْ ... فى النوم ألثمُ خدًّا زانه الجِيدُ
فقلتُ قُرَّةَ عينى قد نُعيتِ لنا ... فكيف ذا وطريقُ القبر مسدودُ ؟
قالت : هناك عظامى فيه ملحدةٌ ... ينهش منها هوامُ الأرض والدودُ
وهذه النفسُ قد جاءتك زائرةً ... فاقبل زيارةَ مَن فى القبر ملحودُ

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدِّث الناس بذلك ، فما بقى بعدها إلا أياما يسيرة حتى مات ولحق بها !

ورثى معلى الطائى جاريته « وصفًا » فقال :

يا موت ! كيف سلبتنى وصفًا ... قدمتها وتركتنى خلفا
هلّا ذهبت بنا معًا فلقدْ ... ظفرتْ يداك قسمتى خسفا
وأخذتَ شقَّ النفس مِن بدنى ... فقبرتَهُ وتركْتَ لى النصفا
فعليكَ بالباقى بلا أجلٍ ... فالموتُ بعد وفاتها أعْفَى
يا موتُ ما أبقيتَ لى أحدًا ... لمّا رفعتَ إلى البلى وصفا
هلّا رحمتَ شباب غانيةٍ ... ريّا العظام وشعرها الوخفا
يا موت أنت كذا لكل أخى ... إلف يصون ببرِّهِ الإلفا
خلَّيْتَنى فَردًا وبِنْتَ بها ... ما كنتُ قبلك حاملًا وكْفا
فتركتُها بالرغم فى جَدَثٍ ... للريح ينسف تربَهُ نَسْفا
أسكنتَها فى قعْرَ مُظلِمةٍ ... بيتًا يصافح تُرْبُهُ السقفا
بيتًا إذا ما زاره أحدٌ ... عصفتْ به أيدى البلى عصْفا
لا نلتقى أبدًا معايَنَةً ... حتى نقومَ لربِّنا صفًّا

رفعُ شأنِ المرأةِ [١]

الآيـة :

● ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

---

(١) « لقد نادى الإسلام بأنه يجب أن تصان كرامة المرأة التى هى أمٌّ ، وزوجة ، وشريكة حياة ، وفلذة كبد ، فلا تعطى للرجل ليستمتع بها لبعض الوقت ، ثم ينبذها ، ولا تمنح لعدة رجال فى وقت واحد ! ويجب أن يحترم كبرياؤها فلا تتزوج إلا بمن ترضاه ، وأن تقيم معه شريكة له نفسًا إنسانية كريمة تعاونه ، لا مَحظية يستمتع بها ! » [محمد رسول الحرية : للشرقاوى] وهذه الإهانات كانت قبل الإسلام ، فأنقذ المرأة منها ، قال الأستاذ محمد الغزالى فى كتابه : « ركائز الإيمان بين العقل والقلب » :

« وجاء الإسلام العظيم ، ومسَّتْ رحمتُه حياة المرأة ، فردَّ عنها طغيانَ القساة من الرجال . وحرر إنسانيتها روحًا وجسدًا حين أتاح لها أن تتزود من العلم بما تشاء ، وحصَّن حقوقها المالية ؛ حتى لا تذهب بها أثرة الأقرباء أو الغرباء ، وربطها برسالة الأمة الكبيرة ودعوتها العامة ؛ فهى فى السلم أو الحرب عنصر فعال ، وظهير قوى .

وفى نطاق تعاليم الإسلام لا يقل وعى المرأة عن الرجل بقضايا الدين والدنيا .

وما كانت نساء الصحابة والتابعين جاهلات بكفاح الإسلام فى أرض الجزيرة ضد الوثنية ، أو جاهلات بكفاحه بعد ذلك ضد الفرس والروم .

ولكن توزيع الأعباء أعطى كلاً من الجنسين نصيبه من العناء دون تعسف .

والإسلام يعرف المرأة قبل كل شىء ربة بيت وزوجة بطل وأم شهيد ! . .

ويرفض تجنيد النساء للترفيه كما فعلت أوروبا فى حربها الأخيرة ، وكما تفعل فى سلمها . . . » .

فأين هذه المعاملة الإسلامية الرائعة مِن معاملة الحضارة الغربية المزيفة لها ؟!

ثم قال الأستاذ محمد الغزالى :

« كان يجب أن نُهدى الثناء إلى المدنية الحديثة لو أنها - حين اعترفت بإنسانية المرأة - دعمت جانبها الضعيف وحفظت حقوقها المهدَرة ، وردَّت عنها عدوانَ مَن ضنُّوا عليها بالعلم والمال ، والإسهام بحظ واضح فى رعاية المصالح الخاصة والعامة . . .

لكن المدنية الحديثة - وشارتُها الأولى عبادة الحياة - أدخلت المرأة فى المجتمع بطريقة مريبة ؛ فبدلا من أن تحصن أنوثتها ضد العبث ، تعمدت إطلاق الجانب الحيوانى فى البشر ، وجعلت من أنوثة المرأة فتنة تبعثر الإثم فى كل مكان !

فالملابس لا بد أن تكون قصيرة تكشف ما فوق الركبة ، ضيقة تبرز الصدر والأرداف ، مثيرة تغرى بتفصيلها وتقسيمها إلى النظر الحرام والفكر الحرام . . . والتقاليد التى أقرتها هذه المدنية الحديثة أن المرأة تظهر فى الأحفال الساهرة شبه عارية ، وأنها ينبغى أن تطعم وترقص مع شخص آخر غير زوجها !

وأقطار الغرب فى أوروبا وأمريكا ترى أن المتعة الجسدية فى كل صورها حقٌّ طبيعى للفتى والفتاة

= . . . .

الأحاديث :

* « إنما النِّساء شَقائقُ [١] الرِّجال » . (حم. د. ت) ص .

* قال عمر بن الخطاب :

« والله إنْ كُنا فى الجاهلية ما نَعُدُّ للنِّساء شيئًا ، حتى أنزل الله تعالى فيهنَّ ما أنزل وقسَمَ لهن ما قسم . وبينما أنا فى أمْرٍ أأتمِرهُ إذ قالتْ لى امرأتى :

لو صنعتَ كذا وكذا .

فقلت لها : وما لَكِ ولِما هَهُنا ؟ وتكلُّفَك فى أمر الدين ؟

فقالت لى : « عجبًا يا ابنَ الخطاب ! ما تريد أن تُراجعَ أنت ؟! وإنَّ ابنتك لَتُراجع رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يظلَّ يومَه غضبان ! » .

فأخذتُ ردائى ثم انطلقتُ حتى أدخلَ على حفْصة ، فقلت لها : يا بنيَّة ! إنَّك لَتراجعين رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يظل يومه غضبان ؟!

فقالت : إنَّا والله لَنُراجِعُه » . الحديث (خ) بنحوه .

= وفرص التلاقى لإرواء الغريزة الجنسية - سواء بالزنا أو بما دونه - متاحةٌ لمن شاء .

وإذا كانت البيئة المؤمنة تفرض القيود على الملابس ، وتباعد بين أنفاس الذكور والإناث إلى أن يلتقى الرجل بالمرأة فى بيت الزوجية وحده ، فإن المدنية الحديثة تعمل بدأب غريب على إثارة الشهية الجنسية بالليل والنهار ، فى البر والبحر . . وتستفز الغرائز الساكنة لتدفعها دفعًا إلى الاستمتاع الميسور ، محظورًا كان أم غير محظور . . إنها مدنية تنشد اللذة وتطوّع لها كل شىء ، والمسحورن بها يحق فيهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ . ولما كانت الطبيعة البشرية قد تسكن إذا نالت ما تشتهى ، أو قد تهدأ إذا أُلِفت ما ترغب ؛ فإن زبانية النشاط الجنسى يمدّون قرائحهم لخلق أزياء وأوضاع جديدة تلهب الذئاب الجائعة لتنطلق فى كل فج وهى تصيح : هل من مزيد » .

(١) فى الوقت الذى رفع الإسلام من شأن النساء وجعلهن شقائق الرجال ، عُقد مؤتمر فى فرنسا عام ٥٨١ أى زمن الهجرة النبوية اختلف فيه أعضاؤه فيما إذا كانت المرأة إنسانًا أم غير إنسان ، وأخيرًا قرر المؤتمر أن المرأة إنسان ولكنها خلقت لخدمة الرجال ! بينما الإسلام جعلها ملكة البيت لتقوم بمهمة التربية الخطيرة المقدسة .

وسخَّر الرجلَ لخدمتها فى معترك الحياة ، فلا نامت أعين الذين يطالبون بإخراج المرأة من البيت بزعم المطالبة بحقوقها ؛ لتصبح مسخرة لأهوائها وشهواتها ، وتغدو حمّالة وماسحة أحذية ومنظفة مراحيض كما هو حال كثير من النساء فى الغرب ! إن إخراج المرأة من البيت هدمٌ لأعظم معاقل ومعامل صنع الرجال .

المرأة صانعة الرجال ومنشئة الأبطال للحروب !

أسسُ قبولِ المرأةِ فى الإسلامِ

الآيـة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ [١] عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ [٢] بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ [٣] فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [٤] ﴾ .

[الممتحنة : ١٢] .

---

(١) ونذكر بهذه المناسبة أنه لا أصل لحديث : « شاوِروهن - يعنى النساء - وخالِفوهن » كما أفاده السخاوى والمناوى ، كما أن حديث « طاعة المرأة ندامة » وهو حديث موضوع كما أفاده ابن عدى ، وأبو حاتم . وقد صح عن الرسول ﷺ ثبوت عدم مخالفته لزوجته أم سلمة لمّا أشارت عليه بأن ينحر أمام أصحابه فى صلح الحديبية حتى يتابعوه فى ذلك .

إننا نرى من مبايعة الرسول ﷺ للمرأة بوحى من ربه أنه اعتبرها شقيقة الرجل ، وعضوًا عاملاً فى كيان الهيئة الاجتماعية ، لها وزنها وحقها كما عليها واجبها أيضًا .

(٢) قال ابن عباس : يعنى لا يُلحقن بأزواجهن غيرَ أولادهم .

(٣) يعنى فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر .

(٤) قال أحد الكُتاب ما ملخصه خلال شرحه لهذه الآية : « وهذه الأسس هى المقومات الكبرى للعقيدة ، كما أنها مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة . إنها عدم الشرك بالله إطلاقًا . . وعدم إتيان الحدود . . . السرقة والزنى ، وعدم قتل الأولاد إشارة إلى ما كان يجرى فى الجاهلية من وأد البنات . . . وعدم قتل الأمنية . . . وهن أمينات على ما فى بطونهن ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ . والشروط الأخيرة : « ولا يعصينك فى معروف » وهو يشمل الوعد بطاعة الرسول ﷺ فى كل ما يأمرهن به . . وهو لا يأمر إلا بمعروف .

فإذا بايعنك على هذه الأسس الشاملة قبلتَ بيعتهن - أى قبل دخولهن فى الإسلام - واستغفر لهن الرسول ﷺ عما سلف « إن الله غفور رحيم » يغفر ويقيل العثرات » .

مما سبق من تأكيد القرآن العظيم لبيعة المرأة ، ندرك اهتمام الإسلام بها وعنايته بتوجيهها ، وسعيها للسمو بها ، ولا غرابة فى ذلك ؛ فهى - كما قال أحد القادة - التى تهزّ السرير بيسارها ، وتهزّ العالم بيمينها ، فإذا أُهملت وتُركت بدون توصيات ، كانت خطرًا على نفسها وعلى أمتها . وقال الشاعر :

الأم مـدرسـةٌ إذا أعـددتـهـا ... أعددت شعبًا طيِّبَ الأعراقِ

ولم تكن المرأة قبل الإسلام شيئًا مذكورًا - كما رأينا سابقًا من كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ولم يقتصر عدم المبالاة بالمرأة على العصور القديمة ، فإنه حتى فى هذا العصر الحديث - الذى يسميه بعضهم عصر الحضارة والنور - تُستخدم فيه المرأة دمية للعبث بها : حتى أن بعض الشعوب لا يلقّنونها الدين مطلقًا !!

الأحاديث :

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« كان رسول الله ﷺ يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ - إلى قوله : ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فمنْ أقر بهذا الشَّرط من المُؤمنات قال لها رسول الله ﷺ : « قد بايعتُك » كلامًا - ولا واللهِ - ما مسَّتْ يدُه يدَ امرأةٍ فى المُبايعة قط ؛ ما يبايِعُهن إلا بقوله : « قد بايعتكِ على ذلك » . (خ) .

وفى روايةٍ قال رسول الله ﷺ : « فيما استطعتُن وأطقتُنَّ » قلن : اللهُ ورسوله أرحمُ بنا مِن أنفسنا ، قلن : يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ قال : « إنى لا أصافح النِّساء » [1] . (حم) ص .

وفى رواية : - زيادة على ما سبق - « ولا تَغْشُشْنَ أزواجكن » ، فقالت امرأة : ما غِشُّ أزواجنا ؟ فقال : « تأخذُ ماله فتحابى به غيره » (حم) .

وفى رواية عن أم عطية قالت : « بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ : ﴿ لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ونهانا عن النياحة ، فقبضت امرأة يَدها قالت : أسعدتَنى فلانة ؛ فأريدُ أن أجزيها ! فما قال لها رسول الله شيئًا ، فانطلقت ورجعت ، فبايعَها » . (خ) .

---

(١) قد يستغرب بعضهم تحريمَ الإسلام مصافحة الأجنبى للأجنبية ، وقد نسى أن معظم النار من مستصغر الشرر ، وقد قال الشاعر :

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ !!

وكم كانت المصافحة بضغط اليد سببًا فى كهربة النفس ووقوعها فريسة .

وقد قال الشاعر :

ما الحبُّ إلا نظرةٌ وغمزُ كَفٍّ وعَضُدْ !!

وتحضرنى طُرفة بهذه المناسبة خلاصتها : أن أحد العلماء الصالحين دُعى إلى حفلة ، ففوجئ بامرأة تستقبل الضيوف ، فمدت إليه يدها لتصافحه ، فاعتذر ، فتألمت وظهر الأسف على وجهها .

وبعد قليل دعاها وقال لها :

أريد أن أصارحكِ فهل تسمحين ؟

قالت : وماذا تريد أن تقول ؟

قال : إنى أقول لك بصراحة : إذا صافحتُك ووجدتُ يدَك أحلى وأنعم من يد زوجتى ، فإنها تخرج من عينى ، وأظن أنكِ مثلى إذا وجدت يدى أحلى وأنعم من يد زوجك ، خرج من عينيك ، فإذا لم نتصافح وبقى كل منا راضيًا بزوجه يكون فى ذلك الخير والسلام والعفة للجميع .

وفى رواية للبخارى أيضًا عن أم عطية قالت : « أخذ علينا رسول الله ﷺ البيعة ألاّ ننوح » .

وفى رواية : « ولا تنوحى ولا تتبرجى تبرجَ الجاهلية الأولى » .

وفى رواية لابن أبى حاتم : « قال رسولُ الله ﷺ بعد تلاوة الآية : « **فإن وفيتُم فلكم الجنة** » .

وفى رواية فيها ضعف : « لما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَلا يَزْنِينَ ﴾ قالت هند زوجة أبى سفيان : وهل تزنى الحرة ؟! قال : « لا ! والله ما تزنى الحرة » .

* « لأن يُطعنَ فى رأس رجُلٍ بمخيط من حديد خيْرٌ من أن يَمسَّ امرأةً لا تحِلُّ له » . (طب ح) .

* * *

« مَزايا ومَساوئ »

جمالُ نساءِ الجنةِ كما يصوِّرُهُ القرآنُ

الآيات :

- ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ (١) أَتْرَابًا ﴾ [النبأ : ٣١ - ٣٣] .
- ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ (٢) إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا (٣) أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة : ٣٥ - ٣٧] .

---

(١) الكواعب : جمع كاعب ، قيل : الناهد ، وقيل : الفلكات اللواتى تكعَّب ثديهن وتفلكت . وأصل اللفظ من الاستدارة ، والمراد ثديهن نواهد كالرمان ، ليست متدلية إلى أسفل ، ويسمَّيْن نواهد وكواعب (حادى الأرواح ص ٣٦٠) .

(٢) أعاد الضمير إلى النساء ، ولم يَجْرِ لهن ذكر ؛ لأن الفُرُش - فى الآية التى سبقت هذه الآية : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ كناية عن النساء و كما كنى عنهن بالقوارير والأزر ، ولكن قوله : ﴿ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ يأتى هذا إلى أن يقال : المراد رفعة القدر !

قال ابن القيم : « قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « لا تَحْسُن المرأة حتى تروى الرضيع وتدفئ الضجيع » . وقال ابن شبرمة : ما رأيت لباسًا على رجل أزين من فصاحة ، ولا رأيت لباسًا على امرأة أزينَ من شحم !! » .

(٣) وقوله (عربًا) جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن . وقيل : العروب من النساء : المطيعة لزوجها ، المتحببة إليه ، وقيل : العروب : الحسنة التبعل .

قلت : يريد حسن موافقتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع . قال المبرد : هى العاشقة لزوجها ؛ وأنشد للبيد :

وفى الحدوج عَروبٌ غيرُ فاحشةٍ رَيَّا الروادف يَغْشَى دونَها البصَرُ

وذكر المفسرون فى تفسير العُرُب : إنهن العواشق المتحببات الغنجات ، الشكلات المتعشقات ، الغلمات ، كل ذلك من ألفاظها .

وقال البخارى فى صحيحه : « عُربًا مثقلة ، واحدها : عروب . مثل صَبور وصَبر ، تسميها أهل مكة : العربة ، وأهل المدينة : الغنجة ، والعراق : الشكلة ، قلت : فجمعَ بين حسن صورتها وحسن عشرتها ، وهذا غاية ما يُطلب من النساء ، وبه تكمل لذة الرجل بهن . وقوله : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ إعلام بكمال اللذة بهن ؛ فإن لذة الرجل بالمرأة التى لم يطأها سواه ، لها فضلٌ على لذته بغيرها ، وكذلك هى أيضًا » .

(حادى الأرواح جـ ١ ص ٣٥٧ - ٣٦٠ باختصار) .

• ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ [١] لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ [٢] ﴾ [الرحمن: ٥٥-٥٨] .

• ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ [٣] حِسَانٌ ﴾ [الرحمن : ٧٠] .

• ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ [٤] فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] .

• ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ [٥] ﴾ [الدخان : ٥١ - ٥٤] .

• ﴿ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ [٦] ﴾ [الروم : ١٥] .

---

(١) وصفهن سبحانه بقصر الطرْف (أى النظر) فى ثلاثة مواضع : أحدُها هذه ، وأجمعَ المفسرون كلهم على أن المعنى أنهن قَصَرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يطمَحن إلى غيرهم .

وقيل : قصرن طرف أزواجهن عليهن ، فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن .

وهذا صحيح من جهة المعنى ، وأما من جهة اللفظ : فقاصراتٌ صفة مضافة إلى الفاعل لحِسان الوجوه . وأصلُه قاصرٌ طرفهن : أى ليس بطامح متعَدٍّ .

(٢) قوله : ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ قال عامة المفسرين :

أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان ؛ شبههن فى صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان .

ويدل عليه ما قاله عبد الله : « إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير ، فُيرَى بياض ساقيها من ورائهن ، ذلك بأن الله يقول : ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ ألا وإن الياقوت حجر : لو جعلتَ فيه سلكًا ، ثم استفيته لنظرتَ إلى السلك من وراء الحجر (حادى الأرواح لابن القيم ج ١ ص ٣٤٨ - ٣٥٤ باختصار) .

(٣) خيرات : جمع خيْرة : وهى مخففة من خيِّرة كسيدة ولينة ، و« حسان » : جمع حسنة ، فهن خيْرات الصفات والأخلاق والشيم ، حسان الوجوه .

(٤) قد تقدم وصف النسوة الأُوَل بكونهن قاصرات الطرف ، وهؤلاء بكونهن مقصورات . والوصفان لكلا النوعين ، فإنهما صفتا كمال . فتلك الصفة : قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج ، وهذه الصفة : قصرهن عن التبرج والبروز والظهور للرجال (حادى الأرواح ج ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٤) باختصار .

(٥) الحور : جمع حوراء ، وهى المرأة الشابة الحسناء ، الجميلة ، البيضاء ، شديدة سواد العين ، وقيل : الحوراء : التى يُحار فيها الطرف مِن رقة الجلد وصفاء اللون . قوله : عين : حسان الأعين .

(٦) أى يُسَرُّون ويُنَعَّمون . قال ابن القيم : إنه السماع الطيب . ونذكر بمناسبة ذكر هذه الآية أن أحد الصالحين وهو على ابن القاضى عياض صلى خلف إمام قرأ فى صلاته سورة الرحمن ، فلما سلم قيل لعلى : =

● ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (١) ﴾ [الصافات : ٤٨ - ٤٩] .

= أما سمعتَ ما قرأ الإمام ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ فقال : شغلتنى عنها ما قبلها ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ !!

وهكذا ينبغى أن لا يكون المسلم منصرفًا دومًا إلى لذائذه ، ولذائذ الآخرة ، بل يجب أن يكون أيضًا من أهل الخوف من عذاب ربه . وقد وصف القرآن أهل الجنة : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾

(١) وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : اللؤلؤ المكنون . وقال الحسن : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ يعنى مَصون لم تمسه الأيدى قبل أن ينزع قشره [تفسير ابن كثير].

ولا شك أن القارئ - والمؤلف أيضًا - قد سال لعابه من وصف حور الجنة ، نسأل الله سبحانه أن نحظى بها ، وكل ذلك يسير ؛ ففى حديث رواه البخارى : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا مَن أبَى ؛ قالوا : يا رسول الله ومن يأبَى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » .

ومعنى أطاعنى : أى عمل بالقرآن والسنة ، وما أسهل ذلك ، ولكن أين المسلمون اليوم مِن ذلك ؟ وقد انصرفوا عن كل هذا ، فقصدوا الله بالطرق الصوفية ، واعتبروها رقائق ، وبعلم الكلام اليونانى ، واعتبروه توحيدًا ، وهو بعيد عن التوحيد بُعد السماء عن الأرض ، وقد نهى عنه جميع علماء السلف وأئمة المذاهب ، وحتى ما أعلنه المشتغلون به قبيل موتهم . ويؤسفنى أن بعض المغفلين لا يزالون يدافعون عن علم الكلام ويدرِّسونه للطلبة المساكين ، كما تعبَّدوا الله سبحانه بأقوال رجالٍ غير معصومين ، كانوا ذموا التقليد ونهوا المسلمين عن تقليدهم ، وأمروهم بالأخذ بالحديث والضرب بأقوالهم المخالفة له عُرض الحائط .

فأين المسلمون من كل ذلك ؟! وأقصد بذلك شيوخهم ومثقفيهم لا عامتهم ، فلو أتيتَهم بكل آية أو حديث ، ما تبعوه ، وقدَّموا عليه أقوال أئمتهم ، فأين سلوكهم هذا من قول الشعرانى فى كتابه « الميزان » ما ملخصه : « لو جاء الأئمة اليوم لرجعوا عن كثير من آرائهم بسبب غياب كثير من السنة فى زمنهم ، وجمعِها بعدهم ، من قِبل علماء الحديث من الثغور والأمصار » .

ومما سبق ينبغى ألاّ نستغرب سببَ حجب الله تعالى نصره ، وتأييده للمسلمين ، ما داموا قد تركوا قرآنه وسنة نبيه ﷺ ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

وما أرهبَ وأحزنَ قول الشاعر :

أنّى اتجهتَ إلى الإسلام فى بلد ... تَجِدْهُ كالطير مقصوصًا جناحاه

ومن المؤسف - والمؤسف جدًا - أن يعتبر كثير من الباحثين أن هذا الاضطهاد امتحانٌ وابتلاء ، مع أنه انتقام ، أى من المسلمين بسبب إهمالهم مبادئ دينهم .

وبعد ذكر هذا الانحراف المؤسف الأليم الذى أصيب به أكثرُ المسلمين ، أعود لإعادة الفرحة إلى النفوس المؤمنة اللوامة بذكر أبيات فى وصف الحور العين :

ولِلّهِ كَمْ من خيْرَةٍ إنْ تبسَّمَتْ ... أضاء لها نورُ الفجر أعظمُ

فيا لذة الأبصار إن هى أقبلتْ ... ويا لذة الأسماع حين تكلَّمُ =

صفاتُ نساءِ الجنَّةِ كما يصوِّرُها الحديثُ

الأحاديث :

* « إنَّ أزواج أهل الجنَّة ليُغَنينَ أزواجهُنَّ بأحسن أصواتٍ ، ما سمعها أحدٌ قط ، إن مما يُغنين به : « نحنُ الخيِّراتُ الحسان ، أزواجُ قوم كرام ، ينظرن بقرَّة أعيان . وإن مما يغنين به : نحنُ الخالداتُ فلا نَمُتنَ ، نحن الآمناتُ فلا نخفْنَ ، نحن المقيمات فلا نَظْعَنَ » . (ط.س) ص .

« إن الحور العين لَيُغنِّين فى الجنَّة ، يقُلْن : نحن الحور الحسان ، خُبئنا لأزواج كِرام » . (ط) ص .

* من صفات الرجل فى الجنة : « إنَّ الرجل من أهل الجنة لَيُعطى قُوَّة مئة رجل فى الأكل ، والشرب ، والشهوة ، والجماع ! حاجةُ أحدِهم عَرَقٌ يفيض من جِلدِه ، فإذا بطنُهُ قد ضَمُرَ » . (ط) ص .

= ويا خجلةَ الغصنِ الرَّطيب إذا انثنت ... ويا خَجلة الفجرَيْن حين تبسَّمُ
فإن كنتَ ذا قلب عليل بحبِّها ... فلم يبقَ إلا وصلها لك مرهمُ
ولا سيما فى لثمها عند ضمِّها ... وقد صار منها تحت جيدك مِعصَمُ

وقال الإمام ابن القيم يصف حور الجنة والطريق إليها :

يا خاطب الحور الحسان وطالبًا ... لوصالهنّ بجنّةِ الرحمان
لو كنتَ تدرى مَن حظيتَ بحُسْنها ... لَبذلتَ ما تحوى من الإيمان
أو كنتَ تعرفُ أين مسكنها جعل ... تَ السعىَ منك لها على الأجفان
أسرِغْ وحُثَّ السير جَهْدَك إنّما ... مسراك هذا ساعةٌ لزمان
فاعشق وحدِّث بالوصال النفسَ وابـ ... ـذل مَهْرَها ما دمت ذا إمكان

ومما قاله أيضًا رحمه الله تعالى يصف أهل الجنة :

ورأوْا على بُعْد خيامًا مشرفا ... تِ مشرقات النور والبرهانِ
فتيمَّموا تلك الخيام فآنَسوا ... فيهن أقمارًا بلا نقصان
مِن قاصرات الطرف لا تبغى سوى ... محبوبِها مِن سائر الشبان
ويقول لمَّا أن يشاهد حُسْنَها ... سبحانَ معطى الحسنَ والإحسان
والطرف يشرب مِن كؤوس جمالها ... فتراه مثل الشارب النشوان
كملتْ خلائقُها وأُكمِل حُسنُها ... كالبدر ليلَ الستِّ بعد ثَمان

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الفهم والتقوى ويدخلنا الجنة دار النعيم المقيم : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ كما تقول الآية ، و « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطرَ على قلب بشر » كما جاء فى الحديث .

مِنْ صفاتِ المرأةِ الصالحةِ

الآيـات :

- ﴿ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ (١) ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصافات : ٤٨] .
- ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] .
- ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] .
- ﴿ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ (٢) حَـٰفِظَـٰتٌ (٣) لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ (٤) ٱللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] .
- ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ (٥) عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ (٦) ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] .
- ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ (٧) وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ (٨) وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ (٩) وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ

---

(١) هذه الآية والآيتان اللتان بعدها فى وصف حور الجنة ، ويمكن أن تكون الإفادة منها معرفة بعض صفات المرأة الصالحة وهى :

أولاً : أن تقصر المرأة طرفها ونظرها على زوجها لِحُبها له ورضاها به ، فلا يتجاوز طرفها إلى غيره ؛ قيل :

أذود سهام الطرف عنك وما لَهُ ... على أحد إلا عليك طريق

ثانيًا : مقصورات فى الخيام ؛ أى ممنوعات من التبرج والتبذل لغير أزواجهن ، بل قصرن على أزواجهن ولا يخرجن من منازلهن ، وقُصرن عليهم فلا يردن سواهم .

ثالثًا : ومن صفات الزوجات : مطهرات من النجوى والوسوسة الشيطانية ، وطهرتْ بواطنهن من الغيرة وأذى الأزواج وتجنيهن عليهم وإرداة غيرهم . [مقتبسة بتصرف من كتاب « روضة المحبين »] .

(٢) قانتات : قال ابن عباس وغيره : يعنى المطيعات لأزواجهن .

(٣) حافظات للغيب : قال السدِّى وغيره : أى تحفظ زوجها فى غيبته فى نفسها وماله .

(٤) بما حفظ : أى المحفوظ مَن حفظه الله .

(٥) قانتات : مطيعات .

(٦) سائحات : صائمات أو مهاجرات ، وهذه الصفات إذا اتصفت بها المرأة اتجهت بكليتها إلى الله تعالى وكانت نِعْمَ الزوجة وريحانة الدنيا .

(٧) المطيعات .

(٨) الصابرات : أى على الطاعات وعلى المصائب والمتاعب .

(٩) الخاشعات : المتواضعات .

وَالصَّٰٓئِمِينَ [١] وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

الأحاديث :

* « ألا أخبرُكم بخير نسائِكم فى الجنَّة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله [٢] قالَ : كلُّ

---

(١) خصت الآية الصوم بالذكر على بقية العبادات ؛ لأنه يكسر ويخفف من الشهوة الجنسية ، قال الإمام ابن كثير : « ولما كان الصوم أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاءٌ » ناسبَ أن يذكر بعده ﴿ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ ﴾ أى عن المحارم » .

(٢) كتب أحد الأزواج إلى عمه يشكره على حسن تربيته ابنته ويصف له بعض صفاتها الحسنة فيقول :

« يا عمى ، ويا أبى ويا صديقى :

إنى أشكركم على أنكم يسرتم لى الزواج من ابنتكم الغالية ؛ فهى لا تشكو مهما قسوت عليها ، وهى مخلصة تتفانى فى خدمتى ، وإننى خلال هذه السنوات الطويلة بعيدًا عن أهلى ووطنى لم أشعر بوحشة الغربة ؛ بسبب ما تجعله فى حياتى من التجديد المستمر . وهى تعيننى على أداء الشعائر الدينية . ولو كنت لا أعرف مؤلف كتاب « تحفة العروس » أو الزواج الإسلامى السعيد ، لقلت إن زوجتى هى التى ألفته ، لأنها مطبقة لجميع ما جاء فيه . . . فأنا أهنئكم على حسن تربيتها .

والغريب أن المديح مهما كان لا يجعلها تشعر بالغرور . إنها تسلك مع أطفالها السلوك نفسه ليكونوا رجالاً صالحين وجنودًا وقادة فى المستقبل ، لقد جمعت بين عمل الدنيا والآخرة ، ولا تفَرط فى أحدهما على حساب الآخرة ، إنى مسرور بالزواج بها وهى مسرورة . فأرجو أن تكونوا أنتم مسرورين أيضًا . إنها تهتم كثيرًا بأطفالها وتعتنى بصحتهم وبأكلهم ولباسهم ونومهم وتقدم لهم الهدايا بمناسبة نجاحهم فى الامتحانات وجاراتها يحببنها كثيرًا ؛ لأنها تهتم بأفراحهن وأحزانهن ، وتقدم لهن الهدايا فى المناسبات . . . فالحمد لله الذى وفَّقنى للزواج منها .

أذكر لكم هذه الحادثة : زارنى رجل فى الدار له معاملة عندى ، وقدم لى رشوة وقال : هذه هدية . فقالت له زوجتى : لو لم يكن لك عنده معاملة ، فهل كنت تعطيه هذه الهدية ؟

فدهش الرجل من جواب زوجتى ، وتمنى لو تزور زوجته وتوجهها . وبعد سنة طلبنى هذا الرجل لأعمل له .

تحثنى دومًا على دفع الزكاة وأن أزيد عليها بالصدقات .

إننى أكتب هذه الأسطر ، والدموع تترقرق فى عينى كثمن للمحبة الحقة لكم ولأمها ولجميع من ساهم فى تربيتها .

وإننى أكتفى بهذا القدر من الكتابة ، ولو أردت أن أوفيها حقها من وصف صفاتها الحسنة لاحتجتُ إلى مجلدات وإلى وقت كبير ، لذلك أردت بهذه الشذرات أن أعطى صورة مصغرة عن حياة هذه الإنسانة الصالحة والزوجة المؤمنة ، معبرًا بذلك عن مقدار شعورى الصادق نحو كل من ساهم فى تربيتها ويسرَّ لى الزواج منها . . » .

ودُودٍ ولُودٍ ، إذا غضبَ زوجُها قالت : هذه يدى فى يدِك لا أكتحلُ بغُمْض حتى ترضى » . (طب) وهو حديث صحيح .

* « عليكم بشوابِّ النساء ؛ فإنهنَّ أطيب أفواهًا ، وأنتَق أرحامًا ، وأسخن أقبالاً » . [الشيرازى فى (الألقاب) وسنده صحيح ، كما قال محقق صحيح الجامع الصغير] .

* « ما استفادَ المؤمن بعد تقوى الله ، خيرًا له من زَوجةٍ صالحة ، إن أمَرَها أطاعته ، وإن نظر إليها سرَّته ، وإن أقسم عليها أبرَّته ، وإن غاب عنها نَصحته فى نفسها وماله » . (هـ) .

* « خيرُ نساءِ ركبن الإبلَ صالحُ نساء قريش ، أحناهُ على ولد فى صِغره ، وأرعاه على زوْج فى ذات يده » [(١)] . (خ) .

* « قيل لرسول الله ﷺ : أىُّ النِّساء خيرٌ ؟ قال : التى تَسُرَّه إذا نظر ، وتُطيعُه [(٢)] إذا أمر ، ولا تخالفه فى نفسِها ولا ماله بما يكره » . (د. ن.ق) بإسناد حسن .

- قال القاسم بن عبد الرحمن :

« كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقرأ القرآن ، فإذا فرغ قال : أين العُزَّاب ؟

---

(١) هذا الحديث ثابت فى الصحيحين ، وإنما انفرد مسلم بسبب وروده ، فعن أبى هريرة « أن النبى ﷺ خطب أم هانئ بنت أبى طالب ، فقالت : يا رسول الله ، إننى قد كبرت ولى عيال . فقال رسول الله : « خير نساء . . . » .

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس - كما جاء فى آثاره ٢/ ٢٢٢ - ما ملخصه فى شرح هذا الحديث وما فيه من توجيهات :

« خير نساء العرب نساء قريش يجمعن بين : الرأفة بالولد والشفقة عليه ، والعناية بتربيته ، حتى يتركن التزوج من أجل التفرغ للقيام به ، وحفظهن بكمال وحسن التدبير فيه ، والأمانة عليه ، فيكفين الزوج أعزَّ شىء لديه ، وهو ماله وولده اللذان بهما حُسْنُ حاله وبقاءُ أثره . .

وبيَّن لنا هذا الحديثُ الشريف ما خُلقت له المرأة من العمل العظيم فى الحياة ، ويرشدنا بذلك إلى وجوب القيام عليها وتهيئتها لذلك بالتربية والتعليم ، فتكون تربيتنا وتعليمنا لها بما يقوى فيها هذه الصفات : العفة ، وحسن تدبير المنزل ، والنفقة فيه ، والشفقة على الولد ، وحسن تربيته . .

وقد امتنعت أم هانئ من الزواج بالنبى ﷺ للقيام بأولادها ، فأقرها وأثنى على المتصفات به ، فدلَّ ذلك على استحسانه لمن ملكت عفتها وقدرت عليه .

(٢) بشرط أن لا تكون أوامره مخالفة للإسلام ؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

فيقول : ادنوا منى ، ثم قولوا : اللهمَّ ارزقنى امرأة إذا نظرتُ إليها سَرَّتنى ، وإذا أمرتُها أطاعتنى ، وإذا غبتُ عنها حفظتْ غيْبى فى نفسها ومالى ! » .

مِنْ صفاتِ المرأةِ القبيحةِ [١]

الأحاديث :

* عن جابر رضى الله عنه قال :

« شهدتُ مع رسول الله ﷺ الصلاةَ يوم العيد ، فبدأ بالصَّلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ، ثم قام متوكئًا على بلال ، فأمر بتقوى الله ، وحثَّ على طاعته ، ووعظ النَّاس وذكَّرهم ، ثم قام حتى أتى النساء ، فوعظَهُن وذكرهُنَّ ، فقال : « تصدَّقْن ، فإن أكثركُنَّ حطبُ جَهنَّم » .

فقامتْ امرأةٌ سَطَةٌ [٢] النِّساء سفعاءُ الخَدَّين [٣] فقالت : لِمَ يا رسولَ الله ؟! قال :

---

(١) روى عن أبى معشر أنه حلف رجل أنه لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء فاستشار تسعة وتسعين نفسًا وبقى واحد .

فخرج يسأل أىَّ من لقيه ، فرأى رجلاً مجنونًا قد اتخذ قلادة من عظم ، وسوَّد وجهه وركب قصبةً كالفرس بزعمه ، فسلَّم عليه وقال له : لى مسألة !

فقال له : سَلْ عما يعنيك وإياك وما لا يعنيك !

قال : فقلت له :

إننى رجل لقيت من النساء بلاء وآليت على نفسى أن لا أتزوج حتى أسأل مائة رجل ، وإنك تمام المائة ، فماذا تقول ؟!

فقال : اعلم أن النساء ثلاثة : واحدة لك ، وواحدة عليك ، وواحدة لا لك ولا عليك ؛ فأما التى لك : فشابة ظريفة لم تَمسّها الرجال ، إن رأت خيرًا حمدت ، وإن رأت شرًّا قالت : كل الرجال كذا . وأما التى عليك فامرأة لها ولد من غيرك فهى تسلخ الرجلَ وتجمع لولدها ، وأما التى لا لك ولا عليك : فامرأة قد تزوجت بغيرك قبلك ؛ فإن رأت خيرًا قالت : هذا ما نحب ، وإن رأت شرًّا حنَّت إلى زوجها الأول .

فقلت : أنشدك الله ما الذى صيَّر من أمرك ما أرى ؟!

قال لى : أما شرطتُ عليك أن لا تسأل عمَّا لا يعنيك ؟! فأقسمت عليه أن يخبرني .

فقال : إنى طُلبت للقضاء فاخترت ما ترى على تَوَلِّيه . ثم انصرف وتركني ! . . .

ما جاء في هذه النصيحة ليس قاعدة صارمة ، بل هى طرفة كثيرًا ما شذت ، فكثير ما تزوج الرجال بالنساء ، فتحققت لهم السعادة !

(٢) سطة النساء : أى جالسة فى وسطهن .

(٣) سفعاء الخدين : فيها سواد مشربٌ بحمرة .

« لأنكنَّ تُكثرنَ الشكاة [١] وتَكْفُرن العشير [٢] » فجعلن يتصدقن من حُليهنَّ ويُلقينه فى ثوب بلال » . (خ) .

* « أربعٌ من السعادةِ : المرأةُ الصالحة ، والمسكَنُ الواسع ، والجارُ الصالح ، والمركبُ الهَنئُ ، وأربعٌ من الشقاء : الجارُ السوء ، والمرأةُ السُّوء [٣] ، والمركبُ السوء ، والمسكن الضيِّق » . (حب) ص .

* « لا ينظرُ اللهُ تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها ، وهى لا تستغنى [٤] عنه » . (ن . بز) ج .

---

(١) الشكاة : الشكوى .

(٢) تكفرن العشير : تنكرن فضل الزوج .

(٣) تزوج أعرابى امرأة ، فآذته ، ونجا منها بخمار وجبَّة قدَّمها لها ، فقدِمَ عليه ابن عم له من البادية ، فسأله عنها ، فقال :

خطبتُ إلى الشيطان لِلْحَيْن بنتَه ... فأدخلَها من شقوتى فى حِباليَا
فأنقذنى منها خمارى وجبَّتى ... جزى الله خيرًا جبتى وخماريَا !

(٤) نذكر على سبيل المثال الطرافة والتندُّر ما جاء عن العرب فى صفات المرأة القبيحة ؛ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ثلاثٌ من الدواهى :

جار مقامة ؛ إنْ رأى حسنةً سترها ، وإن رأى سيئةً أذاعها ، وامرأةٌ إن دخلْتَ لَسنتكَ (أى أخذتك بلسانها وذكرتك بالسوء) ، وإن غبتَ عنها لم تأمنها .

وسلطانٌ إن أحسنتَ لم يحمدك ، وإن أسأتَ قتلك » .

وقال خالد الحذّاء :

« خطبتُ امرأةً من بنى أسد ، فجئتُ لأنظر إليها - وبينى وبينها ستار يشف - فدعَتْ بجفنة (قدر كبير) مملوءة ثريدًا مكللة باللحم ، فأتت على آخرها ، وأتت بإناء لبنًا فشربته حتى كفأته على وجهها . ثم قالت : يا جارية ! ارفعى الستار ، فإذا هى جالسة على جلد أسد وإذا هى شابة جميلة . فقالت : يا عبد الله ! أنا أسدة من بنى أسد ، وهذا مطعمى ومشربى ، فإن أحببت أن تتقدم فافعل ، فقلت : أستخير الله وأنظر ، فخرجت ولم أعد » .

- وقال بعض الأعراب يصف امرأته القبيحة :

لا بارك الله فى ليلٍ يقرِّبنى ... إلى مضاجعة كالدلك بالمسد
لقد لمستُ معرَّاها فما وقعتُ ... فيما لمستُ يدى إلا على وتد !
وكلُّ عضوٍ لها قرنٌ تصلّ به ... جسمَ الضجيع ، فيُضْحِى واهِىَ الجسد !

(المسد : الليف الخشن ، تصل : تصيب) .

- وقال أعرابى يذم امرأة : « فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا درها بماغد » . . .

* « اثنان لا تُجاوز صَلاتُهما رءوسَهما : عبدٌ أبقَ مِن مواليه ، وامرأةٌ عَصَتْ زوجَها ، حتى ترجعَ » . (طب.خا) ص .

* « الشؤُم فى الدَّار ، والمرأةِ والفَرَسِ » [١] . (خ) .

الزوجةُ المثالية [٢]

الأحاديث :

* قال أبو هريرة رضى الله عنه : « أَتى جبريلُ النبىَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام (أو طعام أو شراب) ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام مِن ربها عز وجل ومِنِّى ، وبشِّرها ببيت فى الجنَّة من قَصَبْ - أى جوهر - لا صخَبَ فيه ولا نَصَب » . (م) .

كانت السيدة خديجة رضى الله عنها - زوجةَ النبى صلى الله عليه وآله وسلم الأولى - من أعقل نساء قريش وأحسنهن خُلقًا ، فاختارت الزواج بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يُبعث ؛ لما وجدت من أمانته وكريم خُلُقه ، ففضَّلَته على أكابر العرب الذين خطبوا يدها .

وقد كانت السيدة خديجة رضى الله عنها تُثبِّتُ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لمّا نزل عليه الوحى وتُشجِّعه على الثبات والمُضِىّ فى نشر دعوة الإسلام .

---

(١) جاء فى كتاب « الإبداع فى مضار الابتداع » للشيخ على محفوظ « ومن البدع اعتقاد الشؤم أو الخير والسعادة فى مثل : المنازل والأزواج والدواب والضيف ، فإذا حصل شىء من الخير أو الشر بالمصادفة عند حدوث شراء مسكن أو السكنى فيه ، أو عقد زواج أو شراء دابة أو قدوم ضيف زعموا أنه منها ، وربما استأنسوا لذلك بالحديث السابق الذى رواه البخارى ، وهو خطأ منهم ، فقد ورد فى بعض تفسير الشؤم والبركة فى هذه الأمور ما رواه الطبرانى من حديث أسماء بنت عميس قالت : « قلت : يا رسول الله ما شؤم الدار ؟ قال : ضيق مساحتها وخبث جيرانها . قيل : فما شؤم الدابة ؟ قال : منعها ظهرها وسوء خلقها . قيل : فما شؤم المرأة ؟ قال : عُقم رَحِمها وسوء خُلقها » .

(٢) قال أحد الحكماء : « الطيِّبة توحى إلى الرجل ، والذكيةُ تثير اهتمامه ، والجميلة تأسره ، ولكن العَطوف الرفيقة هى التى تحصل عليه » .

ونذكر على سبيل الطرافة والفكاهة أن امرأة سُئلت عن الزوجة المثالية فقالت : « هى التى تعرف متى يريد زوجها أن تجبره على عمل شىء رغم إرادته » . فما هذه المثالية الخبيثة ؟!

وقد وضعت تحت تصرفه كل ثروتها كما ينبغى أن تفعل الزوجةُ الطيبة [١] مع الزوج الطيب .

ومن مواقف السيدة خديجة البطولية العظيمة قولُها للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل عليه الوحى لأول مرة فاضطرب وعاد إلى بيته وهو يقول لزوجته : « زمِّلونى زمِّلونى » (أى غطّونى) وقصَّ عليها الخبر ، فما كان منها إلا أن شجعته وقالت له :

« واللهِ لا يُخزيك اللهُ أبدًا ؛ إنكَ تَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَحمِلُ الكَلَّ ، وتُكسِبُ المعدوم ، وتُعين على نوائب الزمان » . (خ . م) .

* « خيْرُ نسائكم الوَلودُ الوَدودُ ، والمواسيةُ المواتيةُ ، إذا اتَّقيْنَ اللهَ . وشَرُّ نسائكم المتبرجات المتخيلات ، وهن المنافقات ؛ لا يدْخلُ الجنة منهن إلا مِثْلُ الغُراب الأَعْصَم » . (هق) ص .

---

(١) يحدثنا التاريخ أن شريحًا القاضى قابل الشعبى يومًا ، فسأله الشعبى عن حاله فى بيته ، فقال له :

« مِن عشرين عامًا لم أر ما يغضبنى من أهلى ، قال له : وكيف ذلك ؟ قال شريح : مِن أول ليلة دخلتُ على امرأتى ورأيتُ فيها حسنًا فاتنًا ، وجمالاً نادرًا ، قلت فى نفسى : فلأطَّهر وأصلى ركعتين شكرًا لله ، فلما سلَّمْتُ وجدتُ زوجتى تصلِّى بصلاتى ، وتسلِّم بسلامى ، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء ، قمتُ إليها فمددتُ يدى نحوها ، فقالت : على رَسْلك يا أبا أمية ، كما أنت ، ثم قالت : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلى على محمد وآله ، إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك ، فبيِّن لى ما تحب فآتيهُ ، وما تكره فأتركه ، وقالت : إنه كان لك فى قومك مَن تتزوجه مِن نسائكم ، وفى قومى من الرجال مَن هو كفء لى ، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولاً ، وقد ملكتَ فاصنع ما أمرك به الله : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك . . . .

قال شريح : فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخُطبة فى ذلك الموضع ، فقلت : أحمد الله وأستعينه ، وأصلى على النبى وآله وأسلم ، وبعد ، فإنك قلتِ كلامًا إن ثبتُّ عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدّعِيه يكن حُجَّةً عليك . أُحِبُّ كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، وما رأيتِ مِن حسنة فانشريها ، وما رأيتِ من سيئة فاستريها ! فقالت :

كيف محبتك لِزيارة أهلى ؟ قلت : ما أُحب أن يمَلَّنى أصهارى . فقالت : فَمَنْ تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذنُ له ، ومَنْ تكره فأكره ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء ، قال شريح : فبتُّ معها بأنعم ليلة ، وعشتُ معها حَوْلاً لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأسُ الحوْل جئتُ من مجلس القضاء ، فإذا بفلانةٍ فى البيت . قلت : من هى ؟ قالت : ختنك « أى أم زوجتك » فالتفتَتْ إلىَّ وسألتنى : كيف رأيتَ زوجتك ؟ قلت : خيرَ زوجة ! قالت : يا أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها إلا فى حالين : إذا ولدتْ غلامًا ، أو حظِيَتْ عند زوجها ؛ فو الله =

الرسولُ ﷺ الزوجُ الوفىُ

الأحاديث :

* روت عائشة : « أن عجوزًا جاءت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها : من أنت ؟ فقالت : جثامة المُزنية .

فقال : أنت حسَّانة . كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كُنتم بعدنا ؟

قالت : بخير ، بأبى أنت وأمى .

فلما خرجتْ قالت عائشة : يا رسول الله ! تُقبِل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟! قال : إنَّها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإنَّ حُسْنَ العهد من الإيمان » . (الحاكم وصححه ووافقه الذهبى) .

* قالت عائشة :

« ما غِرْتُ على أحد من نساء النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم ما غرتُ من خديجة ، وما رأيتُها قط ، ولكن كان الرسول يُكثرُ ذِكرَها ، وربما ذبح شاةً ثم يقطِّعها أعضاءَ ، ثم يبعثُها إلى صدائقِ خديجة .

وربما قلت له : كأن لم يكن فى الدنيا امرأةٌ إلا خديجة !

فيقول : إنْ كانت وكانت ، وكان لى منها وَلدٌ » . (خ) .

* « خيرُ نسائها مريمُ بنت عُمران ، وخيرُ نسائها خديجة (وأشار إلى السماء والأرض) » . (خ . م . ت) .

قالت عائشة رضى الله عنها : « ما غِرْتُ على امرأة قَطَّ ما غرْتُ على خديجة مِن كثرة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم إيَّاها ، ولقد ذكرها يومًا فقلتُ :

ما تصنعُ بعجوز حمراء الشَّدْقين قد أبدلكَ اللهُ خيرًا منها ؟!

فقال : واللهِ ما أبدلنى اللهُ خيرًا [1] منها ؛ آمنتْ بى حين كفر الناس ، وصدَّقتنى إذ

= ما حاز الرجال فى بيوتهم شـرًا مِن المرأة المدللة ؛ فأدِّب ما شئت أن تؤدب وهذِّب ما شئت أن تهذب .

فمكثتُ معى عشرين عامًا لم أعتب عليها فى شىء إلا مرة وكنت لها ظالمًا . » هكذا فلتكن النساء .

(١) قال الدكتور نظمى لوقا - المسيحى - يتحدث عن وفاء الرسول ﷺ فى رسالته « محمد فى حياته الخاصة » (ص ٥٤ - ٥٥) : =

كذَّبنى النّاس ، وواستنى بمالها إذ حَرمَنى الناس ، ورزقنى منها اللهُ الولدَ دون غيرِها من النِّساء »[١] . رواه البخارى مختصرًا ، وأحمد ، والطبرانى ، كما أشار إليه ابن حجر فى « الفتح » .

* * *

= « . . . . أىُّ مصانعة هذه التى تجعل الزوج يفى لزوجته بعد مماتها بسنين ؛ فلا يذكرها إلا رقَّ قلبُه ولهج لسانه بالترحم والثناء ؟

وهل ينسى المنصف ما حدث بعد موقعة « بدر » وقد وقع « العاص بن الربيع » زوجُ زينب بنت محمد فى الأسر - وكان يومئذٍ على دين أبيه متمسكًا بالكفر - وطولب أبو العاص بالفدية ، فجاءت زوجته بصرَّة وفيها قلادة كانت لأمها خديجة بنت خويلد ، وكأنما تَمَثَّل له جِيدُ صاحبتها الراحلة ، وكم التمسَ فوقه من عزاء ، وكم نعم فوقه بالراحة من وعثاء الجهاد ، وعناء الدعوة ، وما يلقاه من صدودٍ وجفوة وقسوة . . فالتفت إلى أصحابه ينشدهم أن يردُّوا القلادة إلى زينب ويفرجوا عن زوجها المأسور إكرامًا لتلك الذكرى العزيزة . . .

وأبو العاص بن الربيع من هو ؟ أليس ابنَ أخت خديجة هالة بنت خويلد ؟ وكانت خديجة تعدُّه بمثابة ولدها وهى التى أشارت على زوجها أن يزوجه من بنته زينب قبل بعثته » .

(١) إن هذا الإعجاب العظيم من الرسول ﷺ بخديجة دليل على نبل وفائه وسمو خلقه ، وتقديره للعقل الراجح والنفس النبيلة على الرغم من كبر سنها فقد كانت فى الأربعين وهو فى الخامسة والعشرين ، فلم يُنسه كلَّ ذلك جمالُ عائشة وفقهُها ، فبقى وفيًّا لها طوال حياتها ، ولم يتزوج عليها على الرغم من كبر سنها حتى ماتت .

قال الدكتور نظمى لوقا فى كتابه السابق (ص ٥٦) :

« ولم تجسر عائشةُ الزوجة الشابة ذات الحظوة أن تُجرى ذكرَ خديجة على لسانها بعد تلك الواقعة .

فمَن ذا الذى كان محمد ﷺ يصانعه ، وهو يفى لخديجة هذا الوفاء الجميل الذى يستحق أن يكون مضرب الأمثال لسائر الأزواج : رجالاً ونساءً ؟ أتراه كان يصانع التى ماتت لِيُغضب التى يعيش معها ويحبها ؟!

ما القولُ فى هذا الوفاء المعجز ، الدنيا حافلة حولنا بأمثلة العقوق ونسيان الفضل وخيانة العهد ؟! » .

حقوقٌ وَواجبَاتٌ

حقُّ الزوجَةِ على الزوجِ [١]

الآيات :

● ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ [٢] ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

---

(١) فى الوقت الذى أعطى الإسلام المرأة حقوقها كاملةً لأول مرة فى التاريخ اجتمع مجمع « ماكون » للبحث فى المسألة الآتية : هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه ؟ أم لها روح ؟

وأخيرًا قرروا أنها خلوٌ من الروح الناجية من عذاب جهنم ! ما عدا أم المسيح . ولما دخلت أمم الغرب فى النصرانية كانت آراء رجال الدين قد أثّرت فى نظرتهم إلى المرأة ، فعقد الفرنسيون فى عام ٥٨٦ للميلاد (أى فى عهد النبى ﷺ) مؤتمرًا للبحث : هل تعد المرأة إنسانًا أم غير إنسان ؟ وأخيرًا قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب !

ومن الطريف أن نذكر أن القانون الإنجليزى حتى عام ١٨٠٥ كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته ، وقد حدد الثمن بست بنسات (نصف شلن / ليرة سورية!) وقد حدث منذ بضعة أعوام أن باع إيطالى زوجته لآخر على أقساط ، فلما امتنع المشترى عن سداد الأقساط الأخيرة قتله الزوج البائع ! . (المرأة بين الفقه والقانون باختصار ص ٢٠ ، ٢١) .

جاء فى كتاب « الحجاب » للمودودى (ص ٢٥) : « فمن نظرية الآباء المسيحيين الأولية الأساسية أن المرأة ينبوعُ المعاصى وأصلُ السيئة والفجور ، وهى للرجل بابٌ من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تحريكه وحملهِ على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء . فبِحَسْبِها أنها امرأة تستحى من حسنها وجمالها ؛ لأنه سلاح فتاك من أسلحتها المتنوعَة ، وعليها أن تكفُر ولا تنقطع عن الكفّارة أبدًا ؛ لأنها هى التى أتت به إلى الرزء والشقاء للأرض وأهلها » .

قد يقول قائل : ما لنا والماضى الغربى ؟! فإن الغربيين اليوم عرفوا قيمةَ المرأة فأعطوها حقوقها كاملةً ورفعوا من مكانتها فى المجتمع واحترموا شخصيتها .

فأجيب : إن الغربيين دفعوا المرأة إلى ميدان العمل ليتخلّصوا من نفقاتها ، وحرموا الأطفال من عنايتها ورحمتها ، فدفعوا الثمن غاليًا ، فنشأ جيل هدام يهدد الحضارة الغربية بالانقراض ، وينشر الفساد والأمراض والأوبئة فى الأرض .

وقد أصبحت المرأة بسبب هذه الحقوق المزعومة وسيلةً لكسب الرجال ، يعرضونها فى الشوارع والمحالّ والمراقص والحانات ، ويمثلون بواسطتها أفلام الدعارة من أجل ابتزاز الأموال . . . حتى إذا ضاع شبابها وفقد جمالها شرَّدوها وجعلوا منها ماسحة أحذية ومنظفة للطرق والمراحيض وحمالة للأمتعة .

هل هذه حقوق المرأة أم خيانة وعقوق ؟!

ذكر لنا أحد الأساتذة الذين زاروا الغرب ، وتحدثوا للنساء عن حقوق المرأة فى الإسلام ومبلغ عناية هذا الدين العظيم بها ، فجعل منها سيدة البيت وملكة الأسرة وعهد إليها بزمام التربية . فبكى بعض هؤلاء النسوة وتمنّين لو يعشن فى الشرق بمنجاة من جحيم الحضارة الغربية !

(٢) إن هذه الآية تدل على حقوق كثيرة للزوجة مقابل حقوق الزوج على زوجته ؛ فمهما =

● ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ [١] بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٩] .

الأحاديث :

* « قال رجلٌ من الصحابة : يا رسول الله ما حقُّ زوجةِ أحدِنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها إذا طَعِمْتَ ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجهَ [٢] ، ولا تقبِّحْ [٣] ولا تهجُر [٤] إلا فى البيت » . (حم. د. هـ) ح .

= زادت حقوق هذا الزوج زادت بجانبها حقوق الزوجة عليه ما عدا الدرجة ، قال الزجاج فى تفسير هذه الدرجة : تنال منه من اللذة كما ينال منها . . . وله الفضل بنفقته .

قد يقول قائل : إذا كان الأمر كما ذكرت ؛ فلماذا فُضّل الرجل على المرأة فى الإرث ، فكان للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ فأجيب : ليس ذلك من قبيل تفضيل الرجل على المرأة ، بل نتيجة لدور كل واحد منهما فى الحياة ؛ فالرجل يعمل وهو بحاجة إلى رأس مال ، كما هو مكلف بدفع المهر لزوجته والإنفاق عليها وعلى أمه وأخته وغيرهما فى حال فقرهن ، بينما المرأة ليست مكلفة بشىء من ذلك ؛ بل هى تأخذ المهر زيادة على ميراثها مما قد جعل مالها يزيد على مال أخيها ! . وقد كانت المرأة الغربية لا ترث مطلقًا قبل الإسلام . فكانت المرأة تباع فى إنجلترا فى القرن الحادى عشر ، وفى سنة ١٥٦٧ صدر قرار من الندوة النيابية (لأسلندا) يحظر على المرأة أن يكون لها سلطة على شىء .

وفى بعض الحالات تأخذ المرأة أضعافَ الرجل من الميراث كما فى حال رجل مات فترك ابنةً وعشرةَ إخوة ، فإنها تأخذ النصف ويأخذ إخوته كلهم النصف الآخر !!

(١) اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة زوجته ، فقالت طائفة : يجب عليه أن يطأها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف . وهذا عمدة المعاشرة ومقصودها . وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يعاشرها بالمعروف ؛ فالوطء داخل فى هذه المعاشرة ولا بد . قالوا : وعليه أن يشبعها وطأً إذا أمكنه ذلك كما عليه أن يشبعها قوتًا . . . [روضة المحبين باختصار ص ١٢٤ - ١٢٦] .

(٢) لأن الوجهَ مَجمعُ أكثر الحواس كالسمع والبصر ، فربما أدى إلى ضرر فيها ؛ ولأنه كذلك مجمع الحسن وموضع الكرامة !

(٣) لا تقَبِّح أى : لا تقل لها قولاً قبيحًا ، ومنه : قبَّحكِ الله ، ولا تشتمها ، ولا تسمعها ما تكره .

يُفهم من توجيهات الرسول ﷺ السابقة وجوبُ احترام شخصية المرأة وعدم إهانتها بتوجيه كلمات قبيحة لها . وقد كان عليه الصلاة والسلام مثالَ الزوج الصالح فى احترام زوجاته وسماع آرائهن واحتمال هفواتهن . وينبغى أن نعلم أنه يترتب على إهانة الزوجة عواقب سيئة !

قالت « مارى ستوب » - وهى تعبر عن ميول بنات جنسها - : « إن احترام المرأة من أهم الأمور ؛ لأن المرأة التى تشعر بأنها ضعيفة مستضعفة ، تتعلم مختلف الأمور السيئة التى يمكن أن تتصف بها من كذب وخيانة ونفاق وغير ذلك .

أما إذا غرسنا فى نفسها احترام شخصيتها ، واحترمنا هذه الشخصية وحافظنا على كرامتها ، فإننا بذلك نقوى شخصيتها فنجعلها قوة قادرة على الصمود فى وجه التيارات العنيفة التى قد تعترض طريقها ، وقد تقف فى وجه حياتها ، ولكنها بهذه الثقة ، وذلك الاحترام الذى وفره الرجل لها ، تنتصر على الضعف فى نفسها ، فلا يمكن خداعها ولا يمكن أن تنزلق إلى مهاوى الرذيلة والخطيئة » .

(٤) لا تهجر أى : لا تتحول عنها حتى فى الفراش الواحد ! ولا تحولها إلى غرفة أخرى لقوله =

* « إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمينٌ - الذين يَعدلون فى حُكمهم وأهليهم ، وما وُلُّوا » . (م) وغيره .

- قال ابن عباس : « إنى أحب أن أتزيَّن للمرأة كما أحب أن تتزين لى » .

النهىُ عن غيابِ الزوجِ عن زوجَتِه طويلاً !

الأحاديث :

بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يجوب المدينة ، مرَّ بامرأة فى بيتها وهى تُنشد :

تطاولَ هذا الليلُ وازوَرَّ جانِبُهُ ... وأرَّقنى أن لا ضَجيعَ أُلاعِبُه

ألاعبُه طورًا وطورًا كأنما ... بدا قمرًا فى ظُلمة الليل حاجِبُه

يُسَرُّ بِهِ مَن كانَ يلهو بِقُرْبِهِ ... لَطيف الحشا لا يَحْتَوِيهِ أقارِبُه

فواللهِ لولا اللهُ لا شىءَ غَيره ... لَحُرِّكَ مِن هذا السرير حوانِبُه

ولكننى أخشى رقيبًا مُوَكَّلاً ... بأنفسنا لا يفترُ الدهرَ كاتبُه

مخافةُ ربى والحياءُ يَصُدُّنى ... وإكرامُ بعْلِى أن تُنال مراتبُه

فسأل عنها عمر ، فقيل له : هذه فلانة زوجُها غائبٌ فى سبيل الله ، فأرسل إليها تكون معه ، وبعثَ إلى زوجها ، فأرجعه [١] ، ثم دخل على حفصة ، فقال : يا بنية . . كم تصبر المرأة على زوجها ؟ فقالت : سبحان الله ! مثلُك يسأل مثلى عن هذا ؟! فقال : لولا أنى أريد النظر للمسلمين ما سألتُكِ . قالت : خمسة أشهر . . ستة أشهر . . فوقَّتَ للناس فى مغازيهم ستةَ أشهر . . يسيرون شهرًا ، ويقيمون أربعة أشهر ، ويسيرون راجعين شهرًا !

المرأةُ صَديقةٌ وزوجةٌ

الآيات :

● ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

● ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم [٢] مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] .

= تعالى : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أى هجرَ الجماع فقط ، وفى ذلك حِكَمٌ كثيرة ، فتأمل .

(١) روى هذه القصة الإمام مالك بن أنس فى الموطأ عن عبد الله بن دينار .

(٢) يضل بعضهم ، فيتخذ من امرأته زوجة فقط للمعاشرة الجنسية ، وبذلك يجعل حياته وحياة =

صراحةٌ . . . وحقٌّ

الأحاديث :

* قال ابن عباس : « إنَّ امرأةَ ثابت بن قيس أتت النبىَّ ﷺ فقالت : يا رسول الله ثابتُ بن قيس ما أعتِبُ عليه فى خُلُقٍ ولا دين ولكنى أكره الكفرَ فى الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : أتردِّين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : أقبل الحديقةَ وطلِّقها طلقةً » . (خ) .

* جاءت امرأةُ رفاعة القُرَظِىّ إلى رسول الله ﷺ فقالت : « إنِّى كنتُ عند رفاعة ، فطلَّقنى ، فبَتَّ طلاقى ، فتزوجنى بعده عبدُ الرحمنِ بن الزبير ، وما معه إلا مِثلُ هُدْبَة الثوب [١] فقال النبى ﷺ : أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة ؟ قالت : نعم . قال : لا ؛ حتى تذوقى عُسيْلته [٢] ويذوق عُسَيْلتكِ » . (خ.م) .

= زوجته قَفْرًا قاحلة ضيقة . إن السعيد من الأزواج من يجعل من امرأته صديقة أيضًا بكل ما فى الصداقة من معنى ، وقد أكدت الآية الكريمة هذه الصداقة بين الزوجين وعبَّرت عنها بالمودة !

وقد أحسن مَنْ قال : « إن الزواج الذى لا يعطى لأصحابه أكثَر مِن المتعة الجنسية لا يستحق أن يسمى زواجًا . والسعادة فى الحياة الزوجية كثيرًا ما تستمر ولا تنقطع إذا استحال بين الزوجين الاتصال الجنسى بسبب من الأسباب .

ولو أن الزواج لم يقم على أكثر من العلاقة الجسدية لكان الزواج مصدر عذاب أليم ؛ لأنه لا بد للزواج أن يقوم على أساس أعمق وأبعد من هذا ؛ حتى تشبع منه الأرواح من قبل أن تشبع الأجساد » .

وقال غيره : « لا لزوم للقول بأن المرأة ليست آلة يملكها الرجل ليتلذذ بها فقط ؛ فإن حبها يتربع على عرش قلبه منذ أيام الخِطبة ، فيحترمها ، فكيف به حين تغدو زوجته ورفيقته مدى الحياة ، وشريكته فى تكوين ذريته ، وتحقيق سعادة أفضل لهما ؟ إن على الزوج الذى تهمُّه سعادةُ زوجته - المتعلقة عليها سعادته بلا شك - أن يدرك أن هذه السعادة تتعدى لذة الحواس إلى اتحاد القلوب ، وتبادل العواطف ، وأن يحرص على إحاطة زوجته بالعطف والحنو لكى ينال ثقتها المتزايدة » .

ما أجمل حياة الزوجين الصديقين ، وما أقبح حياة الزوجين اللذين يمثلان على مسرح البيت حياة الحيوان !

(١) هُدْبة الثوب : طَرْفُه الذى لم يُنسج . أى لا قوَّةَ له على النكاح .

وتزوج زهير بن مسكين الفهرى جارية ، ولم يكن عنده ما يرضيها به ! فلما أمكنته من نفسها لم تر عنده ما ترضى به ! فذهبت ولم تعد ، فقال فى ذلك أشعارًا كثيرة منها :

تقول ، وقد قبَّلتُها ألفَ قُبلةٍ : كفاك ! أما شىءٌ لديكَ سوى القُبَل ؟!
فقلتُ لها : حبٌّ على القلب حفظه وطول بكاء تستفيض له المُقَل !
فقالت : لَعَمْرُ الله ما لذةُ الفتى مِن الحب فى قولٍ يخالفه العمل

(٢) العُسيلة والعُسالة : مجاز عن قليل الجماع ، وشُبهت تلك اللذة بالعسل (بتلخيص عن =

حقُّ الزوجِ على الزوجة

الأحاديث :

* « لو كنتُ آمِرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ : لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها[١] » . (ت) ح .

* جاءت امرأةٌ إلى النبى ﷺ فقالت : « يا رسول الله ! أنا وافدةُ النساء إليكَ ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن يصيبوا أُجِروا ، وإن قُتلوا كانوا أحياءً عند ربهم يُرزقون ، ونحن معاشـــر النساء نقوم عليهم ، فما لنا مِن ذلك ؟!

فقال رسول الله ﷺ : أَبْلِغى مَن لقيتِ مِن النساء أن طاعة المرأة الزوج واعترافَها بحقه[٢] يعدِلُ ذلك ، وقليلٌ منكن من يفعله » .

= حسن الأسوة) . والحديث يشير إلى قضية هامة هى قضية الطلاق البائن الذى لا تعود فيه المرأة لزوجها بعد وقوع ثلاث طلقات متفرقات خلال ثلاثة أشهر وبشروط دقيقة ، فإذا تزوجت المرأة من آخر ، وصدف أن طلقها ، فلها الحق بعد ذلك فى الرجوع إلى زوجها الأول ، ولعل ذلك يكون قد غيَّر من أخلاقها أو أخلاقه . وليس هذا من قبيل ما يفعله بعضهم من التحليل بالزواج المؤقت ؛ قال النبى ﷺ : « لعن الله المحلِّل والمحلَّل له !! » . (ن . ت) وهو صحيح .

وينبغى للزوجين مراجعة القاضى الشرعى عند وقوع طلاق من الرجل وعدم الإصغاء إلى الدجالين الذين يقولون بوقوع الطلاق لأتفه الأسباب !! فطلاق السكران والغضبان لا يقع لقول النبى ﷺ : « لا طلاق فى إغلاق » وطلاقُ الثلاث دفعةً واحدة لا يقع إلا واحدًا !.

(١) جاء فى كتاب « الأسرة فى الإسلام » تعليقًا على هذا الحديث : إنها سجدة عرفان وتقدير ، تلك التى تسجدها الزوجة لو كان يسوغ لأحد من العباد أن يسجد لأحد ، أما ولا سبيل إلى السجود ، فليكن الحمد والشكر وأن يفعم قلب الزوجة ويمتلكها .

إن الزوج أمير باذل وراع عامل ، ومن النصفة أن يطاع الأمير فى حدود الطاعة التى شرعها الله . أما أن تشق عليه العصا وتعلَن الثورة بلا جريرة ، ولا وزر ، فذلك الجحد والكفران .

وجاء فى تفسير الإمام ابن الجوزى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ ، وقالت ابنة سعيد بن المسيب : « ما كنا نكلِّم أزواجَنا إلا كما تكلمون أمراءكم » .

(٢) ومن حق الزوج على زوجته إكرامُ أبويه وإخوته ، وحسن معاملتهم ، وحضها له على زيادة العناية بهم ، كما عليها احتمال إساءتهم ، وخاصة الوالدين ؛ فإن النار لا تطفأ بالنار بل بالماء ، والرفق لا يكون فى شىء إلا زانه .

وعلى الزوجة أن تتغلب على أنانيتها وتضبط عواطفها ، وبذلك تنال رضاء الله تعالى وحسن ثوابه . وتعظم فى عين زوجها وتحوز على احترامه ومحبته .

ولتذكر على الدوام أن أبويه قد ربّياه صغيرًا وعلّماه كبيرًا ؛ فمن واجبه أن يؤدى إليهما دَيْنَهما . وتساعده هى بدورها على هذا الواجب المقدس . =

* « لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأةٍ لا تشكُرُ لِزوجها وهى لا تستغنى عنه » . (ن والبزار) ص .

* « اثنان لا تُجاوز صلاتُهما رءوسَهما : . . . ، وامرأةٌ عصتْ زوجَها حتى ترجع » الحديث . (طب . حا) ج .

* عن حصين بن محصن قال : حدَّثتنى عمتى قالت : « أتيتُ رسولَ الله ﷺ فى بعض الحاجة ، فقال لى : أى هذه ، أذات بعل ؟ قالت : نعم . قال : كيف أنتِ له ؟ قالت : لا آلُوهُ [١] إلا ما عجزْتُ عنه ، قال : فانظرى أين أنت منه ؛ فإنه هو جنتُكِ ونارُك » . (ت) وسنده صحيح .

لا تصومُ المرأةُ النَّفْلَ إلاّ بإذنِ زوجِها

الأحاديث :

* « لا يَحِلُّ لامرأةٍ أن تصومَ (وفى رواية : لا تَصُم المرأةُ) وزوجُها شاهدٌ [٢] إلا بإذنه (أى غير رمضان) ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » . (خ.م.د) .

= ولتعلم الزوجةُ أن الديّان لا يموت ، وكما تَدين تدان ، فإذا أحسنت معاملةَ أبوىْ زوجها جائتها زوجات لأبنائها يُحسنَّ معاملتها فى كبرها ، والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

هذه نصائح ذهبية ، وكم كان إهمالها سببًا فى انهيار الأسرة وعقد الزواج ، أو وقوع الزوج فى غضب والديه مما يؤدى إلى شقائه فى الدنيا والآخرة ، وتكون الزوجة هى السبب الأول فى ذلك !!

ومِن حق الزوج على زوجته تربية أولاده - ذخر الأمة - وهذه التربية تحتم على الزوج بذل عناية كبيرة ودراسة واسعة ، وتطبيقًا واعيًا ، وخاصة فى هذا العصر الذى تقدمت فيه العلوم التربوية والنفسية واتسعت . وبالمقابل فإن مِن واجب الزوج أيضًا احترام أقرباء زوجته وإكرامهم وخاصة أبويها ، وقد قدَّما له أجملَ وأحسنَ هدية هى فلذة كبدهما ، فعليه - على الدوام - أن يحسن معاملتهما ويتودد لهما ويشركهما فى أموره الهامة ، وكم سبب إغفاله ذلك كثيرًا من الأزمات .

وأنقل فيما يلى رسالة رقيقة من زوج إلى أم زوجته :

« أمى . . يا أعز الأمهات . . . وكيف لا أدعوك أمى ، وأنت التى أهديتنى أعز إنسانة إلى قلبى . . وكيف لا أدعوك أمى ، وأنت التى أنجبت هذه المخلوقة الرقيقة التى ملأت حياتى . . . إننى أسعدُ إنسان فى الدنيا . . ويكفينى سعادةً أننى سأقضى كل أيام حياتى مع هذه الفتاة التى أمضيتُ سنوات طويلة من عمرى أبحث عنها . . مع ابنتك التى أصبحت زوجةً لى وأمًا لأولادى قريبًا . . . لقد أعطيتِنى ابنتك . . . أما أنا فقد أعطيتُها نفسى وروحى . . وأعطيتُك - أنت - ابنًا يا أمى . (ابنك) » .

[من مقال للأستاذ منير نصيف فى مجلة العربى] .

(١) لا آلوه أى : لا أقصر فى طاعته وخدمته .

(٢) شاهد أى : حاضر مقيم فى البلد ، قال النووى فى « شرح مسلم » (٧/ ١١٥) تحت =

* عن أبى سـعيد قال : « جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ ونحن عنده فقالت : زوجى صفوانُ بن المعطِّل يضربُنى إذا صلَّيتُ ، ويُفَطِّرُنى إذا صمتُ ، ولا يُصَلِّى الفجرَ حتى تطلع الشمسُ ! قال : (وصـفوان عنده) فسأله عمّا قالت ؟

قال : يا رسول الله أمّا قولُها : يضربنى إذا صليتُ فإنها تقرأ بسورتين ، وقد نهيتُها . فقال لها رسول الله ﷺ : « لو كانت سورةً واحدة ، لَكَفَت الناسَ » .

قال : وأمّا قولُها : يفطِّرنى إذا صمتُ ؛ فإنها تنطلق تصوم وأنَا رجلٌ شابٌّ ؛ فلا أصبر !! فقال رسول الله ﷺ : « لا تصوم امرأةٌ إلا بإذن زوجها » .

وأما قولُها : إنى لا أصلى [١] حتى تطلعَ الشمسُ : فإنّا أهلُ بيتٍ قد عرفتَ عنّا

= الرواية الثانية : « وهذا النهى للتحريم . صرّح به أصحابنا » قلت : وهو قول الجمهور كما فى « الفتح » ويؤيده الرواية الأولى . ثم قال النووى : « وسببه أن الزوج له حق الاستمتاع بها فى كل الأيام ، وحقُّه فيه واجب على الفور ؛ فلا يفوّته بتطوعٍ ولا واجبٍ على التراخى » .

قلت : فإذا وجب على المرأة أن تطيع زوجها فى قضاء شهوته منها ، فبالأوْلى يجب عليها إطاعته فيما هو أهم من ذلك ؛ مما فيه تربية أولادهما وصلاح أسرتهما ونحو ذلك من الحقوق والواجبات » . وقال الحافظ فى « الفتح » : « وفى الحديث أن حق الزوج آكَدُ على المرأة من التطوع بالخير ؛ لأن حقه واجب ، والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع » .

ومن التأمل فى هذا الحديث والحديث الذى بعده ، ندرك مبلغ اهتمام الإسلام بتنظيم العلاقة الجنسية بين الزوجين ، فقد حرَّم على المرأة أن تزجَّ بنفسها حتى فى عبادة تحول بينها وبين ما يشتهيه الزوج ؛ وقد قدم على هذه العبادة عبادةَ الجماع !

وبمقابل هذا الحق ، فقد جعل الإسلام للزوجة حقًّا على زوجها ؛ فى عدم إنهاك جسمه حتى فى العبادات ، إذا كان من شأنها إضعافه جنسيًا وإضاعته حق زوجته فى الفراش ، وقد مرَّ معنا أحاديثُ عدّة فى هذا الموضوع . وعليه أن يتجنب التعب مهما استطاع ؛ فإن التعب عدو الجنس!!

وبمناسبة الكلام عن صيام النفل أقول : لا يجب قضاء صوم النفل ؛ لحديث أبى سعيد الخدرى ، قال : « صنعتُ لرسول الله ﷺ طعامًا ، فأتانى هو وأصحابه ، فلما وُضع الطعام قال رجلٌ من القوم : إنى صائم . قال رسول الله ﷺ : دعاكمُ أخوكم وتكلف لكم ، أفطِر وصُم مكانه يومًا إذا شئت ! » . [رواه البيهقى وسنده صحيح] .

(١) لله در هذه المرأة ؛ ما أوعاها ؛ فإنها شكت زوجها لمجرد عدم أدائه صلاة الصبح قبل طلوع الشمس . فأين هذه الشكوى من كثير من رجال ونساء اليوم الذين يتساهلون مع أزواجهم بترك الصلاة بالكلية ، مما يؤدى إلى اقتداء أولادهم بهم فينشأون على ترك الصلاة !! فالوعى ! والحزم الحزم !

وأذكر بهذه المناسبة نكتةً سمعتها من أحد الوعاظ فى مسجد من المساجد ، فكان مما قاله : كان لرجل زوجةٌ لا تصلى ، فطلَّقها ، ثم تزوج أخرى ، فإذا بها لا تصلى وتسب الدين ! قال الواعظ =

ذاك ، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس . قال : « فإذا استيقظت يا صفوان فصَلِّ ! » . (د.هـ) ص .

الترهيبُ من إنفاقِ مالِ الزوجِ إلاّ بإذنِهِ

الأحاديث :

* « لا تُنفق امرأةٌ شيئًا مِن بيت زوجها إلا بإذنه . قيل : يا رسول الله ولا الطعام ؟ قال : ذلك أفضلُ أموالِنا » . (ت) ج .

* « إذا تصدقت المرأة مِن بيت زوجها ؛ كان لها أجرٌ ولزوجها أجرٌ ، لا ينقصُ كلُّ واحدٍ منهما مِن أجر صاحبه شيئًا ، لَهُ بما كسب ، ولها بما أنفقتْ (أى إذا كان برضائه) » . (ت) ص .

الترغيبُ فى تصدُّقِ المرأةِ على زوجِها الفقيرِ

الأحاديث :

* قالت زينب الثقفية - امرأةُ عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما - : قال رسولُ الله ﷺ : « تصدَّقْن يا معشر النساء ولو مِن حُليكن » قالت : فرجعتُ إلى عبد الله فقلت : إنك رجل خفيفُ ذاتِ اليد ، وإنَّ رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة ، فأْتِهِ فاسألْهُ : فإن كان ذلك يُجْزئُ عنِّى ، وإلا صرفتُها إلى غيركم . فقال عبد الله : بل ائْتِيهِ أنتِ . فانطلقتُ ، فإذا امرأةٌ من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتُها حاجتى .

وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيتْ عليه المهابةُ ، فخرج علينا بلالٌ رضى الله عنه فقلنا له : ائتِ رسولَ الله ﷺ فأخبِره أن امرأتين بالباب تسألانك : أتُجزئُ الصدقةُ عنهما على أزواجهما ، وعلى أيتام فى حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن .

قالت : فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله ،

فقال له رسول الله ﷺ : « مَن هُما ؟ » فقال : امرأةٌ من الأنصار وزينبُ .

= ذلك شماتةً بالزوج ! . . فعاتبته على ذلك بعد الدرس وقلت له : إن الزوجة تاركة الصلاة خطر على الأسرة كلها ، فجديرٌ بالزوج تركُها إذا أصرَّت على ذلك بعد النصح الطويل والصبر الجميل .

أما شماتتك بالزوج بسبب زوجته الثانية فلا داعى له ؛ فهو لم يفعل إلا أمرًا شرعيًا ، ومن ضيَّع صلاته فهو لغيرها من الفرائض أضْيَع . وقصتك هذه تدعو المسلمين لإهمال الصلاة !! وأستبعد ما قلته عن زوجته الثانية ؛ فإن مثله وهو الحريص على ذريته ودينه ، لا بد أن يحسن اختيار الزوجة الثانية إذا كان قد فرّط فى اختيار الزوجة الأولى .

فقال رسول الله ﷺ : « أى الزيانب ؟ » .
قال : امرأةُ عبدِ الله بن مسعود .
فقال رسول الله ﷺ : « لهما أجران : أجرُ القرَابة ، وأجرُ الصدقة » . (خ.م) .

نَهْىُ المرأةِ عن هبةِ مالِها إلاّ بإذنِ زوجِها

الأحاديث :

* « لا يجوز لامرأة هبةٌ فى مالها - إذا ملكَ زوجُها عصمتَها - إلا بإذن زوجها »[١] . (د.ن.هـ) . والحاكم على اختلافٍ فى الرواية وقال : صحيحُ الإسناد ، ووافقه الذهبى ، وهو كما قال .

الترهيبُ مِن طَلَبِ الزوجةِ الطلاقَ إلاّ بحقٍّ

الأحاديث :

* « أيّما امرأة طلبتْ مِن زوجها الطلاقَ مِن غير بأسٍ : فحرامٌ عليها رائحةُ الجنة » . (حم.ت.هـ) . ص .

دفاعُ الحُورِ العينِ عن الرَّجُلِ الصالحِ

الأحاديث :

* « قال النبى ﷺ : « لا تؤذِيَنَّ امرأةٌ زوجَها فى الدنيا إلا قالت زوجتُه مِن الحور العين[٢] : لا تؤذيه قاتلَكِ اللهُ ؛ هو عندكِ دخيل يوشك أن يفارقكِ إلينا » . (هـ.ت) ، وحسَّنه ، وهو كما قال .

---

(١) هذا الحديث صحيح قد جهله كثير من المسلمين حتى العلماء منهم ! فكثيرًا ما يتبجحون بأن للمرأة حق الهبة فى مالها ، ومطلب الإسلام عدل وفطرى ، وكثيرًا ما أدت مخالفته إلى النزاع بين الزوجين والتفريق وتشريد الأسرة ، وكذلك الزوج فإنه لا يحق له الإضرار بزوجته وأولاده بإنفاق ماله عبثًا ، وقد جاء فى الحديث الصحيح : « لأن تذر أولادك أغنياء خيرٌ مِن أن تذرهم فقراء يتكففون الناس » !
وليس فى هذا ظلمٌ للمرأة وحطٌّ من كرامتها ، بل هو حفظ لمستقبلها ولحق الرجل الذى تزوجها .

(٢) وبصدد الكلام عن الحور العين ، يخطر سؤال على بال الكثيرين ، ولا أظنهم من النساء ؛ فقد سمعت هذا السؤال من الرجال ولم أسمعه من غيرهم ، وهو : لقد وعد الرسول ﷺ الرجال المؤمنين بالعديد من الحور العين ، وخصَّهم بذلك ولم يقَرِّر الإسلام للنساء المؤمنات مثل ذلك ؟
الجواب : إن من طبيعة الرجل إمكان توزيع عاطفته ، وهبة قلبه إلى نساء كثيرات ، بخلاف المرأة التى لا تستطيع ذلك إلا إذا كانت شاذة منحرفة . =

جزاءُ طاعةِ المرأةِ لزوجِها

الأحاديث :

* « المرأة إذا صلّت خَمْسَها ، وصامت شهرها ، وأحصنت فرجَها ، وأطاعت زوجها ، فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت » . (رواه أبو نعيم فى الحلية ، وله شواهد يرقَى بها إلى درجة الحُسن أو الصحَّة) .

* عن حُصين بن محصن أن عمةً له أتت النبىَّ ﷺ فقال لها : « أذاتَ زوجٍ أنتِ ؟ قالت : نعم .

قال : فأين أنتِ منه ؟

قالت : ما آلوه ، إلا ما عجزتُ عنه .

قال : فكيف كنتِ له : فإنه جنتك ونارُك » . (حم . ن) وغيرُهما ، وهو حسن الإسناد .

* « أيّما امرأة ماتت وزوجُها [١] عنها راضٍ ، دخلتِ الجنة » . (ت) ص .

نساءٌ يرثِينَ أزواجَهُنَّ

كنت ذكرت في بحثٍ مضى رثاء رجالٍ لزوجاتهم بقصد ترقيق قلوب القساة منهم ، وأذكر هنا بالمقابل رثاء نساء لأزواجهن للغاية نفسها ؛ فكم من زوجات لا يخشَيْن الله تعالى ، قد جعلن من بيوتهن جحيمًا للأزواج ، حتى إذا ماتوا أقمن الدنيا وأقعدنها حزنًا عليهم .

قال الهلالى : تزوجَ محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت ريطة بن على ، وكانت من أجمل النساء ، فقُتل محمدٌ عنها ، ولم يَبْنِ بها ، فقالت ترثيه :

أبكيكَ لا للنعيم والأُنُسِ ... بل للمَعالى والرُّمحِ والفرَسِ
يا فارسًا بالعَراء مطّرحًا ... خانتْه قُوَّادُه مَعَ الحرَسِ
أبكى على سيِّدٍ فُجِعْتُ به ... أرمَلَنى قبل ليلةِ العُرْسِ

وقالت أعرابيةٌ ترثى زوجها :

كنا كغُصنين فى جرثومةٍ بَسَقا ... حينًا على خَيْرِ ما تنمى به الشجرُ

= لذلك كانت في الجنة – كما هى فى الدنيا – مقصورة على زوجها لا تشتهى غيره ولن تشتهى ، فتتم سعادتها بسبب ما طبعها سبحانه وتعالى عليه . والله أعلم !

(١) أى الزوج المؤمن التقى الواعى ، لا الجاهل المستهتر اللاهى .

حتى إذا قيل قد طالتْ فروعُهما ... وطابَ قِنْواهما واستمطر الثَّمرُ
أَخْنَى على واحدٍ رَيْبُ الزمان وما ... يُبقِى الزمانُ على شىءٍ ولا يَذَرُ
كنَّا كأنجُمِ ليلٍ بينها قمرٌ ... يجلو الدجَى فهَوَى مِن بينها قَمَرُ

قال الأصمعى : دخلتُ بعض مقابر الأعراب ، ومعى صاحب لى ، فإذا جارية على قبر كأنها لؤلؤة ، وعليها من الحلى والحلل ما لم أرَ مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة ، وصوت شجى ، فالتفتُّ إلى صاحبى فقلتُ : هل رأيتَ أعجب من هذه ؟!

قال : لا واللهِ ولا أحسبُنى أراه .

ثم قلتُ لها : يا هذه إنى أراكِ حزينة ، وما عليك زى الحزن ؟!

فأنشأت تقول :

فإن تسألانى فيمَ حُزنى فإننى ... رهينةُ هذا القبر يا فتيانِ
وإنى لأستحييه والتُّرْبُ بيننا ... كما كنتُ أستحييه حين يرانِى
أهابُكَ إجلالاً وإنْ كنتَ فى الثرَى ... مَخافةَ يوم أن يَسُؤك لسانِى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

يا صاحبَ القبر يا مَن كان ينعمُ بِى ... بالاً ويُكْثِر فى الدنيا مواساتى
قد زرتُ قبرك فى حُلْى وفى حُللٍ ... كأننى لَستُ من أهل المُصيباتِ
أردتُ آتيكَ فيما كنتُ أعرفهُ ... أنْ قد تُسَرُّ به مِن بعض هيئاتى
فمَنْ رآنى رأى عَبْرَى مولهةً ... عجيبةَ الزى تبكى بين أمواتِ !

وقد رأى ابن عبد ربه بصحراء جاريةً قد ألصقت خدَّها بقبر ، وهى تبكى وتقول :

خَدِّى تَقيكَ خشونةَ اللَّحد ... وقليلةٌ لَكَ سيدى خَدِّى
يا ساكنَ القبر الذى بوفاتِهِ ... عَمِيَتْ علىَّ مسالكُ الرُّشدِ
اسمَعْ أبُثُّكَ عِلَّتى فلعلَّنى ... أُطفِى بذلك حُرْقَةَ الوَجْدِ

التوصيةُ بالمرأةِ

الأحاديث :

* مِن خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع : « . . ألا واستوصوا بالنِّساء خيرًا »[1] .

---

(١) نعود مرة أخرى إلى ميراث المرأة للرد على القائلين بأن إعطاء الابنة نصف نصيب الابن من الميراث ظلم لها ومنافاة للإحسان إليها . =

* « اتقوا الله فى النِّساء ؛ فإنّكُم أخذتموهُنَّ بأمان الله واستحْللتُم فروجهُنَّ بكلمةِ الله ، ولكم عليْهنَّ أنْ لا يُوطِئن [١] فُرُشَكم أحدًا تكرهونه ، فإن فَعَلْنَ ذلك فاضرِبوهنَّ

= قال مصطفى صادق الرافعى - رحمه الله تعالى - زيادة على ما قلناه فى غير هذا الموضع :

« إن ميراث البنت فى الشريعة الإسلامية لم يُقصد لذاته ، بل هو مرتب على نظام الزواج فيها ، وهو كعملية الطرح بعد عملية الجمع لإخراج النتيجة صحيحة من العمليتين معًا . فإذا وجب للمرأة أن تأخذ من ناحية ، وجب عليها أن تدَعَ من ناحية تقابلها ، وهذا الدين يقوم فى أساسه على تربية أخلاقية عالية ينشئ بها طباعًا أخرى ؛ فهو يربأ بالرجل أن يطمع فى مال المرأة ، أو يكون عالة عليها ، فمِن ثَمَّ أوجبَ عليه أن يُمهرها ، وأن ينفق عليها وعلى أولادها . .

. . ثم إن هناك حكمةً سامية ، وهى أن المرأة لا تدَعُ نصفَ حقها فى الميراث لأخيها يفضُلها به - بعد الأصل الذى نبهنا إليه - إلا لتعين بهذا العمل فى البناء الاجتماعى ؛ إذ تترك ما تتركه على أنه لامرأة أخرى ، هى زوج أخيها فتكون قد أعانت أخاها على القيام بواجبه للأمة وأسدت للأمة عملاً آخر أسمى منه بتيسير زواج امرأة من النساء .

فأنت ترى أن مسألة الميراث هذه متغلغلة فى مسائل كثيرة لا منفردة بنفسها ، وإنها أحكم الحكمة إذا أريد بالرجل رجلَ أمته ، وبالمرأة امرأةَ أمتها . » (ا . هـ باختصار « وحى القلم » ٣/ ٤٥٨ - ٤٦٢) .

والحل الإسلامى فى ميراث المرأة وسطٌ بين إفراط القائلين بمساواتها بالرجل مما أدى إلى تشريدها وإلقائها فى ميدان العمل المرهق نتيجة هذا التساوى وعدم كفالة الأخ لها ، وتفريط القائلين بحرمانها مطلقًا .

(١) قال الدكتور نظمى لوقا فى كتابه السابق ما ملخصه (ص ٣٦) : « . . لن ينسى التاريخ يوم جاء أمّ حبيبة زوجة النبى ﷺ أبوها أبو سفيان (زعيم قريش) مستجيرًا بها كى تعصمه من غضب محمد عشية فتح مكة ، دخل عليها متسللاً متخفيًا وهو واثق من حمايتها عند الشدة . . . لم يرَ أبو سفيان من كرامته أن ينتظر إذن ابنته ، فتوجه إلى الفراش - فراش النبى ﷺ - ليجلس عليه ويخاطبها خطاب السيد الأب ، وهى بين يديه ، وإذا بتلك الابنة التى لم ترَه منذ سنين لا ترقُّ له ولا تلين ، بل تطوى الفراش حتى لا يجلس عليه !

وتصنَّعَ الشيخُ الوقور الأناةَ وسألها : أرغبةً بى عن الفراش طويْتِهِ ، أم رغبةً بالفراش عنى ؟

فلم تلبث أن أجابته ذلك الجواب اللاذع : هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجلٌ مشرك ؛ فلم أرَ أن تجلس عليه ! » .

ما أعظم رابطة الإيمان فهى فوق كل رابطة ، وفوق كل عاطفة ، وصنيع أم حبيبة مصداقُ الحديث الصحيح : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده ، والناس أجمعين » !

وقيل فى معنى : « لا يوطئن فُرُشكم أحدًا تكرهونه » هو كناية عن إقدارهن الغير عليهن بالاختلاط والحديث معهن .

جاء فى كتاب « الأسرة فى الإسلام » : « ومعنى هذا أن يشعر الرجل بدوره فى بيته ، وأن يُحِسَّ بكيانه داخل أسرته حتى لا يختل الأمر ، ويفلت الزمام . =

ضربًا غير مُبرِّح [١] ولهُنَّ عليكم رزقُهُنَّ وكِسوَتُهُنّ بالمعروف . وقد تركتُ فيكم ما لن تضِلّوا بعده إن اعتصمتم به : كِتاب الله . وأنتم تُسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : « نشهدُ أنَّك قد بلَّغتَ وأدَّيْتَ ونصحتَ » فأشار بأصبعه السبابة يرفعُها إلى السّماء ويَنْكُسُهَا إلى الناس ويقول : اللَّهم اشهد ! اللهم اشهد ! (ثلاث مرات) » . (م) .

* « ليس المؤمنُ بالطعَّان ، ولا باللَّعَّان ، ولا بالفاحش ، ولا بالبذىء » [٢] (حم . سب) ح .

= فروح التمرد والعصيان لا يُصلح بها شأن ، ولا يستقيم معها عمل ، و لا تعد بها حياة . وأى ضير فى أن تطيع المرأة من يشقى لإسعادها ، ومن يبذل راحته لراحتها ؟!

إن ذلك حق طبيعى للرجل ، ذلك الكادح المتعب والمجاهد الدائب الذى يعظُمُ حقُّه وتجب طاعته فى الخير والمعروف .

وقد أراد الرسول ﷺ أن يقرر تأكد حق الزوج ووجوب تقديره ، فعبر بهذا الأسلوب الرائع الذى يورث المهابة والتقدير قال : « لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها !! » .

ومهما كان من وجوب احترام المرأة لزوجها ، فإن لذلك حدودًا ، وقد سُئل الإمام مالك - كما فى الفتح (١١/ ٤١) - عن المرأة تبلغ فى إكرام زوجها ، فتتلقاه وتنزع ثيابه ، وتقف حتى يجلس ؟ فقال : أما التلقّى فلا بأس ، أما القيام حتى يجلس فلا ؛ فإن هذا من فعل الجبابرة ، وقد أنكره عمر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

(١) قد أوضحنا فى غير هذا الموضع أن الضرب لا يجوز إلا بعد فشل الوسائل الأخرى ؛ كالنصح والوعظ والهجر فى المضاجع ، مما يدل على عناد المرأة وشذوذها .

(٢) ينبغى للزوجين وخاصةً الزوجة أن يتجنبا هذه الصفات السيئة التى كثيرًا ما تجرح ويصعب معالجتها على الرغم مما فيها من إثم عظيم .

زوجتك لا تقدَّر بمال

هل خطر لك يومًا أن تأخذ ورقة وقلمًا وتحسب كم تكلفك زوجتك شهريًا ، وكم تستحق لقاء عملها اليومى ، لو أردتَ إنصافَها وعدم «هضم حقوقها » ؟ لا ، بالطبع ، إذن اقرأ هذا المقال .

أما الجواب عن السؤال الأول : كم تُكلِّفُ الزوجةُ شهريًا ، فأتركه إلى ضميرك وتقديرك ؛ بشرط أن تكون هذه الزوجة سَوِية ومفكرة ومؤمنة ، ليست مصابة بمرض الجنون فى حب الأزياء والتشبه بالأجنبيات ، إنك - ولا شك - تجد نفقتها زهيدة ، وزهيدة جدًا .

ولننظر الآن فى ما يستحق عمل الزوجة شهريًا ، وكم كان ينبغى لك أن تدفع لو أنك استأجرت شخصًا ليقوم لك ولأولادك بما تقوم به الزوجة .

وهنا أيضًا نلجأ إلى الإحصاءات : إن حراسة الأطفال تكلف حوالى ثلاث ليرات فى الساعة (لعل ذلك فى حساب الولايات المتحدة) ، فإذا اعتبرنا أن زوجتك تقوم على حراسة أطفالك فقط طوال ٢٤ ساعة فى اليوم ، وجب عليك أن تدفع لها ٧٦ ليرة يوميًا . =

* « إن للإسلام صُوًى ومنارًا كمنار الطريق ؛ منها : أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئًا ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحجّ البيت ، والأمر

= وإذا كان الطاهى يتقاضى ٢٥٠ ليرة على الأقل شهريًا ، فإن زوجتك تستحق مثل هذا المبلغ . أضف إلى ذلك أعمال تنظيف البيت (بمعدل خمس ليرات يوميًا) وغسل الثياب وكيّها ، ورتق ما يجب رتقه ، وإصلاح ما يجب إصلاحه ، وهذا يكلف عشر ليرات يوميًا على الأقل .

ولئلا تصدِّع رأسك بحسابات متداخلة نعطيك خلاصة الإحصاءات التى تقدِّر ما يتوجب للزوجة بمبلغ ٥٠٠ ليرة أسبوعيًا أى ٢٠٠٠ ليرة شهريًا .

والواقع أن هذا المبلغ على ضخامته يبدو مجحفًا بحق المخلوقة اللطيفة التى تقوم فى بيوتنا بعشرات المهمات التى تعجز عن القيام بها أى مربية أو طاهية أو أمينة سِرّ (سكرتيرة) . . . إنها تمارس أيضًا فى حالات كثيرة مهنة الطب والتمريض . . . والمحاماة ، وفى مقدمة كل ذلك مهمة تربية الأطفال ؛ فهى التى تهز السرير بيمينها ، والعالَم بيسارها كما قال أحد المفكرين .

تعود - جنابك - مساءً إلى بيتك ، وأنت تشعر بانحطاط غامض لا تعرف له سببًا . تشكو إلى زوجتك ، فتبادر بعرض مجموعة من البرامج الترفيهية عليك مثل : عمل « دوش » مشترك فى الحمام تتراشقان فيه الماء ، أو تسبحان فى البانيو مع طفلكما الصغير ، الاستلقاء والمداعبة فى مخدع العرس المفعم بالذكريات العذاب والتى تزيل أعظم الهموم والمتاعب ، الذهاب إلى نزهة فى أحد البساتين المجاورة قد تتسابقان فيه معًا . . . سماع إحدى التمثيليات الفكاهية مسجلة مسبقًا فى آلة التسجيل ، الذهاب لزيارة أقرباء الزوج والزوجة ، قصص بعض الأنبياء والصحابة وما لاقَوْه من صعاب ، وكيف صبروا وصابروا . . . وصف ما أعده الله تعالى لهم مما تشتهيه الأنفس وتلذ العين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . . كل ذلك يُذهب الهموم ويهوِّن من مصائب ومشكلات الدنيا .

وفى هذه الأثناء تكون قد أعدت لك فنجانًا من شراب ساخن كالبابونج أو (الزهورات) التى تهدئ الأعصاب (مع الحذر من الإكثار من البابونج يوميًا فهو يضعف الرغبة الجنسية) .

وربما روت لك حديثًا مفرحًا أو نكات وفكاهات مرحة خلال ذلك ، وفى جميع الأحوال ، ومهما كان البرنامج الذى يقع عليه اختيارك ، فإنك لا تلبث أن تشعر بتحسن فى روحك المعنوية ، وزوال همومك ومتاعبك ، لا لشىء إلا أن الرفيقة الحبيبة قد عرفت كيف تصرفك عن التفكير فى ما أنت فيه .

والآن قل لى : كم يتقاضى الطبيب عندما يعاينك ويشفيك بمجهود أقل من ذلك الذى بذلته زوجتك ؟

والمرأة - إذا كنت لا تعلم - محامية من الطراز الأول . . تشترى سيارة مستعملة - مثلاً (فتفرح بها فى اليوم الأول ، ولكنك لا تلبث أن تكتشف فيها عيوبًا ونقائص عديدة ، فتحار فى أمرك ماذا تفعل ؟ لقد غبنك البائع ما فى ذلك من شك ، ولكن قُضِىَ الأمر ودفعتَ الثمن وانتقلت السيارة إلى ملكيتك رسميًا . وهنا تتحرك الزوجة فتتوجه - بصحبتك - إلى المحل الذى باعك السيارة ، وتدخل على صاحبه وتبادره قائلة : =

بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأن تُسلِّم على أهلك إذا دخلتَ عليهم (وكذلك إذا خرجت) ، وأن تسلِّم على القوم إذا مررتَ بهم ؛ فمن ترك من ذلك شيئًا فقد تركَ سهمًا من الإسلام ، ومن تركهن كلَّهن فقد وَلَّى الإسلامَ ظهرَه » (حا) وغيره ، وسنده صحيح .

* « استأمروا النساء فى أبضاعهن . قيل : فإن البكر تستحى أن تتكلَّم ؟ قال : سكوتُها إذنُها » . (ن . حم) ص .

= أيها الرجل . . لقد بعتَ زوجى سيارة لا تصلح إلا للتكسير ، إن لها شخيرًا يقلق الحى عندما يدور محركها . . هذا إذا تكرم ودار ، وفيها فضلاً عن ذلك ألف علة وعلة . .

أمامك أحد حلين : إما أن تستعيد سيارتك فى الحال وتعيد المبلغ الذى دفعه زوجى ، أو أسوقك إلى القضاء بعد أن أرفع صوتى هنا فى محلك ؛ ليفهم جميع الزبائن من أنت ، وكيف تعامل الناس . . . ويبادر الرجل بالطبع إلى تهدئة روع السيدة الثائرة فيخاطبها بلطف : أرجوك ، يا سيدتى . . . لا أريد فضائح فى محلى ، أحضرى السيارة وخذى مالك .

هل تستطيع - أيها الزوج - أن تفعل مثل هذا ؟! فى تقديرى أن الزوجة عندما تقوم بمثل هذه المهمة تستحق ما لا يقل عن ١٠٠ ليرة كأتعاب محاماة .

ومن المهمات الأخرى التى تقوم بها الزوجة مجانًا مهمة « المستشار المالى » فكم مرة وقعتَ فى أزمة خانقة عجزت عن الخروج منها ، لو لم تسارع زوجتك بالقول :

- حسن . كم ينقصك ؟ سأقتصد هذا المبلغ من نفقات البيت .

ومن هذه المهمات أيضًا « الهندسة » ؛ لا تضحك ، أو لَيست هى التى اقترحت تحويل الشرفة الخلفية إلى غرفة إضافية بواجهة من زجاج وحديد لقاء مبلغ لم يزد على ٢٠٠ ليرة ؟

لنعترف نحن الرجال - بيننا وبين أنفسنا - أن الزوجة الصالحة والمخلصة (طبعًا) لا تُقدَّر بمال ، وأنها - قبل كل شىء - تكلفنا أقل مئات المرات مما تستحق . . لنحفظ هذا ، ولنحاول أن نعوِّضها بالحب والحنان والتقدير .

ولنعمد إلى التشمير ومعاونتها والمساهمة فى خدمة البيت ، وقد سُئلت إحدى زوجات الرسول ﷺ عن حياته فى البيت ، فقالت : « كان فى مهنة أهله ، وكان يرقع ثوبه ، ويحلب شاته » .

تقول إحدى زعيمات الحركة النسائية فى فرنسا : « ألا تعتقدون معى أن هناك مبررًا قويًا لنسف وزارة المال لدى امرأة تنهض فى الساعة السادسة صباحًا ، فتعدُّ طعام الإفطار للأسرة كلها ، ثم تُلبس الأطفال ، وترسلهم إلى المدرسة ، وترتب البيت ، ثم تُعدّ طعامَ الغذاء ، وبعد ذلك تغسل الثياب ، وتُحضِرُ العشاء ، وتراقب الأطفال وهم يدرسون قبل أن تغسل الصحون . . ثم تَحين منها نظرةٌ مِن فوق كتف زوجها وهو يملأ استمارة ضريبة الدخل ، فتجد أنه يكتب أمام « اسم الزوجة » عبارة : لا تؤدى أى عمل ؟ » .

[بتصرف عن إحدى المجلات مع زيادات كثيرة] . =

مسئوليةُ الزوجِ والزوجةِ

الآيات :

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

الأحاديث :

* « ألا كلُّكم راعٍ ، وكلُّ راعٍ مسئولٌ عن رعيته [١] ؛ فالأمير الذى على الناس راعٍ

= والزوجة فى أغلب الأحيان ، مستشارة رائعة ، وقد كان الرسول ﷺ يعمل فى بعض الأوقات برأى زوجاته ، ولا صحة بل ولا أصل للأحاديث الواردة بخلاف ذلك كحديث : « شاوروهن وخالفوهن » . و « طاعة المرأة ندامة » .

وفى رأيى أن المرأة ملهَمة فى حالات كثيرة ، فتبدى آراء صائبة ، وأنا أعترف أنى خسرت كثيرًا فى مخالفة بعض آراء زوجتى مادةً ومعنى .

هذا ، وخشيةً من أن يصيب الغرور بعض النساء ، فليسمحن لى أن أهمس فى آذانهن أن ما تقوم به الزوجة من جهود ليست للزوج فحسب ، إنما هى للأسرة ، وللأمة ، وفى سبيل الله سبحانه ؛ بشرط أن تقصد بذلك طاعته .

وكل ذلك ليس للزوج فحسب ، بل للزوجة أيضًا . . والزوج نفسه يقوم مثلها أو أكثر منها بمهام كثيرة ، ويتكبد المشاق العديدة فى ميدان الحياة . . فالتعاون التعاون . . والإخلاص الإخلاص ، والتضحية التضحية . . . والموعد الجنة أُعِدَّتْ للمتقين والمتقيات ، والعاملين والعاملات ، والمجاهدين والمجاهدات . فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . . فيها ما لا عين رأتِ ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾ [التوبة : ١٠٥] وقد تغتنم هذه الزوجة الفرص لدراسة بعض صفحات تربوية تساعدها فى توجيه وتربية أولادها . . . كما أنها تطالع بعض القصص والحكايات مِن سيرة الأنبياء والصحابة لِتُلقيها عليهم فى الأوقات المناسبة وخاصةً قبل النوم .

وينبغى أن نُذَكر الزوجة فى هذه المناسبة بما يبذله الزوج فى معترك الحياة ، وما يلاقيه من مشكلات لا تقل عن جهودها إذا لم تزد عليها .

وكل ذلك سهل عليه إذا ما تذكَّر أن الزواج مهمة إنسانية ودينية قبل كل شىء .

(١) مسئولية الرجل معروفة . وقد ذكرناها فى مناسبات كثيرة فى هذا الكتاب ، فما هى مسئولية المرأة ؟ قال أحدهم : إن عليها مسئوليات جسامًا علاوة على تربية أطفالها تربية إسلامية قوية ، فهى - كما قالت إحدى المربيات - مصدر الحب ، ونبع الحنان فى البيت ، ودوامُ هذا الحنان فى منزلها يعود إليها أيضًا . =

وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئولٌ عنهم ، والمرأة راعيةٌ على بيت بَعْلِها ووَلَدِه [١] وهى مسئولة عنهم ، والعبدُ راعٍ على مال سيده وهو مسئول عن رعيته » . (خ.م) .

= فليست المرأةُ التى تمدُّ البيتَ بذخيرة لا تنضَب من دموع الحب والرأفة والحنان لزوجها وأنجالها فقط ، إنما هى وراء بقاء ودوام هذه العوامل اللطيفة ؛ فهى التى تمد الأسرة بالحرارة والنور والسعادة .

إن الرجل يسعد عندما يلمس السعادة تتراقص على شفتى زوجته ، وعندما ينظر إلى عينيها فيشاهد نظرات الدفء والحنان والطبيعة بجمالها تطل من هاتين العينين .

وهذا واجب كبير ملقًى على عاتق المرأة ؛ إذ إنها بوجه عام تفوق الرجل فى تحكمها بإرادتها فى مثل هذه الأمور .

والواقع أن الزوجة فى جميع الحالات هى سند العائلة ، وعلى عاتقها تقع مسئوليات عديدة .

أما فيما يتعلق بالزوج : فهى مسئولة إلى حد بعيد عن إصلاح أخطائه ، ومِن ثَمَّ هدايته ، وإصلاح ما يمكن أن يصدر عنه من التصرفات السيئة .

وفى بعض الحالات قد يصعب (مؤقتًا) إرشاد الزوج إلى طريق الصواب ؛ فهو ينفق ما يكسب على ملذاته . عندئذ تبرز شخصية المرأة فى الوقوف فى وجه هذا المواقف بشجاعة ، وتدبُّر الأمر بحزم وعناية ، وعليها أن تحاول إعادة زوجها إلى طريق الرشاد ، ثم الاستمرار فى حماية عائلتها من مصائب الأيام .

أما إذا انساقت هى أيضًا فى حُمَّى الانتقام والغيرة ؛ فإن ذلك يعود عليهما بالدمار .

(١) يظن بعض البسطاء أن مهمة المرأة وعملها فى البيت سهل لا يتطلب منها تفرغها له طوال النهار . . وهذا الظن منتهى الجهل ما دامت أعظم أعباء تربية الأولاد ملقاة على المرأة ، وهى بحاجة إلى دراسات وملاحظات كثيرة ليتمَّ لها النجاح فى مهمتها والقيام بمسئوليتها التى أشار إليها الحديث الشريف علاوةً على ضرورة بقاءها مرتاحةَ البال بعيدةً عن الانفعالات التى سرعان ما تنتقل إلى الطفل الجنين والرضيع ، فتؤدى إلى أسوأ المحاذير كما تشير إلى ذلك تجارب علم النفس .

قال الدكتور محمد محمد حسين :

« من الواضح أن عمل الأنثى الأول الذى لا يصلح له غيرُها هو النسل وحفظ النوع ؛ لأن تركيب الذكور العضوى لا يسمح لهم بحمل الجنين ولا بإرضاعه ، ومن الثابت أن إرهاق المرأة بالعمل يترك أثرًا فى مزاجها وفى أعصابها .

ومن الثابت أيضًا أن ذلك الأثر ينتقل إلى جنينها فى حالة الحمل ، كما ينتقل إلى طفلها فى حالة الرضاعة . بل إن بعض علماء الوراثة يتحدثون عن وراثة الصفات والأعراض الطارئة على الأب والأم كليهما فى أثناء العلوق والحمل ؛ فالمرأة التى نيط بها حمل الجنين ، والسهر على أمنه وسلامته فى بطنها ومن بعد أن يخرج إلى الدنيا ، محتاجةٌ لأن تُكْفَى مؤنة التعرض للمهيجات العصبية والإجهاد العضلى أو العقلى الذى تصل آثاره إلى ربيبها جنينًا ورضيعًا ، وتترك فيه أسوأ الآثار . وذلك شىء تقضى به أوجَب الواجبات وأهمها ، وهو المحافظة على سلامة النوع البشرى . ثم إنها محتاجة =

* « إن الله تعالى سائلٌ كلَّ راع عمَّا استرعاه : أحَفِظَ ذلك أم ضيَّعه ؟ حتى يسأل الرجلَ عن أهل بيته » . (ن.حب) .

* « كُلُّكم راعٍ وكلٌّ مسئول عن رعيته » [١] . (خ.م) .

غاياتُ الزواجِ [٢] السياسيةُ والعسكريةُ

الآيـة :

● ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

الأحاديث :

* « تزَّوجوا الولودَ الودودَ ؛ فإنى مكاثرٌ بكم الأمم » [٣] . (د.ن.حب) ص .

= بعد ذلك إلى أن توفر لها الفرصة الكاملة لملازمة طفلها ملازمةً كاملةً تسمح بأن يُصنع على عينها جسمًا وعقلاً وخُلقًا ؛ لكى تغرس فيه العادات الفاضلة ، وتجنبه ما قد يعرض له أو يطرأ عليه من عادات قبيحة . ومثل ذلك لا يتأتى بالأمر أو النهى مرة أو مرات . ولكن لا بد فيه من المراقبة الدائمة ، والإشراف على تكرار الفعل حتى يرسخ فى نفسه .

واليقظة على الزجر مرة بعد مرات عن بعض الأفعال الأخرى حتى يحال بينها وبين الرسوخ فى نفسه . . . وهذه المراقبة التى لا تغفل والتى تتسم بالصبر الذى لا يمل ، هى وحدها التى تسمح باكتشاف أعراض الداء فى البنين والبنات قبل أن يستفحل ويتعذر علاجه .

والقول بأن كل صلة الأم بولدها تنحصر فى الحمل والوضع هو نزول بالإنسان إلى مرتبة الحيوان ؛ فالإنسان يمتاز بطول حضانته لأطفاله ، وهى حضانة ليست غذائية فحسب كما هى فى سائر الحيوانات ، ولكنها خلقية وعقلية أيضًا فى الإنسان ، وذلك من أهم الأسباب فى تقدم البشرية ؛ لأنه يورث الجيل التالى تجارب الأجيال السابقة ، بما يمكنه من متابعة الشوط وتوفير الوقت والجهد الذى يضيع فى تكرار التجارب .

(١) إن هؤلاء الأعضاء الذين وردوا فى الحديث ليسوا للحصر ؛ فالولد مسئول عن مال أبيه ، والعامل عن مال رب العمل ، ورب العمل مسئول عن عماله فى حدود طاقته .

(٢) إن الأسرة دولة صغيرة . . إن الأسرة دولة وحكومة صغيرة داخل حكومة البلاد الكبرى .

(٣) إن منعة الأمة تتوقف على كثرة سكانها وتسليحهم بالقوة المادية والمعنوية ، وقد عنى الإسلام بكل ذلك ، فحَضَّ على الإكثار من النسل ؛ فإن كثرة السكان شرط من شروط البقاء والنصر ، وهو يدخل فى القوة التى أمر الله سبحانه بإعدادها لإرهاب الأعداء كما جاء فى الآية السابقة ، وقد رأينا فى أول هذا الكتاب ثورة الرسول ﷺ على مَنْ خطط لنفسه ترك الزواج ، وهدّده بقوله : « مَن رغب عن سنتى فليس منى ! » .

كما حض الإسلامُ أيضًا على تحلّى الأمة بالإيمان بالله وبالصبر والثبات والشجاعة والتمسك =

* « جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسولَ الله ذهبَ الرجالُ بحديثك ؛ فاجعل لنا مِن نفسك يومًا نأتيك ؛ فتعلِّمُنا مما علمك الله .

قال النبى ﷺ : اجتمعن يوم كذا وكذا ، فى موضع كذا وكذا .

فاجتمعن ، فأتاهن ، فعلَّمهن مما علَّمه الله ، ثم قال :

« ما منكن من امرأة تقدِّمُ ثلاثةً من الولد إلا كانوا لها حجابًا من النار » .

فقالت امرأة : واثنين ؟ قال رسول الله ﷺ : « واثنين » . (خ.م) .

مِن دلائلِ النُّبوّةِ

الحديث :

* « يكون فى آخِر أمتى رجالٌ يركبون على سُرُجٍ كأشباه الرحال ، وينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنِمة البُخْتِ العِجاف ، الْعَنوهنَّ ؛ فإنهن ملعونات » [1] ! (حب.حا) ص .

* * *

= بمكارم الأخلاق ؛ ليتحقق للأمة جيل قوى يتصف بمزايا الكم والكيف معًا ؛ فإن الكثرة بدون إيمان صحيح وخُلق قويم لا تُغنى شيئًا . وقد جاء فى الحديث الصحيح وصفٌ قبيح للكثرة الغوغائية المتجردة من القوة المعنوية ؛ كحب الموت وعدم المبالاة بطيبات الدنيا : « يوشك أن تتداعَى عليكم الأمم مِن كل جانب تداعِى الأَكَلة على قصعتها . قالوا : أوَ من قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ! ولينزعن الله مِن صدور عدُوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟ قال : « حبُّ الدنيا وكراهية الموت » . رواه أبو داود والبيهقى ، وهو صحيح .

(١) ما أروع هذا الحديث النبوى وما أعظم إعجازه ! فهو يخبر عن كثير من الأغنياء اليوم الذين يوقفون سياراتهم الضخمة على أبواب المساجد ، وقد أطلق الرسول ﷺ عليها اسم أشباه السرج ، وهى ما يوضع فوق الدابة ليجلس الراكب عليها . ثم يدخلون هذه المساجد للصلاة بينما نساؤهم كاسيات عاريات متبرجات وقد جعلن شعورهن كسنام الجمل ، وهو ما يجرى فى هذا الزمن .

ويتضمن هذا الحديث عتابًا وتأنيبًا لأولئك الأغنياء الذين فقدوا شخصياتهم وأضاعوا نفوذهم . فبينما هم ملازمون على صلاتهم ، إذ بنسائهم المسئولين عنهن يسرن فى الطرقات كاسيات عاريات . . فيفتنَّ الشباب ويعرِّضن أمتهن ووطنهن للرذائل والمفاسد والفتن .

الزواجُ متعَة ومسئوليّة

ليستِ الحياةُ الزوجيةُ مُتعةً فحَسْبُ (١)

الآيات :

● ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ (٢) ﴾

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا

---

(١) ينبغى أن يكون للزوجين المؤمنين الصالحين آفاق واسعة ، فيكثرا من المطالعة خلال وقت فراغهما لدراسة الإسلام بعمق والسعى للتبشير به بين المسلمين والمسلمات وغيرهم . كما ينبغى لهما أن يعمدا إلى تثقيف أولادهما ثقافة إسلامية جيدة ، فلا يخلُدا للراحة واللهو على الدوام ويقنعا بما يدرسه أولادهما فى المدارس .

وكم كان لتفريط تثقيف الأبناء بالإسلام من مَضارّ عادت على الآباء بالويلات ، وسببت ارتداد أولادهم وخروجهم من الإسلام ويا للأسف ! فيا لتعاسة هؤلاء الآباء ! قال سبحانه ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ والأولاد من أعظم آثار الأبوين التى تلحق بهما فى الحياة وبعد الممات . قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُه إلا من ثلاث : صَدَقةٌ جارية ، أو عِلْمٌ يُنتفع به ، أو وَلَدٌ صالحٌ يدعو له » .

(٢) تشير هذه الآيات العظيمة إلى وجوب تحلّى المرأة بآداب وصفات عدة ؛ كالكلام الجدّى الرزين مع الرجال الغرباء عنها إذا اضطرت إلى مخاطبتهم ، وكالاستقرار فى البيت - مملكة المرأة - التى تهز سرير الطفل بيسارها وتهز العالم بيمينها ، وتسيطر بذلك على مصير الأمة ، بل على مصير البشرية جمعاء ، إذا أحسنت تربية أولادها وبناتها تربية إسلامية قوية . وقد قال أحد المربين : « سلِمونى زمامَ التربية ، وأنا كفيل بأن أغيّر لكم وجه العالم ! » .

ومن أهم واجبات المرأة التى تحدثت عنها الآيات السابقة : وجوب مساعدتها لزوجها المصلح الداعية ، وحفظ آرائه وتبليغها للناس . وهكذا تكونُ المرأة للرجل لا زوجةً وغانية للسرير فقط ، بل أمينةَ سرٍّ « سكرتيرة » أيضًا تساعده وتشجعه . وقد كان إغفال أغلب الزوجات لهذه القضية سببًا فى استخدام بعض الرجال أمينات سر أجنبيات عنهم مما قد يعرّضهم بسبب الاختلاط للوقوع فى حبهن وحدوث ما لا يُحمد عقباه ! . .

يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢ - ٣٤]

الأحاديث :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

* « رحم اللَّهُ رجُلاً قامَ من الليل فصلَّى ، وأيقظ امرأتَه ، فإن أبتْ نَضحَ فى وجهها الماءَ . ورحم الله امرأةً قامت من الليل فصلَّت [١] وأيقظت زوجها ، فإنْ أبَى نضحَتْ فى وجهه » . (د. ن) ص .

* « إذا أيقظ الرجُلُ امرأته من الليل فصليا ركعتين ، كانا تِلْكَ الليلة من الذاكرين اللهَ كثيرًا والذاكرات » . (د. ن. ه) .

- لمّا أفضَتِ الخلافةُ إلى عُمَرَ بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه سَمِعَ الناسُ فى منزله بكاءً عاليًا ، فسُئل عن ذلك البُكاء ، فقيل : إنَّ عمرَ خيَّر جواريه ، فقال : « إنه قد نزل بى أمرٌ شَغَلنى عنكُنَّ ؛ فمن اختارتْ منكن العتق أعتقتُها ، ومن أمسكتُها لم يكنْ لها مِنّى شىءٌ . فَبَكَينَ بُكاءً شديدًا يأسًا منه » .

مِنْ مخدعِ العُرسِ إلى ميدانِ الجهاد [٢]

الأحاديث :

* قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قَتْل حَنْظَلَةَ بن أبى عامر ، بعد أن

---

(١) قال الإمام ابن القيم : إن صلاة الليل تنوِّرُ الوجه وتحسِّنه ، وقد كانت بعض النساء تكثر من صلاة الليل ، فقيل لها فى ذلك ؟ فقالت : إنها تحسِّن الوجه ، وأنا أحب أن يحسن وجهى [روضة المحبين ص ٢٢٠] . وليس هذا بغريب ؛ فإن قيام الليل يساعد على حركة الجسم ورياضته بعد جموده ساعات طويلة . . . مما يُخشى منه من تصلب الشرايين بسبب ترسُّب أملاح الدم فيها . علاوةً على ما فى الوضوء ، وغسل الوجه مرات من تجميله ؛ فهو ينشط الدورة الدموية فيه وفى الجسم كله .

جاء فى كتاب « الأسرة فى الإسلام » تعليقًا على الحديث السابق ما ملخصه :

إنها صورة جميلة لزوجين محبين يتذوقان حلاوة الطاعة ولذة العبادة ، وهى صورة تُعرَض على الأنظار توجيهًا ولفتًا إلى أن هذا حَرِىٌّ بالزوجين .

وفى عصرنا اختلَّت الموازين ؛ فلم يصبح للدين قيمة بين الزوجين ، فإن كان الزوج متدينًا اكتفى بنفسه وكأنه يرى أنه غير مسئول عن أهله ! وقد كان لهذا الحال أثره فى زعزعة الأسرة ووهن قواها . .

(٢) لكى يسعد الإنسان فى زواجه يجب ألاّ يستبد به الوهم ، فيظن أن الزواج سيأتيه =

التقى هو وأبو سفيان بن الحارث ، ثم علاه شدَّادُ بنُ الأسود بالسَّيف فقتلهُ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ صاحبكم تُغسلُه الملائكة » [١] .

فسألوا صاحِبته ،

فقالت : « إنه خَرَجَ وهو جُنُب لَمّا سَمِع الهائعة (منادِيَ الجهاد) » [٢] . (ت . حا) ص .

تربيةُ الإسلامِ للمرأةِ تربيةٌ قويةٌ

الأحاديث :

* جاء فى سيرة ابن هشام : « قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع :

دخلتْ علىَّ أمُّ عَمارة ، فقلت لها : يا خالةْ ! أخبرينى خَبَرك - أى فى غزوة أحُد - فقالت : خرجتُ أولَ النهار ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سِقاء فيه ماءٌ ، فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ ، وهو فى أصحابه ، والدولة (الفَوز) للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انحزتُ إلى رسول الله ﷺ فقمتُ أباشر القتال ، وأذُبُّ عنه بالسَّيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خَلصَتِ الجِرَاح إلىَّ .

= بالسعادة التى لا شائبة فيها أبدًا ، فإنْ واجهته بعض التبعات ندمَ . . . بل يدرك منذ البداية أن الزواج نظام ، وأن كل نظام له ترتيب ، وله حساب وتقدير ومسئولية ، وقد تكتنفه بعض المتاعب ، ولكن الأمر فى مجموعه يضمن له خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة . . . لما فيه من متعة وأنس وولد تقَرُّ به عينُه ، ويدعو له ويشجعه على السعى ، وذلك مع الصبر على أمور التربية ومتاعب النساء ؛ فإن الأيام يتعاقب فيها الليل والنهار ، وليس للحياة وجهٌ واحد أبدًا . . . [الحياة الزوجية] .

(١) ما أعظم هذا الصحابى ؛ فإنه لمَّا سمع منادىَ الجهاد آثر الاستشهادَ على متعة الزواج ، وبمثل هذه النفسية تنتصر الشعوب وتعتز الأمم !

(٢) جاء فى كتاب « ذم الهوى » :

« تزوج عبدُ الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما عاتكةَ بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت حسناءَ جُمَلاَء ذات خلق بارع ، فشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها وقال : إنها قد شغلتك عن مغازيك ، فطلّقها . فمرَّ به أبوه وهو ينشد :

فلم أرَ مثلى طلَّق اليوم مثلَها ... ولا مِثلَها فى غير ذنبٍ تُطَلَّقُ

لها خُلُقٌ جزلٌ ورأىٌ ومنصب ... علَى كبَرٍ منِّى وإنِّى لَوامقُ

فرقَّ له أبوه ، فراجعَها . ثم شهد مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم غزوةً بالطائف فأصابه سهم فمات بعده بالمدينة » .

قالت أم سعد : فرأيتُ على عاتِقها جُرحًا أجوف له غَور ، فقلتُ : من أصابك بهذا ؟

قالت : ابن قمئة أقماه اللَّهُ (أذلَّه) . . لمّا ولّى الناسُ عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلُّونى على محمد ، فلا نجوتُ إنْ نجا . فاعترضتُ له أنا ومُصعبُ بن عُمير وأناسٌ ممن ثَبَتُوا مع رسول الله ﷺ ، فضربنى هذا الطريدُ ؛ فلقد ضربتُه على ذلك ضربات ، ولكن عدوَّ الله كان عليه دِرعان » .

* عن أبى موسى الأشعرى - الصحابى الجليل - أنه أمر بناته أن يُضَحِّين بأيديهن ، مع وضع القدم على صفْحة الذَّبيحةِ ، والتكبير والتَّسمية عند الذَّبح . (أخرجه رَزِين ، وعلَّقه البخارى) .

* قال ابن هشام : « قال ابن إسحاق : كانت صفيّة بنت عبد المطلب فى قاع حصن حسَّان بن ثابت - وكان مريضًا - قالت صفية :

فمرَّ بنا رجلٌ مِن يهود ، فجعلَ يَطوف بالحصن ، وقد حاربتْ بنو قريظة ، وقطعتْ ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بينَنا وبينهم أحدٌ يدفع عنَّا ، ورسولُ الله ﷺ والمسلمون فى نحور عدوِّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا ، فأتانا آتٍ . قالت : فقلتُ : يا حسَّان إنَّ هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن ، وإنى - والله - ما آمَنُهُ أن يَدُلَّ على عورتنا مَن وراءَنا مِن يهود ، وقد شُغِل عنَّا رسولُ الله ﷺ وأصحابه ؛ فانزل إليه فاقتله ! فاعتذر إليها حسَّان لمرضه ، ثم قالت صفية : فلما قال ذلك شددتُ نطاقًا على وسطى ثم أخذتُ عمودًا ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته حتى قتلته » . . . [انتهى باختصار وقليل من التصرف] .

حرصُ المرأةِ على العلمِ والأجرِ

الأحاديث :

* قالت عائشة رضى الله عنها : « نِعْمَ النساءُ نساءَ الأنصار ؛ لم يمنعهُن الحياءُ فى أن يتفقهْن فى الدين » . (خ) .

* راجع حديث أسماء ، وقد سبق .

خطورةُ أوقاتِ الفراغِ [١]

الآيات :

---

(١) ما أخطر أوقات الفراغ ، وقديمًا قال الشاعر :

إن الشبابَ والفَراغ والجِدَه مَفْسَدَةٌ لِلمَرْء أىُّ مفسدهْ !

● ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ [١] فَانصَبْ ﴾ [الشرح : ٧] .

● ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] .

الأحاديث :

* « دونكم يا بنى أرْفده لِتعلمَ يهود أنّ فى ديننا فُسْحة » [٢] . (خ . م) وغيرهما .

= إنها كثيرًا ما تكون بداية خراب الأسرة التى تقضى أوقات فراغها فى رؤية الأفلام الداعرة والإجرامية ، فتغرى كلاً من الزوجين بحياة الفجور ، وتعلم الأطفال الجرائم !

وقد تقضى الأسرة هذه الأوقات فى السهرات المختلطة التى تسمى عائلية ، وهى - فى حقيقتها - معاول هدم فى كيان الأسرة . وهناك حوادث مفجعة نتيجة هذه السهرات ، أدت حتى إلى تسميم الزوج للتمتع بالعاشق : صديق العائلة ؛ فهل من معتبر ؟!!

أو تقضى الوقتَ فى المقاهى بين زعيق النادل « الجرسون » وضجة النرد المحرَّم ، ودخان النارجيلة والسيجارة المتلف للصحة لشاربها ولغير شاربها عن طريق التنفس وامتصاص الجلد . أو فى الاستقبالات السخيفة التى ليس فيها إلا الأحاديث المبتذلة والكلام عن الأزياء الأجنبية المدمرة . [راجع كتابى : منكرات الأفراح] .

وبين المقهى والاستقبال يتشرد الأطفال ويتعلمون الجرائم والمفاسد من الشوارع ودور السينما . [راجع كتاب المؤلف : منكرات الأفراح] إن المرأة الواعية ، المرأة الذكية ، تستطيع برجاحة عقلها وسمو روحها أن تجعل من البيت جنة تجذب إليها زوجها وأولادها وتنطلق بهم من حين إلى آخر إلى بعض الحدائق والبساتين المجاورة لاستنشاق الهواء النقى وممارسة بعض أنواع الرياضة ، وتُنشئ فى دارها مكتبة جميلة مفيدة تمضى بها أوقات فراغ الأسرة بكل نافع وممتع . [راجع كتاب « نحو أسرة إسلامية » للمؤلف] .

(١) ما أكثر أوقات فراغ الإنسان العادى ، وما أقل وقت فراغ الإنسان الواعى ، وقد ذكرنا فى الحديث التالى خطورة تضييع العمر وسؤال الله سبحانه وتعالى العبد عن كل لحظة من لحظاته كيف قضاها ، فأين هذا التوجيه مما نراه فى حياة الأسر الإسلامية ، وخاصة النساء ؟! حيث يضيعن سهراتهن الطويلة واستقبالاتهن فى اللت والعجن وفى اللغو المشين ، وقد أمرنا الله سبحانه فى الآية السابقة أن نمر باللغو مرور الكرام .

والأولاد فى هذا السهرات والاستقبالات بدلاً مِن أن تزداد معلوماتهم وتتسع خبرتهم كما هو المفروض من أمثالهم الذين يُنقش فى أذهانهم كل ما يسمعونه ويرونه ، إذا بهم يغدون صورةً طبق الأصل من مجتمعاتهم الهزيلة وأحاديث أبويهم - فى الغالب - السخيفة .

مع العلم أن هناك فرصًا ممتعة كثيرة فى البيت لتثقيف الأولاد ثقافةً غير مدرسية صارمة . وذلك عن طريق حديث المائدة ، وحديث المدفأة ، وحديث السهرة ، وحديث النزهات ، وغيرها من أوقات الفراغ ، ممل يجعل أعضاء الأسرة - إذا وُجِّهوا - ذوى ثقافة واسعة حسنة للقيام بمهامها العديدة .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأحبـــاش حينما أخذوا يلعبون بحرابهم فى =

* « كلُّ شيءٍ ليس مِن ذِكر اللهِ فهو لغوٌ ولعبٌ ، إلا أن يكون أربعة : مشْىُ الرجلِ بين الغرضَينْ (الهدفين) ، وتأديبهُ فرسَه ، وملاعبتهُ [1] أهْلَه ، وتعلُّمُ الرجل السباحة ! » (ن) ص .

= المسجد فى يوم عيد كما جاء فى تتمة الحديث : « دونكم يا بنى أرفدة حتى تعلم اليهود أن فى ديننا فسحة » .

فأين هذا الحديث من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التى تحرِّم دخولَ الأطفال المسجد كما تحرِّم الكلام المباح ؛ حتى جعل المتزمتون والجهلاء مساجدَ الله أشبه بالسجون ، بل أشد من السجون ما دام السجين يأخذ فى السجن حريته فى الكلام .

حقًا إن مساجدنا ينبغى أن تأخذ طورًا جديدًا على ضوء حديث لعب الأحباش فى المسجد !!

ولو كان لى من الأمر شيءٌ ، لجعلتُ فى قبو المسجد مسبحًا ، وناديًا للرماية والرياضيات المختلفة على ضوء الحديث الوارد فى النص ، ولجعلتُ فى المسجد مركزًا ثقافيًا واجتماعيًا ورياضيًا بالإضافة إلى الصلاة ، يشيَّد من عدة طوابق ، لا من طابق واحد . . . مما هو خسارة فادحة وقلة وعى ، وحرمان للمسجد من مصادر ثروة لتحقيق أهدافه بتخصيص بعض أجنحته لسوق تجارية .

(١) يا لعظمة الرسول ﷺ ! فقد اكتشف فن المداعبة بما قاله قبل أربعة عشر قرنا :

جاء فى كتاب « كيف تصبحين امرأة ؟ » لكاتبة غربية أصرت على إبقاء اسمها سرًا واكتفت بوضع « ج » على الغلاف ؛ قالت تحت عنوان : « لعبة آدم وحواء » :

« لست أدَّعى أننى اكتشفت لك المجهول ، إذ أقول إن المرأة حين اكتشفت أن لعبة الجنس مع الرجل فيها شيءٌ آخر غير إنجاب الأطفال ، سقطت رياضة ركوب الخيل من رأس قائمة الرياضات المفضلة لدى الرجال إلى المركز الثانى ، واحتلت لعبة آدم وحواء - أى مداعبة الجنس - المركز الأول ، وما زالت تحتله منذ ذلك التاريخ المجيد إلى يومنا هذا ، لحسن حظ الجنس البشرى .

وطبعًا هذه ليست من عندى ، بل من عند الطبيب والجراح والعالم النفسى ؛ فقد ثبت علميًا أن ممارسةَ الجنس ممارسةً صحيحة ، تزوِّد المرأة - وكذلك تزود الرجل - بزاد عاطفى وروحى يعينهما ، ويريحهما جسمانيًا ويُنسيهما هموم الدنيا ، ولو لفترة ، ويتيح لهما نومًا عميقًا هادئًا ، يحفظ لهما نضارتَهما أطول مدة ممكنة ، فضلاً عمَّا يمثِّل هذا النشاطُ الجنسى مِن تكامل بالنسبة إلى الحب .

ولعلَّ أهم مزايا العلاقة الجنسية أنه لا بد لحصولها من اثنين : شريككِ فيها ، إذا أحسنت الاختيار ، رجلٌ معجب بكِ ، يريد أن يثيرك بقدر ما تثيرينه ! يعلم أن الحب أولاً وأخيرًا أخذٌ وعطاء . هذا هو المفروض ، ولكن هل هذا هو الواقع ؟ أغلب الظن أنه لا ، وأنتِ المسئولة عن هذا الفشل ؛ المسئولة الأولى ؛ لأن الانسجام والتوافق هما هدف الأنوثة الأول ، وشغلُها الشاغل ، وعليكِ أن تبذلى أقصَى ما تستطيعين من جهد للوصول إليهما عن طريق الصراحة والتعاون مع الزوج .

ومما يؤسَفُ له أن المرأة المسلمة المعاصرة - فى الغالب - لا تعرف قيمةً للوقت كما هو واضح مما سبق ، وخاصَّةً فى طهى الطعام الذى تنفق عليه الوقت الطويل مما لم تعرفه المسلمات فى عصر =

* « لا تزولا قَدَما عَبْدٍ يومَ القيامة حتى يُسأل عن أربع :
- عن عمره فيما أفناه .
- وعن جسمه فيما أبلاه .
- وعن عِلْمِه ماذا عملَ به .
- وعن ماله مِن أين اكتسبه ، وكيف أنفَقه » .
[حديث صحيح لشواهده] .

صفاتُ نساءِ القادةِ والزعماءِ

الآيات :

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ

= النبوة ، ولا الغربيات فى العصر الحديث ، وقد شاهدتُ إحداهن فى بيتِ مسلم امرأةً تطهو الطعام وقد أنفقت ساعات طويلة عليه ، قالت : - ويا هول ما قالت - : « الآن عرفتُ سبب تأخر المسلمين !! » .

والمرأة الغربية تُعِدُّ الطعام لأسرتها وضيوفها فى حوالى ساعة من الزمن بكمية مناسبة لا يزيد منه شىء ولا ينقص ، بينما نحن نضع فى كيس القمامة الكميات الكبيرة من الطعام الفائض !! فهل من معتبر ؟!

والأهل فى الحديث يشمل الأطفال ، فينبغى للرجل أن يداعب ويلاعب أطفاله لتقوية أجسامهم وإدخال الفرحة إلى نفسه ونفوسهم .

ولا شك أن القارئ لا يستغرب بعد اطِّلاعه على هذا الحديث سببَ نهوض الأمة الإسلامية ، ما دامت - حتى وهى فى اللهو - تقضى أوقات فراغها بما يعود عليها بالقوة والنشاط والمتعة .

فكم نأمل من الأسرة الإسلامية أن تعيد سيرتَها الأولى ، فتسمو عن السخف وتعلو عن الهذر وتتعشق معالى الأمور ، وتكره سفاسفها !

وبمناسبة الكلام عن أوقات الفراغ أنقل صفحة أليمة لحياة النساء الموسرات فى بلادنا ، فقد كتبت إحداهن إلى قريبة لها تشكو همومها ، أنقل عباراتها كما جاءت لبيان مبلغ إهمالها لغتها مع العلم أنها جامعية ! :

« إن أكبر مشكلة عندى هو انشغالى بالخياطة التى كادت تزهق روحى ، وكم أتمنى أن أرى خياطة جيدة لأعتمد عليها ولكن من أين لى ذلك ؟!

فى الشتاء مدحوا لى إحدى الخياطات كثيرًا بأن خياطتها « شيك » وحلوة ومضبوطة ، فوضعتُ عندها « فستان » جوخ وكيمينو جوخ . الفستان أخذته وما لبسته أبدًا فهو ملحوش بالخزانة فإنها دابرته وعادمته ، والكيمينو عندها ما رضيت آخذه ؛ لأنها مشركته شر تشريك ، سامحتها فيه . محسوبتك بتعرفيها موسومة على خياطتها ولا ترضى إلا أن تكون على آخر طراز ؛ لذا فإن الخياطة تأخذ كل وقتى » !!

وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا (١) جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ (٢) وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ .

---

(١) أسرحكن : أطلقكن من غير ضرار .

(٢) على الرغم من هذا التهديد لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول جماعة من سخفاء الصوفية وغيرهم : إن السادات من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناجون ، وهو ادعاء باطل ، بل لهم العذاب المضاعف على فعل المنكرات ما داموا شرفاء وقدوة . وقد قال العلامة الشوكانى - رحمه الله تعالى - فى « فتح القدير » يرد على هذا الزعم الباطل :

« أقول : لا شك ولا ريب أن أهل البيت المطهر لهم من المزايا والخصائص والمناقب ما ليس لغيرهم ، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية شاهدة لهم بما خصَّهم الله به من التشريف والتكريم .

أما القول برفع العقوبات عن عصاتهم ، وإنهم لا يخاطَبون بما اقترفوه من المآثم ، فهذه مقالة باطلة ، ليس عليها أثارة من علم ، ولم تصحّ فى ذلك عن الله تعالى ، ولا عن رسول ﷺ بحرف واحد » .

وجميع ما أورده علماء السوء ، المتقربون إلى المتملقين بالرياسات من أهل هذا البيت الشريف ، فهو باطل موضوع ، أو خارج عن محل النزاع .

ولو كان الأمرُ كما زعمه هذا الزعيم ، لم يكن لقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] معنًى ولا كثير فائدة .

وإذا كان المصطفى ﷺ يقول لفاطمة الزهراء ، التى هى بضعة منه : « يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئًا » فليت شعرى مَن هذا من أولادها الذى خصه الله بما لم يخصها به ؟! فأبعدَ الله علماءَ السوء وقلَّل من عددهم ! .

ولم يكتف هؤلاء بهذا الافتراء ، بل راحوا من أجل ترويج الفواحش وإغراء المسلمين على ارتكابها يقولون (ويريدون أنفسهم طبعًا) : « إن حب أهل البيت لا يضرُّ معه معصية » ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ !!

ولا يَخفى ما فى هذا الاعتقاد بالباطل من تشجيع على ارتكاب المعاصى حتى الكفر !! أين هذا من صنيع الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقد كان إذا نهى الناسَ عن شىء ، جمع أهلَه فقال : « إنى قد نَهيتُ الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم ، فإن وقعتم وقعوا ، وإن هِبْتم هابوا . وإنى - والله - لا أوتَى برجل = = منكم وَقَعَ فيما نهيتُ عنه إلا ضاعفتُ له العــذاب لمكانه منى ؛ فمن شاء فليتقدم ، ومن شاء فليتأخر » . [ابن الجوزى ٢٠٦ ، وابن سعد ١/ ٢٠٧] .

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ (١) بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ .

﴿ وَقَرْنَ (٢) فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ - ٣٢] .

● ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ (٣) وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم : ١٠ - ١١] .

الأحاديث :

* « لما نزل الوحىُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غار حراء رجع يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال : زمِّلونى زمِّلونى ! فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال لخديجة :

أى خديجة ! ما لى ؟! وأخبرَها الخبرَ ، ثم قال : لقد خشيتُ على نفسى .

قالت خديجة (تشجعه وتطمئنه) :

كلا ! أبشر فوالله لا يُخزيك اللَّهُ أبدًا ؛ إنك لتصلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الحديثَ ،

---

(١) قال ابن كثير : ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أى لا تخاطب المرأةُ الأجانبَ كما تخاطب زوجها .

(٢) ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ قال ابن كثير : أى الزَمْنَ بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة . قال : ومن الحوائج الشرعية الصلاة فى المسجد بشرطه ، كما قال رسول الله ﷺ : « لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ الله وليخرجْن تفلات » - أى تاركات للطيب والأدهان . وفى رواية : « وبيوتهن خيرٌ لهن » وفى بيتها تمارس طلب العلوم النافعة كالقرآن والحديث وأصول التربية الإسلامية لِتُخْرِج جيلاً عظيمًا . وقد قال الشاعر :

مَن لى بتربيةِ النساء فإنَّها ... فى الشَّرْقِ عِلَّةُ ذَلِكَ الإخْفاقِ

(٣) جاء فى تفسير ابن الجوزى : « فى ﴿ وعمله ﴾ قولان : أحدهما : أن ﴿ عمله ﴾ جماعته ، والثانى : دينه أى شركه وكفره » .

وتحمِلُ الكَلَّ ، وتُكْسِب المعدوم ، وتقْرِى الضيف ، وتُعين على نوائب الحقِّ [١] » . (خ) .

---

(١) ما أعظم خديجة رضى الله عنها ، وما أعظم موقفها هذا ، بل مواقفها كلها المشرِّفة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم من صبر وبذل وتضحية وتشجيع ، وبأمثالها يتحقق الفوز والعظمة للأزواج من الرجال . . .

وبمناسبة كلامنا على القادة والزعماء ، فإنهم - ويا للأسف - لا يُذكرون عند أكثر نسائنا ، إلا ويتخيلن المال الوفير ، والسمعة الواسعة ، وهناءة العيش ، وكثرة الخدم والحشم ، والدور الجميلة ، والأطيان الثمينة . . والأزياء المتجددة المدمرة !

ليست هذه العظمة ، إنما هى أغلال على الغالب ، إن العظمة الحقيقية هى الجهاد فى سبيل الله ، وخوض ميادين الإصلاح والتجديد بشجاعة وتضحية ، وملاقاة الصعاب ، وتحمُّل الأذى قد يصحبه سوء السمعة وتشويهها من الجهلاء والسفهاء والخرافيين ، والاضطهاد والتعذيب من الظلمة والمستبدين .

فيا نساء هؤلاء العظماء اهنأن بأمثالهم ، وشاركنهم البذل والصبر والتضحية ، ولو أصبحتن فى الفقر والبلاء .

يقول المثل السائر : « وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة » . وهذا صحيح ؛ لأنها تشجعه وتخفف له العقبات ، علاوة على تمهيدها السبيلَ للتقدم ، سواء من ناحية هدوء باله فى البيت ، أو فى تربية أولاده ، أو حِفْظ ماله وشرفه . .

ومقابل ذلك يصح أن نقول أيضًا إن وراء كل رجل فاشل امرأة . . امرأة جاهلة ، أو متعلمة شريرة . فإن المصيبة إذا كانت فى القديم ناجمة من جهل المرأة ، فقد أصبحت اليوم تنجم من المرأة المتعلمة تعليمًا منحرفًا ، وهو الغالب فى تعليم المرأة - ويا للأسف - .

وإذا كانت المرأة فى العصور المتأخرة قد عشَّشَتْ الخرافات والأوهام فى دماغها غالبًا ، فإن المرأة المتعلمة اليوم على الغالب قد أصابها الغرور والجهل المركب ، وعشش فى دماغها القلقُ وحُمَّى « موضة » الأزياء ومحاربة وبغض كل ما هو أصيل فى تقاليدها الإسلامية وشخصيتها العربية ، فكأنها قطعة من المعدن تحاول الذوبان فى بوتقة الغرب .

وإذا كان الشاعر العربى قد رأى قديمًا أن من أعظم المصائب أن يُبتلى المرء فى ذوقه وعقله ، فيرى حسنًا ما ليس بالحسن ؛ فإن من أعظم المصائب أيضًا أن ترى المرأة الحديثة المتعلمة سيئًا كل ما هو حَسن كلَّ الحسن ، فتتنكر للأخلاق الإسلامية والتقاليد العربية متأثرة بتعليمها المنحرف - الذى صوَّر لها بتأثير المبشرين والمستشرقين - أن إسلامها رجعية ، وأنه مصدرُ التأخر . كل ذلك لتصبح ضحية وفريسة هى وأولادها - والأمة كلها من وراء ذلك - للغرب وعاداته وتقاليده وفلسفته ؛ فتنهار بانهياره كما تنبأ بذلك مفكروه وعلماؤه .

ولا يظن ظانٌّ أن الإسلام يتنكر لتعليم المرأة ، بل هو فى أساس دعوته ، إنما يتنكر للتعليم المنحرف ، الناقص ، فهو أخطر من الجهل ، وهذا النوع من التعليم هو الذى أخرج المرأةَ الغربيةَ =

* « هاجت فى نفوس المسلمين خيبةُ الأمل ، وعَراهم وجومٌ ثقيل للاتفاق الذى تمَّ بين الرسول ﷺ والمشركين فى حادثة صُلْح الحديبية المذكورة فى السيرة النبوية ، فلما فرغ الرسول ﷺ من قضية الكتاب قال لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » - ليتحللوا من عمرتهم ، ويعودوا إلى المدينة - فلم يقمْ منهم رجلٌ ! حتى قالها ثلاث مرات !

فلما لم يقم منهم أحد ، دخلَ على زوجه أم سلمة ، فذكرَ لها ما لَقىَ مِن الناس ، فقالت أمُّ سلمة : يا رسول الله أتحب ذلك ؟ اخرُجْ ، ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمةً حتى تنحَر بُدنك - أى أضحيتك - وتدعو حالقَك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك . فلما رأى المسلمون ما صنع النبى ﷺ قاموا - عجلين - ينحرون هَدْيَهم ويحلقون » [١] (خ) بنحوه . .

- جاء فى كتاب « الاستيعاب » لابن عبد البر (٤/ ١٨٢٧) ما ملخصه :

« حضرت الخنساءُ حربَ القادسية ومعها بنوها - أربعة رجال - فجمعتهم ليلَةَ المعركة وقالت لهم [٢] :

= مِن بيتها مهملة أطفالها ، تتركهم للشوارع ؛ لتصبح ماسحة أحذية وحمّالة وكانسة طرقات ومنظفة للمراحيض العامة . . ومومس مقابل وجبة طعام .

فهل نريد أن نعيد المأساة الغربية ونسير فى الطريق التى سار فيها الغربيون ونبدأ من حيث انتهوا . . . وهم يبكون وينتحبون شقاءً وندمًا ؟!!!

لعل القارئ والقارئة قد أدركا معى سِرَّ اختفاء العظمة والعظماء من الشرق . . !

(١) فأين هذا الحديث الصحيح فى ثبوت عمل النبى عليه الصلاة والسلام برأى زوجته وعدم مخالفته لها ، من الأحاديث الموضوعة والتى لا أصل لها ، مثل : « شاوروهن وخالفوهن » وحديث : « طاعةُ المرأة ندامة » وغيرها من الأحاديث التى اتخذها أعداء الإسلام ذريعةً لتحريض المرأة ضد دينها .

(٢) وهذا مثال آخر من حياة النساء الصحابيات المناضلات والمجاهدات أذكره ليكون فيه عبرة لنساء قادتنا وزعمائنا :

كانت أسماءُ بنت أبى بكر من أوائل من أسلم ، وقد رشحها أبوها ، أبو بكر لأخطر الأعمال خلال هجرته فى صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة سرًا .

فقد كان لها دور هام فيها ، فكانت تحمل الزادَ والماءَ للرسول ﷺ وصاحبه أثناء اختفائهما فى الغار ، وتنقل لهما أسرار وتطورات موقف زعماء قريش الذين كانوا يبحثون عنهما ليقتلوهما .

وجاء هؤلاء الزعماء إلى أسماء مرةً بعد خروج أبيها مع النبى ﷺ مهاجرًا وسألوها عن أبيها فقالت : لا أدرى . =

يا بَنيَّ ! إنكم أسلمْتُم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ؛ ما خُنْتُ أباكم ، ولا فضحتُ خالَكم ، ولا هجَّنْتُ حَسَبَكم ، ولا غيَّرت نسبَكم .

وذكَّرتَهم بآيات الوعد بجزيل الثواب للصابرين فى مواطن القتال وقالت لهم : فإنْ أصبحتم غدًا - إن شاء الله - سالمين ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، فإذا رأيتم الحربَ شَمَّرتْ عن ساقها . . فتيمَّموا وَطِيسَها تظفروا بالغُنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة .

فلما أضاء لهم الصبحُ باكَروا مراكزهم ، وباشروا القتال ، حتى قُتلوا كلهم . فلما

= فلطمها أبو جهل لطمةً أطارت قرطها ، فاحتملت هذا الأذى فى سبيل الله . . .

وقد سجل التاريخ موقفها الرهيب الذى لا يُعرف له مثيل فى حياة الأمهات ؛ ذلك لما دخل عليها ابنها عبد الله بن الزبير خلال ثورته على الأمويين فى الحجاز الذين أرسلوا إليه الحجاج بجيش كبير لقتاله ، فدخل على أمه أسماء ، وقد انفضَّ عنه أنصاره بعد قتال مرير وطويل ، فقال لها مستشيرًا :

« يا أماه ! خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، ولم يبقَ معى إلا اليسيرُ ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ، والقومُ - أى الأمويون - يعطوننى ما أردتُ من الدنيا فما رأيك ؟ »

قالت أمه أسماء : أنتَ والله يا بنىَّ أعلمُ بنفسك ؛ إن كنت تعلم أنك على حق ، وإليه تدعو ، فامض له فقد قُتِل عليه أصحابُك . . . وإن كنت إنما أردتَ الدنيا ، فبئس العبد أنت ؛ أهلكتَ نفسك ، وأهلكتَ مَن قُتل معك !

وإن قلتَ : كنتُ على حق ، فلما وهن أصحابى ضعفتُ ؛ فليس هذا فعل الأحرار ، ولا أهل الدين ! وكم خلودك فى الدنيا ؟ القتلُ أحسن ، والله لَضَربةٌ بالسيف فى عِزّ أحَبُّ إلىَّ مِن ضربةٍ بسوطٍ فى ذل !

قال : إنى أخاف إن قتلونى أن يُمَثِّلُوا بى ! قالت : يا بنَىَّ إن الشاة لا يضيرُها سلخُها بعد الموت .

وخرج عبد الله ، فقاتل حتى قُتل فى يومه ، وماتت أمه بعده بأيام .

هكذا فلتكن الأمهات !

أقول هذا مع علمى أن ابنَ الزبير - رحمه الله تعالى - كان مجتهدًا فى خروجه على بنى أمية ، وله أجرُ المجتهد . ولكن هل كان مصيبًا فى ذلك ؟ لا أظن ! والله أعلم .

راجع تحقيقى على كتاب « العواصم من القواصم » فهو كتاب جدير أن يكون فى كل بيت مسلم ؛ لما فيه من تبرئة الصحابة العظام مما نسبه إليهم المفترون !

وبمناسبة الكلام عن نساء القادة والزعماء أذكِّر نساءهم بمثالين خطيرين ذكرهما الله سبحانه فى الآيتين السابقتين : =

بلغ الخبرُ الخنساءَ أُمَّهم ، قالت : الحمد لله الذى شرَّفنى بقتلهم ، وأرجو مِن ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » [١] . [بتصرف] .

* « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمنع أهلَه الحلْيَةَ [٢] ، والحريرَ ، ويقول : إن كنتم تحبون حليةَ الجنة وحريرَها فلا تلبسوها فى الدنيا » . (ن. حب. حا. حم. وسنده صحيح) .

قِوامةُ الرجُلِ [٣]

الآيات :

= **المثال الأول** : امرأتا نبيين من أنبياء الله تعالى هما نوح ولوط عليهما السلام ، ومحاربتُهما لدعوتهما الإسلامية شأنُ كثير من النساء اللاتى يعارضن أزواجهن فى دعوتهم الإصلاحية .

المثال الثانى : امرأةُ طاغيةٍ كبير هو فرعون ، وتسمى آسيا ، فإنها لما رأت زوجَها منحرفًا ملحدًا ، قد كفر بنبوة موسى عليه السلام ، آمنت هى بدعوة موسى لمّا رأتها دعوةَ حق وإصلاح ، ولم تأبه لتهديد فرعون وتعذيبه .

إن فرعون وَتَّدَ لامرأته أربعة أوتاد فى يديها ورجليها ، فكانوا إذا تفرقوا عنها أظلَّتها الملائكة ، فقالت : ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم : ١١] فكشف لها عن بيتها فى الجنة .

وهكذا فلتكن نساء القادة والزعماء ؛ لأنهم إذا انحرفوا عن جادة الحق فعليهن نصحهم ، وإذا أصرّوا فمن واجبهن فى هذه الحال مخالفتهم وهَجْرُهُم ، فلا يجوز أن تبقى المرأة المؤمنة عند الفسقة والمخربين لأوطانهم ، خاصة إذا كفروا أو ضلُّوا .

(١) إذا أردنا أن نتحقق من سرعة تأثير التربية الإسلامية ، فلنتأمل قصة الخنساء وأمثالها من الصحابيات . فقد كانت فى الجاهلية - قبل أن تسلم - جزعة ؛ قُتل أخوها صخر ، فندبته وبكته كثيرًا حتى فقدت بصرها . فأين عملها هذا من موقفها السابق الذى ذكرناه من تشجيع أولادها على الجهاد وحب الاستشهاد ، كأنها أرسلتهم إلى حفلة أعراسهم ، ثم تجلُّدها بعد موتهم ، بل إرسالها « الحمد لله » على أن شرَّفها باستشهادهم ! .

وبمثل هذه الأم ، تمَّ للمسلمين الأوائل الفتح المبين من المحيط إلى المحيط فيما يقرب من نصف قرن من الزمن ، فلتأخذ الأمهات المعاصرات دروس العظمة والتربية من الخنساء وأمثالها من الصحابيات الكثيرات . .

(٢) « الحلية مطلقًا سواء كانت من ذهب أو فضة . ولعل ذلك مخصوص بهن ليؤثرن الآخرةَ على الدنيا . . . . » يراجع بحثنا المتقدم عن تحريم الذهب حتى على النساء ، ليعطين لنساء المسلمين درسًا فى الاقتصاد ومحاربة الإسراف . .

(٣) رأينا أن نتحدث عن قوامة الرجل على المرأة بشىء من التفصيل ؛ فإن إدراكها جيدًا يحل كثيرًا من المشكلات بين الرجل والمرأة ، وقد فهم بعض الرجال هذه القوامة تسلطًا =

. . . . . .

= واستبدادًا واسترقاقًا وتكبرًا فعاملوا نساءهم تبعًا لهذا الفهم السقيم الخاطئ معاملة سيئة . كما أغفل هذه القوامة بعض الزوجات ، فلم يحسبن حسابًا للزوج مما أدى إلى وقوع النشوز والخصام والفراق . . . ولو عرفَ كلٌ من الزوجين حدوده وواجباته - إلى جانب حقوقه - لَعاشَ بسعادةٍ وسلام .

كتب أحدُ علماء الاجتماع يقول : ليس هناك ما يمكن أن نسميه « زمالة » فى الزواج ؛ فالحياة الزوجية أشبه بسيارةٍ يجلس فيها شخصان يقصدان هدفًا واحدًا ؛ ولا بد أنّ واحدًا منهما فقط يجلس أمام عجلة القيادة ؛ إذ لا يمكن أن يقوم الاثنان بالقيادة معًا .

فإذا تولى الرجل هذه المهمة - وهذا هو الوضع الطبيعى - استطاعت المرأة أن تقوم بدورها الطبيعى من بث الثقة فى نفسه وتشجيعه وتسليته وتهوين أعباء الرحلة عليه . أما إذا تولتها المرأة ، ووقف الرجل منها موقف الناقد المتفرج ، فلا تلبث أن تنهار أعصابها من فداحة العبء الذى تقوم به وحدها دون تشجيع أو كلمة مشاركة .

قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] . تشير الآية إلى ناموس من نواميس الله الثابتة وهى قوامة الرجال على النساء ، وقد ناط سبحانه وتعالى حكمته فى ذلك بسببين ظاهرين : أولهما أن فطرة الرجل تخالف فطرة المرأة ، فهى تفضله فى تدبير شئون البيت وتربية الولد والقيام عليه ، بما جُبلت عليه من الحنان والرقة ومن التركيب العضوى الذى يعينها على وظيفتها ؛ مثل ضعف جهازها العصبى الذى يقلّل إحساسها بآلام الحمل والوضع ، وإن كان يجعلها فى الوقت نفسه أكثر استهدافًا لأنواع الأمراض وأسرع تهيجًا وأقوى انفعالا ، مما يؤثر فى سلامة التقدير وصحة الإدراك ويجعلها أقل قدرة من الرجل على مجابهة الأزمات والتماسك أمام الشدائد والملمات .

أما الرجل فهو يفضُلها - لما سلف من الأسباب - فى القوة البدنية وفى قوة التفكير وصحة التقدير ورباطة الجأش ، مما يُعدُّه للكفاح ومعالجة المشاق ، والكَدْح وراء معاش الأسرة ، وفى سبيل الحفاظ على كيانها ودفع ما يتهدده من أخطار . والسبب الثانى الذى انبَنَتْ عليه هذه القوامة هو أن الرجل يتولى الإنفاق ؛ لأنه هو الذى يكسب المال حسب ما جُبل عليه ؛ فليس من العدل أن يكلف فرد بالإنفاق على هيئة أو جماعة ، ثم لا يكون له رأى فى الإشراف على مصارف هذه النفقة . وعلى ذلك تجرى الحكومات النيابية المعاصرة ، ويعتبر ذلك أصلاً من أصول تشريعاتها .

فإذا جرينا على اعتبار عمل المرأة فى خارج المنزل وكدحها فى سبيل كسب المال إلى جانب الرجل أصلاً من أصول تقنيننا الاجتماعى ، فقد أخرجناها عن وظيفتها من ناحية ، وقد أخللنا بما هو مقرر فى الآية الكريمة من قوامة الرجل عليها من ناحية أخرى ؛ لأن هذه القوامة مبنية على أصلين : أحدهما فضل الرجل على المرأة فى الصلاحية للعمل خارج البيت ، وثانيهما أنه هو المكلف بالإنفاق على الأسرة .

ومع ذلك كله ؛ فقوامة الرجل على المرأة لا تقتضى تفضيله عليها فى الدين أو فى الدنيا ؛ فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ [آل عمـــران : ١٩٥] ولكن هذه القوامة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع واستقرار =

• ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] .

• ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (١) وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

[البقرة : ٢٢٨] .

= الأوضاع فى الحياة الدنيا ، ولا تَسلَم الحياة فى مجموعها إلا بالتزامها ، فهى تشبه قوامة الرؤساء وأولى الأمر ، التى لا تستلزم أن يكون الرؤساء أفضل من كل المحكومين ، ولكنها مع ذلك ضرورة يستلزمها المجتمع الإنسانى ، ويأثم المسلم بالخروج عليها مهما يكن فضله على ولى الأمر فى العلم أو فى الدين . (نقلا عن كتاب حصوننا مهددة من داخلها للدكتور محمد محمد حسين ص ١٣٩ - ١٤٢ باختصار) .

« والقوامة هى أُولَى مطالب المساواة . .

لماذا يعطى الإسلام قوامة الأسرة للرجل ، حين يقول القرآن : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ ؟

الجواب : إن الإسلام لم يفرض جديدًا ، ولم يغير مألوفًا فى هذا الموضوع ؛ ففطرة المرأة منذ فجر التاريخ أنها لا تشعر بالأمن إلا بجانب الرجل ، . وتَكِلُ إليه دائما حمايتها وحماية الأولاد ، وتتركُ له الكَدْحَ والسعْىَ والنضال وتحمل الأعباء .

وحتى اليوم لا زالت المرأة تريد من الرجل ذلك ؛ لأن هذه طبائع الأشياء . .

فقد خُلق الرجلُ قوى البدن قويَّ العضلات ، متحملاً للمكاره مقتحمًا للصعاب ، وخُلقت المرأة ضعيفةَ البدن رقيقةَ الشعور قليلةَ التحمُّل والعناء ؛ فأى ذنب جناه الإسلام حين اعترف بالواقع ، وصوَّر الحقيقة ، وحَكمَ بأن الرجال قوّامون على النساء ؟

هل تريد المرأة فى هذا العصر أن تصبح هى صاحبة القوامة . .؟!

إن القوامة معناها : المسئولية ، معناها القدرة على تحمل التبعة ، والقيام بالعبء ؛ فهى تكليف لا تشريف ، تكليف يتحمله القادر ، لا محاباةٌ واستبداد .

وقد كان المهرجون يزعمون أن قوامة الرجل على المرأة إنما كانت حين كان الرجل يتحكم فى الإنتاج ويستبد بالكسب ، أما الآن فقد أصبحت المرأة تكتسب وتنتج كالرجل ؛ فلا معنى لبقائه قيِّمًا عليها .

ولكن واقع العالم الغربى كذَّبَ هذا الظن ؛ فقد اكتسبت المرأة هناك واستقلت ، ومع ذلك لا تزال تحن لسيطرة الرجل وقوامته ، وتعمل على إيقاع نفسها تحت هذه القوامة ، ولا تشعر بالطمأنينة والأمن إلا فى ظلالها . .

فقد صدق الله وكذب المفترون . . . » (الإسلام والمشكلة الجنسية ١٩٦ - ١٩٨) .

جاء فى سِفر التكوين من التوراة ما يشير إلى هذه القوامة (١٦ - ١٧) : « وإلى رجُلكِ يكون اشتياقكِ ، وهو يسود عليكِ ! » .

(١) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : « إن الدرجة التى ذكرها تعالى فى هذا الموضوع : =

الرسولُ ﷺ الزَّوجُ الحازمُ

الآيات :

قال الله تعالى يخاطب محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم :

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ .

﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا[1] ﴾ . [الأحزاب : ٢٨ - ٢٩] .

= الصفحُ من الرجل لامرأته عن بعض الواجب له عليها ، وتغافلُه لها عنه ، إذا قصرت فى أداء كلّ الواجب لها عليه ، وذلك أن الله سبحانه قال : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ .

ثم ندب الرجال إلى الأخذ عليهن بالفضل إذا تركن أداء بعضَ ما أوجبَ الله لهم عليهن ، فقال : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ بفضلهم عليهن وصفحهم لهن عن بعض الواجب لهم عليهن .

وهذا هو المعنى الذى قصده ابن عباس بقوله : « ما أُحِبُّ أن أستطِفَّ جميع حَقِّى عليها » ؛ لأن الله تعالى يقول ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ ومعنى الدرجة الرتبة والمنزلة .

وهذا القول من الله سبحانه ، وإن كان ظاهِرهُ الخبر ، فمعناه ندبُ الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل ، ليكون لهم عليهن الفضل والدرجة [تفسير الطبرى : ٢/ ٢٨٥] فما رأىُ الرجال فى هذا التفسير ؟

ومهما كان من شأن القوامة التى جعلها الله سبحانه للرجل ، فإن المرأة المفكرة ، المرأة السليمة الفطرة تحب هذه القوامة فى رجلها ؛ تحب فيه القوة والحكم ، تحبه سيدها ومولاها وتكره فيه التخنث والميوعة والضعف .

وعلى كل حال ، فقد اكتشف أحد علماء النفس فطرةَ المرأة فى قبولها قوامة الرجل فقال : « فالرجل - كما يظهر لنا - مِن تركيبه الجسمانى مخلوقٌ ويؤثر ، والمرأة مركّبة بحيث تنفعل وتتقبل الأثر ، وتحتفظ به . . . » .

ومما سبق تتضح عدالة قوامة الرجل على المرأة ، وهو أمرٌ طبيعى أخذت به حتى فرنسا المشهورة بتطرُّفها فى حرية المرأة ؛ فقد جاء فى القانون الغربى فى المادة ٢٣٨ : « الزوج رئيس الأسرة » .

ومما يثير الدهشة أن هذه الدولة رأت محاذيرَ خروج المرأة مِن بيتها للعمل ، فأغرتها بالرجوع إليه لتشرف على تربية أطفالها ، بتعويضات مالية !!

أزمةٌ فى بيت الرسول ﷺ

(١) نزلت هذه الآيات لما طلبتْ نساء الرسول ﷺ زيادةَ النفقة ، ولم يكن بوسعه أن يزيدها ، فقاطعهن بحزم زائد طوال شهر كامل ، وأنزل الله سبحانه الآيات السالفة فى تخييرهن بين العيش مع الرسول ﷺ على طريقة حياته والصبر حتى يأتى الله بالفرج ، أو اللحاق بأهلهن ، فآثرن الله ورسوله =

لَمحةٌ من حياةِ الرسولِ ﷺ وصَحْبِهِ البسيطةِ

الأحاديث :

* قال ابن مسعود رضى الله عنه :

« دخلتُ على رسول الله ﷺ وقد نام على حصير ، وقد أثَّر فى جنبِه ، فقلت : يا رسولَ الله لو اتخذنا لك وِطاءً ، تجعله بينك وبين الحصير ، يقيكَ منه !

فقال : ما لى ولِلدنيا ! ما أنا والدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتَرَكَها » . (ت. هـ. حا. حم) وغيرُهم بسند صحيح .

= والدار الآخرة ، وعشن مع النبى ﷺ لأداء دورهن الخطير فى تأمين السعادة والطمأنينة له والتعاون معه فى نقل الإسلام إلى المسلمين .

وإلى القارئ تفصيل الخبر :

« روى مسلم فى صحيحه » ٢/ ١١٠٤ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : « دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناسَ جلوسًا ببابه لم يؤذَن لأحد منهم . قال : فأذنَ لأبى بكر فدخل ، ثم أقبل عمرُ فاستأذن فأذن له ، فوجد النبىَّ ﷺ جالسًا ، حوله نساؤه ، واجمًا ، ساكتًا ، قال : لأقولن شيئًا أُضحك النبى ﷺ ولأكلمنّ النبىَّ لعله يضحك . فقال عمر : يا رسول الله لو رأيتَ ابنةَ زيد - امرأة عمر - سألتنى النفقة آنفًا فوجأتُ عُنُقَها ! . فضحك النبى حتى بدت نواجذه وقال :

« هُنَّ حولى كما ترى يسألننى النفقة » .

فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألنَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس عنده ؟!

فقلن : والله ما نسألُ رسولَ الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده .

ثم اعتزلهنَ شهرًا ، أو تسعًا وعشرين - أى يومًا - ثم نزلت هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ حتى بلغ ﴿ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

قال : فبدأ بعائشة ، فقال :

« يا عائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمرًا أُحب أن لا تعجَلِى فيه حتى تستشيرى أبويك » .

قالت : وما هو يا رسول الله ؟

فتلا عليها الآية ، قالت :

أفيك يا رسول الله أستشير أبوىَّ ؟! بل أختار الله ورسولَهُ والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تُخْبِر امرأةً من نسائك بالذى قلتُ .

قال : « لا تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتُها ؛ إنَّ الله لم يبعثنى مُعنتًا ولا متعنتًا (أى لم يبعثنى مشددًا على الناس ولا طالبا زلتهم) ، ولكن بعثنى معلِّما ميسرًا » .

ما أحوج الرجال - وخاصة فى هذا العصر - إلى مثل حزم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فإن إلقاء الحبل على الغارب لأكثر النساء يؤدى إلى محاذير لا تُحمد عُقباها - عليهن أنفسهن - قَبل أزوجهن ! .

* وعن أبى أمامة الأنصارى قال : « ذكروا عند النبى ﷺ الدنيا فقال : ألا تسمعون !؟ ألا تسمعون !؟ إن البَذاذة [١] من الإيمان ! إن البذاذة من الإيمان ! » . (حم. هـ. ن) وهو حديث صحيح .

* قال ابن عباس : « دخل رسولُ الله ﷺ يوم فتح مكة على أم هانئ ، وكان جائعًا ، فقال لها : أعندَك طعامٌ آكله ؟ فقالت : إن عندى لَكِسَرًا يابسة ، وإنى لأستَحِى أن أقدِّمها إليك ! فقال : هَلُمِّيها ! فكسرَها فى ماءٍ ، وجاءته بملح ، فقال : ما من إدام ؟ فقالت : ما عندى إلا شىءٌ من خل ! فقال : هَلُمِّيه . فلما جاءت به صَبَّهُ على طعامه ، فأكلَ منه ، ثم حَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه ، ثم قال : نِعْمَ الإدامُ [٢] الخلُّ يا أم هانئ ، لا يُقْفِر بيتٌ فيه خلٌّ » . (ت.هـ) .

وجوبُ الاقتصادِ

الآيات :

- ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [٣] [الأعراف : ٣١] .
- ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

[الفرقان : ٦٧] .

الأحاديث :

* روى جابر عن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) البذاذة : التواضع فى اللباس وترك الزينة .

(٢) هذا طعام الرسول ﷺ يوم فتح مكة ، وقد غلب مشركى مكة فى هذا الفتح ، فما الذى منعه من إقامة الولائم الضخمة وذبح مئات بل ألوف الخراف ؟ فلا نامت أعين الحكام = = الذين يبددون أموال شعوبهم على مثل هذه الولائم لأقل وأبسط مناسبة ، بينما الجياع يتضورون جوعًا ويستغيثون ولا من مغيث !!

(٣) ما أروع هذه الآية العظيمة ، فقد جمعت نصف الطب ؛ فما أمرضَ الناس إلا من الإسرافَ ، وقد أطلقت الآية الإسرافَ ، ولم تقيده فى الطعام والشراب ؛ فإن الإسراف مضرٌّ فى كل شىء ، وخاصة فى الجماع !

« فِراشٌ للرجل ، وفِراشٌ لامرأته [١] ، والثالث للضيف ، والرابع للشيطان » [٢] . (م) .

- أخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال :

« لمّا بويع أبو بكر ، أصبح على ساعدِه أبرادٌ (أثوابٌ) وهو ذاهب إلى السوق ، فقال عمر : أين تريد ؟ قال : إلى السوق . قال : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟! قال : ومِن أين أُطعم عيالى ؟ فقال : انطلِق يَفْرِض لك أبو عبيدة . فانطلقا إلى أبى عبيدة ، فقال : أفرِضُ لك قوتَ رجلٍ من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف ، إذا أخلقْتَ شيئًا رددتَه وأخذتَ غيرَه . ففرضا له كلَّ يومٍ نصفَ شاة ، وما كساه فى الرأس والبطن » .

---

(١) قال الإمام النووى : « . . وأما تعدد الفراش للزوج والزوجة ، فلا بأس به ؛ لأنه قد يحتاج كلٌّ منهما إلى فراش عند المرض ونحوه وغير ذلك ، واستدل بعضهم بهذا على أنه لا يلزمه النوم مع امرأته ، وأن له الانفراد عنها بفراش ، والاستدلال به فى هذا ضعيف ؛ لأن اجتماع الزوجين فى فراش واحد أفضل ، وهو ظاهرُ فعلِ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى واظب عليه » .

(٢) قال محمد صديق حسن خان - وكان من أمراء الهند وعلمائهم - فى كتابه « الدين الخالص » (٥٣٦/٤) تعليقًا على هذا الحديث المراد منه : عدمُ اقتناء شىء ليس ضروريًا . وفى باب الفراش : ما روى جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : فراش للرجل ، وفراش لامرأته ، والثالث للضيف ، والرابع للشيطان » . رواه مسلم .

أفاد الحديث كراهة الزيادة فى جمع الملابس ، وأرشد إلى المحتاج إليها منها وهو ثلاثة فرش فقط ، وما زاد على ذلك ففيه حظٌّ للشيطان ؛ لأنه يجر إلى التفاخر والمخيلة ، والسرف ، والرياء ، والسمعة .

هذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يقول كذلك ، ويرشد أمته إليه .

والناس غلوا فى الإسراف حتى يجمع أحدهم عنده من الثياب ما لا يأتى عليه الحصر ، ويكون لكل واحد من الرجال والنساء - أهل الترف والسعة - أثواب كثيرة ، مزوقة بأصناف الكلفات ، ينفقون فى إعدادها ألوفًا من الأموال ، وصنوفًا من التمويه والتطريز ، حتى فاق الحصر لها ، وذلك فى هذا الزمان كثير .

ولا ريب أن هذه العناية منهم فى تحسين الزى بلغت بهم حد السرف والتبذير ، وأدخلتهم فى عداد المسرفين المبذرين إخوان الشياطين .

وهؤلاء يبذلون مالَهم الحلال أو الحرام فى هذا ، والناسُ الفقراء المسلمون فى عظيم فاقةٍ ، وحاجة إلى ستر السوءة ، وتغطية العورة منهم .

فلو أنفقوا هذه الزيادة على الدولة ، وهذا الفضلَ من المال عليهم ، لَكان لهؤلاء أجرٌ ، واستحقوا الثوابَ العظيم ، وكانوا فى عِداد من قال الله فيهم : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ولكن أنَّى لهم التناوش من مكان بعيد .

* وأخرج الطبرانى فى معجمه عن الحسن بن على بن أبى طالب قال : « لمّا احتضر أبو بكر قال : يا عائشة : انظرى اللقحةَ التى كنا نشرب مِن لبنها ، والجفنةَ التى كنا نصطبغ فيها ، والقطيفةَ التى كنّا نلبسها ، فإنَّا كنا ننتفع بذلك حين كنّا نَلِى أمْرَ المسلمين ، فإذا مِتُّ فارددِيه إلى عمر ؛ ليرُدَّه إلى بيت مال المسلمين » .

* وقال علىٌ رضى الله عنه :

« بينما نحن جلوسٌ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ طلعَ علينا مُصعبُ ابنُ عمير ، ما عليه إلا بردةٌ مرقعةٌ بفرو ، فلمّا رآه ﷺ بَكَى لِلذى كان فيه مصعبُ من النعمة ثم قال : كيف بكم إذا غدا أحدكم فى حُلَّة وراح فى أخرى ، ووُضعتْ بين يديه صفحةٌ ورُفعت أخرى ، وسترْتُمْ بيوتَكم كما تُستر الكعبة ؟

قالوا : يا رسول الله ؛ نحن يومئذٍ خيرٌ مما نحن فيه اليوم ، نُكْفَى المؤنة ، ونتفرَّغ للعبادة .

قال : بل أنتم خيرٌ [١] منكم يومئذ » .

* « إذا أصبحتَ آمنًا فى سربك ، معافًى فى بدنك ، عندك قوتُ يومِك ، فكأنما حِيزتْ لك الدنيا بحذافيرها » . (ت) ح .

وجوبُ صبرِ المرأةِ على فقرِ زوجِها [٢]

الأحاديث :

* عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لعروة :

---

(١) صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فإن المسلمين - أكثر المسلمين - ما كادت تُفتح لهم الدنيا ، ويكثر المال بين أيديهم حتى بطروا معيشتهم واستسلموا للراحة والتنعم ، وانغمسوا فى اللذات وتركوا الجهاد وأهملوا الواجبات وتكالبوا على الدنيا حتى أتاهم داءُ الأمم ، فتنازعوا وضعفوا ، فطمعَ فيهم الأعداء واستولوا عليهم ، وذهبت دولتهم ، وقد أضاعوا بذلك الدنيا والدين ، وذلك هو الخسران المبين .

(٢) كذلك ينبغى للمرأة الصبرُ على قبح زوجها بعدما اختارته زوجًا بملء حريتها !

ومن طريف ما يروى بهذه المناسبة أن رجلاً دخل على امرأته - وكان قبيحًا دمسًا قصيرًا - وقد تزينت ، وكانت امرأةً حسناء ، فلما نظر إليها ازدادت فى عينه جمالاً وحسنًا ، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها ، فقالت :

ما شأنكَ ؟! =

« يا ابن أخي ! إنَّا كنا ننظرُ إلى الهلال ثم الهلال ، ثم الهلال ، ثلاثةُ أهلةٍ فى شهرين ، وما أُوقدتْ فى أبيات رسول الله نارٌ ! فقلت : يا خالة ما كان عيشكم ؟

قالت : الأسودان ؛ التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار لهم منائح [١] ، وكانوا يمنحون رسولَ الله ﷺ مِن ألبانها فيسقينا » . (خ) .

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت :

« ما شبعَ آلُ محمدٍ مِن خبز الشعير يومين متتابعَيْن حتى قُبِضَ » .

* « سُئل سهل بن سعد : هل أكل النبىُّ النقى [٢] ؟ فقال : ما رأَى رسولُ الله النقى منذ ابتعثَه اللهُ حتى قَبَضَه » [٣] . (خ) .

* قال أنس بن مالك خادمُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أعلمُ النبىَّ ﷺ رأى رغيفًا مرقَّقا حتى لحقَ بالله ، ولا رأى شاةً سميطًا [٤] بعينه قَطّ » . (خ) .

* وكان ﷺ يقول : « اللهمَّ اجعل رزقَ آل محمد كَفافًا [٥] » ، وفى رواية : « قوتًا » [٦] . (خ . م) .

= قال : لقد أصبحت والله جميلة والحمد لله .

فقالت : أبشِرْ ؛ فإنِّى وإيَّاك فى الجنة .

قال : ومن أين علمت ذلك ؟

قالت : لأنك أُعطيتَ مثلى فشكرتَ ، وابتُليتُ بمثلك فصبرتُ ؛ والصابر والشاكر فى الجنة .

وحُكى أن ملكًا - وكان بصحبته وزير - مرَّ بدارٍ كالغار ، وفيها ضوء نار ، فذهب إليها ، فإذا فيها رجلٌ خَلِقُ الثياب متَّكِئٌ على تل من تراب ، بين يديه طعام بسيط فى إناء من الفخار ، وامرأته بين يديه تحييه بتحية الملوك ، وهو يحييها بتحية سيدة النساء ، فغبطهما هذا الملك وقال : حقًّا ما يقول الصالحون ؛ إنهم فى لذة لو علم بها الملوك لقاتلوهم عليها .

(١) منائح : جمع منيحة وهى الشاة تُعار لِيُنتفع بلبنها .

(٢) النقى : الخبز الخالى مِن النخالة .

(٣) أى انتقل إلى جوار ربه .

(٤) السميط : المشوى .

(٥) كفافًا : أى لا يزيد على الحاجة ولا ينقص .

(٦) قد يسأل سائل : ما سبب هذا التقتير والخشونة ؟ الجواب عن هذا السؤال يتناول نواحى عديدة منها : أن زيادة التنعيم يرهل الجسم ، ويميع النفس ، ويجمد العاطفة . وليس هذا شأن أمة تريد بناء المجد ودخول التاريخ بصفحات من نور ، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إياك والتنعُّم ؛ فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » ومنها تعليم الزعماء والمسئولين التعفف عن أموال =

* « أتت فاطمةُ رضى الله عنها النبىَّ ﷺ تشكو إليه ما تَلْقَى فى يدها مِنَ الرَّحى - وبلَغَها أنه جاءه رقيقٌ - فلم تصادِفْه ، فذكرتْ ذلك لعائشة رضى الله عنها . فلما جاء ﷺ أخبرتْه عائشة . قال علىٌّ رضى الله عنه : فجاءنا ﷺ - وقد أخذنا مضجَعنا - فذهبنا نقوم ، فقال : علَى مكانِكما !. فجاء فقعد بينى وبينها حتى وجدتُ بردَ قدَمَيْه على بطْنِى ، فقال :

ألا أدلُّكما على خيرٍ مما سألتما ؟ إذا أخذتُما مضاجعكما ، أو إذا آويتُما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين ، واحمدا ثلاثًا وثلاثين ، وكَبِّرا ثلاثًا وثلاثين ؛ فهذا خيرٌ لكما مِن خادم » [١] .

* قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما :

« تزوَّجَنى الزبير ، وما لَهُ فى الأرض مِن مالٍ ولا شىء غيرَ فَرَسِه وناضِحَه - (أى بعيره) الذى يستقى عليه - فكنت أعلفُ فرسَه » - زاد مسلم : «وأسُوسُه ، وأدقُّ لناضحه ، وأستقى الماءَ ، وأخرز غَرْبَهُ - أى أضبط دلوه بالخرز - وأعجن [٢] . وكنت

= شعوبهم التى اعتادوا أكلها بالباطل . ومنها تفضيل الفقراء من أهل الصُّفَّة الذين كانوا يتضورون جوعًا على ترفيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه وأهله ، وقد كان بمقدوره التوسعة على نفسه بأموال المسلمين من الغنائم ، ولكن لم يفعل ؛ فلا نامت أعين البيوتات الغنية التى لا تفكر إلا بسعادتها وتبذيرها ، ولا نامت أعين الزعماء الذين يبنون سعادتهم على شقاء شعوبهم ، ومنها تعليم المسلمين بساطة العيش وحضُّهم على ترك الإسراف والتبذير ، وإعطاؤهم الدروس العملية فى إمكانية الحياة بأقل النفقات .

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرًا ما يدخل على أهله فيسألهم طعامًا ، فإذا لم يجد قال : « إنى صائم ! » أى صومَ التطوّع ، وأما صوم الفرضِ فيجب تبييتُ النية فيه قبل الفجر .

ودخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يومًا على زوجه فسألها طعامًا ، فقالت : ليس عندنا غيرُ كسرات من الخبز الجاف ، فتناولها عمرُ وصَبَّ عليها قليلاً من الماء والخَلِّ وأكل حتى شبع ، ثم قال : « لا بارَكَ الله فى مَن أدخلَه جوفُه النارَ » !.

ما أجدرنا ونحن نتحدث عن الزواج الإسلامى أن نذكِّر الزوجة بما سبق ، وبضرورة الحياة البسيطة ، والتخطيط لاقتصاديات البيت ؛ فكم كان التبذير سببًا فى شقاء الأسرة ووقوعها تحت أعباء الديون وتشريد أفرادها وافتراق الزوجين نتيجة الإسراف وطلب إرضاء الناس والرغبة فى الشهرة والتفاخر .

(١) فلا نامت أعين الزعماء الذين يرفهون عيالهم ، وشعوبهم تشقى من التعب والجوع والعرى .

(٢) يُحكى عن نبى الله إبراهيم أنه زار ابنه إسماعيل عليه السلام فى مكة ، فلم يجده ، فسأل امرأته عنه ، فقالت : خرج يبتغى لنا . فسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت تشكو إليه : نحنُ بِشَرٍّ ، نحن فى ضيق وشدة . =

وكنت أنقلُ النوى على رأسى مِن ثُلُثَىْ فرسخ - وهو نَحْوٌ مِنْ مَشْيِ ساعة - حتى أرسل أبو بكر بخادمٍ يكفينى سياسةَ الفَرَس ، فكأنما أعتقنى »[1] . الحديث (خ) .

الترغيبُ فى النفقةِ على الزوجةِ

الأحاديث :

* « دينارٌ أنفقتَه فى سبيل الله ، ودينار أنفقتَه فى رقبة ، ودينارٌ تصدقتَ به على مسكين ، ودينارٌ أنفقتَه على أهلك ، أعظمُها أجرًا الذى أنفقْتَه على أهلك » . (م) .

* « وإنك لن تنفقَ نفقةً تبتغِى بها وجهَ الله إلا أُجِرْت عليها ، حتى ما تجعلُ فى فىّ امرأتك » . (خ) .

* « إذا أنفق الرجلُ على أهله نفقةً ، وهو يحتسبها ؛ كانت له صدقة » . (خ . م . ت . ن) .

= قال إبراهيم : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغيِّر عتبةَ بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنَسَ شيئًا ، فقال : هل جاءكم أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخٌ كذا وكذا فسألنا عنك ، فأخبرته ، وسألنى كيف عيشُنا ، فأخبرتُه أنّا فى جهد وشدة . قال : فهل أوصاكِ بشىء ؟ قالت : نعم . . . أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول : غَيِّر عتبةَ بابك ، قال : ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقكِ ، الحقِى بأهلك ، فطلَّقها وتزوَّج أخرى .

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء - وكان فى فلسطين - ثم أتاهم بعدُ فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغى لنا ، قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله تعالى ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحمُ ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهمَّ بارِكْ فى اللحم والماء . ثم قال : فإذا جاء زوجُكِ فاقرئى عليه السلام ، ومُريه يُثبِّتُ عتبةَ بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم مِن أحَد ؟! قالت : نعم أتانا شيخٌ حسن الهيئة ، وأثنت عليه ، فسألنى عنك فأخبرتُه ، فسألنى كيف عيشنا ، فأخبرته أنّا بخير ، قال : فأوصاكِ بشىء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليكَ السلام ويأمرك أن تثبت عتبةَ بابك ، قال : ذاك أبى ، وأنت العتبة ، أمرنى أن أُمسكِكِ وأحتفظ بك .

وبمناسبة هذه القصة الطريفة قد يعرض السؤالُ التالى على خاطر بعضهم : هل يجب على الولد شرعًا أن يطلِّق امرأته إذا طلب منه أبوه أو أمه ذلك ؟

الجواب : ليس الأمر على إطلاقه ، بل ينظر فى هذا الأب - ومثله الأم - فإذا كان حكيمًا تقيًّا بعيدًا عن الهوى لَبَّى دعوتَه ، وقديمًا طلبَ عمرُ بن الخطاب من ابنه رضى الله عنهما أن يطلِّق زوجته ، فسارع إلى طلاقها ، ولكن هل الآباء كلهم بحكمة هذا الرجل العظيم ؟!

(١) راجع تتمة الحديث فى بحث « الغيرة المحمودة والغيرة المذمومة » .

* « ما أطعمتَ نفسَكَ فهو لك صدقة ، وما أطعمتَ ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمتَ زوجتك فهو لك صدقة » . (حم) ص .

تهديدُ من يبخلُ على أهلِهِ

الآيـة :

● ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

[الفرقان : ٦٧] .

الأحاديث :

* « كَفَى بالمرء إثمًا أن يُضَيِّع مَن يَقوت » . (م) .

* « إن اللهَ سائلٌ كلَّ راعٍ عمّا استرعاه ، حفظَ أم ضيَّع ؛ حتى يُسأل الرجلُ عن أهل بيته » . (حب فى صحيحه) .

ثوابُ السعيِ على العيالِ

الأحاديث :

* عن كعب بن عُجرة قال :

« مرَّ على النبى ﷺ رجلٌ ، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ مِن جَلَده ونشاطه، فقالوا : يا رسول الله ؛ لو كان هذا فى سبيل الله ؟! .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنْ كان خرجَ يسعى على ولده صغارًا فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإنْ كان خرج يسعى رياءً وتفاخرًا فهو فى سبيل الشيطان » . (طب) ورجالُه رجالُ الصحيح .

* « إن المعونة تأتى من الله على قدر المؤنة ، وإن الصبرَ على قدْرِ البلاء » .

(رواه البزار وسنده حسن) .

* « ما مِن يَوْم يُصبح العبادُ فيه إلا مَلَكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أَعْطِ مُنفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا » . (خ.م) وغيرهما .

حُكْمُ الزوج البخيل

الأحاديث :

* قالت هندُ امرأة أبى سفيان :

« يا رسولَ الله . . إن أبا سفيان رجلٌ شحيحٌ ليس يُعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم .

فقال : خُذى ما يكفيكِ ووَلَدَكِ بالمعروف » [١] (خ) وغيره .

الحضُّ على الإكثار من النَّسلِ

الآيات :

- ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ ﴾ [يس : ١٢] .
- ﴿ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

الأحاديث :

* « تزوَّجوا الوَدودَ الوَلودَ ؛ فإنى مكاثرٌ بكم الأمم » [٢] . (د . ت) ص .

---

(١) المراد من الحديث أخذ ما لا بد منه مما هو ضرورى .

وبمناسبة الكلام عن بخل الرجل نذكر هذه النادرة المضحكة : خاصمت امرأة زوجها فى تضييقه عليها فقالت : والله ما يقيم الفأرُ فى بيتك إلا لحب الوطن ؛ وإلا فهو يسترزق من بيوت الجيران !!

ويحكى بمناسبة الكلام عن بخل الرجل وشدة محاسبة أهله ما ذكره الإمام ابن الجوزى فى كتابه (الأذكياء) :

« خطب المغيرةُ بن شعبة وفتًى من العرب امرأةً ، وكان الفتى جميلاً ، فأرسلت إليهما المرأة ، فقالت :

إنكما خطبتمانى ، ولست أجيبُ أحدًا منكما ، دون أن أراه وأسمع كلامه ، فاحضرا إن شئتما .

فحضرا ، فأجلستْهما بحيث تراهما ، وتسمع كلامَهما .

فلما رأى المغيرةُ الفتى ونظر إلى جماله وشبابه وهيئته يئسَ منها وعلمَ أنها لن تؤثره عليه .

فأقبل على الفتى - وقد فكَّر فى مَخرَج - فقال له : لقد أوتيتَ جمالاً وحسنًا وبيانًا ، فهل عندك سوى ذلك ؟!

قال : نعم ، فعدَّد محاسنه ثم سكت .

فقال له المغيرة : كيف حسابك ؟

قال : ما يسقط علىَّ منه شىء ، وإنى لأستدرك منه أدقَّ مِن الخردلة !

فقال له المغيرة : لكننى أضع البَذْرة فى زاوية البيت ، فينفقها أهلى على ما يريدون ، فما أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرَها .

فقالت المَرأة (فى نفسها) : والله - لهذا الشيخُ الذى لا يحاسبنى أحبُّ إلىَّ مِن هذا الذى يُحصى علىَّ مثل صغير الخردل ، فتزوجت بالمغيرة » .

(٢) أين هذا التوجيه النبوى فى الحض على زيادة النسل وعدد السكان لما له من الفوائد الاقتصادية والعسكرية والسياسية ، من الدعوة لتحديد النسل عند الشعوب النامية من قِبَل المستعمرين =

* « إذا مات ابنُ آدم انقطعَ عَمَلُه إلا من ثلاث :
صَدَقةٍ جارية ، أو عِلمٍ يُنتفع به ، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدْعُو له » . (م) .

= وأبواقهم المقلدين لهم من بعض أبنائنا ؟! وحجَّتُهم فى ذلك قلة المواد الغذائية لدى هذه الشعوب ، وخشية المجاعة . . .

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ ؛ فإن أكثر أراضى البلاد النامية غير مستثمرة ، ولو ساعد هؤلاء المستعمرون أهلَها على إصلاحها واستثمارها لَكَفتْهم ، مع مضاعفة عددهم . كما ساعدوا « إسرائيل » فى إصلاح أراضى فلسطين فباتت تصدِّر للعالم الكثيرَ والكثيرَ من منتَجاتها على الرغم من تزايد سكانها المستمر عن طريق هجرة اليهود إليها من مختلف أنحاء العالم ، وخاصة من الاتحاد السوفيتى .

ولنأخذ مثالاً على ذلك جمهورية مصر العربية التى يضربون بها الأمثال على الخشية عليها من المجاعة بسبب ازدياد سُكانها ، فإن ٩٧٪ من مساحتها صالح للزراعة ولا يستثمر منه حاليًا إلا حوالى ٤٪ كما صرح بذلك الرئيس السابق جمال عبد الناصر لوكالة الـ « أسوشتدبرس » ، والباقى مهجور (صوت الإسلام العدد ٨٤) ربيع الثانى ١٣٨٧ (تشرين أول - أكتوبر ١٩٥٩) .

ومن الغريب المخجل أن الدوائر الاستعمارية فى حين أنها تدعو مصر لتحديد النسل مع أن كثافة السكان فيها لا تزيد على ١١ شخصًا فى الكيلو متر المربع ، وأن جملة سكانها ٣٧ مليونًا . . . لا تدعو الولايات المتحدة التى يزيد عدد سكانها على ٢٠٠ مليون والكثافة فى الكيلو متر المربع ٢٥ شخصًا ،ولا تدعو سكان إنجلترا وهم ٥٥ مليونًا وكثافتهم ٢٢٥ شخصًا فى الكيلو متر المربع . . . إلى تحديد النسل ؟!

ولا تدعو سكان روسيا الأوروبية وهم ١٨٠ مليونًا والكثافة فيها ٣٥ شخصًا .

مع العلم أن هذه الدول وأمثالها تشجع على زيادة النسل وتضع المكافآت المالية لذلك مما لا يتسع المجال لتفصيله ، فعلى من يريد الاطِّلاع فليرجع إلى كتاب « أهداف الأسرة فى الإسلام والتيارات المضادة » للأستاذ حسين محمود يوسف الذى أخذنا منه هذه المعلومات الهامة فى هذا البحث .

والحقيقة التى تختفى وراءها دعوةُ تحديد النسل ليست قلة المواد الغذائية ، بل خوف المستعمرين من كثرة زيادة سكان البلاد النامية ، الذى يهدد أغراضهم ، وهم لا يكتفون بالدعاية المغرضة فحسب ، بل يدْعون لاستعمال القوة والوسائل الإجبارية لتحقيق ذلك والقيام بعمليات الإفناء بالجملة كما يفعل المستعمرون فى جنوب أفريقية ضد السكان الأصليين ، وفى الفلبين ضد المسلمين .

كما يدعون إلى وضع مركَّبات منع الحمل فى الغذاء المرسل للدول النامية ، والتهديد بقطع المعونات الاقتصادية للدول التى لا توقف تزايد سكانها . . فيا للخيانة .

وهناك رأىٌ أعلنه « وليم شوكلى » الأستاذ بجامعة استانفورد بشيكاغو ، طالب فيه بصراحة بتعقيم الزنوج مقابل منحهم مكافآت مالية من جانب الحكومة ، والتعقيم معناه الواقعى الحكمُ بالإعدام على الجنس الزنجى فى أمريكا . =

الأذانُ فى أُذُنِ المولودِ

الأحاديث :

* قال أبو رافع رضى الله عنه :

« رأيتُ رسولَ الله ﷺ أذَّن فى أُذن الحسن بن على حين ولدته فاطمةُ رضى الله عنهم جميعًا » . (د.ت) ص .

استحبابُ تحنيكِ المولودِ والدعاءِ لهُ

الأحاديث :

* عن أبى موسى قال :

« ولدَ لى غلامٌ ، فأتيتُ به إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فسمَّاه إبراهيمَ ، وحنَّكه بتمرةٍ ، ودعا له بالبركة ودفعه إلىَّ » . (خ.م) .

= ولو أنصف الأمريكان - وأنَّى لهم ذلك - لحكموا على هذا الأستاذ بالسجن المؤبد فى أعماق السجون ، أو لَحُكم عليه بالإعدام لحرمانه من العاطفة الإنسانية والأمانة العلمية .

وقد أنفقت الولايات المتحدة بلايين الدولارات لتحديد نسل الدول النامية ، منها توزيع أجهزة وعقاقير منع الحمل مجانًا ، وإجراء عمليات الإجهاض بسرية كاملة .

كلُّ ذلك تفعله هذه الدول الاستعمارية على الرغم من الأخطار الصحية لحبوب منع الحمل فى ولادة المشوَّهين .

ولو كانت هذه الدول الكبرى صادقةً فى دعواها لخدمة البشرية ، لَتقدمتْ بالمساعدة الضرورية - لا السخية - للدول النامية التى تعيش فى ضيق ؛ لا بسبب زيادة سكانها ، بل نتيجة الأزمات الاقتصادية المفتعلة غالبًا التى تُحدثها هذه الدول الاستعمارية فى البلاد الفقيرة ، بينما هى تنفق البلايين على اقتناء ملايين الكلاب التى يكلف كل واحد منهم عشرين جنيهًا شهريًا وقد ثبت ضررها صحيًا ، وعلى اختراع الأسلحة المدمرة لتهلك البشرية وتبيع بعضَها إلى هذه الشعوب الفقيرة بعد إثارة الفتنة والعداوات بينها ؛ كل ذلك بدلاً من مساعدتها على إصلاح أراضيها .

هل تعلم أن نسبة دخل الفرد فى الدول الغنية يبلغ ٨٧٪ بينما يبلغ فى الشعوب النامية ٧,٥٪ ؟! .

مما سبق ندرك ونتحقق أن الدعوة لتحديد النسل التى تتبناها الدول الكبرى ، هى استعمارية محضة تخدم « إسرائيل » فى الدرجة الأولى . . فلنكن منها على حذر ولنضع أمام أعيننا وفى قلوبنا قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « تزوَّجوا الوَدودَ الوَلودَ ؛ فإنى مكاثرٌ بكم الأمم » .

وهذا من إعجاز أقوال الرسول ﷺ العلمية .

وجوبُ العقيقةِ والختانِ [١]

الأحاديث :

* « مع الغلام عقيقةٌ ، فأهْرِيقوا عنه دمًا ، وأميطوا عنه الأذَى » . (خ.م) .

* « كلُّ غلام مرتهنٌ [٢] بعقيقته ، تُذبح عنه يوم سابعه ، ويُسَمَّى فيه ، ويُحلَق رأسُه » [٣] . (د.ن.ت) وغيرهم .

---

(١) جاء فى كتاب « حياتنا الجنسية » للدكتور صبرى القبانى :

« إن الختان تدبيرٌ صحىٌ عظيم يَقِى صاحبه كثيرًا من الأمراض والاختلاطات ، وفى الختان بعض الفوائد نذكر منها :

١ - بقطع القلفة يتخلص من المفرَزات الدهنية والسيلان الشحمى المقزز للنفس ، ويُحال دون إمكان حدوث التفسخ والإنتان .

٢ - بقطع القلفة يتخلص المرءُ من خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد .

٣ - يقلُّ بالختان إمكانية الإصابة بالسرطان ، وقد ثبت أن السرطان كثير الحدوث فى الأشخاص المتضيقة قلفتهم ، بَيْدَ أنه نادر جدًا فى الشعوب التى توجب عليهم شرائعهم الدينية الختان .

٤ - إذا أسرعنا فى ختان الطفل أمكنا تجنيبه الإصابة بسلس البول الليلى . ويبول كثير من الأطفال فى فراشهم ليلاً بسبب انعكاس عصبىّ مصدرُه القلفة المتخرشة .

٥ - يُخفَّفُ بالختان خَطَرُ الإكثار من استعمال العادة السرية ؛ لأن وجود القلفة ووجود مفرزاتها يثير الأعصاب التناسلية المنبثة حول قاعدة الحشفة وتدعو المراهق إلى حكها والاستزادة من مداعبتها ومداعبة عضوه .

٦ - ويبدو أن للختان تأثيرًا غير مباشر على القوة الجنسية ؛ فقد تبين من إحصاءات بعض المعاهد العلمية ، أن المختونين تطول مدة الجماع عندهم قبل القذف أكثر من غير المختونين ، لذلك فهم أكثر استمتاعًا باللذة وأكثر إمتاعًا للمرأة وإرضاءً .

ويعلل « فهلنجرى » أسباب الختان حسب مطالعته فيقول : « إن هدف الختان الأصلى هو على الأرجح إطالة مدة الجماع ؛ إذ إن طرَف العضو المختون يحتاج إلى وقت طويل من العضو غير المختون ليبلغ ذروة التهيج . . . » ا. هـ .

ومما يؤسف له أن أحد الأطباء مدفوعًا بالتعصب المزرى يقول لتلاميذه إن الختان مضر بالصحة ! على الرغم من البراهين الكثيرة العلمية على فوائده !

وقد جاء فى مجلة « طبيبك » (ع ١٧٧ س١٥ ص١٠٠٤) : «لقد دلت الإحصاءات على أن نسبة سرطان الرحم عند زوجات المسلمين أقل بكثير من نسبته عند زوجات غير المختونين !!»

(٢) ذكر البيهقى عن سليمان بن شرحبيل ، حدثنا يحيى بن حمزة قال : قلت لعطاء الخراسانى : ما « مرتهنٌ بعقيقته » ؟ قال : « يُحْرَمُ شفاعة وَلَدِه » وهذا ما يشير إلى وجوبه .

(٣) جرَّبنا حلق رأس المـــولود وجرّبه غيرُنا فأعطى أحسن النتائج كالشعر الكثيف اللامع ، =

* « عن الغلام شاتان مكافئتان ، وعن الجارية شاةٌ » . (حم . ت) ص .
« عَقَّ [١] رسولُ الله ﷺ عن الحسن والحسين ، وخَتَنَهما لسبعة أيام » . (هق) ص .
* « اجعلوا مَكانَ الدم خَلوقًا [٢] - يعنى فى رأس الصبى يوم الذبح له » . (حب) ص .

أَحَبُّ الأسماءِ إلى الله

الأحاديث :

* « أحَبُّ الأسْماءِ إلى الله عبدُ الله [٣] وعبدُ الرحمن » . (م . د . ت) .
* « تسَمُّوْا باسمى ولا تكنُّوا بكُنيتى ؛ فإنما أنا أبو القاسم ؛ أَقْسِمُ بينكم » . (م) عن جابر .

ما تُلَقَّنُ به الصبىَّ إذا أفصحَ بالكلامِ

« لا إلهَ إلاّ الله » [٤]

الأحاديث :

* ما يوصَى به الصبى من مبادئ التوحيد إذا عقلَ وميَّزَ :

= وكان النبى ﷺ يزن هذا الشعر ويتصدق بوزنه ذهبًا أو فضة . والحَلْقُ يكون بالموسى . . . وفاعِلُهُ يحتاج إلى مران .

(١) إن العقيقة واجبٌ دينئ على المستطيع بدليل الأحاديث السابقة ، وهو مجهول - ويا للأسف - وقد قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فى كتابه « تحفة المودود بأحكام المولود » ما ملخصه :

« ومن فوائد العقيقة : أنها قربانٌ يقرَّب به المولود فى أول أوقات خروجه إلى الدنيا . . . ومن فوائدها : أنها تفك رهان المولود ؛ فإنه مرتهن بعقيقته حتى يشفع لوالديه . ومن فوائدها : أنها فديةٌ يُفْدَى بها المولود كما فدى الله سبحانه إسماعيل بالكبش » . (ص ٣٩) .

ولعل من فوائد العقيقة أيضًا ، اجتماع الأقارب والأصدقاء فى الوليمة .

(٢) الخَلوق : نوعٌ من الطيب . أخرج ابن حبان بسند صحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كانوا فى الجاهلية إن أعقوا عن الصبى خضبوا قطنةً بدم العقيقة ، فإذا حلقوا رأس الصبى ، وضعوها على رأسه ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « اجعلوا مكان الدم خلوقًا (أى طِيبًا) . . . » .

(٣) ومن فائدة هذه التسمية أن الطفل إذا وعى وعقل أدرك أنه عبدٌ لله ، وأن الله تعالى هو إلهه ومولاه .

(٤) قال الإمام ابن القيم فى كتابه السابق : « فإذا قربَ الأطفالُ مِن وقت التكلُّم وأريد تسهيل =

* « يا غلام ! إنى معلِّمك كلمات : احفظ اللهَ عز وجلَّ يحفظْكَ ، احفظِ اللهَ تجده تُجاهك . إذا سألت فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله .

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشىء لم يَضُرُّوك إلا بشىء قد كتبه الله عليك .

رُفِعت الأقلام وجفَّت الصُّحُف »[1] . (حم . ت . ك) ص .

= الكلام عليهم ، فليدلك ألسنتهم بالعسل والملح الإندرانى لما فيهما من الجلاء للرطوبات الثقيلة المانعة من الكلام ، فإذا كان وقت نطقهم ، فليلقنوا : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » وليكن أول ما يقرع مسامعهم اسم الله سبحانه وتوحيده ، وأنه سبحانه فوق عرشه ، ينظر إليهم ويسمع كلامهم ، و﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] . أى بعلمه كما قال ابن عباس رضى الله عنه وغيره من الصحابة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] .

ولا يجوز بحال من الأحوال أن يقال : إن الله تعالى فى كل مكان بذاته ، كما قال جميع علماء السلف ؛ فهو سبحانه مستوٍ على عرشه ، بائنٌ عن خلقه، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، مصداقُ ذلك قوله سبحانه : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ وقوله : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ ، وقول رسول الله ﷺ للأَمَةِ يختبر إيمانها : « أين الله ؟ » فأجابته : فى السماء ، فأقرَّها على ذلك ، ومن قال : إن الله فى كل مكان كفر والعياذ بالله !

(١) عن ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « يا غلام . . . » وهذا الحديث يشتمل على أعظم مبادئ التوحيد ؛ بإطاعة الله تعالى ، وعدم الاستعانة والاستغاثة بغيره ، ولزوم التوكل عليه ، والإيمان بعقيدة القضاء والقدر . . . مما يثير فى النفس العزةَ والإقدام والعملَ لله وعدم الخشية من أحدٍ غيره . .

فأين أكثر المسلمين اليوم من توجيهات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا الحديث ؛ فغالبيتهم - ويا للأسف - يقصدون غيرَ الله سبحانه فى حلفهم ونذرهم واستغاثتهم ، وذبحهم ؛ فيذهبون إلى قبور الأنبياء والأولياء ويرتمون على قبورهم ويتمرَّغون بها - كالدواب - وينادونهم فى الشدائد ، ويطلبون منهم حاجاتهم ، وهم لا يملكون لأنفسهم - لما كانوا أحياءً - ضرًّا ولا نفعًا ، كما جاء وصفهم فى القرآن العظيم ، فكيف يملكون لغيرهم بعد موتهم ؟! فيا للجهل والحماقة والشرك ! قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لابنته وحبيبة قلبه فاطمة رضى الله تعالى عنها فى الحديث الصحيح : « يا فاطمة لا أُغنى عنك من الله شيئا » .

وفيما يلى نذكر بعض الآيات القرآنية التى يسخر الله تعالى بها ممن يدعو غيره ويهدده بأسوأ مصير : ﴿ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ [الحج : ١٣ ، ١٤] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٩٤] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ [الحج : ٧٣] .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

ما تُعلمهُ لطفلكَ مِن آدابِ المائدة

الأحاديث :

« يا غلام ! إذا أكلتَ فقل : بسم الله ، وكُل بيمينك ، وكُل ممّا يليك » [١] . (طب) ص.

ملاطفةُ الرسولِ ﷺ للأطفالِ

الأحاديث :

* « كان رسولُ الله ﷺ لَيُدْلِعُ لِسَانَه للحسن بن على رضى الله عنه فيرى الصبىّ حمرةَ لسانهِ ، فيبهسُ إليه » [٢] (خب) . ح .

* « كان رسول الله ﷺ يُصَلِّى ، فإذا سجدَ وثبَ الحسنُ والحسين على ظهره ، فإذا أرادوا أن يمنعوهما ، أشار إليهم أنْ دَعوهما ، وذلك فى المسجد [٣] .

---

(١) قال أبو حفص ربيبُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وكانت يدى تطيش فى القصعة ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا غلام سَمِّ الله . . . » وفى هذا الحديث دليل على أن التسمية على الطعام هى « بسم الله » فقط . وقد جاء فى حديث عائشة مرفوعًا :

« إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل : بسم الله ، فإن نسِىَ فى أوّله ، فليقل : بسم الله أوله وآخره » (ت) ص .

(٢) قوله : فيبهس : أى يسرع ، وفى « النهاية فى غريب الحديث » : « يقال للإنسان إذا نظر إلى شىء فأعجبه واشتهاه وأسرع إليه : بَهسَ إليه » .

(٣) أين هذا الصنيع من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من فعل كثير من المغفلين الذين يقسون على الأطفال فى المسجد إذا بدرت منهم بادرةُ عبثٍ أو لعبٍ ، فيزجرونهم ويؤنبونهم ، فينفِّرونهم من بيوت الله ، وفى ذلك خسارة مدمرة ، وقد كان الصحابةُ رضوان الله عليهم يعلقون قنوَ التمر (الغصن) ليأكل منه الأولاد وغيرُهم فى المسجد ، ولو كان لى من الأمر شىء ، لجعلتُ لكل مسجد قبوًا يشتمل على مسبح ، وناد للرماية ، وكل ذلك من متطلبات الإسلام التى دعا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى تعلمها ، كما رأينا ذلك فى بحث سابق ، وفى ذلك تقوية للأطفال وتحبيبٌ لهم لبيوت الله التى جعلناها قفراءَ موحشة علاوة على سوء معاملتهم .

وقد استدل بعض الجهلة على طرد الأطفال من المسجد بحديث ضعيف : « جنِّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » . وقد صحَّتْ أحاديث بخلاف ذلك .

وينبغى أن يبنى المسجد من عدة طوابق لممارسة مختلف النشاطات الاجتماعية والإصلاحية والترفيهية والتربوية للكبار والصغار ، وجعلُ المسجد من طابق واحد جهلٌ وتفريط وخسارةٌ ، ومعروف أن النبى ﷺ نزل أوّلَ مقدمه المدينة فى بيت أبى أيوب الأنصارى ، وكان هذا البيت مؤلفًا =

فلما قضَى الصلاةَ وضعهما فى حِجْره وقال : مَن أحبَّنى فليحب هَذَيْن » . أخرجه أبو يعلى وإسناده حسن .

* جاء أعرابى إلى الرسول ﷺ فرآه يُقَبِّل الحسنَ أو الحسين ، فقال : أتقبِّلون الصبيان ؟ فما نقبلهم ! فقال النبى ﷺ : « أو أملكُ أن نزعَ اللهُ مِن قلبك الرحمة ؟! » . (خ . م) .

قال أبو هريرة : قبَّل النبى ﷺ الحسنَ بن على رضى الله عنه - وعنده الأقرع ابن حابس التميمى - فقال الأقرع : إن لى عشرةً من الولدِ ما قبَّلْتُ منهم أحدًا !! فنظر إليه رسول الله ﷺ ، ثم قال : « مَن لا يَرْحَم لا يُرْحَم [١] » . (خ . م) .

تغييرُ الأسماء القبيحةِ

الأحاديث :

* « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُغيّر الاسمَ القبيح » [٢] . (ت) ص .

= من طابقين اختار النبى ﷺ الأسفل منه لسهولته على المسلمين ، ولا شك أنه ﷺ كان يصلى فيه معه مَن صادف وجودُه وقتَ صلاته ﷺ وأبو أيوب وأهله وعياله فوقه ، وكان قد ألح أبو أيوب على صعوده ﷺ إلى فوق فرفض ﷺ ، فلو كان ثمة ما يمنع من كون المصلَّى أو مكان الصلاة أو المسجد فى طابقٍ أو أن يعلوه ناس لَمَا فعله النبى ﷺ ، ولا أدرى كيف تصحُّ صلاة الفرد فى هذه الطوابق ولا تصح صلاة الجماعة ؟!

(١) كثيرًا ما يهمل الآباء مداعبة أطفالهم وملاطفتهم ، بل كثيرًا ما يقسون عليهم ويخيفونهم حتى أنهم ليمنعونهم من الحركة واللعب ويحجزون حريتهم ، فيجعلون حياتهم جحيمًا لا يطاق ، فينشأون قساة القلوب يبغضون أبويهم ويحاولون الفرار من البيت .

وقد أعطانا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى سيرته نماذج من مداعبته للأطفال وملاطفتهم ، فينبغى أن نستأنس بها ، فننزل إلى مستواهم ونجعل حياتهم فرحة سعيدة ، كل ذلك فى حدود عدم إغفال تربيتهم .

(٢) وذلك بسبب تأثير الاسم على صاحبه إيحاءًا وتوجيهًا .

قال أبو داود : غيَّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمَ العاصى وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسمّاه هشامًا ، وسمى حربًا : سلمًا ، وسمى المضطجع : المنبعث ، وأرضًا تسمى عفرة سماها خضرة ، وشِعب الضلالة سمّاه شِعب الهدى ، وسمَّى بنى مغوية بنى رشده .

قال أبو داود : تركت أسانيدها اختصارًا . =

* « عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن ابنةً له كان يقُال لها عاصية ، فسمَّاها رسولُ الله ﷺ جميلة » . (هـ. ت) وهو صحيح الإسناد .

* « إن زينب بنت أبى سلمة ، كان اسمها بَرَّة ، فقيل : تُزَكِّى نفسها ! فسمَّاها رسولُ الله ﷺ زينبَ » . (خ. م. هـ) وغيرهم .

* « إذا حدثتُكم حديثًا ، فلا تَزِيدُنَّ [1] علىَّ ، وقال : أربعٌ مِن أطيب الكلام ،

= قال الخطابى : أما العاصى ، فإنما غيَّره كراهية لمعنى العصيان ، وإنما سمةُ المؤمن : الطاعة والاستسلام لله . والعزيز : إنما غيَّره ؛ لأن العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة (أى لله) ، وعتلة : معناها الشدة والغلظة ، ومنه قولهم رجل عُتُلّ . أى شديد غليظ ، ومن صفة المؤمن اللين والسهولة . وشيطان اشتقاقه من الشطن ، وهو البعد عن الخير ، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس . . . والحكم : هو الحاكم الذى لا يُرَدُّ حكمه ، وهذه الصفة لا تليق إلا بالله ومن أسمائه الحكم . وغراب مأخوذ من الغرب ، وهو البعد ثم هو حيوان خبيث المطعم ، أباح رسول الله ﷺ قتله فى الحِل والحرم . وحباب نوعٌ من الحيات وروى أنه شيطان . والشهاب : الشعلة من النار ، والنار عقوبة الله . وأما عفرة فهى نعت الأرض التى لا تنبت شيئًا ، فسمّاها خضرة على معنى التفاؤل حتى تخضر . وخير أسماء النساء : أسماء الصحابيات .

(١) قال النووى : « قوله « لا تزيدن علىَّ » معناه الذى سمعته أربع كلمات وكذا رويتهن ؛ فلا تزيدوا علىَّ فى الرواية ولا تنقلوا عنى إلا الأربع . . . والعلة فى الكراهة ما بيَّنه ﷺ فى قوله : « فإنك تقول أثَمَّ هو فيقول . لا » ، فكره بشاعة الجواب ، وربما أوقع بعض الناس فى الطِّيرة » أ . هـ .

قال ابن القيم : « وقد تقع الطِّيرة ، وقلَّ من تطير إلا وقعت به طيرته ، فأرشد النبى ﷺ أمته إلى منعهم من أسبابٍ توجب لهم سماعَ المكروه ووقوعَه ، وأن يعدل إلى أسماء يحصل بها المقصود من غير مفسدة .

هذا مع ما ينضاف إلى ذلك من تعليقِ ضدِّ الاسم عليه ؛ بأن يسمى يسارًا مَن هو أعسرُ الناس ، ورباحًا من هو من الخاسرين ، فيكون قد وقع فى الكذب عليه وعلى الله تعالى . ومِن أمر آخر وهو أن المسمى قد يطالَب بقضية اسمه ، فلا يوجد ذلك عنده ، فيكون سببَ ذمِّه وسَبِّه كما قيل :

سمَّوْكَ مِن جهلهم سَديدًا ... واللهِ ما فيكَ مِن سَدادِ

قال ابن القيم : ولى من أبيات :

وسميتُه صالحًا فاغتَدَى ... بضدِّ اسْمِه فى الوَرَى سائرا
وظنَّ بأنّ اسمَه ساترٌ ... لأوصافه فغدَا شاهرا

وأمر آخر هو ظن الممدوح فى نفسه أنه كذلك ، فيقع فى تزكية نفسه وترفُّعه على غيرها ، ولهذا غيَّر صلى الله عليه وآله وسلم اسم بَرَّة إلى زينب وقال : « لا تزكُّوا أنفسكم ، الله أعلمُ بأهل البِرِّ منكم » . أ . هـ =

وهن من القرآن لا يضرك بأيِّهن بدأتَ : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ثم قال :

لا تُسمينَّ غلامك يسارًا ، ولا رباحًا ، ولا نجيحًا ، ولا أفلح ؛ فإنك تقول أثمَّ هو ؟ فلا يكون » . (حم) وغيره ص .

فتنةُ الأولادِ [١] !

الآيات :

• ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨] .

• ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ١٤] .

• ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

الحديث :

* « إنَّ الولدَ مبخلةٌ ، مجبنةٌ [٢] ، مَجهلة ، مَحزنةٌ » . (ك) ص .

= ومن هذا القبيل تسميةُ الغلام بنور الدين وركن الدين وبدر الدين مما لا يجوز أبدًا .

ومما سبق ندرك خطورة انتخاب اسم الولد والبنت ؛ فلا يصح أن يكون تقليدًا واعتباطًا ، وقد جرت عادة بعض الآباء أن يسموا بناتهم - ويا للأسف - هيام وغرام تاركين أسماء كبار الصحابيات اللاتى اشتهرن بعلمهن وأدبهن وجهادهن !

(١) تحدث هذه الفتنة عندما يكون الأولاد والزوجة شاغلين عن الله تعالى ، وأنه بسببهم يحرص الحرص الكامل على طلب الدنيا لذاتها ، بكثرة الجمع والتفاخر وطلب التقاضى والتكاثر بهم ، وكلُّ ما شغلَ عن الله تعالى مِن أهلٍ ومالٍ وولدٍ فهو مشئومٌ على صاحبه ، وليس معنى ذلك أن يكون محظورًا ، ولكن المحظور الإغراق فى ذلك والإمعان فى الطلب والتمتع بالدنيا ، فينقضى الليل والنهار والمرء فى شغل عن الله بالجمع للدنيا دون التفكر فى الآخرة والاستعداد لها .

وخلاصة القول : أن المرء يجب أن يكون بصيرًا بنفسه ، مدركًا لأحواله ، عارفًا بمواضع الخير لدينه ودنياه ، بحيث يجمع بين الكسب الحلال والعمل للآخرة .

(٢) أى يُجبن أباه عن الجهاد إذا كان ضعيف الإيمان خشية ضيعته ، وعن الإنفاق فى الطاعة خوف فقره ، فكأنه أشار إلى التحذير من النكول عن الجهاد والنفقة بسبب الأولاد ، بل يكتفى بحُسْنِ=

الترهيبُ من السخطِ لولادةِ البناتِ

الآيات :

● ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا (١) وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٨] .

● وقال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا (٢) وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٤٩] .

= خلافة الله ، فيُقْدم ولا يُحجم . . . فمن طلب الولد للهوى عصى . . . ودخل فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ ﴾ فالكاملُ لا يطلب الولدَ إلا لله ، فيربيه على طاعته ، ويمثل فيه أمر ربه ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] [فيض القدير] .

(١) تزوج أمير من العرب امرأة وطمع أن تلد له غلامًا ، فولدت له بنتًا ، فهجر منزلها وصار يأوى إلى غير بيتها ، فمرَّ بخبائها بعد عام ، وإذا هى تُرَقِّص بنتها ، وهى تقول :

ما لأبى حمزةَ لا يأتينا ... يَظَلُّ فى البيت الذى يلينا
غضبانَ ألاَّ نلدَ البَنِينا ... تالله ما ذلك فى أيدينا
وإنما نأخذُ ما أُعطينا !!

فغدا الرجل حتى البيتَ فقبَّل رأس امرأته وابنته .

قال محمد لبيب البوهى : العواقب مجهولة ، لا يدرى الإنسان أين يكون الخير ، والعاقل لا يتبع هوى النفس وما يزينه الشيطان ، ويذكر قوله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ [البقرة : ٢١٦] يُكثِرُ الفرح بالمولود الذكر ، ولا يقيم الدنيا ويقعدها إذا رُزِقَ الأنثى ؛ فإنه لا يدرى الخير فى أيهما ؛ فكم من بنت نفعتْ أهلَها وذويها وكان منها البر والرحمة ، حين تقدمت بوالديها السن ، وكم من ابن بَعُد عنهما وتنكر لهما فى شيخوختهما . وقد دلت التجارب أن الخير من جانب البنات أكثر ، والثواب فيهن أجزل . [الحياة الزوجية] .

(٢) إن البنت هبة الله ؛ فجدير بمن يبغضها أن يَحُلَّ عليه مقتُ الله . ومن التأمل فى الآية نجد أن الله سبحانه وتعالى قدَّم الإناث على الذكور ، ولعل ذلك لبيان شأنهن وجهل وحماقة الذين يسخطون بولادتهن .

وقد كتب أحد الأدباء يهنئ صديقًا له بمولودةٍ : « أهلاً بعقيلة النساء وأم الدنيا ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتسابقون ، ونجباء يتلاحقون » .

وكم أدى اهتمام وحرص الزوج على ولادة الذكور إلى أخطار على الزوجة المسكينة ، وخاصة فى دور النفاس الخطر .

الحديث :

* « كان رجلٌ عند ابن عمر وله بناتٌ ، فتمنَّى موتَهن [١] ، فغضب ابن عمر فقال : أنت ترزقهن ؟! » [الأدب المفرد للبخارى] .

---

(١) مِن غريب أمر بعض العرب أن الإسلام لم يكد ينفذ إلى قلوبهم ؛ فها هو ذا الشاعر البحترى يعتب على صديق له من بنى حميد يحزن لموت ابنته ويقول :

أتبكى مَن لا ينازل بالسيف ... مشيحًا ولا يهزُّ اللواءَ ؟!
والفتى لا يرى القبور لما طا ... ف به مِن بناته الأكفاء
ليس مِن زينة الحياة كَعَدٌّ ... الله منها الأموال والأبناء !
وقد ولدْنَ الأعداءَ قدْمًا ... وورَّثْن الأقاصى البعداء
لم يَئِدْ كُثْرَهُنَّ قَيسُ تميم ... عِلَّةً بل حَمِيَّةً وإباء
وتفشَّى مهلِّل الذى فيـ ... ـهن وقد أعطى الأريمُ حباء
وشقيق بن فاتك حَذَرَ العا ... ر عليهن فارقَ الدهْناء
وعلى غيرهن أُحزِنَ يعقو ... بُ وقد جاءه بنوه عشاء
وشعيب (*) مِن أجلهن رأى الوحـ ... ـدةَ ضعفًا فاستأجَرَ الأنبياءْ
وتلفَّتْ إلى القبائل فانظرْ ... ولَعمرى ما العجزُ عندى إلاء
فاستزلَّ الشيطانُ آدمَ فى الجنـ ... ـة لمَّا أغرَى به حواء
ولعمرى ما العجز عندى إلا ... أنْ تَبِيتَ الرجالُ تبكى النساء

إلى آخر هذه المغالطات والأكاذيب والافتراءات والحماقات !

(*) لم يصح أن مَن تزوج موسى عليه السلام ابنته كان اسمه شعيبًا .

ومِن أمر أعداء البنات أنهم راحوا يضعون الأحاديث على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى بغض البنات والتنفير منهم كحديث : « دَفْنُ البنات مِن المكرمات » ، « نِعْمَ الكُفءُ القبرُ للجارية » ، « للمرأة ستران : القبرُ والزوج ، قيل : فأيهما أفضل ؟ قال : القبر ! » « للنساء عشر عورات ؛ فإذا تزوجت المرأة ستر الزوجُ واحدةً ، فإذا ماتت ستر القبر عشر عورات ! » ، « ونعمَ الصهرُ القبرُ للبنات » .

والغريب من المناوى صاحب كتاب « فيض القدير » الذى ذكر وضعَ هذه الأحاديث راح يشرح حديث « دفن البنات من المكرمات » فقال : أى من الخصال التى يُكرم الله بها أباهن (كذا !) ونِعْمَ الصهرُ القبر ؛ لأنها عورة لضعفها بالأنوثة وعدم استقلالها ، وكثرة مؤونتها وأثقالها ، وقد تجرُّ العار ، وتجلب العدوَّ إلى الدار . وقد أتى الناسُ أحدَهم يعزّونه فى بنتٍ له ماتت فقالوا : عورةٌ سُترت ، ومؤونةٌ كُفيت ، وأجرٌ ساقه الله تعالى !

انتصارُ الإسلام للبناتِ

الآيات :

● ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير : ٨] .

● ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٠] .

ثوابُ العنايةِ بالبناتِ

الأحاديث :

* « مَن عالَ جاريتين حتى تبلغا ؛ جاء يومَ القيامة أنا وهو (وضَمَّ أصابعه) »[١] (م) .

* « من عال جاريتين ؛ دخلتُ أنا وهو فى الجنة كهاتين (وأشار بأصبعيه السبابة والتى تليها) » . (حب . ت) ص .

* « من عالَ ابنتين أو ثلاثًا ؛ أو أختين أو ثلاثًا ، حتى يُسنَّ أو يموتَ عنهن ؛ كنتُ أنا وهو فى الجنة كهاتين (وأشار بأصبعيه السبابة والتى تليها) » .

وجوبُ تعليمِ البناتِ

الآيات :

● ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

● ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٣] .

الأحاديث :

* « النساءُ شقائقُ[٢] الرجال » . (حم . د . ت) . ص .

---

(١) إن هذه البشارة العظيمة ما جاءت للذكور بل للإناث ؛ فهى جديرة بفرحة الوالدين ، لا العكس ، اللهم فقهنا فى الدين !

(٢) يُعلم هذا الحديث أن كل ما أُمر به المسلم - ومن جملته طلب العلم - فهو أمرٌ للمرأة أيضًا ، إلا ما خُصِّص به الذكور .

* قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لإحدى الصحابيات ، وكان اسمها الشفاء : « ألا تُعَلِّمين هذه - يريد حفصة - رُقية النملة كما علَّمْتِها ؟ [١] الكتابةَ » . (د) ص .

---

(١) ومن عظمة فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان أميًّا أمر بتعليم زوجته حفصة المسنة الكتاب . وفى هذا درس بليغ للرجال الذين يتركون نساءهم على أميتهن وجهلهن ؛ فينشأ لديهن الفراغ المخيف بسبب عدم مطالعة الكتب النافعة مما قد يؤدى إلى وساوس شيطانية ، أو يؤدى إلى عدم معاونة أولادها على الدراسة .

وهذه الآيات والأحاديث فى حقِّ النساء ، تكذِّب قول الجامدين القائلين بتحريم تعليم المرأة القراءة والكتابة مستندين إلى حديث موضوع : « لا تُسكنوهن الغرف ، ولا تعلِّموهن الكتابة » ، وكم أدى مثل هذا الحديث إلى تجهيل المرأة وتجهيل أبنائها . وقد أعلمنى أحد خطباء المساجد أنه أغلق مدرسة إناثٍ فى قريةٍ ظنًّا منه صحةَ هذا الحديث !! ولله در من قال :

الأم مـدرسـةٌ إذا أعـددتَـهـا ... أعـددتَ شعـبًا طيـبَ الأعـراق
مَن لى بتربية النساء فإنّها ... فى الشرق علةُ ذلك الإخفاقِ !!

وقد تأثر المعرى بهذا الحديث الموضوع فأنشد متشائمًا :

علِّموهن الغزل والنسج والرد ... نَ وخَـلُّـوا كـتـابـة وقـراءهْ
فصلاةُ الفتاة بالحمد والإخلا ... صِ تُـجزئ عـن يُونُس وبراءهْ

بمناسبة الكلام عن أمر الرسول ﷺ تعليم زوجته حفصة الكتابة أقول : إن تعليم المرأة قضية حساسة وخطيرة ، فإذا أُحسِن أعطى أعظم النتائج وأفيدها للمرأة والأمة ، وإذا أُسىء أفسد المرأة وأضرّ بالأمة ؛ فمن الواجب تعليم المرأة ما يُساعدها على تأدية مهمتها كزوجةٍ وأم ومربية أجيال ، ومدبرة لمملكة البيت . . .

وكل ذلك بحاجة إلى دراسة واسعة للعقيدة والمبادئ الإسلامية ، وتاريخ الإسلام ولأصول التربية الإسلامية ، والحياة الإسلامية ، والبيت الإسلامى ، إلى جانب بعض العلوم والفنون الحديثة النافعة فى تدبير المنزل .

وقد أساء المجتمعُ الإسلامى تعليمَ المرأة ، فكان ما نراه من فوضى خُلقية وتربوية مما يهدد كيان الأمة والوطن ، فغدت المرأةُ لا هى رجلٌ ، ولا هى امرأةٌ تصلُحُ للتربية . . .

وينبغى أن نعلم أن المبشرين والمستشرقين الساعين لِهَدْم البيت الإسلامى ، وإفساد الأسرة الإسلامية تمهيدًا للقضاء على المسلمين وقوَّتهم دائبون منذ سنين طويلة للتخطيط لهذه المؤامرة التى لا أشكُّ أنهم وصلوا إلى أهدافهم المدمِّرة المتنكرة تحت ستار الغيرة على المرأة المسلمة والسعى لتعليمها .

أىُّ تعليم يعنون ؟

هو الفَرْنجة ، والتنكر للآداب الإسلامية القوية السامية ، وبثُّ السموم تحت ستار العلم .

وإلى القارئ **شرحُ خطة التبشير والاستعمار فيما يتعلق بالمرأة** :

جاء فى كتاب « الغارة على العالم الإسلامى » (ص ٤٧) : =

حرصُ الأنبياء على طلبِ الأولادِ الصالحين

الآيات :

- ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] .
- ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٤٠] .
- ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ (١) [الأنبياء : ٨٩] .

= « وينبغى للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا تبشيرهم للمسلمين ضعيفًا ؛ إذ من المحقق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين (ويقصدون بذلك فلسفتهم ونظرياتهم الأخلاقية الإباحية) وتحرير النساء » .

وفى صفحتى ٨٨ و ٨٩ جاء تقرير عن أعمال وقرارات مؤتمر لكنو ومؤتمر القاهرة (مؤتمرات تبشيرية) فجاء عن مؤتمر لكنو التبشيرى الذى عقد سنة ١٩١١ أنه وضع فى برنامجه عدة أمور :

« **أولها** : درس الحالة الحاضرة » .

« **ثانيها** : استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين التعليم النسائى » ! .

وهكذا بدأ تحرير المرأة فى مؤتمرات المبشرين !

إى والله ! المبشرون الصليبيون هم الذين يدعون ويعملون لتحرير المرأة المسلمة ، وتسأل : لماذا ؟!

فإليكَ الجواب : يقول « مورو برجر » وهو يهودى أمريكى معاصر فى كتابه : « العالم العربى اليوم » :

« إن المرأة المسلمة المتعلمة هى أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين ، وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيدًا عن الإسلام ! » (جاهلية القرن العشرين ص ٣٣٢ - ٣٣٣) .

وجاء فى كتاب « التبشير والاستعمار » ما ملخصه :

لما جاء المبشرون إلى العالم العربى أدركوا أن المرأة ذات أثر فى التربية أكثر من الرجل ، فأولوها اهتمامًا ، فقال المستشرق « جيب » : « إن مدرسة البنات فى بيروت هى لؤلؤ عينى . . . » .

من أجل ذلك طلب المبشرون الأمريكيون منذ عام ١٨٧٠ ثلاثين ألف دولار لمدرسةٍ دينية فى بيروت ، وعلَّلوا طلبهم هذا بقيمة المرأة فى الحياة البيتية ، وأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سورية فى المستقبل (٨٦ - ٨٧) .

(١) جاء فى كتاب « الأسرة فى الإسلام » للأستاذ مصطفى عبد الواحد تعليقًا على الآيات السابقة : « بيّن القرآن أن الأنبياء عليهم السلام - وهم أصحاب السلوك الأمثل - قد ارتبطوا بالأسرة وطلبوا الولد . . . والله يعلِّم المؤمنين أن يتوجهوا إليه بالدعاء الضارع أن يهيئ لهم نعيم الأسرة ويذيقهم سعادتها .

وهو توجيه بالبحث عن الحياة الطيبة فى ظل الأسرة ورياضها ، ذلك لأن الإسلام يؤمن بضرورة الأسرة للإنسان ، وأنها حاجة طبيعية له كى يعيش بنَجْوه من الشقاء والقلق (ص ١٨ - ١٩) » :=

حرصُ الإسلامِ على الحفاظ على صحة المرأة وطفلِها
وذلك بالإفطارِ فى شهرِ رَمضانَ ولا قَضاءَ عَليها

الآيـة :

● ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ [١] فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

الأحاديث :

* « إن اللهَ وضعَ عن المسافر الصومَ وشطْرَ الصلاة ، وعن الحُبْلَى والمُرْضعِ الصومَ » [٢] . (د. ت. هـ) وسنده جيد .

= « والأولاد الصالحون علاوة على أنهم زينة الحياة الدنيا ، وذخر للمسلم فى الحياتين ، فإنهم يكونون سببًا فى تعديل غريزة الجنس وتنظيمها ، وإنزالها من مكانتها التى يرفعها إليها الكثيرون ، إلى مستوى المسئولية وحفظ كيانها والحرص على استمرارها إلى الشيخوخة ؛ فالأسرة أولاً تكسر من الشهوة المجنونة ؛ لأن الإنسان يزهد بفطرته فى كل شىء يملكه ! .

فإذا اطمأن الزوجُ والزوجة بعد فترة العطش الأولى إلى أن كلاً منهما يملك الآخر فى كل لحظة يريدها ، لم يعد هناك دافع إلى التشهِّى العنيف والسعار الملهوف .

والأسرة كذلك بمشاغلها الخاصة ومطالبها الدائمة - وعلى الأخص حين يكثر الأولاد ويحتاجون لمزيد من الرعاية - تصرف النفس عن الشهوة الملحة وتقف بها عند الحد المعقول ، الذى لا يرهق الجسم ولا يكلفه شططًا .

فمن ناحية الغريزة الجنسية ذاتها ، تجد الأسرة المنظم الطبيعى لانطلاق الشهوة ، بالصورة التى تمنع دمار الجسد وعذاب اللهفة الدائمة ، وتمنح الفرد السوى فى الوقت ذاته نصيبًا معقولاً من المتعة الجسدية ينتهى إلى الرضا والارتواء » . [عن كتاب الإنسان بين المادية والإسلام] . =

(١) روى أبو داود عن عكرمة أن ابن العباس « قال فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ كانت رخصة للشيخ الكبير ، والمرأة الكبيرة ، وهما يُطيقان الصيامَ أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينًا ، والحبلى والمرضع إذا خافتا (يعنى على أنفسهما أو أولادها) - أفطرتا وأطعمتا » . (رواه البزار) وزاد فى آخره : « وكان ابن عباس يقول لأم وَلِده : « أنت بمنزلة الذى يُطيقه ، فعليك الفداء ، ولا قضاء عليك ! » . وصحح الدارقطنى إسناده .

وعن نافع أن ابن عمر سُئل عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها فقال : « تفطر وتطعم مكان كل يوم مسكينًا مُدًّا من حنطة » . [رواه مالك والبيهقى] والمد ربع قدح من قمح .

(٢) وقد جاءت الآيات بوجوب القضاء على المريض والمسافر ، ولم توجب ذلك على الحامل والمرضع .

وهذا الحكم الشرعى السمح مجهول - ويا للأسف - لدى أكثر المسلمين مما أدى إلى تعريض الحبالى أو المراضع وأولادهن إلى كثير من الأخطار والمهالك ؛ فإن الحامل أو المرضع ما دامت تعلم أن عليها القضاء إذا أفطرت ، فتمتنع عنه ، فتقع هى وطفلها فى الضرر . =

- « الحبلى والمرضع إذا أفطرتا ، عليهما الفديةُ ، ولا قضاءَ عليهما » . (قاله : ابن عمر وابن عباس) .

* * *

= ولا أدرى متى تجد هذه الحامل أو هذه المرضع فراغًا للقضاء ؛ فالمرأة - وخاصة فى أول عهدها بالزواج - بين حامل ومرضع ! فكيف تفطر حبلى ، وتصوم وهى مرضع أو بالعكس ؟!

وقد قال أئمة المذاهب بوجوب القضاء على المرضع والحامل ؛ فهم ولا شك - رحمهم الله تعالى - لم يطَّلعوا على ما سبق من الأدلة ، وإلا لما وسعهم مخالفتها . وقد قالوا جميعًا : إذا صح الحديث فهو مذهبى ، وأقوال ابن عباس وابن عمر لها حكم المرفوع إذ لا يُتصور أن يقولا ذلك من عندهما ! .

مبادئُ تربويَّةٌ عظيمةٌ

الحضُّ على تربيةِ الأولادِ

الآيات :

● ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾ (١) [يس : ١٢] .

● ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

● ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ (٣) أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

---

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يكتب للمرء أعماله فقط ، بل يجزيه أيضًا عن آثاره بعد موته ، إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشر ؛ ولما كان الأولاد من أعظم آثار المرء ، لذلك فإنه تعالى يكتب لأبويهم ثواب ما يعملونه من حسنات - دون أن ينقص من حسناتهم شيئًا - كما يكتب لأبويهم سيئاتهم إذا أهملوا تربيتهم .

(٢) وقاية الأهل : أى الزوجة والأولاد من النار ، تكون بتربيتهم وتعليمهم التربية والتعليم الصحيحين .

(٣) المؤمنون الواعون حريصون - كما تشير هذه الآية الكريمة - على أن تكون ذرياتهم صالحة ؛ ليكونوا قرةَ أعين لهم وذخرًا فى حياتهم وبعد مماتهم ، فما أشقَى الذين يهملون تربية أبنائهم وبناتهم !

يقول الفيلسوف اليونانى « سقراط » : « ماذا تقصدون أيها الإخوان المواطنون ، وأنتم تبذلون أقصى الجهد فى جمع الثروة ، بينما لا تكادون تولون الرعاية لأطفالكم ، وهم مَن ستؤول إليهم الثروة يومًا ما ؟! » .

أدركنا مما سبق من الآيات والأحاديث مبلغ الآباء والأمهات نحو أولادهم ، ومبلغ خطورة التربية ، ومبلغ الثواب العظيم الذى ينالونه فى حياتهم وبعد موتهم من جرَّاء هذه التربية .

بمناسبة الكلام عن تربية الأولاد أقول : إن التربية فنٌّ هام وخطير بحاجة إلى دراسة ، ولا يكفى فيه غريزة الأبوة والأمومة كما هى الحال عند الحيوانات ! فكم من خطأ أو إهمال أدى إلى أسوأ المحاذير ، ويظن الكثيرون أن التربية تكون بمجرد التأنيب والسخرية والعقوبة البدنية ، وهذا خطأ عظيم . فعلى من يريد زيادة ثقافته التربوية قراءة بعض كتبى أمثال : « كيف أربى طفلى » و « نقائض الأطفال وطريقة إصلاحها » و « التربية الجنسية على المكشوف » و « أطفالنا ضحايانا » والتعليق على كتاب « لفتة الكبد فى تربية الولد » ، « وعبقرية الإسلام فى التربية » .

الأحاديث :

* « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :

صدقة جارية ، أو علمٍ ينتفع به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له » . (م) .

* « كلُّكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ؛ الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ فى أهل بيته ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت بعلها وولده ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ فى مال سيده ومسئول عن رعيته » . (خ.م) .

* « إن الرجُلَ لَتُرفَعُ درجتُه فى الجنة . فيقول : أَنَّى لى هذا ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك » « أما أبوك فلو كان أقرَّ بالتوحيد ، فصُمْت [١] وتصدقتَ عنه ، نفعَه ذلك » . (حم) .

الحضُّ على التبكيرِ فى أمرِ الأولادِ بالصلاةِ

الأحاديث :

* « مُرُوا أولادَكم بالصلاة لِسَبْعٍ . واضربوهم عليها لِعَشْرٍ ، وفَرِّقوا بينهم فى المضاجع » . (حم.د) ص .

خطرُ إسنادِ تربيةِ وتعليمِ الأولادِ لِغيرِ الصالحين [٢]

الحديث :

* « كُلُّ مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يمجِّسانه أو يهوِّدانه أو يُنَصِّرانه » (خ) ص .

---

(١) إن هذا الحديث يقيَّد بصوم النذر فقط ، وصدقةِ الولد عن أبويه ؛ لأنه من كسبهما وآثارهما ، وليس فيه استدلال على وصول ثواب الصدقة فى الصوم للموتى بصورة عامة ، وخاصة قراءة القرآن فالآيات والأحاديث السابقة تقيد ذلك بالأبناء فقط .

ويستثنى من ذلك الدعاء للموتى ؛ فإنه يصل إليهم من القريب والبعيد ؛ فقد جاء فى القرآن الكريم : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الحشر : ١٠] .

(٢) ننقل بهذه المناسبة أخطر تصريحات الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر السابق واعترافاته عن مؤامرة اليهود فى جامعة باريس وغيرها من أجل إفساد الأجيال الذين يدرِّسونهم . . . بعد أن ملأ مناهج الأزهر بالفلسفة وألَّف فيها العديد من الكتب ، وأثنى على ما يُسمى بالفلسفة الإسلامية ، والإسلام منها براء ؛ لما فيها من ضلال وكفر وزندقة مما صرح به حتى أبو حامد الغزالى . قال هذا الدكتور فى رسالته : « الفلسفة والحقيقة » : =

. . . . . .

= « ولعل القارئ الكريم يسمح لى بأن أتحدث عن الجو الذى عشتُه فى بواكير حياتى الفلسفية :

لقد كان ذلك لأول عهدى بجامعة باريس حينما ذهبت إلى فرنسا للدراسة ، أحب أن أصفَ الجو الذى عشتُه ، وكيف تصرفت - بتوفيق الله - فى أثنائه . دخلت الجامعة ، وبدأتُ الدراسة فى علم الاجتماع ، وعلم النفس ، مادة الأخلاق ، وتاريخ الأديان .

وكانت هذه المواد يتزعم دراستها وتدريسها الأساتذة اليهود ، أو الذين تتلمذوا على الأساتذة اليهود .

وكانت هذه المواد كلها تسير فى تيار محدد هو : أنها « علوم مجتمع » ، أى أنها لا تتقيد بوحى السماء ، ولا تتقيد بالدين على أنه وضعٌ إلهى ، فهى تدرس موضوعاتها على أنها ظواهر اجتماعية ، وظواهر إنسانية .

وبدأنا فى الدراسة نسمع مختلف الآراء فى نشأة الدين ، ومختلف الآراء فى تفسير السورة ، وينتهى الأمر برأى الأستاذ فى الموضوع .

وليس فى هذه الآراء - على اختلافها وتعددها - ما يتجه إلى أن الدين وحى من السماء ، أو أن النبى موصول الأسباب بالسماء ! وإذا انتظرنا من الأستاذ أن يصحح الوضع ، فيدلى فى النهاية برأيه مثبتًا الألوهية والنبوة هادمًا للآراء الأخرى واصفًا لها بأنها ضلال ! . . إذا انتظرنا ذلك منه فإننا نكون واهمين ؛ فإنه واحد من هؤلاء العشرات من الأساتذة فى هذه المواد وما شابَهها المنغمسين فى تيار المادية ! لقد فسرت الجامعات الأوربية العلمَ على أنه القواعد التى تقوم على التجربة والملاحظة ، والتزمت بأن تفسر وتشرح علم الاجتماع وعلم النفس وجميع الظواهر فى الآفاق وفى الأنفس ، على هذا الأساس ، والتزمت ذلك أيضًا فى تاريخ الأديان .

هذه العلوم بالذات وفروعها تتعاون - فى جامعات الغرب - لتقود الإنسان متساندةً إلى الإلحاد !

إن للدين - فيما يزعمون - نشأة إنسانية اجتماعية ، وإن للحق - فيما يرون - نشأة إنسانية اجتماعية ، وقد تواضع الناس على سلوك معين سموه « فضيلة » وعلى سلوك آخر سمَّوهُ « رذيلة » ، ودراسة الدين والأخلاق إذن تتجه إلى النشأة والمظاهر وعوامل التطور وظواهر التطور . . . وليس للسماء فى الدراسة من نصيب ، اللهم إلا الوصف لظاهرة نشأت فى المجتمع .

وكلُّ الظواهر والمظاهر فى هذه الدراسات اعتبارية نسبية متغيرة متبدِّلة لا تثبت على حال ، ولا تستقر على وضع ؛ لأنها فى كل يوم تتبدل حالاً بحال . . .

وهذه الأفكار تتكرر فى هذه المواد : تسمعُها فى علم الاجتماع ، وتسمعها فى علم النفس ، وتسمعها فى دراسة مادة الأخلاق ، وتسمعها فى دراسة تاريخ الأديان ، وتسمعها فى دراسة العلوم المتفرعة من كل ذلك .

والشاب الذى انتقل من الأقسام الثانوية إلى الجامعة يتأثر بأستاذه ، فإذا كان الأساتذة متعاونين على هدم القيم الثابتة ، والمُثل العليا التى يقررها الدين ، وتقررها الأخلاق - إذا كان الأمر كذلك - فإن الطالب الذى يعيش فى أجواء تتعاون كلها على هدم عقائده ومثله وقيمه ينتهى به الأمر - فى الأغلب الأعم من الحالات - بأن تنهار هذه القيم فى شعوره . =

. . . . . .

= ومن هنا كانت الظاهرة التى تجدها فى طلبة الجامعات فى أوربا من الاستخفاف بكثير من العقائد ، وبكثير من القيم ، وينتهى الطالب بالإلحاد ، أو على أقل تقدير بالإيمان الكامن الذى لا فاعلية له ، ولا تأثير له فى سلوك الإنسان !

وكنت - من غير شك - أضيق بكل ما يجرى فى هذه الدراسات ، ولكن الله سبحانه ألهمنى التفكير فى قيمة وآراء الأساتذة أنفسهم فى هذه المواد .

وبدأت أفصل بين عالَمين من المعرفة : عالَم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء ، وهذه أمور تحكمها التجربة ولا تتعارض هى والدين ولا اختلاف فيها ، وعالَم التفكير المجرد فى الدين والأخلاق والمجتمع . [هذا وهم من الدكتور ! فإن العلوم المادية يمكن أن تدرس بمنظار إلحادى أيضًا ، وكثير من علماء وطلبة هذه العلوم ملاحدة بعكس غيرهم فانتبه ! م . م] .

وأخذتُ أدرس فى أناة هذا الجانب الأخير من الزاوية التاريخية ، فوجدتُ أنه منذ أن بدأ التفكير العقلى فيها ، بدأ فى اللحظة الأولى الاختلافُ فيه ، وبدأ كل زعيم من زعمائه ينتقد الآخرين فى عصره ، وكل مفكرى عصرٍ ينتقدون المفكرين فى العصر السابق عليه ، وهكذا الأمر .

وما من شك فى أن هؤلاء الأساتذة الذين يدرِّسون لنا ينتقد بعضهم بعضًا فى آرائهم ويخطِّئ بعضهم بعضًا ، كما ينتقدون السابقين عليهم ويخطئونهم ! وسيصنع مَن بعدهم صنيعهم ، فيوجهون إليهم النقد ويخطِّئونهم ، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد أخذ « دوركايم » اليهودى ، يعمل بمعاول هدَّامة فى كل القيم والمفاهيم الدينية والأخلاقية ، وأخذ تلميذه الأكبر اليهودى « ليفى برول » ينهج منهجه ، ويسير على طريقه فى علم الاجتماع وفى علم الأخلاق . وكتاب « ليفى برول » : « الأخلاق وعلم العادات » مَثَلٌ واضح لهذا النوع من هدم القيم ، محاولة القضاء على كل المثل .

فكرتُ إذن فى اختلاف الآراء ، أو فى هدم بعضها بعضًا فى مواجهة كل ما يقوله الأساتذة ، وكنت أقول فى نفسى - فى مواجهة كل أستاذ - : سيهدمك المعاصرون ، وسيهدمك الذين يأتون من بعدك !

ولكنى فى مواجهة كل هذه الآراء الإلحادية - كنت أتشبث بيقين لا شك فيه .

كنت أقول فى نفسى : إذا كانت الأخلاق نسبية ؛ فهل يأتى الزمن الذى نعتقد فيه : أن الصدق رذيلة ! أو أن الشهامة شر ! أو أن الشجاعة سوء ! أو أن العفة جريمة ! أو أن كذا ، أو كذا ؟ ثم أعود إلى نفسى فأقول : كلا . . .

وأتساءل مِن جديد فى مجال العقائد : هل سيأتى اليوم الذى لا نقول فيه بوحدانية الله أو لا نقول فيه بإرادته وعلمه ؟

وأعود إلى نفسى وأقول : كلا . . .

كنت أحاول دائمًا أن أردد أن هؤلاء القوم يسيرون فى طرق لا تنتهى إلى غاية . ما هدفهم من ذلك ؟ ما غايتهم ؟ =

. . . . . .

= وما كنت أجد الإجابة عن هذا السؤال آنذاك ، لكنى عرفتُ فِيما بعد أن هذا هو المنهج اليهودى الذى رسموه بعد تفكير طويل ، والتزموا القيامَ به بكل الوسائل أو بكل الطرق ، وهو منهج التشكيك فى القيم والمثل والعقائد والأخلاق !

يستخدمون هذا المنهج فى المجالات المختلفة لإفساد المجتمعات وتحللها أخلاقيًا ودينيًا ، ويضيفون إليه العمل على إثارة العمال على أصحاب رءوس الأموال ، وعلى إيجاد الضغائن والفتن بين مختلف فئات الشعوب . والثمرة التى يعملون دائبين على الوصول إليها : أن تكون المجتمعات شاكَّةً مملوءةً بالفتن ، وذلك سبيلهم إلى السيطرة .

إن اليهود يهدفون من وراء كل ذلك إلى السيطرة على العالم ، إنهم يحطمون القيم والمثل حتى لا يكون فى المجتمعات قوة من عقائد ، أو قوة من خُلق ؛ ومن أجل ذلك تعاونوا على أن تكون لهم الكلمة الأولى فى الجامعات فى علم الاجتماع وفى علم النفس ، وفى مادة الأخلاق ، وفى تاريخ الأديان ، وفى الفلسفة . . ولم يكن من السهل علىَّ فى أثناء هذه الدراسة الاستمساكُ الواثق بالقيم والمُثل التى نشأتُ عليها ، ولولا عونٌ من الله سبحانه ، وتوفيق منه ، ولولا لطف الله ؛ لَصِرْتُ كواحد من هؤلاء الألوف الذين يدرسون فى الجامعات الأوروبية ، ثم يخرجون منها وقد تحطمت فى نفوسهم المثل الدينية الكريمة !

وانتهيت من هذه الدراسة ، ثم كانت المرحلة التالية هى مرحلة « الدكتوراه » ، وانتهيت من دراستها وأنا أشعر شعورًا واضحًا بمنهج المسلم فى الحياة ، وهو :

منهج : « الاتِّباع » .

إن ابن مسعود رضى الله عنه يقول كلمة موجزة عن هذا المنهج ، كأنها إعجاز من الإعجاز ، إنه يقول :

« اتَّبِعوا ولا تبتدعوا ؛ فقد كُفيتُم » .

وهى كلمة حَقٍّ وصدقٍ ثريةٌ بالمعانى الطويلة العريضة ، يبرهن آخِرُها على أوَّلها ، والنهى فى وسطها يبرهن عليه أيضًا آخِرُها ؛ أى اتبعوا فقد كفيتم ، والكافى هو الله سبحانه وتعالى الذى أوْحَى المبادئَ والأصولَ والقواعدَ ، وطبَّق رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك وبيَّنه ، فكان تطبيقه مقياسًا وبيانًا ومرجعًا يرجع إليه المختلفون . « ولا تبتدعوا ؛ فقد كفيتم » إن الذى يبتدع هو مَن لا كفاية له ، ولكن الله سبحانه وتعالى بعد أن أكمل الدين وأتمَّ النعمة - ليس هناك من مجال ، ولا من حاجة إلى الابتداع . لقد كفانا الله ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم كلَّ ما يُصلحنا من أمر الدين ؛ لقد كُفينا ، وعلينا إذن الاتِّباع ، لا منهج لنا إلا الاتباع » [ا هـ باختصار] .

ومما يؤسَف له . أن هذا الدكتور ، بينما قرر وجوب الاتِّباع ، انجرف بعد ذلك فى رسالته السابقة فى اتِّباع القرآن والسنة ، واختار طريق التصوف الباطل ، وهو من أخطر البدع التى دخلت على الإسلام وخدَّرت المسلمين !! .

حُكْمُ الكَذِبِ على الأولادِ !

الحديث :

* عن عبد الله بن عامر قال : « دعتنى أمِّى يومًا - ورسولُ الله ﷺ قاعد فى بيتنا - فقالت : تعال أُعْطك . فقال لها رسول الله ﷺ : ما أردتِ أن تعطيه ؟ قالت : أردتُ أن أعطيه تمرًا ، فقال لها : أما إنكِ لو لم تعطِيهِ شيئًا كُتبتْ عليك كذبة » . (د) صحيح .

وجوبُ المساواةِ بين الأولادِ

الآيـة :

● ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ٧ - ٩] .

الأحاديث :

* عن النعمان بن بشير أنه قال :

« أعطانى أبى عطيةً ، فقالت أمى : لا أرضى حتى تُشهِدَ رسولَ الله ﷺ . فذهب أبى إلى النبى ﷺ وقال له : لقد أعطيتُ ابنى عطيةً ، فأمرتْنى أمُّه أن أُشهدك يا رسولَ الله ، فقال النبى ﷺ : أعطيتَ سائرَ ولدِكَ مثلَ هذا ؟! قال : لا . فقال رسول الله ﷺ : اعدلوا بين أولادكم ، ولا تُشهدنى ؛ فإنى لا أشهد على جور » . (خ) .

* عن أنس أن رجلًا كان عند النبى ﷺ فجاء ابنٌ له فقبّله وأجلسه على فخذه ، وجاءتِ ابنةٌ له ، فأجلسها بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا سوَّيْتَ بينهما[1] ؟! » . (البزار) ورجاله ثقات .

---

(١) يشكو كثير من الآباء والأمهات من وجود الحسد والغيره بين أحد أطفالهم وأخيه ، مما يسبب اختلالاً فى توازنه وضعفًا فى صحته ، وانحرافًا فى سلوكه ، واضطرابًا فى شخصيته دون أن يعرفوا علاجًا لذلك .

وقد أوجب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما سبق لزوم المساواة بين الأخوة ، والعدل بينهم فى المعاملة لإزالة أسباب الغيرة والحسد بينهم .

وكل ذلك يفعله الأبوان فى كثير من الأحيان ، وقد رأينا فى قصة يوسف عليه السلام ما أدّى إليه من فواجع ظنُّ أخوة يوسف تفضيل أبيه يعقوب عليه السلام له عليهم .

وفيما يلى نورد بحثًا مفصّلاً لهذا الموضوع الخطير : =

. . . . . .

= يجب أن نعلم بادئ ذى بدء أن الطفل بطبيعته يميل إلى التدليل والحصول على كل ما يستطيع الوصول إليه من المزايا ، فإذا ما حِيل بينه وبين هذا التدليل أو هذه المزايا ؛ ويكون ذلك بتدخل شخص آخر ، أو بمنافسة طفل غيره أخًا كان أو أختًا أو قريبًا أو جارًا ، إذا ما حدث ذلك دَبَّ الحسدُ فى نفسه ، ونفث فيه كالأفعى سمومه . وبمجرد ظهور هذا المنافس أمام ناظريه سرى فيه دبيبُ الخوف وهو أساس الحسد والغيرة . وما يغلب على الاحتمال أن يكون هذا الخوف وهميًا ، وليس ثمة ما يدعو لوجوده ، بيد أن مخاوف التنافس لا تخضع لمنطقٍ أو علاقةٍ بين المسببات والنتائج حتى بين الكبار ، فكم تكون خطورتها إذًا عند الصغار ؟!

ومن أكثر حالات الغيرة وقوعًا ، تلك التى تفاجئ الطفل حين يفتح عينيه فيجد أمامه أخًا شقيقًا أو أختًا شقيقةً بغير إنذار سابق وبغير أن يمهد له السبيل ، أو يُعَدَّ الإعداد الكافى لاستقبال هذا الضيف « الثقيل » والزائر المتطفل الذى أقبل على الوليمة بغير أن تصل إليه ورقة الدعوة ! أليس من المشاهد أن عامل الغيرة لا يدبُّ فى نفس الطفل الذى يُهيأ لاستقبال المولود الجديد قبل تشريفه بسبعة أو ثمانية شهور ، أو على الأقل يكون هذا العامل خفيف الوطأة أو لا يكاد يُشاهد ؟ كذلك نشاهد أن أحد التوأمين قلَّما يغار من الآخر ، سواء أكانا توأمين متماثلين أو مختلفين .

وهناك سبب آخر اتفق الباحثون على أنه أشد العوامل إثارةً للحسد فى نفوس الأطفال ، وهو تفضيل أخ على أخ أو أختٍ أو العكس ، والموازنة بين أحدهما والآخر أمام عينيه أو على مسمع منه ، موازنة يُشتَمُّ منها تَفوق أحدهما على الآخر أو السمو عليه فى الهيئة أو الملامح أو القامة أو النشاط أو الذكاء أو غير ذلك .

وقد اتفق الكثيرون من علماء النفس كما سبق القول ، على أن الغيرة فى البنات أكثر وقوعًا منها بين البنين ، وأن نسبتها ترتفع بارتفاع مستوى الذكاء ، وأنها تقل بين الأخوة الذين يُهيَّأون للزائر (المولود) الجديد قبل قدومه .

ومن عوامل الغيرة : أن يوجه الوالدان كل عنايتهم لطفل مريض ويهمَل الطفل الأكبر أو الأصغر إهمالاً تامًا ، فيخيَّل إليه أنه من سَقْط المتاع ، وأن الطفل المريض هو العزيز المدلل ، ويظن أن المرضَ ميزةٌ تحبب الطفل إلى أمه وأبيه ، ويَودُّ لو كان مريضًا ، والطريقة المثلى أن تشرك الأمُّ ابنَها السليم معها فى العناية بالمريض .

ومن عوامل الغيرة أن يثير الزائرون عاصفةً من الإعجاب بطفلٍ - بعينيه أو شعره أو ذكائه أو خفة دمه - على مرأى ومسمع من طفل آخر أو أطفال فى الأسرة عينها ، فبمجرد حادث واحد من هذا القبيل تتولد الغيرة ، فكم تكون الحال إذا تكرر الحادث ، وهو ما يحدث فى غالب الأحايين . . . » [مجلة التربية الحديثة باختصار] .

وجوبُ العطفِ على الأولادِ

الأحاديث :

* « الراحمون يرحمهم الرحمنُ ، ارحموا مَن فى الأرض يرحمكم مَن فى السماء » . (د . ت) ص .

* قال أنس : « ما رأيتُ أحدًا كان أرحمَ بالعيال [١] مِن رسول الله ﷺ » . (م) .

* وكان مِن وصاياه ﷺ لِقُوّاده : « اغزُوا باسْمِ الله . . . ولا تقتلوا وليدًا » . (الحديث) [٢] (م) .

* قال أسامة بن زيد بن حارثة : « كان رسولُ الله ﷺ يأخذنى فيُقعدنى على فخذه ، ويُقْعِدُ الحسَنَ بن علىّ على فخذه الآخر ، ثم يضمهما ويقول : « اللهم ارحمْهُما ؛ فإنى أرحَمهُما » . (خ) .

* عن أبى مسعود البدرى قال : « ضربتُ غلامًا بالسوط ، فسمعتُ صوتًا مِن خلفى ، فإذا برسول الله ﷺ يقول : اعلم يا أبا مسعود أن الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام » . (م) .

* وكان ﷺ يقول للخادم : « أَلَكَ حاجَةٌ ؟ » . (خ) .

* « وكان رسول الله ﷺ يزور الأنصار ، فإذا جاء دُورَ الأنصار ، جاء صبيانُ الأنصار يدورون حوله ، فيدعو لهم ، ويمسح رءوسهم ويسلِّم [٣] عليهم » . الحديث (حم وغيره) وسنده صحيح .

---

(١) وقد كان لهذه التربية السامية أثرها العظيم فى نفوس أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم فألانت أشدَّ القلوب قساوةً . فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « أنه استعمل رجلاً من بنى أسد على عمل ، فجاء يأخذ عهدَه ، فأُتِى عُمَرُ ببعض ولده فقبَّله ، فقال الأسدىّ : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ؟ والله ما قبَّلت ولدًا قط ! فقال عمر : فأنت بالناس أقلُّ رحمةً ، هات عملَنا ، لا تعمل لى عملاً ! » .

(٢) من مجموعة الأحاديث السابقة ندرك مبلغ رحمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأطفال . فما أجدر الآباء بالإفادة منها ؛ فإن كثيرًا منهم ويا للأسف يسىء معاملةَ أطفاله ويكثر من ضربهم لأتفه الأسباب وبدون رحمة ، حتى أن بعضهم يحرمهم من اللعب ولا يعطيهم أقلَّ نصيب من الحرية ويكثر من إهانتهم مما يؤدى بهم إلى أسوأ العواقب ، فينشأون ضعفاء الشخصية مخبولين . وكل ذلك يقعد بهم عن النجاح فى الحياة !

(٣) أدركنا فيما مضى حنان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعطفه على الأطفال وحسن معاملته لهم ، فنأمل أن يكـــون فى ذلك درسٌ للآباء الذين يعامـــلون أطفالهم معاملة القساة للعبيد =

. . . . . .

= والبهائم ، مما يؤدى إلى إضعاف شخصيتهم وقهر نفوسهم وذلها ، وقد ينقمون على آبائهم ، الأمر الذى يُخشى منه تشردهم .

وأذكر فيما يلى الفاجعة التالية على سبيل الاعتبار وحض الآباء والأمهات على دراسة أصول التربية :

روت الأخبار أن شرطيًا اقتصد كثيرًا حتى استطاع شراء (طقم) أرائك لبيته . ففرح به كثيرًا هو وزوجته . وعلى حين غفلة منهما أخذ طفلهما الصغير شفرةً وصار يعمل تمزيقًا وتقطيعًا فى « الطقم » ، وما كاد الأب يشاهد ذلك حتى طار عقله وأخذ يضرب الطفل على أصابعه ضربًا شديدًا بعصًا حادة ، وفى الصباح التهبت أصابع الصغير وأمر الطبيب بقطعها ، فقُطعت فى المستشفى .

زار الأب ابنه بعد العملية ، فصاح به الطفل : بابا ، بابا أرجع لى أصابعى ، وأنا لا أعود أمزق الطقم . ولما سمع الأب هذا الكلام أطلق على نفسه نار المسدس فوقع قتيلاً . . . .

ولنذكر على الدوام أن الطفل بحاجة إلى عطف وحبٍّ كما هو بحاجة إلى شمس وغذاء ، فتحتَ ظلال الحب تنمو نفسه وشخصيته :

وإنّـمـا أولادُنـا بَـيْـنَـنـا ... أكْبادُنا تَمشِى على الأَرْضِ
إذا هَبَّتِ الرِّيحُ على واحِدٍ ... لم تنم عينى من الغَمْضِ !

وليس معنى العطف على الأولاد إهمال تربيتهم ؛ فإن للحنان مَواقِفَ ، وللحَزْمِ مواقف . فالفهمَ الفهمَ ، ولله درُّ مَن قال :

فَقَسا لِيَزْدَجِروا ومَن يَكُ راحِمًا ... فَلْيَقْسُ أَحْيانًا على مَن يَرْحم !

آباء وأمهات رثوا أبناءهم

ننشر فيما يلى رثاء بعض الآباء والأمهات لأبنائهم ، لعل ذلك يرقق قسوة قساة القلوب الذين لا يخشون الله فى أولادهم ولا يأبهون لهم ولا يتقاعسون عن اضطهادهم ، حتى إذا فقدوهم أقاموا عليهم مأتمًا وعَويلاً يوم لا ينفع المأتمُ ولا العويلُ ، وهم آثارهم وذخيرتهم فى الدنيا والآخرة .

قال الأديب ابن عبد ربه يرثى ولده :

بَلِيَتْ عظامك والأسى يتجدّدُ ... والصَّبْرُ يَنْفَدُ والبكا لا يَنْفدُ
يا غائبًا لا يُرْتجى لإيابه ... ولقائه دون القيامة مَوْعِدُ
ما كان أَحسن مَلْحَدًا ضُمِّنْتَهُ ... لو كان ضَمَّ أباك ذاك المَلْحَدُ
باليَأس أَسْلو عنك لا بِتجلّدى ... هَيْهاتَ أين مِن الحزين تجلّدُ ؟!

وقال أيضًا :

واكبدا قد قطعتَ كبدى ... قد حَرَّقتْها لواعجُ الكَمَدِ
يا رَحْمة الله جاورى جدثًا ... دَفنتُ فيه حشاشتى بيَدِى
ونوِّرى ظُلْمةَ القبور على ... مَن لم يصل ظلمُهُ إلى أحدِ
يا موتُ لو لم تكن تعالجهُ ... لكان لا شَكَّ بيضةَ البلد =

. . . . . .

= أىّ حمام سلبتَ رونقهُ وأى روح سللتَ مِن جسد
لا صَبْر لىّ بعده ولا جَلَد فُجِعْتُ بالصبر فيه والجلَد
لو لم أَمُتْ عند موته كمدًا لحقَّ لى أن أموت مِن كَمَدى

وقالت أعرابية ترثى ولدها :

مَن شاء بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فعلَيْك كُنْتُ أُحاذِرُ
كُنْتَ السَّواد لِناظِرِى فعَمَى عَلَيْكَ الناظِرُ

أصيب الشاعر أبو العتاهية بابنٍ له ، فلما دفنه وقف على قبره وقال :

كَفَى حُزْنًا بِدَفْنِكَ ثُمّ إنّى نَفَضْتُ تُرابَ قَبْرِكَ مِن يَدَيّا
وكنتَ وفِى حَياتِكَ لِى عظات فأنت اليَوْمَ أَوْعَظُ منك حَيّا

وأنشأت أعرابية ترثى ولدها :

يا فَرْحَةَ القَلْب والأَحْشاءِ والكَبِد يا لَيْتَ أُمّك لم تَحْبَلْ ولم تَلِدِ
لمّا رأيْتُك قد أُدرِجْتَ فى كَفَنٍ مطيَّبًا لِلْمَنايا آخِرَ الأَبَدِ
أَيَقَنْتُ بَعْدك أنّى غَيْرُ باقيةٍ وكَيْفَ يَبْقى ذِرَاعٌ زالَ مِن عَضُدِ ؟!

قال جابر بن نوح : « كنت بالمدينة جالسًا عند رجل فى حاجة ، فمر بنا شيخٌ حسن الوجه ، حسن الثياب ، فقام إليه ذلك الرجل فسلم عليه وقال : يا أبا محمد أسأل الله - تعالى - أن يعظم أجرك ، وأن يربط على قلبك بالصبر ، فقال الشيخ :

وكان يمينى فى الوغى ومساعدى فأَصْبَحْتُ قد خانت يمينى ذراعُها

فقال له الرجل : أَبْشِرْ ؛ فإن الصبر معوَّل المؤمن ، وإنى لأرجو أن لا يحرمك الله الأجر على مصيبتك .

فقلت له : من هذا الشيخ ؟ فقال : رجل من الأنصار ، فقلت : وما قصته ؟ قال : أصيب بابنه ، وكان به بارًا ، قد كفاه جميع ما يعينه . ومَنيتُه عجب ! .

قلت : وكيف كانت ؟ قال : أحبّته امرأة فأرسلت إليه تشكو حبه وتسأله الزيارة ، وكان لها زوج ، فألحت عليه ، فأفشى ذلك إلى صديق له ، فقال له : لو بعثتَ إليها بعضَ أهلك فوعظتها ، وزجرتها ، رجوتُ أن تكف عنك .

فأرسلت المرأة إليه : إما أن تزورنى وإما أن أزورك ؟ فأبَى . فلما يئست منه ذهبت إلى امرأة كانت تعمل السحر ، وطلبت منها الرغائب فى تهييجه ، فعملتْ لها ذلك .

فبينما هو ذات ليلة مع أبيه ، إذ خطر ذِكْرُها بقلبه ، وهاج منه أَمْرٌ لم يكن يعرفه ، واختلط ، فقام مسرعًا وقال لأبيه : يا أبت ! أدركنى بقيد . فقال : يا بنىّ ما قصتك ؟ فحدَّثه بالقصة ، فقام فقيَّده ، وأدخله بيتًا ، فجعل يضطرب ويخور كما يخور الثور ، فإذا هو ميت ، والدم يسيل من منخره » .

تقودنا هذه القصة المفجعة إلى الكلام عن السحر وهو ذو تأثير - كما جاء فى القرآن والسّنّة -=

- « استعمل الخليفةُ عمر بن الخطاب رجلاً من بنى أسد على عمل ، فجاء يأخذ عهدَه ، فأُتى عمرُ ببعض ولده ؛ فقبَّله : فقال الأسدى : أتقبِّل هذا يا أمير المؤمنين ؟! واللهِ ما قبلتُ ولدًا قط !

قال عمر : فأنت بالناس أقلُّ رحمةً ! هات عهدنا ، واللهِ لا تعمل لى عملاً » .

جزاءُ صبرِ الأبوينِ على وفاةِ أولادهما

الأحاديث :

* عن أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله ﷺ قال للنساء : « ما مِنكم امرأةٌ يموتُ لها ثلاثةٌ من الولد إلا كانوا لها حجابًا من النار ! » .

فقالت امرأة : واثنان ؟ فقال : « واثنان » . (خ.ن) .

* « ما من مسلم يموت له ثلاثةٌ مِن الوَلَد لم يبلغوا الحنثَ ؛ إلا تَلَقَّوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » . (هـ) ص .

* « ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحِنْثَ إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » [1] ! . (خ.م.ن.هـ) .

= ويظهر أن هذا الشاب لم يكن على صلة بتلاوة المعوذات (قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس) بعد كل صلاة ، وقبل النوم ، فإنها من أعظم الموانع فى عدم تأثير السحر وإبطاله . وننصح مَن أصيب بالسحر أن يستعين بقراءتها ، ولا يستعين بالسحرة والحُجُب على إبطاله ؛ فيضيع دِينُه ومالُه !.

(١) خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يومًا إلى مقبرة بقيع الغرقد ، فإذا أعرابى يرثى ابنه ويقول :

يا غائبًا ما يئوب مِن سفره ... عاجَلَه مَوْتُه على صِغَره
يا قُرّة العَيْن كنتَ لى سكنًا ... فى طول لَيْلى نَعَمْ وفى قِصَره
شَربْتَ كأسًا أبوك شاربُها ... لا بُدَّ يومًا له على كبره
أشْرَبُهَا والأنام كلّهم ... مَن كان فى بَدْوه وفى حضره
فالحَمْدُ لله لا شَرِيكَ له ... المَوْتُ فى حكمه وفى قَدَره
قد قَسّم المَوْتَ فى الأنام فما ... يَقْدر خَلْقٌ يزيد فى عمره

قال عمر : صدقتَ يا أعرابى ، غير أن الله خير لك منه .

قال الأديب أحمد حسن الزيات يتحدث عن حياته القاحلة قبل الولد ، ثم يصف جمال الحياة عند مجيئه ، وأخيرًا يرثيه عند اختطاف المنية له ، وهو غَضٌّ صغير : =

شفاعةُ الأولادِ لأبويهم

الحديث :

* عن أبى حسان قال : تُوفى ابنان لى ، فقلت لأبى هريرة : سمعتَ من رسول الله ﷺ حديثًا تحدثنا ، يُطيِّب أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم : « صغارُهن دعاميصُ الجنة ، يتلَقَّى أحدُهم أباه - أو قال أبويه - فيأخذ بناحية ثوبه أو بيَدِه كما آخذ بصِنَفَةِ ثوبك هذا ، فلا يفارقه حتى يُدخِله اللهُ وأباه الجنة » . (م) .

= ١ - « يا قارئى ، أنت صديقى ، فدعنى أُرِقْ على يديك هذه العبَرَات الباقية . هذا ولدى - كما ترى - رُزِقتُه على حال عابسة كاليأس ، وكهولة بائسة كالهرم ، وحياة باردة كالموت . فأشرق فى نفسى إشراق الأمل ، وأورق فى عودى إيراق الربيع ، وولَّد فى حياتى العقيمة معانى الجد والاستمرار والخلود .

٢ - كنت فى طريق الحياة كالشارد الهيمان ، أنشد الراحة ولا أجد الظل ، وأكسب المال ولا أجد السعادة ، وأعالج العيش ولا أدرك الغاية . كان يصلنى بالماضى أبى ، ويمسكنى بالحاضر أجَلِى ، ثم لا يربطنى بالمستقبل رابطٌ من أمل أو ولد .

٣ - فلما جاءنى « رجاء » وجدتنى أُولَد فيه من جديد ؛ فأنا أنظر إلى الدنيا بعين الخيال ، وأبسم إلى الوجود بثغر الأطفال ، وأشعرتُ بالدم الحار يتدفق نشيطًا فى جسمى ، وبالأمل القوى ينبعث جديدًا فى نفسى ، وبالعيش الكثيب تتراقص على حواشيه الخضر عرائسُ المنى ، فأنا ألعب مع رجاء بلعبه ، وأتحدث بلغته ، وأُتبع عقلى هوى رجاء ، فأدخل معه دخول البراءة فى كل مَلْهَى ، وأطير به طيران الفراشة فى كل روض ، ثم لم يعد العمل الذى أعمله جديرًا بعزِّى ولا الجهد الذى أبذله كفاء لغايتى ، فضاعفتُ السعى ، وتناسيتُ المرض ، وطلبتُ النجاح فى كل وجه ؛ ذلك لأن الصبى الذكى الجميل أطال حياتى بحياته ، ووسَّع وجودى بوجوده ، فكان عمرى يغوص فى طوايا العدم قليلاً قليلاً ليُمُدَّ عمرَه بالبقاء كما يغوص أصلُ الشجرة فى الأرض ليمد فروعَها بالغذاء .

٤ - شَغل رجاء فراغى كلَّه ، وملأ وجودى كله حتى أصبح شغلى ووجودى كلَّه ، فهو صغيرًا : أنا ، وأنا : كبيرًا ، هو يأكل فأشبع ، ويشرب فأرتوى ، وينام فأستريح ، ويحلم فتسبح روحى وروحه فى إشراق سماوى من الغبطة لا يوصف ولا يُحَدّ .

٥ - ثم انقطعت السنون الأربع ، فأظلمت الواحة ، وأوحش القفر ، وانطفأت الومضة ، وأغشى الليل ، وتبدَّد الحلم ، وتجهَّم الواقع ، وأخفق الطب ، ومات رجاء . . . »

[وحى الرسالة] .

تلطُّفُ الزوجةِ وتخفيفُها من مصيبةِ زوجِها

الأحاديث :

* عن أنس قال :

« اشتكى ابنٌ لأبى طلحة ، فمات وأبو طلحة خارج ، ولم يعلم بموته ، فلما رأت امرأته أنه قد مات ، هَيّأت شيئًا ونحّته فى جانب البيت .

فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟

قالت : قد هدأتْ نفسُه ، وأرجو أن يكون قد استراح !

ثم قَرّبتْ له العشاء ، ووطَّأتْ الفراشَ ، فلمّا أصبح اغتسلَ ، فلما أراد أن يخرج أعلمتْه بموت الغلام ، فصلّى مع النبى ﷺ ، ثم أخبره بما كان منها ، فقال النبى ﷺ : « لعله يُباركَ لكما فى ليلتكما ! » ، فجاءهما تسعة أولاد ، كُلهم قرءوا القرآن » . (خ) بنحوه .

فَرِّقوا بينهم فى المضاجِعِ

الأحاديث :

* « مُرُوا أولادَكم بالصلاة وهم أبناءُ سَبْع ، وَاضْرِبوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرِّقوا بينهم فى المضاجع » [1] . (د) ح .

---

(١) إن التفريق بين الأبناء فى سنِّ العاشرة فى الفراش ، أدبٌ إسلامى هامٌّ ، أغفله الكثيرون - ويا للأسف - وقد اعترف أحدهم لى أنه افترس خالته وابنة خالته نتيجة إهمال هذا الأمر النبوى !

وجاء فى كتاب « طوق الحمامة » للإمام ابن حزم أن امرأة من العرب سُئلت - وقد حبلت من ذى قرابة لها - : ما ببطنك ؟! فقالت : قربُ الِوساد ، وطولُ السواد ! تشير إلى أن هذه الفاجعة كانت نتيجة الاشتراك فى الفراش ، أو قربه ، وكثرة الاختلاط بين أقربائها !

ومما يدل على عظمة الإسلام وتقدمية مبادئه أن نظرية التفريق بين الأولاد فى المضاجع التى أمرَنا بها الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم قبل أربعة عشر قرنًا ، جاء العلماء اليوم فى كتبهم الطبية والجنسية يحضون عليها ويوضحون مزاياها ، ويحذرون من إهمالها .

جاء فى كتاب « صارح طفلك عن الجنس » الذى ألّفتْه « جمعية دراسات الطفولة بأمريكا » :

« يجب أن لا يشترك الأطفال فى فراش واحد ، ومن المستحسن ألاّ يتشاركوا فى غرفة النوم أيضًا . إن الأطفال الذين يقتسمون الفراش الواحد بصورة منتظمة يتعرضون للاحتكاك أو الالتصاق الجسدى الذى قد يغريهم بالمداعبات . . . أما مشاركة الأطفال الوالدين فى غرفة النوم ، فأمر لا يتسم بالحكمة على الإطلاق . =

حقوقُ الوالدَيْن

الآيات :

● ﴿ وَقَضَىٰ[١] رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا[٢] يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا[٣] ﴾

[الإسراء : ٢٣ و ٢٤] .

= إن الأطفال لا يكونون دائمًا نيامًا عندما يَبدون كذلك ، حتى مَن هم فى سن الثانية أو الثالثة . وهم قد يرتعبون عند الإحساس بمظاهر النشاط الجنسى للوالدين فى الفراش !

وحتى الظلام الحالك لا يحميهم من هذا ؛ لأن الصغار قد يقلقون من الأصوات !!

ويمكننا أن نعزو كثيرًا من حالات الانحراف الجنسى المبكر فى الأولاد إلى إهمال التفريق بينهم فى المضاجع ، ونومهم فى غرفة الأبوين ، وكل ذلك منهى عنه شرعًا وعقلاً ؛ فالحذر الحذر أيها الآباء والأمهات !

(١) قضى : أمر .

(٢) من هذه الآية نفهم أن الإسلام جعل للوالدين حق البر واللطف والرعاية والرحمة ، وأكد هذا الحق بأن قرنه بحق الله لما له من الإجلال والوفاء .

(٣) وتلك مشاعر الفطرة نحو من لم يَشُبْ إحسانَهما غرض ، ولم يبغيا بجهادهما أجرًا ، بل بذلا الرعاية الموصولة والحنان الغامر قربةً وفطرةً ؛ فلا أقل من التقدير والعرفان ، حفظًا على الوفاء وصيانة للإنسانية من آفات الجحود والنكران .

ومن واجبنا ونحن نكتب عن الزواج الإسلامى السعيد ، الكلام على حقوق الوالدين ، الذين كثيرًا ما يساء إليهما من قبل الزوجة ، أو من قبل ولدهما العاق ، بإيعاز من زوجته الشريرة ؛ وما علما أنهما بفعلهما هذا يضعان الحجر الأساسى الأول فى شقائهما وهدم سعادتهما ، فإن الله - سبحانه - لن يغفل عن حقوق الوالد ، ولا بد أنه سينتصر لهذين الأبوين اللذين بذلا منتهى جهدهما وتحمّلا الصعاب وسهرا الليالى الطويلة فى سبيل سعادة ابنهما الذى ما لبث أن قلب لهما ظهر المِجَنّ حينما كبر وترعرع !

ولما كنا حريصين على سعادة الأسرة المسلمة ، لذلك تقدمنا بهذه النصائح والتوصيات آملين من الزوجين عدم إغفالها ، وهى لا تحتاج لأكثر من التنازل عن بعض أنانيتهما ، وإلى التفكير فى شيخوختهما ؛ فإن الديَّان لا يموت ، وكما يَدينُ المرء يُدان !

والسعيد السعيد من يسعى جهده لإدخال الهناء والسرور على قلب والديه ، وكل ذلك لا يكلّفه سوى بعض العواطف وقليل من التضحية والإسراع إلى المنهاج الذى وضعه الإسلام ، والمخطط الذى رسمه فى بيان حقوق الوالدين .

ولنستمع الآن إلى رسالة فتاة إلى أمها بعد ولادة الولد الأول :

« أمى . . . . =

• ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

= أحبكِ . . أحبكِ . . أحبكِ . . أحبكِ كما لم أحبك من قبل فى حياتى . كل شىء من حولى يملؤنى بهذا الإحساس الجديد بالحب الذى عرفته لأول مرة فى حياتى . . كل شىء فى داخلى يهزنى هَزًّا . . لقد أحببتكِ دائمًا يا أمّى . . ولكننى لم أدرك تمامًا معنى هذا الحب الكبير إلا اليوم . . أليس غريبًا أن يحتوينى هذا الشعور اليوم فقط بعد كل تلك الأعوام التى عشت فيها بجانبك ، كما تعيش كل ابنة مع أمها ؟! كنت أرى حبكِ لى وأحس بعطفك علىَّ وحنانك الذى طالما غمرتنى به طوال سنوات عمرى وأنا طفلة ثم وأنا صبيّة وأخيرًا وأنا فتاة تستعد للقاء الدنيا بعيدًا عن بيت والديها وأسرتها . . وكنتُ كلما رأيتُ لهفتك علينا وتضحياتك من أجلنا نحن أبناءك الصغار والكبار تملّكتنى الحيرة . . أى إنسانة تلك التى لا تتردد فى أن تهب حياتها وكل ما تملك فى سبيل إسعاد أبنائها ؟ أى إنسانة تلك التى أدعوها أمى ؟ ومن أى معدن هى ؟ وأى قلب هذا الذى لم يعرف إلا الحب ، لهؤلاء الصغار الذين أنجبتهم لهذه الدنيا ؟

مع صرخة طفلى الجديد يا أمى عرفت . . ومع ضحكة طفلى يا أمى تعلمتُ . . ومع أنفاسه الدافئة العطرة وأنا أحمله فوق صدرى وجدتُ . . وجدت الإجابة عن التساؤلات التى طالما حيَّرتنى وأنا أنظر إلى وجهك وأتطلع إلى عينك . وأنت تعطين وتعطين ، دون أن تنتظرى يومًا جزاءً على ما تقدمه يداك . . ولا أجرًا على ما تصنعينه من أجل أبنائك .

اليوم عرفتُ معنى الأمومة يا أمى . . فقد أصبحت أمًّا لطفلة جميلة . . إننى أرى فيها نفسى معك . . أرى فيها حياتى كلها منذ أن جئت إلى هذه الدنيا إلى أن كَبِرْتُ وتزوجت ورزقنى الله تعالى بهذه المولودة الصغيرة الجميلة .

كانت الولادة متعسرة يا أمى . . لقد تعذبت كثيرًا وطويلاً . . وكنت أتمنى لو أنك جئت لتكونى بجانبى فى تلك اللحظات التى تترقبها كل أم . . ولكنى أقدِّر ظروفك ، وأعرف مشاغلك مع أبى ومع إخوتى الصغار .

لقد نسيت ألم الولادة ، وعذابها . . لم أعد أحس بشىء سوى ضربات قلبى الذى كان يخفق بكل الحب الذى يملأ دنياى الجديدة . وأنا أرى مولودتى الصغيرة تحملها الممرضة بين ذراعيها لتضعها بجوارى على الفراش حيث كنت أرقد فى المستشفى .

تأملتها طويلاً . . تأملت هذه المخلوقة الصغيرة التى حملتُها ورعيتها فى جوفى تسعة أشهر كاملة وأنا أعيش معها ولها . . آكل بحساب ، وأنام بحساب . وأتحرك بحساب . . وكأننى أحمل أغلى وأعز كنز فى الدنيا . .

إنها دنياى الجديدة يا أمى . . إنها حياتى وروحى وكل ما أملك . . إنها ابنتى . . ما أروع صورة الحياة وهى تتكرر . .

● ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ [١] ﴾ [لقمان : ١٤] .

● ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا [٢] ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

الأحاديث :

* « ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الشِّركُ بالله ، وعقوقُ الوالدين » [٣] . (خ) .

* جاء رجل إلى النبى ﷺ يسألُه : « يا رسول الله ، مَن أحقُّ الناس بحُسْن صحابتى ؟ قال : أمك ! قال : ثم مَن ؟ قال : أمكَ . قال : ثم مَن ؟ قال : أمك . قال : ثم مَن ؟ قال : أبوك » [٤] . (خ.م) .

* « رَغِمَ أَنْفُ مَن أدرك والِدَيْه عِنْد الكِبَرِ أو أحدَهما ولم يدخُلِ الجنة » [٥] . (م.ت) .

أقبلك يا أمى قبلة كبيرة .. وتشاركنى قبلتى حفيدتك الصغيرة .. » [*] . ابنتك

(١) وقد اختص الإسلام الأم بتأكيد التوصية ، حتى لا يستهان بحقها وهى ذات الفضل والجميل ، لا يقابَل جهدها بشكر ولا يُقدّر بجزاء .

(٢) إن الولد جزء من الأم ، حملته فى الأحشاء ، وغذته من الغذاء ، فلما خرج إلى الدنيا حضنته وسهرت عليه وربطتْ حياتها به ، تتحمل الأثقال وتنهض بالأحمال ، عن رضًا وفرحة .

فهل يسوغ أن يذهل الإنسان عن تلك المضحية من أجله ، المنهَكَةِ فى سبيله ... وهل ينسى كفاحها وضناها ..؟!

لذا نبه القرآن الإنسان إلى تلك المرحلة التى لا يَعِيها وإن كانت أهمَّ مراحل عمره طُرًا ، وأخطرَها ، ولفته إلى ما لديها من بذل وفداءٍ حتى يضع ذلك أمام عينيه وينظر إلى أمه من خلاله ! [الأسرة والإسلام] .

(٣) لذا كان عقوق الوالدين وجحد إحسانهما من كبائر الذنوب التى لا ينبغى لمسلم اقترافها ...

(٤) وذلك لأن الإنسان يرى جهد أبيه فى سبيله ورعايته له وإنفاقه عليه ، ولكنه لا يرى حَمْلَ أمّه وقيامها عليه فى مَهْده ، فاحتاجت الأم إلى تأكيد الوصية وتثبيت الحق .

وليس معنى هذا الحديث تفضيلَ الأم على الأب ؛ كما يزعم الكثيرون .

(٥) والفشل فى الظفر برضا الوالدين من دلائل الخسران والبوار ؛ إذ إن رضا الوالدين من رضا الله ، وسخطهما من سخطه ، وحسبك بهذا قدسيةً وجلالاً ، إن رضاءهما طريق الجنة ، فإذا حازه الولد فقد بلغ .

(*) نقلاً عن مجلة « العربى » للكاتب منير نصيف ع ١٩٦ آذار ١٩٧٥ .

* « أنت ومالُك لِوالِدك ؛ إنَّ أولادَكم مِن أطيب كَسْبِكم ؛ فكُلُوا مِن كَسْبِ أولادكم » [١] . (حم.د.هـ) ص .

* « إنَّ اللهَ حرَّمَ عليكم عقوقَ الأمهات » [٢] . (خ) .

---

(١) ولهذا الحديث قصة لم تَصحَّ ، ولكن معناها حق :
جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال :
يا رسول الله ! إن أبى أخذ مالى ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :
« اذهب فأتنى بأبيك » .
فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « إن الله عز وجل يقرئك السلام ، ويقول لك : إذا جاءك الشيخ (يريد أبا الرجل) فسلْه عن شىء قاله فى نفسه ما سمعتْه أذناه » . فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ :
« ما بال ابنك يشكوك يريد أن تأخذ ماله ؟ » قال : سله يا رسول الله! هل أنفقته إلا على إحدى عماته أو خالاته ، أو على نفسى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :
« إيه ! دعنا من هذا ، وأخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك » ! .
فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينًا ، لقد قلتُ فى نفسى شيئًا ما سمعتْه أذناى ، « فقال : قل وأنا أسمع » .
فقال : قلت أخاطب ابنى :

غَذَوْتك مولودًا ، وعلَّمتك يافعًا ... تُعَلُّ بما أَجْنِى عليْك وتَنْهلُ
إذا ليْلةٌ ضاقتْك بالسقْم لم أَبِتْ ... لسقْمك إلا ساهرًا أتململُ
كأنّى أنا المطروق دونك بالذى ... طُرِقْتَ به دونى فعيْنى تَهْملُ
تَخاف الرَّدَى نَفْسى عليْك ، وإنّها ... لَتَعْلم أنَّ المَوْت وَقْتٌ مُؤَجَّلُ
فلمّا بلغْتَ السِّنَّ والغايةَ التى ... إليها مَدَى ما كنتُ فيك أؤمِّلُ
جعَلْتَ جزائى غلْظةً وفَظاظةً ... كأنّك أنتَ المُنعِمُ المتفضِّلُ
فليْتَكَ إذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِى ... فَعَلْتَ كما الجارُ المجاور يَفْعَلُ
فأوْلَيتنى حقَّ الجِوار ، فلم تكن ... علىَّ بمالٍ دون مالِك تَبْخلُ

قال : فحينئذٍ أخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتلابيب ابنه ، وقال : « أنت ومالُك لأبيك !! » .

(٢) والزمن الذى يفشو فيه عقوقُ الأمهات والقسوةُ عليهن والغفلةُ عن حقوقهن هو زمن القيامة الذى يجف فيه الخير ويغيض الإيمان .
فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم أن من علامات الساعة : « أن تلد الأَمَةُ رَبَّتها » أى تلد المرأة من يعاملها كالسيد (أى تلد الأم سيدتها وهى بنتها) ، هذا تحذير من الاستطالة ، وإرهاب من العدوان ، والناس بخير ما عرفوا حقَّ الأمهات ؛ فإن ربهم يكره أن تنطمس بصائرهم وتجحد قلوبهم . . . فإن ذلك لا يستقيم مع الإيمان ولا يتفق مع عهده . وقد نقلنا هذه التعليقات عن بحث حقوق الوالدين من كتاب « الأسرة والإسلام » .

* « لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق » [١] . (حم.ك) صح .

* * *

(١) قال أحد كبار الكُتّاب :

« لقد جاءت شروط هذه الطاعة للوالدين فى وصية لقمان لابنه فى القرآن العظيم : وفى ظلال تلك الصورة الحانية فى وصية لقمان لابنه ، يوجهه إلى شكر الله المنعم الأول ، وشكر الوالدين المنعمَيْن التاليين ، ويرتب الواجبات ، فيجىء شكرُ الله أولاً ويتلوه شكر الوالدين » : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ .

ولكن رابطة الوالدين بالوليد - على كل هذا العطف ، وكل هذا الإكرام - إنما تأتى فى ترتيبها بعد وشيجة العقيدة ، فبقية الوصية للإنسان فى علاقته بوالديه :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [العنكبوت : ٨] ؛ فهنا يسقط واجب الطاعة ، وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة ، فمهما بذل الوالدان من جهد ومن جهاد ، ومن مغالبة ومن إقناع ليغرياه بأن يشرك بالله ما يجهل ألوهيته - وكل ما عدا الله لا ألوهية له فتعلَّم ! - فهو مأمور بعدم الطاعة من الله صاحب الحق فى الطاعة » .

فتنةُ النساءِ

فتِّش عن المرأةِ

الأحاديث :

* « ما تركتُ بعدى فتنَةً أَضَرَّ على الرِّجال مِنَ النِّساء » [١] (خ.م) .

* « إنَّ الدنيا حُلْوةٌ خَضِرَةٌ ، وإنَّ اللَّهَ مستخلفكم فيها فينظر ماذا تفعلون ؛ فاتَّقوا الدنيا واتَّقوا النساء [٢] ؛ فإن أوَّلَ فتنةِ بنى إسرائيل كانت فى النساء » . (م) .

---

(١) قال بعضهم : إن الشيطان يقول للمرأة : أنت نصفُ جندى ، وأنتِ سهمى الذى أرمى به فلا أخطئ ؛ فنصفُ جنده الشهوة ، ونصفُ جنده الغضب . .

وكتب أحدهم تحت هذا العنوان : « إن المرأة تكمن وراء كل خطوة تخطوها الحياة ، إنها وراء التعاسة كما أنها سبب السعادة ، إنها تدفع إلى الطموح ، وهى تَغُلُّ الأيدى فى الخمول !

المرأة ذلك الكائن البسيط المعقَّد ، تلك النسمة الرائعة من السحر والنشوة ، والإثم والرذيلة ، وتلك الريح العاتية من السموم !

ففى ذلك الجسد النحيل اللطيف تكمن أشدُّ وأقوى عوامل السحر والإثم والرذيلة ، وفى ذلك الجسد النحيل نفسه تكمن أيضا أقوى عوامل الفضيلة والطهر والجمال !

وفى رأسه الصغير ثورة ونار ، وفيه أيضًا هدوء وسكون ، فيه الجنون المطبق ، وفيه العقل النيِّر !

لهذا كله ونظرًا لخطورة المرأة ، أوصى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما مر سابقًا - بتفضيل ذاتِ الدين على غيرها . واعتبارُ الدين والحرصُ عليه يعنى رغبةَ الإسلام فى استقرار الأسرة ورخاء عيشها ؛ فإن الزوجة بغير دين وبالٌ على زوجها وذريتها ، ومثلها لا تغنى فى مُلمَّة ، ولا تَثْبُتُ فى نازلة ، ولا تسعد فى حياة .

إن أنوثتها وفتنتها ومالها وحسبَها لن تُسعدها ، أو تُسْعدَ أسرتَها ، فتحيلها إلى ثمرة شهية ورحمة سابغة ومتاع نافع ، وزاد معين . وفى هذا يقول الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم : « إن الدنيا متاعٌ ، وخيرُ متاعِها المرأةُ الصالحة » . رواه مسلم والنسائى [الأسرة والإسلام] .

قال العلامة صديق حسن خان فى كتابه « حسن الأسوة » : « ووجه كونهن فتنة : لأن الطباع تميل إليهن كثيرًا ، وتقع فى الحرام لأجلهن ، وتسعَى للقتال والعداوة بسببهن . وأقل ذلك أن ترغبه فى الدنيا ، وإفسادُها أضرُّ .

(٢) رأى الفيلسوف سقراط فى المرأة نذكره على سبيل الطرافة والنكتة :

النساء فخ منصوب لا يقع فيه إلا مَن اغترَّ به . =

* « لولا حواءُ لم تَخُنْ أُنثى زوجَها الدَّهْرَ » [١] (م) .

= النساء سلَّم منصوب ليس للشيطان حيلة إلا بالصعود عليه .
أسير النساء غير مفكوك .
من تملكه النساءُ : فإنه قتيلُ الأحياء .
من أراد أن يَقْوَى على طلب الحكمة ، فليكفّ عن تملُّكِ النساء على نفسه .

(١) قال المناوى فى « فيض القدير » فى شرح هذا الحديث ما ملخصه :

. . . أى لولا خيانة حواء لآدم فى إغوائه وتحريضه على مخالفة الأمر بتناول الشجرة لم تخن أنثى زوجها ؛ لأنها أم النساء ، فأشبهنَها . ولولا أنها سنَّتْ هذه السُّنَّة لما سلكتها أنثى مع زوجها ؛ فلما خانت سَرَتْ فى بناتها الخيانة ، فقلَّما تسلَمُ امرأة من خيانة ، بفعلٍ أو قول .

وليس المراد بالخيانة الزنا حاشا وكلاّ لكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة ، وزيَّنت ذلك لآدم ، مطاوعةً لعدوه إبليس ، عُدَّ ذلك خيانةً له ، وأما مَن بعدها مِن النساء : فخيانة كل واحدة منهن بحسبها .

وفى هذا الحديث إشارة إلى تسلية الرجل لما يقع لهم مع نسائهم كما وقع من أمهن الكبرى ! وأن ذلك من طبيعتهن ، والعرِق دسَّاس ، فلا يُفْرط فى لومِ ما فرطَ منها بغير قصد ، أو نادرًا .

وينبغى للنساء أن لا يتمسكن بهذا الاسترسال على هذا النوع ، بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن ؛ ليكون لهن الثواب عند الله تعالى والمكانة السامية عند الرجل .

فتِّش عن الرجل

« فرانسواز بارتوربيه » كاتبة فرنسية شابة وضعت كتابًا أحدث هزةً عميقة فى المجتمعات المعاصرة : « رسائل جديدة إلى الرجال » لم تكن فيه مجرد مدافعةً متحمسةً عن بنات جنسها ، بل تلك الباحثة الاجتماعية الجريئة التى قالت الحقائق عاريةً عن كل زيف كما تقول مجلة « طبيبك » فى عددها ١٨٢ ، وهى هنا فى هذا المقال ترد على بعض ناقديها من الرجال « . . ومن الأفكار الثابتة عند الرجل أن يلقى على المرأة تبعة كل شىء عندما تسوء الأمور . . . إن الرجل هو المسئول الأوحد عن كل أزمة المجتمع المعاصر بكل ما حفل به من تعقيدات ، وتفكك ، ونزوع نحو الفوضى الأخلاقية والجنسية . .

لما فتحت ستائر الحرية ، راح الرجل ينشر الدعوة إلى الانفلات الجنسى الذى لا رادع له ، وتلك « سوق » ليست المرأة فيها سوى « المادة الأولية » على أن ذلك الانفلات من قيود الأخلاق ، والإباحة الجنسية ، ليست فى نظر الرجل المعاصر مجرد مغامرة غرامية ، بل « مغامرة سياسية واقتصادية » إذا صحَّ التعبير .

ومن الثابت أن النساء لسن وراء اندفاع هذه الموجة الكاسحة من الحمَّى الجنسية التى تجتاح العالم كله ، بل هم الرجال الذين يشجعونها ويضيفون إليها هذه المسحة الخبيثة التى تتنافى أصلاً مع الطبيعة الأنثوية . . لماذا ؟!

لسبب بسيط وواضح ، فليس أضرّ بمصلحة المرأة وأشدّ أذًى لمستقبلها مِن شيوع الإباحة الجنسية ، وتخفيف أو إزالة الحواجز والقيود التى كانت فى خاليات الأيام . . =

. . . . . .

= إن الرجال هم الذين يصنعون وينتجون الصور الفاضحة ، والأفلام الإباحية ، والرجال هم الذين يستغلون الجسد الأنثوى لترويج سلعهم ، وتحقيق الأرباح المادية سواء عندما يريدون بيع نوع من الفاكهة - والسجائر السامة المُهدِمة للجسم والجنس - أو إغراء الآخرين بـ . . . . . .

وفى رأيى أن النساء المشتغلات فى عرض الأزياء أو الوقوف عاريات أمام الفنانين ، أو العاملات على ترويج بعض السلع ، متواطئاتٌ مع الرجال فى هذا الصعيد ، ولكنهن غير مسئولات فى كل حال ؛ لأن دوافعهن فى الأصل نابعة عن حاجة ملحة أو إغراء ، أو تضليل . و« تحرير المرأة » لا علاقة له البتة بهذا الاتجار بالجنس ، بل العكس هو الصحيح ، فهو إن دل على شىء فعلى أن عالم المرأة ما يزال مستعبداً ، خاضعاً . . لرغبات الرجل ! بعيداً كل البعد عما نَحْسَبُه حريةً وتحرُّرًا !! ذلك إنه لا شىء يسىء إلى المرأة فى نفسها وجسدها ، فى إنسانيتها وكيانها كتحويلها إلى وسيلة عرض ، وأداة ترويج تجارى !!

إنه لون مبتكر من الرق المنظم والبغاء المموَّه !!

والمرأة بغريزتها تنفر من هذين اللونين على حد سواء ، فهى تعرف أن لا شىء يبعد بها عن جنان الحب الوارفة « كتضييع الجنس » . هذا ما كان يقال لنا ، إذا أردنا فهم المسألة المعاصرة لإنسان هذا الزمن : « فتش عن المرأة » .

أما أنا فأرد قائلة : إذا شئتَ أن تعثرَ على حقيقة المأساة بسرعة ، فما عليك إلا أن « تفتش عن الرجل !! » .

تحدثنا فى أوّل الكتاب عن موضوع « فتش عن المرأة » ، ونشرنا فيما سبق فى الهامش موضوع : « فتش عن الرجل » تاركين للقارئ والقارئة حرية مناقشة الموضوعين بنزاهـــة وإنصاف وحياد . . فليس الموضوع موضوع تفاخر وتلاعب بالقوانين كما يفعل بعض المحامين حتى فى البحث فى الدعوى الواحدة عن الانتقال من موقف إلى آخر من مواقف القضاء ، فيحللونه تارة ويحرّمونه تارة . . إنما الموضوعُ موضوعُ دينٍ ، موضوع أمة ، موضوع حياة أو موت .

ومهما كان من شكوى هذه الكاتبة : فإنى لا أشاركها فى بعض ما ذهبت إليه من إعفاء المرأة من كل تبعة مما سبق ذكره ، فصوَّرتها كدمية أو حجر شطرنج يحركه اللاعب كيف شاء . وقديما قال المثل العربى : « تجوع المرأة ولا تأكل بثديها !! » ولعل لها بعض العذر فى الغرب الذى لم تحمها تشريعاتها ، مما أدى إلى ما نشاهده من فوضى خُلقية تهدد بسقوط الحضارة كما تنبَّأ بذلك كثير من مفكرى الغرب .

فما أعظم الإسلام ! فقد ربى المرأة على المسئولية والوعى ، وفرض لها حقوقاً - مقابل بعض الواجبات - تجعلها ملكة الأسرة غير المتوجة ؛ سواء مِن قِبل زوجها أو أقاربها إذا لم تكن متزوجة ، أو كان زوجُها فقيراً .

فأين كل هذا من الأنظمة الغربية التى كانت تبيح إلى زمن ليس ببعيد بيع الزوج لزوجته ! وإلى الآن تبيح للأزواج تبادل الزوجات بينهم كأنهن بغايا ومومسات ثم لا يلبثون أن يطلقوهن ، ويطردوهن إلى الشوارع ليعِثْنَ فى الأرض فساداً . . !

- قال ابن عباس : « لم يكفر ممن مضى إلا مِن قِبل النساء (أى : بسببهن) ، ولا كَفَر مَن بقى إلا من قِبل النساء » .

خطورة القضية الجنسية [١]

الآيات :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ [٢] مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .

الأحاديث :

* « أكثرُ ما يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ ؛ تقوى اللهِ وحُسْنُ الخُلُق ، وأكثر ما يُدخِلُ الناسَ النارَ : الفمُ والفرْجُ » . (ت) ح .

* « مَن وَقاه اللهُ شرَّ ما بين لحْيَيْه وشرَّ ما بين رِجْلَيْهِ [٣] دخل الجنة » (ت . حب . ك) ص .

---

(١) لقد أولى الإسلام القضية الجنسية أهمية عظيمة ، وخصَّها بعنايةٍ وشرحٍ مما رأينا بعضه فى هذا الكتاب ، وذلك بسبب خطورتها وأهميتها . .

ومما يحسن الإشارة إليه بمناسبة هذا العنوان أن نذكر أن **أولى الجرائم التى حدثت على أرضنا هى لأسباب جنسية !!** جاء فى تفسير الإمام ابن كثير :

« إنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ومعه جارية ، فكان يزوِّج غلامَ هذا البطن جاريةَ هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطنُ غلامَ هذا البطن الآخر ، حتى وُلد له ابنان يُقال لهما : « هابيل » و « قابيل » .

وكان قابيلُ صاحبَ زرع ، وكان هابيلُ صاحب ضَرْع ، وكان قابيلُ أكبرهما ، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل . وإن هابيل طلب أن ينكح أختَ قابيل ، فأبَى عليه وقال : هى أختى ولُدت معى ، وهى أحسن من أختك ، وأنا أحق أن أتزوج بها ! . .

فأمره أبوه أن يزوجها هابيلَ ، فأبى . وأنهما قدَّما قرباناً إلى الله عز وجل : أيهما أحق بالجارية ، وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما . فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختى !! » [أ . هـ باختصار رواه ابن جرير] .

(٢) فى هذه الآية جعل اللهُ سبحانه وتعالى النساء رأسَ الشهوات ، وذلك لتقدمهن فى قلوب الرجال على جميعها . وقد كانت إحدى الصالحات تقول : « مِن شقوتنا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قدَّمنا حيث ذكر الشهوات » ، ثم تتلو الآية السابقة .

وقالت بعض النساء تخاطب الرجال : « كلُّكم بطلٌ ما لم نراوده » .

(٣) إن أول دم سُفك على الأرض ، دمُ أحد ابنى آدم بسبب المنافسة على النساء كما ذكرنا سابقاً ، ولا غرابة إذا ضمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم النجاة لمن حفظ لسانه وفرجه ، وكان من السابقين فى دخول الجنة . =

* « اثنان يدخلان الجنة : مَن حفظَ ما بين لحيَيْه ورِجْلَيْه دخل الجنة » (الخرائطى) ص .

= لهذا كان تهذيب الغريزة الجنسية وتزكيتها وتوجيهها إلى الطريق المشروع هو من الأهمية بمكان ، وعلى ذلك تتوقف سلامة الأمم ونهوضها .

وبمناسبة الكلام عن خطورة القضية الجنسية يحسن أن نذكر أن حركة الإصلاح الدينى اللوثرى فى أوروبا كان من أهم أسبابها حل هذه القضية كما صرح بذلك « مارتن لوثر » زعيم هذا الإصلاح نفسه ؛ فقد قال حسب ما جاء فى كتاب « حياتنا الجنسية » للدكتور « فريدريك كهن » :

« من أراد أن يرغِم على كبت الحرارة الجنسية ، يشبه شخصاً عديم الشعور يحاول إقناعنا أن الطبيعة أصبحت عكس ما نعرف ؛ فلا تعود النار تحرق ، ولا الماء يبلّل ، ولا الرجل يأكل ويشرب !! » .

يعرِّض « لوثر » فى كلامه بالكنيسة ومفاهيمها الخلقية التى فرضتها على الناس ؛ فكانت الرهبانية التى ابتدعوها ، وكان الإيحاء العام أن الجنس قذر فى ذاته ، وإن المرأة مخلوق شيطانى دنس ينبغى الابتعاد عنه ، والزواج ضرورة غريزية - حيوانية - للعامة ، ولكن السعيد الأتقى من استطاع أن « يرتفع » عليه ولا يتزوج .

ومضت الأمور على ذلك حيناً ؛ مباذل شنيعة بشعة فى الإمبراطورية الرومانية على اتساعها ، ورهبانية واسعة الآفاق فى حدود الصحارى ، وفى داخل المدن فراراً من الفساد .

يقول « ليكى » فى كتاب « تاريخ الأخلاق فى أوروبا » :

« كانت الدنيا فى ذلك الحين تتأرجح بين الرهبانية القصوى والفجور الأقصى ، وإن المدن التى ظهر فيها أكبر الزهَّاد كانت أسبقَ المدن فى الخلاعة والفجور ، وقد اجتمع فى هذا العصر الفجورُ والوهم اللذان هما عدوان لشرف الإنسان وكرامته » .

ويصوِّر هذا الكتاب النفورَ مِن فكرة « الجنس » وما حولها مِن علاقات - فى ظل الرهبانية - فيقول : « وكانوا يفرون من ظل النساء ، ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن ، وكانوا يعتقدون أن مصادقتهن فى الطريق والتحدث إليهن - ولو كنَّ أمهات أو زوجات أو شقيقات - يحبط أعمالهم وجهودهم الروحية » .

وينقل الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى كتابه « الحجاب » بعض أقوالهم ، فيقول : « فمن نظريتهم الأوَّلية الأساسية فى هذا الشأن ، أن المرأة ينبوع المعاصى ، وأصلُ السيئة والفجور ، وهى للرجل بابٌ من أبواب جهنم ، من حيث هى مصدر تحريكه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست أشد المصائب الإنسانية جمعاء ، فبحسبها ندامةً وخجلاً أنها امرأة ! وينبغى لها أن تستحى من حُسنها وجَمالها ؛ لأنه سلاح إبليس الذى لا يوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة ، وعليها أن تكفُر ولا تنقطع عن أداء الكفَّارة أبداً ؛ لأنها هى التى قد أتت بما أتت من الرزء والشقاء للأرض وأهلها .

ودونك ما قاله « ترتوليان » أحد أقطاب النصرانية الأُوَل وأئمتها ، مبيناً نظرية المسيحية فى المرأة ، أنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، وإنها دافعةٌ بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ، ناقضةً =

* « اللهم إنى أعوذُ بك من شَرِّ سمعى ، ومِن شر بصرى ، ومن شر لسانى ، ومِنْ شَرِّ قلبى ، ومِن شَرِّ مَنِيِّى » [١] ! (د . ك) ص .

* * *

= لِقانون الله ، ومشوِّهة لصورة الله - أى الرجل - . وكذلك يقول « كرائى سوستام » الذى يُعَدّ من كبار أولياء الديانة النصرانية فى شأن المرأة : « هى شر لا بد منه ، ووسوسة جِبِلِّية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ، ورزء مطلىٌ مموَّه » .

« أما نظريتهم الثانية فى باب النساء ، فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هى نجسٌ فى نفسها يجب أن تُتجنب - ولو كان عن طريق نكاح وعقد رسمى مشروع .

من هذه النظرية الجاهلية المنحرفة - التى لم يأمر بها الدين ، ولا يمكن أن يأمر بها نبى ، حدث رد فعل جاهلى عنيف فى الاتجاه الآخر » .

[جاهلية القرن العشرين ص (٢٠٥ - ٢٠٦)] .

وهذه الفوضى الجنسية جعلت الغربيين أشبه بالقردة والخنازير ، مما جعل مفكريهم يضجون من أهوالها لما تؤدى إليه من هلاك وفناء ، هى نتيجة رد الفعل الذى سببته مبادئ الكنيسة وكتبها المدمرة للجنس . وكل ذلك ناجم عن الجهل بالفطرة الإنسانية ومحاربتها . .

وهذه الأزمات والآفات والمشكلات الجنسية التى يتخبط بها الغرب والتى هى بسبب تفريط الكنيسة وإفراط الحياة الغربية لا توجد فى الإسلام الذى راعَى الفطرة وهذبها فكانت السعادة البناءة والحياة المنتجة الهادفة مما رأينا تفصيله فى صفحات هذا الكتاب . .

(١) أى مِن شر فرْجى .

الأسرَةُ أمَام الزوَابعِ

خطورةُ الاختلاطِ والخلوةِ بالمرأةِ

الأحاديث :

* « أَلا لا يبيتَنَّ رجلٌ عند امرأةِ ثَيِّبٍ ، إلا أن يكون ناكحاً أو ذا مَحْرَم » (م).
* « إن المرأة تُقبِل فى صورة شيطان ، وتُدْبر فى صورة شيطان » (م).
* لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان الشيطان ثالثهُما » [١] . (ت) ص وإسناده حسن .

---

(١) قال محمد طلعت حرب فى كتابه « المرأة والحجاب » :

« إن رفع الحجاب والاختلاط ، كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان ، لغايةٍ فى النفس يدركها كل مَن وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الإسلامى » .

ويقول أيضاً فى الكتاب نفسه : « إنه لم يبقَ حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامى فى الشرق ، لا فى مصر وحدها ، إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد الذى عَمَّ النساء فى الغرب وبات ينذر بالخطر ! » .

قد يستغرب بعض الشبان والشابات هذه الأمور ، وربما اعتبروها تقييداً لحريتهم بسبب تحكيمهم هواهم وسيرهم وراء شهواتهم . وقد نشرت « صحيفة الجمهورية » المصرية فى تاريخ ٩ يونيو ١٩٦٢ تحت عنوان : « كاتبة أمريكية تقول » : « امنعوا الاختلاط وقيِّدوا المرأة » - ونلخص المقال فيما يلى : واسم الكاتبة « هيلسيان ستانسيرى » الصحفية الشهيرة . زارت الجامعات ومعسكرات الشباب والمؤسسات الاجتماعية فى جمهورية مصر العربية فكان مما قالته : « إن المجتمع العربى مجتمع كامل وسليم ، ومن الخليق بهذا المجتمع إن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشباب فى حدود المعقول .

فعندكم تقاليد تحتِّم عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والأسرة فى أوروبا وأمريكا . .

لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، وامنعوا الاختلاط وقيِّدوا حريةَ الفتاة ، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب .

لقد أصبح المجتمع الأمريكى مجتمعاً معقداً ، مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة ، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين تملأ السجون والأرصفة والحانات والبيوت السرية .

إن الحرية التى أعطيناها لِفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات « جيمس دين » وعصابات للمخدرات والرقيق الأبيض .

إن الاختلاط والإباحية والحرية فى المجتمع الأوروبى والأمريكى هددت الأسرَ ، وزلزلت القيم والأخلاق ، ومن أهم الدسائس التى دخلت على أمتنا عن طريق التضليل العلمى ، أن الاختلاط بين=

. . . . . .

= الجنسين يهذِّب الطباعَ ، ويُصبح عادةً ، ويقلِّل من التفكير فى قضايا الجنس ، وهذا افتراء على العلم يكذبه واقع الحياة . وقد اتصلت بأحد علماء النفس المصريين القائلين بهذه النظرية الفاسدة وقلت له : لو صحت نظريتك لكان الاختلاط التام بين الزوجين سببا لزهدهما فى القضايا الجنسية ! وهذا غير صحيح .

زد على ذلك أن الاختلاط على أتمه فى الغرب ، ومع ذلك ؛ فالرجال والنساء كالقردة والخنازير - على الغالب - يزدادون شبقاً حتى زالت الأسرة أو كادت تصبح على وشك الزوال !

ومن أهم ما نحب أن نوجه إليه الانتباه بمناسبة الكلام عن الاختلاط ، الرد على الزعم الحديث القائل بأن الاختلاط يرهف الشعور ويهذب العاطفة ، ويصرف الطاقات المكبوتة فلا تعود مشاهد الجنس تثير الشهوة وتشغل الذهن ؛ فالاختلاط تصريفٌ ملطِّف نظيف وبرىء . وهو زعم كاذب ، وذلك بعدما ثبت كذبه بالمشاهدة والتجربة ؛ فهذا الغرب ، على الرغم من شدة اختلاط الجنسين فيه قد بلغَ من الفساد الخُلقى القمة فى الانحلال والانهيار ، حتى غدت نسبةُ الحبالَى من التلميذات فى المدارس الثانوية الأمريكية فى إحدى المدن ٤٨٪ حسب إحصاء قديم ، فكيف به الآن حيث تصل نسبة هذا الفساد إلى أعداد غريبة تزداد بنسبة الاختلاط فى البيوت المحطمة تحت مطارق الشهوات الجامحة والرغبات الملتهبة والقلق الجانح ، الذى يثير تقلب العواطف فى المجتمع المختلط ، الذى تلوح فيه للأزواج والزوجات مزايا جديدة فى نساء جدد ورجال جدد! فينقلب هؤلاء وهؤلاء إلى صيد جديد ، وتتأرجح البيوت فى مهابِّ الريح ، كلما لمح زوجٌ أو لمحت زوجةٌ بارقةً لامعة فى شخصية جديدة ، كما لو أن الزوج أو الزوجة قطعة أثاث أو رباط عنق أو زيٌّ جديد فى عالم الموضات .

قال الأستاذ فتحى يكن : « لا بد من الاعتراف بأن الغرائز - كل الغرائز - عُرضة للانطلاق والانكماش والمد والجزر تبعاً للمثيرات أو المهدِّئات . . فالذى يجلس على مائدة تزدحم بأنواع التوابل يكون إقبالُه على الطعام أشد ممن حُرِم منها ، وهذا من شأنه بدون شك أن يعمل يوماً بعد يوم على مضاعفة حاجته الغذائية تبعاً لامتداد أمعائه » .

وصدق البوصيرى ناظم قصيدة البردة حيث يقول :

فلا تَرُمْ بالمعاصى كَسْرَ شهوتَها ... إن الطعام يُقَوِّى شهوةَ النَّهِم
والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطِم
فاصرفْ هواها وحاذر أن تولِّيَهُ ... إن الهوىَ ما تولَّى يصم أو يَصِم

والذين يعيشون فى أحضان المغريات والمفاتن يكونون عرضةً للإرهاق والكبت الجنسى أكثر من غيرهم ؛ لأن توابل الشهوة ومقبِّلاتها ستثير غرائزهم الجنسية وتدفعهم لتصريفها بمختلف الوسائل والطرق ، دونما تفكير أو تقدير . . وهنا تدق إشارة الخطر . .» .

وقد بالغ بعض أنصار الاختلاط حتى حضُّوا الشباب على الرقص مع الفتيات ، كما حضوا المتزوجين على الرقص مع غير زوجاتهم بحجة تهذيب الغرائز ، وهناك الطامات الكبرى !!

وبمناسبة ذكر قصيدة البردة ، أرى من الواجب التنبيه إلى ما فيها من أبيات مُخِلَّةٍ بالتوحيد ، فلا يجوز قراءتها ؛ كاستغاثة ناظمها بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم مما هو شرك : =

* « لا يخلُوَنَّ أحدُكم بامرأةٍ إلا مع ذى مَحْرَم » [١] . (خ . م) .

انتبهى أيتها الزوجةُ

الحديث :

* « لا تباشرِ المرأةُ المرأةَ فتنعتها [٢] لزوجها كأنه ينظرُ إليها » . (حم . خ . د . ت) ص .

= ما سامنى الدهرُ ضَيْماً واستجرتُ به ... إلا ونِلْتُ جواراً منه لم يُضَم
يا أكرَمَ الخلق ما لى مَن ألوذ به ... سواكَ عند حلول الحادثِ العَمَم

وقد قال النبى ﷺ : « إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله » ، والاستعانة دعاء ، والدعاء هو العبادة كما جاء فى الحديث الصحيح ؛ فمن دعا غيرَ اللهِ كَفَرَ - والعياذ بالله !!

وكوصف ناظم هذه القصيدة النبئ صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يعلم الغيب :

وإنَّ مِنْ جُودك الدنيا وضرّتها ... ومِن علومك علمُ اللَّوح والقلم

والله سبحانه يقول : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ ، ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ ، ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

لهذا فإنى أنصح البيت الإسلامى الذى نكتب لسعادته فى الدنيا والآخرة بعدم قراءة قصيدة البردة ، وما قيل من أن ناظمها « البوصيرى » أصيب بالفالج ، وأن الرسول ﷺ ألقَى عليه جبته فشفى بسبب نظمه فكذب ! ولا أدرى كيف يستحسن الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم هذه القصيدة ، وفيها ما فيها من الضلالات . . فلا يغتر القراء والقارئات بكثرة قُرَّائها ومنشديها ، فقد عمَّ الجهلُ والغباوةُ - وحتى الشرْكُ - كثيراً من أدعياء العلم ويا للأسف !!

(١) أين هذا الأدب الإسلامى الرفيع الشريف من التقاليد الأجنبية الفاجرة التى تعتبر هذه الخلوة مهما كانت ملابستها من الأمور العادية ، وإلى القراء القصة التالية التى تصف ما بلغه الغرب من انحلالٍ ، وقد نشرتها صحيفة أخبار اليوم فى عددها الصادر فى ٣ يونيو سنة ١٩٥٦ فى عددها ٦٠٨ ص٢ :

« ضبط أحد الأزواج - فى منزل الزوجية - زوجته عارية كيوم ولدتها أمها ، بصحبة رجل أجنبى عنها عريانا أيضاً كيوم ولدته أمه ، فرفع أمرَه إلى القضاء طالباً الطلاق من زوجته البغِىّ التى استهانت بكرامته وكرامة منزل الزوجية المقدس ، غير أن القضاء الإنجليزى فى إحدى محاكم لندن لم يَرُقْهُ تصرف ذلك الزوج الرجعى الذى لا يتمشى مع التقدم الغربى والرقى الاجتماعى !! فقضى برد دعواه مبرراً هذه القصة بأن الزوج يجب عليه أن يقدر الظروف والتقاليد !! » .

(٢) إن لهذا التوجيه النبوى خطورته ودلالته على معرفته العميقة ﷺ بأسرار النفس البشرية التى كثيراً ما تقع فريسة للحب نتيجة الوصف ، ولا غرابة فى ذلك ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ - ٤] .
=

صيانةُ المرأةِ وحمايتُها

الحديث :

* « لا يَحِلُّ [١] لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو أخوها أو [٢] زوجُها أو ابنُها أو ذو مَحْرَمٍ » . (خ . م) وغيرهما .

= قال الشاعر يتحدث عن خطر هذا الوصف :

أيا مَن لامَنِى فى حبِّ ... مَن لَمْ يَرَهُ طَرْفى
لقد أفرطتَ فى وصفك ... لى فى الحب بالضعْفِ
فقل هل تعرفُ الحاسَّةُ ... يوماً سِوَى الوصفِ

قال الإمام ابن القيم : « دواعى الحب من المحب أربعة أشياء :

أولها بالنظر ، إما بالعين ، أو بالقلب إذا وُصف له ، فكثيرٌ من الناس يحب غيره ويفنى فيه محبةً ، وما رآه ، ولكن وُصف له !

ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم المرأة أن تنعت المرأةَ لزوجها حتى كأنه ينظر إليها . . » روضة المحبين ص ٨٨ .

وقال صاحب كتاب « تحفة العروس » : « والمرأة إن كانت عفيفة ولم تكن ممن يُخشى عليها مثل هذا ، وكان السامع لوصفها كذلك ، فقد يبقى فى نفسه شىء من أمرها يحمله على تربص الدوائر بها وانتظار ما يمكِّنه من التوصل إليها على الوجه المشروع : من موت زوجها ، أو تطليقه لها ، فيثِب عليها ويتزوجها . . » فالحذر الحذر أيتها المرأة !

(١) اعترف أحد الأزواج فقال : كنت فى بلد ما ، فأرسلتُ إلى زوجتى أطلب حضورها ، فانتظرتها فى الوقت المعين ، فلم تحضر الطائرة ، فسألت الشركة هاتفيًا فقالت : لقد أصاب الطائرة عطل واضطرت للنزول فى مركز ما لإصلاحها وستحضر بعد ساعة . ثم وصلت الطائرة .

فنزلت زوجته منها ، فوقف بقربها ، فقالت لها المضيفة - ولم تعرف أنه زوجها - هل ودَّعتِ الطيار ؟ فأدرك ما جرى ، واضطرت الزوجة للاعتراف ، فعلم إنه بطريقة من الطرق جرى التعارف بين الزوجة والطيار ؛ فقد احتال الطيار على الركاب بوجود خلل فى الطائرة يحتاج إلى إصلاح مدة ساعة ، فهبط فى المطار ونزل الركاب من الطائرة ، ثم جاءوا بعد انقضاء الساعة ، وقد قضى منها وطره هو ومعاونوه ! وفى ذلك عِبرةٌ لمن يعتبر ! .

(٢) قدمت امرأةٌ مكةَ - وكانت من أجمل النساء - فنظر إليها عمر بن أبى ربيعة فوقعت فى قلبه ، فكلَّمها فلم تجبه . فلما كانت الليلة الثانية تعرض لها ، فقالت : إليك عنِّى ! فألحَّ عليها فى الكلام فلم تجبه ! فقالت لأخيها فى الليلة الثالثة : اخرج معى فأرنى المناسك ، فتعرَّض لها ابن أبى ربيعة ، فلما رأى أخاها معها ، أعرض عنها ، فتمثلت بقول الشاعر :

تعدو الذئاب على مَن لا كِلاب له ... وتَتَّقِى صولةَ المستنفِر الحامِى ! =

النظرُ سهمٌ مِن سِهامِ إبليس [١]

الآيات :

* ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ [٢] ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣٠ - ٣١] .

= زِد على ذلك أن سفر الزوج أو المحرم مع المرأة ، يفيد فى معاونتها وصيانتها إذا أصابها مكروه من مرض أو غيره . وقد سمعت بهذا الحديث إحدى المستهترات فلم يعجبها ، وتصادفَ أن سافرتُ مع زوجتى فخرجتْ لوداعنا ، وشاهدتْ كيف كنت مساعدا لزوجتى فى حمل الأمتعة وغيرها من إجراءات السفر ، فأقرت بحكمة الحديث .

(١) ما أعظم وعى الإسلام ؛ فإنه لم يترك المسلم يخطط لنفسه تبعاً لهواه وسلوكه الجنسى ، حتى إذا ما وقع فى جريمة الزنى أهلك نفسه وغيره واستحق عذاب الدنيا والآخرة ، بل راح الإسلام يسد أمامه نوافذ الشر التى تؤدى إلى الوقوع فى هذه الجريمة النكراء ؛ كالنظرة والتبرج والاختلاط والتشبه بالكافرات ، والسكنى بقربهن ، وإهمال الحجاب الشرعى وغير ذلك ، وكل ذلك من المقدمات التى قد تؤدى إلى أسوأ مصير .

(٢) جاء فى كتاب « روضة المحبين » للإمام ابن القيم بحث طريف فى بيان فوائد غض البصر نقتطف منه ما يلى :

قال الشاعر :

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاء!

قال ابن عباس : « الشيطان من الرجل فى ثلاثة : فى نظره ، وقلبه ، وذَكَرِه . وهو من المرأة فى ثلاث : فى بصرها ، وقلبها ، وعَجزِها » .

وقال الإمام ابن القيم :

« وفى غض البصر عدة فوائد منها : تخليص القلب من ألم الحسرة ، فإن أطلق نظره دامت حسرته ، فأضرُّ شىء على القلب إرسالُ البصر ، فإنه يُريه ما يشتد طَلبُه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه ، وذلك غاية ألمه وعذابه » .

قال أحد المستهترين : رأيتُ جاريةً كأنها مهاة (غزالة) فجعلت أنظر إليها وأملأ عينى من محاسنها ، فقالت لى : يا هذا ما شأنك ؟!

قلتُ : وما عليك مِنَ النظر ؟! فأنشأت تقول :

وكنتَ متى أرسلت طَرفكَ رائداً لِقلبك يوماً أتعبتكَ المناظرُ

رأيتَ الذى لا كلّه أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضِه أنت صابرُ

والنظرة تفعل فى القلب ما يفعل السهم فى الرميَّة ، فإن لم تقتله جرحتْه ، وهى بمنزلة الشرارة من النار تُرمَى فى الحشيش اليابس ، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضَه كما قيل : =

الأحاديث :

* « إن الله كتبَ على ابن آدم حظَّه مِن الزنى ، أدرك ذلك لا محالة ، فَزِنَى العينِ النظرُ ، وَزِنَى اللسان النطقُ ، والنفسُ تتمنى وتشتهى ، والفرج يصدِّقُ ذلك أو يكذِّبه » (خ . م . د . ن) ص .

* عن جرير بن عبد الله قال :

« سألتُ رسولَ الله ﷺ عن نظرة الفجاءة ، فأمرنى أن أصْرِفَ بصرى » [١] . (م) .

= كلُّ الحوادث مبدأها من النظر ومعظمُ النارِ مِن مستصغَرِ الشرر
كم نظرةٍ فتكتْ فى قلب صاحِبِها كفتْك السهام بلا قوسٍ ولا وتر
والمرءُ ما دام ذا عينٍ يقلِّبها فى أعين الغِيد موقوفٌ على الخطر
يسرُّ مقلته ما ضَرَّ مهجتَه لا مرحَباً بسرورٍ عادَ بالضرر !

ومن فوائد غض البصر : أنه يورث القلب سروراً وفرحة وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر ، وذلك لقهره عدوه بمخالفته نفسه وهواه ، وأيضاً فإنه لما كفَّ لذته وحبسَ شهواته لله وفيها مسرة نفسه الأمّارة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرةً ولذةً أكمل منها . قال بعضهم : والله لَلَذَّةُ العفة أعظم من لذة الذنب .

ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحاً وسروراً ولذةً أكمل مِن لذة موافقته بما لا نسبة بينهما ، هنا يمتاز العقل عن الهوى .

وينبغى ألاّ نغفل أنه يدخل فى موضوع غض البصر عمَّا حرَّم اللهُ : مشاهدةُ الأفلام السينمائية والتليفزيونية الماجنة ، وكذلك قراءة الروايات والكتب الغرامية المفسدة التى تثير الغرائز وتوجهها وجهة فاسقة شريرة .

كما ينبغى ألاّ نغفل أيضاً أن حكم الأذن كحكم العين ؛ فلا يجوز سماع كل ما حرم الله خاصةً الأغانى الفاجرة والموسيقى .

(١) لقد أثبت الطب ضررَ النظرات المتتابعة على النفس ، فهى تستنزف الغريزة الجنسية شأن مولدة (بطارية) كهرباء السيارة ، وقد شرح ذلك مفصلاً الدكتور « فريدريك كهن » فى كتابه « حياتنا الجنسية » فقال :

« إذا شبَّهنا جهازَ الانتصاب عند الرجل بجهاز كهربائى ميكانيكى ، من نوع أجهزة الأجراس المعتادة ، فتكون الغدَّة التناسلية (الخصية) بمثابة المولِّد الكهربائى (البطارية) الذى يمد الجهاز بالقوة والنشاط . والخصية تشحن جسم الإنسان بالتيار الكهربائى الجنسى ، بما تفرزه من هرمونات تنصبُّ فى الدم ، وتجول بجولاته لتصل إلى جميع أنحاء الجسم .

والولد والرجل الهرم لا يثوران جنسيًا ؛ لأن غددهما التناسلية هاجعة لا تفرز (أى المولد الكهربائى نائم) . =

. . . . . .

= إذن فالشرط الأول اللازم لحدوث الانتعاظ ، إنما هو وجود مفرزات (هرمونية) تؤثر فى قشرة الدماغ فتثير مركز الجوع الجنسى فيه . ويجب أن نعلم ونتأكد أن الجرس لا يمكن أن يقرع ويتحرك بدون وجود مولد (بطارية) تشحن الدماغ بالتيار الكهربائى .

أما الشرط الثانى لحدوث الانتعاظ فهو ضرورة وجود الرغبة الجنسية أو المثير الجنسى ، وكذلك الحال فى الجرس الذى لا يمكن أن يُقرع بدون رغبة القرع (ضغط الزر) .

ويتجلى المثير الجنسى عند الرجل بشكل امرأة جميلة مثلاً ، فيقال بأنها أثارته ، وأثارت فيه الشهوة والرغبة (ضغطت الزر) فسار التيار الكهربائى فى مركز الدماغ وسقطت الكرة التى تمثل الإثارة الجنسية لانجذاب الصفيحة المعدنية ، فتتدحرج الكرة حتى تصل إلى النخاع الشوكى حيث تسير فيه .

وكما أن الجرس الكهربائى لا يُقرع دائماً بل عند الحاجة ، وعند ضغط الزر ، كذلك الانتصاب لا يحدث دائماً ، بل يبقى العضو المذكر بحالة الراحة إلى حين حدوث القرع . . وولادة الرغبة » .

وهكذا نرى النظرات المتتابعات تؤدى إلى شبه عملية جماع ، تنهك الجسم وتستنزف القوة الجنسية ما دامت تتكرر مرات ومرات فى اليوم كلما صادف مرور امرأة متبرجة أمام الرجل ، ولعل الحديث النبوى الصحيح القائل : « كلُّ عينٍ زانية » يشير إلى هذه الحقيقة المدمرة !

وكل ذلك سبَّبَ ويسبِّب ضعفَ شبابنا وعزوفَهم عن الزواج!

وهكذا تكون الفتاة المتبرجة كاشفةُ الأعناق والصدور والسيقان قد جنت على نفسها أيضا ؛ بفقدان الشاب الرغبة فى الزواج بها ؛ لأنها قتلته بمشهد جسمها العارى وعينيها الذابلتين .

وقد تؤدى النظرة إلى العشق واضطراب النفس . وقد أحسن مَنْ قال :

وكنتَ إذا أرسلتَ طرفكَ رائدًا لقلبكَ يومًا أتعبتْكَ المناظرِ

ومن أعظم أخطار النظرة المتتابعة ، علاوة على معصية الله تعالى ، الوقوع فى حب المرأة الأجنبية وعشقها ، وفى أشد العذاب فى الدنيا .

قال الشاعر يصف خطَرَ العشق :

هو الحبُّ فاسلم بالحشا ما الهوَى سَهْلُ فما اختاره مضنًى به وله عقل !!

وعش خالياً فالحبُّ راحتُه عَنًى وأوَّلُه سُقْمٌ وآخِرُهُ قَتل !!

قال الإمام ابن القيم :

« ومن الناس من يقصد بها (أى بالنظرة) منفعة البدن ، وهو غلط ؛ فإنه يترتب عليها من المضرَّة المتولدة عن الفكر ما هو أعظم من تلك المنفعة بكثير » .

ما علاج مَنْ وقعَ فى عشق ما لا يحلّ له ؟

يقول ابن القيم : « واللذة الحاصلة بذكر الله والصلاةِ - عاجلاً وآجلاً - أعظم وأبقى وأدفع للهموم والغموم والأحزان .

وتلك اللذة أجلب شىء للهموم والغموم عاجلاً وآجلا ؛ ففى لذة ذكر الله والإقبال عليه والصلاة بالقلب والبدن من المنفعة الشريفة العظيمة السالمة عن المفاسد الدافعة للمضار غنًى وعِوَض للإنسان=

صراحةٌ مكشوفةٌ

الأحاديث :

* « إذا رأَى أحدُكم امرأةً ، فوقعت فى قلبه ، فليعْمَدْ إلى امرأته ، فليواقعها ؛ فإن ذلك يَرُدُّ ما فى قلبه » [١] . (م) .

= الذى هو إنسان ، عن تلك اللذة الناقصة القاصرة والمانعة لما هو أكمل منها ، الجالبة لألم أعظم منها » . (روضة المحبين ص ١٥٨) .

ومَن أمعن النظر فى الآيات السابقة أدركَ ما أعدَّه الله سبحانه للمؤمنين المتقين ، واستهان بعشق الدنيا ، ونسى معشوقه ، وسارع إلى طاعة الله سبحانه وجنته ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

ومن أروع الدروس والعبر التى ينبغى أن نأخذها من هذه الآية الكريمة ، أن الله سبحانه لما أمر المسلمات فيها بوجوب ستر نحورهن وصدورهن بغطاء الرأس ، سارعن إلى شق مروطهن (ثيابهن الداخلية) فاخترنَ بها تصديقاً وإيماناً بما أنزل اللهُ فى كتابه فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلاة محتجبات كأن على رءوسهن الغربان ! [الحديث] . فأين هؤلاء الصحابيات من أكثر مسلمات اليوم اللاتى لا تنفع معهن المواعظ ؟!

قال الإمام ابن القيم : « **وفى غض البصر عدة فوائد** :

إحداها : تخليصُ القلب من ألم الحسرة .

الفائدة الثانية : إنه يورث القلبَ نوراً وإشراقاً يظهر فى العين وفى الوجه وفى الجوارح .

ولهذا ، واللهُ أعلم ، ذكرَ اللهُ سبحانه وتعالى آية النور فى قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ عقب قوله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ .

الفائدة الثالثة : أنه يورث قوةَ القلبِ وشجاعته .

الفائدة الرابعة : أنه يورث القلبَ سروراً وفرحاً وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر ، وذلك لقهره عدوه - أى الشيطان - .

الفائدة الخامسة : أنه يخلِّص القلبَ مِن أسرْ الشهوة .

الفائدة السادسة : أنه يسد عليه بابا مِن أبواب الشيطان .

الفائدة السابعة : أنه يقوى العقل ويزيده ويثبته ، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب » [أ. هـ . باختصار عن روضة المحبين ص ٩٥ - ١٠٢] .

وما أحسن قول الشاعر :

ليس الشجاعِ الذى يحمى فريستَه ... يومَ القتال ونارُ الحرب تشتعلُ

لكن مَنْ غضَّ طرفًا أو ثَنَى قدماً ... عن الحرام فذاك الفارسُ البطلُ !

(١) قال الإمام ابن الجوزى فى كتابه « ذم الهوى » ص ٣١٣ : « واعلم أن العشاق قد جاوزوا حد البهائم فى عدم ملكة النفس فى الانقياد إلى الشهوات ؛ لأنهم لم يرضوا أن يصيبوا شهوة الوطْء ، =

وجوبُ مسارعةِ المرأةِ لتلبيةِ دعوةِ زوجها الجنسيةِ

الأحاديث :

* « ثلاثةٌ لا تُقبل منهم صلاة ، ولا تصعدَ إلى السماء ، ولا تجاوزُ رءوسهم : امرأة دعاها زوجها من الليل ، فأبت عليه . . . » الحديث . (خز) صَ .

* « إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشه ، فلم تأتِه ، فباتَ غضبانَ عليها ، لعنَتْها الملائكة حتى تُصبح »[1] . (خ . م . د . ن) .

= وهى أقبح الشهوات عند النفس الناطقة ، من أى موضع كان ، حتى أرادوها مِن شخص بعينه ، فضَمُّوا شهوةً إلى شهوة ، وذَلُّوا للهوى ذلاً على ذل ، والبهيمة إنما تقصد دفع الأذى عنها فحسب ، وهؤلاء استخدموا عقولهم فى تدبير نيل شهواتهم !! » .

قال الدكتور (نوبل كيز) فى معرض حديثه عن الأسرار الجنسية لطلابه فى جامعة كاليفورنيا فى الولايات المتحدة : « ليس ثمة شىء يجد المرءُ راحةً فى إتيانه مع غير زوجته ، إلا وجد راحة فى إتيانه مع زوجته - ولا شك يكون أتمّ وأعظم » !! [مجلة المختار نيسان ١٩٤٦ ص ٢٦] .

هذه حكمة عظيمة ينساها كثير من الرجال والنساء الذين يُسمَّون بالذوَّاقين والذوَّاقات ، لا لسبب سوى المتعة ووهم التجديد ، ظنًا منهم أنهم يجدون فى المرأة الجديدة ما لا يجدونه فى القديمة . وهذا خطأ فاحش يُسَبِّب لهم كثيرًا مِن المتاعب ، ويسرع إليهم الهرم وربما حسَّن لهم الزنى والعياذ بالله .

وكل ذلك من وساوس الشيطان . وما أصوب ما قاله عمرو بن العاص : « لا أَملُ ثوبى ما وسعنى ، ولا أَمَلُّ دابتى ما حملتنى ، ولا أَملُ زوجتى ما أحسنت عشرتى » .

قال الإمام ابن الجوزى فى كتابه صيد الخاطر :

« فالسعيد مَن إذا كانت له امرأة فمال إليها ومالت إليه ، وعلم سترَها ودينها ، أن يعقد الخنصر على صحبتها ، وأكثرُ أسباب دوام محبتها أن لا يُطلق بصرَه ، فمتى أطلق بصره أو أطمع نفسه فى غيرها ، فإن الطمع فى الجديد ينغِّص الخُلُق وينقص المخالطة ، ويستر عيوب الخارج ، فتميل النفس إلى المُشاهَد الغريب ، ويتكدَّر العيش مع الحاضر القريب كما قال الشاعر :

والمرءُ ما دام ذا عينٍ يُقَلِّبها ... فى أعين الغِيدِ موقوفٌ على الخطرِ
يَسُرُّ مقلتَه ما ضرَّ مهجتَه ... لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالضررِ

ثم تصير الثانية كالأولى ، وتطلب النفس ثالثةً ، وليس لهذا آخر ! بل الغض عن المشتهيات ، ويأس النفوس مِن طلب المستحسنات ، يطيب العيش مع المُعاشر ومَن لم يقبل هذا النصح تعثَّر فى طرق الهوى ، وهلك على البارد ، وربما سعى على نفسه فى الهلاك العاجل ، أو فى العار الحاضر ؛ فإن بعض الفاتنات لسنَ بصَيِّنات ولا يفى التمتع بهن بالعار الحاصل ، ومنهن المبذِّرات بالمال ، ومنهن المنغِّصة للزوج .

(١) قد يستغرب بعضهم هذا الترهيب الشديد والإنذار المخيف للمرأة ، والحق أنها تستحق =

* « إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشه ، فلتُجِبْ وإن كانت على ظهرِ قتبٍ[١] » (البزار) ص .

* « إذا دعا الرجلُ زوجتَه لِحاجته فلتأتِه ، وإن كانت على التَّنُّور » . (ن . ت) ص .

* « والذى نفسى بيده : ما مِن رجلٍ يدعو امرأته إلى فراشه فتأبَى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضَى[٢] عنها! » . (خ . م) .

= كل ذلك بسبب ما تسببه لزوجها من أضرار بسبب امتناعها ، ومن ذلك تعرُّضه للزنا أو للكبت المضر .

(١) يعنى الرَّحْل الذى يوضع على ظهر الجمل .

(٢) كثيراً ما ترغب الزوجة عن زوجها لأشغال وهموم تصرفها عنه ، فإلى مثل هذه الزوجة أقول ما قاله أحدهم : « إنه على باب هذا المخدع يجب أن تطرح جميع الهموم من جهة ، وجميع الاعتبارات من جهة أخرى! » .

« إنها ساعات لذيذة ورائعة هى التى يبث فيها الرجل إلى زوجته ، والزوجة إلى زوجها حنين كلٌ منهما وشوقَه للآخر ! ويصبحان فيها كائنًا واحدًا . وأشعة الحب تملأ عليهما رحابَ هذا الجو الرائع الجميل » .

وبمناسبة الكلام عن توصيات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمرأة بالمسارعة لتلبية رغبة زوجها الجنسية ، أذكر القصة التالية : « جاءت فى كتاب الأغانى » بشىء من الإيجاز والتصرف قالت إحدى النساء :

« كنتُ عند عائشة بنت طلحة ، فقيل : قد جاء عمر بن عبيد ، تعنى زوجَها . قالت : فتنحيتُ ودخلَ ، فكنتُ أسمعُ كلامَها ومداعبتَها مدَّةً . . وسمعتُ العجائب من الأصوات . .

فلما خرج قلت لها :

أنتِ فى نفسكِ وشرفكِ وموضعكِ تفعلين هذا ؟! فقالت : إنّا نستجيب لهذه الفحول بكل ما نقدر عليه وبكل ما يحرِّكهم . فما الذى أنكرتِ ؟!

قلت : أحب أن يكون ذلك ليلاً !

قالت : أن يكون ليلاً هذا أعظم منه ، ولكنه حين يرانى تتحرك شهوته ، فيمد يدَه إلىّ فأطاوعُه ، فيكون ما تَرَيْن! » .

هذا - وإذا حضَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرأة على سرعة تلبية رغبة زوجها الجنسية ، فذلك لاعتبارات كثيرة منها : أنّ إحجامها عنه قد يخيِّل إليه عدم محبتها له مما يؤدى إلى محاذير وأزماتٍ كثيرةً قد لا تُحْمَد عقباها . وليس معنى تلبية امرأة نداء زوجها دخول المخدع والاستسلام له فقط ، بل عليها أيضا أن تتجاوب معه وتتبادل الرغبة ، ولا تركن إلى برودتها الطبيعية ؛ كى لا ينفر وتتكون لديه فكرة سيئة عنها ، وعلى الزوجة أن تتفاهم مع زوجها وتصارحه بكل شىء . =

. . . . . .

* * *

= ومهما كان من شأن رغبة الزوج الجنسية ، فعلى الزوجة أن تكون حكيمة تستطيع أن تحوِّل نشاطَ زوجها الجنسى إلى أنواع من النشاطات لدفع الأفكار الجنسية إذا زادت على حد الاعتدال - وهو مرتان فى الأسبوع على الأكثر - فإذا زاد خاصة بعد مضى زمن طويل من العرس ، فإنه يؤدى إلى ضعف جسمى وعقلى وجنسى معاً .

وأهم ما ينبغى أن ننبه إليه فى هذه المناسبة أن كثيراً من الزوجات والفتيات الأبكار ينصرفن عن الرجل ؛ بسبب عدم معرفتهن معنى المتعة الجنسية فيثابرن على برودتهن حتى بعد الزواج ، فإذا لم يكن الزوج عليماً بإثارتهن بالمداعبة الطويلة خاصة فى المواقع الحساسة من المرأة ، ويستمر الزواج على هذا المنوال ، وربما انصرفت الزوجة عن تلبية طلب زوجها وحدثت المشكلات والأزمات !

ومن أسباب انصراف المرأة عن زوجها فى كثير من الأحيان تزمتُها وعبادتُها المنحرفة ؛ حتى أن بعض النساء أخذن يزهدن بالزوج نتيجة توجيهات مدرستهن السيئة التى يبرأ منها الإسلام الذى جعل الزواج عبادة ! .

إننى أوصى الزوج بألاّ يعتمد فقط على أحاديث الباب التى تحضُّ الزوجةَ على تلبية طلب زوجها ، بل عليه أيضاً أن يكون لبقًا وبعيدًا عن الأنانية والتسرع !! وقادراً على جذب زوجته وإثارتها . وقد قيل : إن المرأة كالآلة الموسيقية - إذا صح هذا التعبير - لا تُعزف إلا بيد موسيقار ماهر!! .

أخطَارٌ تهدِّدُ الأسرَةَ

خطرُ أقرباءِ الزوج وأصدقاءِ الأسرة

الأحاديث :

* « إيَّاكم والدخول على النساء ، فقال رجل : يا رسول الله ؛ أرأيت الحَمْوُ ؟ [١] قال : الحَمْوُ : الموتُ » [٢] (خ . م) .

---

(١) الحمو : أخو الزوج أو قريبه .

(٢) أى دخوله كالموت مهلك ، يعنى الفتنة منه أكثر لِتساهُل الناس فى ذلك . . . وكم سَبَّبَ إهمالُ هذا الحديث من مشكلات وزعزعة أركان الأسرة وهدمها !!

ومن أعجب ما سمعتُه أن أحدهم كان متزوجًا من امرأة عاقلة ، فحملتْ ، وكان أخوه طبيبًا نسائيًا ، فأراد الزوج أن يولِّدها أخوه فرفضت الزوجة وقالت : لا أقبل إلا طبيبًا غريبًا ، وكانت تخشى إذا ما هو ولَّدها ورأى عورتها ألا تؤمَن العواقب !!

ومثلُ الحمو أصدقاءُ الزوج أو صديقات الزوجة ؛ فالخطر ينشأ غالباً منهم ، ويعتقد كثير من المغفلين أنه لا خطر منهم ، فيقيمون السهرات التى يسمونها عائلية وهى - والحق يقال - حرب على العائلة ! ومما حدثَ حقيقةً أن أحدهم دعا صاحبه وزوجته لِبيته ، وأخذ يعاقر معهما الخمر ، فيُكثر العيار للزوج ، ويقلِّله للزوجة ، أما هو فصار يشرب قليلاً ليبقى متنبهاً ليستطيع تمثيل دوره الإجرامى .

وبعد ساعة أو أكثر سَكِر الزوج حتى غاب عن الوجود ، وأخذت الغمزاتِ والمداعبات دورها بين صديق الأسرة وبين الزوجة التى لعبت الخمرُ برأسها ، فاستسلمت وتم افتراسها بقرب زوجها المخمور .

وهناك صديقة الأسرة أيضًا ؛ وخطرُها لا يقلُّ عن صديق الأسرة ، فالحذر الحذر ، فقد تحدثتْ ولاية فلوريدا عن جريمة شنيعة ارتُكبت فى الأوساط الراقية !! وتتلخص فى أن امرأة أحبتْ طبيبًا شابًا تعرفتْ عليه عن طريق زوجها فى إحدى الحفلات فى النادى الذى كان الزوج يرتاده كثيرًا مع زوجته الشابة . . وكانت الزوجة تراقص هذا الشاب عندما يطلبها للرقص حسب أعراف الطبقة الراقية !! وتوثقت الصلات بين الزوجة والشاب (أنطون) واتفقا على الزواج . . .

لكن المشكلة هى التخلص من الزوج الذى يحبها كثيرًا ، وكذلك التخلص من طفليها الصغيرين . . وشجَّع الشابُّ الطبيبُ الزوجةَ على دس السم فى الطعام لزوجها وأطفالها ، ونفذت الزوجة الجريمة . . . وفرت مع عشيقها بسيارته . . .

بينما كان رجال الشرطة يتعقبون الزوجة القاتلة وعشيقها ، فوجئوا بجثتيهما مشوهتين فى واد =

التحذيرُ من التبرج [١]

الآيات :

* ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ [٢] ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

= قليل العمق ، قريب من الطريق العام . كانت السيارة محطمة بعد سقوطها وانفجار مستودع الوقود فيها ، وكان القصاص (الإلهى) سريعاً ! [حضارة الإسلام] : [٧٤ س٤ ص٩٩] وهذا مثال مِن ألوف الأمثلة على أضرار الاختلاط ، فهل من معتبر ؟!

(١) من أشد أضرار التبرج إثارة الشباب وإغراؤهم بالاعتداء على المرأة المتبرجة ، ومن أدلة ذلك أن شابًا قرويًا خرج ليلاً من السينما بصحبة زوجته المتبرجة ، وهو مفتخر بها أمام الناس ، فاستأجر سيارة لِتقلهما إلى قريته ، وفى الطريق لعب الشيطان بعقل السائق بسبب مشهد المرأة المتبرجة ، فتظاهر بعطل فى السيارة ، فنزل لإصلاحه ، وأخيراً طلب من الزوج النزولَ لدفع السيارة قليلاً من الخلف ، وأخذ هو يقودها ، فطار بالمرأة ، وبقى زوجُها على الأرض يستغيث ولا مغيث . . فظُنّ شرًا ولا تسأل عن الخبر ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

وقلت مرة لإحدى معارفى من النساء بلزوم الاحتشام وعدم التبرج ، فأجابتنى : بأنى رجعى ! فقلت لها : بل أنتِ الرجعية التى تقلدين فى العرى النساء الهمجيات ، ولا تزال بقايا منهن فى بعض أنحاء أفريقية ، فلا يسترن إلا السوأتين ! ولو كانت التقدمية بالعرى ، لكانت المعزى والقردة فى أوجها !

(٢) جاء فى كتاب « الإسلام والحياة الجنسية » :

« هذا العلاج القرآنى الذى يدعو إلى التستر والتحجب ليست فائدته مقصورة على تلك الناحية النفسية السالفة فحسب ، بل فيه فائدة اجتماعية ، فيه حل الأزمة : أزمة الزواج .

فمِن أُسس تلك الأزمة العرى الذى تقع عليه أنظار الرجال فى الشواطئ والمحافل ، وفى المجتمعات والأندية وفى الشوارع والمصايف ؛ نساء كاسيات عاريات ، كلأ مباح . . وأرض مفتوحة . . وجسدٌ يكون أمامه فى كل مكان وآن ، يكاد يكون ملكًا له لقاءَ كلمةٍ معسولة أو وعدٍ كاذب . وتُغَرّ الفتاة وتخدع وتمكنه من نفسها ثم تنتهى حياتها كفتاة شريفة وتبدأ حياتها كفتاة ليل !! وسيظل المجتمع بهذه المثابة ، وستظل أزمة الزواج أيضاً بهذه المثابة ما دام العرى سائدًا . إن كلَّ ممنوع متبوع ، وكلَّ ما تملكه اليد تزدريه العين ، وكل نفيس تصغر قيمته عند الاستحواذ عليه !

لو تحجبت الفتاة - أو بعبارة أدق - لو تحصَّنتْ بالحجاب لاشتاق إليها الفتى ، ولَسَارَع إلى الزواج بها . .

وها هو ذا مجتمعنا فى الريف لا يكاد يشعر بأزمة الزواج الآخذة بالخناق فى المدن .

فهناك الوجه الظاهر والكلام الضرورى ، ولكن مواضع الفتنة مستورة محجوبة . والفتاة - غالبًا - بعيدة عن أن تنال منها عين الفتى أو يده مكانًا محرَّمًا (حتى المصافحة فهى محرّمة) . لذلك ما يكاد القروى يشبُّ عن الطوق ويدرك الحلم حتى يطالب بما هو بعيد عنه . . . بالزوجة . =

* ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا (١) لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾[الأعراف : ٢٧] .

* ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ (٢) بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

= لا غرْوَ إذن إن كانت هذه الآية السابقة علاجًا لأزمة اجتماعية ، وشفاءً لنفسية المرأة العفيفة الشريفة .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾[الإسراء : ٨٢] .

وما أحسن ما قالته « مارى وود آلن » فى كتابها « فن العلاقات الجنسية » على الرغم من تربيتها الغربية :

« إن الفتيات يتحملن تبعةً معنوية عظيمة فيما يتعلق بسيرة الشباب ، فيكفى أن تهمل إسباغ ثوبها ، أو أن تغالى فى تسريح شعرها ، فتكشف ما كان يجب أن تخفيه عن الأعين حتى توجه أنظار الشبان الذين ينظرون إليها نظرةً معينة .

- إن المرأة تستطيع بوضعيتها أو حركاتها أو نظرتها أن توحى إلى الناظر إليها أفكاراً تقوده إلى أعمال شائنة .

قد يقال إن الرجال يجب أن يكبتوا جماح شهواتهم ، لا شك أن هذا واجب عليهم ، وإننا لا نريد أن نقلل من لومهم ؛ إذ هم باللوم الشديد جديرون ، ولكن الفتاة التى تنصب فخاخًا للشاب فى طريقه ، هى فتاة آثمة . . على المرأة أن تكون ضمانًا للرجل ، لا سببًا فى خرابه ، وبوسعها أيضًا أن تحميه كما يحميها .

وإذا عرفت الفتاة قوتها : فإنها تستطيع إذا مارست سيرةً عاقلة متواضعة أن تُجَنِّبَ كلَّ الرجال فكرة فاسدة !! » .

من محاذير التبرج الصحية الرهيبة أنه يسبب العقمَ للمرأة ؛ فقد اجتمعتُ أخيراً فى « صوفيا » عاصمة « بلغاريا » بطالب يدرس هناك ، وقد تزوَّج بطبيبة بلغارية ، فسألتُه على مشهدٍ منها عن أولاده ، فقال : إن زوجتى أصبحت عقيمًا بسبب ارتداء (المينى جوب) الذى أدى إلى الإضرار برَحِمها نتيجة البرد فما كان منها إلا أن كتبتْ فى النهى عن ارتداء (المينى جوب) وأخذت تحذر بناتِ جنسها من هذا الزى (الموضة).

(١) يا له من وصف رهيب لموضة (المينى جوب) المدمرة !

(٢) قال الأستاذ المودودى فى كتابه « الحجاب » : « ربما سكت اللسان ، وقامت مكانه حركات=

* ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ (١) فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ (٢) تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب : ٣٢ -٣٣] .

الأحاديث :

* عن عائشة رضى الله عنها قالت : « إن أسماء بنت أبى بكر دخلتْ على رسول الله ﷺ وعليها ثيابٌ رِقَاق (٣) ، فأعرَضَ عنها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال

= أخرى تؤثر فى سمع السامع بصوتها ، وهذا من باب فساد النية ، فيمنعه الإسلام بقوله : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

(١) وقال الأستاذ المودودى تحت عنوان « فتنة اللسان » ولعله يريد فتنة الصوت (ص ٣١٧ باختصار):

« ووكيلٌ آخر - غير فتنة النظر - لِشيطان النفسِ ، هو اللسان ، وما أكثر الفتن التى يبعثها اللسان ، وينشرها رجلٌ وامرأة يتكلمان ، ولا يبدو فى حديثهما ما يُشكِّك أو يريب ، ولكن خائنة القلوب قد جعلت الصوت رخيمًا ، واللهجةَ مشوِّقة ، والحديثَ عذبًا ، فيشير إليه القرآن بقـــوله : ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ . . .

(٢) التبرج أن تبدى المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعى به شهوة الرجل . كذا فى « فتح البيان » :

« لما زار « غليوم » إمبراطور ألمانيا تركيا ، أحبَّ أعضاء جمعية الاتحاد والترقى أن يُظهروا له تمدنهم ، فأخرجوا بعض بنات المدارس لاستقباله وهن متبرجات ، وقَدَّمْن له باقات الأزهار ، فاستغربَ لِما رآه وقال للمسئولين : « إنى كنت آمل أن أشاهد فى تركيا الحشمة والحجاب بحكم دينكم الإسلامى ، وإذا بى أشاهد التبرج الذى نشكو منه فى أوربا ويقودنا إلى ضياع الأسرة وخراب الأوطان وتشريد الأطفال !! » .

ومِن أعظم الأدلة على فساد التبرج سعىُ الاستعمار سعيًا حثيثًا لإشاعته فى الشرق ؛ لما له من آثار فادحة فى نشر الجرائم الخلقية وهدم أركان الأسرة وتشريد الأطفال جنود المستقبل وقادته .

وقد ألف الأستاذ حسين يوسف رسالةً أسماها « الحركات النسائية فى الشرق وصلتها بالاستعمار » أثبت فيها بالأدلة الساطعة والتحقيقات القاطعة مبلغ تشجيع هذا الاستعمار لكثير من الجمعيات النسائية المأجورة وإمدادها بالمال ، والضغط على خصومها الأحرار بما له من النفوذ السياسى والعسكرى ؛ ليتسنى لها الإفساد فى الأرض ونشر سموم الرذيلة والإباحية تحت شعار الدعوة إلى التطور والتقدمية نحو هاوية الدمار والخراب .

(٣) قال ابن عبد البر : « أراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم النساءَ اللواتى يلبسن من الثياب الرقيق الذى يصف ولا يستر ؛ فهن كاسيات بالاسم ، عاريات فى الحقيقة » .

لها : يا أسماء! إن المرأة إذا بلغت المحيضَ ، لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا (وأشار إلى وجهه وكفَّيه »). [لهذا الحديث طرق يقوى بها إلى درجة الحسن] .

* « مَن جَرَّ ثوبه خُيلاء لم ينظُرِ اللهُ إليه يوم القيامة » فقالت أم سلمة : كيف تصنع النساء بذيولهن ؟!

قال : « يُرخين شبرًا » . قالت : إذًا تنكشف أقدامُهن !

قال : « فيُرخين ذراعًا ، ولا يزدن عليه » . (أخرجه أصحاب السنن ، وهذا لفظ الترمذى) .

* « ثلاثةٌ لا تَسأل عنهم : رجلٌ فارقَ الجماعةَ ، وعصى إمامَه ، ومات عاصيًا . وأَمَةٌ أو عبدٌ أبقَ فمات . وامرأةٌ غابَ عنها زوجُها - قد كفاها مُؤنة الدنيا - فتبرجتْ بعده ؛ فلا تسأل عنهم » . (حم) . خ (فى الأدب المفرد) والحاكم ، وصححه وأقرَّه الذهبى ، وهو كما قالا .

* « صِنفان من أهل النار لم أرهما : « قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات [(١)] ، مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يَرِحْنَ رِيحَها ، وإن ريحَها لَتوجَدُ مِن مسيرة كذا وكذا » . (م) .

* « إن المختلعات والمنتزعات هُنَّ المنافقات » . (طب) ص .

نهىُ المرأةِ عن التشَبُّهِ بالرِّجالِ والعكسِ

الآيات :

● ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ [(٢)] مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟

---

(١) جاء فى رسالة « التبرج » لحرم الدكتور محمد رضا :

« كل امرأة خرجت مِن خِدرها إلى الطرقات عروسًا قد أخذت زخرفها وازينت ، لسان حالها يقول : ألا تنظرون إلى هذا الجمال ؟

هل من راغب فى القرب والوصال ؟

إنها تعرض جمالها فى أسواق الشوارع كما يعرض التاجر المتجول سلعة ، وكما يعرض بائع الحلوى ما عنده مزينًا بالألوان الزاهية ، والأوراق اللامعة ، ليسترعى الأنظار ويغرى النفوس ويثير الشهية ، فتَروجُ بضاعتُه ، ويكثر المشترون ، ويتهافت الطلاب والجياع النهمون » . ص ٢٦ طبعة مجلة التمدن الإسلامى بدمشق .

(٢) وسبب نزول هذه الآية أن أم سلمة قالت : « يا رسول الله ، يغزو الرجال ولا نغزو ، وإنما لنا نصف الميراث! » . فنزلت هذه الآية ، قاله مجاهد ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى . =

وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء : ٣٢] .

الأحاديث :

* « لعنَ رسولُ الله ﷺ المتشبِّهين مِن الرجال بالنساء ، والمتشبِّهات من النساء بالرجال » . (خ) وغيره .

* « ليس مِنّا مَن تَشَبَّه بالرجال مِن النساء ، ولا مَن تشبَّهَ بالنساء مِن الرجال » . (د) وسنده صحيح .

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« لعنَ رسولُ الله ﷺ الرجلَ يلبسُ لبسةَ المرأة ، والمرأةَ تلبس لبسةَ الرجال » . (د . ن . هـ . حا) وقال : صحيح على شرط مسلم .

* « ثلاثةٌ لا يدخلون الجنةَ ولا ينظرُ اللهُ إليهم يوم القيامة : العاقُّ لوالدَيْه ، والمرأةُ المتشبهة بالرجال [١] ، والدَّيُّوث » . (حم) بسند صحيح .

= وقيل فى أسباب نزولها إن النساء قلن : « وددنا أنّ الله جعل لنا الغزو ؛ فنُصيبُ مِن الأجر ما يصيب الرجل » . فنزلت هذه الآية . قاله عكرمة .

ومعنى ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ ﴾ أن المرأة تثاب كثواب الرجل وتأثم كإثمه ، ولا تميُّزَ لكلٍّ منهما إلا باختصاصه ، فلا تتمنى النساء أن يكنَّ رجالاً أو كالرجال ؛ فسبيلُ الأجر ميسَّر للجميع كلٌّ فى حدود عمله ، فلا داعى لتمرد النساء على وظائفهن فى البيت . وقد قال تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

(١) لعل من أهم أسباب هذا النهى ما للثياب والأوضاع مِن أثر خَطِر فى النفس ينتقل إلى السلوك ؛ فإذا تشبهت المرأة بالرجل مالت إلى أعماله وتطبعت بطبعه وفقدت أنوثتها .

وكذلك الحال عند الرجل ، وفى ذلك - كما لا يخفى - تبديل للفطرة ، وخراب أىّ خراب ! هذا - ومن أهمّ ما ينبغى الإشارة إليه بمناسبة خطر التشبه أن فى جسم الإنسان غددًا تفرز هرمونات الأنوثة وهرمونات الذكورة ، وتزيد هرمونات الأنوثة على هرمونات الذكورة - والعكس - تبعاً للسلوك والتشبه . فإذا تشبهت المرأة بالرجل سواء فى الألبسة أو الحركات والعادات والميول ، زادت هذه الغدد من إفراز هرمونات الذكورة وأخذت طباعُها تشبه طبائع الرجل ، وكذلك الحال عند الرجل .

ومعنى هذا أن تغيير سلوك المرأة يؤثر فى إفراز هذه الهرمونات ، فإذا سلكت مسلكَ الرجل وتشبهتْ بالرجال فى لباسها وحركاتها وأعمالها ، زادت هرمونات الذكورة عن هرمونات الأنوثة ، =

. . . . . .

= وأصبحت المرأةُ تشبه الرجل ، وفى ذلك قلبٌ للمفاهيم ومسخٌ للفطرة ، وإضاعة لأعظم طبَائعها ؛ فتغدو كالرجل ، فلا ترضى نفسها ولا ترضى رجلَها .

والعكسُ صحيح أيضًا إذا سلك الرجلُ مسلكَ الإناث فتشبَّه بهن فى أوضاعه ولباسه ، حتى فى حلق لحيته ، فيفقد خصائص الرجولة وقوتها . . .

وهذا الأمر يظهر واضحاً فى الغرب ، حيث يبلغ تشبه المرأة بالرجل أشدَّه ، فعافَها الرجلُ ، وعافَتْه ، ومالَ كلٌّ منهما إلى الشذوذ الجنسى بصورة مريعة . . .

وللتأكد من هذا الموضوع الهام أنقل خلاصة البحث التالى من مجلة (طبيبك) (ع ١٧٧ س١٥ - ربيع الأول ١٣٩١ - آيار ١٩٧١) بقلم الدكتور « فرانسوا لاقار » :

« كان مستحيلاً حتى الآن إعطاء البرهان الدامغ على أن انعكاس الشهوة الجنسية وانحرافها - وهو ما نسميه عادة بالشذوذ الجنسى - راجع إلى اختلال بيولوجى أكثر منه اختيار أو تفضيل نفسى . وبتعبير آخر ، اكثر بساطة يُطرح السؤال هكذا : هل مَرَدُّ الشذوذ الجنسى إلى عوامل خِلقية أم إلى دوافع خُلقية ؟

يقول الأستاذ « ألفريد جوست » أستاذ (الفيزيولوجيا) فى كلية العلوم بباريس : « إن السلوك الجنسى يكون واحداً عند الولادة ، ثم يتأثر هذا السلوك بعوامل عدة فى مختلف عوامل الحياة ؛ منها العائلة ، والوسط الاجتماعى ، والتربية ، والمستوى الخُلُقى » .

ويضرب الأستاذ « جوست » مثلاً بالطفل يُلبِسه أهله زى بنتٍ خلال سنواته الأولى ، فإذا ما بلغ سن المراهقة شعر بحنين إلى الدور الذى كان يلعبه فى طفولته ، واتخذ مسلكه الجنسى هذا الاتجاه !!

وبمناسبة الكلام عن خطر تَشَبُّه الذكور بالإناث أو العكس ، نقتطف البحث التالى الرهيب من أحد الكتب الجنسية ، وهو يصوِّر قصة طفل نشَّأته أمُّه على التشبُّه بالنساء منذ صغره ؛ مما أدى حتى إلى ولعه بالشذوذ الجنسى من صغره إلى كبره .

فقد كان « دونالد » يصاب بنوبات من القلق والكآبة التى تبلغ حدَّ الانهيار العصبى من حين لآخر ، وأنه لهذا يتردد على الطبيب النفسانى للعلاج ، وندرك أنه يحمل عُقدًا عميقة ، فهو رغم استسلامه للشذوذ الجنسى يقتل نفسه بالشراب وكأنه يريد أن يهرب من شىء مخيف . وهو يحس بأنه شاب فاشل لا يصلح لشىء فى الحياة ، وكلما زاول عملاً لم يلبث أن يزهد فيه ، وهو ما أتمَّ شيئًا بدأه قط .

إن كارثته جاءته من أمه وأبيه ؛ فأمُّه غمرته منذ وُلد بنوعٍ مِنَ الحب الاقتنائى الأعمى الذى دمر حياته . .

فهى قد دلَّلته ولم تكتف بتدليله حتى بعد أن كبر وبلغ مبلغ الرجال ، كانت تخاف عليه من النسيم ، ولم تكن تفارقه لحظة واحدة . كانت تأخذه معها كلما ذهبت إلى مُسَرِّح الشعر ، وهناك تكوِى شعره ويعملون له المانيكير كما يعملون لها المانيكير ، كان هزيلاً نحيلاً شاحباً ، وكانت تحب فيه هزاله ونحوله وشحوبه وتقول دائما : =

* « أخرِجوا المخنَّثين مِن بيوتكم » . (خ) .

انحرافُ غريزةِ حُبِّ الظهورِ [١]

الآيات :

= « كان ينبغى أن تكون بنتًا يا دونالد » كان لا ينام إلا بين عرائسه ولعبه ، ومن حوله زجاجات الماء الساخن ، كانت أمه تدلك صدره بالطيوب ، وتدهن وجهه بالكريم ، وتتغزل فى عينيه الجميلتين وفى شفتيه البديعتين .

وكان يستحم معها فى بانيو واحد حتى كبر وصار غلامًا فجعلته ينام معها فى فراش واحد حتى بلغ سن الرابعة عشرة ، وأخيراً ثار عليها وقرر أن يبتعد عنها رغماً عنها ، ولكن بعد أن فات الأوان .

وكان أبوه يرى كل ما يجرى له ولا يفعل شيئًا لإنقاذه من حب أمه المجنون ، بل كان يأتيه باللعب والعرائس وكل ما يشيع فيه الميوعة . وأخيراً أدرك أن حب أمه له كان لِتملأ فراغَ الحرمان الذى كانت تعيش فيه . كانت دائماً تقول :

« ستظل دائماً طفلى ولو بلغت السبعين » . إنه الآن فى الثلاثين ولكنه مجرّد طفل كبير ، لقد كانت حياته كلها تدريبًا على الضعف والفشل ، وهو يحس إنه كلما ازداد ضعفه وفشله ازداد حبُّ أمه له ، وكأنها تسعد بعجزه حتى لا ينفصل عنها ، إن أمه هى أول من قاد خطواته على طريق الأنوثة .

وهكذا فى لحظات اكتئابه - وهى لحظات يقظته الحقيقية - كان « دونالد » يرثى نفسَه ويقترب من الانتحار ، ولكنه لا يلبث أن تبتلعه حياة السكر والشذوذ .

(١) هذه الغريزة تدفعُ صاحبَها للظهور ، فإذا كان ذلك من أجل ذيوع الفضيلة والمجد ومكارم الأخلاق ، فهذا أمر مشروع . جاء فى القرآن العظيم على لسان نبى الله إبراهيم عليه السلام دعاءه : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

وقد حاول جماعة من الصوفية محاربة هذه الغريزة المتوثبة وإخمادها بأوحال الذل حتى قال ابن عطاء الله السكندرى فيما أسماه : « الحكم العطائية » : « ادفن وجودك فى أرض الخمول ؛ فما ينبت مما لم يُدفن لا يَتِمُّ نِتاجُه » .

أرأينا مثل هذا التضليل ؟! وبمثل هذا الكذب والانحراف أماتوا على المسلمين دينهم ، وسببوا لهم الضعف والانحطاط ، فأين كل هذا من قوله تعالى فى وصف المؤمنين : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ! » ؟!

ومما يؤسف له ويبعث فى النفس الأسى أن هذه الغريزة انحرفت لدى كثير من النساء ، فأخذن يحاولن الظهور بأساليب شائنة من تبرج وتعطر وكشف العورات مما فيه إثارة الرجال . . وقد سمعت أن امرأة كانت فى إحدى المتنزهات ، وكان بالقرب منها رجل ، فشكته إلى الشرطى وزعمت أنه يؤذيها ، ولما سأله عن ذلك ذكر أنه أعطاها ظهره كى لا ينظر إليها ، فقالت المرأة : وهذا الذى يؤذينى ؛ لأنه لم يهتم بى ! =

● ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ (١) وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢) ﴾ [النور: ٣١] .

= وهناك أمثال هذه المرأة ، فقد لاحظ أحد رجال الشرطة إحدى النساء تسوق سيارة ، وترتكب بعض المخالفات التى تسىء للمارة وتبهرهم بجمالها حتى أنها لتكاد تدهسهم ، فأوقفها ، واختبر شهادتها ، فوجد فيها وجوب استعمال النظارات الطبية ، فسألها عن سبب عدم استعمالها فأجابت بكل صراحة :

« أوَ تريدنى أن أخفى جمال عينى خلف النظارة ؟! » .

فلتتق الله أمثالُ هذه المرأة ، وليحافظن على ألبسة الحشمة ، وليتجنبن الحركات والأعمال المثيرة محافظةً على شرفهن وشرف الرجال إلا للزوج . . . ولتسْمُ المرأة بغريزة حب الظهور إلى ميادين تربية الذرية الطيبة وإعداد الرجال العظام والأمهات العظيمات ، كما جاء فى دعاء إبراهيم عليه السلام.

(١) قال الإمام ابن كثير : « كانت المرأة فى الجاهلية إذا كانت تمشى فى الطريق ، وفى رجلها خلخال صامت ، لا يعلم صوته ، ضربت برجلها الأرض ، فيسمع الرجال طنينه ، فنهى الله تعالى المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك إذا كان شىء من زينتها مستورًا فتحركت بحركة لِتُظهر ما هو خفى ، دخل فى ذلك النهى ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ﴾ إلى آخره . ومن ذلك أنها تُنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ، فيشم الرجال طيبًا . . . » .

وقال ابن كثير فى تتمة الآية : « قوله : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أى افعلوا ما آمركم به من هذه الصفات الجميلة ، والأخلاق الجليلة ، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة ؛ فإن الفلاح كل الفلاح فى فعل ما أمَرَ الله به ورسوله ، وترك ما نهَى اللهُ عنه ورسوله ، والله تعالى هو المستعان » .

(٢) قال أحد كبار الكُتاب :

« والزينةُ حلالٌ للمرأة ، تلبيةً لفطرتها ؛ فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة ، وأن تبدو جميلة ، والزينة تختلف من عصر إلى عصر ، ولكنَّ أساسها فى الفطرة واحد ، هو الرغبة فى تحصيل الجمال أو استكماله ، وتجليته للرجال .

والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية ، ولكنه ينظمها ويضبطها ، ويجعلها تتبلور فى الاتجاه بها إلى رجل واحد - هو شريك الحياة - يَطَّلِعُ منها على ما لا يطَّلع أحدٌ سواه ، ويشترك معه فى الاطلاع على بعضها المحارم المذكورون فى الآية بعد ؛ مما لا يثير شهواتهم بذلك الاطلاع » .

ومن المؤلم أن هذا الكاتب خلال تفسيره هذه الآية وما قبلَها ، بعدَ عن الصواب حينما قال : بعد أن نقلنا عنه ما سبق :

« وهؤلاء كلهم - يريد أقرباء المرأة والأطفال الصغار - ليس عليهم ولا على المرأة جناح أن يروْا منها ، إلا ما تحت السرة إلى تحت الركبة ، . . » . وهو يريد فوق الركبة .

وهذا الكلام خلاف الحق ؛ وما يجوز لهؤلاء الأقرباء رؤيته هو بعض العنق وبعض الساعد والساق مما هو ضرورى للأعمال المنزلية . كما يخالف الصواب أيضاً قولُ بعضهم : إنه لا يجوز لهؤلاء الأقارب إلا مشاهدة الوجه والكفين فقط . [يراجع من أجل هذا البحث الهام كتاب « حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة » للعلاَّمة الألبانى] .

الأحاديث :

* « أيما امرأة استعطَرتْ [١] ثم خرجتْ ، فمرَّت على قومٍ ليجدوا ريحَها فهى زانية [٢] ، وكلُّ عينٍ زانية » . (حم . ن) ح .

---

(١) قال الأستاذ المودودى فى كتابه : (الحجاب) تحت عنوان « فتنة الطِّيب » : « والطِّيب . . . رسول من نفس شريرة إلى نفس شريرة أخرى - يريد إذا كان العطر من المرأة فى الطريق - وهو ألطف وسائل المخابرة والمراسلة ، مما تتهاون به النظم الأخلاقية العامة (يريد غير الإسلامية) ولكن الحياء الإسلامى يبلغ من رقة الإحساس ألاَّ يهمل حتى هذا العامل اللطيف من عوامل الإغراء ، فلا يسمح للمرأة المسلمة أن تمرّ بالطرق أو تغشى المجالس متعطِّرةً ؛ لأنها وإن استتر جمالُها وزينتُها ، ينتشر عطرُها فى الجو ويحرك العواطف (ص٣١٩) .

وبمناسبة الكلام عن خطورة خروج المرأة متعطرة نسوق البحث التالى للطرافة والتسلية والاعتبار نقلاً عن كتاب « الهلال » وهو بعنوان نساء مفترسات ص٩٦ - ٩٧ باختصار :

« هل تعرفون السر الكامن وراء تجمع الكلاب حول كلبة تريد الوصال ؟

لقد جذب هذا التساؤل - منذ سنين طويلة - أحد العلماء . . . فقد كان الظن السائد أن أنثى الكلب - فى فصل الزواج - تطلق رائحة أنثوية تجذب إليها الذكور من مسافات بعيدة ، ولا يمكن لكلب أن يفكر فى الجنس إلا إذا استقبل هذه الرائحة السحرية . . . وعندئذ تثور فيه غريزته ، ويبحث عن الأنثى التى أطلقتها !!

أخذ أحد العلماء يتقصَّى هذه الحقيقة ، فاستخلص هذه المادة التى تثير ذكور الكلاب ، وفى ذات يوم ترك معمله ، وتوجه إلى منزله سيراً على الأقدام ، وكان قد علق بثيابه شىء من هذه الرائحة ، فلحقت به الكلاب على شكل مظاهرة كلبية صامتة وثائرة ، فدهش الناس من ذلك ولم يعرفوا السبب . إن رائحة الكلبة لا تفوح إلا إذا اجتاحتها الرغبة إلى الجنس ، وكأنما هى بهذا تبعث ببطاقة دعوة سرية يحملها الهواء إلى كل الكلاب فى المنطقة . . ولا يمكن لكلب أن « يفكر » فى الجنس إلا إذا استقبل هذه الرسالة الكيميائية أو الفطرية !! فينقلها إلى الأنف - وهنا الشاهد - إلى أعصاب الشم ، ومن الأعصاب إلى المخ ، ومن المخ إلى الغدد الجنسية ، فتشتعل ، ويشتعل صاحبها جنسيًا ، وتتجمع الكلاب وتقوم بينها معارك طاحنة !!

وهكذا لعبت الكلبة لعبتها ، ومِن وراء ذلك فكرة !! » .

(٢) قال المناوى فى فيض القدير :

« أى كأنها زانية فى حصول الإثم ، وإن تفاوت ؛ لأن فاعل السبب كفاعل المسبب ، قال الطيبى : شَبَّه خروجَها مِن بيتها متطيبة ، متهيجة لشهوات الرجال التى هى بمنزلة رائد الزنى مبالغةً وتهديدًا وتشديدًا عليها .

ومعنى « كل عين زانية » : أى كل عين نظرت إلى محرَّم مِن امرأة أو رجل فقد حصل لها حظها من الزنى إذ هو حظها منه ، وأخذ بعض المالكية من الحديث حرمة التلذذ بشم طيب أجنبية ؛ لأن اللهَ إذا حرَّم شيئًا ، زجرت الشريعة عمّا يضارعه مضارعة قريبة . =

النهىُ عن التشبُّهِ بالكفارِ

الآيات :

● ﴿ فَٱسْتَقِيمَا ﴾ - الخطاب لموسى وهارون عليهما السلام - ﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٨٩].

● ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

● ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ أى أهواء الكفار ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة : ٤٩] .

● ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا (١) وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

الأحاديث :

* « من تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم » . (حديث صحيح) .

* قال أبو واقد الليثى رضى الله عنه : « خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل خيبر ، ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سِدرةٌ (شجرة) يعكفون حولها ، ويَنوطون بها أسلحتهم يقال لها : « ذات أنواط » فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا « ذات أنواط » كما لهم « ذات أنواط » ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « الله أكبر ! قُلْتُمْ كما قالت بنو إسرائيل

= وقد بالغ بعض السلف فى ذلك حتى كان ابن عمر رضى الله عنهما ينهى عن القعود بمحل امرأة قامت عنه حتى يبرد !

وقد خص الحديث العشاءَ بالنهى ؛ لأن الفتنة فيه أشد بسبب الظلمة ، وليس معنى ذلك أن خروج المرأة متعطرة فى غير هذا الوقت جائز » .

(١) قال قتادة وغيره : « كانت اليهود تقول « راعنا » استهزاءً ، فكره الله تعالى للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم » .

وقال الإمام ابن تيمية تعليقًا على هذه الآية : « فهذا كله يبين أن هذه الكلمة نُهى المسلمون عن قولها ؛ لأن اليهود كانوا يقولونها ، وإن كانت من اليهود قبيحة ، ومن المسلمين غير قبيحة ، فكانت مشابهتهم فيها من مشابهة الكفار وطريقهم لبلوغ غرضهم ». [اقتضاء الصراط المستقيم] .

لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، لتركبُن سنَنَ من قبلكم » . حديث صحيح .

* « لتتَّبِعَنَّ سنَنَ مَن قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ؛ حتى لو أنَّ أحدَهم دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخلتموه [١] ، وحتى لو أن أحدهم جامعَ امرأته بالطريق لَفَعَلتموه » . (ق) . بدون قوله « حتى لو أن أحدهم جامعَ امرأتَه » . وروى الحديث كله الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبى .

---

(١) إن التشبه بالأجنبى يُفقد الشخصية ويذهب بكيان الأمة ، وهو دليل على ضعفها ؛ فإن الضعيف هو الذى يقلد القوى . وتقليد الكفار بالأزياء والعادات يؤدى إلى تقليدهم فى الأفكار والمعتقدات .

لذا قال الإمام ابن تيمية : « هذا الحديث أقلُّ أحواله أنه يقتضى تحريم التشبه بالكفار ، وإن كان ظاهره يقتضى كفر المتشبه بهم ، كما فى قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ وهو نظير قول ابن عمرو : « مَن بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت ؛ حُشر يوم القيامة معهم » . فقد حمل هذا على التشبه المطلق » .

ولا يشمل هذا الحديث تقليدَ الأجانب فى صناعاتهم وعلومهم النافعة ؛ فإن الحكمةَ ضالةُ المؤمن .

أين أكثر المسلمات اليوم من هذا الحديث ؟!

إنهن - ويا للأسف - يتشبهن بالأجنبيات فى كثير من عاداتهن وملابسهن وزينتهن وتطويل أظافرهن كالوحوش (حسب الموضات) الأفرنجية - وهى غالبًا من تصميم اليهودية العالمية لتبديد المال والحطِّ من قيمة الإنسان والسخرية منه !

وعلاوة على ما تقدم ، فإن فى هذا التقليد الأعمى ضياعًا للثروة العامة ودفعًا لكثير من النساء فى طريق الفسق لتأمين نفقات هذه (الموضات) الشريرة .

فانتبهوا يا أهل العقول من الرجال والنساء !

إننى أوصى الزوجة بصورة خاصة أن تقوى شخصيتها ولا تكون مقلدة كالقردة ، عليها أن تكون صاحبة إرادة قوية لا تتأثر بالتيارات العصرية والأزياء (الموضات) الغربية سواء فى ثيابها أو أثاث بيتها وعاداتها ؛ فإن السعادة الزوجية بتحابب الزوجين وتعاطفهما وتفاهمهما ، وليست بكثرة الثياب والأثاث والتفاخر أمام الضيوف والجيران .

وكم أدى إغفال هذه النصائح إلى النزاع والخصام والفراق بين الزوجين ؛ فالحذر الحذر !

وقد أذاعت رويتر من روما فى ١٠/١٠/١٩٦٠ هذه البرقية بعنوان : **الوصايا العشر فى عالم الأزياء (الموضة)** :

١ - لا تجعلى الموضة تسيطر عليك لدرجة تفقدك حريتك وعقلك .

٢ - لا تحاولى عبثًا استغلال الموضة كوسيلة لبعث السرور فى نفسك .

٣ - يجب أن تداومى على طهارة الملابس التى ترتدينها . =

. . . . . .

= ٤ - اجعلى من جسدك وروحك شيئًا مكرمًا ، حتى يكون سُمُوُّ أحدهما مرآةً لسمو الآخر .
٥ - لا تحسدى هؤلاء الذين يرتدون ملابس أحسن من ملابسك .
٦ - لا ترتدى الملابس بطريقة تزعج جيرانك .
٧ - لا تبددى الملابس التى يحتاج إليها الآخرون .
٨ - لا تكبّدى ميزانيتك أكثر مما تطيق من أجل الموضة حتى تخدعى نفسك وتخدعى الآخرين .
٩ - لا تتهافتى على الملابس الفاخرة ، ولا تدَعى ملابسَ الآخرين تستولى على إعجابك .
١٠ - لا تجرى وراء آخر الموضات فى الوقت الذى لا يجد فيه كثير من الناس لقمة العيش !!

هذا يشبه بعض الشىء ما يدعو إليه الإسلام ، وقد جاء من الغربيين ، وهم ليسوا رجعيين ! فهل لنسائنا أن يعملن به !!

وبمناسبة الكلام على تحذير الشارع الحكيم من التشبه بالكفار ، فإنى ألفت انتباه الأخت المؤمنة إلى أن كىّ شعر الرأس وصبغه بالألوان المختلفة على الطريقة الأجنبية - علاوة على حرمته - فإنه يؤدى إلى المسارعة إلى سقوطه .

قال الدكتور عبد المنعم المفتى أستاذ ورئيس قسم الأمراض الجلدية بكلية الطب بجامعة القاهرة نقلاً عن مجلة « طبيبك الخاص » السنة الثانية العدد ٤ نيسان (إبريل) ١٩٧٠ ص ٩٤ :

« وهناك من وسائل فرد الشعر ما يؤدى إلى سقوطه . . . فاستعمالُ المكواة . . . أو الفرد بالأدوية الكيميائية التى تحتوى على مواد كاوية تؤدى إلى سقوط الشعر . . . فهذه الأدوية تُضعف طبيعة الشعر حتى يأخذ الشكل المطلوب . . . » .

وقد لا يعرف البعضُ الضرر المترتب على شد الشعر سواء كان ذلك باستعمال « الرولو » أو بأى طريقة أخرى ؛ إذ إن الجذب لساعات طويلة معناه الجذب الواقع على جذور الشعر المشدود والحدّ من كمية الدم التى تصل إلى الشعر . . .

ومعنى ذلك حدوث الضمور فى خلايا جذور هذا الشعر المشدود . . . وتوقف نموه . . . ثم دفعه إلى الدخول فى دور الركود . . . ثم الذبول .

نفس الخطر يظل موجوداً فى حالة كثرة الفرد ، وتغيير اللون . . . وهذا يؤدى إلى حدوث التأثير السيئ على الشعر عامة ، ويؤدى إلى إضعافه .

وبمناسبة الكلام عن شروط الحجاب الإسلامى ، فإنه يؤسفنى أن أقول إن كثيراً من النساء المسلمات التقيات يجهلن هذه الشروط ، فنجد بعضهن أتقنَّ حجاب الرأس ، فلا يبدو منه شىء من الشعر ، بينما سيقانهن بادية ، ظانّات أن الجوارب تكفى للستر ، وهذا خطأ ما دامت أنها تصف التقاطيع .

ومنهن من تلبس لباسًا ساترًا إلا أنه ضيق يصف كثيراً من أجزاء جسمها .

ومنهن من تلبس الثياب الفضفاضة إلا أنها مزركشة ملونة ، وكل ذلك غير جائز . =

. . . . . .

= **شروط حجاب المرأة المسلمة**

شروط حجاب المرأة المسلمة ثمانية :

١ - استيعاب جميع البدن إلا ما استثنى ؛ لحديث مرَّ : « يا أسماء ! إن المرأة إذا بلغت المحيض ، لم يصلح أن يُرَى منها إلا هذا وهذا (وأشار إلى وجهه وكفيه) » . (حديث حسن بمجموع طرقه).

٢ - ألاَّ يكون زينةً فى نفسه لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ الآية ؛ فإنه بعمومه يشمل الثياب الظاهرة إذا كانت مزدانة تلفت أنظار الرجال إليها . ويشهد لذلك قوله سبحانه : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وجاء فى الحديث : « ثلاثة لا تَسأل عنهم : رجلٌ فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيًا ، وأَمَةٌ أو عبدٌ أبقَ فمات ، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده ، فلا تسأل عنهم » .

٣ - أن يكون صفيقًا لا يشفّ ؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات ، رءوسهن كأسنمة البخت . . . » الحديث .

٤ - أن يكون فضفاضًا غير ضيق ، فيصف شيئًا من جسم المرأة . قال أسامة بن زيد رضى الله عنه : « كسانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبطيةً كثيفةً مما أهداها له دحية الكلبى ، فكسوتها امرأتى ، فقال : ما لك لم تلبسِ القبطية ؟ قلت : كسوتها امرأتى . فقال : مُرْها فلتجعلْ تحتها غلالة ؛ فإنى أخاف أن تصف جسم عظامها » .

٥ - أن لا يكون مبخرًا مطيبًا . قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أيما امرأة استعطرت ، فمرت على قوم ليجدوا ريحَها فهى زانية » .

٦ - أن لا يشبه لباس الرجال ؛ لحديث : « لعن رسول الله ﷺ الرجلَ يلبس لباسَ المرأة ، والمرأة تلبس لباسَ الرجل » .

٧ - أن لا يشبه لباس الكافرات لحديث : « . . . ومَن تشبَّه بقوم فهو منهم » .

قال الزعيم المصرى الكبير مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى فى مصر فى صحيفة اللواء ردًّا على قاسم أمين فى كتاب « تحرير المرأة » : « إننى لست ممن يرون أن تربية البنات يجب أن تكون على المبادئ الأوروبية ؛ فإن فى ذلك خطرًا على مستقبل الأمة ؛ فنحن مسلمون ، ولكل أمة مدنية خاصة بها ؛ فلا يليق بنا أن نكون كالقردة مقلدين للأجانب تقليدًا أعمى ؛ فالحجاب فى الشرق عصمة ، وأى عصمة ! » .

٨ - أن لا يكون لباسَ شهرة ؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لبسَ ثوبَ شهرة فى الدنيا : ألبسه الله ثوبَ مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً » (حجاب المرأة المسلمة بتلخيص).

العَفيفُ فى ظِلِّ الله

جزاءُ العفةِ وثوابُها

الآيات :

* ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ (١) إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف : ٢٣] .

---

(١) إن أخبار الذين تغلبوا على أهوائهم وشهواتهم خوفًا من الله كثيرة ، نذكر منها:

سمع الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أثناء سيره ليلاً امرأة تنشد وهى تتغزل بشاب جميل اسمه نصر بن حجاج وتتمنى لو كانت زوجةً له :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم مِن سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتًى ماجدِ الأعراق مقتبل ... سهل المحيا كريم غير ملجاج
نمتْهُ أعرافُ صِدقٍ حين تنسبه ... أخى حفاظٍ ، عن المكروب فراج

فغضب الخليفة ، وقال : واللهِ لا أرى رجلاً معى تهتف به النساء فى بيوتهن !! .

وفى الصباح أحضره ، ولمّا رأى من جماله قال : واللهِ لا تساكِنُنى فى بلدة يتمناك بها النساء ، فخذ من بيت المال ما يصلحك وسر إلى البصرة .

فقال له نصر : لقد قتلتنى ؛ فإن فراق الأوطان كقتل النفس .

فقال له عمر : وكيف ذلك ؟

فأجاب نصر : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم ﴾ [النساء : ٦٦] .

قال الخليفة : ولكن أقول ما قال شعيب : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [هود : ٨٨] .

وقد حاول الخليفة بهذا الحل الرائع أن يتسامى نصر بغريزته الجنسية إلى الحنين لوطنه والتشوُّق لأهله .

وفى بعض الليالى سمع عمر الفتاة تنشد ، وقد علمت بمصير نصر إلى البصرة بسببها فأعلنت عن براءتها ؛ وأن كلامها السابق كان سبق لسانٍ ووسوسةً من وساوس الشيطان ، وإلا فهى تقية عفيفة :

قل للإمامِ الذى تُخْشَى بوادره ... ما لى وللخمر أو نصر بن حجّاجِ
لا تجعلَ الظنَّ حقًا أو تَبيَّنهُ ... إن السبيلَ سبيلُ الخائف الراجى
ما مُنيةٌ قلتُها عَرضًا بضائِره ... والناسُ مِن هالك قِدْمًا ومِن ناجِ
إنَّ الهوى ذُمَّ بالتقوى فقيّدهُ ... حتى أقَرَّ بإلجام وإسراجِ

فبكى عمر لسوء ظنه بالمرأة ، وقال فى نفسه : الحمد لله الذى قيدَ الهوى بلجام العفاف والتقوى .

=

● ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٣٢] .

الأحاديث :

* « سَبْعَةٌ يُظِلُّهم اللهُ فِي ظله يومَ لا ظِلَّ إلا ظله : إمامٌ عادل ، وشابٌ نشأ فى طاعة الله ، ورجلٌ قلبه معلَّق بالمساجد ، ورجلان تحابَّا فى الله ؛ اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه ، ورجلٌ دعته امرأة ذاتُ مَنصب وجمال فقال : إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها ؛ حتى لا تعلم شِماله ما تُنْفِق يمينه ، ورجلٌ ذكَرَ اللهَ خالياً ففاضت عيناه » (خ . م) وغيرهما .

* « انطلق ثلاثة رَهْطٍ ممَّنْ كان قبلكم حتى آووا إلى غار ، فدخلوه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل ، فسدَّتْ عليهم الغار . فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم . قال أحدهم :

اللهم إنه كانت لى ابنة عَمٍّ أحَبَّ الناس إلىَّ ، فراودتُها عن نفسها ، فامتنعت منِّى حتى أدَّتْ بها سنةٌ من السنين ، فجاءتنى فأعطيتُها عشرين ومائة دينارٍ على أن تُخلى بينى وبين نفسها ، ففعلتْ حتى إذا قَدرتُ عليها قالت :

يا عبد الله اتَّقِ الله ! ولا تفض الخاتم إلا بحقه . فتحرجتُ من الوقوع عليها فانصرفتُ عنها ، وهى أحبُّ الناس إلىَّ ، وتركتُ الذهبَ الذى أعطيتُها . اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرِجْ عنَّا ما نحن فيه ، فانفرجتِ الصخرة » . الحديث [1] (خ . م) .

= وفى خلال ذلك أرسل نصرُ من البصرة إلى الخليفة رسالةً يقول فيها :

لَعمرى لئن سيَّرتنى وحرمتنى ... ولـم آتِ ذنبًـا إنَّ ذا لَـحـرامُ
فأصبحت منفيًا على غير ريبة ... وقد كان لى بالمكَّتين مقامُ
وما لىَ ذنبٌ غير ظنّ ظننته ... وبعض تصاديق الظنون آثامُ!
وإن غنت الزلفاءُ يومًا بمنية ... فبعض أمانى النساء غرام
ظننتَ بِىَ الظنَّ الذى لو أتيتُه ... لما كان لى فى الصالحين مقام
ويمنعنى مما تمنَّتْ حَفيظتى ... وآباءُ صدقٍ سالفون كرام
ويمنعها مما تمنتْ صَلاتُها ... وبيتٌ لها فى قومها وصيام
فهذان حالان ؛ فهل أنت مُرجعى ؟ ... فقد جفَّ منِّى غاربٌ وسنام
إمام الهدى لا تبتلِ الطردَ مسلمًا ... لـه حـرمـةٌ مـعـروفـةٌ وذِمـام

(١) هكذا يكون التوسل المشروع إلى الله بصالح الأعمال ، ولا يجوز التوسل بذات الأنبياء وغيرهم . وفى الحديث الصحيح : « يا فاطمة : لا أُغنى عنك من الله شيئاً » ؛ فعلى المؤمن الاعتماد على عمله . وليس مثل هذا التوجيه دافعاً إلى الجد والتقدم . والأمة التى تفشو فيها الواسطات لا تنجح ولا تتقدم .

* « ثلاثةٌ لا ترى أعينهم النار : عينٌ حرستْ فى سبيل الله ، وعينٌ بكتْ مِن خشية الله ، وعين كفَّت عن محارم الله » . (طب) حديث صحيح .

* عن ابن عامرٍ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « كان الكِفْلِ من بنى إسرائيل لا يتورَّعُ مِن ذنبٍ عملَه ، فأتته امرأةٌ فأعطاها ستين دينارًا ؛ على أن يَطَأها . فلما أرادَها على نفسها ارتعَدتْ وبكتْ ، فقال : ما يُبكيكِ ؟ فقالت ؛ لأن هذا العمل ما عملتُهُ ؛ وما حملنى عليه إلا الحاجة .

فقال : تفعلين أنت هذا من مخافة الله ؟! فأنا أحرى ! اذهبى فلك ما أعطيتُكِ ، والله ما أعصيه بعدها أبدًا . فمات من ليلته ، فأصبح مكتوبًا على بابه : « إنَّ الله قد غفرَ للكِفْل ، فعَجِبَ الناسُ مِنْ ذلك » . (حا . ت) وحسَّنه . صحيح .

* قال ﷺ : « لو علمتُم ما أعلَمُ لضحكتُمْ قليلا وبكيتم كثيرًا ، وما تلذَّذْتم بالنساء على الفُرُش ، ولخرجْتُم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله » قال أبو ذَرّ : « والله لَوَدِدتُ أنِّى شجرة تُعْضَدُ » . (ت) وغيره

ولا تَقْرَبوا الزنى . . .

الآيات :

● ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا[1] ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

● ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان : ٦٣ - ٦٩] .

---

(١) قال الإمام ابن القيم فى التعليق على هذه الآية : « جعل الله سبحانه وتعالى سبيل الزنى شرَّ سبيل . فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ ، ويقيم أهلها فى الجحيم شر مقيل ، ومستقر أرواحهم فى البرزخ فى تنور من نار تأتيهم فيها من تحتهم . فإذا أتاهم اللهب ضجوا وارتفعوا ، ثم يعودون إلى موضعهم ، فهم هكذا إلى يوم القيامة ، كما رآهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى منامه . ورؤيا الأنبياء وحىٌ لا شك فيها » [« روضة المحبين » باختصار].

وقال ابن حزم : « إفساد النسل والتفريق بين الأزواج الذى عظَّم الله أمره ممّا لا يهون على ذى عقل أو من له أقل خلق » .

الأحاديث :

* « قال ابن مسعود رضى الله عنه : قلت : يا رسول الله أىُّ الذنبِ أعظمُ عند الله ؟ قال : أن تجعل لِلَّهِ نِدّا وهو خلقَكَ . . .

قال : قلت : ثم أىّ ؟ قال : أن تقتل وَلَدَك مَخافةَ أن يَطعمَ معك .

قال : قلت : ثم أىّ ؟ قال : أن تزنى بحليلة جارك . .» الحديث (خ . م) .

* قال سمرةُ بن جُندب رضى الله عنه :

قال لنا رسول الله ﷺ ذات غداة : « إنه أتانى الليلةَ آتِيان وإنهما ابتعثانى ، وإنهما قالا لى : انطلقْ ، وإنى انطلقتُ معهما . . فأتينا على مثل التنُّور ، فإذا فيه لغطٌ وأصوات ، قال : فانطلقنا ، فإذا رجالٌ ونساءٌ عراةٌ ، وإذا هم يأتيهم لهَبٌ من أسفلَ منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوُا [1] » الحديث . .

وفى آخره : « وأمّا الرجالُ والنساء العراةُ الذين هم فى مثل التنُّور : فإنهم الزُّناة والزوانى » . الحديث (خ) باختصار .

* « لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلم يشهَدُ أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثَّيِّب [2] الزانى ، والنفسُ بالنفس ، والتاركُ لِدينه المفارقُ للجماعة » (خ . م) وغيرهما .

---

(١) صاحوا وصرخوا من شدة العذاب .

(٢) لقد شدد الإسلام - حرصاً على كيان الأسرة - عقوبة الزانى المحصن ، وهى شريعة التوراة ، كما هى شريعة الإسلام ، فما بال أعداء الإسلام يتهمونه بالقسوة فى هذه العقوبة ، ولا يتهمون غيره ؟ مع أنه جعل لها شروطاً دقيقة لا يتسع المقام لذكرها ؛ لتكون رادعة . وقد سُئل الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى عن حكمة رجم الزانى المحصن - ومثله الزانية - فأجاب فى كتابه « وحى القلم » : « لأنه هدم بيتًا ، فيجب أن يقتل بحجارته ! لأنه لا داعى إلى هذا الزنى ولا مبرر . فالرجل والمرأة اختار كلٌ منهما الآخر بملء حرِّيته ، وهو ممّا لم يتوفر حتى لملك إنجلترا نفسه الذى حُرم من حقه فى هذا الاختيار حتى اضطرّ للتنازل عن ملكه ! - ولكلٌ منهما أيضاً الحق فى حَلِّ عقدة الزواج إذا شعر بكراهية الطرف الآخر ، واستحالة الحياة معه - الزوج بأسلوب مباشر ، والزوجة بأسلوب غير مباشر - عن طريق القاضى » .

وكل ذلك بعكس الحال فى كثير من الأديان الأخرى التى تحرِّم الطلاق ، كما تحرِّم أن يتزوج الرجل من مطلقة غيره ، أو يتزوج هو نفسه بعد طلاق زوجته . جاء فيما يُسَمَّى بإنجيل متى ٥/ ٣٢ : « من تزوج مطلَّقةَ يَزْنِى !! » وجاء فيما يسمى بإنجيل مرقص ١٠/ ١١ - ١٢ : « من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى عليها ، إذا طُلقت المرأة من زوجها ، وتزوجت بآخر ارتكبت جريمة الزنا !! » =

* « ثلاثة لا يكلِّمُهُمُ اللهُ يوم القيامة ، ولا يزكِّيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذابٌ أليم : شيخ زان ، ومَلِكٌ كذّابٌ ، وعائلٌ مستكبرٌ » . (م . ن) .

* « أتَى فتًى شابٌّ إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ائْذن لى بالزنى ! فأقبل القوم فزجروه وقالوا : مَه مَه ! فقال : ادنُ . فدنا منه قريبًا ، قال : فجلس . قال : أتحبه - أى الزنى - لأمِّك ؟! قال : لا والله ! جعلنِى الله فداءك . قال : ولا الناسُ يحبونه لأمهاتهم . قال : أفتحبه لابنتكَ ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال : أفتحبه لأختك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال : أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه وقال : اللهمَّ اغفرْ ذنبه ، وطهِّرْ قَلْبَه ، وحَصِّنْ فَرْجَه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء » (حم) ص .

* « لا يزنى الزانى حين يزنى [1] وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربها وهو مؤمن » (خ) .

= إذن ! . . ما هو المبرر لأحد الزوجين من ارتكاب جريمة الزنا وخيانة صاحبه ، اللهم إلا الفساد فى الأرض ؟!

لهذا كله أوجب الإسلامُ عقوبةَ الرجم ، وهى مع ذلك لا تتحقق إلا بإقرار الزانى على الغالب ؛ لصعوبة شروطها .

(١) سُئل جعفرُ بن محمد عن هذا الحديث . فخطَّ دائرةً فى الأرض وقال : هذه دائرة الإيمان ، ثم خط دائرة أخرى خارجاً عنها وقال : هذه دائرة الإسلام ، فإذا زنى العبد خرج من هذه ولم يخرج من هذه . [باختصار] .

قال الإمام ابن القيم : « والزنى يجمع خلالَ الشرِّ كلها من : قلة الدين ، وذهاب الورع وفساد المروءة ، وقلة الغيرة . . . فالغدرُ والكذبُ والخيانَةُ وقلة الحياء ، وعدمُ المراقبة ، وعدم الأنفة للجرم ، وذهاب الغيرة من القلب مِن شُعَبِه ومُوجباته . . .

ومنها الوحشة التى يضعها اللهُ سبحانه وتعالى فى قلب الزانى ، ومنها ضيق الصدر وحرجه .

ولو علم الفاجرُ ما فى العفاف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش لرأى أن الذى فاته من اللذة أضعاف ما حصل له ، مع ربح العافية والفوز بثواب الله وكرمه .

ومنها أن يعرِّض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين فى المساكن الطيبة فى جنات عدن » . [باختصار عن روضة المحبين ٣٥٨ - ٣٦١] .

هذا ، وعلى الرغم من عقوبة الفاحشة فى الآخرة ، فإن عقوبتها فى الدنيا الوقوع فى الفتن والإصابة بالأمراض التناسلية الخبيثة التى قد تقطع النسل وتعرِّض للجنون ، وتسبب سرعة خمود المتعة الجنسية . =

. . . . . .

= قال الدكتور أدمس فى كتابه « المعرفة الجنسية » :

« لقد عرفتُ بحكم حرفتى شيوخًا ناهزوا الخامسة والسبعين لم يعتر قابليتهم الجنسية وَهنٌ ! ولمّا سألتهم عن سر هذه الحيوية العجيبة ردوا احتفاظَهم بنشاطهم إلى العوامل الآتى بيانها :

١ - لم يَدَعُوا العادة السرية تتملك منهم وهم فتيان .

٢ - عندما بلغوا مبلغ الرجال صانوا أنفسهم ؛ فما تمرغوا فى حمأة الرذائل.

٣ - بعد الزواج لزموا حدَّ الاعتدال فما فرَّطوا فى قواهم ، ولا اختزنوها مدة طويلة .

٤ - لم يستعملوا المخدرات والكحول والدخان .

٥ - ما لجأوا قط إلى المقبِّلات الصناعية ، وما قربوا نساءهم إلا وهم فى حالة نفسية جيدة .

ويشيخ قبل الأوان كذلك ، الذين يُلجمون غريزتهم ويكبتون نزواتهم ، فيمتنعون عن مباشرة الفعل الجنسى مدة طويلة .

أعرف رجلاً تزوج فى الخامسة والأربعين ، وبعد أربع سنوات ركبته العنة ، ولما جاءنى طالبًا المشورة ، فهمتُ منه أنه فى السنوات الأربع لزواجه لم يقرَبِ امرأته إلا عشر مرات ، وكان فى كل مرة يلقى عناء كبيراً فى ممارسة الفعل .

وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - خمسين أمراً يتُخلص بها من الهوى نكتفى بذكر ما يأتى منها :

(أحدها) عزيمة حُرٍّ يغار لنفسه وعليها .

(الثانى) جرعة صبرٍ يُصبِّر نفسه على مرارتها تلك الساعة .

(الثالث) قوة نفسٍ تشجعه على شرب تلك الجرعة ، والشجاعة كلها صبرُ ساعة ، وخير عيشٍ أدركه العبد بصبره .

(الرابع) ملاحظة حسن موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة .

(الخامس) ملاحظته الألم الزائد على لذة طاعته هواه .

(السادس) إبقاؤه على منزلته عند الله تعالى وفى قلوب عباده ، وهو خيرٌ وأنفع من لذة موافقة الهوى .

(السابع) إيثاره لذة العفة وعزتها وحلاوتها على لذة المعصية .

(الثامن) فرحهُ بغلبة عدوه وقهره له وردِّه خاسئاً .

(التاسع) التفكير فى أنه لم يخلق للهوى ، وإنما هيئ لأمر عظيم لا يناله إلا بمعصيته للهوى كما قيل :

قد رشَّحوكَ لأمرٍ لو فطنتَ له ... فاربأ بنفسِك أن تَرْعَى مع الْهُمَّلِ

(العاشر) أن لا يختار لنفسه أن يكون البهيمُ أحسنَ حالاً منه ؛ فإن الحيوان يميز بطبعه بين مواقع ما يضرُّه وما ينفعه ، فيؤثر النافع على الضار . =

* « لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : زنًا بعد إحصان ؛ فإنه يُرجم ، ورجل خرج محاربًا لله ورسوله ؛ فإنه يُقتل أو يُصلب ، أو يُنفى من الأرض ، أو يَقتلُ نفسًا : فيُقتل بها » (د . ن) ص .

= **(الحادى عشر)** أن يتأمل بفكره فى عواقب الهوى ، فيتأمل كم أفاتت معصيته من فضيلة ، وكم أوقعته فى رذيلة ، وكم مِن أكلةٍ منعت أكلات ، وكم من لذة فوّتت لذات ، وكم شهوة كسرت جاهاً ونكست رأسا . . وألزمت عاراً .

(الثانى عشر) أن يتصور العاقل انقضاء غرضه ممن يهواه ، ثم يتصور حاله بعد قضاء الوطر وما فاته وما حصل له .

(الثالث عشر) أن يتصور ذلك فى حقِّ غيره حقَّ التصوُّر ، ثم يُنزل نفسه تلك المنزلة فحكمُ الشىء حكمُ نظيره .

(الرابع عشر) أن يتفكر فيما تطالبه به نفسه من ذلك ، ويسأل عنه عقلَه ودينه يخبرانه بأنه ليس بشىء .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « إذا أعجبتْ أحدَكم امرأةٌ فليذكر مَناتنهَا !! » .

وهذا أحسنُ مِن قول أحمد بن الحسن :

لو فكّر العاشِقُ فى منتهى حُسْنِ الذى يَسْبِيه لَم يَسْبِه

لأن ابن مسعود ذكر الحالَ الحاضرة الملازمة ، والشاعر ذكرَ حالَ أمرٍ متأخر .

(الخامس عشر) أن يأنَفَ لِنفسِه من ذُلِّ طاعةِ الهوَى ؛ فإنه ما أطاع أحدٌ هواه قَط إلا وجدَ مِن نفسِه ذُلاً .

(السادس عشر) أن يوازن بين سلامة الدين والعرض والمال والحياة ، ونيل اللذة المطلوبة ؛ فإنه لا يجد بينهما نسبة البتة . فليعلم أنه مِن أسْفَه الناس ببيعه هذا بهذا [روضة المحبين ص ٤٦٥ - ٤٦٧] .

وقد بلغ مِن خوف المسلمين مِن عذاب جهنم للزناة ، كما وصفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، كما سبق أنهم كانوا يتقدمون للاعتراف أمام الحاكم بجريمة الزنا ، وحدِّ الرجم للمحصَنين إذا ما تغلب عليهم هواهم وشهواتهم فى بعض الأحايين .

وكل ذلك لينجوا من النار يوم القيامة ويتوبوا توبةً نصوحاً .

وقبل أن أختتم هذا البحث ، أذكر أن أحد الشبان قال لى : لقد كان الزنى مخيفًا من الناحية الصحية ، لمّا كان الطب متأخرًا ، أما اليوم فقد تقدم هذا العلم ، وبات الزنى مضمون الشفاء بسبب الأدوية الحديثة .

إن هذا الكلام مغاير للحقيقة ، وإن داء الزنا ما زال - ولا يزال إلى يومنا هذا - فاشيًا فى العالم يكذّب ادعاءَ هذا الشاب وأمثاله ، وقد أثبت الأطباء العالميون أنه داءٌ مستعص وصعبُ الشفاء ، إذا لم نقل مستحيل لعواقبه الوخيمة الكثيرة على الصحة الجسمية والعقلية .

وصفُ الحياةِ الجنسيةِ فى الجنة

الأحاديث :

* « إن للمؤمن فى الجنة لخَيمةً مِن لؤلؤة واحدةٍ مجوَّفة طولُها ثلاثون ميلاً ، وللمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضًا » (خ) .

* « يُعْطَى المؤمنُ فى الجنة قوةَ كذا وكذا من الجماع » .

قال أنس : يا رسول الله ويطيق ذلك ؟!

قال : « يُعْطَى قوةَ مائة » . (ت) وصححه ، وهو كما قال .

* قال أبو هريرة رضى الله عنه : يا رسول الله ، هل نَصِل إلى نسائنا فى الجنة ؟!

قال : « إنَّ الرجل لَيصلُ فى اليوم إلى مائة عذراء ! » رواه الطبرانى . قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى : ورجال هذا الحديث عندى على شرط مسلم .

* قال لقيط العقيلى : قلت يا رسول الله : أَوَلنا فيها أزواج مصلحات ؟

قال : « الصالحون للصالحات ، تَلَذُّونهن مثل لذّاتكم فى الدنيا ، ويلذّونكم غيرَ أنْ لا توالُدَ . » (طب . حا) وغيرهما ، وسندُه جيد .

* عن أبى هريرة قال : قلتُ : يا رسول الله : أَنَطَأُ فى الجنة ؟ قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده دحماً دحماً ! فإذا قام عنها رجعتْ مُطَهَّرَةً بِكرًا » (صححه ابن حبان) .

وفى معجم الطبرانى من حديث أبى المتوكل ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة إذا جامَعوا نساءهم عُدْنَ أبكارًا » .

وفيه أيضًا مِن حديث أبى أمامة رضى الله عنه أنه سمع رسولَ الله ﷺ سُئل : هل يتناكح أهلُ الجنة ؟ فقال : « بذَكَرٍ لا يَمَلُّ ، وشهوةٍ لا تنقطع ! دَحْمًا دَحْمًا » .

وفيه أيضًا عنه أن رسول الله ﷺ سُئل : أيجامعُ أهل الجنة ؟ قال : « دَحْمًا [1] لا مَنِيَّ ولا حَيْضَة [2] » .

---

(١) الدَّحْمُ : الجماع بدفع شديد . ونصبه بفعل مضمر أى يدحمون دحمًا . والتكرير للتأكيد أى دحمًا بعد دحم .

(٢) قال الإمام ابن القيم فى كتابه : « روضة المحبين » (ص٢٥٥) تعليقًا على أحاديث الطبرانى التى ذكرناها : =

إلى التوبةِ أيها الشبابُ والشاباتُ [١]

الآيات :

● ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا

= ولقد أتانا أنه يغشى بيو م واحد مِئَةً مِنَ النسوان
ورجالُهُ شرط الصحيح رَوَوْا لهم فيه فى معجم الطبرانى
وبذاك فُسِّرَ شُغْلُهم فى سورة من بعد فاطر يا أخا العرفان

أشار إلى قوله تعالى فى سورة (يس) : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ فقد فسَّره كثيرٌ من السلف فى هذه الآية : بافتضاض الأبكار !! .

فبشرى للشبان الصالحين التائبين .

(١) لا شك أن المؤمن بعدما اطلع على البحث السابق : « جزاء العفة وثوابها » قد سال لعابه لما أعده الله سبحانه للعفيف والعفيفة من أجر عظيم ، وهناك مكافآت وجوائز كثيرة جدًا ، وخيرات لا يتصورها الخيال مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . . مما لا مجال لتفصيله . وقد يكون ممن غلبه الهوى وتغلَّب عليه الشيطان ، فزلت قدمه بارتكاب جريمة الزنا ، فينسى رحمة الله – تعالى – وربما تمادى فى جرائمه وحدثت عنده عقد نفسية خشيةً من الإثم . . فإليه – وإلى أمثاله – أقدِّم هذا البحث ، وأُوضح فيه أن الإسلام – هذا الدين العظيم – قد فتح باب المغفرة والتوبة على مصراعيه أمام المؤمنين النادمين .

والتوبة – كما قال الأستاذ فتحى يكن – فرصة كريمة يستطيع بها الفرد أن يجدِّد روحَه المعنوية ويريح بها نفسه من كابوس الذنوب والخطايا ؛ فيستحيل إنسانًا آخر يَأْمَلُ فى المغفرة والقبول . ويوم فقدتِ الإنسانيةُ هذه الواحات النفسية استحالت الحياة قطعة من العذاب والخوف والقلق .

وجاء فى « ظلال القرآن » تفسيرٌ لهذه الآيات الكريمة : ثم يفتح الله تعالى باب التوبة لمن أراد أن ينجو من هذا المصير المسىء بالتوبة والإيمان الصحيح والعمل الصالح : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ ويعِد التائبين المؤمنين أن يبدِّل ما عملوه من سيئات قبل التوبة ، حسناتٍ بعدها تضاف إلى حسناتهم الجديدة . ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ (وهو فيض من عطاء الله ولا مقابل له من عمل العبد إلا أنه اهتدى ورجع عن الضلال ، وثاب إلى حمى الله ، ولاذ به بعد الشرود والمتاهة : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

وباب التوبة دائمًا مفتوحٌ ، يدخل منه كل من استيقظ ضميره ، وأراد العودة والمآب ، لا يُصد عنه قاصد ، ولا يغلق فى وجه لاجئ ، أيًا كان ، وأيًا كان ما ارتكب من الآثام !

مناجاة

قُم فى الدجى يا أيها المتعبِّدُ حتَّى متَى فوقَ الأَسِرَّةِ ترقدُ =

﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦٧ - ٧٠] .

الأحاديث :

* « للهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه مِن فرح أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتَتْ منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيسَ منها ، فأتَى شجرةً فاضطجعَ فى ظلها ، وقد أيس من راحلته ، فبينا هو كذلك إذا بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهمَّ أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » .

قاتلٌ اسمهُ : اللذةُ

كنت ذكرتُ فى مطلع هذا الكتاب مقتطفات طريفة ومشوقة عن اللذة ، وأخشى أن يحسَبَ بعضهم أن اللذةَ خيرٌ دائمًا ، ومع أنه يصحَبُها الشرُّ كل الشر فى كثير من الأحيان ؛ حتى أنها تستحق هذا الاسم : « قاتل اسمه اللذة » فكم سببت للبشر من الآلام والكوارث المدمرة ، وقد كنت ذكرت فى كتابى « أسرار العشاق » أخبارًا كثيرة عمَّن انحرفت به اللذةُ إلى قتل غيره ، أو قتل نفسه ، أو قتله نفسه من قِبَل الناس !

وهكذا فإن من اللذة ما يوجب سفكَ الدماء والتعرضَ للألم والشقاء ، كما ذكرنا ذلك مفصلاً فى هذا البحث عن الزنى .

= قم وادعُ مولاكَ الذى خلقَ الدجَى ... والصبحَ وامضِ فقد دعاك المسجِدُ
واستغفرِ اللهَ العظيمَ بِذلَّةٍ ... واطلبْ رضاه فإنه لا يحقِدُ
واندم على ما فات واندب ما مضى ... بالأمسِ واذكُرْ ما يجىء به الغَدُ
واضرَعْ وقل : يا رب عفوك إننى ... من دون عفوكَ ليس لى ما يعضدُ
أسفا على عمرى الذى ضيَّعْتُه ... تحت الذنوب ، وأنت فوقى ترصُدُ
يا ربِّ لم أحسَبْ مرارةَ مصدرٍ ... عن زَلَّةٍ قد طابَ فيها المورِدُ
يا رب ! قد ثَقُلَتْ علىَّ كبائرُ ... بإزاء عينى لم تَزَلْ تتردَّدُ
يا رب ! إن أبعدتُ عنكَ ، فإنَّ لى ... طمعًا برحمتك التى لا تبعدُ
يا رب ! ما لى غير لطفك ملجأ ... لعلَّنى عن بابه لا أُطرد
يا رب ! هَبْ لى توبةً أقْضِى بها ... دَيْنًا علىَّ ، به جلالك يشهد
أنت الخبير بحال عبدك إنَّهُ ... بسلاسل الوزر الثقيل مقيَّد
أنت المجيب لكل داعٍ يلتجِى ... أنت المجِيرُ لِكل مَن يستنجد
مِن أى بحرٍ غير بحرِكَ نستقِى ... ولأى بابٍ غير بابك نقصُدُ !

ومن اللذة ما يوجب حقنَ الدماء والصحة والسعادة ... كل ذلك فى الدنيا والآخرة ، وهذا ما قصدناه من بحثنا الأول .

فما أعظم الفرقَ بين حياة الزانى وحياة المتزوج ؛ فالأولى كحياة اللصوص فى الكسب ؛ كلها خوف واضطراب وعذاب .

والثانية كحياة التجار الشرفاء التى تخيم عليها الطمأنينة والمتعة الدائمة .

فاذكروا أيها الشباب والشابات على الدوام أن الله سبحانه ما حرَّمَ شيئًا إلا حلَّل خيرًا منه ، حرَّم العشق الأهوج الذى يدمر صاحبَه ، وحلَّل الحبَّ البنَّاء الذى يطلب صاحبُه الزواجَ وينشُدُ حياة الاستقرار والسعادة ، وإنشاء الأسرة وإنجاب الأبناء والبنات وتربيتهم ؛ كى يكونوا قرة عين له ولأمهم .

* * *

لهيبُ الغيرةِ يحرقُ السعادةَ الزوجيّةَ

الغيرةُ المحمودةُ والغيرةُ المذمومةُ [١]

الآيات :

● ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ [٢] ﴾ [البقرة : ٢٥] .

الأحاديث :

* « إن الله يَغار ، والمؤمنُ يَغار [٣] ، وغَيْرَةُ الله أن يأتِيَ المؤمنُ ما حرَّم الله » . (خ . ن) .

* « لا أحَدَ أَغْيَرُ مِنَ الله عزَّ وَجلَّ ، فلذلك حَرَّم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطنَ ، ولا أحد أحبُ إليه المدحُ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ » (خ . م) .

* « المؤمن يَغارُ ، واللهُ أشَدُّ غَيْرَة » (خ . م) .

---

(١) ما أشقى المرأة الغيور ، وما أتعس حياتها ، قالت إحدى الخبيرات : « كانت لى صديقة كثيرة الشكوك ، شديدة الغيرة ، فإذا خرج زوجها ، أو ضربَ موعدًا ، أو تكلم فى الهاتف ، أو حرَّرَ رسالة ، أو أطرق مفكرًا ، أو بدا منشرحًا ، أو أرسل ابتسامة ، أيقنتْ أن هناك امرأة !!

وعجزت هذه الزوجة الحمقاء عن أخذ نفسها بالحكمة ، واستئصال مرضها المرذول إلى أن حرمت نفسها من زوج لا عيب فيه . »

وقد تطرقُ الغيرة رأس المرأة أو الرجل ، ولكن من الواجب طردها ، وذلك فى طوق كل إنسان عاقل ، وليكن العلاج قبل ظهور الشىء ، وإلا استفحل وتطوَّر وعزَّ الشفاء .

(٢) قال الإمام ابن القيم : « أى طَهُرْن من الحيض والبول والنجو ، وكل أذى يكون فى نساء الدنيا ، وطهرت بواطنهن من الغيرة ، وأذى الأزواج ، وتجنِّيهن عليهم وإرادة غيرهم ! » [روضة المحبين ص ٢٤١ - ٢٤٢] .

(٣) قال المناوى فى الفيض : « وأشرف الناس وأعلاهم همَّةً : أشدُّهم غيرة ؛ فالمؤمن الذى يغار فى محل الغيرة ، قد وافق ربه فى صفة من صفاته ، ومَن وافقه فى صفة منها ، كانت تلك الصفة آخذةً بزمامه ، وأدخلته عليه ، وقرّبته من رحمته » .

فأين هذا التوجيه من كثير من الرجال اليوم الذين حُرِموا الغيرة ؛ فتراهم يعرضون نساءهم وبناتهم وأخواتهم فى الشوارع والطرقات متبرجات متزينات ؛ ليتعرض لهن لصوص الأعراض وينهشوهن !!

* قال سعد بن عُبادة رضى الله عنه : « لو رأيتُ رجلاً مع امرأتى لَضَربتُهُ بالسيف غير مُصْفِح [١] .

---

(١) غير مصفح أى غير ضارب بصفحة السيف وعرضه بل أضربه بحدِّه لأقتله . وقال أبو الفرج فى كتاب النساء : « قال معاوية : ثلاث من خصال السؤدد : الصفح ، واندماج البطن ، وترك الإفراط فى الغيرة » . ونزل قيسُ بن زهير ببعض العرب فقال لهم : أنا غيور وأنا فخور ، وأنا أَنِفُ ، ولكن لا أغار حتى أرى ، ولا أفخر حتى أفعل ، ولا آنف حتى أُضام .

قال أبو الفرج : فعابوا على معاوية بَعْدَهُ تَرْكَ الإفراط فى الغيرة مِن خصال السؤدد ، ولا أرى فيها عيبًا ؛ فإن الإفراط هو مجاوزة الحد وتعدِّيه إلى ظلم المرأة .

وعابوا أيضًا على قيس بن زهير قوله : « لا أغار حتى أرى » ، وأظنه إنما أراد رؤية السبب لا رؤية المواقعة .

أنشد مسكين الدارمىّ فى قوله « لا أغار حتى أرى » :

وإنّى امرؤٌ لا آنف البيتَ قاعدًا ... إلى جنب عُرْسى لا أفارِقُها شِبْرا
إذا هِىَ لم تَحْصُنْ أمامَ فِنائها ... فليس بُمُنجِيها بِنائى لها قصرا
ولا حاملٌ ظنّى ولا أقوال قائلٍ ... على غيرةٍ حتى أُحيطَ بها خُبْرا
فهبنى امرءًا راعيت ما دمتُ شاهدًا ... فكيفَ إذا ما غِبْتُ عن بيتِها شهرا ؟!

ومن غرائب غيرة النساء ما حكاه المبرد عن إسحاق بن الفضَل الهاشمى قال : كانت لى جارية وكنت شديد الوجد بها ، وكنت أهاب ابنة عمى فيها . فبينما أنا ذات ليلة على السرير إذ عرض لى ذكرُها ، فنزلتُ من أعلى السرير أريدها ، إذ لدغنى فى طريقى عقرب ، فرجعت إلى السرير مسرعًا وأنا أتأوه . فانتبهت ابنة عمى وسألتنى عن حالى ، فعرَّفتُها أن عقربًا لدغنى ، فقالت : أعَلَى السرير لدغك العقرب ؟! فقلت : لا ! قالت : أصْدِقنى الخبر ، فأعلمتُها ، فضحكت ، وأنشدت :

وداري إذا نامَ سُكّانُها ... تقيمُ الحدودَ بها العقربُ
إذا رامَ ذو حاجةٍ غفلةً ... فإنّ عَقاربَها ترقبُ

ثم دَعَتْ جواريها وقالت : عزمتُ عليكن ألاَّ تقتلن عقربًا هذه السنة !!

ومما يُحكى عن شدة غيرة النساء أن رجلاً كان مضطجعًا إلى جنب امرأته ، فخرج إلى الحجرة ، فجامع جارية له ، فاستنبهت المرأة فلم تره ، فخرجت ، فإذا هو على بطن الجارية ، فرجعت ، فأخذت سكينًا ، فخرج الرجلُ فى الحال ، ووجد مع زوجته السكين فقال لها : ما الخبر ؟! فقالت : ما الخبر ؟! وقد وجدتك عند الجارية ، فجئت بالسكين لأنتقم منكما !

قال الرجل : ما كنتُ ! فأنتِ حالمة مِن شدة النعاس والنوم .

فقالت : بلى : وقد نهى الإسلام أن يقرأ أحدُنا القرآن وهو جُنُبٌ ؛ فاقرأ ما تيسَّر .

وقد كانت هذه المرأة أُمية لا تميز بين القرآن وغيره ، فأنشدها :

أتانا رسولُ الله يتلو كتابَه ... كما لاحَ منشورٌ مِن الصبح ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبُنا ... به موقناتٌ أنَّ ما قال واقِعُ =

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أتَعجبونَ مِن غيرةِ سَعْدٍ ؛ لأنَا أغْيَرُ منه ، واللهُ أغْيَرُ مِنِّى » [١] (خ . م) .

= يَبِيتُ يُجافِى جَنْبَه عن فراشه إذا استثقلتْ بالكافرين المضاجعُ

قالت : آمنت بالله وكذبت بصرى . وقد انطلت عليها الحيلة . ومعنى يجافى جنبه عن فراشه : أى يتنحى عن فراشه ويقوم للصلاة فى بطن الليل وهذه من صفات المؤمنين قال تعالى فى وصفهم : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة : ١٦] .

وبمناسبة الكلام على مس القرآن ، فإنه لا (يحرُم) مسُّه من قِبل الجنب ولا الحائض ، وإن كان الأفضل مسُّه على طهارة وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٧ - ٧٩] فإن الضمير يعود على الكتاب المكنون لا على القرآن ، والمطهرون هم الملائكة .

وحديث : « لا يمسُّ القرآنُ إلا طاهر » معناه المؤمن . وفى الحديث الصحيح : « المؤمن لا ينجس ! » .

(١) قال الإمام ابن القيم : « فمحبُّ الله ورسوله يغارُ لله ورسوله على قدر محبته وإجلاله ، وإن خلا قلبه من الغيرة لله ولرسوله فهو من المحبة أخلى ؛ وإن زعم أنه من المحبين . فكذبَ مَن ادعى محبة محبوب من الناس ، وهو يرى غيره ينتهك حرمة محبوبة . . . ويستهين بحقه ، ويستخف بأمره ، وهو لا يغار لذلك ، بل قلبُه بارد ، فكيف يصحُّ لعبدٍ أن يدعى محبة الله ، ولا يغار لمحارمه إذا انتُهِكت ، ولا لحقوقه إذا أضيعت ، وأقل الأقسام أن يغار له من نفسه وشيطانه ؛ فيغار لمحبوبه من تفريطه فى حقه ، وارتكابه لمعصيته . وإذا ترحلتْ هذه الغيرة من اللب ترحلت منه المحبة ، بل ترحل منه الدينُ وإن بقيت فيه آثاره .

وهذه الغيرة هى أصل الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهى الحاملة على ذلك ، فإن خلت من القلب لم يجاهد ولم يأمر بالمعروف ولم ينهَ عن المنكر ؛ فإنه إنما يأتى بذلك غيرةً منه لربه ، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى علامة محبوبه الجهاد فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] » . [روضة المحبين ص ٢٧٤ - ٢٧٥] .

ومن علامات الغيرة المحمودة والمحبة : كرهُ مَنْ يدخل بين المحب الصادق وبين محبوبه ، ولهذا السر - والله أعلم - أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بردّ المارّ بين يدى المصلى حتى أمر بقتاله ، وأخبر « أنه لو يدرى ما عليه من الإثم لكان وقوفه أربعين خريفًا خيرًا من مروره بين يديه » (رواه الشيخان وغيرهما) .

« ولا يجد ألم المرور وشدته إلا قلبٌ حاضر بين يدى محبوبه ، مقبل عليه ، وقد ارتفعت الأغيار بينه وبينه ، فمرورُ المارّ بينه وبين ربه بمنزلة دخول البغيض بين المحب ومحبوبه ، وهذا أمرٌ ، الحاكم فيه الذوق ، فلا ينكره إلا من لم يَذُق » . [روضة المحبين ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ، ٢٨٠ - ٢٨١] .

* « إنَّ مِن الغيرةِ ما يحبُّ اللهُ ، ومنها ما يبغض الله ؛ فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، وأما الغيرة التى يبغضها الله فالغيرةُ فى غير الرِّيبة » [١] .

---

(١) ما أعظم توجيه هذا الحديث ؛ فكم كانت الغيرة الجاهلية إذا صحَّ هذا التعبير أو الغيرة فى غير ريبة ، كما أطلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سببًا فى شقاء الأسرة .

إننى أعترف بمرورى فى هذا الدور ، إذ كنت حدثًا ، فكانت دارى فى قرية ، تطل على جبل بعيد ، فكنت أطلب من زوجتى أن تستتر لكى لا يمر راع أو غيرُه ، فيراها مما لا يمكن تصوره ولا يمكن تحقيقه لتعذر التستر ضمن الدار أو الغرفة . كما كنت أخرج بها إلى النزهة ، فكانت تكشف عن وجهها ، فإذا صادف وشاهدها مارٌّ فجأة ، أقيم الدنيا ولا أقعدها وأعكِّر عليها وعلى نفسى النزهة ، مع أن الوجه إذا كان بدون زينة ليس بعورة ، وكل ذلك نتيجة عدم الاطلاع على الإسلام .

إن من واجب كلٍّ من الزوجين أن يكون عاقلاً رزينًا لا يجعل الشك والريبة أمام ناظريه وفى قلبه ، فيعكر حياته ويهدد كيان أسرته بالخراب نتيجة الظنون والوساوس الشيطانية وخلل فى غريزة حب التملك .

ومن غرائب الغيرة استعمال الفرسان الأفرنج فى القرون الوسطى الأحزمة الحديدية ذات الأقفال (حزام العفَّة) عندما كانوا يذهبون إلى الحروب ، فكانوا يقيدون نساءهم بهذه الأقفال حتى يضمنوا بقاءهن عفيفات .

إننى أنصح الزوجين - وخاصةً إذا كانا متدينين حقًّا - أن يدع كل منهما للآخر مجالاً لمراقبة خالقه ومحاسبة ضميره ، فلا يعكر كلٌّ منهما سعادةَ الأسرة بالغيرة وخاصة إذا هما التزما حدود الشرع وتجنبا مشاهدة المواقف الغرامية الجنسية المثيرة ، وابتعدا عن الاختلاط بالرجال والنساء الآخرين ، كما ابتعدت الزوجة عن التبرج الذى يدخل الشك والريب فى نفس الزوج الواعى . وإننى أنبه بهذه المناسبة إلى أن الغيرة المتكررة فى غير ريبة ، وكثرة المضايقات على الزوجة قد يغرى الطرف الآخر إذا كان ضعيف النفس فاقد الإيمان بارتكاب المحرمات . . فالحذر الحذر .

كتب أحدهم يقول :

ينبغى أن تكون المرأة محامية عن زوجها تدافع عنه ، لا موظف مخابرات تسأله دائمًا عند دخوله البيت : أين كنت ؟ ماذا فعلت ؟ لماذا تأخرت ؟ من حدثت ؟ ماذا كنت تقول ؟ . تكلم بصراحة .

إلى غير ذلك من الأسئلة التى تجعل من الزواج جحيمًا لا يطاق .

وأنشد بعضهم فى الغيرة :

ما أحسنَ الغيرة فى حينها ... وأقبحَ الغيرة فى غير حينْ
مَن لم يَزل متَّهِمًا عرسه ... متبعًا فيها لِقولِ الظنونْ
يوشكُ أنْ يغريها بالذى ... يخاف أن تبرزَهُ للعيون
حسبُك من تحصينِها وضعُها ... منك إلى عِرْضٍ صحيح ودينْ
لا يطَّلعنَّ منك علَى ريبة ... فيتبعِ المقرونُ حَبْلَ القرين

من عجائب الغيرة

إنِّى أغارُ عليكِ مِن عينيكِ ... مِن بائعات الورد فى خديْك
مِن فاحِم الشعرِ الكثيفِ محورى ... كالليلِ مُسْدَلاً حتَّى كتفيْك =

(حم . و . ن . حب) (ح) .

* لما دخل الثوّار المجرمون على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، نشرتْ زوجتُه نائلةُ شَعْرَها - كأنما تستنصر بمروءة هؤلاء الثائرين ، وتستنجد بما عسى أَنْ يكون فيهم مِن شرفٍ وإباء - وحانت مِن أمير المؤمنين عثمان التفاتةٌ إليها ، فصرخ فيها صرخة الإيمان وزجرَها وهو يقول :

« خذى خمارَك ؛ فإن دخولهم علىَّ أهونُ مِن حرمة شعرِك » .

ما أشدَّ غيرةَ النساءِ

أمثلةٌ من غيرةِ عائشةَ وصبرِ الرسولِ ﷺ عليها

الأحاديث :

* أرقَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة ، فخرج إلى البقيع [1] يُحَيِّى

= عند انفراج السحر من شفتيك !

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أن يطرقَ الرجلُ أهلَه ليلاً يتخَوَّنُهم يطلبُ عثراتِهم » (رواه مسلم) .

ونختم هذا البحث بكلمة نحلل فيها « الغيرة » ونميز بين المحمود منها والمذموم :

قال الدكتور أمير بقطر فى مجلة « التربية الحديثة » (٣٤ سنة ١٢) ما ملخصه :

« الغيرة كسائر الأمراض النفسية تفتك بصاحبها ، فيختل توازنه ، ويضطرب حبل شخصيته وتضطرب حياته الوجدانية ، وينبرى جسمه ، وتنحطّ قواه العقلية ، ويقل إنتاجه . .

والغيرة كالشعور بالنقص ، لا بأس بها ، فى الأحوال العادية ، إذ إنها ضرب من الدفاع عن النفس ، ووازع طبيعى للمنافسة الشريفة ، والطموح ، وركوبِ متن السمو والأمانى ، هذا هو الأصل . .

بَيْد أنها - كسائر الصفات والطبائع والنزعات الحسنة ، قد تصبح - وبالاً على المتصف بها ، فتبطش به بطشًا ، إذا ما أسرف فيها .

ويتفق علم النفس مع القاموس الإنجليزى فى تعريف الغيرة بقوله : « إنها خوف صاحبها مِن أن يحتل مزاحمٌ مكانه » .

كما يعرّفها قاموسُ محيط المحيط العربى بقوله : « أَنَفَةٌ مع الحَمِيَّةِ وكُرْهُ شَرِكة الغَيْر » .

ومما يؤسف له أن معظم ما يسمّونه الغيرة الزوجية التى كثيرًا ما تقود أصحابها إلى مواطن التهلكة والتعاسة ، بل إلى الانتحار ، وارتكاب جريمة القتل ، والوقوف أمام حبل المشنقة ، كثيرًا ما تكون هذه الغيرة لا أساس لها من الصحة . .

ومن العسير جدًا أن يستطيع أحدٌ معالجةَ الزوجِ الغيور سوى زوجته !! » .

(١) مقبرة المدينة .

الراقدين هناك . . . فلما أصبح مرَّ بعائشة فى الغداة فوجدها تشكو صداعًا وتئن متوجعة : وارأساه !

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وقد بدأ يحسُّ ألَمَ المرض - : بل أنا واللهِ يا عائشة : وارأساه ! فلما كررت الشكوى داعبها بقوله : ما ضرَّكِ لو متِّ قبلى ، فقمتُ عليكِ وكفَّنتُكِ وصليتُ عليكِ ودفنتُكِ ؟!!

فصاحت عائشة ، وقد هاجت غيرتُها : ليكن ذلك حظَّ غيرى !! واللهِ لكأنِّى بك لو فعلتَ ذلك ، لقد رجعتَ إلى بيتى ، فأعرستَ فيه ببعض نسائك !

فأشرق وجهُه صلى الله عليه وآله وسلم بابتسامةٍ لطيفةٍ وسكنَ عنه الألمُ هونًا » . (حا) وصححه .

* سأل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عائشةَ يومًا : « أَغِرْتِ ؟!

فتجيب : وما لى ألا يغارَ مِثْلِى على مثلك ! » . (حم . م).

* عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : « أهدَى بعضُ نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم له قصعةً فيها ثريدٌ ، وهو فى بيت بعض نسائه ، فضربت عائشةُ يدَ الخادم ، فانكسرت القصعة ، فجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ الثريد ويردُّه فى فلق القصعة ويقول : كُلُوا ! غارتْ أُمُّكُم ! ثم حبس الخادم حتى أتى بصفحة من عند التى هو فى بيتها ، فدفعَ الصفحة [1] إلى التى كُسِرتْ صفحتُها » . رواه البخارى .

* لمّا قَدمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينةَ بصفية - وقد اتخذها لنفسه زوجةً وعرَّس بها فى الطريق - قالت عائشة رضى الله تعالى عنها :

« تنكَّرْتُ وخرجتُ أنظر ، فعرفنى ، فأقبل إلىَّ ، فانقلبتُ ، فأسرع المشىَ ، فأدركنى ، فاحتضننى وقال : كيف رأيتيها ؟!

قلتُ : « يهوديةٌ بنتُ يهودِىّ !! » تعنى السَّبْى (رواه ابن ماجه والحافظ الدمشقى فى المرافعات كما قال الطبرى فى مناقب أمهات المؤمنين) .

* قالت عائشة رضى الله عنها :

« لمّا كنت ليلتى التى كان النبى ﷺ فيها عندى ، وظنَّ أنى قد رقدتُ فخرج . .

---

(١) ما أعظم حكمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فإنه لم يعاقب على الغيرة بطلب التعويض على كسر الصفحة إلا بعد هدوء الموقف وسكون الزوجة . بمثل هذا الحلم ينبغى أن يتحلى الرجال .

فانطلقتُ على أثره (وقد ظنَّتْ أنه ذهب إلى إحدى ضراتها وتبعته) حتى جاء البقيعَ . . ثم انحرفَ فانحرفتُ ، فأسرعَ فأسرعتُ ، فهرول فهرولتُ ، فسبقتُه . . .

فدخل فقال : ما لكِ يا عائشُ حَشْيا رابيةً ؟! (أى يخفق صدرُك كثيرًا) . فأخبرتُه . . . قال : « أظننتِ أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ » (أى يظلمك ») . الحديث مختصرًا (م) .

* قالت عائشة رضى الله عنها : « كنتُ أغارُ مِن اللاتى وهبنَ أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : أتهَبُ المرأةُ نفسَها ؟!

فلما أنزل الله تعالى : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب : ٥١] .

قلت : - أى للرسول ﷺ - ما أرى (أى ما أظُنُّ) ربَّك إلا يسارع فى هواكَ » . (خ .م) .

* قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : « كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه ، فطارت القُرعة على عائشة وحفصة ، فخرجتا معه جميعًا ، وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث معها .

فقالت حفصة لعائشة : ألا تركبين الليلةَ بَعيرى ، وأركب بعيرك ، فتنظرين وأنظرُ !!

قالت : بلَى ! فركبتْ عائشة على بعير حفصةَ ، وركبتْ حفصة على بعير عائشة .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جمل عائشة وعليه حفصة ، فسلَّم ، ثم سار معها حتى نزلوا ، فافتقدته عائشةُ ، فغارت !

فلما نزلوا جعلت تجعلُ رِجلَها فى الإذخر وتقول : يا ربِّ سَلِّطْ علىَّ عقربًا أو حَيَّةً تلدغنى ؛ رسولك ، ولا أستطيع أن أقول له شيئًا !! » . (م) .

* * *

قبلَ وُقوعِ الكارثةِ

لُزومُ التأنِّى والحذرِ من العجلةِ !

الآيات :

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) [النور : ١١ - ٢١] .

---

(١) هذه الآيات العشر كلها نزلت فى شأن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان واتهموها بأحد أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو صفوان بن المعطل ، والقصة مشروحة مفصَّلة فى كتب التفسير والسيرة ، فليرجع إليها من شاء فهى فى سورة النور ، فإن فيها عبرًا كثيرة وتوجيهات للأزواج والآباء وغيرهم من أجل حماية الأسرة من العصبية الجاهلية والغيرة الباطلة التى تؤدى بها إلى الانحلال والانهيار ، ولعل الله - سبحانه - أراد من حدوث هذه التهمة فى زوجة نبيه - نفسه - كى لا يدهش المسلمون إذا وقعوا فى مثل هذه الأزمة وهذا الامتحان ؛ فعليهم أن يلزموا الصبرَ والهدوءَ والتحقيقَ النزيه . والمثلُ العامى يقول : « الناس اتهموا زوجة النبى ! » ومعنى ذلك أنهم إذا اتهموا غيرَها ، فليس بعجيب ، وينبغى أن نكون على علم دائماً بأن المتهم برىء حتى تثبت إدانته .

والذى يهمنا هنا هو موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المشرِّف الرزين لمّا علمَ بهذه التهمة ، فإنه وإن تألم ، فقد صبر ولم يتسرع ، على الرغم من شيوع الخبر بصورة واسعة بين المسلمين ، حتى جاء الوحى بتبرئتها وهكذا فليكن الأزواج .

كما يهمنا أيضًا موقفُ الصحابى الجليل أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ؛ فقد كان على الرغم من شدة المحنة والابتلاء فى أعز شىء عنده وعند العرب وهو العِرض ، مثالَ الأب الصبور الحكيم ؛ فلم يأت بشىء من صفات التسرُّع والغيرة الباطلة التى اتصف بها العرب ، والتى حدثت بسببها فواجع وأهوال وجرائم تقشعر منها الأبدان .

وهكذا فليكن الآباء .

وينبغى أن نلاحظ أن الآيات فى القسم الأول تدعو إلى تنزيه وتطهير النفس المؤمنة من تقبل الإشاعات وإذاعتها ، كما تدعو إلى حسن الظن بالطيبين والطيبات .

والآيات فى القسم الثانى تحذِّر الذين يتهمون المحصنات الغافلات ، وتنذرهم باللعنة وسوء العذاب .

حقًّا لقد كان لحادثة الإفك مآسٍ ، ولكن كان فيها إلى جانب ذلك العبر والمواعظ والدروس . . . حتى للزوجات ليتجنبن مواقف التهم ما استطعن إلى ذلك سبيلا .

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور : ٢٣، ٢٥] .

الأحاديث :

* عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال :

« جاء النبىُ ﷺ إلى بيت فاطمة فلم يجد عليًا ، فقال :

أين ابنُ عمِّك ؟!

فقالت : كان بينى وبينه شىءٌ ، فغاضَبَنى فخرجَ .

فقال النبى ﷺ : انظرِى أين هو ؟

فقالت : هو فى المسجد راقدٌ .

فجاء وهو مضطجعٌ ، وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه ترابٌ ، فجعل النبىُ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : قُم يا أبا تُراب » [(١)] .

قال سهل : « وما كان له اسمٌ أحبَّ إليه منه » . (خ . م) .

---

(١) إن مسارعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمصالحة الزوج درسٌ لأولياء البنات ؛ فإن كثيراً منهم اليوم إذا سمعوا بمثل حادث فاطمة رضى الله عنها اغتاظوا وأخذوا ابنتهم إلى بيتهم حتى يتصاغر الزوج ويطلب زوجته . وقد يكون الأمر بالعكس ، فيطلّق زوجته ، ويهدم أسرته ويشرد أولاده .

إن حدوث الاختلافات الزوجية شىء متوقع ، لا يدعو إلى الانزعاج والخوف . بل إن حياة زوجية لا يحدث فيها خلافات قط تستوجب منا البحث والدراسة ، إننا إذا تحرينا الأمر فى مثل هذه الحياة ، فقد نجد أن أحد الزوجين لم يكن أمينًا وصادقًا فيها . إن الخلافات الزوجية شىء طبيعى ، ولا بد من حدوثها .

وهنا ينبغى لأولياء الزوج أو الزوجة التدخل لحل هذه الخلافات بالحكمة والموعظة الحسنة إذا لم يحلها الزوجان أنفسهما . كما رأينا ذلك واضحًا فى سلوك الرسول ﷺ ومسارعته للمصالحة وإزالة الخلاف بأسلوب مداعبته لصهره على رضى الله عنه بتسميته أبا تراب .

كلُّ ذلك إذا لم يحلّ الزوجان خلافَهما بنفسيهما ، ولَعَلَّ عليًا رضى الله تعالى عنه لو لم يخرج من بيته لسارعتْ فاطمةُ رضى الله تعالى عنها إلى إرضائه وإزالة غضبه ؛ إن الخروج من البيت ينبغى أن يكون آخِرَ الحلول لا أوّلها . وكل ذلك يتطلب الحكمة من أقلّ الطرفين تأثرًا ، وقد جاء فى المثل العربى : « إذا عَزَّ أخوك فَهُنْ » أى إذا غضب صديقك فالزم الحلم والصبر .

وما فعلَه الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم بإعادته صهره إلى بيته خشية اتساع شقة الخلاف بينه وبين زوجته بسبب هذه المغادرة ، هو ما تنصح به اليوم - بعد مرور أربعة عشر قرنًا - العالمة الكبيرة إيفلين مليس بالاشتراك مع دوفا وغيره فى كتاب « كيف تبنى حياتك الزوجية » . إذ قالوا تحت عنوان : « لا تُسرعى بمغادرة المنزل والذهاب إلى والدتك » . =

. . . . . .

= إن أول ما يجبُ تذكُّره فى معالجة مثل هذه الصراعات هو عدم الهروب منها ؛ إن خروج الزوجة إلى منزل والدتها ، أو لجوء الزوج إلى النادى والمقهى لا يحل شيئًا من النزاع بينهما . إنهما بهذا على الأكثر ، يؤجلان المحتوم ؛ إذ سيضطران ، إن آجلاً أو عاجلاً ، إلى أن يواجه كلٌّ منهما الآخر ، ويعملا على حل ما بينهما .

ويسبب خروج الزوجة إلى منزل أمها صعوبة أخرى ، وهى تشجيع دور الفتاة الصغيرة فيها بدلاً من دور المرأة المتزوجة الناضجة . وإذا كانت الأم نفسها تشعر بوحشة نحو ابنتها الصغيرة ، وتحس بسعادة كبيرة فى عودتها إليها ، فإن ذلك قد يمثل خطرًا حقيقيًا يهدد الحياة الزوجية لابنتها ، وكذلك رجوع الزوج المجروح الذى خاب أمله إلى أمه لا يقل خطرًا على الحياة الزوجية . إن أفضل ما يجب أن يفعله الزوجان المتنازعان هو أن يحسما فورًا المنازعات التى تنشُب بينهما أينما كانت . ولن يؤدى إدخال الوالدين أو صديق حميم فى النزاع القائم بينك وبين زوجك ؛ لكى يأخذ جانبك ، أو يثبت أنك على حق فى موقفك - لن يؤدى ذلك إلا إلى إطالة النزاع وتعقيده .

وبهذه المناسبة رأيتُ أن أتحدث بشىء من التفصيل عن الأسباب الجذرية لأكثر الخلافات بين الزوجين - المباشرة وغير المباشرة - للاطّلاع والإفادة :

أولاً : التساهل فى اختيار كل من الزوجين لصاحبه اختيارًا دقيقًا - كما تكلمنا على ذلك مفصلاً فى أول هذا الكتاب - والتأثر بالحب العاطفى الذى يُعمى ويُصِمّ ، وهو مؤسس على الهوى والطيش وسريع الزوال ، فتظهر بعده الفروق فى الطباع والتربية ، ويحدث الاختلاف والنزاع . . .

هذا - وإذا وقعت الواقعة وتم الزواج وظهر التباين والاختلاف والنزاع ، فلا ينبغى اليأسُ واللجوءُ إلى الانفصال ، بل لا بد من اللجوء إلى الحكمة والتدرج فى التربية والإصلاح بالكلمة الطيبة والكرم ؛ فإن الإنسانَ أسِيرُ الإحسان ، وقد جاء فى أمثال العامة « ابنك على ما ربيته ، وزوجك على ما عوَّدته ! . . . » .

وهناك أمثلة كثيرة تم النجاح والإصلاح فيها إذا حسُنتْ النية وطابت المعاملة ، وتم التوكل على الله تعالى واللجوء إليه ، فإنه سبحانه مقلِّب القلوب والأخلاق .

وأذكر أنه كان لى صديق ساذج تخرَّج من المدرسة التى لم تعلمه ويا للأسف شيئًا من آداب السلوك والمعاشرة وخاصة مع أهله . . . ثم ما لبث أن تزوج ، فلم يحسن معاملة زوجته ، أو لم يعرف آدابَ هذه المعاملة ، فكان يقسو عليها ويُسىء إليها ، فشكت ما بها إلى أمها (حماته) .

فكان من نصيحتها لها : « يا بنيتى إنه شابٌّ غَرٌّ ، وتظهر عليه علامات الصلاح ، فعليكِ بالصبر عليه والتدرُّج بتدريبه ونصحه ، فلا بد أن يتم صلاحه » .

فكان ما قالته أمُّها ، وتمَّ صلاحُه وأصبحَ مِن خيار الأزواج .

ثانيًا : أنانية أحد الزوجين أو كليهما - والعياذ بالله - وعدم مراعاته لمنفعة غيره واحترامه لشخصيته . والأنانية أو الأثرة داءٌ عضال وإسرافٌ فى حب الذات وإهمال حق غيره .

وهذا مخالف للإسلام وللشركة الزوجية التى ينبغى أن تُبنَى على التضحية وعلى العطاء قبل الأخذ . =

. . . . . .

= والأنانية أساسُ جميع الرذائل والجرائم ، فمتى استبدل بها الإيثار أصبح صاحبَها من كبار الصالحين ، وليس مثل الخوف مِن الله تعالى والتربية الإسلامية ، واعظًا ومؤدبًا ومصلحًا .

والإصلاحُ لا يتمُّ إلا بالتدرج والممارسة والإيحاء ، وقد جاء فى الحديث الصحيح : « إنما الحِلم بالتحلُّم ، وإنما العلم بالتعلُّم ، ومَنْ يبتغِ الخيرَ يَلْقَه ، ومَنْ يتقِ الشرَّ يُوقَهُ » . وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تدعو إلى التضحية والإيثار منها قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] . وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه من الخير »

فالإيثارَ الإيثارَ أيها الزوجان ؛ فإن فيه الصلاح والسعادة ، وجزاؤه الجنة .

ثالثًا : هناك سبب خفى للبغضاء والاختلاف ويؤدى للنشوز نقوله بصراحة : وهو عدم إشباع الغريزة الجنسية ، وخاصة فى عدم توافق الاستجابة بين الزوجين ، وقد رأيت أن أنقل البحث التالى فى هذا الموضوع تطييبًا لخواطر فريق الزوجات ، ودعوتهن إلى الصبر القليل ، ونصحًا للأزواج كى يكونوا على بَيِّنة مِن الأمر ! فمن صَبَرَ ظَفَرَ . . .

والواقعُ أن العلاقات الجنسية الأولى فى الزواج قد تكون مخيبة للظنون إلى حدٍّ ما .

ويجد كثير من حديثى الزواج أنفسهم فى مواقف يشيع فيها الاضطراب ؛ إمّا لأنهم لم تكن لهم خبرة سابقة ، وإما لأن خبراتهم كانت بمواقف تختلف ظروفها عن هذا الموقف . وغالبًا ما يكونون فى حالة توتر فى بادئ الأمر ، لمجرد أن كُلاً من الزوجين مَشوقٌ للآخر ويُكنّ له الحبَّ الكثير ، وأحيانًا ما تؤدى مشاعر الذنب والأسف والخوف إلى زيادة الاضطراب . ولكن ما إن يحل الاستقرار والهدوء محل ذلك التوتر ، حتى تصبح علاقتهما أكثر إشباعًا ومتعة .

تتطور مهارة الزوج والزوجة عندما تتم الألفة ، وترفع الكلفة بينهما ، ويصبح كلٌّ منهما أكثر استجابة لرغبات الآخر . وفى الزواج الناجح تصبح العلاقات الجنسية أكثر إشباعًا على مَرِّ الأعوام . وليس من الصواب أن نتوقع وصولَ هذا الإشباع إلى ذروته فى الليلة الأولى ، أو حتى فى الشهور القليلة الأولى للزواج .

تعلُّم استجابة كلٍّ من الزوجين للآخر :

عندما يتمُّ زواج الشاب بفتاته ، ويستقران معًا فى ألفةٍ تامَّة ، فإنّ عليهما أن يتعلّما كيف يستجيب كلٌّ منهما للآخر .

وتختلف الاستجابة الجنسية فى كل من الرجل والمرأة ؛ فالرجال يُستثارون بسرعة وسهولة أكثر من النساء . وتحتاج النساء إلى قدر أكبر من الملاطفة ، وإلى إعداد وتمهيد ، وعندما تحصل الاستجابة فغالبًا ما تستغرق وقتًا أطول . هذه الفروق طبيعية ، ويجب أن تكون متوقّعة . ومن أهم الأمور التى تواجه الزوجين الحديثين : تعلُّم ضبط توقيت استجابة كل منهما للآخر ، أو الوصول إلى تكوين علاقة مشبعة مشتركة ، وهذه عملية تتم دون صعوبة ما دام كلٌّ منهما مستعدًا لإرضاء الآخر . =

. . . . . .

= والواقع أن تعلُّمَ كلٍّ من الزوجين الاستجابةَ للآخر أمرٌ أكثر من أن يكون عملية فسيولوجية ، إنها عملية تشمل الشخصية بأكملها كما تشمل الحياة الزوجية فى الوقت نفسه . إن العلاقات الجنسية غالبًا ما تعكس مظاهر أخرى للحياة الزوجية . فإذا كان هناك نزاعٌ حول المشكلات المالية مثلاً ، فإن الزوجة أو الزوج قد يكون ممتعضًا أو مشغولاً قلقًا ، ومتمنعًا فى الفراش الزوجى . وإذا كانا قد أمضيا معًا سهرة ممتعة فى جِماعهما ، فإن أثرَها ولا شك ينعكس على سعادتهما وإشباعهما الجنسى . إن للأزمات وحالات القلق والمرض والإرهاق أثرًا يبدو فى استجابة جنسية ضعيفة .

والواقع أن العجز الجنسى - من الناحية البيولوجية - نادر الحدوث إلى حد كبير .

والواجب عند مواجهة صعوبة فى هذا الشأن البحث عن الأسباب الحقيقية التى أدت إليها ، بدلاً من نسبتها إلى عجز جنسى .

ما هى المشكلات ؟ وكيف يمكن التغلب عليها ؟

غالبًا ما تكون المشكلات الجنسية أعراضًا لمتاعب موجودة فى العلاقات الزوجية ، ومن النادر أن تفيد الأدوية والعقاقير ، أو قراءة أحد الكتب الجيدة عن الموضوع ، فى حل هذه المشكلات .

وأحيانًا يدرك الزوجان مبكرًا أن هناك استحالة فى استمرار حياتهما الزوجية . وهناك أسباب متعددة لذلك ، جسمية أو عاطفية . ومهما يكن السبب ، فإن الخطوة الأولى فى العلاج يجب أن تكون على يد طبيب ماهر . ويستطيع طبيبُ أمراض النساء المتخصص أن يكشف بسرعة عن السبب العضوى للعلة ويعالجه ، أما علاج الاتجاهات العقلية المسببة للفشل ، فإنه يحتاج إلى وقت أطول ، ولكن البدءَ المبكر فى العلاج تحت إشراف مرشد متخصص له أثره فى حل المشكلة .

وأحيانًا يجد الرجلُ نفسه عاجزًا عن إتمام العملية الجنسية على الوجه الأكمل ، وفى ذلك شعور بالمذلة بالنسبة للرجل ؛ فمن الطبيعى أن يشعر الرجال أن قوتهم الجنسية هى الدليل على رجولتهم ، وكثيرًا ما تكون أسباب الضعف الجنسى نفسيةً بحتةً ، ويمكن علاجها على يد خبير نفسى متخصص .

وقد يشكو زوجان من عدم اتفاقهما فى عدد مرات الرغبة فى الممارسة الجنسية التى يشعر كل منهما بها ؛ ففى بعض الحالات قد تشكو الزوجة من شراهة زوجها جنسيًا ، وفى حالات أقل ، نجد أن طريقة الزوج فى النشاط الجنسى ، ومدى هذا النشاط ، لا يرضيان زوجته جنسيًا . والحالات المتطرفة من النوعين تكون مشكلة خطرة تتطلب مهارة فائقة فى دراستها ، وهى فى أغلب الحالات ليست إلا نوعًا آخر من التكيفات بين الزوجين فى حياتهما الزوجية ، يمكن أن يصلا إليه بالتفاهم المشترك .

ويجد المرشدون المختصون أن بوسع الزوجين أن يصلا إلى حل مُرْضٍ لمثل هذه المشكلات ، إذا ما واجهاها معًا بروح من التعاطف والمشاركة ، وفهم كلٍّ منهما للآخَر .

والواقع أن معظم الشباب المتزوجين قادرون على تكوين علاقة جنسية مشبِعة لكلٍّ منهما ، تُضيف الكثير من السعادة والقوة إلى حياتهما الزوجية .

رابعًا : مشكلة الحموات :

قد تكون مشكلة الحموات من أسباب وقوع الخلاف بين الزوجين ونشوزهما . وكل ذلك قد يكون نتيجة العنف وسوء التدبير ، وربما كانت كلمة طيبة من الزوجة أو الزوج تطيِّب القلوب وتجعل=

. . . . . .

= من المشكلة بردًا وسلامًا ، وقد رأينا فيما سبق نصَّ رسالةٍ من زوج إلى حماته تجعل الحياةَ بينهما بردًا وسلامًا ، ونذكر فيما يلى بحثًا طريفًا فى هذا الموضوع نقلناه من المصدر السابق .

هل الحموات كوارث حقًا ؟

لا بد أن هناك أسبابًا وراء الفكرة السيئة التى فى أذهان الناس عن الحماة فى مجتمعنا .

ولا بد أن هناك جذورًا وراء انتشار تلك الفكاهات عن الحموات ، ووراء تجنب الأزواج والزوجات الاختلاط أو الاشتراك فى حياة واحدة معهن .

إن الأم فى الطبقة المتوسطة التى بلغت السنوات الوسطى من عمرها والتى أنجبت ثلاثة من الشباب ، تجد نفسها بعد زواج أولادها قد تُركت وحيدة . لقد أمضت سنوات من حياتها وهبت نفسها فيها لتربية أطفالها ، وكبُر هؤلاء الأطفال ، وغادروا المنزل واحدًا بعد الآخر ، وعادةً ما تكون اهتماماتها الأخرى - بعد الأطفال - سطحيةً وعابرة ، وغالبًا ما يكون زوجُها مشغولاً عنها بشئونه الخاصة . أما منزلها فهو كامل التأثيث والتنظيم ، وإذا لم يكن لديها أىّ عمل حقيقى يشغلها ، فإنها تستمر تحوم حول أولادها . وقد يتطور الأمر إلى حدِّ التدخل فى شئونهم ، والأزواج الأسوياء يريدون أن يعالجوا شئونهم بأنفسهم ، ويعارضون تدخل أمهاتهم فى حياتهم ، ولهذه الأسباب ظهرت أساليب دفاعية ضد الحماة الفضولية فى صورة فكاهات ونوادر مكشوفة .

وبديهى أننا جميعًا ندرك أن هذا الاتجاه العام - كأى تعميمات أخرى - له حدوده ، وقد يكون فيه تَجَنٍّ لا ينطبق على كل الحالات .

واهتمام عدد كبير من الأمهات بأبنائهن الراشدين أمر طبيعى وسليم ، وقد تكون فيه مصلحة للأسرة الصغيرة ، وهناك أمهات كثيرات فى سن الأربعين أو الخمسين أو حتى الستين ممن لديهن من الخبرة والحكمة ما يستطعن معه - إذا سُمح لهن - تقديم مساعدات كبيرة إلى الأزواج والأسر الناشئة .

والوالدان خيرُ سندٍ فى أوقات الأزمات ، فإذا احتاج الزوجان إلى ممرضة ولم يجداها ؛ حضرت الأم لتساعدهما ، ويستطيع الأبوان أن يقدما كثيرًا من الخدمات التى تحتاج إليها الأسرة الصغيرة القريبة منهما فى مناسبات مثل : فقد الزوج لعمله ، أو ميلاد طفلٍ جديد أو الانتقال إلى منزل جديد ، أو إقامة حفلة كبيرة . ولا شك أن خبرتهما وحكمتهما ومعارفهما وأصدقاءهما وبُعدَ نظرهما وفلسفتهما ومعلوماتهما عن أولادهما ، واهتمامهما بشئون المنزل الجديد ، كل هذا له فائدة قيِّمة وكبيرة للأسرة الصغيرة .

ولكن هناك خطورة فى تعلق الإنسان بوالديه ، والتصاقه بهما أكثر من اللازم ، وغالبًا ما يحدث استرجاعٌ لأنماط العادات الطفولية نتيجة لقرب الوالدَيْن من الأسرة الصغيرة واتصالهما المستمر بها . ويميل الشباب غير مكتملى النضج إلى الاعتماد على أهليهم ، وغالبًا ما يكون آباؤهم من النوع الذى يشجعهم على ذلك ، وإلا لنما الطفل ، ونضج وأصبح معتمدًا على نفسه عندما يصل إلى سن الزواج . =

. . . . . .

= إن الآباء الذين استعملوا الحكمة والفطنة فى تربية أطفالهم تربيةً استقلالية تمكنهم من البت فى أمورهم بأنفسهم ، هؤلاء الآباء لن يحتاجوا إلى اعتماد أبنائهم عليهم إشباعًا لرغباتهم. فهم يدركون جيدًا أن من واجبهم عدم التدخل فى حياة أبنائهم الزوجية ، كما أن أولادهم قد بلغوا مرحلةً من النضج تجنبهم الاعتماد أكثر من اللازم على آبائهم حتى لو كانوا يعيشون بالقرب منهم ؛ فالمسألة فى الواقع مسألة نضج عاطفى أكثر منها مسألة قُربٍ أو بُعدِ الوالدين .

إن عملية دعم الحياة الزوجية ليست لُعبة بسيطة ، إنها تتطلب اهتمام شخصين راشدين هما الأبوان ، وكلما كان الزوجان أكثر نضجًا ، أمكنهما تجنب الخطر المترتب على تدخل آبائهما ؛ لأن لديهما من المقدرة والشجاعة الكافية ما يجعلهما يعيشان حياتهما الخاصة . وكذلك فإن الآباء الذين لديهم اهتماماتهم الخاصة بعيدًا عن أولادهم ، قادرون على الاستمتاع بصداقة أسر أبنائهم دون أن يتدخلوا فى شئونهم .

حسم الخلافات :

يدرك علماء الاجتماع الذين يهتمون بالأسرة أن حدوث الخلافات الزوجية شىء متوقع . وقد وضع الدكتور تيرمان - الأستاذ بجامعة ستانفورد - وعدد من زملائه قائمة تضم ما يقرُب من ستين منغصا من المنغصات التى ينسبها الأزواج والزوجات بعضهم لبعض . ولكن ليس فى هذا ما يدعو للانزعاج والخوف . بل إن أىّ حياة زوجية لا تحدث فيها خلافات قط ، تستوجب منّا الدراسة والبحث . إننا إذا تحرينا الأمر فى مثل هذه الحياة ، فقد نجد أن أحد الزوجين لم يكن أمينًا وصادقًا فيها . إن الخلافات الزوجية شىء طبيعى ولا بد من حدوثها .

ولأن الزواج يقوم بين شخصين مختلفيْن ، فقد تمر أوقات تتسع فيها هُوّةُ الخلافات بينهما . وإذا كان الزوج والزوجة من أسرتين متشابهتين تمامًا ، فهناك ولا شك أشياء كثيرة يمكن أن يختلفا على طريقة القيام بها . والأمزجة والقيم قد تختلف ، وقد لا تتوافق العادات البسيطة ، والميول الشخصية دائمًا . وتزداد الاختلافات عمقًا ، إذا كان الزوج والزوجة قد نشأ فى بيئات متباينة تباينًا كبيرًا . ولكن ليس معنى هذا أن جميع الصراعات بينهما ، تنشأ عن اختلافات حقيقية فى أساليب المعيشة ؛ إذ قد تمر لحظات على الزوجين يشتدُّ فيها الصراع الناجم عن أسباب خارجة تمامًا عن موقف الحياة الذى أثار بينهما الخلاف أصلاً .

استدعى مدير المصلحة «وليدًا» ووبخه على خطأ لم يرتكبه فى عمله . ولم يجرؤ وليد على الاعتراض أو توضيح الموقف لرئيسه . ولكن عندما عاد إلى المنزل كان يغلى من غضب مكبوت ، ولم يلبث أن انفجر ثائرًا فى وجه زوجته لمجرد أنه لم يجد الخف القديم (الشبشب) فى المكان الذى تركه فيه . ولكن زوجته الْفَطِنة أدركت أن الأمور لم تسِر على ما يرام بالنسبة لزوجها فى ذلك اليوم . وانتظرت حتى انتهيا من تناول طعام العشاء ، واستدرجت زوجها ليتحدث عما يضايقه . وما إن تحدث إليها عن متاعبه حتى شعر بارتياح كبير . وعندما حلّ موعد النوم كانت نظرته للحادث قد تغيرت ، واستشعر فجأة حُنوًا مفرطًا نحو زوجته . =

. . . . . .

= هذا المثال البسيط يمكن أن يكون نموذجًا للأسلوب الذى يجب أن نسلكه ؛ لتوفير الاستقرار والطمأنينة فى حياتنا الزوجية عندما تنتابنا بعض المشاعر والأحاسيس السيئة ، فإذا لم تكن زوجةُ هذا الرجل حسَّاسة بالنسبة لمزاج زوجها ، لَما تقبلتْ ثورته عليها ، ولربما بكتْ أو اصطدمتْ معه . وبذلك كان يمكن أن يتطور الأمر إلى معركة حامية حقيقية .

وتبدأ معظم المشاجرات بأشياء تافهة ، وسرعان ما تفلت أعصابُ واحد من الزوجين ، وفى لحظات قد يتطور الأمر فتصلُ ثورةُ أحدهما إلى ذروتها ، وكثيرًا ما ينفعل أحد الزوجين ويثور فى وجه الآخر ؛ لأن كلًّا منهما يشعر فى صحبة الآخر بالأمن الكافى الذى يجعلهما يستخدمان الصلة بينهما كصمام أمن لضبط النفس ، وعدم التوتر ، والتنفيس عن الهموم المكدسة ، وقد لا يبدو هذا أمرًا مقبولاً لدى الشخص العاطفى المرهف الحس ، ولكن من الناحية الواقعية نراه يمثل إحدى المزايا الهامة للزواج وهى : توفير الجو الذى يطمئن فيه الشخص لأن يكون على سجيته ، وأن يُظهر نفسَه فيه على حقيقتها ، وهذه النفس ليست دائمًا شرسة محنقة ، إنها أحيانا تكون نفسًا رقيقة ومحبة جدًّا ، إن رابطة الزواج يجب أن تكون من القوة بحيث تقبل المشاعر بدرجاتها المختلفة ، دون أن تهتز بها وتترنح . وغالبًا ما يتسبب التعبُ فى إفلات الأعصاب ، وفى كثير من الأحيان يساعد انفرادُ الإنسان بنفسه بعض الوقت ، أو المشى فى الهواء الطلق ، أو النوم ، على منح الزوجين فرصة من الوقت يتمثلان فيها المشاعر والانفعالات ، ويتهيآن معًا لمعالجة مشكلاتهما وفضِّ ما بينهما من نزاع .

الأسرةُ فى مهبِّ الريحِ

نشوزُ [١] الزوجة

الآيات :

---

(١) وبمناسبة الكلام على نشوز المرأة ، لا بد من تعريف الزوج بالتبدلات الجسمية والنفسية التى ترافق الحيض عندها ، فتغيُّر بعض أخلاقها ، وتفكيرها ، مما يدعوه إلى وجوب تحمّل ذلك ؛ فلا يعاملها خلال فترة الحيض كما يعاملها فى الطُّهر ، بل ينبغى له احتمال بعض تصرفاتها إذا شذَّتْ .

ونذكر فيما يلى بعض هذه التبدلات نقلاً عن كتاب « الحجاب » للأستاذ المودودى (ص ١٨٥ - ١٨٦) بناءً على مشاهدات أساطين علماء الأحياء والتشريح :

١- تقلّ فى جسمها قوة إمساك الحرارة ؛ فيزداد خروج الحرارة منه ، وتنخفض درجتها فيه .

٢- يُبطئ النبض وينقص الدمُ ويقلُّ عدد خلاياه .

٣- تصاب الغدَدُ الصَّمَّاء واللوزتان والغدد اللمفاوية أيضا بالتغيير .

٤- ينقص الاستقلاب الهيولينى .

٥- يقلّ إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم ، وينحطّ الاستقلاب الغازى .

٦- يختل الهضم ، ويقل التحام الشحم والأجزاء الهيولينية فى المأكولات مع أجزاء الجسم .

٧- تضعف قوة التنفس ، وتصاب آلات النطق بتغيرات خاصة .

٨- يبلد الحس وتتكاسل الأعضاء .

٩- تتخلف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار .

وكل هذه التغيرات تدنى المرأة الصحيحة إلى حالة المرض ؛ إذ إنه يستحيل معه التمييز بين صحتها ومرضها ؛ ففى كل مائة من النساء الحُيَّض لا تحيض إلا ثلاث وعشرون بلا وجع وألم . .

ويكتب الطبيب إميل نودك وهو محقق كبير فى هذا الفرع من العلم :

« إن ما يُعهد فى الحُيَّض عامةً من الأعراض هى : الصداع والنصب والخلج (وجع العظام) وضعف الأعصاب ، وتخلُّف المزاج ، واضطرابات المثانة ، وسوء الهضم ، والإمساك أحيانا ، والغثيان فى بعض الحالات ، وهناك نساء لا يستهان بعددهن يحسس فى صدورهن وجعًا خفيفًا ، ويشتد أحيانًا ، فيشعرن له بضربات عنيفة . . » [ا.هـ باختصار] .

مما سبق ندرك الحكمة النبوية فى تحريم طلاق الرجل للمرأة أثناء الحيض ، فهو بدعة منكرة ، قال بعض الفقهاء بعدم وقوعه ، وقال غيرهم بحرمته ، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بوجوب رد المرأة المطلَّقة أثناء الحيض ، واعتبرَها طلقةً .

لهذا كلّه وبناء عـــليه . . آملُ من الزوج أن لا يعتبر زوجته الحائض ناشزًا وشاذة إذا لم تلائم طبع ومزاج حضرته مائة بالمائة أثناء الحيـــض ! وليحمد الله سبحانه على هذه الحال . وأذكّره بهذه =

• ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ (١) فَعِظُوهُنَّ (٢) وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٤] .

= المناسبة على سبيل الفكاهة والعبرة والدعابة أن يدرس ولو قليلاً حياة زوجات بعض الحشرات ، حتى يجد نفسه فى نعمة كبرى ، وخاصة نعمة السلامة من الموت والقتل ؛ ليقرأ إذا شاء كتاب الهلال : «زوجات مفترسات» ليحمد الله سبحانه كل يوم مائة مرة على السلامة ! فمن زوجةٍ تقضم رقبةَ عريسها وتقطعها فى أحلى ساعات العمر ! وغيرها تبقر بطنَ رَجُلِها وتأكل أحشاءه بعد أن يؤدى معها واجباته الزوجية !! وأخرى توثق رباط زوجها حتى لا يهرب منها بعد وصلة الجنس ! فيكون لها بمثابة وليمة دسمة ، ورابعة تنزع الأعضاء الجنسية لزوجها وتحتفظ بها فى داخلها لتصبح جزءًا من تكوينها وأعضائها ، وبهذا تصير الزوجة أنثى فى الظاهر ، وفى الباطن تحمل أعضاء الذكر وأعضاء الأنثى لتبقى خصبةً طوالَ حياتها فلا تحتاج إلى ذَكرٍ آخر بعد ذلك أبدًا !! وخامسة تعذِّب خاطب ودِّها وتضعه تحت اختبار عويص ، وصورٍ أخرى غريبة قد تكون أغرب من خيالنا نحن البشر .

كل ذلك لحكمة إلهية ؛ كى لا تضيق الدنيا بهذه الحشرات .

(١) يجب أن يكون الزوج بصيرًا بعادات النساء ، صبورًا على مساوئهن ، غير مسترسل فى اتباع أهوائهن ، حريصًا على مسامحتهن بعد ذلك وإصلاحهن ، والوفاء بحقهن والتغاضى عن زلاتهن . . وإذا فعلت ذنبًا وسامحَها ، فلا يعود ليُذَكِّرها بفضله عليها ويجب عدم التفكير فى الطلاق أبدًا كعلاج . . وهو لم يعالج أى شىء ولم يبذل أى جهد . . ولم يتذرع بأى حكمة - ولم يتعوّد أى صبر . . فيكون هذّامًا دون علم - وهو يظن أنه ينجو بنفسه . . ويلتمس لضعفه أعذارًا . . . بينما لو صبر . . وعالج . . وعلم . . لفاز بالخير بدلاً من أن يكون أبًا ملعونا ؛ لأن الذى يطلق امرأته - يقصد الكاتب بسرعة وعدم روية - إنما يضيف إلى مجموع الأمة - عوامل جديدة من الفساد - أقلها ضياع الأولاد . . ولا ينجو من عقاب ذلك فى الدنيا والآخرة [الحياة الزوجية للبوهى] .

(٢) تشير هذه الآية إلى ترتيب تأديب المرأة إذا هى عصت زوجَها ، فيعمد الزوج أوّلاً إلى وعظها ونصحها وتذكيرها بأوامر الله تعالى وما بشر به المطيعات من الثواب ، وما أعدَّه للناشزات من العقوبة فى نار جهنم ، فإذا لم تصلُح الموعظة عمدَ الزوجُ إلى هجرها فى المضاجع بترك الجماع بشرط أن لا يترك الفراش الواحد المشترك ؛ فينام على طرف آخر ليثبت للزوجة الناشز - إذا كان ذا إرادة - أنه لا يعبأ بسلاح جمالها إذا كانت غير مطيعة ، فتتراجع عن سلوكها وتنزل عن كبريائها ، وإذا لم ينفع ذلك لجأ مضطرًا حرصًا على سلامة الأسرة إلى شىء من الضرب ، والحديثُ يوضح طريقةَ هذا الضرب ، ولا يجوز للزوج تطبيق هذه العقوبات معًا ، بل لا بد من التدرُّج بها .

قال الإمام ابن كثير : « وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ تهديد للرجال إذا بغَوْا على النساء من غير سبب » .

وقد يعترض بعضهم على نظام الضرب ، ولكن إذا جرَّبَ عرفَ ضرورته فى حالات نادرة فى التربية ؛ كالشذوذ ، وعدم الطاعة ، وقد عاد علماء التربية فى الضرب طالبين الرجوع إلى سياسة العقوبة البدنية فى حالات شذوذ الطلبة ، وتظهر عظمة الإسلام واضحة فى هذه المعالجة والتأديب ، =

الأحاديث :

* « ألا واستوصوا بالنساء خيرًا ؛ فإنما هُنَّ عوانٌ (أسيرات) عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة [١] مبيِّنة ، فإن فعلنَ فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربًا غير مُبَرِّح [٢] ، فإنْ أطعنكُمْ فلا تبغُوا عليهِنَّ سَبيلا » (ت) وحسَّنه .

* « لا يجلِدُ أحدكُم امرأتَه جَلْدَ العبد ، ثم يجامعها فى آخِر [٣] اليوم » !!

وفى رواية : « يعمِدُ أحدُكم فيجلدُ امرأتَه جَلْدَ العبد ، فلعله يضاجعها فى آخر يومه ! » ثم وعظهم فى ضحكهم مِن الضَّرْطة [٤] ، فقال : « لِمَ يضحكُ أحدُكُم مما يفعل ؟! » . (خ . م) .

= فقد راعى نفسيات النساء حسب أرقى نظريات التربية الحديثة ، فجعل العقوبة تختلف باختلاف هذه النفسيات ، كما تظهر عظمته وسحره فى عقوبة الهجر ، وتكون بالنوم معًا فى فراش واحد ، وجعلها خلفه وعدم قربها ؛ ليثبت لها قوة شخصيته ، وضعف ما لديها من إغراء ، مما يضطرها فى النهاية إلى الخضوع والاتصاف بالأدب ، وعدم النشوز اعتمادًا على ما لديها من سحر .

ونذكر على سبيل التندّر والفكاهة ، أنه كما جاء فى كتاب «بدع التفاسير» لعبد الله الغمّارى أنه قيل فى معنى ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ ﴾ أكرهوهن على الجماع واربطوهن بالهجار - أى بالحبل - مِن هجرَ البعيرَ إذا ربطه بالهجار ، قال الزمخشرى : « وهذا من تفسير الثقلاء !! » وصدق فيما قال ؛ فإنها إذا كانت ناشزًا عاصية لزوجها ، فكيف يليق به أن يُكرهها على الجماع ويربطها لأجله إلا إذا كان سمجًا ثقيلاً !! ولا أقول حيوانًا ؛ فإن الحيوان لا يقرب الأنثى إلا بعد كثير من الملاطفة والمداعبة .

(١) المقصود بالفاحشة هنا بعض الذنوب القبيحة ، وليس الزنى .

(٢) غير مُبرِّح : يعنى غير مُؤثِّر .

(٣) ربما يخطر ببال بعضهم أن ثَمة تناقضًا بين الآثار السابقة ؛ فبعضها يبيح الضرب ، وبعضها يَكرَهُه ، والحق أنه ليس هناك تناقض ، فالتناقض والاختلاف ليس من الإسلام ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

إن الإسلام - هذا الدين الواعى - إذا أباح للرجل ضرب زوجته ، فذلك فى بعض الأحوال النادرة ، على أن يكون ضربًا غير مُبَرِّح ، أى ضربًا خفيفًا كأنه رمزى ، حينما لا ينفع معها دواء غيره مِن وعظٍ ونصح وهجر .

وقديمًا قال المثل العربى : « آخِرُ الدواء الكَىُّ » وكذلك آخِرُ وسائل العقاب - لا أوَّلُها - الضرب سواء للمرأة أو للولد .

وفى الحديث الأخير ذمٌّ للرجال الذين يسارعون إلى استخدام الضرب لأول وهلة ولأتفه سبب ، ثم يتخاضعون للزوجة ويستعطفونها . . !

(٤) ربما يستغرب بعضهم هذا الموضوع ، ولكن استغرابه يزول إذا تذكر وعلم كراهية العرب لذلك إلى حد المبالغة ، حتى إذا فعلها المرءُ رغمًا عنه . فنهى الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك إنقاذًا للموقف . . =

نُشوزُ [١] الزوج !!

الآيات :

= وقد حكى أن أحد الأعراب فعل مثل هذا الشيء أمام جماعة من قبيلته ، فأهانوه وسخِروا منه ، وأصبح حديثَ الناس ، فاضطر أخيرًا إلى الفرار من قريته سنين عديدة - على ما يقال - ثم رجعَ أخيرًا علمًا منه أنهم نسوْا فعلتَه - وكان متخفيا - فصادف جماعةً يسمرون ، فكان مما قاله أحدهم : إن الحادث الفلانى وقع يوم .. فلان ، فكان فلان .. ففزع المسكين ، وهجر قريته إلى الأبد ...

(١) تحدثنا فيما سبق عن نشوز الزوجة ، وأوضحنا الحلول الإسلامية له ؛ مِن وعظٍ ، ثم هجر ، ثم عقوبة بدنية رمزية خفيفة له ؛ كضربها بالمخدة فوق السرير مثلاً مما يشبه المداعبة التى قد تنتهى إلى الصلح ، والآن نتحدث عن نشوز الزوج نفسه ، فماذا ينبغى للزوجة عمله ؟ وما هى الحلول الإسلامية له ؟

إذا كان النشوز من جانب الرجل ، فلتستجمع المرأة كلَّ حيَلها وذكائها ، ولتدرس أسباب نفوره فى تلطُّف وكياسة ، ولتعالج كلَّ سببٍ بما يصلحه ، ولا بأسَ أن تتقبل ما يكلِّفها ذلك مِن ألم نفسانى أو جهد مالىّ أو نحوه بسماحة نفسٍ وطيبِ خاطر ، فهى إنما تسعى لأسمى واجب تعتز به المرأة بعد عبادة الله عز وجل .

ولسنا بصدد استقصاء حالات مثل هذه الأزمة وما يكون فى كل حالة من أسباب النفور ، فإن ذلك لا يحل مشكلة .. إنما يحل المشكلة ما لدى المرأة من براعة المدخل . وحُسنِ التأنى فى علاج الأمور ، ودقة الحساسية ، واستكناه ما لا تراه العيون ، وقلّما تخطئ المرأة فى الفراسة والدراسة ، وقلما تخطئ فى إصابة التوفيق والنجاح .

وقد يقول قائل : إذا كان الإسلام وضع نظامًا لإصلاح معالجة نشوز الزوجة ، فهل وضع علاجًا لنشوز الزوج ؟

ومما يُساق فى هذا المقام - جوابًا عن السؤال السابق - أن سودة بنت زمعة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحست إعراضه عنها ، واتجاهه إلى طلاقها ، فلم تسأله ما يُقبضك منى ؟ وسرعان ما كشفت بحاستها النسوية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجد عليها فى دينها ، ولا خلقها ، ولا معاملتها شيئًا يكرهه ، لكنه لا ينشط إليها ، كما ينشط لسائر نسائه لِكِبَرِ سنِّها ، وما صارت إليه من شيخوخة ، وأنه يريد أن يسرِّحها ؛ حتى لا يلقَى اللهَ وقد ظلمها حقها من دون نسائه ، فما هى إلا أن سعت إلى لقائه ، وأنهتْ إليه أنها قد كبُرت ، ولم يَعُدْ إليها بالرجال حاجة ! وإنها تجعل ليلتها وحظّها منه لعائشة حبيبته ، ولا أرب لها إلا أن تُبعث يوم القيامة فى جملة نسائه صلى الله عليه وآله وسلم . فقبِل ﷺ منها ذلك ، وأثنى الله على صنيعها الذى صالحت به زوجها ، وأنزل فيها قولَه سبحانه : ﴿ وإن امرأةٌ ... ﴾ [من كتاب المرأة بين البيت والمجتمع] وقد نقل صاحبُ هذا الكتاب الخبر بتصرف عن أبى داود والترمذى والبيهقى وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . =

• ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٨] .

التحكيمُ

الآيات :

• ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا [١] مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٥] .

ما يقولهُ الزوجان إذا دُعِيَ كُلٌّ منهما إلى حكم الله

١- سمعنا وأطعنا [٢] .

٢ - سمْعًا وطاعة [٣] .

= ويمكن للمرأة فى بعض حالات نشوز الزوج أن ترضيه بإعادة شىء من المهر إليه ، أو تُسقط عنه بعضَ أو كلَّ نفقتها ، أو كسوتها ، أو غير ذلك من حقوقها عليه .

وخُتمت الآية بأن الصلحَ على قَبول أحد الحلول السالفة خيرٌ من الفراق ، ولتحذر الزوجة من الشح والبخل الذى يضيِّع عليها زوجها !

(١) ذكرنا فيما سبق آية نشوز الزوجة ، ثم آية نشوز الزوج ، والآن نذكر آية التحكيم ، وذلك فيما إذا تعذر التفاهم بين الزوجين بعد استخدام الوسائل الوقائية والزجرية التى أمرَ بها الإسلام ؛ هذا الدين الواعى .

ويكون التحكيم باختيار كلٍّ من الزوجين المختلفين حَكَمًا صالحًا ، فيجتمع هذان الحكمان فينظران فى أمر الخلاف ، ويسعيان للمصالحة بينهما ، فإذا تيسر ذلك فبها ونَعِمَت ، وإلا تم التفريق بينهما ، فإذا كان الذنب على الزوج : حُكم عليه بدفع كامل المهر إذا لم يكن دفعه مع النفقة .

وإذا كان الذنبُ على الزوجة وطلبت التفريقَ : حُكِمَ عليها بإعادة كامل المهر للزوج ؛ لحديثٍ صحيح مرَّ سابقًا خُلاصته أن امرأة طلبت التفريق ، فأمرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن تعيد لزوجهَا حديقته ، وكانت أخذتها منه مهرًا .

ولا شك أن هذا التحكيم لا يجرى إلا بعد فشل مساعى الزوج مِن وعظٍ وهجر وتأديب ، وسعى الزوج كما سبق ، ويكون بإشراف القاضى .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٥١] .

(٣) يجب أن يسارع الزوج أو الزوجة إلى قول ذلك ولو كان ذلك شاقًّا تكرهه النفس ومثله إذا قالت الزوجة لزوجها : «اتق الله» أو «خف ربك» أو «راقبِ الله» جاء فى تفسير النهر المادّ لأبى حيان : «وقف يهودى للخليفة هارون الرشيد فقال : =

. . . . . .

= اتَّقِ الله يا أمير المؤمنين !

فنزل عن دابته وخرَّ ساجدًا لله وقضَى حاجتَه ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال : ذكرت قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [البقرة : ٢٠٦] .

وإننى ألفت نظر الزوجين بهذه المناسبة إلى أن قبولَ حُكْم الله تعالى فى خلافهما ، هو الحلُّ الوحيد لتوطيد حياتهما الزوجية وبقائها ، وهو فى صالحهما جميعًا ، وصالح أولادهما أيضًا ، علاوةً على أن هذا الحل يسارع فى إنهاء المشكلات دون مجادلة ، فيعترف المذنبُ بذنبه أو قصوره ويسارعُ لإصلاح نفسه حسب أوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا حسب الأهواء والعواطف والمصالح الشخصية ، قال سبحانه : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

وبمناسبة الكلام على النشوز ، فإنى أستصرخ ضميرَ الزوجين أن يراقبا الله تعالى فى أولادهما ويتنازل كل منهما عن أنانيته ، وليُضَحِّ ببعض مصالحه فى سبيل هؤلاء الأولاد الأبرياء الذين يتعرَّضون من جراء هذا النشوز إلى أعظم الهزات الخلقية والعقلية والمصيرية ؛ لما قد ينتج عن هذا النشوز من نزاع وخصام وافتراق .

وقد كنا ذكرنا مبلغ فرح الشيطان بتقويض دعائم الأسرة - أكثر من جميع الجرائم التى يرتكبها الإنسان - لأن فى هذا التقويض تهديمًا لمستقبل الأولاد ولمستقبل الأمة بأسرها إلا مَن رحِمَ ربى .

وأخيرًا ليكن شعارُ كلٍّ من الزوجين قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يَفْرِكُ (يَكره) مؤمنٌ مؤمنةً ؛ إن كرِهَ منها خُلُقًا رَضِىَ منها آخر » رواه مسلم.

وما أحسن ما قاله مصطفى صادق الرافعى رحمه الله تعالى :

« . . . الإسلام يضع الأمة ممثلة فى النسل بين كل رجل وامرأته ، ويوجب هذا المعنى إيجابًا ، ليكن فى الرجل وامرأته شىءٌ غير الذكورة والأنوثة يجمعهما ويقيِّد أحدَهما بالآخر ويضع فى بهيمتهما - التى من طبيعتها أن تتفق وتختلف - إنسانيةً مِن طبيعتها أن تتفق ولا تختلف .

ومتى كان الدينُ بين كل زوج وزوجته ، فمهما اختلفا وتدابرا وتعقدت نفساهما ، فإن كل عقدة لا تجىء إلا ومعها طريقة حلِّها .

« ولن يشادَّ الدينَ أحد إلا غلبه » ، وهو اليسر والمساهلة والرحمة والمغفرة ، ولين القلب وخشية الله ، وهو العهد والوفاء ، والكرم والمؤاخاة والإنسانية ، وهو اتساع الذات وارتفاعها فوق كل ما تكون به منحطةً أو ضيقةً ؛ فحقُّ الرجل المسلم على امرأته المسلمة هو حقٌّ مِن الله ، ثم مِن الأمَّة ، ثم مِن الرجل نفسه ، ثم مِن لُطْفِ المرأة وكرمها » . [ا.هـ باختصار : وحى القلم ١/١٦٦] .

ومن طريف ما يروى أن أحد العلماء الصالحين - وكان أعمى - دعا أحدَ أقاربه ليصلح بينه وبين زوجته ، فقال : يا أم فلان إن زوجك فى ورعه وزهده ، لَيُشبِعه ما يُشبع الهدهد ، ويرويه ما يروى العصفور ، ولئن كان متهدمًا ، فإنه جبلُ علمٍ ، ولا تنظرى إلى عمش عينيه ، وحموشة ساقيه ، فإنه إمامٌ ، وله قدْر . . =

. . . . . .

* * *

= فصاح الرجل : قُمْ أخزاك الله ! ما أردتَ إلا أن تُعَرِّفها عيوبى !!

قال القريب : ولكنى لم أقم ، ولكن قامت زوجةُ العالم فقبَّلتْ يده . . !

فما أسمى خُلُق هذه المرأة !

وقد رأيتُ أنَّ خير ما يَحْسُن أن نختم به مبحثَ النشوز والتحكيم بين الزوجين : أحاديث نبوية عن التأنّى فى الأمور والرفق بالمعاملة وحسن الخلق ، من تدبَّرها وَعَمِلَ بها ، استطاع أن يحل أعظم ما يصادفه من مشكلات بكل سهولة وتطييب للقلوب ويحوِّل الاختلاف والنزاع صلحًا وسلامًا ومودة .

* قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ فيكَ لخَصلتين يحبهما الله : الحِلم والأناة » رواه مسلم .

* « إن الله تعالى رفيقٌ يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يُعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه » رواه مسلم .

* وفى رواية له ، قال لعائشة : « عليكِ بالرفق ، وإياكِ والعنف والفحش ؛ إن الرفق لا يكون فى شىءٍ إلا زانَه ، ولم يُنزع مِن شىءٍ إلا شانَه » .

* « اتقِ اللهَ حيثما كنت ، وَأتْبِع السيئةَ الحسنةَ تمحُها ، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسن » .

رواه أحمد وغيره وسنده صحيح .

* « مَن يُحرَم الرفقَ يُحرَم الخيرَ كلَّه » .

لِكلِّ سؤالٍ جنسيٍّ جوابٌ

أنتَ تسأل عن الجنسِ ونحنُ نجيبُ [١]

ما أكثرَ الأسئلة الزوجية التى تخطِر على بال كل إنسان . . . فلا بد وأن يعترضك كلّ يوم سؤال ، تَحار فى العثور على جوابه بسرعة ؛ إذ لا بد لك من الرجوع إلى الكتب العويصة المعقدة التى لا تمدُّك بجواب سؤالك إلا إذا قرأتها كلها ، أو الجانب الأكبر منها على الأقل .

وقد تكون متحرقًا إلى الجواب بصورة تجعلك تضيق بالانتظار . . . وقد يكون الكتابُ المنشود غيرَ موجود لديك ، أو هو باهظ الثمن مرتفع التكاليف . .

وقد يؤدى ذلك كله إلى شعورك بالقلق والحيرة اللذين قد لا يكون لهما مبرر لو كنتَ تعرف الجواب السهل المباشر . وقد تكون حيرتُك نتيجة إهمالك لعارضٍ هام بدا لعينيك بسيطًا يسيرًا . . .

كل هذا بسبب عدم تمكنك من العثور على جواب لسؤالك ! .

من أجل ذلك كله . .

مِن أجل تخليصك من الحيرة والقلق . .

مِن أجل تقديم الجواب السهل إليك فى لحظات . .

لا تقلق ولا تحمل هَمّا دون مبرر . .

اطرح السؤال الذى يخطر ببالك وستجد الجواب - فى أغلب الأحيان - طوع بنانك ورهْن إشارتك . . دون لفٍّ ولا دوران . . دون تطويل ولا إملال . . دون خداع ولا تضليل [٢] .

* سؤال : كيف يمكن أن يحدث التوافق الجنسى بين الزوجين ؟

جواب : ممّا يؤسف له أن هناك بعض الأزواج يكتفون بتحقيق لذتهم الجنسية فقط ، ولا ينتظرون حتى يتم لزوجاتهم مثل ما تمَّ لهم ، ومن البديهى أن يكون هذا داعيًا إلى سخط الزوجة على الفعل الجنسى وعلى أنانية زوجها ؛ لأن الزوجة تحب أن يكون لها من اللذة ما لِزوجها سواءً بسواء . ومن المعروف أن القذف يحدث غالبًا من الرجل أولاً أكثر من المرأة ، ولهذا وجب على الزوج أن يبذل جهده فى سبيل تأخير قذفه ، وقد قيل : إن الحياة الزوجية الموفقة تقوم على التوافق فى فترة القذف بين الزوجين معًا . . . وبما أن الزوج هو العامل الموجَب فى الفعل الجنسى فإن عليه أن يتحكم فى الجماع وفى نفسه حتى يحصل كلا الطرفين على بغيته من هذا الجماع ؛ فاللذة المتبادلة هى خير للطرفين دائمًا . . .

* سؤال : ما هى العقاقير التى يمكن أن تقوّى الأعضاء التناسلية ؟

جواب : يمكن القول : إن الطرق غير الطبيعية لتقوية الأعضاء التناسلية ؛ أى استعمال العقاقير والمقويات ، ذات فائدة مؤقتة ؛ إذ تقوى عقب استعمالها فقط ، ثم لا يلبث المرءُ أن يشعر بردِّ فعلٍ لهذا الاستعمال ؛ إذ تنقص قوته الجنسية بالتدريج حتى يغدو ضعيفًا من الناحية الجنسية ، ونحن لا ننصح الشباب باستخدام الوسائل الطبية (العقاقير) لحيازة القوة الجنسية بصورة مؤقتة لا تلبث أن تضمحل وتمحى .

وعلى من يريد تقوية قواه الجنسية أن يتَّبع القواعد الطبيعية ؛ كالرياضة والراحة والتغذية والابتعاد عن الهموم والقلق وغيرها ؛ فإن الراحة النفسية من أعظم العوامل فى تنشيط القوة الجنسية وما إليها ؛

---

(١) نقلنا هذا البحث من مختلف الكتب والمجلات العلمية العديدة .

(٢) من مقدمة لأحد الكتب الجنسية .

لأن أى خطأ فى استعمال المقوِّيات الاصطناعية قد يعود على صحة متعاطيها بأفدح الأضرار التى لا تتناول الأعضاء التناسلية فقط ، بل تتعداها إلى الصحة العامة للإنسان .

*** سؤال : يلاحظ البعضُ نزولَ سائل منوى منهم عقب التبول ، فما هو سبب ذلك ؟ وهل يؤثر على صحة الإنسان ؟ وما هو علاجه ؟**

جواب : إذا كان السائل المنوى النازل قليلاً فلا ضرر منه ، ويعود السبب فيه إلى اتساع الشرم نتيجة القبض ، مما يدفع بمحتويات الحويصل المنوى المكتنزة نتيجة لعدم تصريفها فتخرج مع البول .

أما إذا استمر ذلك مدة طويلة أو كان خروج النطف بغزارة : فإن الحالة إذ ذاك تتخذ شكلاً مَرَضيًا ؛ إذ تكون دليلاً على ضعفٍ عصبى فى المعصرات ، أو على التهاب فى البروستات ، ويتوجب علاجُها باستعمال الفيتامين (ب) والأوكوتين ؛ لأن استمرار خروج النطف يؤثر فى الصحة العامة .

ويجب على الشاب دومًا أن يبتعد عن المثيرات والمهيجات التى تتخلل الحياة اليومية ؛ كالملاهى التى تعرض مناظر خليعة ، أو المداعبات الجنسية الجريئة ، أو قراءة القصص والكتب المثيرة .

كما يتوجب محاربة كثرة التعرض للإمساك وأخذ الملينات التى تساعد على إفراغ الأمعاء ، وعدم ترك المجال للمواد البرازية لتتراكم فى المستقيم ، ويستحسن استعمال المواد التى أشرنا باستعمالها آنفًا بإشراف الطبيب .

*** سؤال : ما هو السائل المنوى ؟**

جواب : تتراوح كمية السائل المنوى التى يقذفها الرجل فى المرة الواحدة بين خمسة سنتيمترات مكعبة وعشرة ، ويحتوى السنتيمتر المكعب الواحد منها على ما يقرب من ستين مليون حيوان منوى ، وإذا ما فحصنا السائل المنوى الطبيعى تحت المجهر ، وجدنا فيه أعدادًا تفوق الحصر من الحيوانات المنوية النشطة القوية المشتملة على مادة السبرمن ، وقد أثبت الدكتور فون بوهل من جامعة لينغراد أنه إذا حقنت مادة السبرمن فى الجسم البشرى فإنه يفيده ، وهذا يفسر لنا ذلك الأثر المقوى للاتصال الجنسى عند النساء ؛ إذ لا شك أن جزءًا من السائل المنوى تمتصه أنسجة أعضاء التناسل فى المرأة .

*** سؤال : ما هى أسباب ضعف الحيوانات المنوية ؟**

جواب : أهم أسباب ضعف الحيوانات المنوية هى :

١ - الضعف العام الذى يصيب الجسم .
٢ - السيلان الحاد الذى يؤثر على الخصيتين .
٣ - السيلان المزمن .
٤ - الزهرى .
٥ - السل .
٦ - الإفراط فى الممارسة الجنسية .
٧ - العادة السرية .
٨ - بعض أنواع الضيق التى تصيب القنوات المنوية .
٩ - زيادة الحموضة أو القلوية فى مهبل المرأة .

*** سؤال : ما هى العلاقة بين الثديين والجهاز التناسلى للمرأة ؟**

جواب : إن العلاقة بين الاثنين جَدُّ وثيقة ؛ حتى أن كل ما يؤثر فى أحدهما يؤثر فى الآخر . . إن قراءة الروايات والقصص المثيرة ومشاهدة الأفلام ذات الصفة نفسها من شأنها أن تؤثر فى الجهاز

التناسلى للمرأة تأثيرًا سيئًا يتناول النهدين أيضًا . . فمن واجب كل فتاة - إذًا - أن تحرص على صحة نهديها بالابتعاد عن ارتداء الملابس الضيقة وعن كل ما يسىء إلى جهازها التناسلى ، وكذلك الجهاز العصبى . . هذا ، وإهمال العناية بالنهدين له تأثير ضار عليهما وعلى الجمال المفروضِ توفُّره فيهما . ومداعبة الرجل ثدى زوجته ومص حلمتها له تأثير عظيم لإثارة المرأة .

*** سؤال : ما هى كلمة الطب فى موضوع الضعف الجنسى ؟ وهل يمكن للأدوية أن تشفى المرء منه ؟**

جواب : لا شك أن للأدوية أثرًا فعالاً فى معالجة الضعف الجنسى ؛ فهناك أدوية يمكن استخدامها فى هذا الصدد إلا أن بعض الأدوية لا يجوز استعمالها إلا فى الحالات المرضية الفعلية ، وتناولُها وتعاطيها يجب أن يتم عن طريق الطبيب وبإرشاده وعنايته .

*** سؤال : ما هى أسباب الضعف الجنسى ؟**

جواب : يعود الضعف الجنسى إلى كثير من الأسباب أهمها إساءة استعمال الجهاز التناسلى بالجماع فى سن مبكرة ، أو الإفراط فى الاتصال الجنسى ، أو ممارسة العادة السرية ، أو انحطاط الصحة العامة ، والإنهاك الجسمانى والعقلى ، وبعض الأمراض ، وقد يعود كذلك إلى أسباب نفسية . .

ومن البديهى أن يؤدى الضعف الجنسى - بغضِّ النظر عن أسبابه - إلى إضعاف الجهاز التناسلى أو عدم اكتمال قوته ؛ ولذا نرى من بين أسباب الضعف الجنسى الإجهاد فى العمل وقلة النوم ، وبعبارة أخرى ، إن كل ما يُضعف الجهاز العصبى يُعتبر من أسباب الضعف الجنسى .

وأمراض السلسلة الفقرية ذات تأثير مباشر سىء على الجهاز التناسلى ، بل إنها قد تؤدى إلى مشكلة كلية ، وللأمراض التناسلية - كالزُّهرى والسيلان - أثرُهما فى الضعف الجنسى .

واضطراباتُ الجهاز الهضمى على اختلاف أنواعها تسبِّب الضعف الجنسى أيضًا ، وخلافًا لما هو سائد فى الأوساط العامة ، فإن المخدرات على أنواعها كالحشيش والكوكايين والأفيون تعود على الجهاز التناسلى بالضعف ؛ إذ إن القوة الجنسية التى يشعر بها المرء فى أول عهد تعاطيه إيّاها ، ليست إلا قوة عارضة لا تلبث أن تنقلب إلى ضعف يتطلب العلاج . وقد ثبت أن للتدخين أثرًا فى الضعف الجنسى ، وهذا القول ينطبق على الخمور بصورة عامة .

ومن أسباب الضعف الجنسى ما يعمد إليه بعض الأزواج مِن الإنزال فى الخارج رغبةً فى عدم الحمل ، وقد ثبتت هذه المسألة بمراقبة مئات الحالات المماثلة التى عُرضت على الأطباء .

ومن المعروف أن العادة السرية المفرطة سبب رئيس من أسباب الضعف الجنسى ، وكذلك السيلان المنوى المفرط .

*** سؤال : يقول الأطباء إن الخوف سبب من أسباب الضعف الجنسى ، فما هو المقصود من هذا القول ؟ وما معناه ؟**

جواب : إن للخوف أثره الذى لا ينكر فى الضعف الجنسى ، وقد يتخذ مظاهر متعددة وأشكالاً متباينة ؛ فقد يكون خوفًا من الإصابة بمرض خبيث فى حالة الرجل الذى يتصل بامرأة مشبوهة ، أو قد يكون الخوف من أن ينكشف أمرُه إذا كان فى حالة اتصال غير مشروع ، أو الخوف من أن تحمل المرأة إذا كان لديه من الأسباب ما يجعله يود ألاَّ تحمل ، أو قد يكون الخوف من الإضرار بالمرأة وإيلامها إذا كان الرجل من الخياليين الذين يخشون إيلام المرأة (الرقيقة) !!

وقد يكون الخوف خوفًا من الفشل فى العملية الجنسية ؛ وهذا يعود إلى شعور الإنسان بالنقص لأى سبب من الأسباب ، لضعفٍ فى تكوين جهازه التناسلى أو ضعف فى قدرته الجنسية نفسها ،

ومن الجدير بالانتباه أن النوع الأخير من أنواع الخوف إذا لم يوقف عند حَدِّه ، يصبح حقيقةً واقعةً . وأكبرُ أسباب الشعور بالخوف ما يتصلُ منها بحجم الأعضاء التناسلية ، وغالبًا ما يكون سبب الشعور وهميًا لا أساس له ولا خطر ، وهذا يعود إلى جهل الشخص بطبيعة أثر الجهاز التناسلى وفسيولوجيته والمعلومات الأخرى المتعلقة بهذا الصدد . . .

* سؤال : ما هو أثر المهنة أو الحالة النفسية فى الإصابة بالضعف الجنسى ؟

جواب : من الثابت أن للمهنة التى يمتهنها الإنسان ، وكذلك الحالة النفسية التى يكون عليها أثرٌ فى ممارسة العملية الجنسية ، من الثابت أن لهاتين الناحيتين أثرهما الذى لا ينكر فى الإصابة بالضعف الجنسى .

فالملاحظ أن المهن ذات الطبيعة الراكدة والتى تحتاج إلى السكون وقلة الحركة ساعات طويلة تَضُر القوى الجنسية ضررًا بالغًا ، وبعض المهن التى تحتاج إلى تداول المعادن أو المركبات السامة تقود إلى الضعف الجنسى بسبب تأثيرها على المجموعة العصبية .

أما عن الحالة النفسية : فإن الضعف يكون - فى الغالب - طارئًا أو مؤقتًا لا يلبث أن يزول بزوال الأسباب المؤدية إلى ذلك الضعف .

ولا تقتصر آثار الحالة النفسية - من حيث الضعف الجنسى - على الضعفاء أو ذوى العِلل ؛ وإنما تشمل حتى الأصحاء ، وهى لا تستلزم كثيرًا من الاهتمام ؛ لأنها تزول من تلقاء نفسها فى أكثر الأحيان .

ويكاد كلُّ رجل صحيح البنية يصاب بضعف مؤقت لأسباب نفسية طارئة فى وقت من الأوقات ؛ فالهَمُّ والانزعاج بسبب متاعب العمل أو المال أو غير ذلك ، يمكن أن تفقد الرجل قدرته التناسلية لفترة ما ، كذلك إذا واجهت الرجل فى حياته مشكلة صعبة الحل شغلتْ عقله ؛ فإنَّ قدرته التناسلية تضعف أيضًا ؛ لأن العقل يُشغل بهذه المشكلة إلى حد يهمل معها كل ما عداها ، بل إن المرء - فى الغالب - يهمل طعامه ولا يعود يشعر بالرغبة فيه ولا الحاجة إليه ، وإذا كان بعض الناس لم يجرِّبوا مطلقًا هذه الحالات الطارئة من الضعف الجنسى ، فليس معنى هذا أنهم أقدر من الناحية الجنسية أو أكثر قوة مِن سواهم ممن جرَّبوا هذه الحالات ، بل لعله يرجع إلى أنهم لم يعانوا أزمات نفسية شديدة فى حياتهم ، أو لعلهم من ذلك الصنف الذى لا يهتم بمشاكل الحياة ومصاعبها .

* سؤال : يشكو البعض أنهم رغم شدة تهيجهم يصابون فجأة بالضعف الجنسى ويخفقون فى ممارسة العملية الجنسية ، فلماذا ؟

جواب : هذه الحالة شائعة جدًا ، ومَرَدُّها إلى التهيج والشغف الذى يبلغ مداه وأقصى حدوده بعد طول الرفض والتمنُّع أو طول الترقُّب والانتظار ؛ فإن شدة التهيج هذه هى فى حدِّ ذاتها سبب مباشر من أسباب الضعف الجنسى . ويدخل فى هذا المجال أيضًا طول المداعبة التى تسبق العملية الجنسية ، فإنها قد تؤدى بدورها إلى الإصابة بالضعف الجنسى ؛ فالاعتدال فى المداعبة ، والبعد عن الإجهاد لا بد منهما لنجاح العملية الجنسية .

* سؤال : نسمع كثيرًا عن عبارة «الرياضة الجنسية» التى تفيد فى علاج الضعف الجنسى دون أن نأخذ فكرة عن ماهيتها . . فما هى هذه الرياضة ؟ وكيف تتم ؟

جواب : تفيد الرياضة الجنسية فى علاج الضعف الجنسى وفى تقوية أمد الانتصاب إلى مدة أطول ، وتتم هذه العملية ، بأن يأتى المرء بخرقة ووعاء ماء مثلج فيمسح العضو التناسلى بالخرقة المبللة عدة مرات قبل أن يعمد إلى ممارسة العملية الجنسية ، فإذا ما كرر هذه الرياضة عدَّة مرات زال الضعف واستعاد الرجل قوته الجنسية كاملة .

* سؤال : هل للإيحاء أثر فى الضعف الجنسى ؟

جواب : نعم ؛ فإن الإنسان إذا أوحى لنفسه أو أوحى له أصحابه وأقاربه ، بأنه ضعيف جنسيًا ، فإنه يصاب فعلاً بهذا الضعف ، إذا كان ضعيف الشخصية والإرادة .

وبالعكس ، إذا أوحى لنفسه بأنه قوى جنسيًا ، وأنه قادر على القيام بالعملية الجنسية وكرَّر ذلك فى نفسه ، ولم يلتفت إلى إيحاء غيره ، وخاصة ليلة الزفاف أو بعدها إذا لم يستطع الدخول .

فالإيحاء والثقة بالنفس سبب عظيم من أسباب القدرة والنجاح ، ليس فى الزواج فحسب ، بل فى الحياة كلها ، وقد جاء فى الحديث الصحيح « إنما العلمُ بالتعلُّم ، والحلم بالتحلُّم ، ومن يبتَغِ الخيرَ يَلْقَه ، ومَن يتَّقِ الشرَّ يُوقَه !! » .

هذا ، ولا ينبغى أن نغفل عن الدعاء على الدوام ، وسؤال الله تعالى القوة والعفو والعافية .

* سؤال : يشكو البعض سرعة الإنزال ، فما هو السبب ؟

جواب : إن مدة الجماع تختلف باختلاف الأفراد ؛ فبعضهم أُوتوا القدرة على إطالة أمد الجماع إلى الحد الذى يكفى لإرضاء زوجاتهم وإشباع رغبتهن ، بينما يشكو البعض الآخر سرعةَ الإنزال بالرغم منه ، وقبل أن يبدأ الجماع بلحظات ؛ مما يسبب الهم والحزن للرجل ، والضيق والملل للمرأة ، ومتى تكرر هذا الأمر أصبح لدى الرجل نوعٌ من الخشية والتخوف ؛ هيبةً من الإقدام على العملية من أصلها ، الأمر الذى يحدث من جَرَّائه عدمُ حصولِ الانتصاب نفسه ، ويتطور الأمر إلى حالة ضعف جنسى تستدعى علاجًا آخر .

وقد تعود سرعة الإنزال إلى أسباب نفسية مختلفة ، وقد يبدأ الرجل حياته الجنسية بحالةٍ من حالات الإنزال السريع ؛ لأنه يكون فى تلك اللحظة متلهفًا فى قرارة نفسه على إتمام العملية الجنسية ، وليس عنده خبرة سابقة فى الموضوع . . وهكذا فإنَّ فحصَ حالات سرعةِ الإنزال تتطلب كثيرًا من الدراسة قبل التوصل إلى تقرير علاج معين لها .

وقد يكون سببُ سرعةِ الإنزال متعلقًا بإنهاك الأعصاب عقب مداعبات وملاعبات طال أمَدُها ، أو يكون سببها شدة حساسية مجرى البول ، وهذه الحساسية الفائقة مِن شأنها وحدها أن تعرِّض الرجلَ لردِّ فعلٍ سريع تكون نتيجته سرعة القذف . وهكذا فإنَّ تنوع أسباب سرعة الإنزال من شأنها أن تؤدى إلى تنوع طرق العلاج .

* سؤال : ما هو علاج سرعة الإنزال ؟

جواب : الخطوة الأولى فى العلاج - كل علاج - تتوقف على وضع الأصبع على سبب الداء ؛ فمتى عرف أصبح العلاج سهلاً نظرًا لخضوعه لتوجيهات الطبيب .

* سؤال : ما هي خير أوقات الجماع ؟

جواب : خير أوقات الجماع حينما يكون الإنسان مرتاح الجسم والنفس ، ويتوفر ذلك غالبًا بعد صلاة الفجر ، حيث يكون الزوجان مرتاحَيْن من كل المتاعب وقد تتوفر لهما فرصةٌ للنوم .

* سؤال : هل مِن ضرر فى قمع الإنسان عن الجماع ؟

جواب : إذا كان من الواجب أن يسيطر الإنسان على جميع شهواته ومواضيع اهتمامه ويؤلف بين بعضها البعض ، فإن فى قمعها قمعًا تامًا خطرًا شديدًا ؛ فكما أن الإنسان إذا غالَى فى الإقلال من الطعام أضر جسمه وعقله ، كذلك لا يصح أن يمتنع عن ممارسة حقه النظيف المشروع فى الاستمتاع بالعلاقة الجنسية .

والذى نعنيه بقولنا هذا ، هو أن الغريزة الجنسية تجد فى أسلوب الحياة العادى وسائل للإفصاح عن نفسها إفصاحًا صحيحًا ، ولسنا نعنى به أن الأمراض النفسية التى تدل على أسلوب للحياة غير

متزن يكفى للتغلب عليها أن تكون لصاحبها حرية الصلة الجنسية ، ويقول العالم النفسانى الكبير الدكتور (ألفرد أدلر) : إن الاعتقاد الشائع بأن الشبق المقموع هو علة الأمراض النفسية اعتقاد خاطئ ، والصحيح هو العكس ، أى إن المصابين بالاضطرابات النفسية هم الذين لا يعبِّرون عن الغريزة الجنسية المقررة . فإذا لم يكن لحالة سرعة الإنزال سبب موضعى واضح ، فإن على الطبيب أن يتوصل عن طريق استجواب المريض إلى الأسباب (النفسية) التى تجعله يسارع فى الإنزال ، ويختلف علاج الأسباب النفسية باختلاف هذه الأسباب نفسها ، وإن كانت تتجمع كلها عند نقطة واحدة ؛ هى إزالة هذه الأسباب وتبديد آثارها فى نفس المريض .

أما علاج سرعة الإنزال بواسطة العقاقير فهو أمر متروك للطبيب ، هذا وإن سرعة الإنزال أمر طبيعى غالبًا فى أول الزواج بسبب الشوق ، ثم يزول من نفسه بعد أمد .

*** سؤال : ما هى خير أوضاع الجماع ؟**

تتطلب كل ممارسة جنسية هدوءَ الفكر واسترخاءَ الجسم ، وكل ممارسة تحدث فى ظروف مرهقة أو فى أوضاع متعبة تنهك الجسم والأعصاب .

ويعمد البعض إلى الممارسة بصورة تُدْعَى لدى العامة : (على الواقف) ، وهذه ضارَّة جدًّا ومؤذية للصحة ، كما أن الممارسة عقب الطعام تسبب الضرر نفسه ، وخيرُ وضعٍ للجماع : افتراشُ المرأة ، ويمكن أن يُعكس الأمر فى بعض الأحيان .

وقد يلتقى الإنسان بأشخاص أُشيرَ عليهم بأن يداووا اضطراباتهم النفسية بإشباع غريزتهم الجنسية ، فلما اتبعوا هذه النصيحة زادت حالهم سوءًا ؛ لأنهم عجزوا عن أن يسيطروا على حياتهم الجنسية ويوجِّهوها إلى غرض نافع من الوجهة الاجتماعية ، وهذه هى الطريقة الوحيدة التى تُصلح ما هم مصابون به من الاضطرابات النفسية ، وليس إشباع الغريزة الجنسية بكاف وحده لشفاء الاضطرابات النفسية ؛ لأن ذلك الاضطراب مرضٌ يصيب أسلوب الحياة إذا جاز أن نعبِّر عنه بذلك التعبير ، ولا يستطاع شفاؤه إلا بمداواة أسلوب الحياة نفسه .

تلك كلها أمور لا يخفَى منها شىء على العارف بعلم النفس الفردى ؛ فهى واضحةٌ له وضوحا لا يتردد فى أن ينصح معها بالزواج السعيد على أنه الحل الصحيح الوحيد للمتاعب الجنسية ، ولكن المصاب بالاضطرابات النفسية لا يعجبه هذا الحل ؛ لأنه جبان دائما ، وغير مستعد للحياة الاجتماعية ، وكل الذين يبالغون فى الصلات الجنسية ويشغلون وقتهم بالتحدث عن تعدد الزوجات والزواج للتجربة ونحوها ، كل أولئك يحاولون أن يهربوا من الحلِ الاجتماعى لمشكلة العلاقات الجنسية ؛ لأنهم لا صبرَ لهم على العمل المتوافق مع المجتمع ، وحلِّ ما يصادفهم من المشاكل فى أثنائه بتنمية العناية المتبادلة بين الزوج والزوجة ، وهم بدلاً من هذا يرغبون فى الهروب منها بالالتجاء إلى وسيلة غيرها ، ولكن أكثر الطرق مَشقةً هو فى أكثر الأحيان أدناها إلى الغرض المنشود .

*** سؤال : لماذا تتألم بعض النساء من الجماع ؟**

جواب : إن الألم أو الضيق الذى تشعر به الزوجة أثناء الجماع يدل على وجود عقبة ما أو التهاب فى المجارى التناسلية ، إلا إذا كان هذا الألم أو الضيق ناجمًا عن قسوة الزوج فى الجماع أو جهله به . . والقاعدة العامة أن يكون سبب الألم أو الضيق عادةً هو نفسه سبب العقم . . وقد دلَّ الفحصُ الطبى على أن العقم الذى يقترن غالبًا بجماع مؤلم لا يكون نتيجةً لطبيعة العملية الجنسية ذاتها ، ولكنه يكون نتيجة للعامل الذى يؤدى إلى الشعورَ بالألم عند محاولة الجماع ، وقد يكون مرَدُّه إلى ضيق فتحة الرحم أو شدة حساسيتها ، أو وجود التهاب فى الشفرتين أو تسلخهما ، أو وجود قُرَح زهرية أو فتق أو مرض فى المثانة أو الشرج .

*** سؤال : ما رأى العلم فى الجماع أثناء الحمل ؟**

جواب : فيما يتعلق بالجماع أثناء الحمل ، يجب أن يلزم الزوجان جانب الحذر الشديد ، بل يحسن أن يتذكر كلُّ زوجين قول الطبيب العالمى الكبير الدكتور (فان دى فيلد) : إن الجماع خلال الأربعة إلى الستة أسابيع السابقة للوضع يستلزم ترفقًا عظيما ونظافةً تامة ؛ خشية أن يهدد الإهمالُ صحةَ الأم العامة ، ويُضعف من فُرَص حدوث حمل جديد .

*** سؤال : ما هى أسباب مشاكسات الزوجة ؟**

جواب : أسباب مشاكسات الزوجة عديدة ، من أهمها عدم قيام الزوج بواجبه الجنسى من مداعبة وغيرها ، وتحضرنى بهذه المناسبة النكتة الطريفة التالية :

شعر رجل مرة بمشاكسة زوجته وإهمالها واجباتها المنزلية ، فكتب بطاقةً بالحكمة التالية وعلَّقها فى المطبخ على مشهد من زوجته : « أتقِن عملك تَنَلْ أملَك » فأخذت الزوجة هذه البطاقة وعلقتها على سرير النوم .

*** سؤال : بماذا تنصح المتزوجين حديثًا ؟**

جواب : أوجز النصائح للمتزوجين حديثا على النحو التالى :

١- المرء لا يولد عاشقا ، ولكن عليه أن يتعلم فن الحب ، وهذا يتطلب وقتًا ما .

٢- لا تعتقد بأن زواجك فاشل ؛ لأن احتياجاتك الجنسية لا تتوافق مع احتياجات الطرف الآخر فى شهر العسل والسنة الأولى من الزواج ؛ فحتى أساتذة الحب المَحنَّكين يحتاجون إلى وقت كافٍ للوصول إلى هذا التوافق الجنسى .

٣- للحصول على الحب يجب على المرء أن يعطيه ؛ فإن الحب يُوَلِّد الحب ، وليس على سبيل المقايضة أو أداء الواجب . وعلى قدر سخاء العطاء من جانبك يكون سخاء العطاء من الجانب الآخر ، أما الأنانية فهى مدمرة للحب والعلاقة الجنسية تمامًا .

٤- ومن أجل العطاء يجب أن تعرف احتياجات ومطالب ومشاعر الطرف الآخر ؛ حتى يكون هذا العطاء مشبِعًا لاحتياجاته ومطالبه ، فيكون بذلك أوقعَ فى النفس مِن عطاءٍ لا يحتاج إليه ولا يتقبله .

ويجب أن تعرف أن الاضطراب والحياء الكاذب ونقصَ التفاهم وسوء التقدير يمنعك من معرفة هذه الاحتياجات والمتطلبات ؛ فعليك بالصراحة والصدق الدائمَيْن .

٥- لا تجعل من حياتك مع نصفك الآخر فرضًا أو واجبًا أو عبئًا ، ولكن اجعل الأمر صداقةً متجددةً وحبًا أبديًا .

فبذلك ترفرف عليكما أجنحة السعادة .

*** سؤال : بماذا تنصح الأزواج للاحتفاظ بحرارة الحب وشبابه فى عش الزوجية ؟**

جواب : عليك باتِّباع النصائح التالية - ما أمكنك ذلك :

١- أحضر إليها زهرة حمراء (ولاحظ أنها زهرة أكثر شاعرية من مجموعة الأزهار) .

٢- تناول معها فى بعض الأحيان طعام الإفطار فى الفراش .

٣- احتفظ بتذكارات الأيام الخوالى ، كشهر العسل .

٤- اتَّصل بها هاتفيًا من العمل ؛ لتسأل عنها وتخبرها بأنك تفكر فيها وتشتاق إليها (لا لتسأل عن طبق اليوم أو عن إصلاح التليفزيون أو عن أخبار الشغالة الجديدة) .

٥- اصحبها فى نزهة خلوية فى يوم العطلة .

٦- اصحبها إلى الشاطئ لمشاهدة الغروب .

٧- أحضر إليها تسجيلاً للذكريات الغالية بالنسبة لكما .
٨- تحدث إليها دائمًا عن أحلامك وأمانيك وشارِكها أفكارَكَ ومشاعرك .
٩- احرص على إحضار عطرها المفضَّل مغلَّفًا ومرفقًا به كلمة حب رقيقة على ألاَّ تستعمله إلا فى بيتها .
١٠- احرص على اصطحابها إلى المتنزهات كلما أمكنك ذلك .
١١- احتفظ بأغراضك دائمًا مرتبة ، ونظِّم ملابسك وعلِّقها على المشجب ولا تُطِح بجواربك وأحذيتك أسفل الأسِرَّة والأرائك .
١٢- لا تهمل شيئًا فى المنزل يحتاج إلى إصلاح أو استبدال مهما كان تافها صغيرًا .
١٣- اصحبها دائما فى جولاتها الشرائية .
١٤- حدِّثها دائما عن مقدار سرورك واعتزازك وفخرك بها .
١٥- إذا مارستما أية لعبة مشروعة فدَعْها تكسب منك عدة أدوار .
١٦- ارقبها دائما بإعجاب ، ولا يفوتك إطراء ثوبها وتسريحتها وأناقتها .
١٧- قبِّلها بحرارة قبل مغادرتك المنزل وعند عودتك إليه (واحذر الروتين الممل) .
١٨- ابدأ معها هواية جديدة ومشتركة وطريفة ، وخيرُها المطالعة المفيدة .
١٩- أضف إلى هذه القائمة كل ما تكتشف أنه يسرُّها ويثير عواطفها ومشاعرها المشروعة .

* سؤال : أى النساء أحبُّ إلى قلب الرجل ؟
جواب : كل امرأة تجمع صفات المرأة الحقيقية .
* سؤال : فما هى صفات المرأة الحقيقية ؟
جواب : أن تكون امرأة وتظل امرأة بكل ما فى هذه الكلمة من أنوثة وجاذبية وسحر ودلال وعاطفة .
* سؤال : من هى أجمل النساء ؟
جواب : الجمال مثله مثل رحمة الله موزَّع على سطح الأرض ، والجمال هو جمال الروح والتربية والخلق ، ولكل امرأة حظها من الجمال بشرط أن تبرزه وترعاه وتحافظ عليه ، أما جمال الصورة وجمالُ الجسم فرغم تأثيرِه السريع إلا أنه لا يصل قط إلى مرتبة الجمال الروحى فى بهائه وسناه وبقائه على مر الأيام .
* سؤال : من هى أسعد النساء ؟
جواب : تلك التى فجّر الحب الإنسانى فى أعماقها ينبوعًا أزليًا فأضاء نفسَها وأشرق على عالمها نورًا وجمالا ، ورقةً وحنانًا ، وربيعًا دائمًا ، وحبًا ، وطاعةً لربها .
* سؤال : من أقرب الرجال إلى قلب المرأة ؟
جواب : أقرب الرجال إلى قلب المرأة هو من يحسن معاملتها ، شرطَ ألاَّ تكون هذه المعاملة مصطنَعة أو متكلَّفة ، بل تكون صادرة من الأعماق ، من ثقافته وقلبه وضميره ، والمعاملة هنا تعنى الاحترام واللياقة والإكرام والأدب والمجاملة الحلوة .
كل ذلك مع حفظ الرجل لشخصيته ؛ فإنه ليس أكره للمرأة مِن الرجل فاقد الشخصية أو ضعيفها .
* سؤال : مَن هى أتعس النساء ؟
جواب : أتعس النساء تلك التى تتخلى عن الأنوثة ، وتظن أن الانطلاق هو أقصر الطرق إلى قلب الرجل ، بينما هذه الحرية المطلقة تشوِّه صورتها فى نظره وتزلزل مكانتها فى قلبه .
إن المرأة التعسة هى المرأة المبذِّرة التى تقدِّس الأزياء الأجنبية وحب الشهرة والظهور إلى درجة الجنون .

*** سؤال : ماذا يحتاج الزوج فى البيت كى لا يغادره إلى المقاهى وغيرها ؟**

جواب : إن الزوج يحتاج إلى نبع مستمر من الحب والحنان والراحة والهدوء ، والاستقرار فى البيت ، والزينة المتجددة ، فإذا لم تمنحه زوجته كل ذلك وتوفّره له ، فإنها بذلك تدفعه إلى الفرار من البيت إلى المقاهى وغيرها ، إذا كان ضعيف الشخصية وعادى المواهب ، والمقهى وأمثالُه من أشد أعداء الأسرة ، وقد كنت نشرتُ منذ سنوات مقالا بعنوان : «المقهى نادى الشيطان» .

*** سؤال : ما هى مشاكل ليلة الزفاف ؟**

جواب : قد يصيب الزوجَ ارتخاءٌ فى ليلة الزفاف ، ويسمى ارتخاء الليلة الأولى ، وهو وقتى ويزول بزوال السبب الذى قد يكون ، إما نتيجةً للخوف من الفشل ، لعدم خبرته فى هذه الناحية ، أو لعدم ثقته بنفسه ، ولكن هذا لا يحدث إلا نادرًا خاصةً إذا كان الزوجان متحابَّيْن فهو لا يحدث أبدًا ؛ فالحب وحده كفيل بمنح الزوج الثقة بنفسه ، وبمشاركة الزوجة وتعاونها معه فى هذه الليلة . . على ألاّ يكون تَعِبًا .

تبدأ بعد ذلك مرحلة الشكوى نتيجة لبعض الأعراض الطارئة كسرعة القذف مثلا . . وهذه تكون نتيجة توتر عصبى عند الزوج ، أو وجود حساسية شديدة فى أعضاء الذكورة ، غير أنه بالتجربة والممارسة يمكن القضاء على هذه الشكوى .

*** سؤال : هل للتدخين أضرار على الجنس ؟**

جواب : إن للتدخين أضرارًا كثيرة على أجهزة الجسم كلها ، ولما كان بحثنا يتعلق بالجنس ، فسنتكلم عن أضراره الجنسية مفصلا .

*** سؤال : ما هى تأثيرات التدخين على الخصيتين عند الذكور ؟**

جواب : يُحدث التدخين ضعف القوة الجنسية عند المدخنين - كما يُضعف الانتصاب عندهم - والتدخين الطويل يسمِّم الخصية ، فيقل إنتاجُها للنطف ، بل إن كثيرا من نطف المدخنين تكون ميتة ؛ وذلك لأن دخان التبغ يحتوى على حمض (تسيان هيدريك) الذى ثبت أنه سام للنطف ، ولهذا السبب وُجد أن نسبة العقم بين الرجال المدخنين أكبر منها بين غير المدخنين .

*** سؤال : هل للتدخين تأثير على المبيض عند الإناث ؟**

جواب : المبيض عند المرأة عبارة عن غدة صغيرة مزدوجة موجودة فى أسفل البطن على جانبى الرحم والمبيض ينتج البويضة التى تتحد مع النطفة التى تأتى من الزوج . ومن اتحاد هذين العنصرين (البويضة والنطفة) يخلق الله تعالى بشرًا سويًا . ولقد ثبت حديثًا أن النيكوتين يسبب تخريبات واسعة فى هذه الفترة العظيمة ، وهذه التخريبات تؤدى فى معظم الحالات إلى العقم ؛ فلقد ذكر الدكتور (هوفستاتر) الخبير بهذه الشئون ، أن النساء اللواتى يعملن فى معامل التبغ قلَّما يُرزقن أطفالاً ، وإذا حدث أن حملن وأنجبن ، يكون أطفالهن ضعافًا وهزلاء (عن رسالة طرق التدخين وأضراره باختصار) .

*** سؤال : ما هى أضرار التدخين على الجنين ؟**

جواب : دلت الأبحاث العلمية التى أجريت فى المستشفى النسائى لجامعة (كيسن) الألمانية بأن عدد الولادات فى العائلة الواحدة بلغت (١و٣) عند العائلات غير المدخنة (أى التى لا يتعاطى فيها الزوج أو الزوجة التدخين) فى حين أن عدد الولادات فى العائلة الواحدة فى العائلات المدخنة (أى التى يتعاطى فيها الزوج أو الزوجة التدخين) لم يزد على ٠،٦٦ هذا وأظهرت الدراسات العلمية فى

جامعة ميونيخ الألمانية أيضا ، أن العقم الناجم عن التدخين يمكن إزالته بالامتناع كليًا عن التدخين . [باختصار عن رسالة التدخين وأضراره للطالب الجامعى عمر بياسى] .

وتحضرنى نكتةٌ بهذه المناسبة ملخَّصها : أنى قلت ذات مرة لأحد أصحابى وكان يدخن وكان بيننا مزاح : إن التدخين يُضعفك عن القيام بواجبك الجنسى ، فصاحت زوجته : نعم نعم يا عماه !

*** سؤال : بماذا تنصح الزوج بعد فض البكارة ؟**

جواب : ينبغى أن يؤجل الزوج مباشرةَ الجنس يومين أو ثلاثة بعد فض البكارة إذا كان الاتصال الجنسى مصحوبًا بألم أو متاعب أخرى ، فينبغى أن يكون الاتصال الجنسى فى الفترة الأولى من الزواج متعةً للزوجين معًا ؛ حتى لا تصاب الزوجة بنفور من الاتصال الجنسى ، وفى الشهر الأول من الزواج بل فى الشهور الأولى قد لا تكون الأعضاء التناسلية للزوجة وصلتْ إلى درجة التنبيه بالجنس أو الاستثارة الجنسية الطبيعية ، ولذلك فعلى الزوج أن يقلِّل الاتصالَ الجنسى ولا يشرع فى مباشرة الجنس إلا إذا أحسَّ برغبتها فى مشاركته ، وبمعنى آخر ، ينبغى أن يتخلى الزوج عن أنانيته ويُشعر زوجته أنه مقدِّر لشعورها ويحترمه . . ولا يقلق إذا وجدَ منها برودًا فى بادئ الأمر !

*** سؤال : هل هناك طرق عملية للحيلولة دون سرعة القذف ؟**

جواب : ذكرتُ ذلك فى مناسبات عديدة ، ويمكن أن أضيف إلى ذلك :

أولاً : صرف الذهن فجأة بعيدًا عن الاتصال الجنسى كلما أحس بقرب الإنزال ، بأن يَعد تنازليًا من ١٠٠ - ٩٩ - ٩٨ وهكذا .

وعلى الزوجة أن تُحسن أداء دورها فى ذلك ، ولْتَحْذَر من توجيه كلمة نقدٍ لزوجها كى لا تترك فى نفسه جرحًا عميقا وإيحاءً خارجيا وإيحاءً ذاتيا بالعجز . .

جواب : يستطيع الزوج وضع الكَتُوم (العازل) على عضوه أثناء الاتصال الجنسى . وهذا بدوره يقلِّل من الحساسية ، وبالتالى يؤخر سرعة القذف ، على أن ينزعه قبل الإنزال .

*** سؤال : هل صحيح أن الرغبة الجنسية تزول بعد سن الأربعين عند الرجل والمرأة . .**

جواب : من الخطأ الاعتقاد بذلك ؛ فالشخص الذى يتمتع بصحة جيدة ولا يعانى من أمراض عضوية يستطيع أن يمارس الجنس إلى ما بعد السبعين ، ومعظم حالات الشعور بالضعف الجنسى فى هذه المرحلة من العمر ترجع إلى أسباب نفسية أو إلى محاولة الرجل إثبات فحولته عن طريق الجنس ، وتكون النتيجة أن يتم الاتصال الجنسى بطريق الافتعال ، ويفقد التلقائية ، وهى أساسية وضرورية لنجاحه ، وهنا قد يفشل الزوج فى الوصول إلى هدفه ، فينتابه الاعتقاد أن القدرة الجنسية عنده قد انعدمت بفعل السن والشيخوخة ، صحيحٌ أن الرغبة فى الجنس قد تقلّ بتقدم السن ، ولكن القدرة الجنسية ؛ أى القدرة على تحقيق الارتواء للزوجة شىءٌ آخر . . فالقدرة على الانتصاب تبقى كما هى ، بل وتزداد القدرة على التحكم فى طول فترة الجماع ، كما أن الزوجة تُصبح أكثر قدرةً على التكيف مع زوجها نتيجةً لطول العشرة ، وبذلك يمكنها الوصول إلى الارتواء الجنسى فى وقت أقل ، ومن الخطأ أيضا الاعتقاد بأن سن اليأس يعنى نهاية النشاط الجنسى للزوجة ؛ فمعظم التأثيرات التى تصاحب انقطاع الطمث أساسها نفسانى .

والعقاقير المنشطة للجنس تؤدى معظم دورها عن طريق التأثير النفسى ، وليس لها فائدة حقيقية إلا فى حالات نادرة ، وهى الحالات المصحوبة بنقص فى إفراز الخصيتين لهرمون الذكورة .

أما إذا توفرت الرغبة لدى الزوجين فى مزاولة الجنس ؛ أى إذا توفرت التلقائية فى الاتصال الجنسى ، فذلك هو الضمان للانسجام والوئام الجنسى مهما كان عمر الزوجين .

*** سؤال : هل للقلق علاقة بالضعف الجنسى ؟**

جواب : حالات كثيرة من الضعف الجنسى وبخاصة عند الرجل يكون سببها : القلق . . ولا يعنى ذلك أن يكون هذا القلق وليد اللحظة ، وإنما هو نتيجة ظروف وملابسات حديثة وقديمة . . يرجع بعضه إلى سنوات الطفولة الأولى ، حيث يتعلم الصبى أولى معلوماته عن الجنس . . ولا يعنى هذا أن الخلاص من القلق قد يكون صعبًا أو مستحيلا ، وإنما هو ممكن بوضع اليد على السبب الحقيقى .

*** سؤال : ما هى العِنَّة ؟**

جواب : العنة أو الارتخاء حدثٌ خَطِر يهدد الحياة الزوجية تهديدًا كبيرًا ، وقد يفصم عُراها نهائيا ؛ إذ تفقد غرضها الأساسى ، وهو تكوينُ الأسرة وحفظُ النسل .

والعنة نوعان : عضوى ، ونفسى .

والارتخاء العضوى يسببه مرضٌ يمكن الكشف عنه والتعرف عليه .

أما النفسى فيرجع إلى حالة عصبية أو عقلية ، ويحتاج كلا النوعين إلى اهتمام الطبيب وعنايته ، ويشمل القصورُ الجنسى العضوى ضعفَ الرغبة ، والارتخاءَ ، وسرعةَ القذف . . وقد ينشأ القصور فجأة أو يأتى تدريجيا .

وأسباب القصور العضوى كثيرة ؛ فأىُّ مرض يؤثر على الأعضاء قد يسببه .

وكذلك تلعب الأمراض التناسلية دورًا هامًا فيه ، والتهاباتُ الأعضاء الداخلية وبخاصة الحويصلة المنوية التى هى مخزن السائل المنوى ، وغدة البروستات التى تحيط بمجرى البول من الداخل .

و «بروستات» كلمة لاتينية معناها حارس ، وإفراز هذه الغدة لازم لحيوية الحيوانات المنوية ، وبغيره يفقد الرجل القدرة على التناسل . . ونقصُ إفرازات الغدد خاصة غدد الجنس قد يسبِّب العنة ، كما ينشأ القصور بسبب حدوث أورام فى أعضاء التناسل ، وأمراض الأعصاب التى تغذى هذه الأعضاء تسبب ارتخاءً فجائيًا كاملا .

وكثرة استعمال بعض العقاقير وإدمان الخمور والمخدرات تُضعف القوى الجنسية ، على نقيض ما يعتقده كثير من الناس خطأ .

ويحسنُ أن ننبه إلى أن الإفراط فى العلاقات الجنسية ، والضعف العام ، واستعمال موانع الحمل ، والإمناء فى الخارج ، وغيرها من الطرق غير الطبيعية قد تؤدى إلى القصور الجنسى .

والإمناء فى الخارج عادة شائعة كطريقة لمنع الحمل وتحديد النسل ، ويعتقد الكثيرون أنها خالية من الضرر ، والواقع أنها كثيرًا ما تسبب التهابات الحويصلة المنوية ، وبالتالى ضعف القوى الجنسية .

وعندما تضعُف الصحة العامة تنقص القوى الجنسية ، كما أن ضغط الدم المنخفض قد يسبب الارتخاء ، وأمراض السكر والدم والقلب والكلى تقلل الرغبة والحيوية .

أما القصور النفسى الناشئ عن اضطرابات عقلية وعصبية ، فيمكن تحديد بعض أسبابه ، وأهمها الخوف والغضب والنفور والخسائر المالية والإجهاد فى العمل ، وهناك عوامل أعمق مِن هذه ؛ كالرغبات الجنسية الشاذة أو الشعور بالعجز الجنسى .

*** سؤال : ما هى الأسباب التى تؤدى إلى الضعف الجنسى عند الرجل ؟**

جواب : من أهم الأسباب التى تثير القلق والاضطراب النفسى عند الرجال والشباب الشعورُ بالضعف الجنسى ، أو ضعفُ الرغبة الجنسية ، ويرجع السبب فى هذا الضعف إلى عاملين هامين : أولهما : العامل النفسى وهو يمثل الجزء الأكبر من هذه الحالات ، ويرجع إلى عوامل الخوف من الفشل أثناء الممارسة ، أو الخوف من حدوث الحمل خاصة إذا كانت الأسرة تنوء بعدد كبير من

الأفراد ، أو الخوف من الإصابة بمرض تناسلي مثل : السيلان أو الزهرى أو غير ذلك ، وقد يصاحب الضعفَ الجنسى أو فقدان الرغبة الجنسية ظروفٌ طارئة مثل مرض أو وفاة الزوجة ، أو أزمات مادية أو نفسية يمر بها الشخص ، وهذا نوع من الضعف الجنسى يزول بزوال السبب . .

*** سؤال : وما هو العامل الثانى ؟**

جواب : أما العامل الثانى فيرجع للأسباب العضوية ، وهى تمثل نسبة قليلة من أسباب الضعف الجنسى ، ولكنها على درجة من الأهمية ؛ إذ إن الأمراض العضوية المسببة للضعف الجنسى ، عادةً ما تكون على درجة من الأهمية بحيث يجب علاجُها بدقةٍ وعنايةٍ ؛ مثل مرض السكر ، والأمراض التى تنشأ من اضطراب فى وظائف الغدد الصَّمَّاء مثل قصور الغدة الدرقية والغدة النخامية ، والقصور فى وظائف الغدد التناسلية « أى الخصيتين » بالإضافة إلى التهاب الأعصاب المحيطة بالجهاز التناسلى ، وأمراض الجهاز العصبى ، إما نتيجة للمرض نفسه أو نتيجة للأدوية المستعملة فى علاجه ، ومثلها بعض الأدوية المستعملة فى علاج ارتفاع ضغط الدم ، ويلاحظ أيضا فى بعض الرجال فى سن الستين وما حولَها قصورٌ فى وظيفة الخصيتين ، وقد ينتج ضعفُ الرغبة والقدرة الجنسية نتيجة لذلك من تصلب الشرايين فى هذه السن .

كما تمثل التهابات غدة البروستات بعض حالات الضعف الجنسى ، بالإضافة إلى تضخم البروستات الذى يحدث فى السن المتقدمة فى بعض الرجال .

يضاف إلى هذه الأسباب العضوية حالاتُ الإصابة بقصور القلب وفشل الكبد ، وفشل الكلى ؛ لأن هذه أعضاء هامة تتأثر كل أجهزة الجسم باضطراب وظائفها ومنها القدرة الجنسية .

*** سؤال : ما هى أحسن التوجيهات التى يمكن تقديمها للفتاة أثناء الخطبة ؟**

جواب : أهم النصائح التى نقدمها لها ، أن تكون مدة هذه الخطوبة قصيرة جدًّا ويعقبها عقد الزواج ، ولا يكون فيها لقاء مع الخطيب إلا بحضور بعض محارمها ، وما أكذبَ الأسطورة التى تقول بوجوب إطالة زمن هذه الخطبة للتعارف بين الخطيبين ودراسة بعضهما ؛ فإن التكلف يكون على أشده فى هذه الفترة ، ولا يمْكن أن يُظهر أحدهُما حقيقتَه لصاحبه . بل حُسْنُ الاختيار يتم بسؤال أحد الطرفين عن الآخر من معارفه وجيرانه .

وكم سببت طولُ الخطبة مِن فواجع ونكبات بالتساهل فى انفراد الخطيبين معًا ، مِمّا يُغرى بالتقبيل والمداعبة ، وكل ذلك حرام ، حتى إذا بلغ الأمر قمته تعطلت الإرادة ، وتمَّ الدخول الذى لا يقتصر على فضّ البكارة ، بل على الحمل أيضا ، وربما تم ذلك دون فض البكارة ، وذلك عن طريقة الملامسة ، فيتسرب ماءُ الرجل إلى الرحم من ثقوب البكارة .

وكل ذلك يؤدى غالبًا إلى ملل الخطيب والتهرُّب من الزواج ؛ فإنَّ كل ممنوع مرغوب ، وما دام قد تمَّ له ما يريد ، فلم يعد له حاجة بفتاته وضحيته .

والنصيحة - كما قال أحد الأطباء - :

يجب ألاّ تضع الفتاة نفسَها فى موقف صعب تضطر بعده أن تستعطف خطيبها لدرء الخطيئة بالتعجيل بالزواج ؛ فمثلُ هذا الشاب الذى يسمح لنفسه أن يرتكب هذا العمل أثناء الخطوبة ، إنما هو شخص عابث ماجن ، والاستسلام له ومجاراته عمليةٌ انتحارية . .

إن فترة الخطوبة يجب أن تكون ناصعة البياض . . والحدود بين الخطيبين فيها يجب أن تكون واضحةً ومفهومةً تماماً ، وبذلك يلتقى الطرفان على هدف واحد مقدس هو الزواج .

*** سؤال : هل هناك صلة بين الطعام وبين القدرة الجنسية ؟**

جواب : الصلة بين الطعام وتكوين جسم الإنسان صلة متقاربة تماماً ؛ فبمجرد النظر إلى

جسم أى رجل ، فإن الطبيب يستطيع أن يتصور مقدرة هذا الرجل الجنسية ، خاصة بعد أن يعرف عاداته فى تناول الطعام . فإن أى رجل يستطيع أن يُجرى تغييراً قويًا فى مقدرته الجنسية بتغييره لطريقته فى تناول الأطعمة . وليس المقصود هنا أنَّ مزيداً من الأطعمة سيعطى مزيداً من القدرة الجنسية ، بل المقصود من ذلك أن طريقة إعداد أصناف معينة من الأطعمة والإقبال عليها بنهم - خاصة إذا كان بين هذه الأصناف أغذية نشوية ودهنية - فإنها دون شك ستؤثر تأثيراً جوهريًا فى جسم الرجل . . .

*** سؤال : هل الرجال متساوون فى القدرة الجنسية ؟**

جواب : ليس كل الرجال متساوين فى القدرة الجنسية ؛ الأزواج الناجحون جنسيًا هم الذين يتمتعون بصحة جيدة ، ويستطيعون التحكم فى غرائزهم ، ويستطيعون التجاوب مع الجنس الآخر ، وليسوا شديدى الكسل أو وافرى النشاط بدرجة زائدة ، كما أن الرجل المتفهم لرغبات زوجته الجنسية والذى يستطيع أن يعطيها الوقت الكافى للوصول إلى غايتها من المتعة ، هو رجل ناجح فى حياته الزوجية .

أما التحكُّمُ فى أنواع الأغذية : فله تأثير كبير فى تحسين حالة الشخص الصحية والجسمية ، والضرر كل الضرر يكمن فى السمنة المفرطة أو النحافة الشديدة .

*** سؤال : كيف يحتفظ الزوج بالقوة الجنسية حتى آخر العمر ؟**

جواب : لكى يحتفظ الإنسان بقوته الجنسية إلى آخر العمر ويعوِّد شريكة حياته على معدل عادى من الجنس ننصحه بالالتزام والاعتدال فى ممارسة الجنس ، بأن يكون ذلك بمعدل مرتين أو ثلاث فى الأسبوع ، وألا تكون الممارسة أكثر من مرة واحدة فى اليوم ، وهذا بعد أن يهيئ الزوج زوجته نفسيًا ومعنويًا للجنس بالمداعبة والتحضير ، حتى تصل إلى الذروة الجنسية والانتشاء ، وبذلك يقوم الزوج بواجبه الجنسى على خير وجه على أن يكون ذلك فى شهر العسل ، وبعده يكتفى بمرتين ، ثم مرة واحدة فى الأسبوع إذا أمكن ، وخاصةً بعد الأربعين أو الخمسين من العمر .

*** سؤال : ما هى شروط إتيان النساء الحوامل ؟**

جواب : بالنسبة للحوامل فالواجب الاعتدال فى ممارسة الجنس على أن يكون مرة واحدة كل أسبوع حتى أول الشهر التاسع ، وتُمنع الممارسةُ طِوال الشهر التاسع حتى الوضع ، خوفاً من أن تُحدث هذه الممارسة فى الشهر الأخير ولادةً مبكرة نتيجة ضغط العضو التناسلى للذكر على عنق الرحم ، وكذلك غير مستحب أن تكون هناك حيوانات منوية ثم تحدث الولادة فى وجودها ، وخصوصاً إذا كان بها صديد ، فعندئذٍ تُحدث التهابات فى عين الطفل . أما النساء اللاتى يحدث لهن إجهاض فى الشهور الأولى من الحمل ، فيُمنع الاتصال الجنسى بهن فى الشهور الثلاثة الأولى ، ويستحسن إذا استمر الحمل - وفى الفترة من الشهر السادس حتى الثامن ، حيث يحدثُ بروز للبطن - أن يكون الاتصال جنباً إلى جنب بدلاً من وجها لوجه .

*** سؤال : هل صحيح أن عضو الذكورة الكبير يكون أكثر إرواءً للمرأة من غيره ؟**

جواب : فى القصص الجنسية التى تباع فى السر . . وفى قصص ونوادر يتناقلها كثيرٌ من العامة . . أن المرأة تحب الرجل الذى يمتاز بكبر عضو الذكورة لأنه يضمن لها أن تبلغ أقصى نشوتها فى الجماع . والحقيقة التى كشفها الفحص العلمى ، هى أن حجم عضو الذكورة لا صلة له ببلوغ الإثارة . . التى تتركز مواطنها عند المرأة فى فتحة عضو التناسل وما حولها . . وقد تبلغ نشوتها بغير استخدام عضو التذكير أو قبل استخدامه وذلك بالمداعبة . . وكثيراً ما تورد تلك القصص تفاصيلَ عن عضو التذكير - فى الطول أو الغلظ - لا وجود لها فى الواقع . فالغالب أن يتراوح طول عضو التذكير بين

١٣ و١٨ سنتيمتراً ؛ أما الحالات التى يزيد فيها عن ذلك أو ينقص فهى شاذة ونادرة جدًا . . ومثله فى هذا مهبل الأنثى . لكن نعود ونقول : إن المهبل - باستثناء فتحته الخارجية - لا يشارك فى عمليه بلوغ النشوة ؛ لذا كان لا عبرة بطول القضيب . لهذا فلا موجب للقلق والانزعاج والخوف من صغره!

*** سؤال : هل صحيح أن المرأة الجميلة قنبلة ؟**

جواب : إعلانات الأفلام ، وكافة البضائع الأمريكية بصفة خاصة ، توحى بأن الفتاة ذات القوام الممشوق والصدر المشدود الذى ينبض بالتحدى . . هى باستمرار أسطورة الجنس . . أو قنبلته التى تنتظر فقط أن يلمسها الرجل لتنفجر . . والحقيقة هى أن الجمال لا يضمن بأية صورة من الصور أن تكون المرأة قابلة للتجاوب فى الناحية الجنسية أكثر من غيرها . . بل إنه كثيراً ما تكون الجميلة أقل تجاوباً . .

والسبب أنه يتوفر لها دائما إطراء الرجل ومظاهر اهتمامه بها . . مما يكفل لها نوعاً من الإشباع العاطفى . . تفتقده الأخرى قليلة الجمال ، والتى تتلمس ذلك الإشباع العاطفى فى ما يقترن بالجنس من كلام حلو ودلال واستعداد من الرجل للبذل . . حتى وإن كان أبخل البخلاء . . .

إن المرأة الجميلة ليست باستمرار باردة . . وغير الجميلة ليست باستمرار جسداً ملتهباً . . إن لكل مخلوق تكييفه الجثمانى . . وظروفه المعيشية التى تؤثر فى عاداته وحالته العاطفية النفسية . . ولكن بصفة عامة ، فإن الرجل يخطئ عندما يتصور أن المرأة الجميلة باستمرار ، هى القادرة على إرضائه .

*** سؤال : هل صحيح أن الرجل القوى علاجٌ للبرود الجنسى عند المرأة ؟**

جواب : ما المقصود بالرجل القوى فى الناحية الجنسية ؟ . هناك من يتصور أن مثله قادر على أن يشفى المرأة التى تعانى من « البرود » . . وهذا تصوَّرٌ خاطئ ؛ لأن البرود المزمن فى المرأة سببه ، إما عيب جثمانى . . تزيله الجراحة وحدها فى بعض الحالات . . وإما عقدة نفسية من ناحية الرجال أو من ناحية الحمل والولادة . . وغالباً ما تفيد كثرة مداعبة الزوج الماهر ومغازلته فى إزالة هذا البرود .

*** سؤال : هل صحيح أن الرجل الرياضى قوى جنسيًا ؟**

جواب : وهذه فكرة أخرى تنشرها القصص الرخيصة وبعض الأفلام . . كما أنها تتمثل فى عقائد عدد كبير من غير المتعلمين . . وبالنسبة للطائفة الأخيرة فإنهم لا يقصدون أبطال الرياضة بالذات . . وإنما يكفى عندهم أن يكون الرجل طويلاً عريضاً . . أو مفتول العضلات ؛ لأنه يمارس مهنة شاقة . . ليتصور أنه من فرسان الجنس . . أما الواقع ، فهو أن الرجل قد يكون طويلاً عريضاً مفتول العضلات أيضاً ، ومع ذلك ، فإن غدده التى لها صلة بالجنس لا تمارس عملها كما ينبغى . . إنه معرَّض لأن يحدث له ذلك وبنفس القدر الذى يمكن أن يحدث لإنسان آخر .

وينبغى ألا ننسى أن معظم قصص الجنس يؤلفها الرجال . . فهم يحبون أن يصوِّروا بطل القصة رجلاً يستطيع أن « يهدّ » ثلاث أو أربع نساء فى الليلة الواحدة . . . والحقيقة أنه لا وجود لمثل هذا الرجل [1] .

*** أكاذيب أخرى :**

وهناك أكاذيب أخرى أقلّ شأناً . . منها :

١ - أن المرأة قعيدة البيت هى باستمرار إنسانة يفترسها الملل ، وتحاول أن ترفه عن نفسها بأكبر قدر من الجنس .

---

(١) هذه الأسئلة والأجوبة السبعة الأخيرة منقولة من كتاب « الأمراض التناسلية » ص ١٦٧ - ١٧٠ تأليف نخبة من أساتذة كليات الطب فى جمهورية مصر العربية .

٢ - أن المرأة تحب - بصفة عامة - ألاَّ يكون رجلها عنيفاً معها فى الفراش ، وكأنه يغتصبها .
٣ - أن المرأة تخطط للعملية الجنسية وتنتظر الجنس باستمرار ، لأنها لا تستغنى عنه .
هذه كلها عقائد عُنِىَ الباحثون بأن يتحرَّوْا جانب الحقيقة فيها . . وفى النهاية وجدوا أنها لا تستحق إلا . . . عنوان هذا المقال .

*** سؤال : كيف يجب أن تكون المحاولة الأولى للاتصال الجنسى فى أولى ليالى الزفاف ؟**

جواب : هذه المحاولة لها أهميتها الكبرى ونتيجتها البعيدة الأثر . فإذا لم يقم الرجل بهذه المحاولة الأولى بطريقة هادئة سليمة ، فقد تولد فى نفس الفتاة « رد فعل » تراه واضحاً فى الألم الشديد ، أو عدم الرضا عن هذا السلوك . فغالباً ما تكون العذراء شديدة التوتر مهتاجة الأعصاب ، متهيبةَ الموقف فى أول لقاء ، الأمر الذى يجعلُ الاتصالَ الجنسى مصحوباً بالألم بحيثُ يتركُ أثراً بعيداً فى حياة الفتاة ، لا سيما إذا سلك الزوج فى أولى محاولاته طريقاً مباشراً ، ولم يحاول أن يستثير زوجته ، أو أن يصل بأعصابها إلى درجة الاسترخاء التام . وكم من امرأة أصيبت بخيبة أمل شديدة فى أول اتصال جنسى لها مع زوجها ، إذ توارى ذلك الحلم الجميل الذى كان يداعب خيالها وهى « عذراء » وشوهت تلك الصورة الحلوة التى رسمتها فى مخيلتها عن الإشباع الجنسى . ومن هنا كان إرشاد الفتى والفتاة قبل الزواج أمراً ضروريًا ، بل عاملاً مهمًّا من عوامل القضاء على البرود الجنسى وعدم الانسجام فى الحياة الزوجية .

*** سؤال : وهل هناك أسباب أخرى لهذا البرود الجنسى ؟**

جواب : من الأسباب المهمة أيضاً العنف ، والطيش والاندفاع من جانب الزوج . فهذه غالباً ما تؤدى إلى البرود الجنسى عند الزوجة ؛ فإن المرأة تحتاج إلى مدة أطول للاستثارة حتى تستجيب تماماً لنداء الجنس . فإذا جَهِل الزوج هذه الحقيقة أو تجاهلها بسبب اندفاعه وسرعة تأثره ، فقد تكون النتيجة أن نرى أمامنا زوجة غير مهيأة بتاتاً للاتصال الجنسى ، بل أكثر من هذا تصير زوجة تخشى هذا الاتصال ، وبالتالى تصبح باردةً كالثلج .

أما الزوج الذى كان يكبرها كثيراً ، فلم يحاول أن يستثيرها . وكانت النتيجة أنها لم تشعر بالإشباع الجنسى الكامل طوال هذه السنين التى قضتها مع زوجها . وكانت ترضخ للاتصال الجنسى فقط لترضى زوجها ، ولكنها كانت تشعر ، عقب كل اتصال ، أن أعصابها مشدودة مهتاجة ، وكثيراً ما كان يهتز جسمها كالقصبة المرضوضة .

*** سؤال : هل هناك أسباب أخرى للبرود الجنسى ؟**

جواب : لعل من أسباب البرود الجنسى المهمة والشائعة هذه الأيام الخوف من الحمل .
فإن آلام الحمل والولادة قد تكون شديدة لدرجة أنها تترك أثراً قويًا فى نفس الزوجة ، وتكون النتيجة أن ترغب عن كل ما يتصل بالجنس والعلاقات الجنسية .
كما أن هناك بعض الحالات لا تكون فيها الزوجة راغبة فى الأطفال . والخوف من الحمل يجعل الزوجة زاهدة فى جميع الشئون الجنسية .

*** سؤال : هل لك أن تشرح لى أضرار الخمر بصورة مفصلة على متعاطيها وعلى أطفاله ؟**

إن الخمر يحطم مدمنه ببطء - ولكن بكل تأكيد فى الأغلب - لا مدمنهُ فحسب ، بل وذريته أيضاً ، وغالباً ما يدفع الأولاد ثمن تعاطى أبويهم له .

*** سؤال : فكيف يحدث هذا ؟**

جواب : إن المشروبات الكحولية تُحدث حين تدخل إلى الجسم تبدلات مَرَضية فى الغدد

الجنسية عند الرجل ، وكذلك عند المرأة ، والدليل على ذلك تجربة أجريت على الفئران ، فقد قُدِّم إليها طيلة عام مزيج غذائى فيها كحُولّ ، ثم ذُبحت هذه الفئران ، وشُرِّحت ، فتبيَّن أن « بيض » هذه الفئران مشبعٌ بالكحُولّ ، ومتغير بشكل كبير .

إن تعاطى المسكرات بشكل دائم يؤدى إلى انحطاط فى عمل الغدة الجنسية ، وإلى ضمورها فى أحيان كثيرة ؛ فإما أن تتوقف هذه الغدة عن فرز الخلايا الجنسية ، أو أن هذه الخلايا تكون ناقصة .

ومفهوم أنه عند امتزاج مثل هذه الخلايا يتكون الجنين ، وقد برهن العالم الإنجليزى ستوكارد أن خصوبة الحيوانات التى يُمزج علفُها بالكحُولّ لمدة طويلة ، تضعف فى حين تزداد نسبة الوفيات فى صغارها إلى درجة كبيرة . أما ما يبقى على قيد الحياة منها ، فيكون صغيراً وهزيلاً .

وتشهد الملاحظات المتعددة التى أجراها الأطباء على الإنسان أن استعمال المشروبات الكحولية يحدث أثراً ضارًا فى ذرية معاقرها ، ويتأخر معدل نمو أطفالهم منذ ولادتهم ويمرضون أكثر من غيرهم ، ويتحملون الأمراض بصعوبة أكبر . كما أن كثيراً منهم يموتون فى طفولتهم الباكرة ؛ كل ذلك علاوة على أضرار الخمر السلوكية .

وتحضرنى بمناسبة الكلام على الخمر ، القصة التالية الواقعية :

دعا شاب فئة من أصحابه إلى حفل خمر بمناسبة زواجه ، ولما طال الليل استسلمت العروس للنوم ، فى إحدى الغرف ، ولما اشتد السكر بهم ، وخاصة بالعريس ، أخذوا يتجولون فى الدار ، فشاهد أحدهم من إحدى النوافذ العروس نائمة وهى تتلألأ بثياب العرس وحليه ، فتسلل إليها ، وافترسها دون أن تشعر من شدة النوم ، وفى الصباح الباكر جاء العريس إلى غرفة زوجته فوجدها مضرجة بدمائها . . فهل من معتبر ؟!

*** سؤال : أعرف زوجاً يشكو من زوجته عدم مشاركتها له فى لذته ، فما هو السبب ؟**

جواب : قد تكون الزوجة غير مسرورة نفسيًا ، بسبب إهمال الزوج لها ، وإساءته معاملتها . وفى هذه الحال تتعذر عليها هذه المشاركة ، فعليه أن يحسن هذه المعاملة ، ويجعل زوجته سعيدة مطمئنة ؛ فإن السرور يجلب السرور ، وليست المسألة الجنسية عندها ميكانيكية ، كما هى عند الرجل فى كثير من الأحيان ؛ فالعاطفة أولاً ، والجنس أخيراً ! . .

*** سؤال : أعرف زوجة تتهم زوجها بالأنانية والقسوة ، فإنه لم يرضها طوال السنوات العشر من زواجها ، فما هو الحل ؟**

جواب : الحقيقة أنها لم تتجاوب معه فى حياتهما الجنسية ، ولو فعلت لاستطاعت إقناعه بالطريقة التى ترضيها وتسرها . . أو بالطريقة التى تجمع بين رضاهما معاً .

ولكن هذا التباعد فى التعاون الجنسى هو الذى يخلق المشاكل ، ويثير المتاعب والخلافات .

*** سؤال : ما الرأى فى الزوج الذى لا يريد من زوجته أن تشاركه لذته ؟**

جواب : ليس هذا من المنطق فى كثير ولا قليل ؛ فقد ثبت علميًا - بما لا يقبل الشك - أن الزوجة تشارك زوجها لذته دون أن يحدث قذف من جانبها - وذلك فى بعض الأحيان !

ومثل هذا يجب أن يُرضى الزوجَ فلا يطلب ما فوق الطاقة والإمكان .

*** سؤال : هل مطارحة الغرام ضرورية كتمهيد للعملية الجنسية ؟**

جواب : هذا صحيح ، وقد سمعت زوجة تقول :

التحدث عن الحب جميل لطيف ، وأمّا التحدث عن الجنس فثقيل الظل بارد . فلو كنت فى سبيلى للاجتماع مع زوجى ليلاً ، لما استعملت غير هذه الكلمة .

« سوف أطارح زوجى الغرام الليلة » أما أن أقول : إنى فى سبيلى إلى ليلة جنسية مثلاً ، فهذا ما لا أنطق به ولا أقوله .

وكذلك كان لسان حال الزوج ، فهو يفضل كلمة « حفلة حب » ، على « حفلة جنسية » .

ولما سأل الطبيب النفسانى الزوجة :

- إذًا فما الغرض من الاجتماع جنسيًا ؟

تلبَّد وجه الزوجة وقالت :

- الحيوانات يتعاطوْن الجنس ، وأما نحن - الآدميين - فنتعاطى الغرام .

وهناك الزوجة التى ترفض الحفلة الجنسية بعد استعداد سابق ، وتريدها طبيعية تأتى من نفسها بعد جلسة غرامية مشروعة عابثة لطيفة شاعرة .

*** سؤال : ما رأيك فى العادة السرية ؟**

جواب : إن للعادة السرية أضراراً جسمية ونفسية خطيرة ، خاصةً إذا أكثر منها الشخصُ ، وقد تؤدى إلى سرعة الإنزال وضعف الانتصاب عند الزوج ، إلا أن كلا الأمرين مؤقتان ويزولان - غالباً - إذا أقلع عنها مبكراً بعد ممارسة العلاقة الجنسية الطبيعية بالزواج .

وننصح المصابين بهذه العادة بالانفتاح على المجتمع ، وتصعيد رغباتهم الجنسية ، وملء وقت فراغهم بالرياضة والمطالعة وغير ذلك من الهوايات المفيدة ، وبالابتعاد عن كل ما يمكن أن يثيرهم جنسيًا ، ولا شك أن أفضل حل للمشكلة هو الزواج المبكر ، ويراجع من أجل ذلك ما كتبناه عن التسامى بالغريزة الجنسية فى أول هذا الكتاب .

*** سؤال : كيف نعلّم أبناءنا وبناتنا المراهقين الضرورى من القضايا الجنسية . وخاصة عند سؤالهم لنا ؟**

جواب : إن هذا البحث الهام قد فَصَّلْت فيه القول فى كتابى « التربية الجنسية » وهو مطبوع طبعة أنيقة ومصورة ، ولا مجال لتفصيل ما جاء فيه فى هذا المقام .

*** سؤال : هل من طريقة لزيادة حجم العضو التناسلى ؟**

جواب : أثبتت الدراسات الحديثة أنه لا علاقة لطول العضو المذكر بلذة الجماع لدى المرأة أو الرجل ، فالمهبل يتكيف مع حجم العضو مهما كان طوله ، والمرأة تجذبها شخصية الرجل بالدرجة الأولى ، لا حجم عضوه التناسلى . . كما أنه ليست هناك علاقة البتة بين طول الأعضاء التناسلية والضعف الجنسى أو القابلية للزواج والإنجاب . . ولا ننصح بالمعالجة فى هذا المجال إلا للذين يشكون مِنْ نقص فى صفات الرجولة لديهم بشكل عام ؛ مثل قلة الشعر ، ونحافة الصوت ، وصغر حجم الخصيتين .

هذا ولا أهمية لطول العضو أثناء الارتخاء ، ويعتبر كل قياس يصل ٨ - ٩ سنتيمترا أو أكثر أثناء الانتصاب ضمن الحدود الطبيعية حتما ، مع العلم أن الزيادة فى الطول تسبب مضايقات للزوجة وتؤدى إلى نفورها ، لِذا آملُ ألاّ يثير صغر العضو بين الزوجين قلقًا ونزعاً للثقة وتعكيراً للمتعة الجنسية القائمة على الحب والمهارة فى المداعبة ومطارحة الحب .

*** سؤال : ما السبب فى ضعف الانتصاب ؟**

جواب : إن الأغلبية العظمى من الشبان المصابين بضعف الانتصاب - بعد فترة كانت قواهم الجنسية فيها طبيعية - إنما يشكون من عوامل نفسية دفينة كانت السبب فى شعورهم بالنقص وعدم الكفاءة الجنسية . . قد تنتج هذه العوامل النفسية من نشأة تربوية صارمة ، كانت تزرع فى ذهن المصاب أن كل ما يتعلق بالجنس هو شر يجب تجنبه ، أو من تجربة جنسية فاشلة (وماذا يُنتظر من التجربة الأولى) وقد يكون السببُ الشعورَ بالذنب مِن ممارسة العادة السرية أو التقصير فى أداء أحد الواجبات . .

ومهما يكن السبب ، ففشل الرجل جنسيا غالبا ما يؤدى للخوف من هذا الفشل بالذات فى كل مرة يحاول الرجل فيها ممارسة العمل الجنسى ، والخوف نفسه يؤدى لمزيد من الفشل . . فتكمل بذلك الحلقة المفرغة التى يقع فيها كل المصابين بهذه المشكلة . . والعلاج يتم بتفهم المصاب لأسباب مشكلته بشكل خاص ، والتيقن أن بإمكانه ممارسة العملية الجنسية متى تحققت لديه ظروف الإثارة المناسبة دون تدخل العوامل النفسية الرادعة . . وعلى المصاب ألاّ يحاول جاهدا أن « يثبت لنفسهِ » مقدرته على العمل الجنسى ، وألاّ يركز اهتمامه بمعضلته ؛ لأن ذلك يولّد عكس المطلوب ، إنما عليه أن ينظم ممارسة الجنس بأمان على فترات محددة متباعدة ، ويوجّه اهتمامه بالدرجة الأولى إلى توفير المتعة والسعادة لزوجته بالمداعبة اللطيفة ؛ فذلك من شأنه أن يُنسيه مشكلته ويحقق له الانتصاب العفوى تلقائيا . . كما على الزوجة أن تتذرع بالصبر وأن تتفهم وضع زوجها ، وتساعده على اجتياز تلك العقبة فى حياتهما ، مع تجنب الإساءة لكبريائه قدر المستطاع بغرس الثقة فى نفسه ، مع ضمان الحياة الهادئة السعيدة .

وأكثر المصابين بالضعف الجنسى (خاصةً منهم الشباب الأعزب) يُشْفَونْ تلقائيا بعد مرور برهة قصيرة على زواجهم من فتاة متفهمة محبة .

*** سؤال : هل الحب يأتى بالزواج ، أو الزواج يأتى بالحب ؟**

جـــــواب : كلا الرأيين صحيح ؛ فقد يكون الحب دخل قلب الرجل والمرأة سواء بالمشاهدة أم الإخبـار ، فيتم تحقيقه بالزواج ، وبالزواج وحده !

وقد يتولد الحب بعد الزواج ، وما أروع ما قاله بعض الحكماء : « من النساء امرأةٌ لا جمال فِيها ، ولا سحرَ يشدك إليها ، حتى إذا قطفتها ووضعتها فوق صدرك ، أحسست بعطرها يملأ أنفك ويستحوذ على أنفك » .

*** سؤال : وكيف يتولد الحب بعد الزواج ؟**

جواب : بالمعاملة الحسنة من كِلا الزوجين للآخر والتضحية من أجله ، والحب من أحد الطرفين يُوَلّد الحب فى الطرف الآخر على الغالب ، والمتعة الجنسية وتَوافقها ، والبراعة عامل عظيم فى توليد الحب ، وعلى العكس من ذلك الجهل فى استعمالها والأنانية فيها قد يُبعِدُ الحب . .

ومهما كان من شأن الحب قبل الزواج أو بعده ، فإنه لا بد منه - على الغالب - لبقاء الزواج ، فهو يلعب دوراً هاما فى حياة الزوجين ، وهو يفيد فى تخفيف الكثير من عيوب المحبوب ومن صعوبات الحياة وضيق العيش ، وبذلك تتم السعادة وتزدهر ، وقديما قال الشاعر :

وعينُ الرّضا عن كل عيب كليلةٌ كما أنَّ عينَ السُّخط تُبدِى المَساوِيا

*** سؤال : إذا كانت الزوجة تحب زوجها واكتشفت فيه صفات لا تتفق مع مزاجها وهدفها فى الحياة فماذا تفعل ؟**

جواب : هنا تظهر براعة هذه الزوجة فى معالجة الموقف ، والصبر على هذه المعالجة ، فلا بد أن يكون النجاحُ حليفها ، وخاصةً إذا حازت على ثقته وحبه ؛ فإن الحب يولد الحب ، وهو خيرُ طريقٍ للإصلاح .

قال أحد العلماء : « الحبُّ قد يقوِّم النفوس الجامحة ، كما قد يقوِّض الدعائم ، ومن هنا برزت أهمية كيفية استعمالنا ، وكيفية فهمنا للحب » . . .

والمرأةُ ببسمَتِها الجميلة ، ومسحة الخير للجمال المنعشة من كل جارحة من جوارح وجهها إنما يمكن للإنسان أن يصوِّر مقدارَ أثر تلك البسمة الرائعة الحَنون فى نفس الرجل ، إنها تفعل الكثير ، وتحقّق الكثير . .

فالسعادة الزوجية ليست بيد الرجل فحسب ، بل هى فى يد الرجل والمرأة . كثيرات هن النساء اللاتى استطعن إصلاح أزواجهن بالحب والحكمة . .

*** سؤال : هل صحيح أَن الهريسة تفيد فى تقوية الباه الحديث : « شكوت إلى أخى جبريل ضعفى فى الجماع ، فوصف لى الهريسة ؛ فإن فيها قوة أربعين رجلاً » ؟**

جواب : إن هذا الحديث مكذوب على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد وضعه أحد باعة الهريسة من أجل ترويجها .

ويكذِّب هذا الحديث ما كان يتمتع به الرسول ﷺ من القوة الجنسية العديمة المثيل ، فقد صح أنه كان يطوف على جميع نسائه فى ليلة واحدة فى بعض الأحيان !

*** سؤال : اشرح لنا قول الله تعالى** : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٦] .

جواب : جاء فى السنن أن الباقيات الصالحات هى : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وهى ينابيع التوحيد . .

وتسميتُها بالباقيات ؛ لأنها أوصافٌ لِذات الله الذى لا ينسخ وجودَه عدمٌ ، ولا يقطع بقاءه زوالٌ ، وصفةُ الخالدِ خالدةٌ معه .

وكونُها صالحات - لأنها بجانب ما فيها من رواء - ضمانٌ لفلاح قائلها ، وضياء يتألق بين يدى المؤمن يوم اللقاء الأخير . .

ومَن ألفَ ذكر الله فى هذه الدنيا كانت عودته إليه أبعد ما تكون عن الوحشة والجفاء ، وأقرب ما تكون إلى الأنس والبشاشة .

إن الإنسان يحب كثرة الأموال والأبناء ، ويرى فيهما متعته ومَنَعته .

وهذه طبيعة غير منكرة ولا محقورة ، ما دام يصحبها حسن القصد وشرف الهدف . .

وغايةُ ما يُطلب من الإنسان ، ويذَكَّر به إذا غفل عنه : ألاّ ينسيه الوجود المؤقت على ظهر هذه الأرض الوجودَ الدائم الذى ينتظره بعد هذه الحياة . .

وإذا سرَّه فى حياته العاجلة أن يكون سعيدًا مَكيناً ، فأبهجُ مِن ذلك وأعظمُ أن يكون فى الآخرة أسعد وأمكن ، وسبيلُه إلى ذلك الباقيات الصالحات ، ولا يقتصر معنى الباقيات الصالحات على التسبيح والتكبير والتحميد فقط ، بل معناها أوسع من ذلك أيضاً ، فهى الأعمال الصالحة كلها .

*** سؤال : وما معنى هذه الباقيات الصالحات ؟**

جواب : لنتدبر معانى هذه الكلمات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

« تسبيح الله هو : تنزيهه عن كل نقص ، ومباعدته عن كل عيب ؛ فلا يستشعر الإنسان مع ذات الله إلا كل جلال وجمال .

والمؤمن هو الذى يحسُّ ذلك ويألفه ، وهناك - ويا للأسف - كثير من الناس ينسب لله ما لا يليق به ، بل هناك من ينكر وجوده أصلاً ؛ كالأعمى الذى يعيش من ضرارته فى ظلمة دائمة ؛ فهو ينكر الضوء ولا يعترف بوجوده ، واللهُ منزه عن جحد الجاحدين وجهل الجاهلين .

إننا ومَا حولنا أثرُ وجوده تعالى ، ومَن ظن أن النار التى تشتعل فى الشمس قد صنعت نفسها ، أو الرقة السائلة فى الماء أو النضرة الشائعة فى الزرع ، أو سائر ما نرى ، وما لا نرى من خلق الله ، مَن ظن ذلك قائمًا بنفسه فهو مزوِّر كبير ومبطل وقح ، والقرآنُ الكريمُ عندما يردُّ مزاعم المشركين يُصوِّر الألوهيةَ التصويرَ الذى يدفع الجاهلين والجاحدين جميعاً : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا

إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٢ : ٤٤] .

إن الإله الذى أعطى الأفلاك ضخامتها وسعتها ، وأعطى العقول خفاءها وذكاءها ، لا يمكن أن يكون مماثلاً لشىء نعهده . تصوَّرْ أن يكون له شريك فى المُلك أو ولىّ من الذل كيف ؟! والوجود من أوله لآخره فقير إلى إله قائم به . . » [عن كتاب ركائز الإيمان بقليل من التصرف والاختصار للأستاذ محمد الغزالى] .

وفى تكوين مخلوقات الله العظيم - وفى مقدمتها - الجنس ومتعته - موضوع بحث هذا الكتاب - والأم وحنانها ، والأب ورحمته ، والزوجة ورقتها ، والزوج وعطفه ، والأطفال وزقزقتهم . . كل ذلك ، وغيره كثير ، يشهد بعظمة الله .

فما أجهلَ ، وما أظلم ، وما أحمق من يتركه ويستغيث بغيره فى الشدائد ، فيرتمى على القبور ويتمرغ بترابها ويسأل من فيها من الموتى ويَنْذرُ لهم ويذبح لهم ، وهم لا يملكون لأنفسهم - لمّا كانوا أحياء - نفعاً ولا ضرًّا ، فكيف بعد موتهم ؟! وقد صور سبحانه من يفعل ذلك فى قوله ساخراً منهم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] .

ومِن أغرب ما سمعناه أن إحدى الأمهات ذهبت إلى قبر أحد ما يُسمَّى وليًّا تستغيث به وتقول له : « احمل مع ابنتى هذه الليلة حيث تزف إلى عريسها »! فيا للحماقة والجهل والإهانة لهذا الولى ! مع العلم أن الولى لا يعرفه أحد ولا النبىّ ﷺ إلا اللهُ تعالى وحده . . فمن قال عن شخص إنه وليُّ لله ، مهما ظهر من صلاح عمله ، فهو كذاب مفترٍ ؛ فالأمر يتعلق بالإخلاص ، الذى لا يعرفه إلا الله تعالى .

* سؤال : هل للأزياء المعروفة بالموضات مساوئ وأضرار ؟

جواب : لهذه الأزياء أضرار ومساوئ خلقية ومادية ؛ فإنه لا ينكر أحدٌ الأثرَ الواضح للأزياء التى تبرز جسم المرأة فى مظهر فاتن مثير .

فهذا اللون من الأزياء أولُ باب يدعو إلى الفوضى الجنسية ؛ فالمفروض أن المرأة لا تصنع ذلك إلا دعوةً ولفتَ نظر ، أو على أقل الفروض رغبةً فى الظهور والفوز بالإعجاب ، وهذا يلفت نظر الرجل الجاهل فيتطلّع إليها ، ولا يملك نفسهَ من ترديد النظر ، يُشعِر نفسَه أنه أخذ حقه من الفتنة المعروضة والجمال المباح .

فإنْ هو وجدَ بعد هذا مجالاً للوصول إليها تقدم . . وإلا بقى مُثار الغريزة ملتهِبَ الحواس .

والشبابُ هم أشد الناس شقاءً بهذه الفتنة ؛ فلا يملك الشاب أن يشعر بشىء من الاستقرار أمام هذا التيار الشديد ، إنه لا يستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن الجسد ، ببصره ، فضلاً عمَّا تطالبه به غريزته من الامتلاك والاستمتاع .

فماذا يفعل الشاب أمام الفتنة ؟

إما أن يصل (فيقع فى الإثم ويعرِّض نفسه للأمراض) . . . وإما أن يرجع خاسئا وهو حسير . .

فهل نعلم أن ذلك يرهق الأعصاب ويُشقى النفس ويصرف عن الجد والإنتاج؟ .

وهل نعلم أن الطرقات والمجتمعات إذا خلت من هذه الأزياء المثيرة ، خفَّت نسبة الجريمة وهدأ تيار الانحراف ؟

ولكن هذا كله ليس فى حساب من يعملون على تعميم الأزياء الأوروبية والأمريكية وغيرها . . على حساب أمن المجتمع وسلامه .

وكل حين تظهر « موديلات » تحدث ضجة مفتعلة وأحاديث لاغية .

فمثلا . . يصمم أحد العابثين فى الغرب زيا يطلق عليه اسمًا غريباً ، فتتلقفه العابثات عندنا بتقديس وإجلال ، وسرعان ما يغزو كل بيت ويظهر فى كل شارع . . إنها عدوى اجتماعية . . فإذا استطاعت بعض النساء الصمود بالعودة إلى التستر والصون ، فإن موجة التميع والانحراف آخذة فى الهدم للأسف .

* **سؤال** : هل من حل لهذه المشكلة ؟

جواب : إننا ندعو إلى إقامة « بيوت أزياء » تصمم لنسائنا مختلف أزيائهن فى مختلف أنحاء الأرض ؛ فالمرأة الصالحة لا بد أن تتميز بعفافها واستقامتها وقيامها بواجبها ، إنسانة نبيلة ، لا أنثى فاجرة تُشيع فى المجتمع الفتنة والوبال .

وتستطيع بيوت الأزياء هذه أن تصمم زى الطالبات بما يتَّسِق وروح العلم والجد ، وزى العاملات اللاتى تضطرهن الظروف للكدح والكسب ، وزى الخروج لربات البيوت ، وغير ذلك من احتياجات المرأة .

وتستطيع هذه البيوت أيضا ، أن تجمع فى تصميمها بين التستر وبين الأناقة والذوق ، فما دام الزى بعيدا عن جو الفاحشة والإغراء . . فهو زى يُقِرُّه الإسلام ويرضاه .

وفى رأيى أن هذه الخطوة كان ينبغى أن تكون موضِعَ التنفيذ من عشرات السنين ، بدلاً من العويل والبكاء على أزياء النساء ، الذى سمعناه ولا زلنا نسمعه ، بلا جدوى ولا غناء .

* **سؤال** : كيف يختار الشاب زوجته ؟

جواب : تحدثنا فى أول هذا الكتاب عن ذلك مفصلا ، وقد تخيل الشاعر المبدع الأخ مصطفى عكرمة حواراً بينه وبين أمه ، أوضح فيه مطلبه ، رافضاً بلطف المظاهر الجوفاء الظاهرية التى تُخفِى وراءها أحياناً النفوس الشَّريرة ، فقال :

طالب زواج

جاءته بعد الجهد قائلةً له : أَبشر بُنىَّ ظَفَرْتَ بالمتعلمه
شقراء دون العشرين منمنمَه وقوامها !! يا حُسْنَه ما أقومَهْ !
« ميسون » أجمل ما رأت عينُ امرئٍ والوجنتان غض بهن العندمَ
عينان ضاحكتان ما أحلاهما سبحانَ مَن صاغَ الجمال وتمَّمَه !
ما أروع « المكياج » ضاعفَ حُسْنَها ويزيد سحر الحسن وهْىَ مهندمه
داران فى أرقى الشوارع عِندَها ومِن النفائس كلِّ دارٍ مُتْخَمَه
أمّا أبوها لو علمتَ مقامه كُبراء قومك ترتجى أن تخدمَه
والأم مُذْ عرفتْ مرادى تمتمتْ وأنا التى أدرى بتلك التمتمه
ومُنَى فؤادى أنتَ أدرَى بالذى يرضى .. وأنت بُنَىَّ أهل المرحمه
فاختم بأشهَى ما تمنى عُمْرُهُ واقْبَلْ بها إن شئتَ لى أن تختمه
ما لِى أراكَ كما عهدتُكَ صامتا هل يُرضينك أن أظلَّ محطَّمَه !
- أمّاه ما يرضيكِ ، رُوحى دونه هيهات قلبكِ أن أعقَّ وأظلمه

أمّاه شوقي لا يُحَدُّ لزوجةٍ ... إنْ همتُ ، أو قصّرتُ كانت مُلهِمه
- ميسون لا تُكْمِل .. أقلُّ صفاتها ... تكفى .. فكيف وقد علمت متمِّمَه !!
- أمّاه لى أملٌ ، وما أملى سوَى ... جيلٍ يُعيد لنا حياةَ المكرمه
ميسونُ عاشت للنعيم ، ولم تزلْ ... أدْنَى مُنَاها أن تكونَ منعَّمَه
أمّاه ما أرجو ، وترجو أمَّتِى ... ما كانَ إلا فى زواجِ المؤمِنَه

*** سؤال : هل من فائدة للمرأة من ماء الزوج ؟**

جواب : أجاب عن هذا السؤال الدكتور محمد زكى الشافعى فى كتابه : (الأزمات الزوجية وعلاجها) فقال :

« ليعلم الرجل أن المرأة قد يمتص جسمها من مفرزاته ما قد تستفيد منه ما يجعلها تشعر بالسعادة والهناء ، ويزيد من نشاطها ، ولذلك يلزم ألاّ تستعمل الأجربة (كبوت) المانعة للحمل كثيراً » .

*** سؤال : ما هى الأمراض التى قد تضر الزوجة إذا حملتْ وتدعو إلى استخدام الوسائل المشروعة لمنعه ؟**

جواب : المرض الدائم ، أو التهديد بالمرض ؛ كالأمراض النسائية ، وبعض أمراض القلب والدم والرئتين والكلى ، والسل الرئوى ، والسكر ، وفقر الدم الخبيث ، وأمراض الغدد الصماء ، والأمراض الزهرية الحادة ، وضيق الرحم ، وارتفاع ضغط الدم ، والإجهاض المتكرر ، والجنون .

*** سؤال : هل من ضرر فى الإفراط فى الاتصال الجنسى على الجسم ؟**

جواب : نعم ! ولكن قد يكون الدافع الجنسى لدى بعض الناس قويًا ، فكبتُه قد يؤدى إلى أمراض نفسية . ولكن يمكن لصاحب هذا الدافع أن يتسامى بغريزته الجنسية فى أعمال نافعة كالمطالعة والرياضة والعبادة المتزنة .

*** سؤال : هل من ضرر من استعمال الغشاء الواقى (الكبوت) لمنع الحمل ؟**

يستعمل بعض الأزواج الغشاء الواقى كأحد الطرق لتحديد النسل ، حيث إنّه يمنع الحيوانات المنوية من الوصول إلى عُنق الرحم أثناء الجماع ، وهذه الطريقة لا تخلو من بعض الضرر ، حيث إنه قد يحدث الحمل إذا كان بالغشاء الواقى ثقبٌ صغير لا يُرَى بالعين ، كما أن الغشاء الواقى يقلل من حساسية جلد حشفة العضو التناسلى ، فيؤدى إلى تأخير القذف بعض الشىء ، إلا أنه قد يؤدى إلى حالة مِن عدم الإشباع الجنسى الكامل عند الزوج ، وعند الزوجة أيضاً ، مما قد ينتج عنه بعض القلق والاضطراب النفسى فى حالات كثيرة .

*** سؤال : هل من ضرر من القذف خارج المهبل ؟**

جواب : أما بالنسبة للطريقة الأخرى المتبعة لتحديد النسل ، وهى القذف خارج المهبل ، فلها عدة مضار بالنسبة للزوجين ؛ إذ لا تعطى الزوجَ فرصة الإشباع الجنسى الكامل ، حيث إنه يضطر إلى عدم إكمال الجماع بالقذف خارج المهبل ، وإذا أخطأ التوقيتَ ؛ فإن نزول السائل المنوى ولو على هيئة قطرات قليلة منه يؤدى إلى الإنجاب . وهذه الطريقة أيضاً تؤدى إلى احتقان الأعضاء التناسلية عند الرجل وما يصاحبه من أعراض القلق والاضطراب النفسى ، بالإضافة إلى عدم إشباع رغبة الزوجة ، وهذا بدوره يؤدى إلى احتقان الجهاز التناسلى للأنثى ، وآلام بالظهر ، وفقدان الرغبة فى الجماع الجنسى ، وما يترتب على ذلك من اضطراب نفسى ، مما يثير الخلافات المستمرة بين الزوجين ، وعدم استقرار حياتهما .

ونلاحظ أنه بالنسبة للزوج - كما ذكرنا - فإنه يصاب باحتقان فى الأعضاء التناسلية والذى يبدو

على شكل آلام بالخصية والعانة نتيجة احتقان البروستات ، ويصاحب ذلك توتر فى الجهاز العصبى وعدم القدرة على التركيز ، ولذا يجب تجنب هاتين الطريقتين كوسائل لتحديد النسل .

*** سؤال : ما هو شعار الفتاة المؤمنة ؟ وما هى صفاتها ؟**

جواب: جاء كل ذلك فى أبياتٍ للشاعر الملهَم الأخ مصطفى عكرمة نذكرها فيما يلى:

أنـا الإسـلامُ أدَّبَـنِـى ... وبـالإيـمـان كـرَّمَـنِـى
فـعـشـتُ الـعُـمْـرَ هـانـئـةً ... بـعـيـداً عـن لـظَـى الـفِـتـن
بـإسـلامـى سَـمَـتْ رُوحـى ... وصُـنـتُ بـشَـرْعِـه بَـدَنِـى
كـتـابُ الله لـى نـورٌ ... بـأصْـفَـى الـحـب يـغـمُـرُنـى
فـيُـنـسـيـنـى هَـوَى الـدنـيـا ... ولـلـجَـنَّـاتِ يـحـمـلُـنِـى
بَـرِبِّـى عـلـقـتْ عـيْـنِـى ... فـأرقُـبُـهُ ويَـرْقُـبُـنِـى
إذا الأهـواءُ نـادَتْـنِـى ... حَـيـائِـى مـنـه يـمـنَـعُـنـى
أجِـلُّ الـنـفـسَ أن تَـصْـبُـو ... لأَمْـرٍ لاَ يُـشَـرِّفُـنِـى
أَلَـيْـسَ الـلـهُ أوجَـدَنِـى ... لأَبْـنَـى قـادةَ الـزمـن !!

*** سؤال : ماذا تفعل المرأة إذا كان دَخْلُ زوجِها محدوداً لا يكفى حاجات الأولاد ونفقات البيت ؟**

جواب : لا ينبغى أن تفكر المرأة بالعمل خارج البيت إلا للضرورة الشديدة ، خشية إهمال واجبات الزوج وتربية الأولاد الجسمية والنفسية ، وفى ذلك تدمير للأسرة وللمجتمع ، ولله دَرُّ القائل :

وإذا الـمـعـلـمُ ساء لَـحْـظَ بَـصِـيـرةٍ ... جاءتْ علَى يدِهِ البصائِرُ حُوَّلا !!

والأمُّ هى المعلمة الأولى .

وإنى أنصح الزوجين فى حال الحاجة إلى المال لسد العجز ، باللجوء إلى إدخال صنعة خفيفة إلى البيت ، تعمل فيها المرأة ، كالأنوال اليدوية أو الكهربائية الصغيرة لأنواع النسيج المختلفة ، وقد نصحتُ بها بعض الأسر المحتاجة ، فنجحت نجاحاً تامًا دون إهمال للأولاد ، وكم أتمنَّى مساعدةَ هذه الأسر وحماية منتجاتها وصادراتها ، على أن يتولى الزوجُ تصريفَ الإنتاج فى أوقات فراغهِ .

*** سؤال : ما الفرق بين المداعبة والمغازلة ؟**

جواب : هناك فرق كبير ؛ فلا ينبغى للزوج الاقتصار على الأولى ، بل لا بد أن يُتبعها بالثانية ؛ وذلك بالثناء والإعجاب بجمال الزوجة ولطفها ومفاتنها .

ولهذا التغزل فوائد للمرأة ، حتى عقب الانتهاء ، فلا ينبغى أن يستسلم للنوم بعده . والحذرَ الحذرَ من الصمت ، وإذا قال الحكماء : « الصمتُ حِكْمَةٌ ، وقليلٌ فاعِلُه » فليس كذلك عند الجماع أو فى بدايته . ولنا فى الطير درسٌ أو دروس ؛ فهو يطوف حول أنثاه مِراراً ويغنى لها كثيراً قبل البداية ، ولنا فيه نعم المعلم ؛ فسبحان الملهم .

يشكو كثير من الأزواج من البرود الجنسى لدى زوجاتهم ، وهُو ما لم يشاهد عند الطيور وغيرها ، وكل ذلك نتيجة للجهل والقصور والغفلة من الرجل على الغالب .

فالمفتاح : التغزل والثناء والمداعبة ، وقد قال شوقى :

خـدعـوهـا بـقـولـهـمْ حَـسْـنـاءُ ... والـغـوانـى يَـغُـرُّهُـنَّ الـثـنـاءُ !

*** سؤال : هل لك أن تصف لنا نموذجاً من المغازلة بين زوجين ؛ فإن كثيراً من الأزواج جامدو العاطفة . .**

جواب : يصعبُ ذلك ، والمغازلة موضعٌ للأسرار ، ولِكَلٍّ أسلوبه ومهارته حسب زوجته ، وهناك قصائد غزلية يمكن الاطّلاع عليها .

وأذكر على سبيل الطرافة والتندر موضوع دجاجة تتغزل بزوجها الديك ، وتُثنى عليه ، يمكن لبعض البشر الانتفاع من بعض الحيوانات ؛ فكم كان الانتفاع من مغازلتها !

وأذكر بهذه المناسبة أنه يحسن أن تكون هذه المغازلة متبادلة أيضاً بين الزوجين ، لا من أحدهما فحسب ، وإنى أنصح الزوجة بهذه المناسبة أن تكون ماهرة فى الإيحاء لزوجها بأنه قوى . . وبطل . . والحذَر الحذرَ من أن توحى إليه - ولو مزاحاً - بالضعف والعجز فسرعان ما يتأثر بذلك (غالباً) عن طريق اللاشعور والعقل الباطن ، وخاصَّةً إذا كان ضعيف الإرادة سريع التأثر الخارجى ، ويحصل ذلك كثيراً فى الليالى الأولى من العرس ، فإن أكثر ما يحدث من فشل هو نتيجة ذلك الإيحاء من قِبَل أصدقاء الزوج أو أهله ، أو من نفسه - ويا للأسف . وأشير بهذه المناسبة أيضاً إلى أن كثيراً من حوادث العجز الجنسى سببه غالباً نفسى ؛ فالانتباه الانتباه .

فيا أيها الزوج ، لقد أمدك الله العظيم بقوة ؛ فكن عظيم الثقة بنفسك ، واسأله سبحانه على الدوام العافية والقوة الدائمة . . .

والآن إلى الدجاجة . .

دجاجة تتغزَّل بزوجها وتُثنى عليه !

١ - لقد شغفنى زوجى حبًّا ، وتملَّك كلَّ جارحةٍ من جوارحى ، ولو كان لى أن أقتطع من لحمى شطراً وأُطعمه إيّاه لفعلتُ ، ولو كان لى أن أكسوه أجمل ثيابى لما ترددتُ .

٢ - ولِمَ لا أفعل كل ذلك ؟ إنه لمثال المروءة والكرم والحنوِّ والحب ؛ إن وقع على حبة سمينة دعانا إليها وآثرنا بها دونه ، وإن سقط على شربة ماء توقف واستقدمنا لنبدأ بالشرب قبله ، وإن سمع صوتاً مفزعاً انتفخت أوداجه وتصلبت أعصابه ، وثار الدم فى وجهه ، واستعد للقاء المكروه بنفسه ، ولو جاء المكروه من أكبر مخلوق وأقسى معتدٍ لكان موقفه موقف المدافع الذاب عن حماه ! فليت شعرى أى مخلوق يقف منا هذا الموقف النبيل !

٣ - وجماله فتنةٌ لا مثيل لها ، وصورته سحرٌ لا يشبهه شىء ، أود أحياناً أن ينقلب جسمى كله عيناً واسعة الحدقة ؛ لتستمتع بجماله ؛ ولتغترف من حسنه ما شاء لها أن تفعل . وكم أود أن ينقلب جسمى كله أذنا واسعة مرهفة لتتلقف صوته الجميل ولتستمع إلى أناشيده الرائعة وغنائه العذب .

٤ - أما ذلك العرف القرمزى اللين الذى يتدلى من مفرقه ؛ فقطعة فنية من صنع خالق عظيم قادر ، وأما ذلك العنق الطويل الوسيم الذى يشبه الغصن المنثور وقت ازدهاره ، وأما ذلك الفم الجميل الدقيق الذى أودعه الله أعذب لسان ، وأما ذانك الجناحان الملونان بأجمل الألوان ، وأما هاتان الساقان الدقيقتان ، وتلك الأصابع الزمردية ، وتلك الأظافر العاجية ، وتلك المشية المتهادية فصنع خالقٍ جميلٍ أحبَّ الجمال ، فطبع خلقه بطابعه ، فجاءوا أجمل مخلوقات من صنع أجمل خالق .

٥ - ما أبهجَ صبحنا حين يخرج زوجنا من مخدعه ، ويمشى مشية المُدِلِّ بجماله ، ويصعد فى أعلى مكان ؛ ويفتنُّ فى الإنشاد والشدو فى صوت هو السحر الحلال ! إنّا لنخرج فى الصباح ، ونقف ذاهلات من فرط ما نشعر به من روعة ونشوة ، وكم نتمنى أن يقف الزمان فى تلك اللحظة ليستمر ذلك الصوت فى نغماته [1] .

---

(١) نقلاً عن « مذكرات دجاجة » للكاتب إسحاق موسى الحسينى .

*** سؤال : هل يفسد الحب بالجماع ؟**

جواب : يفسد إذا كان عن غير طريق الزواج المشروع ، وذلك لأسباب منها : أن الباب المفتوح أمام المحبين للتنقل ، وهذا يسبب لهما السأم والملل . . . زد على ذلك أن مثل هذا الحب يحملُ معه مِعْوَلَه ؛ إذ الرجل لا يأمن من محبوبته أن تحب غيرَه فيهجرها إلى غيرها ، ولا يفكر بعقد حب دائم معها . .

وما أحسنَ ما قاله الإمام ابن القيم : « . . إن الجماع الحرام يُفسد الحب ، ولا بد أن تنتهى المحبة بينهما إلى المعاداة والتباغض والقِلَى ، كما هو مشاهد بالعيان ، فكل مَحبة لغيرِ الله آخِرُها قلى (أى هجر) وبغض ، فكيف إذا قارنَها ما هو مِن أكبر الكبائر ، وهذه عداوة بين يدى العداوة الكبرى التى قال الله تعالى فيها : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

وأما الجِماع المباح ؛ فإنه يزيد الحبَّ إذا صادف مرادَ المحب ؛ فإنه إذا ذاق لذته وطعمه ، أوجب له ذلك رغبةً أخرى لم تكن حاصلة قبل الذوق ، على أن المحب للشىء متى أفرط فى تناول محبوبه : نفرت نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية » . [روضة المحبين ص ٨٧ - ٨٨ بتصرف]

*** سؤال : هل بالإمكان التحدث عن تشريح علمى لعضو التذكير والتأنيث ؟**

جواب : ننشر فيما يلى مقطعَ كلٍّ منهما معَ شرحٍ سريع ، كل ذلك بأسلوب علمى مع بعض المعلومات الأخرى الضرورية لهذا البحث الهام .

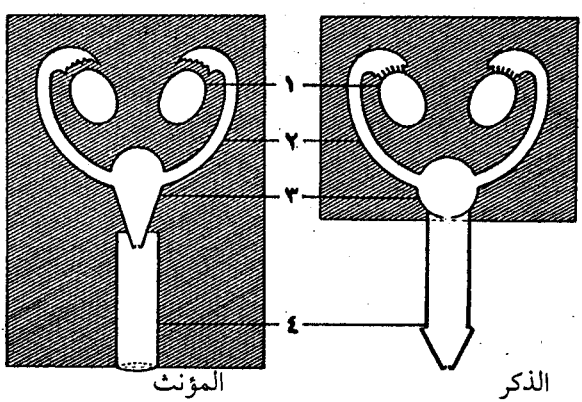

الشكل رقم (١)

١- الخصية	١- المبيض
٢- الأسهر	٢- النفير
٣- بروستات	٣- الرحم
٤- القضيب	٤- المهبل

عضو التناسل عند الذكر (القضيب) :

وهو العضو الذى يشبه الأنبوبة ويمر فيه السائل التناسلى (المنى) - من الذكر إلى الأنثى .

الخصيتان :
وهما غدتان صغيرتان تكونان فى حجم (البليتين) الصغيرتين قبل البلوغ .

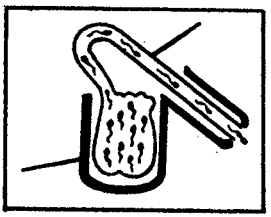

الشكل رقم (٢)

مقطع طولى لقضيب الذكر وخصيتيه

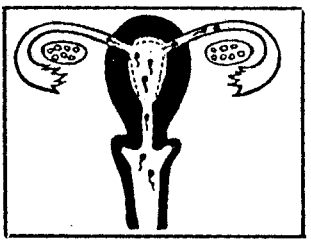

شكل (٣)
مقطع طولى فى عضو التأنيث عند المرأة وبه يظهر المهبل والبيوض

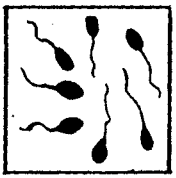

شكل (٤)
الحيوانات المنوية الموجودة فى ماء الرجل والتى تلقح البويضة

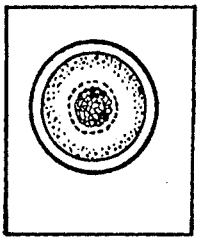

شكل (٥)
صورة مكبرة للبويضة التى تلقح بالحيوانات المنوية عندئذ

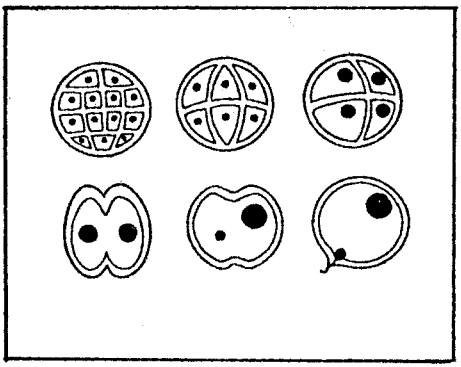

شكل (٦)

يصف هذا الشكل التحولات التى تطرأ على الخلية والبويضة
حتى تصبح طفلا بقدرة الله تعالى العجيبة
انقسام بويضة المرأة بعد تلقيحها بالحيوانات المنوية
للرجل لتكوين أعضاء الطفل المختلفة

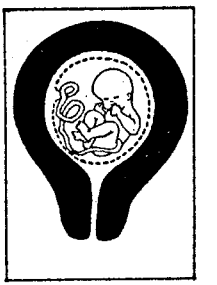

شكل (٧)

الطفل فى بطن أمه، وهو يتغذى بوساطة الحبل الذى يظهر فى الصدر

شكل (٨)

صورة توضح كيفية خروج الطفل من بطن أمه بيد القابلة أو الطبيب

*** سؤال : ما هى مقدمات إزالة غشاء البكارة ؟**

جواب : إن المغازلات والمداعبات الطويلة لا بد منها قبل الإقدام على إزالة غشاء البكارة ، وذلك لأن الغدد تفرز سوائل نتيجة ذلك ، وتنتصب المناطق الحساسة وتتهيج ، فيسهل على القضيب الولوج فى المهبل بعد أن تَرَطَّبَ وأصبحَ مَرِنًا .

*** سؤال : ما هى أوضاع إزالة غشاء البكارة ؟**

جواب :هناك أوضاع لإزالة غشاء البكارة ، نذكر منها :

الوضع الأول : أن تستلقى المرأة على ظهرها وتطوى فخذيها المنفرجين إلى أن تلتصقا بكتفيها ، فبذلك ينفرج الشفران الصغيران ويسهل الإيلاج . وهذا الوضع هو الوضع الحديث .

الوضع الثانى : أن يستلقى الرجل على ظهره ، وتوازن المرأة على قضيبه المنتصب ، وتضطره للهدوء ، حتى تأتى بالحركات التى تسمح لها بكل التحفظات الممكنة ، وتدخل القضيب بكل دقة وهدوء .

وهذا الوضع أول وضع استعمله الإنسان ، كما ظهر من الكتابات والصور القديمة ، كما أنه يفيد بعض الرجال المتعَبين [١] . [عن كتاب حياتنا الجنسية بتصرف] .

*** سؤال : ماذا نقول للأب إذا كان غاضبا من ولده حتى يرضى عنه ؟**

جواب : دخل الأحنف بن قيس على معاوية فقال له : ماذا تقول فى الولد يا أبا عَمْرٍو ؟ فأجاب : ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحنُ لهم أرضٌ ذليلة وسماء ظليلة ؛ فإن طلبوا فأعطِهِمْ ، وإن غضبوا فأرْضِهِم ، يمنحونكَ ودَّهم ، ويحبونكَ جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا ؛ فيَمَلّوا حياتك ، ويحبوا وفاتك . فقال معاوية : للهِ أنت يا أحنف ؛ لقد دخلتَ علىَّ وإننى لمملوء غضبا على ولدى يزيد ، فسللتَه مِن قلبى .

---

(١) هذه المعلومات الهامة من أين يحصل عليها الشاب أو الشابة الصالحان ، إذا كان أبوهما أو أمهما لا يجرؤان على التحدث معهما فى هذا الموضوع ، مما قد يسبب لهما الفشل أو النفور أو الاغتصاب . . فهل نُلام على صراحتنا ؟!

سؤال : هل للقُبلة أمراض صحية ؟!

جواب : نعم إذا كان أحد الطرفين مصابًا بأمراض صدرية ، ونزلات معوية ، والتهابات الكبد ، وأمراض الكلى والمعدة ، والبنكرياس ، وأمراض اللثة والأنفلونزا وغيرها .

ومما يؤسف له أننا - نحن العرب - نتميز عن غيرنا من الشعوب بحدة المشاعر والعواطف ، وبشدَّةِ التعبير عنها . . فعندما يقابلُ أحدنُا الآخرَ فى الشارع أو المنزل ، أو فى أى مكان ، فإنهما يتبادلان القُبُلات ، ولكن ، أما آن الأوان أن نستبدل بها عادة أخرى : وهى الاكتفاء بالمصافحة ؟!

من أجل كلِّ ما سبق من محاذير القبلة ، وغيرها من المحاذير العاطفية الخطيرة ، نهَى الإسلام عن القبلة إلا بين الزوجين فى حال معرفة كل منهما بسلامة الآخر ، وبين الأخوة والأخوات فى مناسبات نادرة ؛ كالمجيء من السفر ، وكذلك بين الآباء وأبنائهم وبناتهم الكبار فى بعض الأحيان ، كل ذلك فى الحال السابقة من السلامة .

ولعلِ تقبيلَ اليد مثلُ تقبيل الوجه ، خاصة من قبل الأبناء للآباء ، صباح مساء وعند كل لقاء ، مما فيه ذلٌ لهم ممّا لم يعرفه السلف الصالح ، ولو كان خيراً ما سبقناهم إليه . . وقد أمرنا الرسول ﷺ بالاكتفاء بالمصافحة وحثَّ عليها وذكر أنها وسيلة لِمَحو الذنوب بالكرم الإلهى .

وننقل فيما يلى المقال التالى ممّا فيه عبرةٌ لمن يعتبر ، خاصة من النساء اللاتى لا يعرفن التحية إلا بالقُبُلات ، ولو أدت إلى الهلاك الجسدى ، والعشق الشاذ ! والمقال بعنوان « مريض بالزهرى دون اتصال جنسى! ».

دهش المريض بعد أن جرى الكشف عليه نتيجة التحليل الذى أجرى له ؛ فقد كان مصابا بمرض تناسلى . . وكان مصدر الدهشة أنه لم يعرِّض نفسه لما يمكن أن يصيبه بهذا المرض . . وهو لم يتزوج بعدُ ، ولم يرتكب فاحشة.

إذن من أين جاءه هذا المرض ؟!

فأجابه الطبيب بكل ثقة وتأكيد : عن طريق التقبيل . وأخذ يشرح له هذه الحقائق :

تُسبب القبلة دون شك كثيرا من الأمراض العامة ، التى يكون التنفس أو النفس هو الوسيلة الأولى لنقلها ونشر عدْواها بين الناس ؛ مثل الأنفلونزا والبرد ، والدفتريا ، والالتهاب السحائى ، والتهاب اللوزتين . . أما الأمراض التناسلية فتنتقل أيضا عن طريق التقبيل ، وأهمها : مرض الزهرى ؛ إذ إنه لو كان يحمل الطور الثانى للزهرى ، فإننا نجد الشخص مصابًا بما يسمَّى « اللطخ المخاطية » وهى لُطخ بيضاء زرقاء تشبه الغشاء الرقيق المحدد على الأغشية المخاطية للفم . وقد تكون هذه اللطخ على اللسان ، وتتقرَّح لتكوِّن ما يُسمَّى « قُرحة مسار الثعبان » ، وتكون مليئة باللولبيات الزُّهرية التى تصيب من يلامسها .

ويدخل اللولب إلى ما تحت الغشاء المخاطى ؛ ليكوِّن - بعد فترة الحضانة - القرحةَ الزهرية الأولى . ولا يفوتنا هنا أن نقرر أن هذه القرحة الزهرية الأولى تكوِّن حوالىٰ ستة فى المائة من مجموعها مِن أعضاء غير تناسلية مثل الشفتين واللسان والحلق .

*** سؤال : حدِّثنا عن القبلة من الناحية العاطفية ؟**

جواب : يجب أن نلاحظ أنه لا عبودية فى العلاقة العاطفية ؛ فإن عبيدَ الحب ككل العبيد سرعان ما يطالبون بحريتهم ، وإن غريزة حواء تفرض عليها بعض التمنع والتدلل ، ولكن المرأة الذكية تعرف كيف توازن بين تمنُّعها ورغبتها . وقد ترى الزوجات أن مجرَّد التلميح بالرغبة يتعارض مع كبريائهن ، أو لا يناسب المرأة العصرية ، ولكنى أقول ردّا على ذلك : إن الرجل يفسر هذا التصرف من جانب الزوجة على أنها مصابة ببرود جنسى .

إن القبلة هى ترمومتر يستطيع به الزوج أن يقيس درجة حرارة الحب ، فإن كانت غير مرغوبة من جانب الزوجة ، وإن كانت تسبب لها ما يشبه الغثيان ، فإن هذا - فى رأيى - يعنى نهاية الحب بينهما .

إن العلاقات العاطفية ليست كالعقائد الدينية ، مبنية على أساس التوحيد ، فما يعنى السرورَ لأحد من الناس ، قد يعنى النفورَ لآخر . . إذ إن البعض قد تسرُّه القبلة فى العينين ، بينما يعتبرها البعض الآخر بمثابة « قطرة » أو « مرهم » ؛ ضرورة غير مرغوب فيها ، ويجب إزالة آثارها فورا .

هذه هى القبلة فى حياتنا الزوجية : جميلة ، وردية ، مطلوبة ، ضرورية . . ولكن أضرارها من الناحية الفسيولوجية كثيرة .

*** سؤال : ما هى هذه الأضرار ؟**

جواب : إن تكرارها بعمق دون إتمام المعاشرة قد يسبِّب احتقاناً شديداً فى الأعضاء التناسلية عند المرأة ، تنجم عنه شكوى من الإفرازات المهبلية ، وأحيانا زيادة آلام الدورة الشهرية ، تستمر بضعة أيام قبل حدوث الدورة . . وهذا هو ما يسمَّى : عُسْرُ طَمَثٍ احتقانى .

وكذلك يضرُّ بالزوج أيضًا ، فيسبب له احتقانًا فى الأعضاء التناسلية ، والجهاز العصبى ، فعليه ألاَّ يُكثرَ مِن المداعبات العنيفة والقُبُلات الحارة الكثيرة إذا كان لا يودُّ إتمام العملية الجنسية . . والقبلة قد تكون مصدرَ حياةٍ للطفل .

كيف ؟ . . إن الطفلَ المولودَ حديثًا ، قد يكونُ له نصيبٌ كبير من القبلات . . يحصل عليها بالضرورة إذا وُلد مصابًا بحالة أسفكسيا زرقاء . . عندئذٍ ، فإنَّ نفخ الزفير برفقٍ مِن خلال فمِ الوليد بواسطة الطبيب المولِّد ، قد ينقذه من الموت ، ولذلك سُميت قبلة الحياة .

ونختم بحث القبلة بأبيات زجلية لشيخ الزجالين « أبى بُثينة » لعلَّ فيها عبرة لمن يعتبر :

البوس صبخ حَدا كلّ الناس ... عباده لكن بايخه ولعنه
خُدودنا مِيت مرَّة بتنباس ... فى اليوم وبوس مالهوش معنى
عند الوداع البوس شغَّال ... مِن كل واحد بيودّع
وبرضه عند الاستقبال ... تلقى القُبَلْ نازله تطرقع
والشيخ نقابله نبوس إيده ... يملاها ميكروب شفايفنا
ناخد المرض ونجى نعيده ... لغيرنا . . ولا حدّ شايفنا
والطفل دا مِن حُبِّنا فيه ... مِن القُبَل نِهْرى خدوده
ياخد المرض مِنّا ونِعْديه ... ومن المرض يدبل عوده
والست تخرج مِن بيتها ... عشان تزور عشرين جاره
وكل جارة حبيبتها ... لازم تبوسها بحراره
تنقل مرض دِيَّه لِدِيَّه ... ولزوجها ولا تدراش
صحيح ما تقصدش أذيَّه ... لكن بقى الجهل الفاشى

*** سؤال : يحدث كثيرا أن يقتحم الصغير حجرة نوم الوالدين ، وقد يكون الأمر فيه ما فيه عندئذ ؛ من مداعبة ، أو موقف زوجى « خاص » . . ولا شك أن مثل هذا الموقف قد يثير تساؤل الصغير ، ويشكل لديه بعض علامات الاستفهام الحائرة . فما هو الحل عندئذٍ ؟ وكيف يمكن التصرف إزاء هذه المواقف وغيرها ؟ ما هو موقف الوالدين النموذجى عندئذٍ ؟**

جواب : مما لا شك فيه أن الطفل لا يمكن أن « يعى » المسائل المتصلة بالجنس قبل سن

الخامسة ؛ لذلك فإن تركيز الحديث عن ابن الخامسة وما بعد الخامسة هو مطلوبٌ وضرورى . إن هذا الموقف من جانب الزوجين خاطئ جدا . . يجب أن يحتاطا فى هذه المسائل احتياطات ضرورية ، وهامة ، ومطلوبة . . فالمنزل لم يعد ملكًا خالصًا لهما . . إن هناك من يشاركهما فيه . . هناك هذا الصغير الذى يُعمل ذهنه ، ويفكِّر فى أشياء كثيرة ، ويريد أن يستكشف أسراراً مغلقة عليه . فهو إذا رأى موقفا « خاصا » بين الوالدين من أى نوع ظل يفكر فيه ويفكر . . ويظل يبحث عن تفسير له . . سواءٌ من الذين حوله ، أو من الأصدقاء ، أو حتى من الأبوين . . أو يرسب الأمر فى أعماقه ، حتى يظهر فى الوقت المناسب . . وقد يظهر بطريقة خاطئة . . تعكس عدم رضائه عنه وهو صغير ، أو فهمه على أنه عيب وهو صغير ، فيكون ردُّ الفعل مشوبًا بسوء التصرف ، وذلك نتيجة الجهل بما حدث وما يحدث ، والحقيقة أن الطفل يجب أن يُواجَه من الوالدين عندئذ بنوع من الفهم على قدر عقله ، يرضى نزوعه إلى المعرفة ، ويشفى رغبته فى إدراك كنه هذا التصرف . . حتى لا يقع فى الخطأ بعد ذلك نتيجة الجهل أو قلة المعرفة .

*** سؤال : نحن مجموعة من الشبان نفكر فى الزواج من وقت لآخر ، لكننا نخشى من الفشل . . هذه هى الحقيقة التى تجعلنا نفكر مرات ومرات ، ونتردد عشرات المرات قبل أن نخطو هذه الخطوة - صحيح أننا نمارس العادة ، وبكل نجاح ولكننا لم نمارس الجنس إطلاقا ، ولعل هذا هو مصدر خوفنا وترددنا ، هذا أساس توقعنا الفشل . . فهل سيظل هذا الشعور ملازمًا لنا ؟ أم أنه يمكن التغلب عليه وممارسة حياتنا الزوجية بنجاح تام ؟**

جواب : من الواضح تماما من وصفكم المفصل أن الحالة التى تشكون منها هى حالة نفسية تماما ، وليست عضوية ، وهذه الحالة تنتاب كثيرا من الشبان ، وتعود للخوف الشديد من الفشل فى ممارسة الجنس ، أو لاعتبارات اجتماعية مترسبة فى النفوس ، خصوصا مع وجود نوازع دينية كاذبة تقول بخطيئة العمل الجنسى ، كما فى كثير من الحالات . . ولكن تأكدوا أن هذه الحالة قابلة للشفاء بعد العلم الصحيح والتنكر لهذه الخرافات . وأول خطوة فى هذا المجال هى ضرورة التمسك بالثقة بالنفس ، والتسلُّح بإرادة قوية ، والإلمام ببعض المعلومات الجنسية الصحيحة ، ويمكن أيضا تناول بعض أنواع العلاج التى يصفها الطبيب الأخصائى . إن هذا كلَّه وغيرَه مِن شأنه أن يقضى على هذه الحالة . . على الخوف من الفشل . . ولْتعلموا أنه ليس من الضرورى أن تكون للزوج تجربة سابقة قبل الزواج . . إن آلاف الأزواج « دخلوا » حياتهم الزوجية دون « خبرة » سابقة ، وكُتِبَ لهم النجاح التام . . بفضل الثقة بالنفس ، وعدم الخوف من الفشل ، وعدم التردد . . مع التأكيد أن الزواج من متع الحياة التى حضَّ الإسلام عليها .

*** سؤال : أعرف زوجًا جاءه من زوجته غلام لا يشبهها ولا يشبهه ، فشكَّ فى عفتها ، ووقعت المنازعة بينهما إلى درجة محاولته إقامة الدعوى عليها ، فما قولكم ؟!**

جواب : هذا الزوج جاهل ، وقد حدث مثل ذلك فعلاً فى عهد الرسول ﷺ ، فلقد جاءه رجل وقال :

يا رسول الله : « وُلد لى غلام أسود !! » وهو يُعرِّضُ بأن ينفيه ، فلم يرخِّص له فى الانتفاء منه ، فقال له الرسول ﷺ :

- « هل لك مِن إبلٍ ؟
- قال : نعم .
- قال : ما ألوانها

- قال : حُمْر .
- قال : وهل فيها أَوْرَق .
- قال : نعم .
- قال : أَنَّى ذلك ؟! (أى كيف يكون ذلك) ؟!
- قال : لعله نزَعَه عِرْقٌ !
- قال : لعل ابنك نزعه عرق ! » [رواه البخارى] .

وبذلك أنقذ الرسول ﷺ هذه الأسرة من التصدع والنزاع بدليل علمى وعملى ؛ فإن المولود قد يشبه بعض جدوده .

وقد قال بعض العلماء : إن الطب الحديث اليوم يعلن هذه الظواهر المبهمة حسب قانون طبى ثابت ، بأنها ظواهر طبيعية ، لا داعى للقلق منها ، ولا الشك ، والظن إطلاقا . حيث أثبت العلمُ الحديث والدراسات الطبية الدقيقة أن كُلاً من : الحيوان المنوى الذكر وبويضة الأنثى تحمل صفات وخصائص وراثية أطلق عليه العلم الحديث اصطلاح حاملات صفات النسل أو (الكروموسومات) ، وأن كل بويضة أنثوية أو حييمن ذكرى يحمل عددًا هائلا من هذه الكروموسومات . . حيث إن كل واحد يحمل صفة واحدة ينقلها من الأب والأم أو الجدود إلى الجنين .

*** سؤال : ما هو السبيل إلى تخفيف حدة الشعور الجنسى وكبح جماحه ؟**

جواب : نساء ورجال . . يحسون ناراً أكولاً تعتمل فى عروقهم ، ورغبة جامحة تدفعهم إلى إشباع غرائزهم الجنسية التى لا تشبع حتى بالوسائل التى تحقق لهم إرواء ظمئهم الجنسى بطريقة مقبولة حتى ولو كانت بالاغتصاب أو الجريمة . إنهم مرضى حقيقيون ، إذا لم تتداركهم يد العلاج الرحيمة أفضى بهم شبقهم إلى السجون أو الجنون .

*** سؤال : ما هى أسباب هذا الشبق عند النساء ؟**

جواب : أمّا الأسباب التى تؤدى ببعض النساء إلى مثل هذا الدَرَكِ مِنَ الشبق الجنسى غير المتزن فعديدةٌ أهمها :

١ - أن يكون الدم عندهن مترعًا بالهرمونات الأنثوية المذكِّرة . ومعروفٌ أن الهرمون المذكر موجودٌ عند المرأة بنسبة ١ إلى ١٠ فى الحالة الطبيعية ، فإذا ارتفعت هذه النسبة شعرتِ المرأةُ بتضخُّم البظر واحتقانه ، وكان شعورُها هذا مماثلاً لشعور الرجل بالانتعاظ ، وهذا ما يدفعها إلى الإلحاح فى طلب تهدئة الثورة الجنسية التى تعتمل فى حوضها . وتلك قضية خُلُقية ؛ بمعنى أن بعض النساء يكنَّ - بطبيعة تكوينهن الجسدى - مؤهَّلات لمثل هذا المرض .

٢ - أن تصاب المرأة ببعض الأمراض النفسية - العصبية التى تؤثر فى الغدة النخامية الموجودة فى قاع الجمجمة ، وهذه تقوم بدورها بِحَثِّ بقية الغدد الصمّاء (ذات الإفراز الداخلى) على الإفراط فى عملها ، فتُتْرِعِ الدم بهرمون الدرقية وهرمون المبيض ، مما يُحدث عند المرأة هيجانًا واندفاعا نحو إشباع نزواتها .

٣ - هناك بعض الأمراض العضوية التى تصيب الدماغ ؛ كالأورام المختلفة وأولى علامات الفالج العام ؛ إذ يشعر المصاب قبل حدوث الفالج باشتداد الرغبة الجنسية .

*** سؤال : أليس هناك أسباب أخرى لهذا الشبق ؟**

جواب : نعم . . هناك أسباب طارئة أخرى تؤدى بالمرأة إلى الشبق الجنسى منها : افتقارها إلى النظافة الجنسية ؛ أى إهمال تنظيف أعضائها الجنسية بصورة جيدة وبعد انقطاع طويل ؛ ذلك أن قلة النظافة

تؤدى إلى تراكم المفرزات الدُّهنية وبقايا البول ، مما يُسبِّبُ تحرشًا فى العضو التناسلى يخلق تهيُّجًا ، وبالتالى نزوعًا إلى إشباع الرغبة الجنسية ، ومثل هذه النتيجة تنجم عند البنات عند الإصابة بالحرقص وهو طفيلى يعيش فى الأمعاء ويتسلل منها حتى يصل الشرج ، فتتوطن بويضة هناك مسببة حكَّةً وتهيُّجا فى الناحية كلها .

ومن الأسباب أيضًا احتقانُ الحوض (إذا امتنعت المرأة عن إفراغ البول مدة طويلة أثناء السفر مثلاً أو فى ظروف أخرى) ، والحكَّةُ الفرْجية أثناء فترة انقطاع الحيض فى بداية دخول سن اليأس ، وتَصلُّب المبيض الكيسى ، والجذام .

ومِن أعراض الشبق حساسية فرجية مفرطة ، وفى بعض الأحيان حساسية فى حليمات الثديين .

*** سؤال : وما هو علاج هذا الشبق ؟**

جواب : العلاج فى مثل هذه الحالات ، يكون بإزالة أسباب الحكة الفرجية ، وتناول مثبطات الشبق ، كالبطيخ والخيار ومغلى زهر البرتقال وبرومور البوتاسيوم والكافور والبابونج وغيرها .

وفى الحالات الحادة يمكن استئصال أحد المبيضين أو الضفيرة تحت المعدية العليا ، وأفضل علاج للمصابات بالشبق هو : الزواج !

*** سؤال : ما هى أعراض هذا الشبق عند الرجال ؟**

جواب : الرجل المصاب بهذا المرض يشكو من فرط الرغبة الجنسية ، الأمر الذى قد يؤدى به إلى مهاوى الشذوذ والجريمة . وبعضُ هؤلاء المرضى ينصرفون إلى ممارسةٍ غير متزنة للعادة السرية ، والبعض الآخر يذهب حتى إلى الاغتصاب والقتل . ونخطئ إن نحن سخرنا مِن الأمهات الحذرات أو العمات الموسوَسات اللاتى لا ينقطعن عن تحذير بناتهن من أمثال هؤلاء الرجال . . حتى وإن كانوا بلا حوافر ولا أذناب ولا قرون . . إنهم خَطَرٌ حقيقى فى المجتمع ، ولعل جيمس مانسون وشركاءه من « العائلة الهيبية » الذين أقدموا على قتل الممثلة شارون تيت وخمسة أشخاص آخرين ، من هذه الفصيلة .

*** سؤال : ما هى أسباب هذا الشبق ؟**

جواب : هناك أسباب خِلْقية ، وأسباب طارئة ، وأسباب غذائية .

أما الأسباب الخِلقية : فهى فرط إفراز الخصيتين للهرمون المذكر (وقد تكون هذه الظاهرة وراثية أو مَرَضية) .

ومن الأسباب الطارئة : عدم الختان ، وضيق القلفة (الغلاف الجلدى الذى يغطى حشفة العضو التناسلى المذكر) بحيث تتراكم المفرزات الدهنية مع بقايا البول ؛ فتبقى الحشفة فى حال التخرش المستمر ، والتخرش منبه جنسى دائم .

ومن هذه الأسباب أيضا : الإكثار من تناول البروتينات والمهيجات الأخرى كالمواد الحريفة التى تلدغ الفم وتسبب تخريش مجرى البول وبالتالى الانتعاظ .

*** سؤال : وما هو العلاج لذلك ؟**

جواب : علاج هذه الحالة فى اتقاء أسبابها ، وأخذ العقاقير المهدئة ومضادات التشنج ، ولعل زواج الرجل - كما عند المرأة - هو أفضل وسيلة لإشباع الرغبات الجنسية الجامحة عند الشبق .

ويُنصَح الشَّبِقُ بارتياد النوادى الرياضية ووضع أهداف يسعى إلى تحقيقها فكريًا وجسديا ؛ فتصرفه عن التفكير فى الجنس ، خاصةً السباحة ، وكرة القدم ، والتنس ، تلك الألعاب التى تتطلب من ممارسها وقتًا يُنسيه الجنس ، وتتطلب جهدًا يُتعب جسده فيستسلم إلى النوم بمجرد استلقائه على الفراش .

كما يُنصَح المراهق والشبق بتناول مغليات الزيزفون والبابونج والزهورات والمليسا واليانسون بدلاً من مغلى الشاى والقهوة . وأن يتناول اللبن الرائب والخضراوات والتفاح لفعلها المُهَدِّئ بدلاً من اللحوم والبيض والأسماك .

وأخيرًا فالرذاذ الفاتر أو الحمامات الفاترة أو الباردة قد تؤدى إلى هذه النتيجة .

وقبل ختام هذا البحث ننصح من أجل النجاة من كثير من أنواع الشبق ، بعدم الاقتراب من مثيرات الجنس ؛ كالاختلاط المريب ، وإرسال النظرات المتتابعة والمستمرة ، وعدم قراءة الروايات الغرامية ، ومشاهدتها .

*** سؤال : هل صحيح أن للعطور تأثيرا فى الإثارة الجنسية وما هو مدى صدق هذا القول ؟**

جواب : يراجع ما كتبناه حول هذا الموضوع فى هذا الكتاب ، ويمكن القول بصورة عامة إن (الروائح) ذات أثر فى الإثارة الجنسية سواء كانت عطرية أو غير عطرية ، وقد أزاح أحدُ العلماء الستار عن هذه الحقيقة عندما قال : إن أنثى الحيوان التى تتمتع برائحة أقوى تكون أقدَر على اجتذاب الذكور من الإناث الأخرى ، ولذا تعتبر الحيوانات ذات الغدد التى تنتج روائح أكثر نسلاً مِنَ الحيوانات الأخرى .

ومع أن حاسة الشم فى إنسان هذا العصر قد ضعُفتْ كثيرًا جدًّا عمّا كانت عليه لدى الإنسان البدائى ، إلا أن هذه الحاسة ما زالت ذات دوْرٍ واضح فى الإثارة الجنسية .

وقد يكون العطرُ مِن أبدع ما اخترع الإنسان فى حقل الفن ؛ فالعطر يجلب الانتباه وينعش القلب ، ويثير أحاسيس الجنس .

ومما لا شك فيه أن عطر اللوند (الخزامَى) وعطر القرنفل مِن جملة العطور النفَّاذة المثيرة .

فقد تبيَّن أن التأثير الذى تُحدثه الروائح - بصرف النظر عن كونها عطورا - يرتبط لدى الرجل بأشياء معينة تثيرها فيه تلك الروائح ، فتثير لديه بالتالى الرغبة الجنسية . فقد يثيره عطرٌ سبق لامرأةٍ عرفها أن تعطرتْ به ، فيشعر بتلك الإثارة لدى وصول هذا العطر إلى أنفه ولو كانت امرأة أخرى تتعطر به ، أو حتى لو كان فى زجاجته ، ونفس القول ينطبق على أية عطور أخرى ترتبط فى ذهن الرجل برموز معينة .

وحاسة الشم عند الحيوان شىءٌ هام بالنسبة لبقاء النوع . وهذه الحاسة تجتذب ذكرَ الحيوان وأنثاه إلى بعضهما بعضا . وقد لوحظ أن كافة الحيوانات عند التهيج الجنسى تفوح من أعضائها التناسلية رائحة نفّاذة معينة !! .

*** سؤال : هل مِن ضرر إذا تزوجتُ قريبتى ؟**

جواب : من الممكن أن تتزوج قريبتك ، ولكن بشرط : أن تضمن عدم وجود أمراض وراثية فى

أسرتك ، فإذا تحقق هذا الشرط يصبحُ مِن الممكن أن يجمع مولودك كلَّ الصفات الحسنة الموجودة فى أسرتك . وفى الوقت نفسه . . ابتعد عن الزواج من قريبتك إذا كان هناك مرض وراثى فى أسرتك .

وسواءٌ فى ذلك المرضِ النفسى أم الجسمانى ، وكل ذلك يدخل فى الحديث الصحيح : « تخيَّروا لِنطفكم فانكحوا الأكفاء ، وأنكِحوا إليهم » .

[رواه ابن ماجه وغيره وسنده صحيح] .

*** سؤال : يوصينا بعض الأصدقاء ، وبخاصة الذين يسافرون إلى الخارج ويعودون بأدوية كثيرة ، باستعمال بعضها وهو خاص بزيادة النشاط الجنسى وتقوية القدرة فى هذا المجال . . وهى تشتمل على حقن وأقراص ، ومنها أصناف وأصناف ، فضلا عن ارتفاع أثمانها . والحقيقة أن كل البيانات المرفقة بها تشير إلى فائدتها فى هذه الناحية ، ولكننا نسأل من باب العلم : هل هى مفيدة حقا ؟ وهل هى مطلوبة بالنسبة لكل الرجال ؟ أم أن هناك فئة بالذات يجب أن تستعملها ؟ أو ما هى حكايتها بالضبط ؟!**

جواب : انتشرت هذه الأدوية « المنشطة » بشكل واضح فى السنوات الأخيرة ، نظرًا لازدياد الطلب عليها ؛ إذ تستغل الشركات العالمية المختلفة اهتمام الناس أو بعض الناس غير الطبيعى بالجنس ، لتزيد شعلته فى نفوسهم ، وتَثْرَى من وراء ذلك ثراءً فاحشا . . والغريب أن الإقبال يزيد عليها زيادة ملموسة ، ويستعملها الكل دون انضباط . . وحتى دون استشارة الطبيب . . فهذه الأدوية تحتوى على الهرمونات التى قد تزيد فعلا فى حيوية الشخص ونشاطه ، ولكن لفترة محددة وقتية . . كما أن استعمالها دون حاجة حقيقية إليها لا يمكن أن يفيد . . بل إنه قد يضرّ . . ومِن هنا كان لجوءُ الكثيرين إليها نوعًا من الإسراف الذى لا داعى له ، وجريًا وراء السراب ، فلا هى تقدِّم ما يظنه الشخص بالدرجة التى يتطلع إليها ، ولا هى تعالج عجزًا إن وُجد ، ولذلك ، فإن الأمر بالنسبة لها فى حاجة إلى مراجعة من جانب الناس ، ومن جانب المستوردين لها ، والمشجعين عليها ، حرصًا على صحة الناس ، وحرصًا على أموالهم أيضا .

*** سؤال : تعترينا - نحن مجموعة الفتيات - ظاهرة اضطراب الدورة الشهرية وعدم انتظامها ، وقد خفنا أن يكون ذلك بسبب شىء عضوى كاختلال فى الغدد أو غيره ، ولكننا قرأنا أن الأمر يمكن أن يكون راجعًا إلى عامل نفسى ، فما رأيكم ؟**

جواب : لا يمكن الأخذ برأى واحد والجزم به فى هذا الأمر ؛ إن لكل حالة السبب الذى يمكن أن يؤدى إليها ، وقد يكون السبب عضويا ، وقد يكون راجعًا إلى الغدد ، كما قد يكون سببًا نفسيًا أيضًا ، والذى يستطيع أن يقرر ذلك كله هو الأخصائى ؛ إنه قادر بفحص الحالة أن يدرك حقيقة الأمر ، ومن ثم يصف العلاج المناسب الحاسم . ولكن هنا لا بد من وقفة؛ إنه فى كثير من الحالات وفى بداية حدوث الدورة الشهرية لدى الفتاة قد يحدث عدم انتظام لها ، وعندئذٍ تقلق الفتاة وتتوتر وتشكو ، وقد تحار فى السبب ، مثل هؤلاء الفتيات صاحبات هذه المشكلة ، غير أن الصورة سرعان ما تتغير بعد فترة قصيرة ، تنتظم الدورة ويعود كل شىء إلى ما كان عليه دون تدخل من الطبيب ، لكن إذا ما طال الأمر بصورة غير طبيعية ، فإنه يكون فى حاجة إلى تدخل الأخصائى ، وهو قادر - كما قلنا - على تحديد السبب عضويا كان أو نفسيا ، ومن ثم يمكن العلاج على أساس سليم .

*** سؤال : هل الزواج مجرد علاقة جنسية ؟**

جواب : إن الزواج يعتبر أهم حدث اجتماعى فى حياة الفرد؛ فالرجل والمرأة كل منهما ينشد شريكا لحياته يتعاون معه على بناء الأسرة والمجتمع .

ورغم اقتناعنا بأهمية الدور الذى يلعبه الجنس فى الحياة الزوجية السعيدة ؛ فإننا نؤكد أن الزواج ليس علاقة جنسية محضة ، وليس ارتباطا جنسيا فحسب ، بل إن العوامل الروحية والعاطفية والاجتماعية لها دور هام فى الزواج السعيد .

كذلك ، فإن العوامل الشخصية ، كالعادات والطباع والمزاج والمستوى الاقتصادى والتعليمى لكل من الزوجين ، وقدرة كل منهما على تكييف هذه العوامل حسبما تقتضيه الظروف تلعب دورًا أساسيًا فى القدرة على استمرار الحياة الزوجية السعيدة .

وبمعنى آخر ، فإن الزواج فى جوهره علاقة ارتباط بين رُوحين وجسدين على أسس التعاون والمحبة والمودة والرحمة ، وقد أوضحت الآية الكريمة فى إيجاز بليغ هذه الأسس ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

*** سؤال : ما هى الحقائق العلمية حول الجنس ؟**

جواب : هناك خمس حقائق علمية حول الجنس عند الرجل والمرأة ينبغى لكل زوجين إدراكها قبل الزواج وهى :

*** س : ما هى الحقيقة الأولى ؟**

جواب : يختلف هدف الجنس عند الرجل عنه عند المرأة ؛ فالنشاط الجنسى غاية فى حدِّ ذاته عند الرجل ؛ فالاتصال الجنسى عند الرجل ينتهى بالقذف ، ولكن الاتصال الجنسى عند المرأة قد يكون بدايةً لتغييرات جذرية داخل المرأة بما يصاحب ذلك من حملٍ يترتب عليه إنجاب الأطفال ؛ فالجنس عند المرأة بفطرتها وسيلةٌ لغاية أكبر .

*** س : ما هى الحقيقة الثانية ؟**

جواب : وكذلك فإن الرغبة الجنسية عند الرجل تختلف عنها عند المرأة ؛ إذ إن الرغبة الجنسية عند المرأة - نتيجة لوجود الدورة الشهرية وما يتبعها من تغييرات هرمونية فسيولوجية فى المرأة - تختلف من وقت إلى آخر ، أى أنها تتعرض لدورات من المد والجزر ؛ ففى بعض الأحيان تبلغ الرغبة فى الاتصال الجنسى ذروتها ، وقد تستمر هذه الرغبة لبضعة أيام ، بينما قد ينتابها بعض الفتور فى أوقات أخرى . هذا بعكس الرجل ؛ فالرغبة الجنسية عند الرجل لا أوان لها ولا تخضع للمد والجزر .

*** س : ما هى الحقيقة الثالثة ؟**

جواب : تختلف الاستثارة الجنسية عند الرجل عنها عند المرأة ؛ فبينما نجد أن الرجل سهل الاستثارة جنسيا ، ويستطيع أن يزاول الجنس بعد لحظات من التفكير فيه دون ما حاجة إلى استعداد سابق ، فإن المرأة تحتاج إلى أن تُثار ذهنيًا قبل الاتصال الجنسى . وكذلك بينما تتركز الاستثارة فى الأعضاء التناسلية عند الرجل ، فإن المرأة تحتاج إلى استثارتها بدنيا قبل الشروع فى مزاولة العملية الجنسية المباشرة .

*** س : ما هى الحقيقة الرابعة ؟**

جواب : تختلف الفترة اللازمة للوصول إلى قمة الشهوة من بداية الاستثارة عند الرجل عنها عند المرأة ؛ ففى أغلب الأحيان تحتاج المرأة إلى مدة أطول من الرجل للوصول إلى قمة الشهوة ؛ وذلك لأن الاتصال الجنسى يبدأ عند المرأة من لحظة الاتصال البدنى ، ولكنها تبدأ عند الرجل من لحظة الإيلاج .

*** س : ما هى الحقيقة الخامسة ؟**

جواب : من المعروف أن كل فرد يختلف تقريبا فى كل شىء عن أى فرد آخر ؛ فهناك فروق فردية فى القوى الجنسية . ولكن وُجد أنه على الرغم من أن هناك فروقًا بين المقدرة الجنسية لرجل ما وبينها عند رجل آخر ، إلا أن هذه الفروق محددة المدى إذا ما قورنت بالفروق الواسعة بين الرغبة الجنسية عند امرأة وأخرى ؛ فمدى الفروق فى الرغبة الجنسية عند النساء أكبر اتساعًا منه عند الرجال . وتوجد حالات كثيرة لنساء تبلغ عندهن الرغبة الجنسية أقصى درجاتها ، فى حين يوجد نساء لا رغبة جنسية عندهن على الإطلاق ، أى أننا قد نجد أنفسنا أمام رغبة جنسية عارمة ، وهؤلاء قلة ، أو برود جنسى تام ، وهؤلاء قلة أيضا . أما الغالبية العظمى من النساء ، فإن قوة الرغبة الجنسية عندهن متوسطة .

*** سؤال : ما سبب عدم التوافق الجنسى بين الزوجين ؟**

جواب : ينبغى أن نقرر أن « الجنس لأجل الجنس » موجود فعلاً عند الرجل ، على حين يندر وجوده عند المرأة ، فالطريق إلى حواس المرأة الجنسية يكون مِن خلال قلبها ، ويرجع فشل كثير من الزيجات إلى عدم إتقان الزوج لفن الزواج ، أو بمعنى آخر فن حب الزوجة ؛ فالزوجة تحتاج إلى سماع كلمات الإطراء والإعجاب حتى ولو أيقنت أنها مفتعلة . ومع اعتبار الاختلافات الجنسية عند الرجل والمرأة التى ذكرناها فى غير هذا الموضع ، فإنه يتبقى أمامنا بعض العوامل التى تؤدى إلى عدم التوافق الجنسى عند الزوجين وهى ستة عوامل .

*** سؤال : حدِّثنا عن العامل الأول ؟**

جواب : أنانية الزوج :

بمعنى تجاهل الزوج لرغبات زوجته فى الاتصال الجنسى وتوقيته وعدم احترامها ؛ فالاتصال الجنسى مشاركة بين اثنين لكل منهما دوره الإيجابى فيه ، ولا ينبغى أن نعتبر أن دور المرأة سلبى ؛ فإن ذلك يُشعرها بعدم احترام زوجها لها وبأنانيته ، والمرأة ليست دائما على استعداد لتقبُّل الرجل ، وهذه حقيقةٌ يجهلها الكثير من الرجال ، برغم أنه يسعى إلى تحقيق رغبته دون أخذ رغبتها فى الاعتبار . ومعلوم أن لرغبة المرأة أهميتها ، وبذلك يتحول الاتصال الجنسى إلى مجرد عملية لإشباع رغبة الرجل .

*** سؤال : حدثنا عن العامل الثانى ؟**

جواب : التسرع فى الاتصال الجنسى المباشر :

وتجاهل أهمية تحضير المرأة ذهنيا للاتصال الجنسى ؛ فيكون ما يعرف علميا « بسرعة القذف النسبى » أى وصول الرجل إلى قمة الشهوة قبل المرأة برغم أن مدة الاتصال الجنسى فى حدود المعقول . وعلاوة على ذلك ؛ فإن مثل هذا التسرع قد يؤدى إلى تثبيط الاستثارة الجنسية عند المرأة فى بعض الأحيان .

*** سؤال : وما هو العامل الثالث ؟**

جواب : سرعة القذف :

إن معظم حالات سرعة القذف يمكن التغلب عليها باتّباع السلوك السليم بالصورة التى شرحناها أثناء الاتصال الجنسى . ولكن هناك بعض الحالات التى تكون فيها سرعة القذف أكبر من أن يعوّضها التحضير الذهنى والبدنى للمرأة قبل الاتصال الجنسى . . ولكن هذه الحالات ليست هى الغالبة ، ومن أهم أسبابها :

أ - التوتر العصبى عند الزوج مما يقلل التحكم فى عملية القذف .

ب - الخوف من حدوث الحمل أو الخوف من الفشل فى الاتصال الجنسى .

جـ - ضعف الانتصاب .

د - تجاهل رغبة الزوجة وعدم اختيار التوقيت المناسب لممارسة الجنس .

*** سؤال : وما هو العامل الرابع ؟**

جواب : البرود الجنسى عند الزوجة :

لقد ثبت علميا أن معظم حالات البرود الجنسى عند الزوجة سببها الرجل ، ونعنى بذلك عدم اتباع الرجل للسلوك الجنسى المناسب لزوجته ، وتجاهل رغباتها أو عدم الاهتمام باستمتاعها بالاتصال الجنسى ، واعتبارها طرفًا سلبيا فى العملية .

إن استمرار مثل هذا السلوك يؤدى إلى نفور الزوجة من الاتصال الجنسى ؛ لأنه يؤدى إلى جرح شعورها بتجاهل زوجها إيّاها وأنانيته ، وتصبح العملية الجنسية نوعا من التعذيب لها ، وإن قبلتها على مضض لإرضاء زوجها بعض الوقت ، فستعلن نفورها منها إنْ عاجلا أو آجلا .

*** سؤال : حدثنا عن العامل الخامس ؟**

جواب : الألم عند الزوجة :

قد يكون الألم سببه البرود الجنسى ، وقد يكون بسبب مرض فى الأعضاء التناسلية عند المرأة ، وفى هذه الحالة ينبغى استشارة الطبيب ؛ لأن استمرار الاتصال الجنسى مع وجود الألم يؤدى حتمًا إلى البرود الجنسى عند الزوجة .

*** سؤال : وماذا عن العامل السادس ؟**

جواب : الخوف من الحمل :

لقد أدّى شيوع استعمال وسائل منع الحمل الحديثة إلى تقليل أهمية هذا السبب ، ولكن قد يلجأ البعض إلى « تنظيم توقيت » عملية الاتصال الجنسى حتى لا تتوافق مع فترة التبويض ، ولذلك قد يحدث اتصال جنسى فى وقت لا ترغبه الزوجة أو الزوج ، ويؤدى ذلك إلى نفورها وعدم مشاركتها فى الاتصال الجنسى ، أو إلى ضعف الانتصاب عند الزوج وعدم قدرته على مزاولة الاتصال الجنسى بطريقة مرضية . وكذلك فإن لجوء الزوج إلى الانسحاب من العملية قبل إتمامها حتى يتم القذف خارج المهبل قد يؤدى بعد فترة إلى التوتر العصبى عند المرأة . والإضرار بالزوج نفسه .

وأخيرا ينبغى أن نعلم أن الزواج السعيد لا يحدث بطريق الصدفة ، ولكنه يبنى على أسس من التعاون والتعاطف وتفهُّم كل من الزوجين لمطالب شريك حياته العاطفية والبدنية والجنسية .

*** سؤال : هل العلاقة الزوجية بين الزوجين لها قواعد وأصول ؟**

جواب : الإنسان مجموعة من المشاعر والأحاسيس تؤدى إلى أفعال ، والذى يحرك هذه الأحاسيس ويوقظها مجموعة من الأعصاب ، ومن هنا نستطيع أن نتفهم ديناميكية العلاقة الجنسية

وطريقة أدائها بشكل ناجح . . فكلما نبَّهنا الأعصاب المرتبطة بالإحساس الجنسى ، وكلما وسَّعنا فى هذا التنبيه ؛ ليشمل أكبر قدر من هذه الأعصاب المنتشرة فى أجزاء كثيرة من الجسم ، كانت الاستجابة أقوى والعلاقة الجنسية أمتع وأجمل ، وبالتالى تصبح الحياة الزوجية شهرَ عسلٍ دائم وفيها من المتع ما يجعل الزوجين يحرصان على دوامها والتمسك بها . . ونكاد نقول : إن الطَّلاق بعدها مستحيل . . وهذه القواعد : هى عدم الفهم الخاطئ لدور الرجل ودور المرأة .

*** سؤال : ماذا عن الفهم الخاطئ ؟**

جواب : يخطئ من يعتقد أن العملية الجنسية هى مجرد لقاء عضوى ، والحقيقة أن العملية أو الإثارة الجنسية تبدأ قبل اللقاء العضوى بفترة مناسبة ، والإعداد السابق عنصر أساسى يلزم توفره ؛ مثل المكان الآمن ، والملابس ، والبارفان الذى يستهوى مزاج الزوج ، وروح المرح ، والمداعبات . . وكلما طالت فترة المداعبة أصبح الطرفان أكثر استعدادًا ورغبةً وشوقًا إلى اللقاء الكامل .

المداعبة تستهدف تنبيه الأعصاب المتصلة بالجنس . والتنبيه يبدأ بالغزل والمداعبة الحسية ، وينتقل إلى القبلة العاطفية ، ثم القبلة الشهوانية العارمة ، وينتهى إلى الملامسة الحسية الموضعية .

*** سؤال : ماذا عن دور الزوج ؟**

جواب : لتقريب أهمية تهيئة الأنثى للجنس ، وأن العملية الجنسية تبدأ قبل اللقاء العضوى نقول : إن الهضم يبدأ فى الوعاء قبل المَعِدة . . والسبب أن الطهو الجيد يسهِّل عملية الهضم ، كما أن رائحة الطعام أثناء الإعداد تُسيل اللعاب وتزيد من الإفراز المِعَدى ؛ مما يسهِّل عملية الهضم أيضًا ، وعلى الزوج أن يعرف كيف يهيِّئ زوجته جنسيا للدرجة التى لا يجد عندها مقاومة إطلاقا ، بل يجد استرخاءً واستعدادًا واستجابةً كاملةً وشعورًا بالرغبة والنداء واللهفة على إتمام اللقاء الكامل .

والإثارة الجنسية تتم بالكلام العاطفى والغزل اللطيف ، وإشعار الزوجة بتفوق أنوثتها وجمالها ، وأنها تَفْضُل سائر النساء عند زوجها ، وفى نفس الوقت يبدأ الزوج الملامسة البدنية تدريجيًا .

وننبه الأزواج إلى دور البظر ؛ فهو منطقة أعصابٍ غاية فى الحساسية ، بل يعتبر أكثر الأعضاء حساسية لدى المرأة . وهو مكون من نسيج إسفنجى ، تركيبه التشريحى يماثل تركيب عضو الذكر ، ولهذا فعند ملامسته يندفع إليه الدم ويمتلئ النسيج الإسفنجى وينتصب البظر تمامًا مثل عضو الذكر ، ومن هنا كان ضرر المبالغة والإنهاك للبظر حين ختان المرأة فى البلاد الحارة التى قد يبلغ طول البظر فيها طول عضو الرجل تقريبا .

وبهذه المناسبة ننصح الفتيات بالذات بالامتناع عن المساس بالبظر بشهوة ؛ أى فى ممارستهن العادة السرية ؛ لأنهن يتعودن عليها حتى بعد الزواج وتصبح وسيلتهن الوحيدة للإشباع الجنسى .

ولا ننسى أن ننبه إلى بعض الأضرار التى يجب على الزوج تجنبها ، ومنها الاتصال الجنسى أثناء الدورة الشهرية ؛ مما قد يصيبه بالتهابات فى مجرى البول ، والتهابات فى البوقين والمبيضين عند الزوجة .

أحيانا يتجنب الأزواج فترة الطمث بممارسة الشذوذ الجنسى مع زوجاتهن ، وهذا أمرٌ ضار وخطير ؛ إذ قد يصبح هذا الشذوذ عادةً عند المرأة فتصاب أخيرًا « بالأُبنة » فتحتاج إلى مزاولة الشذوذ الجنسى - والعياذ بالله - ولْيَحذَرِ الزوجُ من أن تكون زوجته مصابة بهذا الداء قبل زواجها ؛ إذ لا يتم الإشباع الجنسى لديها بغيره ، وهو محرم شرعا ، ويوسع الشرج فلا يعود يضبط عند المرأة البراز بسبب التمزق .

وننصح أيضا الرجل بألاَّ يجبر زوجته على الجماع فى وقت لا تكون فيه راغبةً لأسباب طارئة تخصها ، بل ينتظر حتى تكون مستعدةً نفسيًا وصحيًا ، احتراماً لأنوثتها وكرامتها ، خصوصًا وأن اللقاء الجنسى مشاركة بينهما ، ولكل منهما فيه حقوق على الآخر .

*** سؤال : ماذا عن دور الزوجة ؟**

جواب : على الزوجة دور أكبر وأهم لإسعاد زوجها والحفاظ عليه من الإغراءات خارج البيت ، وهى تحديات كثيرة ومتنوعة وخطرة . . والمرأة البارعة هى التى تُنسى زوجها إغراءات الشارع وتحوِّل هذه التحديات لمصلحتها ، ويصبح كل ما يلفت نظر زوجها ويثيره إعدادًا له وإشعالاً لعواطفه التى تَنْصَبُّ وتنتهى لديها هى .

والزوجة الناجحة هى التى تعرف رغبات زوجها وما يثيره ؛ مثل الألوان التى يفضلها ، وكذلك الملابس الداخلية ، والخارجية ، ونوع الزينة . ومن أخطاء الزوجات القاتلة : إهمال الملابس والزينة فى البيت بحيث يطالعن أزواجهن عند عودتهم من أعمالهم برائحة المطبخ والشعر المنكوش أو المعصوب بإهمال .

لذلك لا نندهش عندما نجد زوجة جميلة يهملها زوجها وينظر إلى غيرها ، بينما نجد زوجةً قليلة الحظ فى الجمال ، ومع ذلك تمتلك قلب زوجها وعواطفه . إن الزوجة هى المسئولة وحدها .

إننا ننصح الزوجة بأن تعنى دائما بمظهرها وزينتها فى البيت ، ولا تطالع زوجها عند عودته من عمله بالشكوى الملحة من الأولاد والشغالة ، وأن توفر له جوًا مريحًا بهيجًا فى البيت . . مثل : الإضاءة المهدئة للأعصاب ، وتقليل ضجيج الأولاد بِشَغلهم بما يفيدهم ، ونشر الروائح المعطّرة فى أرجاء البيت ، ومفاجأته بوجبات الطعام التى يحبها . . والعمل جملةً على تهيئة الجو الذى يخفف عنه متاعب الحياة التى يلقاها فى يومه . وحرصًا على عدم تنفيره من العلاقة الجنسية عليها مراعاة نظافة الأعضاء التناسلية عندها ؛ بتنظيف المهبل بمطهِّر وعمل دُشّ مهبلى باستمرار يزيل الرائحة المنفرة ، وتوجَد بخاخة « سبراى » ذات روائح جميلة رائعة لهذا الاستعمال تضفى جوًا عطريًا لطيفًا أثناء اللقاء الجنسى .

*** سؤال : ماذا عن ضرورة التهدئة ؟**

جواب : الغرض من اللقاء الجنسى هو زرع بذور الحياة من ناحية ، واستقبالها من ناحية أخرى . . وبعد ذلك ينتهى اللقاء .

ولكن الحمل ليس دائما هو الدافع لإتمام هذا اللقاء ، كما أن الحمل ليس نهايةً لا مفر منها ؛ فالعلم الحديث اخترع وسائل متنوعة لمنع هذا الحمل .

كما أن الحمل يمكن أن يحدث بغير لقاء كامل ؛ كأن يحدث نتيجة لتسرب الحيوانات المنوية إلى داخل المهبل بسبب تلوث الشفرتين حتى لو ظل غشاء البكارة سليما . .

وبعد انتهاء اللقاء الجنسى تبدأ فترة غاية فى الأهمية يهملها أغلب الأزواج ؛ وهى فترة ما بعد النشوة أو ما بعد القذف . . إننا ننصح الزوجين ألاّ يديرا ظهريهما كلٌّ للآخر ، وخصوصًا الزوج فى هذه الفترة التى تعتبر اللحظة الدقيقة لقياس عمق الحب ومتانته .

وفيها تشعر المرأة بأنها ليست مجرد ملهاة أو متعة لحظاتٍ للرجل . . ومن هنا تبدو أهمية مداعبات الحنان والتهدئة بعد ممارسة اللقاء الجنسى بنفس أهمية مداعبات الإثارة والإعداد له .

*** سؤال : لماذا يصاب الرجل بالعجز الجنسى أو العنة ؟**

جواب : يحدث العجز الجنسى أو العنة عند الرجل نتيجة عامل عضوى أو مرض يؤثر على

ميكانيكية الانتصاب ؛ مثل العوامل النفسية : كالخوف من الفشل ، أو نقص الرغبة الجنسية ، أو انعدامها ، أو الخوف نتيجة لأخطار ، أو الشعور بالذنب ، أو اضطراب فى الاستعداد للتهيئة ؛ مثل بعض الأشخاص الذين لا تحدث لديهم الرغبة الجنسية إلا إذا شاهدوا مناظر فيها وحشية أو أذى للغير ، أو استعملوا القسوة أو الضرب للطرف الآخَر فى حالات الساديَّة والماسوشيزم ، وهذا طبعا يعتبر مرضًا .

وقد تكون العنَّة بسبب الفشل فى أول لقاء جنسى يمارسه الشخص أو فى ليلة الزفاف ، أو بسبب الشعور بصغر العضو التناسلى ، أو وجود تشوهات أو أمراض بالأعضاء التناسلية . وقد تكون العنة نسبية ؛ فقد تنشأ مثلا عند الزوجة فقط ، أو تكون نتيجة الخوف من فض غشاء البكارة أو حديث الأصدقاء والأقارب .

وقد تنشأ العنة من الخوف من آثار العادة السرية ، أو الخوف من إيذاء الطرف الآخر ، أو الخوف من حدوث الحمل ،أو الشعور بأن الشخص يرتكب إثمًا ، أو الخوف من الإصابة بالأمراض التناسلية ؛ كالسيلان والزهرى ، أو الخوف من فقدان السائل المنوى .

وقد تنشأ العنة إذا ابتعد الإنسان عن الممارسة لفترة طويلة ، أو لِوجوده فى بيئات بعيدة عن الحياة الجنسية ومؤثراتها كالسفر الطويل ، أو قد تكون العنة سببها إطالة فترة الخطبة ، مِمّا قد يؤدى إلى احتقان فى غدة البروستاتا والحويصلات المنوية وكثرة الاحتلام مع ألم فى الخصيتين .

وقد تنشأ العنة من كثرة مداومة العادة السرية ، أو الجماع غير الطبيعى .

وقد يكون سببُ العنة الزوجة ؛ وذلك بتصرفاتها وطريقة سلوكها مع زوجها ؛ لأن بعض الرجال يكونون مُفْرِطِى الحساسية . وقد تحدث العنة بسبب قوة شخصية الزوجة ، ويلاحظ هذا من طريقة المعاملة عند زيارة بعض المرضى فى صحبة زوجاتهم إلى عيادة الطبيب . وقد يكون سببُ العنة البرود الجنسى عند بعض السيدات ، وانقباض المهبل وعدم السماح بفتح وتراخى المهبل عند الإيلاج .

وأحيانًا تكون أسباب العنة أو عدم الانتصاب خِلْقية ؛ مثل عدم اكتمال تكوين العضو التناسلى ، أو تشويهات خلْقية فيه ، أو أمراض عضوية تصيبه ؛ مثل الأورام ، أو تليف به يؤدى إلى انحنائه إلى اليمين أو اليسار أو إلى أسفل ، ويكثر حدوث ذلك عند الإصابة بالسكر .

وقد يكون السببُ حدوث قيلة مائية كبيرة فى الكيس ، أو فتق أو حدوث التهاب أو احتقان فى الغدد الجنسية الثانوية مثل البروستاتا ، والحويصلات المنوية .

وقد تكون العنة نتيجة نقص وظيفى أو عضوى فى الخصيتين ، وينتج عنها النقص فى الهرمونات الذكرية ، وهى أساسية فى عملية الانتصاب وتكوين العضو التناسلى والأعضاء التناسلية الثانوية مثل البروستاتا والحويصلات المنوية ، كما قد يحتقن العضو للنقصِ الموجود عند المسنين . .

وقد تحدث العنةُ نتيجةً لأمراض عصبية من مراكز الانتصاب فى المخ أو النخاع الشوكى ، أو الأحبال العصبية التى تؤثر على الانتصاب ، مثلما يحدث لمرضى السكر ، كما قد تؤثر على الانتصاب أمراضُ عظام العمود الفقرى ؛ خِلقيَّةً ، كانت أو مرضية .

*** سؤال : ما هى أهم أسباب العنة ؟**

جواب : قد تؤثر الحالة الصحية العامة على الانتصاب ؛ مثل نقص التغذية والفيتامينات ، ومرض السكر ، وضغط الدم ، والأمراض الحادة المنتشرة مثل الأنفلونزا والملاريا ، أو الأمراض المزمنة مثل أمراض القلب والكلية والكبد . فقد يؤدى هذا إلى ضعف الرغبة الجنسية ، كما يؤدى إلى

العنة أيضًا أية أمراض أو اضطرابات فى الغدد ؛ مثل الغدد الذكرية فى الخصية ، والغدد النخامية ، وغدد فوق الكليتين ، والغدة الدرقية ، كما أن السمنة تقلل من الرغبة الجنسية .

كما يلاحظ أيضًا أن التدخين عند بعض المرضى يؤدى إلى العنة ، وكذلك المكيفات والمخدرات مثل الأفيون والحشيش ، فتضعف الرغبة الجنسية ويحدث تخدير لمراكز الأعصاب المسئولة عن الانتصاب .

*** سؤال : ما هى أسباب الارتخاء والعنة ؟**

جواب : العنة أو الارتخاء حدث خطير يهدد الحياة الزوجية تهديدًا كبيرًا ، وقد يفصم عراها نهائيًا ؛ إذ إنها تضيِّع غرضها الأساسى ، وهو تكوين الأسرة وحفظ النسل .

والعنة نوعان : عضوى ، ونفسى ؛ فالارتخاء العضوى يسببه مرض يمكن الكشف عنه والتعرف عليه . أما النفسى فيرجع إلى حالة عصبية أو عقلية .

ويحتاج كلا النوعين إلى اهتمام الطبيب وعنايته . ويشمل القصور الجنسى ضعف الرغبة والارتخاء وسرعة القذف ، وقد ينشأ القصور فجأةً أو يأتى تدريجيًا .

وأسباب القصور العضوى كثيرة ؛ فأى مرض يؤثر على الأعضاء قد يسببه ، وكذلك تلعب الأمراض التناسلية دورًا مهمًا فيه ، والتهابات الأعضاء الداخلية وبخاصة الحويصلة المنوية التى هى مخزن السائل المنوى ، وغدة البروستاتا التى تحيط بمجرى البول من الداخل ، و « بروستاتا » كلمة لاتينية معناها حارس ، وإفرازها لازم لحيوية الحيوانات المنوية ، وبغيره يفقد الرجل القدرة على الإنجاب .

ونقصُ إفرازات الغدد - وبخاصة غدد الجنس - قد يسبب العنة .

كما ينشأ القصور بسبب أورام فى أعضاء التناسل ، وأمراض الأعصاب التى تغذى هذه الأعضاء تسبب ارتخاءً فجائيًا كاملاً . وكثرة استعمال بعض العقاقير واستعمال الخمور والمخدرات والتدخين تُضعف القوى الجنسية على نقيض ما يظنه كثير من الناس .

ويحسن أن ننبه كذلك إلى أن الإفراط فى العلاقات الجنسية ، والضعف العام ، واستعمال مانعات الحمل والإمناء فى الخارج ، وغيرها من الطرق غير الطبيعية قد يؤدى إلى القصور الجنسى .

والإمناء فى الخارج عادة شائعة كطريقةٍ لمنع الحمل وتحديد النسل ، ويعتقد الكثيرون أنها خالية من الضرر ، والواقع أنها كثيرًا ما تسبب التهابات الحويصلة المنوية ، وبالتالى ضعف القوى الجنسية .

وعندما تضمحل الصحة العامة تضعف القوى الجنسية ، كما أن ضغط الدم المنخفض قد يسبب الارتخاء . وأمراض السكر والدم والقلب والكلى تقلل الرغبة والحيوية .

أما القصور النفسى الناشئ عن اضطرابات عقلية وعصبية ، فيمكن تحديد بعض أسبابها ، وأهمها الخوف والغضب والنفور والخسائر المالية والقلق والإجهاد فى العمل ، وهناك عوامل أعمق من هذه كالرغبات الجنسية الشاذة أو الشعور بالعجز الجنسى .

*** سؤال : هل لكم أن تذكروا لنا أمثلة وحوادث ؟**

جواب : نعم !

فى ذكر بعض المشاهدات الواقعية ما يُلْقِى ضوءًا على هذا النوع من القصور الجنسى .

شابٌ فى العشرين من عمره ، وحيدُ والدَيْه الثريين ، ويدير متجَرَهم الكبير ، صمَّم على الإضراب عن الزواج ، وقد أسرَّ فى أذن الطبيب أنه يعتقد فى قصوره الجنسى ، وأن اختباراته الشخصية تؤيد هذا الاعتقاد .

وبفحص حالته اتضح أنه خال من الأمراض العضوية ، ولكن حجم عضوه التناسلى كان صغيرًا جدًا ، وهذا ما أقلق الشاب وأزعجه وسبب له الاضطراب العصبى .

وبمجرد أن علم أن حجم العضو لا أثر له مطلقًا على العملية الجنسية ، وأن فى وسعه إنجاب أطفال ، زال عنه هذا الوهم . وهو الآن رب أسرة سعيدة ووالد طفلين .

رجل فى الخامسة والأربعين يشكو من ضعف الرغبة الجنسية بسبب تقدم السن ؛ وبدا للطبيب أن هذا التفسير ليس معقولاً ، فأخذ يبحث فى تاريخ حالته بإمعان ، فاتضح أنه فى شبابه أحب فتاة ولم يستطع الزواج بها لمعارضة أهله الذين أجبروه على الزواج بأخرى لم تستطع أن تنتزع من قلبه الحب القديم . وبعد ٢٥ عامًا علم أن فتاته الأولى قد أصبحت أرملة ، فعاوده الحنين إليها ، وفقد كل رغبة فى الاتصال الجنسى بزوجته ، وأصيب بالقصور الجنسى بالنسبة إليها .

وفى حالة أخرى كان الشاب فى سن الثلاثين ، وبدأ حياة زوجية سعيدة وحبًا جارفًا متبادَلاً ، ولكنه برغم ذلك لم يلبث أن أصيب بالقصور الجنسى ، ومن دراسة تاريخ الحالة اتضح أن طباع زوجته قد تغيرت منذ وضعتْ مولودها الأول ؛ إذ استولى عليها شيطان الغيرة ، وملكَ الشكُّ قلبَها ، فأصبحت تنكر عليه أقل جنوح إلى الانفراد بنفسه أو الابتعاد عنها طويلاً ، خشيةَ أن يكون قد اتخذ من دونها امرأة أخرى ، وهكذا خبتْ نار الحب المتأججة ؛ إذ لا يمكن أن يبقى الحب مزدهرًا ناميًا وسط الأبخرة السامة المنتشرة فى (جو النكد) . فالنكد هو أقسى المبتكرات الجهنمية التى نبغ فى اختراعها أبالسة الجحيم لتحطيم الحب ، وهو أعظمها فتكا ؛ إنه سرطان خبيث ليس له دواء إلا تركه .

ومن ذلك يتضح أن كراهية الزوجة من أهم أسباب القصور الجنسى ، وهذا بدوره فى مقدمة أسباب الاضطرابات النفسية والعصبية العنيفة .

ويقابل حالة القصور الجنسى عند الرجال ، ما يعرف بالبرود الجنسى عند النساء الذى سرعان ما يقودهن إلى الانهيار العصبى ، وينشأ البرود الجنسى عن أسباب عديدة منها : انعدام الثقة فى الزوج ، والخوف من الحمل ، والجَزَع من الإضرار بالجهاز التناسلى ، والصدمات العصبية والنفسية ، وكراهية الزوج ، والازدراء الطبيعى للعلاقات الجنسية .

*** سؤال : ما هو حق الابن على أبيه ؟**

جواب : أجبنا عن ذلك كثيرًا بالتفصيل فيما سبق ، وأكتفى فيما يلى بالقصة التالية :

جاء أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخطاب أبٌ يشكو عقوق ابنه ، فأحضر الخليفة الابنَ وأبوه حاضر .

فقال الابن : أليس للابن حقٌّ على والده يا أمير المؤمنين ؟؟!

قال الخليفة : بلى !

قال الابن : ما هو ؟

فقال عمر : أن ينتقى أُمَّه ، ويُحسِّن اسمَه ، ويعلِّمَه القرآن .

فقال الابن : إنه لم يفعل من ذلك شيئًا ؛ فأمِّى كانت أَمَةً لمجوسى . . وسمَّانى جُعْلاً (أى خنفساء) . . ولم يعلمنى شيئًا من القرآن .

فالتفت عمر إلى الأب وقال له : أجئتَ تشكو عقوق ابنك ، وأنت قد عققتَه مِن قَبْل ؟!!

*** سؤال : كيف نفهم هذا الحديث : « ليس للمرأة أن تنتهك شيئًا من مالها إلا بإذن زوجها » [صححه الحاكم ووافقه الذهبى] ؟**

جواب : لا شك أن مال المرأة أصبح حين زواجها من ثروة الأسرة ، ومثلُ ذلك مالُ الرجل نفسه ، وخاصةً إذا تزوجها لمالها مع دينها وجمالها ، فكان تصرف المرأة بمالها مشترَطًا بموافقة الرجل نفسه ؛ كى لا تقع الخلافات ويتضرر أفراد الأسرة جميعًا .

ومثل ذلك مالُ الرجل نفسه ، فإذا كان يبذِّره فيمكن الحجْرُ عليه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا

﴿ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ أى أموالهم . . ومهما كان من شأن الحديث النبوى السابق ، فمن واجب الزوج ألاَّ يستغله فى الإضرار بزوجته وإلحاق الضرر بها وبأولادها ، وفى هذه الحال لها الحق أن ترفع أمرَها إلى القاضى الشرعى ، فله الحق فى إنصافها ومنع الزوج من الإضرار بها .

*** سؤال : هل تجرى عملية الختان للمرأة ؟**

جواب : الختان للمرأة هو استئصال جزء من البظر النامى ، وهو ممنوع إطلاقًا فى البلاد المعتدلة والباردة ، لكنه مشروع وضرورى فى البلاد الحارة ؛ ذلك أن فرط نمو البظر يؤدى إلى حساسية جنسية غير طبيعية ، كما أنه قد يكون كبيرًا لدرجة أن يعيق تمامًا الاتصال الجنسى بالرجل ، لذا يُلجأ عندئذ إلى قطع البارز منه عند الوليدات .

وعن أم عطية أن امرأة كانت تختن النساء فى المدينة ، فقال لها رسول الله ﷺ :

« لا تُنهِكى ؛ فإن ذلك أحْظَى للمرأة ، وأحَبُّ إلى البَعْل » رواه أبو داود وسندُه صحيح .

وفى رواية ذكرها رَزِينُ وسندُها صحيح ، فقال لها : « أَشِمِّى [1] ولا تنهكى ؛ فإنه أنور للوجه ، وأحظَى عند الرجل » .

ولما كان للبظر دورٌ مهم فى اللقاء الجنسى ، كما ثبت حديثًا ، وخاصة عند المرأة فى زيادة حساسيتها ، فقد أمر الرسول ﷺ الخافضة (أى الخاتنة) بأخذ اليسير ؛ فإن الكثير يسبب البرود الجنسى لدى المرأة وعدم رغبتها فى النكاح . وكل ذلك يستلزم أن يقـوم الأطباء الأخصـائيون الخبراء بهذا الختان منذ الصغر .

*** سؤال : من هو أفضل الأزواج ؟**

جواب : جاء فى مجلة (الحرفيون) [2] تحت عنوان : « أفضل الأزواج » :

« الرجل الإنجليزي أفضل الأزواج فى أوروبا :

هكذا أوضحت دراسة أجريت أخيرًا ؛ حيث تبين أن الزوج الإنجليزى يشارك زوجته فى أعمال البيت . . وعلى سبيل المثال : فإن ٨٥ ٪ من الأزواج الإنجليز يغسلون الأطباق (الصحون) لزوجاتهم . . بينما بلغت هذه النسبة بين الأزواج الآخرين فى أوروبا ٥٣ ٪ فقط » .

يا لها من نظرة قاصرة فى معرفة أفضل الأزواج ! . . ومع كل هذا ، فإن الرسول العربى ﷺ كان علاوة على حسن معاملته لزوجاته - كما ذكرنا ذلك مفصلاً - فإنه لم يكن يغفل عن مساعدته لأهله على الرغم من مشاغله السياسية والعسكرية وغيرهما .

ولقد سُئلت عائشة رضى الله عنها عن عمل الرسول ﷺ إذا دخل بيته ، فأجابت : « يكون فى مهنة أهله » . رواه البخارى .

وفى رواية أخرى عن عائشة أيضًا ردًا على السؤال السابق :

« كان بَشَرًا من البشر (أى لم يكن يقتصر على أداء الرسالة فحسب) : يحلب شاته ، ويخدم نفسه » . رواه أحمد وغيره بسند جيد .

---

(١) أشمى : الإشمام : أخذ اليسير فى خفض المرأة ، والخفض : ختن المرأة .
ولا تنهكى : النهك : المبالغة فى القطع .

(٢) السنة ٤ ، عدد حزيران ١٩٨٠ ، ص ٧ .

وقد قال هذا الرسول العظيم ﷺ واصفًا أفضل الرجال :

« خيرُكم خيرُكم لأهله . . وأنا خيركم لأهلى » . رواه الترمذى وغيره وسنده حسن . وقال أيضًا : « خيركم خيركم للنساء » . رواه الحاكم وسندُه صحيح .

وقد أعطى هذا الرسول العظيم ﷺ للأزواج وغيرهم قاعدةً مهمة فى الاقتصاد ، وذلك بعدم إبقاء شىء من الطعام فى الطبق إذا كان قليلاً : « فكان يلعق الصفحةَ بلسانه » . رواه مسلم .

فيا لها مِن قاعدة اقتصادية فى نظام التغذية تنقذ مِن طرح كثير من الأطعمة فى القمامة ! ويا لها من قاعدة عملية فى سرعة تنظيف الأطباق بسبب خلوِّها من الدهون والزيوت والفضلات !!

وقد يستغرب بعضهم هذا الصنيع من الرسول ﷺ ، كِبْرًا منهم وجهلاً وإسرافًا .

وأذكر أننى منذ سنوات ذهبت إلى تركيا فدُعيتُ فى صحبة بعض مَن يسمَّون دعاة الإسلام إلى وليمة لأسرة تركية ، فمسحت الطبق جيدًا بالخبز وقدمته لهم للإفادة والتعليم ، فما كان من هذا « الداعية » إلا أن تقزّز مستغربًا عملى ، وهو قاعدة اقتصادية وفائدة منزلية! .

لا شك أن هذين الحديثين الشريفين قد يبدوان لبعض المسلمين غريبين ، ولو درسوا تاريخ الجاهلية قبل الإسلام وعلموا مبلغ احتقار العرب للمرأة وأعمالها البيتية ؛ إذ كانوا يدخلون بيوتهم كالجبابرة ، فلا يعرفون لزوجاتهم حقًا ، ولا لأولادهم حُبًا ، ولا عطفًا ، لأدركوا أهمية هذين الحديثين .

ومما يؤسف له ، ويبعث فى النفس الأسى ، أن ما جاء فى الحديثين المذكورين عن سيرة الرسول ﷺ فى بيته ، لا يزال مستغربًا أو مجهولاً ، ليس فى الشرق المتخلف فحسب ، بل فى الغرب نفسه الذى يزعم أهله أنهم يحترمون المرأة ويعطفون عليها ، فراحوا يعتبرون صنيع الرسول ﷺ دليلاً من أدلة الرقى ، بل هو قمة التمدن .

وصنيع الرسول ﷺ فى مساعدته أهله ، يشيرُ إلى أمورٍ عديدة وفضائل كثيرة علاوة على ما سبق ؛ منها رحمته بأهله ، وإعطاؤه الدروس العملية للمسلمين بوجوب مساعدة الزوجة قدر المستطاع ؛ فهى تقف الساعات الطوال فى المطبخ ، وتعمل فى تنظيف البيت ، والقيام بشئونه المختلفة ، وفى مقدمتها تربية الأطفال - تلك المهمة المقدسة - والسهر عليهم .

وكل ذلك يقوّى صلات المحبة بين الزوجين ويزيد فى تعاطفهما .

كما يعطى درسًا بليغًا وعمليًا للأولاد فى الاعتماد على النفس ومؤازرة الآخرين .

*** س : سمعنا كثيرًا عن الصحة النفسية ، ولزومها لتحقيق السعادة ، وخاصة فى الحياة الجنسية . . فأرجو أن تعرف لنا الصحة النفسية ؟**

ليست الصحة النفسية مجرد خلو الفرد من الأعراض المرضيّة الصريحة سواء أكانت شديدةً أم خفيفة ، والتى تبدو فى صورة وساوس أو هذيان أو مخاوف شاذة أو فى صورة عجزٍ ظاهر عن عقد علاقات بنَّاءة مع المجتمع المحيط به وعن التعامل مع الآخرين ، بل إن معنى الصحة النفسية يعطى إلى جانب هذه العلاقات السلبية (سابقة الذكر) علامات أخرى إيجابية موضوعية وذاتية ، ولهذا كان التعريف الشامل والمتعارف عليه للصحة النفسية لدى معظم علماء النفس أصحاب الصلة الوثيقة بهذا المجال هو أن الصحة النفسية :

عبارة عن التوافق التام بين جميع الوظائف النفسية مع القدرة على مواجهة الصعوبات النفسية العادية والإحساس الإيجابى بالسعادة .

*** سؤال : ما هى علامات الصحة النفسية عند الإنسان ؟**

جواب : من هذه العلامات :

١ - قدرةُ الفرد على التوافق الاجتماعى ، بمعنى القدرة على عقد علاقات اجتماعية ؛ علاقات تتسم بالتعاون والتسامح والإيثار ومصحوبة باتزان فى حياة الفرد الانفعالية .

٢ - قدرة الفرد على التوفيق بين دوافعه المتصارعة توفيقًا يرضيها جميعًا بحيث لا يؤدى إلى إخلال بتوازن شخصية الفرد .

٣ - قدرة الفرد على الصمود حِيالَ الأزمات النفسية العادية دون أن تضعف قدراته العقلية ويختل تفكيره .

٤ - قدرة الفرد على الإنتاج المعقول فى حدود ذكائه وقدراته التى منحها الله له ؛ وهذا يعنى أن كثيرًا من الشخصيات التى تتصف بالكسل والخمول كانت ضحية عدم قدرة الفرد على تقبل ذاته ، ووضع طموحاته فى حدود ما أنعم الله عليه مِن قدرات عقلية .

٥ - النظر إلى الحياة بمنظار بهيج ، وشعور الفرد بالطمأنينة والسعادة وراحة البال .

٦ - قدرة الفرد على إحداث تغييرات إصلاحية بنَّاءة فى بيئته ومجتمعه تنطلق من مبادئ الإسلام السامية وعقيدته الراسخة ، أى إن التغيير يجب أن لا يكون صادرًا عن رغبة فى مخالفة العرف ، أو حب الظهور ، أو عن دوافع عدوانية مكبوتة .

*** سؤال : كيف السبيل إلى الوصول إلى صحة نفسية أفضل ؟**

جواب : الإجابة عن مثل هذا التساؤل ذات شقَّين :

الشقُّ الأول : يعنى بالعملية العلاجية لحالات اختلت فيها الصحة النفسية .

أما الشقُّ الثانى فيعنى بالناحية الوقائية لهؤلاء فى بداية الطريق والمتمتعين بصحة نفسية جيدة .

*** سؤال : حدثنا عن الطرق العلاجية للنفس ؟**

جواب : نشير إلى بعض الأمور التى قد تساعد فى العملية الوقائية وأهمها الرعاية السليمة للطفل أثناء نشأته ، واتباع أساليب تربوية بناءة طوال سنين نموه ، والأخذ به رويدًا رويدًا حتى يصل إلى مرحلة النضج ، ولعل من الأفضل أن نشير إلى أهمية الأسرة فى العملية الوقائية ، فهى حجر الأساس للعملية التربوية كلها ، وفيها ينشأ الطفل ويترعرع ، ولذا وجب علينا أن نؤكد على سلامة وجود العلاقات بين أفراد الأسرة بعضهم مع بعض حتى يوفِّروا للطفل جَوًّا سليمًا للنمو ، أضِفْ إلى ذلك نوعيةَ العلاقة بين الأم والأب ، ووجوب كونها علاقة مبنية على الحب والتعاون ، لا التنافر والتنافس ، فهذا من شأنه أن يساعد الطفل على أن ينمو نموًّا نفسيًّا سليمًا .

والعلاقة بين الوالدين وباقى الأخوة من جهة ، وبين الأخوة بعضهم مع بعض من جهة أخرى ، هى الأخرى لها الدور الكبير فى تحديد نوعية شخصية الطفل الناشئ .

وأخيرًا وجب الحديث عن مختلف العلاقات التى تتم فى مرحلة الدراسة بعد بلوغ الطفل سن السادسة ، فهذه العلاقات أيضًا تلعب دورًا كبيرًا وفعَّالاً فى سلامة صحة الطفل النفسية .

لهذا وجب علينا التنويه والتركيز على أهمية الأسرة وما يدور فيها من علاقات ، وكذلك المدرسة وما تحتويه من علاقات إذا ما أردنا أن نحمى أطفالنا من الأمراض النفسية والعقلية ، وذلك عن طريق التوعية الدائمة الموجهة للأسرة فى المدارس عن كيفية معاملة الطفل فى مراحل نموه المختلفة .

*** سؤال : ما هو الشذوذ الجنسى ؟**

جواب : هناك أنواع من الشذوذ الجنسى يعتبرها البعض جنونًا ، وهى فى نظر البعض الآخر إجرام يستحق احتقار المجتمع وعقوبة القانون .

ومنذ عهد قريب اتجهت أنظار الطب إلى العناية بهذه الفئة لِتَمُدَّ يد الرحمة إلى الملايين من أولئك المعذبين فى الأرض .

والشذوذ الجنسى أنواع متباينة مختلطة ؛ فمنها مرض الماسوشزم الذى لا يشعر فيه الرجل بلذة إلا عن طريق الخضوع والاستكانة والتذلُّل والتزلف للمرأة ، مما يسبب كثيرًا من المآسى والشقاء النفسى . وفى بعض كتابات « جان جاك روسو » ما يفيد إصابته بهذا الداء ؛ إذ يصف سعادته بأنها فى « الركوع على ركبتيه والسجود لمعبودته ، وإطاعة أوامرها ، وسؤالها العفو والغفران » !

أما مرض السادزم (السادية) ، فيجد الرجلُ فيه السعادةَ فى التنكيل بالمرأة ، وإلحاق ضروب الأذى بها والاستمتاع برؤيتها تئن وتتوجع .

وهناك نوع كريه آخر من الشذوذ الجنسى ، يتجه فيه ميل الفتى إلى فتى مثله ، وتتجه فيه الفتاة إلى فتاة مثلها !

وهناك أنواع من الشذوذ تُخْفِى وراءها مرضَ القصور الجنسى ؛ كأولئك العجائز المتصابين الذين لا عمل لهم إلا التطلع إلى الغاديات والرائحات .

والواقع أن هذه الأمراض مثل غيرها من الاضطرابات العقلية والعاطفية يمكن علاجها بتقصى أسبابها الحقيقية وتحرِّى العوامل النفسية الكامنة وراءها .

*** سؤال : سمعت كثيرًا بكتاب جنسى قديم يطلق عليه اسم « رجوع الشيخ إلى صباه » ، ولم أره ، فهل لكم أن تحدثونى عنه ، وتعطونى فكرة عنه ؟**

جواب : يا له من كتاب مسموم ومدمِّر يُغرى بالرذيلة ويشجع على الدعارة والعشق ، ويضلِّل فى وصف الأدوية الكاذبة التى قد تكون مؤذية ، وقد يسبب للكثيرين المهالك بسبب قراءته ، وخاصةً أنه لم يكن يوجد وقت ظهوره غيرهُ كتبٌ تبحث عن الجنس ؛ إذ كان الكلام فى هذا الموضوع - ولم يزل - جريمة لا تغتفر ، وهو يباع بثمن باهظ ، ويتنقل بأيدى الناس بصورة سرية . . وما أصدق ما قاله أحد المفكرين ، وهو يتفق مع ما قلناه مرارًا فى هذا الموضوع :

« وراء الأبواب المغلقة ، وتحت الأغطية ، كنا نقرأ هذا الكتاب » !

وكان البحث عنه أشقَّ من البحث عن إبرة ضاعت فى رمال الصحراء والحصول عليه من قبيل تحقيق المعجزات .

ويوم عثرتُ عليه فى مكتبة صغيرة مجهولة فى حى الأزهر ، دفعتُ ثمنًا له جنيهًا كاملاً ، والجنيه فى الثلاثينيات كان ثروة . . وقبل أن أدخل البيت غلَّفتُه فى مغلف رواية « كنوز الملك سليمان » التى كانت مقررة علينا باللغة الإنجليزية ، وأنا أعده ساعة حصولى عليه بأثمن من تلك الكنوز كلها . . فعلتُ ذلك حتى إذا ما فاجأنى أحد وأنا أقرأ فيه خُدع أننى « أذاكر » ودعا لى بالتوفيق والنجاح . .

وعشتُ عامًا كاملاً أعيره لأصدقائى وأتقاضى منهم الأجْر سندويتشات وشيكولاته وتذاكر سينما .

كان هذا الكتاب فى ذلك العهد هو الكتاب الجنسى الوحيد المؤلَّف باللغة العربية ، كان كتابًا قديمًا مُصادرًا ، وكان مجرد النطق باسمه أمام الكبار انحرافًا وغيًا وضلالاً . (وهو كذلك كما أنه حُمق وسخف أيضًا) .

اسم الكتاب « رجوع الشيخ إلى صباه فى القوة على الباه » لعالم الدهر وواحد العصر ، ترجمة المناظرين ، وبهجة الناظرين ، من له التكلم فى كل فن كما شاء ، الفاضل المولى أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا » .

والكتاب كله ضياع . كتاب يوَدِّى فى داهية . . كله إثارة . . مكتوب بأسلوب سنة ٩٤٠ هجرية أى منذ ٤٥٤ سنة ، ويكفى أنه يضم حكايات وذكريات امرأة اسمها « الألفية » أطلقَ عليها هذا الاسم لأنها عاشرت فى حياتها ألف رجل .

ويصف مؤلف الكتاب عشرات الأدوية التى تتجاوب مع المبالغة فى أحلام الشباب الجنسية . . وهذا مثال وصفِة دواءٍ منها . . دهان : « يؤخذ شمع وأبخرة وزفت وعلك البطم من كل واحدة مثاقيل وغزروت وبورق أرمنى مربَّبين بلبن الإثم أربعة مثاقيل ، وطريقة تركيبها أن تأخذ الغزروت والبورق وتسقيها اللبن ثم تجففها ، يفعل بها ذلك حتى يشربا ٣ مثاقيل فيسحقان ، ويضاف الشمع والزفت والعلك مع زيت الزيتون ، وتلقى عليه الأدوية المسحوقة ، ويُهرس حتى ينحل جيدًا ويمد على خرقة ويكون معدًا للاستعمال » .

ويكفى الإنذار بأن الوصفة « تودّى فى داهية » أن يدخل فى تركيبها الزفت . . إى والله . . الزفت !!

*** سؤال : شكوانا تتركز فى عدم استطاعتنا ممارسة اللقاء الزوجى إلا كل ثلاثة أيام مرة واحدة فقط . . يضاف إلى ذلك شعورنا بأعراض عديدة أثناء هذا اللقاء :**

ألم فى فتحة الشرج ، وخروج ما يشبه البرودة منها ، وآلام فى الظهر ، وتقلصات أسفل البطن ، وآلام حول السرة أحيانًا . . علمًا بإننا كنا نعانى من بلهارسيا قديمة وشُفينا قبل الزواج . . فهل هناك أمل فى الخلاص من هذه الحالة . . ؟

جواب : أولاً ، من المعروف أن البلهارسيا تتسبب أحيانًا فى حدوث شىء من الضعف الجنسى ، فهل تأكدتم فعلاً من الشفاء منها ، أم أن الأمر مازال فى حاجة إلى مراجعة تتيح لكم تحسن الحالة كثيرًا ؟! ثم إن ممارسة اللقاء الزوجى مرة كل ثلاثة أيام قَدْرٌ كاف جدًا وليس دليلاً على الضعف إطلاقًا . ولذلك فمن الأرجح أن الشفاء من البلهارسيا قد تَمَّ فعلاً ، ويمكن التأكد من ذلك لدى الأخصائى .

أما هذه الآلام المصاحبة للقاء فإن السبب فيها يرجع إلى الاعتقاد بعَدم أداء اللقاء الجنسى كما ينبغى ، وسوف تختفى فور اختفاء هذا الاعتقاد .

*** سؤال : كيف تحتفظ الزوجات بالقوة الجنسية حتى آخر العمر ؟**

جواب : يكون ذلك باتباع ما جاء فى هذا الكتاب من نصائح وتوجيهات ، مع العلم أن الاتصال الجنسى شهوة من الشهوات ولذة من اللذات ، والعناية الإلهية قد ربطت الجنس واستمتاعَ المرء باللذة الجنسية بالإنجاب ، مما يساعد على بقاء النوع وامتداده وبقاء الحياة على سطح الأرض .

واللذة الجنسية والشبع الجنسى هما أساسا استقرار الحياة الزوجية ، ولذلك نجد أن الجنس يلعب دورًا هامًا ، لا فى حياة الأفراد فقط ، بل فى حياة الشعوب . وكثيرًا ما يتساءل الناس : ما هو المعدل الطبيعى لممارسة الجنس فى الأسبوع أو فى الشهر ؟ وكيف نصل إلى الاكتفاء الجنسى بالنسبة للمرأة أو الرجل ؟ وهنا نقول : إن الاعتدال فى كل شىء ضرورى وواجب ؛ فالإفراط الجنسى له أضراره ، وخصوصًا عندما يمارَس فى سن مبكرة ؛ فعندما يكبر الرجل ويصل إلى فترة الأربعينات أو الخمسينات قد يصيبه الضعف الجنسى ، أو الارتخاء ، أو العنة ، وتصبح حالته النفسية سيئة ، ويدأب على تناول العقاقير المنشطة لهرمونات الذكورة ، ويأخذ فى التردد على أطباء الأمراض التناسلية لِطَلَبِ العَوْن ، ومن ناحية زوجته فإنها تكون قد تعودت على وضع معين ، وفجأة تُصاب بالحرمان منه ، فهذه الحالة تسبب لها حالات نفسية سيئةً ، وقد يبدأ الشجار بين الطرفين ويعرف الشقاءُ الزوجى طريقه إلى حياتهما .

والإكثار من ممارسة الجنس كما يصيبُ الرجلَ بالإجهاد فهو يصيب الزوجة كذلك بالإجهاد ؛ فكثرة ممارسة العملية الجنسية فى اليوم الواحد يسبب للمرأة التهابات فى المهبل والشفرين زيادةً على الإجهاد الجسمانى الذى يقدَّر بأكثر من ٣٠ ٪ من المجهود .

* **سؤال : نحن مجموعة من النساء ، وصلنا إلى ما بعد الأربعين ، أو كما يقولون وصلنا إلى سن اليأس ، حيث انقطعت الدورة ، ولم يعد هناك أمل فى حمل أو إنجاب ، فهل هذا يعنى أننا قد وصلنا أيضًا إلى نقطة اللاعودة . . إلى حيث لا يمكن أن نستمتع بحياتنا مع أزواجنا كما كان يحدث من قبل ، وهذا الاستمتاع مرتبط فقط بحدوث الدورة ، واستعداد الأنثى للحمل والولادة ، أم أنه يمكن أن يتحقق برغم كل شىء ؟!**

جواب : أولاً . . لسنا ندرى مَن الذى أطلق على هذه الفترة من حياة المرأة سن اليأس ؟ إن هذه تسمية ظالمة ، بل وخاطئة ؛ فإن المرأة تستطيع أن تستمتع بحياتها بعد هذه السن استمتاعًا لا حدود له . . فقط إذا أخرجت من ذهنها كل هذه الخيالات والأفكار المريضة ، وطردت من حياتها شبح الاستسلام لليأس . إنها يمكن أن تتمتع بلقاء الزوج برغم كل هذه التغيرات التى طرأت على حياتها . . فإن هذه التغيرات لا تمنع هذا الاستمتاع بأى حال من الأحوال ، ولا تَحُول بينها وبينه . أبدًا . . فلا ارتباط بين الاثنين من قريب أو بعيد . إن المرأة هى التى تصنع هذا الارتباط . . تتصور أن وظيفتها هى الحمل والولادة فقط . . بعد ذلك لا دور لها ، ينتهى كل شىء بالنسبة لها . . فتحكم على نفسها بالفناء وانتظار المصير المحتوم . إن هذه نظرة تشاؤمية إلى الحياة ، بل هى منتهى التشاؤم ؛ فالمرأة يمكنها أن تستمتع بحياتها حتى آخر لحظة . . يمكنها أن تكون جذابة ومرغوبة حتى آخر سنوات حياتها . فقط عليها أن تهتم بصحتها ورشاقتها ، وتحتفظ بتماسكها النفسى وسلامتها النفسية . لا تظن أنها بوصولها إلى هذه السن قد حكم عليها بالعدم ، وأنها لا بد بالضرورة أن تيأس ، وتتشاءم ، وتنظر إلى الدنيا بمنظار أسود [1] .

* **سؤال : سنوات طويلة قضيناها ونحن نعانى من حالة ضعف جنسى دون أن ندرى السبب ، إلى أن وضعنا أيدينا عليه مؤخرًا . إنه كامن فى وجع الظهر وألمه ، فيما يطلقون عليه الانزلاق الغضروفى . . فهل يمكن حقًا أن يؤدى هذا الانزلاق الملعون إلى إصابتنا بهذه الحالة ، وهل إذا عالجناه نشفى مما نعانى منه ، وكيف نصل إلى التصور الصحيح فى هذا الموضوع المهم ؟!**

جواب : كثير من الأزواج يعانون من ضعف جنسى ، ولكنهم - لأسباب نفسية وأخرى تتعلق بكرامة الرجولة - لا يريدون الاعتراف بذلك ، وإنما هم يكابرون ويعاندون ، ويعلِّقون هذا الضعف على أسباب أخرى ، ومن بينها وجع الظهر وألمه وبالذات : الانزلاق الغضروفى ، وهم عندئذٍ يذهبون إلى طبيب العظام ويترددون عليه ، طالبين الكشف ، وكلهم أمل فى أن يقول لهم فعلاً : إنهم مصابون بالانزلاق ، وإن هذا الانزلاق هو الذى يؤدى إلى شكواهم الأساسية .

ولكن كل ذلك وَهْمٌ وخطأ يجب الرجوع عنه ؛ فإنه لا علاقة له بكل ما سبق ، والإيحاء الذاتى لأنفسكم بالقوة كافٍ لتحقيق رغباتكم كاملة .

* **سؤال : ما هى طريقة استخدام « الإيحاء » للتخلص من التدخين وغيره من العادات الضارة ؟**

جواب : ننصحك أن تعتمد على العبارات الآتية تلقيها على نفسك مرات عديدة وخاصة قبيل النوم حيث تضعف الرغبة الشديدة :

أستطيع التخلص من عادة التدخين . . بإمكانى أن أفعل ذلك . . إننى أقدر على إزالة هذه العادة .

---

(١) سأل « جورج برنارد شو حماته ذات مرة ، وكانت تبلغ حينئذٍ ثمانين عامًا : فى أى سن تفقد المرأة حبها للرجل ؟

فعركته فى أذنه وقالت : « يا بنى جورج : وجِّه هذا السؤال إلى سيدة أكبر منِّى سنًّا! » .

إنى تركتُها . . لقد عُدْتُ حرًا . . أصبحتُ غريبًا عنها . . لقد فقدت سيطرتها علىّ . . إننى لن أدخن . أنا كاره للتدخين . . إن إرادتى قوية . .

ومجموع العبارات السابقة يمكن أن تُختصر فى عبارة واحدة أثناء الإيحاء ، تستعمل من البداية والنهاية مع الحفظ بكامل الثقة والأمل والعزيمة : « إننى أوجه انتباهى بأكمله إلى أهمية ترك عادة التدخين بكل سرعة . . أنا أعلم أننى أستطيع التحرر نهائيًا منها . . إلخ » .

ثابر على هذه العبارات بثقة وعزم للوصول إلى النجاح ، ولا تكن ممن يريدون الحصول على النجاح منذ اليوم الأول ، فلا يصلون إليه ، وطِّن نفسك على بلوغ غايتك ، ولا يروعك إذا رأيتَ التقدم ضعيفًا ، فهو مضمون ، والنجاح محقق ، وقد استخدم هذا الإيحاء الذاتى الكثيرون فتوصلوا إلى نتائج باهرة ؛ بعون الله تعالى وتوفيقه .

كل ذلك مع ضرورة دراستك لأضرار التدخين الصحية والجنسية مما ذكرناه فى هذا الكتاب .

* **سؤال : إن زوجتى جامدة عند الوصال ، فما العمل ؟**

جواب : أين أنت وتعليمَها ؟! وفيما يلى أذكر أبياتا للعلامة ابن القيم فى قصيدته النونية فى وصف المرأة عند الجماع ، فتعلَّمْها ، وعَلِّمْها زوجتَك الجامدة ؛ فهى تكاد تحرِّك الميت :

وهى العَروبُ [1] بشكلِها وبِدِلِّها ... وتحبُّبُ لِلزوج كُلَّ أوانِ
وهى التى عند الجماع تزيد فى ... حركاتها للعين والآذان
لطفًا وحسن تَبَعُّل وَتَغنُّج ... وتحبُّب تفسير ذى العرفان
تلك الحلاوةُ والملاحةُ أوجَبَا ... إطلاقَ هذا اللفظ وضع لسان
فملاحةُ التصوير قبل غناجها ... هى أوَّلٌ ، وهْىَ المحَلُّ الثانى
فإذا هما اجتمعا لِصَبٍّ وامِقٍ ... بلغتْ به اللذاتُ كلَّ مَكانِ !

* **سؤال : إن بعض الأزواج يحدث لهم برود جنسى وزهدٌ فى الجماع ، فما هو السبب ؟**

جواب : الأسباب إذا لم تكن صحية ، فهى ترجع إلى جهل الزوجين بالتجديد ، والسير فى حياتهم سيرًا نمطيًا ، مما يُفقد الزواج معناه ، ولعل الزوجة تحمل أعظم التبعة فى ذلك بعدم استخدام المثيرات من الألبسة والأحاديث والحركات والأطعمة مما تحدَّثنا عنه مفصلاً فى غير هذا المكان .

وهناك زعمٌ خاطئ مدمر أن الزوجة أو الزوج ، شأنهما كشأن الطعام الواحد يُمَلُّ ، وهذا يحدث عند مَن لا أخلاق لهم ، وقد اعتادوا على الاختلاط والرذيلة ، فيا للحماقة والجهل !

* **سؤال : ما هو أثر الغريزة النفسية فى حياة البشر ؟**

جواب : إن الغرائز كلها التى خلقها الله تعالى فى البشر ، ذات أثر فعال فى حياتهم - لا الغريزة الجنسية فحسب - وما أحسن ما قاله أحد كبار المفكرين :

« الشهوات أمرٌ مُحبب للإنسان : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [آل عمران : ١٤] وقد قدمَتِ الآيةُ الغريزةَ الجنسية على بقية الغرائز .

وقدرٌ من هذه الأمور كلها ضرورى للحياة البشرية . . ضرورى لمهمة الخلافة [2] التى يتولاها

---

(١) المتحببة لزوجها .

(٢) يعتقد كثير من الكتّاب أن الإنسان خليفةُ الله فى الأرض ، ويستدلون بآية ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ =

الإنسان فى الأرض ، ومن ثَمَّ كانت « الدوافع » فى كيان الإنسان ؛ دوافع الطعام ، والشراب ، والمسكن ، والملبس ، والجنس ، والجاه ، والتملك ، لتربطه بالحياة ، وتدفعه إليها .

* **سؤال : ما أهم الشروط للإفادة من هذه الغرائز ؟**

جواب : إنها حين تزيد عن قدرها المعقول ، وتصبح « شهوةً » مسيطرة على كيان الإنسان ، فعندئذٍ لا تؤدى مهمتها الفطرية التى أوجدها الله سبحانه من أجلها ، وإنما تصبح مدمرة لكيان الإنسان ، مهددة لطاقاته ، صارفةً له عن مهمته المقدسة ، وهابطةً به عن مستوى الإنسان الكريم - الذى كرَّمه الله وعلاَّه - إلى مستوى البهائم [1] ومستوى الشياطين .

والذى يحدُّ من اندفاع الغرائز وسيطرتها على كيان الإنسان : هو تصحيح العقيدة فى الله ، والحياة فى ظل نظام يقومُ على الحق .

* **سؤال : ألاَ يكفى العقل وحده فى تنظيم هذه الغرائز ؟ !**

جواب : لا . . والتجربة البشرية الطويلة خلال القرون تؤكد هذه الحقيقة : إما الاهتداء بهدى الله العظيم ، وإما الانحراف فى تيار الشهوات ، كل الشهوات ، وشهوة الجنس فى مقدمة الشهوات .

* **سؤال : أرجو أن تذكر أمثلة على ذلك ؟**

جواب : قد يخشى الإنسان عقوبة القانون . . فيسعى إلى التستر على ما يعتبره القانونُ جريمةً .

ولقد يخشى الناسَ . . فيرتكب جريمتَه فى خفية من الناس ، ولكنه لا يمتنع امتناعًا حقيقيًا عن الجريمة إلا حين يخشَى اللهَ ؛ لأنه لا ستر دون الله .

على أن المشاهَد فى التاريخ كله - ويا للأسف - أن النظم والقوانين الوضعية - سواء منها القديم أو الحديث - لا تُحرِّم الفاحشة الخُلقية على وجه التحديد ، وذلك لجهلها عاقبة هذه الفاحشة أو لقصورها .

وعلى كل حال ، فهناك تلازمٌ دائم بين الحضارات الوضعية وبين الانحراف فى تيار الشهوات .

* **س : كيف تستغل اليهودية العالمية غريزة الجنس لتهديم البشرية ؟**

ج : إن هذه اليهودية المجرمة تسيطر على دور السينما ، ودور الأزياء النسائية ، فتسعى عن طريقهما للترويج للفساد وإثارة هذه الغريزة .

ولا تكتفى بذلك ، بل تستثمر العلمَ أيضًا فتضع النظريات الكاذبة لِتُتمِّم تدميرها للبشرية ، ونذكر أمثلة من ذلك نظرية « فرويد » اليهودى وما نُسج حولها من دعايات كاذبة لتسليط الأضواء حولها ، وهى تدعو للإباحية ، ولقد فصّلنا القول عنها فى غير هذا الموضع ، ومثلها نظرية « دوركايم » اليهودى الأستاذ بجامعة السوربون فى فرنسا القائل بأن الزواج ليس بأمرٍ لازم ، ولا هو ضرورى ، بل

= فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة : ٣٠] وليس معناها ذلك ؛ فآدم وذرِّيته خلفاء المخلوقات والأقوام التى جاءت قبلهم مما لا مجال لتفصيله فى هذه المناسبة . وقد كنت منذ سنوات بعيدة نشرت مقالاً مفصلاً فى مجلة الوعى الإسلامى الكويتية عن هذا الموضوع ، إن الإنسان مهما أوتى من السمو والرفعة لا يستطيع أن يقوم بهذه الخلافة فكيف بالبشر الأشرار ؟! وقد قال الإمام ابن تيمية : « مَن جعل لله خليفةً ، فهو مشركٌ به » . (الفتاوى : ٢ / ٤٦١) .

(١) مساكين البهائمُ ؛ كم هى مظلومة فى هذا الشأن ؛ فإنهم أعفُّ من أكثر البشر ؛ فإن لأكثرهم أيامًا محدودة كل عام للإنجاب والتناسل ، وبعده لا تدَعُ الأنثى الذكر يقرب منها ، بل تعاقبه . . . . . .

هو قيد يحول دون حرية الجنسين . . فيستطيع الإنسان الاستغناء عنه كيف شاء دون التقيد بالأسرة . ويكذِّبُ زعمَه حياةُ الحيوانات التى تعيش فى شبه أسر ، واعتناؤها بأطفالها لفترات ريثما يكبروا ويتلقنوا الضرورى من شئون الحياة .

ومن المؤسف ، والمؤسف جدًا ؛ أن هذه الأفكار الإجرامية الخادعة قد انطلت على الأكثرية الساحقة من البشر ؛ فهم يسارعون إليها ، ويُضيِّعون من أجلها أموالهم وأخلاقهم ، ويدمِّرون حياتَهم وهم يعلمون أو لا يعلمون .

إن كنتَ لا تدرى فتلْكَ مصيبةٌ أَوْ كنتَ تدرِى فالمصيبةُ أعْظَمُ !

*** س : لقد تحدثتَ فى غير هذا الموضع عن أضرار الدخان ، وخاصَّةً على الجنس ، فكيف أجعل زوجى يترك التدخين ؟**

ج : الأمر يحتاج منك إلى قليل من الجهد والفطنة والعزيمة ، وقد جاء فى المثل العامى :

« ابنِك على ما علَّمته ، وزوجِكْ على ما عوَّدتِه ! » .

ومثلكِ من يستطيع بما سبق من الصفات أن تجعل زوجها يترك العادات القبيحة والضارة ، وخاصة إذا قدَّمتِ له « البديل » من مختلف الهوايات والفواكه والموالح وغيرها ، وإبعاد دواعى القلق والاضطرابات عنه .

ويُحكَى بهذه المناسبة أن صديقًا قدَّمَ لصديقه سيجارةً كالعادة ، فرفضها قائلاً : لقد تركت التدخين .

فقال له : ولكن ترك التدخين يتطلب إرادة قوية !

فأجابه : نعم ؛ إن زوجتى ذات إرادة حديدية .

إشارةً إلى مساعى زوجته وجهودها فى تركه التدخين ؛ فالزوجة الذكية العاقلة تستطيع أن تقدم لزوجها خيرَ « بديل » ؛ فإن التدخين يكون فى الغالب نتيجةَ القلقِ ، وإزالتُه تتوقف على الزوجة وشغلها لزوجها بمختلف أساليب التسلية والهواية ، وفهمك كفاية !

والزوج العاقل يجب تذكيره بأضرار التدخين المدمرة له ولجميع أفراد أسرته ؛ فإنه حينما يدخن فى غرفة الجلوس يؤذيهم جميعًا بدخانه المتصاعد حيث يتسرب إليهم عن طريق الفم والأنف والجلد ، وقد يجنى على أولاده فيتعلمون التدخين بالتقليد والقدوة السيئة ، وقديمًا قيل : « الوَلَدُ سِرُّ أبيه ! » .

وإنى أنصح كلَّ أبٍ اعتاد ابنهُ التدخين بسببه ، أن يعطيه ثمن علبة السجائر كل يوم ؛ خشية أن يبيع عِرضه للأشرار ولو بسيجارة واحدة .

وقد صادفتُ حوادث عديدة من هذا النوع بحكم مهنة التدريس التى أزاولها .

وأذكر بهذه المناسبة أن شابًا كان يسافر كثيرًا فى البادية ، وكان يتعاطى التدخين ، فمرتْ به امرأةٌ وطلبتْ منه سيجارةً واحدة ، فأبَى عليها إلا بتسليم نفسها له ، فرفضتْ ، ولكن عادة التدخين ألحت عليها ، حتى أخرجتها عن طورها وقبلت تنفيذ شرط الشاب مقابل سيجارة واحدة !

وهنا استيقظ عقل الشاب وقال فى نفسه :

إن هذه المرأة باعت شرفها مقابل سيجارة ، ولعله يصدف معى مرة وأكون فى سفر ، ولا دخان معى ، فأسلِّم شرفى . .

وفى الحال أخرجَ علبة الدخان من جيبه ودهسها برجليه وعاهد نفسه على عدم التدخين مطلقًا .

وفهمُك - أيها الزوج الواعى - كفاية ؛ فلا تجازف وتخاطر بنفسك وأهلك بتعاطى عادة التدخين المدمرة التى تؤدى بك إلى الضعف الجنسى والجناية على زوجتك ومصيرها . .

وقد علمتُ أن بعض الزوجات الجاهلات تضطر لتعاطى التدخين حتى تعتاد رائحة زوجها ، وفى ذلك جناية على نفسها وجنينها . . وأولادها جميعًا !

وإننى فى خاتمة هذا الجواب أستصرخ ضمير كل أب للتفكير فى عواقب التدخين الرهيبة ، وأنصح الزوجين بمراجعة مبحث « الإيحاء » فى هذا الكتاب ، واللهُ - سبحانه - المستعان ، وهو يتولى الصالحين .

*** س : ما سبب زهد بعض الرجال فى زوجاتهم ، وعدم اقترابهم منهن ، وقد يكُنَّ على قدرٍ من الجمال لا بأس به ؟!**

ج : قد يكون السبب فى ذلك : « القرف » ، وهو غالبا نتيجة الوسخ والرائحة الكريهة ، وبعض النساء لهن تركيب معيب فى الأعضاء التناسلية ؛ فمن الواجب على المرأة ألا تُرِى زوجَها جميعَ أقسام أعضائها التناسلية ؛ فإنه بمجرد النظر إلى ذلك يحصل له القرف ، وخاصة متى كانت غير معتنية بالنظافة ، أو لها رائحة كريهة ، وقد شاهد أحدُهم شاةً يسلخها اللحَّام ، فأصابه القرف من اللحم طوال حياته !!

وقد يحدث لبعض النساء أثناء الجماع سيلانٌ أبيض ، فيجب عليهن دومًا النظافة والمسح ، وإذا استمر كثيرًا فعليها بمراجعة الطبيب المختص ؛ كى لا تفقد صحتها وزوجها .

ومما يجب على المرأة - والرجل أيضا - : المحافظة على الهندام ، وتمشيط الشعر وتنظيفه ، واستعمال العطور المختلفة على الدوام ، خاصة فى أوقات الجماع ، ولا يُظهر أحدهم للآخر من جسده ما يكره .

وعلى الزوجة - ومثلها الزوج أيضا - التعلُّم من الطبيعة ؛ فإننا نرى الطيور أيام تزاوجها تتزيَّن بريش بديع ، وكذلك الأسماك والحيوانات فى فصل الربيع الذى يكون زمن التزاوج لديها ، فتغيِّر شعرَها بشعر جديد ، حتى النباتات ؛ فإنها تزدهر فى فصل التلقيح ، ويقال فى الربيع إن الطبيعة فى عرس ! .

ولا ينبغى أن تغترَّ المرأة بعلمها - وخاصةً العلم المدرسى الجاف ، البعيد عن الحياة - فلا شىء يقومُ مقامَ الزينة والتجَمُّل ، على ألاّ يزيد عن حَدِّ الاعتدال ولا يكون متكلَّفا . . وأن يكون بعيدا عن الأزياء الأجنبية .

وهذه الزينة للمرأة ينبغى أن تشمل أيضًا أولادَها وأثاثَ بيتها ، فينبغى أن يكون البيتُ كعرس فى الجمال والترتيب ، مع الحذر من الإسراف والتبذير الذى يهدد الأسرة بالإفلاس والشقاء ؛ فإن باقةً مِن الزهر كل أسبوع وبعض المناظر الطبيعية من بحار وشلالات وبساتين وغابات وغيرها . . كل ذلك يضفى على الدار السِّحْرَ والجمالَ فتكون جنةً للرجل ، تعكس الصحة والسعادة عليه وعلى جميع أفراد الأسرة . ومن فوائد ذلك تحبيب الزوج فى داره ، وعدم هروبه منها إلى المقاهى - نوادى الشيطان كما أطلقتُ عليها فى مقال نشرته منذ عهد بعيد - مما يؤدى إلى تشرد أفراد الأسرة ، فتُدفع الزوجة للذهاب إلى الشوارع والاستقبالات ، والأولاد إلى اللعب فى الطرقات والتعرض لأخطارها ، وهذه المقاهى غير موجودة - حتى فى الغرب - وخاصَّةً فى النهار وقت الجدِّ والعمل . .

وما قلته عن الزوجة ، أقوله عن الزوج أيضا ، فإن إهمال هندامه وزينته يولِّدُ القرفَ لدى زوجته ، وقد قال الصحابى الجليل عبد الله بن عباس : « إننى أحب أن أتزيَّن لِزوجتى كما أحِبُّ أن تتزيَّن لى » .

وأختم هذا البحث الهام ببعض الأحاديث النبوية الصحيحة المناسبة :

* **عن جابر قال : أتانا رسول الله ﷺ زائرًا ، فرأى رجلاً شعثًا ، قد تفرَّق شعره ، فقال : « أوَ ما كان هذا يجدُ ما يغسل به ثوبه ؟! »** .

* وعن أبى الأحوص عن أبيه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ وعلىَّ ثياب دون . فقال : « ألكَ مال ؟ » قلت : نعم .. من كل المال ، قد أعطانى الله مِن الإبل والبقر والغنم .. قال : « فإذا آتاك الله مالاً ، فليُرَ أثرُ نعمة الله عليك وكرامته » .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الفطرة خمسٌ : الختان ، والاستحداد (حلق العانة) ، وقصُّ الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونَتْفُ الإبط » .

* وعن أم هانئ قالت : « قَدِمَ رسولُ الله ﷺ علينا بمكة قَدْمَةً ، وله أربع ضفائر » .

* وعن عطاء بن يسار ، قال : كان رسول الله ﷺ فى المسجد ، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية ، فأشار إليه رسولُ الله ﷺ بيده ، كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته ، ففعل ، ثم رجع ، فقال رسول الله ﷺ : « أليس هذا خيرًا مِن أن يأتى أحدكم وهو ثائر الرأس كأنه شيطان ! » .

* عن ابن المسيب : سُمِعَ رسولُ الله ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ طَيِّبٌ يحب الطيب ، نظيفٌ يحب النظافة ، كريمٌ يحب الكرم ، جوَادٌ يحب الجُودَ ، فنظِّفوا أفنيتكم ، ولا تَشَبَّهُوا باليهود » . وفى رواية : « إن الله جميل يحب الجمال » .

* **س : ما الفرق بين المرأة غير الذكية ، والمرأة الذكية ؟**

ج : المرأة غير الذكية تطالع عينى الزوج بكل معانى جمالها بصورة صريحة وواضحة ، وتُفرغ لديه كل ذخرها الروحى والعقلى فى جلسة واحدة أو فى جلسات محدودة .

أما المرأة الذكية فقد لا تبهر عينَىْ زوجها بالحسن ، ولكنَّ جمالَها كالربيع الذى يعطيك نفسَه رشفةً رشفة ، ثم يزيدك فى كل يوم جمالاً جديدًا لم يكن فى الحسبان ، مما يطرد الملل ويجلب الفرحة ، ويفتح مجالاً للخيال والمفاجآت !.

* **س : كيف يحتفظ الزوج بقوته الجنسية ؟**

ج : ننصح الزوج بالاعتدال ؛ فقد قال الله سبحانه فى القرآن الكريم : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف : ٣١] فلم يقل ولا تسرفوا فى الأكل والشرب ، بل فى كل شىء ومنه الجماع . وفى هذه الآية الكريمة نصفُ الطبِّ أو الطبُّ كلّه !!

وعلاوة على ضرر كثرة الجماع ، فإن ذلك يذهب برونقه ؛ فإن العادة تُبطل الشعور بالاستمتاع .

ومما ننصح به من أجل الاحتفاظ بالقوة الجنسية حتى آخر العمر ، علاوة على ما سبق : الابتعاد عن التعب الفكرى والجسمى المستمرين ، وتجنُّب الخمر والتدخين ، وترك استعمال المهيِّجات الجنسية مما كنا ذكرناه مفصلا فى غير هذا الموضع .

وننصح دومًا بالثقة بالنفس ، والإيحاء لها بالقوة على الدوام ، والحذر من اليأس والإصغاء إلى المزاعم الخاطئة التى تقول بتوقف اللذة حتمية والارتخاء فى الستين أو السبعين أو الثمانين ؛ فكل ذلك لا أصل له إذا استمر الزوجان على التقوى والصلاح والثقة بالله ثم بالنفس .

ومن أهم ما يُشترط لاستمرار المتعة الزوجية طوال العمر بقاء الحب المتبادل بين الزوجين ،

وتفنُّن كلٌ منهما للآخر ، خاصةً الزوجة الذكية عن طريق الأحاديث اللطيفة وحسن المعاملة والتفنن فى استعمال الأغذية الشهية والعطور المختلفة والمغازلة . والله سبحانه الموفق ؛ فقد قال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] .

*** س : هل للتدخين علاقة بالعجز الجنسى ؟**

ج : إن الدكتور « أوشستر » الذى يبلغ السابعة والستين من عمره ، وهو كبير المستشارين فى مستشفى « نيو أورليانز » ، وأحد المكافحين الرواد ضد التدخين ، استطاع أن يكتشف عن طريق التجربة أن هناك صلة وثيقة بين التدخين وسرطان الرئة ، وكذلك بين التدخين والنشاط الجنسى .

ويقول الدكتور « أوشستر » :

« إنه من الصعب إقناع المدخنين بالإقلاع عن التدخين مهما كانت نتائجه . ولكن عندما أذكر لهم أن التبغ يؤثر على النشاط الجنسى بطريقة سلبية ، يبدءون فى التفكير جدِّيًا فى الأمر ، وهذا من دواعى الأسف ؛ لأنهم لا يبالون بأخطاره الجسيمة على أكثر أجهزة أجسامهم ! وهذا ما شجع أحد مرضاه على اتباع نصيحته بالتوقف عن التدخين ، وعاد إليه نشاطه الجنسى . . وكانت التحاليل الطبية قد أظهرت أن هرموناته الجنسية كافية إلا أن عدد الحيوانات المنوية كان ضئيلا يكاد لا يقوى على التحرك - وعندما عاد هذا المريض بعد ثلاثة أشهر لاستشارة طبيبه أظهرت التحاليل المِخبرية أنه أحرز تقدمًا ملموسًا مِن ناحية نشاط المنى وحيويته - وبعد أربعة أشهر صارت زوجته حاملاً » .

*** س : هل صحيح أن من الضرورى للزوج أن يتناول أنواعًا من اللحوم والطيور والسمك ليحظى بصحة جيدة ، ويتمتع بمتعة جنسية حسنة ؟ مما يجعل الأغنياء يتمتعون بالجنس أكثر من الفقراء ؟!**

ج : ليس هذا صحيحا ؛ بدليل أن النباتيين الذين يتجنبون الأطعمة السابقة يتمتعون بصحة جيدة وحياة جنسية موفقة ، وهم أطول أعمارًا وأقوى أجسامًا فى الغالب من سابقيهم ، ويمكننا أن نتحقق من ذلك بالحيوانات غير آكلة اللحوم كالفيلة والثيران والجِمال وغيرها . مع العلم أن البروتين والمواد الزلالية الموجودة فى اللحوم موجود مثلها فى البيض واللبن والفواكه والخضر والحبوب كالعدس واللفت والجزر والكرنب وغيرها وقد قالت طبيبة شهيرة دكتورة فى مستشفى « جون راد كلف » فى جامعة أكسفورد بإنجلترا :

« . . إذا عرفنا كيف نوازن بين هذه الأطعمة بحيث نحصل على السبعين جرامًا من الزلاليات كل يوم ، أمكننا أن نستغنى عن اللحوم مع المحافظة على صحة أجسامنا ، ولا سيما أن العالم مقبل على شحة فى اللحوم مع ازدياد مطّرد فى عدد السكان » !

ولنذكر على الدوام أن استمرار القدرة على ممارسة الجنس لا يتوقف على الطعام الثمين ، بل على الحب وبراعة المداعبة والمغازلة ، وحسن المعاملة ، واتباع القواعد الصحية والخلقية . . كل ذلك مع العلم أن طَبَقًا من السلطة المتنوعة . . أفيد من طبق لحم ! !

*** س : هل من الواجب التزام العفة حتى الزواج ؟**

ج : إعراض الشبان والشابات عن ممارسة الجنس حتى الزواج ، تمليه عليهم الظروف فى بعض الأحيان ، وتحتمه عليهم فى أحيان أخرى .

تمليه عليه الظروف تجنبًا للإصابة بالأمراض ، وما تجرُّ هذه الإصابة وراءها من متاعب ومصائب

وأهوال ، أو تجنبًا للاعتداء على الأعراض وما يجر هذا الاعتداء وراءه مِن خزى ووخز للضمير وانتهاك للأخلاق . أو تجنبًا للاصطدام بالحوادث والمفاجآت كالحمل سِفاحًا وما يتبع الحمل فى السفاح من المسئوليات .

وتحتمه عليهم الظروف فى بعض الأحيان ؛ لكى يتفرغ الشاب لبناء جسمه وعقله ومستقبله ، وليحتفظ بالمستوى الراقى من الخلق العالى والضمير والطبع الكريم .

وتفرضه عليه الظروف امتثالاً لأمر الله وابتغاءً لرضاه ؛ بالإضافة إلى كل ذلك فإن الإعراض عن ممارسة العملية الجنسية حتى الزواج والتمسك بأهداب العفة والفضيلة يشد العزيمة ويربِّى فى الشباب قوة الإرادة وروح الاحترام للجنس اللطيف ، ثم يهيِّئ الجو لحياة زوجية ترفرف عليها السعادة من جميع الجهات ؛ إذ ليس أشبع لكبرياء العروس من أن تشعر أن (عريسها) ظل طوال حياته أمينًا مخلصًا لها (حتى قبل التعارف وقبل الزواج) ، ولم تربطه بغيرها صلة جنسية على الإطلاق .

فإعراض الشاب عن ممارسة الجماع وتمسكه بالطهر حتى الزواج هو فى الواقع التصرف الطبيعى اللائق الذى ليس للشاب العاقل أن يسلك سواه .

*** س : كل هذا جميل وعظيم ، لكن هل يمكن للشاب أن يطيق الإعراض عن هذا المتعة حتى يوم الزفاف ، ويوم الزفاف بعيدٌ بُعد السماء ؟**

ج : يمكن هذا بكل تأكيد ، وليس فيه ما يتعارض مع الاحتفاظ بصحة طيبة وقدرة كاملة على مواجهة جميع الالتزامات الملقاة على أكتاف الشباب . ليس لهذه العفة ردُّ فعلٍ على صحة الشبان والشابات الجسدية والنفسية ، ليس له رد فعل على الأعضاء الجنسية بالذات ولا على مستقبل الشاب من الناحية الجنسية - التناسلية - بحالٍ مِن الأحوال كما يزعم بعضهم كـ « فرويد » اليهودى بقصد إفساد الأجيال ، وقد تحدثنا عن ذلك فى أول هذا الكتاب ؛ إذ إن الإفرازات الزائدة تنصرف من الجسم بشكل أو بآخر سواء مورس الجماع أو لم يمارَس .

ثم إن الإعراض عن العملية الجنسية حتى الزواج لا يجرّ فى ذيله مضاعفات ولا احتمالات لمضايقات مستقبلية تضعف الحساسية الجنسية أو الرغبة الجنسية أو تورِثُ السرعة فى القذف ، أو الإدمان على العادة السرية ، أو الشذوذ ، أو الخمول ، أو توتر الأعصاب ، أو غير ذلك من الأعراض ؛ فى الواقع كل هذه أعذارٌ يتحجج بها الإنسان تبريرًا لِتورطه فى هذه المتعة المحرّمة وعدم قدرته على مقاومة الإغراء . ولكن الحقيقة تكمنُ فى أمرٍ واحد وهو ضعفُ الإرادة وما يتصل بها من عدم القدرة على كبح عنان شهوة الجماع .

الطهر والعفة حتى الزواج - وإن لم تكن سهلة - فهى على الأقل مستطاعة فى مقدور الإنسان ، ثم لا هى إلزام فوق طاقة البشر ، ولا هى حياة لا يمكن أن يحتملها الشبان ، بل هى على العكس غذاء للروح ومنجاة للقلب ونداء للضمير ، ولا يطيقها إلا كل ذى إرادة ، ولا يُعرض عنها إلا من كان ضعيف الإرادة ضعيف الثقة بالنفس ، فالإرادة والثقة هما طوق النجاة وأساس الطهر وقوة الإيمان . وما اعتمد الرهبان إلا عليها للإبقاء على رهبتهم والعيش كل حياتهم عزّابا ، فإذا تداعت الإرادة أو وهنت أو ضعفت . تنهار الثقة بالنفس ويضعف الإيمان بالقدرة على مقاومة الإغراء والاحتفاظ بالطهر حتى يوم الزفاف ، فلا يقاوم الشاب الإغراء ولا يحتفظ بالطهر .

*** س : بماذا تنصح الشبان والشابات فى هذه المرحلة ؟**

ج : الإرادة قوة كامنة فى طبع الإنسان يمكن له أن يقوِّمها ويربيها ويغذيها بالتحضير والتعليم والتمرين ؛ فيحضِّر لها بالكف عن تعاطى الخمور ؛ فالخمور رسل العهر والفجور ، ويحضِّر لها

كذلك بعدم التردد على أماكن اللهو والفساد ، وبتجنب الاطّلاع على الصور العارية والمجلات المستهترة والأفلام المليئة بما يثير الرغبة ويلهب الشهوة ويرفع الحرارة الجنسية ، ويقلع عن الخلود إلى الأفكار والتصورات والخيالات المشحونة بالكهرباء ، حتى إذا ما راودته هذه الأفكار أو هذه التصورات أو هذه الخيالات ؛ فمن السهل تبديدها فى الحال بالاستعاضة عنها بأفكار أخرى وتصورات أخرى وخيالات أخرى من لون آخر وطعم آخر وشكل آخر ، فيفكر الشاب فى عمله أو دروسه أو فى حب أخته وأخيه أو مرض أمه وأبيه ؛ فالرغبة الجنسية تلبّى نداءك إذا دعوتها ، وتُعرض عنك وتتبدَّد إذا أعرضتَ عنها ونسيتها .

*** س : ما رأيك فى الحب العذرى ؟**

ج : كلام كله كذب وخداع ، وكم كان للقول بوجود الحب العذرى الأخطار المدمرة . وقديمًا قيل : « معظم النار مِن مُستصْغَرِ الشرر » ، « ومَن حامَ حولَ الحِمَى ، يوشك أن يقع فيه » . وفى أمثال العامة : « عند البطون تضيع العقول » . فماذا نقول عن الغرام ؟!

فالحذر الحذر أيتها الفتيات !!

*** س : قرأت فى كتاب بعنوان « الحياة الجنسية » الفقرة التالية :**

« الطالب والطالبة المتحابان (أو المخطوبان لبعضهما) تعترضهما الدراسة وتمنعهما من الزواج وتحمُّل أعبائه ، كما تعترضهما الأديان على وجه كامل صحيح ؛ فأمام هاتين المشكلتين يلجآن إلى حل وسط من آن لآخر : يسترقان الخلوة ويطفئان لظى القلب بشهد الرضاب ، ويستعيضان عن الجماع بالتحضين ، والتفخيذ ، والغزل وبالجحيم من القبل . . فهل لهذا السلوك ما يسىء فى شىء إلى مستقبل حياتهما التناسلية الجنسية؟ » .

ويجيب الكتاب نفسه : « غالبًا لا ، طالما كان الطرفان فى سن مبكرة (من الطلبة) وحتى فيما بَعد هذا السن بقليل ؛ فالعلاقة بين هذا السلوك وبين أى نوع من الأعراض أو الأمراض مشكوك فى أمرهما ، ولا تزال تفتقر إلى البرهان ، اللهم فيما عدا الاحتقان الذى يظهر على الأعضاء الحوضية فى الإناث وعلى البروستات وملحقاتها فى الذكور » . فما رأيكم .

ج : سبحانك اللهم ، هذا بهتان عظيم ، لا يقول به عقلٌ ولا خُلُق ولا طِبّ .

ولا يخفى أن مثل هذه الكتب الجنسية هى مصدر الخطر الرهيب والشر المدمر على الشبان والشابات معًا ، وربما أدى هذا إلى الحمل على الرغم من وجود البكارة بسبب تسرب ماء الرجل عن طريق ثقوب البكارة كما يقول الطب الحديث .

وهذا ما دفعنا إلى تأليف هذا الكتاب « تحفة العروس » بأسلوب علمى وخلقى وعاطفى رزين ، ولا شك أن مثل هذا السلوك الذى أباحه الكتاب لا ينتهى بالزواج ، مما يحطم مستقبل الفتاة ويفسد الفتى ويضيع مستقبله .

وكم كان يجدر بهذا الكاتب أن ينصح الطلبة بالانصراف إلى دروسهم وأُلهياتهم المفيدة والممتعة التى تُكسبهم قوةً ونشاطًا لمتابعة دراستهم بتفوق ونجاح ، وكل ذلك بتحويل الطاقات الجنسية إلى إبداع واختراع .

وبعد كل ذلك يستقبلون حياتهم الجنسية بعد التخرج بصحة وسلامة ومتعة ، كما ينصح بذلك أساطين العلماء .

*** س : ما تعريف الملل ؟**

ج : إن الملل هو الشعور بالاعتياد على مخلوق نراه دائما فى نفس الحالات التى رأيناه فيها من قبل .

أى أن الملل شعور بالاعتياد والتكرار ، وآفةُ الاعتياد أنه يفقد المرء إحساسه بالدهشة والجدَّة . كما أن التكرار يوحى بأننا أمام مشهد سبق أن رأيناه من قبل مما تَعْزفُ عنه النفسُ . . ولا أحد فينا يحب أن يرى ما سبق أن رآه عشرات المرات . هذا هو تعريف الملل المبدئى .

* س : **هل الإنسان مخلوق ثابت (ستاتيكى) أم مخلوق متحرك (ديناميكى) ؟**

ج : إن الإنسان مخلوق متحرك ، بل إن حركته لا تتوقف عن الاستمرار .

* س : **كيف يولد الملل إذن ؟**

ج : هنا نحب أن نشير إلى أن الملل لا يولد من طبيعة الحياة الزوجية نفسها ، وإنما يولد من تصرفات الزوجين .

وهذا معناه أن علينا أن نبحث عن وصايا مقاومة الملل فى تصرفاتنا بدلاً من الهزيمة أمام هذا الشعور .

* س : **ما هى أهم الوصايا لمقاومة الملل بين الزوجين ؟**

ج : إن الوصية الأولى هى الاحترام ، ويعنى الاحترام أن رفع الكلفة بين الزوجين أمرٌ ضار للغاية ؛ إن الحب يستمد بقاءه عادةً من هذه الهالة التى يحسها كل مخلوق نحو الآخَر . ورفعُ الكلفة بين الزوجين والمزاح الذى لا يعرف حدود التوقير يمكن أن ينزع قشرة الحب فيفسد الحب تماما ، كما تنزع قشرة الثمرة عنها وتتركها .

ليس معنى هذا أن نفقد روح المرح ؛ إن فقدان روح المرح يجعل النكد يتسلل إلى الحياة الزوجية ، وليس كالنكد أمرٌ يبعث على الملل ؛ لأن الإنسان يمل الأحزان عادةً ويميل إلى الهرب منها .

أعرف أزواجا يعيشون فى سعادة حقيقية بسبب روح المرح التى تسود بينهما ، وهى روح لا تنفى الاحترام بل تؤكده .

* س : **ما أجمل ما فى المرح ؟**

ج : أجمل ما فى المرح قدرةُ الشخص على نقد نفسه ، لا نقد رفيقه الآخر .

إن سخرية الزوج من زوجته أو سخرية الزوجة من زوجها أمر سهل ، ولكنه مدمر ؛ وأصعب منه أن ينقد الإنسان نفسه ، ولنعرف أن أعلى مراتب الرقى الإنسانى أن ينتقد الإنسان نفسه .

وما أكثر المنازعات التى يمكن لِروح المرَح أنْ تحلَّها عن طريق نقد النفس لا نقد الغير .

* س : **حدِّثنا عن وصايا أخرى لمقاومة المَلل ؟**

ج : من وصايا مقاومة الملل : تجنب قلة الاهتمام ، وعدم الثقة ، والحرص على إدراك ما فى معظم الخلافات الزوجية من سخافة . ولو تأملنا الأسباب التى تنشأ منها معظم المنازعات التى تؤدى إلى الفتور ، فالملل ، لأدركنا أنها تستند لأسباب تافهة .

من وصايا مقاومة الملل : الحرص على تجديد الحياة وبلورة المشاعر كل فترة زمنية .

وهذا يعنى أن يبتعد الزوجان قليلا ؛ كأن يسافر كل واحد منهما إلى أهله ، ثم يتبادلان الرسائل ، أو تذهب الزوجة لزيارة أهلها عدة أيام .

* س : **ما هى أهم الوصايا لعلاج الملل ؟**

ج : لعل أهم وصية لعلاج الملل هى التعبير عن المشاعر نحو الطرف الآخر ؛ إن أقسى ما يفسد الحياة الزوجية ويفتح فيها ثغرة للملل أن يعتقد كل زوج أنه قد عبَّر عن مشاعره فى الحب بمجرد الزواج . ولم يعد محتاجًا بالتالى لأن يعبِّر عن مشاعره مرة أخرى .

إن توقف التعبير عن المشاعر هو الباب المفتوح على الملل .

ومن أهم أسباب الملل : الحياة النمطية على نسق واحد ؛ سواء فى الزينة ، أو الثياب ، أو اللعب ، وعدم تفرغ المرأة لزوجها ؛ فعليها أن تقدم له طلباته وتحقق رغباته ، فلا يشغلها عنه أحد من أولاد وغيرهم .

هذا وهناك أسبابٌ بعيدة للملل ، سببها الرجل غالبًا ، الذى يحسَبُ الزواج متعة جنسية فحسب ، جاهلاً آفاقه الكثيرة : من تكوين الأسرة ، ورعاية البيت ، والصداقة ، والحنان ، وتربية الأولاد ، ومباهج الحياة الأخرى .

وغالبًا ما يكون الملل مِن الرجل القاصر النظر الذى يعيش فى محيط منحرف ، فينبغى أن يكون زوجًا بكل معنى الكلمة لا من جماعة الذوَّاقين المنحرفين الذين يعبث بهم الشيطان متأثرين بالأفلام السينمائية والتليفزيونية وبالنظريات المدمرة اليهودية كنظرية « فرويد » القائلة بأن الجنس كل شىء ، ونظرية « دوركايم » الذى يزعم - كذبًا وزورًا - أن الأسرة قيد ، وأنها من وضع المجتمع ، يكذِّبه فى ذلك حياة حتى الحيوانات التى ترعى أولادها حقبةً مِن الزمن تختلف باختلاف طبيعتها .

والمرأة فى مجال الملل أفضل من الرجل على الغالب ؛ فهى تَقنع بزوجها ، وتُسلم له قلبها ، وتُخلص له ، فلا تفكر فى غيره ، فعلى الرجل أن يعتبر بذلك ويأخذ درسًا بالغًا ، ويفكر فى نفسه : ماذا لو ملَّته زوجته ؟ إن الحياة تصبح جحيما مما يهدد بتمزيق الأسرة وتشريد الأطفال .

وندعو هذا الملول بهذه المناسبة إلى دراسة مصير أمثاله الملولين الذوَّاقين . . كما ندعوه إلى تقدير موقف زوجته النبيلة التى لها مشاعر حساسة رقيقة تعتبر تقديمها لأى شخص آخر غير الذى كرستْ له حبَّها على الدوام نوعًا من تدنيس المقدسات وانتهاك الحرمات ، وهدم الأسرة .

*** س : ما نصيحتكم وتوجيهكم لبعض الشبان الملولين الذين يتركون زوجاتهم الطاهرات المطهرات ويذهبون لمعاشرة الفاسقات ؟**

ج : فى أمثال هؤلاء الشباب قال الإمام ابن القيم فى قصيدته النونية :

يا مُطْلقَ الطرفَ المعذّب فى الأُلَى ... جُرِّدْنَ عن حبٍّ وعن إحسان
لا تَسْبِيَنَّكَ منَ تحتها الـ ... داءُ الدوىّ تبوءُ بالخسران
قبح خلائقها وقبح فعلها ... شيطانةٌ فى صورة الإنسان
تنقاد للأنذال والأرذال هم ... أَكْفَاؤها مِن دون ذى الإحسان
ما ثَمَّ مِن دينٍ ولا عقلٍ ولا ... خلقٍ ولا خوفٍ مِن الرحمن
وجمالُها زورٌ ومصنوعٌ فإنْ ... تركَتْهُ لم تطمحْ لها العينان
فالناقدون يرونَ ماذا تحتَهُ ... والناسُ أكثَرُهُمْ مِنَ العميان !

وقال هذا الإمام فى قصيدته النونية يصف حركات المرأة المثيرة للزوج وهى الجديرة بتجديد الحياة وتلوينها وجذب زوجها الملول :

وإذا بدَتْ فى حُلَّةٍ فى لبسها ... وتمايلتْ كتمايُلِ النشوان
تهتز كالغصنِ الرطيبِ وحمله ... وردٌ وتفَّاح على رِقَّان
وتبخترتْ فى مشيتها ويحق ذا ... كَ لِمثلها فى جنة الحيوان

أى فى جنة الحياة الآخرة .

*** س : أليست العلاقة الجنسية ، والعملية الجنسية غريزتين ، تؤديان مهمتهما بصورة عفوية ولا شعورية ؟**

ج : هذا صحيح فى الحيوانات والحشرات ؛ فقد علَّمتهم العناية الإلهية عن طريق الغريزة فنون المداعبة والغزل والغناء مما يثير الإعجاب والدهشة مما يجهله كثير من البشر ويدعوهم إلى ملاحظة هذه المخلوقات العجماء والتعلم منها .

ويظهر ذلك واضحا فى الحَمام بصورة ملحوظة تكاد تحرِّك الموتى وتثير الجلمود .

وفيما يلى سنورد ذكر بعض المشاهد الغرامية والغزلية للحيوان ؛ لعل فيها عبرة لمن يعتبر وتهذيبًا لبنى البشر ليفيقوا من غرورهم ، فطالما استفادوا من مراقبة سلوكيات الحيوان فى علومهم واختراعاتهم ، ولولاها لعاشوا فى جهل سحيق ؛ فهى المعلم العجيب ، وقديمًا علَّم الغرابُ ابنَ آدم الأول كيف يوارى سوأة أخيه بعد ما قتله ؛ مما جعله يقول كما جاء فى القرآن : ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٣١] .

*** س : كيف يتم التجاذب الجنسى بين الحشرات ؟**

ج : تجتذب الحشراتُ الجنسَ الآخر بعدة وسائل تختلف باختلاف أنواعها :

فهناك ما يُصْدِر أصواتًا ذات ترددات مميزة ! وهناك ما يفرز موادًّا جنسية لها رائحة خاصة تُعرف « بالجاذبات الجنسية » ! وليس أغرب حقًّا من انبعاث ومضات ضوئية مما يطلق عليها « الحشراتُ المضيئة » ، ولا يخفى علينا أن لِلَّون دورًا هامًّا فى التعرف على الجنس الآخر .

والذباب النارى أو ما يعرف فى الأمريكتين بـ « البق المضىء » هو خَيْر مثال على قدرة الحشرات على إطلاق ومضات ضوئية لجذب الجنس الآخر والتعرف على مكانه وخاصةً بالليل ، وينبعثُ الضوء على أعضاء خاصة بالجزء البطنى للحشرة ويميزها الجنس الآخر من النوع نفسه طبقًا لفترة وتكرار الومضات التى تختلف من نوع إلى آخر ، كما قد يختلف ذاتُ اللون من أحمر إلى أزرق مخضَرّ تبعًا لنوع الحشرة ؛ حيث قد يتباين إلى حَدٍّ ما تركيبُ المادة الأساسية المسئولة عن انبعاث الضوء .

*** س : هل لكم أن تحدِّثونا عن الغزل عند الحشرات ؟ لعل فيه دروسا لبعض البشر ؟!**

ج : بعد تحديد مكان الجنس الآخر تبدأ فى العادة مرحلةُ الغزل ؛ فقد لوحظ أن معظم الإناث لا تستجيب إلى الجماع الجنسى مباشرةً بمجرد التقائها بالذَّكر ، بل لا بد من مغازلتها والتودد إليها أولاً ؛ فعندما يثار الذَّكر فى بعض الفراشات وأبو دقيق بالجاذب الأنثوى ؛ فإنه يبتعد قليلاً عن أنثاه وينشر أجنحته ، فيكشف عن غدد مفرزة لمادةٍ جاذبة ذكَرية تدفع الأنثى إلى الاقتراب منه فينحنى إليها ، وبذلك تتمكن الأنثى من ملامسة منطقة الغدد الذكرية بقرون استشعارها ، وهناك تسمح للذكر بعد الالتفاف حولها بالجماع . . أما فى بعض أنواع الصراصير فإن الأنثى تتعلق على ظهر الذكر كى تتغذى على إفراز غدده الجنسية ، وعندئذ يتمكن الذكر من مجامعتها .

ومن أنواع الغزل الأخرى : ما يحدث مثلاً فى بعض أنواع ذباب الفاكهة وصرصور الغيط ؛ إن الذكر يربت على أنثاه بأرجله الأمامية ؛ على حين تقف الأنثى بلا حراك ، ثم يعود الذكر فيربت على رأسها ، وهنا يبدأ الشريكان فى الرقص ؛ وهو عبارة عن خطوات إلى الجانبين وهما يقفان وجهًا لوجه ، وفى أثناء الرقص يبدأ الذكر فى نشر أجنحته بالتدريج ، وبانتهاء نشرهما إلى الحد الأقصى يقف مختالاً ، على حين تقف الأنثى فى استعداد كامل للجماع ، وعندئذٍ يدور الذكر حولها عدة مرات تنتهى بالقفز إلى ظهرها ويتم الجماع .

وهناك من ذكور الحشرات ما يلجأ إلى تقديم الهدايا لاسترضاء أنثاه ؛ فذكور « ذبابة العقرب » مثلاً تفرز مادةً جنسية تجتذب رائحتها الإناث ، ويكون الذكر حاملاً فى فمه إحدى الفرائس من الحشرات الصغيرة ، فتحاول الأنثى الحصول عليها ولكنه ينهرها ، غير أن الأنثى تدور حوله فيتركها

حتى تقفز إلى ظهره فى محاولة للحصول على الفريسة ، فيمسك بها ويتم الجماع ، وهنا يقدم لها الفريسة راضيًا بأن يمسك بها بأرجله الخلفية ، بل يوصلها إلى فمها دون أى مجهود ! .

وفى بعض الزنابير يحمل الذكرُ أنثاه غير المجنحة إلى مصدر الغذاء مهما بَعُدَ حيث يغذيها بفمه إرضاءً لها !!

وفى أنواع أخرى تجمع الذكور الرحيق لإناثها فى تجويف تحت الرأس حيث تحتفظ به عن طريق شعيرات تمنعه من أن يسيل أو أن يتبخر .

ومن العجيب حقًا أن تلجأ بعض الأنواع من الذكور إلى تقديم بعض باقات الأزهار ملفوفة فى شرانق من الحرير كهدية ؛ لتُلهى الإناث فى أثناء الجماع . . وكأنه إنسان يقدم لقرينته طاقةَ زهرٍ ملفوفة فى سلوفان !

* **س : كيف يتم الجماع فى الحشرات ؟**

ج : بعد مرحلة الغزل يبدأ الجماع ، ويتخذ أشكالا وأوضاعًا تختلف باختلاف أنواعها .

ويعرف عن بعض إناث الحشرات أنها تأكل الذكور بعد عملية الجماع ؛ كما هى الحال فى حشرة « فرس النبى » !! فلنحمد الله نحن البشر على السلامة !

ومن العجيب أنها تلتهم رأسَ الذكر بمجرد الاقتراب منها للجماع ، حيث قد أثبتت الدراسات أن السبب الرئيسى لهذا « الهجوم الغادر » يرجع إلى وجود مركز عصبى بالمخ يثبط من النشاط الجنسى للذكر ، فباستئصال الرأس يتحرر الذكر من هذا المركز ، فيتم الجماع بصورة نشيطة تستطيبها الإناث !

ويمكن سماع الذبذبات الصوتية لبعض أغانى الحشرات فى الغزل والحب والنداء والجنس ، ويمكنك أيها القارئ العزيز أن تستمتع بسماعها مسجلة على أسطوانات أو شرائط إذا ما شئت أن تسبح فى ملكوت الخالق جل شأنه ! [عن كتاب عجائب الحشرات للدكتور محمد طلعت الإبراشى ، نقلناه لعل فيه درسا أو دروسا للأزواج والزوجات المغفلين والجامدين . . ومتعة وفكاهة لغيرهم] .

* **س : ما هو موقف المرأة من زوجها العِنِّين الميئوس من شفائه بعد مرور زمن طويل عليه ؟**

ج : هذا يرجع إلى نفسية هذه الزوجة ، فإذا كانت من النساء الباردات وممن لا رغبة لها بزوج أو ولد ، ولا تجد حرجًا من ذلك : فلا مانع ، وإلا فإن الإسلام يسمح لها بطلب الطلاق والتفريق مهما كان الزوج سخيا . .

مَن لم يكُنْ للوَصْل أهلاً فكلُّ إحسانِهِ ذُنوب !!

* **س : هل لكم أن تحدِّثونا كيف كان يتم وأد البنات فى الجاهلية التى استنكرها الإسلام وحاربها بمثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ ؟**

ج : كان الوأد يتم فى صورة قاسية ؛ إذ كانت البنت تدفن حية ، وكان العرب فى الجاهلية يتفننون فى هذا بمختلف الطرق ؛ فمنهم من كان إذا وُلدت له بنت تركَها حتى تكون فى السادسة من عمرها ؛ ثم يقول لأمها طَيِّبيها وزيِّنيها حتى أذهب إلى أحمائها - وقد حفر لها بئرا فى الصحراء - فيبلغ بها البئر ، فيقول لها « انظرى فيها » ثم يدفعها دفعًا ويُهيلُ التراب عليها .

هذه كانت نظرة الجاهلية إلى المرأة . . حتى جاء الإسلام يشنِّع على هذه العادة ويقبِّحها ، وينهَى عن الوأد ويغلِّظ فعله ، ويجعلها موضوعًا من موضوعات الحساب يوم القيامة .

وما كان يمكن أن تتحقق كرامة المرأة فى البيئة الجاهلية أبدًا ، لولا أن تنزلت بها شريعة الله ونهجه فى إطار كرامة البشرية كلها ، وفى تكريم الإنسان : الذكر والأنثى .

* **س : هل الجماع فن ؟**

ج : إن الرغبة الجنسية غريزةٌ مِن غرائز الإنسان ؛ كالجوع والعطش ، وتُلِحّ عليه تمامًا كما

يلحان . لِيُشبعَها وينال مراده . . ولكن لا بُدّ من التمهيد . . والمرأة بهذا التمهيد والتحضير تلهب فى نفسها النار ، وتعطى للممارسة الجنسية الفرصة لِتَحلو وتترنح وتسبح فى الفضاء .

وتطول وتقصر مرحلة التحضير باختلاف الظروف واختلاف النساء . ومن أغلى النصائح التى يقدمها الطبيب للزوج أن يسرف فى التودد والتحببُ بحلو الحديث أثناء التحضير ، ويخلب العقل بالغزل ويحرق الشفَة بالقُبَل . . إلى أن تطلب الزوجة (بالقول أو بالحركة) الشروع فى الجماع - وإذا كان الرجل سريع القذف ، أو كانت المرأة بطيئة فإن من أغلى النصائح التى يقدمها الطبيب للوصول إلى الرعشة أنه يجب الإطالة فى التحضير والاستعانة فى إشعال شهوتها بمداعبة (الأزرار) مصدر الانبعاث .

الأستاذ فى الفن يسعى دائما إلى استكشاف مراكز الاشتعال أو (أزرار الكهرباء) فى الزوجة ؛ لأن مواقع هذه المراكز تختلف باختلاف النساء . . فقد تقع أحيانا فى الشفاه ؛ فلا يثير المرأةَ حينئذ مثلُ القُبَل وارتشاف الرضاب ، وتقع أحيانا فى الحلمتين ، أو فى سلسلة الظهر ، أو بين الفخذين ، أو حول الزنبور ؛ فلا تشبع المرأة ولا تندلع فيها النار بغير مداعبة فنية لهذه الأجزاء .

ولا يغرُب عن البال أن ثورة المرأة أثناء الجماع هى أحمى وقود يلهب فى الرجل الشهوة ، ويثير فيه النار ، ويرفع مستوى الإجراء إلى القمة ! .

*** س : هل يحسن تغيير وضعية الجماع فى الموضع المشروع من وقت لآخر ؟**

ج : التغيير ضربٌ من ضروب الفن فى الجماع ، يخلق منه الفنان ألوانًا متباينة تبعث الشهية والإثارة والرغبة فى الجماع - يطبقها عمليا على الأخص من كانوا فى أول عهدهم بالزواج : كأن يستعرضوا به مواطن الفتنة أثناء الممارسة أو يستكشفوا سرًا خَفِيًا من (أزرار الكهرباء) ، أو يخترعوا أوضاعا (أكروباتية) للزهو والافتخار أو للظهور بمظهر العباقرة الأبطال . . هذا التغيير والتبديل فى الروتين يجد الترحيب من الشريكين ، وليس عليه غبار ، ولا يتقادم مع الأيام .

فإذا استقر شكلٌ منه ولم يقابَلْ بالترحيب مِن أحد الشريكين ، أو إذا فُرض فرضًا أو أضحَى أساسًا فى الممارسة الجنسية رغم معارضة الطرف الآخر ؛ فإنما يدعو هذا الاستقرار وهذا الفرض إلى خلق المتاعب والنفور وعدم الانسجام .

وأحيانا تتخذ الزوجة الساذجة أو قليلة المعرفة بأحوال الجنس من هذا التغيير فى الروتين حجةً للطلاق أو لقطع العلاقات .

تغيير (الروتين) يكون جميلا إذا صقله الفنان وطبَّقه الفنان ، ويكون قبيحا إذا اجترأ على جماله وتطبيقه غيرُ الفنان ، أو إذا استغل الوضع واستعار التغييرُ شواذ الجنس ، واعتبروا شذوذهم ضربًا مِن ضروب التغيير فى الروتين ، وهو فى الحقيقة ضرب من الوقاحة والحماقة وفقدان الذوق والبعد عن الطيبات ، وكم فيه من أضرار صحية للمرأة ، مما يمزق الشرج ، ويجعل الغائط يخرج من نفسه ، زد على ذلك حرمان المرأة من متعتها وتركَها تلتهب وتنقم ، وربما ثارت وخرجت عن عفتها بارتكاب الفاحشة مع الغير .

*** س : هل لك أن تحدثنا عن خير صفات الزوجة الصالحة ؟**

ج : ذكرت ذلك فى مواضع متعددة من هذا الكتاب ، ونزولاً على رغبة السائل أنقل فيما يلى قصيدة طريفة ومؤثرة وقيمة يتحدث فيها أحد الأزواج عن صفات زوجته المثالية بعد ما فارقت الحياة ،

مما يثير العَبَرات ويبعث فى الأزواج قساة القلوب وناكرى الجميل ، صفات العطف والاعتراف بالجميل ، على أن يكون ذلك قبل الموت ، حيث لا ينفع الندم ، وتنفطر النفس أسى وحسرة .

وإنى - أقسم أننى - لم أتمالك نفسى ، وأنا أقرأ هذه القصيدة من العَبَرات تأثرًا لهول الموقف :

مِن نصف قرن ونيف قد أنستُ بها ... فى خير عيشٍ فلا هَمٌّ ولا كدَرُ
إذا طغَى الخطْبُ واسودَّتْ نوازِلُه ... تبسَّمَتْ فتجَلَّى ليلُهُ العَكِر
كانت ضِمادَ جُروحى وهى دامية ... هى الحياة ، هى الدنيا ، هى العُمرُ
يا نفحةً مِن جناب الله طيِّبة ... مِسْكيَّة العَرْفِ يزكو عَرْفُها العَطِرُ
قُدسية الرُّوح ، أطهار عرائقها ... لم يُثْنِ مِن عزمها سقمٌ ولا كبرُ
طَهُرَ الضميرُ فلا غِلٌّ ولا حسدٌ ... عفَّ اللسانُ ، فلا لغْوٌ ولا هذَرُ
سمحًا طيبة الأعراق مِن نفرٍ ... سَمَوْا كأن لهم فوق السُّها وطَرُ
آباؤها الطُّهْرُ أحيا فى ضمائرنا ... كأنما القوم ما ماتوا ولا قُبِروا
لمَّا توارتْ وحلَّتْ فى مضاجعهم ... ضاءتْ بهم وتسامتْ فيهم الحُفَرُ
كانت مثالاً من التقوى لها صلةٌ ... بالله ، أخلاقُها (القرآن) تزدهر
هالُوا الترابَ عليها وهْىَ نيِّرةٌ ... كالشمس تحتَ سَحابِ الأفْقِ تستَتِرُ

* * *

يا ربَّةَ البيت يا مِشْكاةَ بهجته ... العيشُ بعدَكِ مُرٌّ كلُّهُ صَبِرُ
فى كل زاويةٍ منكِ به أثَرُ ... إذا مَرَرْتُ عليه يَبْكِى لِىَ الأثر
كانت لنا فيه أوطارٌ تعلِّلُنا ... باختفائك عنه انتهى الوطَرُ
وحوْلنا فى زواياه ، لنا شجرٌ ... فروعُها أينعتْ مِنَّا لها ثَمَرُ
ما زال منكِ بأفكارى وفى بصرى ... وفى سويداء قلبى تطلع الصوَرُ
تسوَدُّ فى عينى الدنيا إذا خطرتْ ... كأنما الكون ، لا شمس ، ولا قمر

* * *

بَكَتْ «أريان» [1] وانهالتْ مدامعها ... وكاد يَبكيك من جدرانها الحجرُ
ونَاحَ «ريمان» [2] واهتزتْ جوانبُهُ ... وكاد للهَوْلِ والمأساةِ ينفَطِرُ
عِشْنا عليه زمانًا فى شبيبتنا ... والدهرُ سَلْمٌ ، فلا خوفٌ ولا خَطَرُ
كأن ساحاتِه العليا لنا حَرَمٌ ... لا لهوَ فى عيشنا فيها ولا بطر
ما زلت أذكُرُ فيها خطوَنا وأنا ... وأنت نحبو إلى أن عاقنا الكِبَرُ
أصداءُ أقدامنا فيها لها نَغَمُ ... وخطونا لم يزل فيها لَهُ أثرُ

* * *

إن أنْسَ لا أنسَ أسفارًا لنا جمعتْ ... حياتَنا وخُطا أعمارنا سيرُ

---

(١) موطن الشاعر وزوجته .

(٢) حصن منيع قريب من « أريان » عاش فيه فترة شبابه .

ستٌّ وخمسون عامًا كلّها سفرٌ ... ألقيتِ فيها عصاكِ وانتهَى السفرُ
أمّا أنا فعصا الترحال تدفعُنِى ... للخطو فى الدرب ، مرسومٌ بها القدر
(يا ربَّةَ البيتِ يا مشكاةَ بهجَتِهِ ... العيشُ بعدَكِ مُرٌّ كلُّهُ صَبِرُ)
ماذا وراء الموت ما سِرُّ الحياة فقد ... تاهتْ بأسرارها الألبابُ والفكرُ
ماذا ترَيْنَ وراءَ الموت ، هل كُشِفَتْ ... لكِ الحقيقةُ عمَّا تحجُبُ السُّتُرُ
جحافلُ الموت تَمْضى وهْىَ مسرعَةٌ ... فيها العِظاتُ وفيها للْوَرَى عِبَرُ
ورَقْدَةُ المَوْتِ طَىُ القبْرِ دائمةٌ ... لا صَحْوَ فيها ولا نَوْمَ ولا سَهَرُ
لا أمْسَ فيها بذاكرةٍ يحرُكها ... ولا غَدٌ بأمانيهِ له أثَرُ
إن الحياةَ وإن طالتْ لها أمدٌ ... إليه ينتهِى الترحالُ والسفرُ
استقبلتكِ مِن الرحمن رحمتُهُ ... دامتْ عليكِ إلى أن يُحْشَرَ البشرُ
صلَّى الإلَهُ على قَبْرٍ نزلتِ بِهِ ... ما طافَ بالبيتِ أقوامٌ وما اعتمروا[1]

*** س : هل يستحسن وضع الشاب العزب وغيره صور نساء عاريات أو أنصاف عاريات فى غرفة نومه للترفيه عن نفسه خشية الكبت ؟**

ج : لا يستحسن ذلك ، بل على العكس إن مشاهدة هذه الصور هى التى تحدث الكبت وتؤدى إلى إثارة الغريزة الجنسية وتشتيت نشاطه الدراسى وغيره .

وينبغى أن نذكر دومًا أن الكبت هو نتيجة أمرين اثنين غالبًا :

الأول : الاعتقاد أن الجنسَ خطيئةٌ لا ينبغى الاقتراب منها كما هى عقيدة بعض الديانات ، فيعيشُ الإنسان بين تيارين متعارضين : تيار العقيدة التى توبخه ، وتيار الغريزة التى تثيره وتدفعه . ذكرنا بعضها فى غير هذا المكان .

الثانى : إثارة غريزة الجنس نتيجة قراءة الروايات الجنسية ومشاهدتها وتعليق الصور المثيرة ، فى ظروف لا تسمح للشاب بالزواج ، مع أن الجدير به التسامى بهذه الغريزة بأساليب ترفيهية مختلفة ومشروعة .

والغريب أن بعض الطلبة يجعل لنفسه غرفةً للمطالعة والدراسة ، وغرفة للترفيه عن نفسه ، يضع على جدرانها الصور النسائية ، ويحسَب أنه يُحسن صنعًا مع أنه يعرِّض حياته للتناقض وذهنه للتشتت ، وهذا هو الكبت المدمر .

*** س : على أى أسس يُبْنَى الزواج السعيد بعيدًا عن الطلاق ؟**

ج : إذا ما انتهى الزواج إلى الطلاق ، فالمشكلة قد تكمن لا فى الزواج نفسه بل فى ما يتوقعه الزوج أو الزوجة من الشريك . ولا يمكننا فهم حقائق الزواج الناجح إذا لم نُعَيِّن الأوهام التى تؤدى إلى فسخ عقد الزواج ، وفيما يأتى أربعة منها :

الوهم الأول : الزواج مبنى على الحب .

الوهم الثانى : الحب أساس الزواج الناجح .

---

(١) للشاعر المبدع محمد يحيى الأريانى .

الوهم الثالث : إنجاب الأولاد يُحَسِّن وضع الحياة الزوجية .

الوهم الرابع : اختلاف الرأى بين الزوجين علامةُ زواجٍ سقيم .

*** س : يستغرب بعضهم التصريح بكثير من القضايا الجنسية التى جاءت فى كتاب « تحفة العروس » فما جوابكم عن ذلك ؟!**

ج : ذكرتُ كل ذلك مرارًا فى مقدمات هذا الكتاب وفى خاتمته ، وأوضحت الأسباب الموجبة لذلك .

وأذكر مجدَّدًا بعض فقرات جاءت فى إحدى المجلات التى تبحث فى الجنس وقد أوضحت شيئًا من هذه الأسباب :

من أجل إجلاء الغموض فى هذا الموضوع الحيوى الهام .

من أجل بيان الحقيقة العلمية بلا رتوش . .

من أجل ثقافة جنسية جادة . . بعيدة عن الإثارة والأوهام والمعلومات الخاطئة .

وكل هذا حتى تتوفر لديك أيها القارئ ، وأيتها القارئة : الثقافة الجنسية المطلوبة . . بلا إثارة أو افتعال ، أو تهويش أو ضجة ، وإنما بعلم ، وموضوعية ، وصراحة عاقلة .

ملحق

حول الجنس والحب والجمال

فى ظلال الفضيلة والبطولة

* س : من هو التاجر الذكى الخبيث ؟!

ج : « هو الذى ابتكر « الموضة » ، كان تاجرًا ذكيًا جدًا . . فهو الوحيد الذى استطاع أن يقنع المرأة بأن تلقى جميع فساتينها بدون سبب .

إذا كانت فساتينها طويلة أخرجَ لها موضة قصيرة .

وإذا كانت جميع فساتينها قصيرة أخرج لها موضة طويلة .

وبهذه الخدعة اللطيفة يهمس فى أذنها فى حنان وكأن المصلحة هى مصلحتها :

سيدتى إن فستانك لا يتمشى مع الموضة !

وهكذا استطاع أن يجعلها تُلقى بفستانها الجديد الذى اشترته من شهر لمجرد أنه أزرق والموضة بنفسجى . . أو أصفر والموضة أحمر . . أو شِوال والموضة ضيِّق . . أو ضيق والموضة واسع .

وألاعيب الموضة لا تنفد فى الضحك على ذقن المرأة وإثارة غرورها . . مرة تكشف لها صدرها ، ومرة تكشف لها ظهرها ، ومرة تشلِّح لها ساقَها ، ومرة تُبرز لها سَحرَها ، ومرة ترسم لها حلمة على صدرها تخرق الفستان . . ومرة تكشف النهر المثير بين الثديين . . ومرة تكشف كتفًا وتغطى أخرى .

من أيام الفراعنة لأيام العصور الوسطى ، للعصر الفيكتورى ، لعصرنا الذرى . . رحلة تثير العجب . . وتثير الضحك [١] .

الفرعونية التى كانت تلبس الشوال الضيق وتقول لرجلها تغازله :

« تعالَ انظر إلىَّ وأنا خارجة من النهر ، وثوبى لاصق بجسدى يبرز كل تفاصيله » .

إلى زوجة لويس الرابع عشر التى تضع على رأسها ريشة وتلبس لحافًا وبطانية ومشدات وأحزمة وزنها طن .

إلى امرأة الواحات التى تلبس المجرجر والخلاخيل والشخاشيخ ، وتضع فى أنفها حلقة .

إلى الهندية التى تلبس السارى ، والباريسية التى تلبس البكينى ، وبنت اليوم التى تلبس المينى جيب والماكسى جيب ، وتضع على عينيها نظارة ضخمة لها عَدَسة من الزجاج كأنها قمرة سفينة . لعبة أشبه بلعبة المهرج .

ولا أستبعد أن تظهر موضة جديدة تصنع للمرأة ذيلاً طويلا فى مؤخرتها . . وأن تدور المشاجرات فى البيوت . . وتهدد الزوجة زوجها بطلب الطلاق ؛ لأنه لم يشتر لها ذيلاً لائقا مثل ذيول باقى صديقاتها . . وأنها لا تستطيع أن تمشى فى الشارع بدون ذيل . . وأن كل الناس يشيرون عليها ويضحكون ؛ لأنها فلاحة متأخرة تمشى بدون ذيل .

إن كل شىء ممكن فى عالم الموضة .

سذاجة النساء وذكاء التجار يمكن أن يؤدِّيا بنا لأىِّ شىء .

والموضة الآن تحاول أن تستدرج الرجل . . بعد أن جعلت منه أنثى بقصات الشعر البناتى ، والقمصان المشجرة ، والبنطلونات الممزقة .

ويبدو أن التجار يخططون للضحك على ذقن العالم كله .

ولعلهم اليهود الأذكياء [٢] .

---

(١) والحقُّ أنها تثير البكاء أيضًا .

(٢) والخبثاء أيضًا !

ولو قالوا : إنها جزء من بروتوكولات آل صهيون لصدَّقتُ . . فهى شىء أشبه بالمؤامرة ؛ للسخرية من الإنسان واستنزاف وقته وثروته واهتمامه ، وإثارة شهوته وغريزته ليظل فى حال حيوانية باستمرار حتى يمكن ركوبه واستغلاله كما يُركَبُ الحمار ويُستغل وتُقْضَى به الحوائج .

وأكثرُ الموضات لا هدف لها سوى الاحتفاء بالغرائز وإثارة أشواقها ، وتجميل مكامن الفتنة المستورة ، ولفت النظر ، بالألوان الباهرة والخطوط المثيرة والعطور المشهية . . وهى دائمًا مؤامرة على الحواس لإيقاعها فى حبال الغريزة .

والتاجر المستغل غير ملوم وحده فى بناء هذا الصرح من سرك المجاذيب . . وإنما كلٌّ منا ملوم رجلاً وامرأة . . حينما يترك عنقه لتقوده شهوته وغريزته ، وليترك يد اليهودى تدلك له ذلك الضعف لتستولى عليه وتستغله . . فيخر كما يخر قط على الأرض يهزُّ ذيله ملتذا من الأصابع التى تتحسسه ، ويُسلم حافظة نقوده لتنشل .

صدقونى . . إنه لأمر مخجل جدًا . . ذلك الشىء الذى اسمه « الموضة » [١] .

*** س : هل هذه المشاهد والمناظر التى نشاهدها أو نسمع بها من الإباحيات والدعارات الجنسية تسمى حبًا ؟!**

ج : « نظرة سريعة على الأفيشات والملصقات لأفلام الحب المرسومة على الجدران . . حب ودماء . . حب وضياع . . حب تحت الشمس . . جنون الحب . . جريمة الحب . . ليلة حب . . وصورة فخذ عريان فى بانيو . وامرأة ملقاة فى الفراش وفوقها رجل . . وخنجر مغروز فى صدر عريان . . ومدفع رشاش فى يد امرأة لابسة مايوه . . ومروض وحوش فى يده كرباج وتحت قدميه جينا لولو بريجيدا ومكتوب عليها رغبات شاذة . . ورجل فى حضن رجل ومكتوب عليه . . علاقة سرية . . وعجوز متيم بحب لوليتا فى الثالثة عشرة من عمرها . . وحب سن الثمانين . . وسفاح الحب . . ولهيب الحب . . ونار الحب . . ولذة الحب . . وما أبعد كل هذا الهذيان عن الحب . .

وما أشبهه بمؤامرة على أعصاب المتفرج وجيبه وعقله . .

مؤامرة ابتزاز صريحة تحت شعار أنبل المشاعر الإنسانية . . مشاعر الحب . لماذا لا يسمون الأشياء بأسمائها الحقيقية ؟

ولماذا لا نقرأ الصور بدقة حتى لا تخدعنا العناوين ؟

لماذا لا نعترف أننا فى عصر الترويج العلنى للدعارة والشذوذ والجريمة . وأن بلاتوهات السينما تحولت إلى مَخادع للتفرج المشروع على أساليب الإغراء الجنسى !

إنه الجنس والدم . . ولا شىء آخر . .

وما أبعد الجنس عن الحب . .

وما أكثر ما يتم الجنس بلا حب . . بل ومع الكراهية . . وما أكثر ما يتم شراؤه بالمال .

إن الجنس والحب لم يكونا أبدًا توأمين .

---

(١) الدكتور مصطفى محمود .

والحب الحقيقى هو قطعًا شىء آخر غير ما نرى فى السينما .

إنه فى ذلك الحنان الذى رأيناه بين آبائنا وأمهاتنا . . وتلك المودة والرحمة اللتان تؤلفان بين قلب الرجل وقلب المرأة وتصنعان تحالفا هادئًا على عمل الخير ، وعشرة ناعمة خالية من هذه التشنجات الدرامية التى نراها مدسوسة علينا فى التليفزيون والسينما .

هذه المآسى المفتعلة والفواجع المزيفة والأنّات الجنسية والرعشات المخبولة هى بضاعة التجار وسلعة المنتجين اليهود يدسُّونها لنا مع الأفيون والهيروين والحشيش والماريجوانا وعقار إل إس دى . . .

إنها جزء من عملية واسعة لتخدير العالم تمهيدًا للسَّطْو عليه .

وشركات التليفزيون والإذاعة والأُسطوانات ودور النشر والمجلات تسابقت فى نشر هذه الحمَّى ، أحيانًا بقصد ، وأحيانًا بغفلة ودون وعى كما يحدث فى بلادنا .

وانتشرت الأغانى التى تقوم بهذا النوع من التدليك العاطفى أمثال : من سحر عيونك ياه . . وتنطقها المطربة : من سحر عيونك ياح . .

وتعال . . فى غمضة عين .

وننام على حب ونقوم على حب .

وعذِّبنى وأنا أجرى وراك .

ويا مدوِّبنى دوب .

وهى أغانى لا تختلف كثيرًا عن أغنية « كرستين » التى تصرخ فيها كرستين بصوت هامس أجش فيه فحيح :

أوه يا حبيبى . .

مرة أخرى أرجوك . .

ثم نسمع فى ألمانيا عن الهر « يواخيم درسين » صاحب مجلة « سانكت باولى تسايتونج » وكيف أنه أنشأ حزبًا فى هامبورج أسماه « حزب الحب » وشعار الحزب هو الحرية الجنسية للجميع . . الرجل يتزوج الرجلَ ، والمرأة تتزوج المرأة ، والأزواج يتبادلون زوجاتهم فى الفرش ، والأولاد والبنات يتدربون على الجنس من سن التاسعة . وحبوب منع الحمل والحبوب المهيِّجة توضَع فى بطاقات التموين ، وتوزع مع السكر والزيت والشاى ، وشعار الحزب هو « الجماع بدل الحرب » فتزحف الشعوب بعضها على بعض ليجامع رجالُ شعبٍ نساءَ الآخر فى مؤتمرات للذة بدلاً من زحف الجيوش للحرب [١] .

ومجلة الهر يواخيم تبيع مليون نسخة .

وهناك ثلاثة آلاف ألمانى وألمانية يدفع كل واحد عشرة ماركات اشتراكًا شهريًا ورسمَ ولاء وانضمام لهذه الحرب .

---

(١) خطر الإباحية على الشعوب لا يقل عن خطر الحروب . والفضيلة - غالبًا - هى بين رذيلتين !! .

وسكرتيرة الهر يواخيم فتاة جميلة تستقبل الزوار عارية !
وهذه نهاية التدليك العاطفى . . المؤامرة التى رسمها التجار الأذكياء للقضاء على العالم »[١] .

*** س : حدثنا عن رسالة من زوج مسافر يكتب لزوجته يحنُّ إليها ؛ لإهدائها إلى كل زوج مغفل يقسو على قرينة حياته .**

أكتب إليكِ من بلاد باردة ، وباردة جدًا .
درجة الحرارة صفر . . وأنا ألبسك على جسدى كَبَزَّةٍ من الحنان . .
أتدفأ بذكراك كما يُتدفأ بالشموع . .
يريحنى أن ألبسكِ على جسدى ، فأنت حطبى وفحمى فى هذه القارة المرتعشة المفاصل . .
هل تسمعين صوتى ، وأنا أهتف مع الرعايا المتناثرين على أرصفة هذه البلاد المتجمدة ؟
أنا واحدٌ مِن رعاياكِ يا حبيبتى . .
أنا مواطنٌ يحبكِ يا زوجتى .
أمشى على أوراق الخريف ، فى حدائق القصر الصيفى .
أكسرها . وتكسرنى .
ألوان الشجر متدرِّجة بين لون النار ، ولون الذهب العتيق ، والأوراق الصفراء ، والحمراء ، والنحاسية ، أشبه بكتابٍ سطورُه تحترق . .
الشمس ، على شاطئ بحر البلطيق ، برتقالةٌ غارقةٌ فى الماء . ومياه الخليج الفنلندنى تغنّى بصوتٍ ساحر . . .
الله . . كم أحب السماواتِ . . والمدنَ الرمادية . .
وحبِّى لكِ كان دائماً طفلاً ذا عينين رماديتين . .
هل أعترف لكِ بشىء ؟
إن السماوات الكثيفة الزرقة تضايقنى . . أفضِّل السماوات التى تكون فيها العتمة مضيئة ، والضوء معتمًا . .
على سواحل بحر الشمال تلتفّ ذراعى حول خصرك بحركة تلقائية . .
على كلِّ البحار أنت واقفة . .
وعلى سطوح كلّ المراكب أنت مطلّة . .
حبُّكِ منتشر فى شراييني كبقعة حبر على ثوب أبيض . . ونهدك يطيعنى كما تطيع التفاحة جاذبية الأرض . .
انفصالى عنك خرافة . .
فنحن نسقط إلى الأعلى ، نتدحرج إلى ذروة الشمس ، يمسح الواحدُ منا حدودَ الآخر . . يُلغيه . .
حين تكونين معى . يكون واحدٌ منّا فقط ، ينتهى واحدٌ منّا ، يصير صوتكِ امتدادًا لفمى ، وتصير ذراعى امتدادًا طبيعيًا لذراعك . . ويصير شعركِ الأسود امتدادًا لأحزانى[٢] .

---

(١) الدكتور مصطفى محمود .
(٢) لأحد الأدباء .

*** س : حدِّثنا عن قصة بهلول والخليفة ؟**

ج : تزوج بهلولُ زوجتين - وكانتا خبيثتين - فدخل على الخليفة المأمون ، فسأله : ما حاجتك مع المرأة الجديدة ؟ فقال : لا حاجة لى مع الجديدة ، ولا حاجة لى مع القديمة ، ولا حاجة لى مع الفقر .

فقال له : وإلى أين تذهب ؟ قال : إلى الله ثمّ إليك يا أمير المؤمنين . فقال له : أحسنتَ فمن هرب إلى الله قبلناه . ثم قال : فهل قلت فى زوجتيك وما وقع بينكما شيئًا ؟ قال : نعم . قال : أسمعنا ما قلت . فقال :

تزوجتُ اثنتين لفرط جهلى
فما أشقاك يا زوج اثنتين
فصرتُ كنعجة تُضحى وتُمسى
تعذَّب بين أخبث ذئبتين
فقلت : أكون بينهما خروفًا
أُنَعَّمُ بين ثدى نعجتين
لهذه ليلةٌ ولتلك أخرى
عتابٌ دائم فى الليلتين
رضا هذه يَهيجُ سخطَ هذه
وما أنجو من إحدى السخطتين
فإن شئت أن تَعِيش حُرًّا كريمًا
خالىَ القلب مملوء اليدين
فعش عازبًا فإن لم تستطعه
فواحدة .. لا اثنتين

فلما سمع المأمون كلامه ضحك حتى استلقى على ظهره ، ثم كافأه .

*** س : ما هى أمنياتك من أجل تحقيق السعادة الزوجية ؟**

ج : زيادة من الثقافة الجنسية الموجهة للشبان والشابات بالإضافة إلى زيادة الثقافة التربوية ليعرف الأزواج كيف يربون أطفالهم ؛ فإن إهمال ذلك مأساة .

*** س : هل صحيح أنَّ ثمن الطفل أغلى من ثمن الرَّجل فى بعض البلاد ؟**

ج : قدَّر مركز أبحاث حوادث الطرق فى بريطانيا التعويض عن الطفل الذى تدهسه سيارة بحوالى أربعة آلاف جنيه استرلينى ، بينما لا يزيد التعويض الذى يُصرف لأسرة الرجل البالغ عن ٢٥٠٠ جنيه . أما كيف قدَّر المركز هذا التعويض وعلى أى أساس ، فهذا ما يجيب عليه مدير المركز بقوله : « إن الرجل البالغ هو ما هو عليه ، أما الطفل فمستقبله مجهول ، ومن يدرى فقد كان يمكن أن يصبح عالمًا أو مخترعًا ينقذ ملايين الناس من بعض ويلاتهم » ! .

ولله دَرُّ الطفل القائل :

أيها السائلُ عَنِّى لا تَسَلْ إلاَّ خبيرا
سَلْ بىَ المستقبل الغا مض ينبئْكَ كثيرا

ربما صِرْتُ أميرًا ربما صرت وزيرا
كلُّ ذى شأنٍ كبيرٍ كان بالأمسِ صغيرا

أيُها الآباء والأمهات اعرفوا قيمة أطفالكم . .

* س : كيف أعرف أن زوجى يُحبنى ؟

ج : سؤال غريب ! وقد قال الشاعر :

والعينُ تعرف مِن عَيْنَىْ محدِّثها إن كان مِنْ حِزبها أَم مِنْ أعاديها !!

* س : ما هى أهم وصية للشاب المتزوّج ؟

ج : « ينبغى للفتى إذا بلغ أن يحذر كثرة الجماع ، ليبقى جوهره ؛ فيفيده ذلك فى الكبر ؛ لأنه من الجائز كبره ، والاستعداد للجائز حزم ، فكيف للغالب ؟ كما ينبغى أن يستعد للشتاء قبل هجومه .

ومتى أنفق الحاصلَ وقت القدرة تأذّى بالفقر إليه وقت الفاقة .

وليعلم ذو الدِّين والفهم أن المتعة إنما تكون بالقرب من الحبيب ، والقربُ يحصل بالتقبيل والضم ، وذلك يقوّى المحبة ، والمحبة يلذُّ وجودُها ، والوطءُ يُنقص المحبة ويُعدم تلك اللذة .

وقد كان العرب يعشقون ولا يرون وطء المعشوق ؛ قال قائلهم : « إن نكحَ الحبُّ فسد » . فأما الالتذاذ بنفس الوطء فشأن البهائم .

ولقد تأملتُ المرادَ من الوطء فوجدتُ فيه معنى عجيباً يخفى على كثير من الناس ، وهو أن النفس إذا عشقت شخصًا أحبت القرب منه فهى تؤثر الضم والمعانقة لأنهما غاية فى القرب ، ثم تريد قربًا يزيد على هذا فيقبل الخد . ثم تطلب القرب من الروح فيقبِّلُ الفم ؛ لأنه منفذ إلى الروح ، ثم تطلب الزيادة فيمصُّ لسان المحبوب ، وقد كان رسول الله ﷺ يتوشح عائشة رضى الله عنها ويقبِّلها ويمص لسانها [١] .

فإذا طلبت النفسُ زيادةً فى القرب إلى النفس استعملت الوطء ، فهذا سره المعنوى ويحصل منه الالتذاذ الحسى » [٢] .

* س : ما معنى حديث الرسول ﷺ :

« مَن ترك اللباسَ تواضعًا لله ، وهو يقدر عليه ، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق ، حتى يخيِّره من أى حُلَلِ الإيمانِ شاءَ يلبسُها » .

ج : جاء فى كتاب « فيض القدير » للمناوى فى شرح هذا الحديث ما يلى باختصار :

« مَن ترك اللباس » أى لبْس الثياب الحسنة ، وفى روايةٍ « ترك ثوب حجال » (تواضعًا لله تعالى) أى لا ليقال : إنه متواضع أو زاهدٌ أو نحوه ، والناقد بصير . « وهو يقدر عليه ، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق » أى يشهره بين الناس ، ويباهى به ، ويقال : هذا الذى صدرت منه هذه الخصلة الحميدة « حتى يخيِّره من أى حلل الجنة شاء يلبسها » .

وكان النبى ﷺ يلبس الثياب المتواضعة وكان يقول أيضًا :

« ألا تسمعون ؟! ألا تسمعون ؟! إن البذاذة من الإيمان » .

* س : ما معنى : « البذاذة »؟

---

(١) ورد هذا فى حديث لا يصح ، وهو حكمة لذيذة ، قال الشاعر :

مَن لم يَذُقْ ظُلْمَ الحبيب كظُلْمِهِ فقد جهلَ المحبةَ وادَّعَى

(٢) صيد الخاطر للإمام ابن الجوزى رحمه الله .

ج : المراد بالبذاذة لبس الثياب المتواضعة ، وعدم التكلف فيها ، فأين كل هذا مِن فعل كثير من النساء اللاتى يحرصن على الأزياء الغربية المستحدثة من وقت إلى آخر ، مما يُضيع الأموال ويوقع فى التشبه بالكفرة ، وضياع الشخصية العربية المسلمة ، وقد جاء فى الحديث : « من لبس ثوب شهرة ، ألْبَسَه الله يوم القيامة ثوبًا مثله ، ثمَّ يلهب فيه النار !! » (١) .

جاء فى الدين الخالص : « والمراد بالبذاذة فى الحديث : التواضع فى اللباس ، والتوقى عن الفائق فى الزينة من أخلاق أهل الإيمان ، وهو الباعث عليه .

وكان رسول الله ﷺ لا يرتضى زىّ أهل الترف ، ويحب عدم التكلف فى كل شىء ، فمَن التزم التزين فى كل حال ، فقد خالف السنة ، ومَن ترك الاعتدال وأهملَ نفسه ، فقد خالف السنة أيضًا كما يفعله الجهلة والصوفية المبتدعة ، ومن التزم لبْسَ الخيش وأكْلَ الطعام الردىء أهلَكَ نفسه ، بل الحقُّ وَسَطٌ بين الغالى والمقصر .

وفى الحديث الصحيح : « كلُوا واشربوا وتصدَّقوا فى غير ترفٍ ولا مخيلة » (٢) .

وقد أنشد بعضهم فى الجناس التام :

إيـاكَ والـشـهـرة فـى مـلـبـسٍ ... والـبـسْ مِـنَ الأثـوابِ أسْـمـالَـهـا
تـواضُـعُ الإنـسـانِ فـى نـفـسِـهِ ... أشـرفُ لـلـنـفـسِ وأسْـمَـى لـهَـا

* س : حدثنا عن حب زوجة وإخلاصها لزوجها ؟

ج : قال الأصمعى : كان أعرابى عنده امرأة فبرم بها ، فألقاها فى بئر ، فمر بها نفرٌ فسمعوا همهمتها فاستخرجوها وقالوا : مَن فعل هذا بك ؟ فقالت : زوجى ، فقالوا : ادعى الله عليه ، فقالت : لا تطاوعنى بناتُ ألبيى .

* س : ما أعظم الأم والزوجة الفلسطينية ؛ لما يثيرانه فى نفوس أبنائنا وبناتنا فى الأرض المحتلة من حماسة وتضحية وحب الشهادة مما يدل على عظمة المرأة العربية ودورها الخطير فى ميادين الجهاد ، لا فى الحياة الجنسية فحسب . فهلاّ حدثتنا عن ذلك ؟

ج : هذا كله صحيح ويدعو للإعجاب والدهشة .

ومن واجبنا ألاّ نغفل فى هذا الجهاد دور شعراء الأرض المحتلة وما يثيرونه فى نفوس الرجال والنساء من حب المغامرة والاستشهاد ، مما أثار دهشة الشاعر نزار القبانى ، فأنشد ما ملخصه . بقليل من التصرف :

- ١ -

شـعـراء الأرض الـمـحـتـلـة
يـا مَـن أوراق دفـاتـركـم
بالدمع منغمسة ، والطين
يـا مَـن نـبـراتُ حـنـاجـركـم
تُشبه حشرجةَ الـمـشـنـوقـين
يـا مَـن ألـوانُ مـحـابـركـم

(١) رواه أبو داود ، وهو صحيح لغيره .
(٢) رواه أبو داود وابن ماجه ، وسنده حسن .

تبدو كرقاب المذبوحين
نتعلمُ منكم منذ سنين
نحن الشعراء المهزومين
نحن الغرباء عن التاريخ ، وعن أحزان المحزونين
نتعلم منكم . .
كيف الحرفُ يكون له شكل السكّين

- ٢ -

شعراء الأرض المحتلة
يا أجمل طيرٍ يأتينا مِن ليلِ الأسْر
يا حزنًا شفّافَ العينين ، نَقيًا مثل صلاة الفجر
يا شجر الورد النابت مِن أحشاء الجمر
يا مطرًا يسقط . . رغم الظُلْم ، ورغم القهر
نتعلم منكم كيف يُغنّى الغارق من أعماق البئر
نتعلم . . كيف يسير على قدميه القبر
نتعلم منكم كيف يكون الشعر . .
فلدينا . . قد مات الشعراء ، ومات الشِّعْر .
الشِّعر لدينا درويش . .
يترنّح فى حلقات الذكر .
والشاعر يعمل حوذيًا لأمير القصر . .
الشاعر مخصُوُّ الشفتين . . فى هذا العصر
الشاعر مخصُوُّ الكلمات .
وما أشقى خصيان الفكر . . .

- ٣ -

شعراء الأرض المحتلة . .
يا ضوء الشمس الهارب من ثقب الأبواب
يا قرعَ الطبل القادم مِن أعماق الغاب . .
يا كُلَّ الأسماء المحفورة فى ريش الأهداب
ماذا نخبركم يا أحباب
عن أدب النكسة ، شعر النكسة ، يا أحباب ؟ .
ما زلنا منذ حزيران . . نحن الكتّاب
نتمطّى فوق وسائدنا . .
نلهو بالصرف وبالإعراب . . .
نركب أحصنةً من خشب
ونقاتل أشباحًا وسراب . .

- ٤ -

شعراءَ الأرض المحتلة . .
ما عاد لأعصابى أعصاب
حُرُمات القدس قد انتُهكت
وصلاح الدين من الأسلاب
ونسمِّى أنفسَنا كُتّاب ؟ . .

* ثم ذكر الشاعر طائفة من الشعراء المجيدين وأنشد بعد ذلك :

يا من تَبْرُون على الأضلاع الأقلاما . .
نتعلم منكم : كيف نفجر فى الكلمات الألغاما
شعراء الأرض المحتلة . .
ما زال دراويش الكلمة
فى الشرق ، يَحْشون حماما
يحثون الشاىَ الأخضر ، يجتَرُّون الأحلاما
لو أن الشعراء لدينا
يقفون أمام قصائدكم
لبدوا أقزامًا . . أقزاما

ولا يسعنا فى آخر هذه التحفة الأدبية للشاعر المبدع نزار قبّانى إلا أن ندعو له بالبعد عن الشعر الشهوانى البغيض ، والعودة إلى شعر الحق والخير والجمال ، وقد كنت منذ سنوات كتبت له رسالةً فى هذه الفكرة ، فالحقُّ أحقُّ أن يُتّبع ، وخاصة فى هذه المرحلة المصيرية التى تمر بها الأمة العربية ؛ فإما الحياة السعيدة العظيمة وإما الحياة الذليلة الضائعة . وهذا الشاعر يردُّ على نفسه فى كثير مما يلوم الشعراء عليه !!

* س : كيف أتجمل ؟

ج : قبل أن تتجملى . . اقرئى هذا البحث ؛ فإن بعض أصباغ الشعر ومحتوياته تحمل خطر السرطان :

« يستخدم إنسان هذا القرن على نطاق واسع مجموعة من المنظفات بكميات هائلة ، وهذا أمر طبيعى وجيِّد ، لكن ما يبدو غير طبيعى هو استخدام التنظيف بشكل مقلوب . . وأعنى بذلك تداول المنظفات وأنواع الشامبو التى أضيف إليها مواد تضر بالصحة من باب إدخال السم فى الدسم ، والحرص من بعض الجهات على إفساد وتلويث كل شىء حتى الصابون ومواد التنظيف فى عصر المنظفات .

فكثير من الناس يستخدمون هذه المواد بالإضافة لمصففات ومجففات الشعر الحرارية والكيماوية لأغراض متنوعة وفى مناسبات مختلفة ؛ فالبعض يهرب من الشيب أو الصلع وتساقط الشعر ، وآخر مبهور بالتقليد الأعمى ، وثالث يعالج القشرة . . وهناك نساء مولعات بتغيير خلق الله ، فتراهن يلهثن وراء تقاليع مضحكة من تصفيفه وتلوينه ثم لفّه بحيث تصبح رؤوسهن كأسنمة البخت ، وهن اللائى قال عنهن المصطفى عليه الصلاة والسلام : « صِنفان من أهل النار لم أرهما : قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساءٌ عاريات كاسيات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخُلن الجنة ولا يجدن ريحها » . فهذان الصنفان اللذان لم يرهما فى دنياه رأيناهما نحن

بعد أربعة عشر قرنا ، فنرى بعض النساء تبذر المال وتهدر الوقت وتكيل الويلات لشعرها مرآة أنوثتها ، حتى إذا ما خسرت شعْرَها هذا أو خسر شعْرُها تألقَه وافَوْها بالشعر المستعار (الباروكات) كى لا تخرج من دائرتهم ؛ إذ تشبهت بهم ، وكى تحيق بها لعنة الله تعالى ، قال سيدنا محمد ﷺ : « لعن اللهُ الواصلة والمستوصلة » ، وهى التى تستخدم الشعر » .

* س : حدثنا عن وظائف الجلد والشعر .

ج : الحديث عن هذا الأمر يقودنا إلى الحديث عن وظائف الجلد والشعر ، وأهميته للإنسان طالما أنه هو الذى يتلقى بصمت وألم هذه المواد الضارة .

* س : ماذا عن وظيفة الجلد ؟

ج : ١ - يحمى الطبقات النسيجية التى هى أسفل منه ، ويصدُّ الجراثيم ، ويطرح السمومَ عن طريق الغدد ، وعن طريقها أيضًا ينظِّم حرارةَ الجسم ، وتقوم المسامُّ بدور تنفسى .

٢ - ينتج الميلافين الذى يلعب دورًا أساسيًا فى حماية خلايا الأنسجة الموجودة أسفل منه ، وخاصة نواتها من الضمور بفعل الإشعاع فوق البنفسجى .

٣ - يتلقى الإحساسات المختلفة بما يحمله من نهايات وتشكيلات عصبية حية .

٤ - يعكس المشاعر الداخلية للفرد وفق التبدل بالوظيفة الإنباتية والوعائية الشعرية والعضلات الملساء ، كما أن الجلد مسرَحٌ تتجلَّى عليه سائر الاضطرابات الداخلية من خوفٍ وخجلٍ و . . فهو كما يقال مرآةٌ تنعكس عليه صورة الحالة الباطنة للفرد فى الصحة والمرض .

٥ - يشكِّل بعضَ الأضداد ، ويصنع فيتامين « د » بعد التعرض للأشعة البنفسجية وأشعة الشمس .

* س : ماذا عن الشعر ؟

ج : أما الشعر فيختلف كما هو معلوم بتوزيعه وكثافته ولونه وطوله باختلاف المنطقة والشخص والجنس ، ولكى تؤدى الشعرة وظيفتها فهى مؤلفة من جزء متقرن ظاهر وبصيلة منطمرة توجد فى قاعدتها أوعية وأعصاب ، وفى كل شعرة حبيبات صبغية تهبها اللون الخاص حتى إذا ما أصيب بمرض أو طفيلى تغير لونها أو ابيضَّ (ظاهر الشيب) ، وقد تسقط عند موت البصيلة (ظاهرة الصلع) .

ويوجد فى قاعدة الشعر ألياف عضلية ملساء مزودة بأعصاب هى العضلة الناصبة ، فإذا ما نُبِّهت بفعل خوفٍ أو غضبٍ أو بردٍ انتصبت الشعرة بآليةٍ خاصة نتيجة إفراز مادة تسمّى - ادره يالين - وهو ما يعبِّر عنه العوام بقولهم : « وقف شعر رأسى » .

من خلال هذه المقدمة عرفنا أهمية جلد الإنسان وأهمية الشعر الذى يكسوه ويغطى بعض المناطق من سطحه ، إما لإكسابه جمالاً أو لمنع الاحتكاك فى مناطق من البدن أو لأغراض فسيولوجية أخرى - وتبارك الله أحسن الخالقين . . كذلك علينا أن ندرك مدى الخطر الذى تنطوى عليه إراقة كيماويات ضارة على هذه النعمة الإلهية سواء لهدف علاجى أو جمالى أو دونما هدف - تقليدًا وعبثًا فقط - كما علينا أن نتذكر أن هذه الأدهان والأصباغ والشامبوهات التى تستعملها المرأة « المودرن » من أجل شعرها ، تكلف العالم سنويًا أكثر من سبعة آلاف مليون دولار .

* س : حدثنا عن شامبو القشرة ؟

ج : القشرة فى فروة الرأس كما هو معلوم تحصل نتيجة لالتهاب الجلد الدهنى غالبًا ، والمواد التى يكثر استخدامها لمكافحتها هى تلك الشامبوهات المشبعة بمجموعات دوائية عديدة وذات تركيبات كيماوية مختلفة منها حمض الصفصاف والجاوى ومحضرات الزئبق ، لكن المتميز منها هو :

أدوية السيلينيوم والكادميوم سلفيد بنسبة ٢,٥ ٪ من الأول و ١ ٪ من الثانى غالبًا ؛ لإزالة الترسبات الدهنية من فروة الرأس . والمصيبة هى أن هاتين المادتين (السيلينيوم والكادميوم) لا تؤثران إلا إذا ظلّتا على فروة الرأس مدة خمس دقائق على الأقل ، ويزداد التأثير عند دهانها على مساحات واسعة ، لكن ازدياد التأثير هذا يحمل فى جنباته التخريش للجلد والالتهابات الجلدية أو ارتكاسات التهابية معمَّمة ، كما أن السيلينيوم له تأثير سام على الكبد والكلية إذا تم تناوله عن طريق الفم ، وهذا ما يحدث عندما تبقى بعض آثاره عالقة على الأيدى أثناء فرك الرأس والاستحمام أو تعلق تحت الأظافر ، ناهيك عن الأخطار الكبرى لهذه المواد فيما لو أصابت العين أثناء إزالتها بالماء ؛ إذ تسبب قروحًا وآفات لحاسة البصر .

* س : حدِّثنا عن الكريمات والصبغات ؟

ج : إن المواد الأخرى المستعملة فى صناعة الشامبوهات ومجففات الشعر الكيماوية والزيوت التى تدخل فى تصنيع الكريمات بحجة معالجة الصلع مثلاً أو صبغ الشيب وتلوين الشعر وتصفيفه بسهولة، إن هى إلا مواد ثبتت أضرارها بالتجربة والبرهان ، فضلاً عن أنها تعيق الجلد عن القيام بوظائفه الحيوية التى أسلفناها ، وتلحق أخطارًا فادحة وتشققًا بالشعر وفروة الرأس ، كما تحمل خطر السرطان الذى بات شبحه يطارد حضارتنا ويهددنا جميعًا .

ومن هذه المواد على سبيل المثال لا الحصر : تيتانيوم أكسيد - بنتونيت - هكزاكلورفين - فينيلين ثنائى الأمين . . وغيرها من المعطرات والمذيبات العضوية القلوية التى تحمل إنذار التسمم عاجلاً أو آجلاً ، ولا يغرَّنك إن قالوا إن هذا الشامبو بالبيض والزيت والفيتامين والزهور ؛ إذ هم لا يبغون نصحك بقدر ما يرغبون فى ابتزاز المال . . وقد أظهر تحقيق قام به مؤخراً الأستاذ اليابانى « نوبوكو » من جامعة سانت أندرو أن حوالى ١٨,٥ ٪ من العاملين فى مجال التجميل يعانون من أمراض جلدية خطيرة ، وأن ١٦,٥ ٪ منهم ليس لهم بصمات أنامل ، و١٣ ٪ لديهم تشوهات فى أظافر اليدين ، ويذكر التقرير أن هذه المشاكل ناجمة عن المنتجات المذيبة المتداولة فى تصفيف الشعر وتجفيفه ، وأن نسبة هذه الآفات عند الزبائن أخطر وأكبر ؛ إذ يضاف إليها خطر التجفيف السريع (السيشوار) ومثبتات التسريحة ، مما يجعل الجلد والشعر متلقيين لأى أذى ، وبسهولة .

* س : ما هى نصيحتك الأخيرة فى شأن الجلد ؟

ج : أخى المؤمن ، أختى المؤمنة :

قالوا لك : هذا اللون يلائم بشرتك ، وهذه التسريحة تتوافق مع شكل وجهك ، ووالله ليسوا حريصين عليك ؛ إذ لا يلائمك إلا الحشمة .

وإن لون الشعر ومظهره ليس عيبًا ، بل هو آية من آيات الله ؛ والشيب نور المؤمن[1] والقشرة وتساقط الشعر يمكن علاجهما بالبحث عن الأسباب بواسطة أدوية وعلى يدى الأطباء الاختصاصيين وليس فى صالونات التجميل ، كذلك من أصيب بالصلع قد يكون وراثيًا لا ينفع معه دواء ، وإن كان له دواء فلا يجوز أن نداويه بما يخرب أكثر مما ينفع ، كمن يحاول إخراج القذَى من العين فيقتلعها من مكانها . . إننا لا ننكر على المرأة أن تعتنى بشعرها وتزينه فى بيتها لزوجها ، لكننا ننكر عليها أن تسارع وتلهث خلف سراب خادع . . وإن فقدت نساؤنا الثقة بالمستحضر الصادق النظيف النافع فلن

---

(١) وقد صح فى الحديث الشريف وجوب صبغه بغير السواد ، مما يوحى إلى صاحبه بالقوة !

تفقد الحناء والقتم وزهر البابونج والليمون ، وأوراق الغار والماء القراح ؛ فرجوعًا للطبيعة سيدتى وعودةً لتراث جداتك !

وأنتم معاشر الرجال : رفقًا بأنفسكم ، ورفقًا بالقوارير !! [١] .

* س : ما هى أحسن وألذ طريقة لأداء العملية الجنسية ؟

ج : يقرأ الآلاف سنويًا موجزات عن كيفية أداء العملية الجنسية تتضمن تعليمات عن كل خطوة تُتَّبَع فى تلك العملية . وإن المرء ليخشى أن تحفظ هذه التعليمات وتُتَّبع حين تفشل الغريزة والعاطفة والإمتاع !

ولكن يبدو أن الكتب والمحاضرات والمناهج الدراسية الخاصة بالإعداد للزواج ، ونظرتنا الراهنة الواسعة الأفق إلى الجنس - لم تُضِفْ شيئًا ماديًا إلى رضائنا الجنسى . ويبدو كما لو كنا قد نسينا أن الجنس حين يتم تلقائيا يكون أفضل منه حين يقوم على إحساس بالذات ، ويكون ارتجالا أكثر إشباعًا منه عند ما يكون محفوظًا ملقنًا ! .

وأى نوع من الدعابة الجنسية يبتكره الزوجان ويجدان فيه متعة متبادلة يصبح طبيعيا بالنسبة لهما ، لدى الآلاف العديدة من الناس أنواع متعددة بتعدد هذه الألوف ، ومن الوقاحة بل ومن الحماقة أن نحدد مجموعة من الإجراءات والمداعبات لإثارة العاطفة ، وأن نكفل نجاحها مع جميع النساء ؛ لأن النساء مختلفات فى طباعهن ، وغاية ما نستطيع أن نقوله : إن المناطق الحساسة لإثارة المرأة تشمل الثديين والأليتين والفخذين والفم وكذلك المنطقة التناسلية ، وإن استجابة النساء أقوى ما تكون عندما تكون براعة الرجل الجنسية منبعثة عن عاطفة صادقة ، وعندما لا تدعوه رقتها إلى تجنب بعض المداعبات الخشنة . وفضلاً عن ذلك فإن الدراسات الحديثة أوضحت أنه وإن كانت المداعبة الطويلة قبل الجماع ممتعة جدًا عند أغلب النساء ، فإن الكثيرات منهن قد تتم إثارتهن إلى حد التهيج الجنسى بنفس السرعة التى تتم بها عند الذكور ، وقد يضايق بعضهن التمهيد المعقد .

وبصفة عامة فإن أفضل أساليب الرجل فى المداعبات الجنسية هى التى تكون من ابتكاره ، والتى يبتكرها بناء على ملاحظته الدقيقة الحساسة لاستجابة رفيقته .

ولكن يجب أن يدرك بعض الحقائق الهامة عن الانفعالات البدنية عند النساء .

* س : هل صحيح أن بعض النساء قادرات على بلوغ التهيج الجنسى أكثر من مرة ؟

ج : نعم ، بعض النساء قادرات على بلوغ حالة التهيج الجنسى أكثر من مرة أثناء العملية الجنسية الواحدة ، والمرأة على خلاف الرجل الذى يعنى التهيج الجنسى عنده انتهاء الاهتمام الجنسى لبضع ساعات بعد قذف المنى ، فإنها إذا حققت التهيج الجنسى مرة تستطيع فى الغالب أن تحقق تهيجًا جنسيًا ثانيًا باستعداد أكبر . فإذا سمحت لها طاقتها الجنسية بأن تحقق أكثر من تهيج جنسى فإنها تكون شديدة الاستجابة للإثارة ، أما إذا لم تسمح لها طاقتها بذلك ، وإذا لم يكن شريكها قد حقق تهيجه الجنسى ، فإنها تكون سعيدة راضية ومتقبلة بالمثل لإتمامه العملية بذروته الخاصة .

وأحيانًا يجد الرجل - الذى يجامع امرأة ذات تهيجات متعددة - لذةً عميقة فى توصيل شريكته إلى حالة التهيج الجنسى مرةً تلو أخرى إلى حد استنفاده طاقتها الجنسية قبل أن يصل هو إلى قمة التهيج الجنسى . ولكَمْ يُحسن صنعًا لو أدرك ذلك الجزء من إحساس المرأة بالإنجاز بقدر إدراكها ذلك الجزء من إحساسه هو بالإنجاز .

وفى الطرف الآخر من ميزان الاستجابة الجنسية لتلك المرأة التى لا تصل إلى حد التهيج الجنسى

---

(١) المجلة العربية : محمد فتحى الحريرى .

بصفة منتظمة مهما كانت براعة وعاطفة شريكها ؛ وذلك بسبب انخفاض اهتمامها وطاقتها الجنسية . والحقيقة هى أن الأنثى العادية أقل اهتمامًا جنسيًا من الذكر العادى . وتستطيع الكثير من النساء التوقف عن أى نشاط جنسى - بما فى ذلك العادة السرية - عدة أسابيع أو أشهراً أو سنوات دون أى إحساس بالخيبة . وهذا موقفٌ مستحيل عمليًا بالنسبة للرجل القادر قدرة طبيعية .

* س : هل النساء أقل استثارةً جنسيًا من الرجل ؟

ج : النساء بصفة عامة أقل استثارةً جنسيًا من الرجال . ويستطيع بائعو صور النساء العارية (الأشرار) مثلاً أن يجدوا سوقًا رائجة للشراء عند الذكور دائمًا ، وأما صور الرجال العراة فأغلب مشتريها إنما هم أولئك المصابون بالشذوذ الجنسى من الرجال ، ولا تشتريها أية امرأة ؛ فالنساء نادرًا ما يجدون فيها إثارة أو حتى ما يحرك اهتمامهن . وبالمثل نجد أن التعبير بالألفاظ الشهوانية عن الأجزاء التناسلية من الجسم والثياب والمنسوجات والجلد والأثاث وغير ذلك تكاد تكون مقصورة على الرجال . وقد يتهيج بعض الذكور لرؤية - أو حتى لمجرد التفكير فى أية شريكة جنسية محتملة أو مرغوبة ، ومن المتفق عليه أن عدد النساء اللاتى يصدق عليهن مثل هذا القول أقل كثيرًا من عدد الرجال .

* س : هل تثار النساء جنسيًا بغير الوسائل الجنسية ؟

ج : نعم تثار النساء جنسيًا بالوسائل النفسية أيضًا ، ولكن هذه المثيرات تختلف بعض الشىء ، وربما كانت أكثر تعقيدًا . وعندما تكابد امرأةٌ إثارةَ البظر أو حتى التهيج الجنسى بدون مثير جسدى على الإطلاق ، فمن المحتمل أن يتم هذا فى حضور أو بالتفكير فى رجُلٍ معين تُحِسُّ نحوه بالعاطفة . والنساء بصفة عامة قد يشعرن بجاذبية جنسية عاطفية الأساس (لا علاقة لَها بعلم وظائف الأعضاء) إلى الرجال الذين تتوفر فيهم الصفات البدنية أو النفسية التى يفضِّلنها ، وتختلف هذه الصفات اختلافًا واضحًا قطْعًا ، ولكن ربما كان أشد الصفات جاذبيةً للمرأة فى الرجل هى قدرته النفسية وظهوره بمظهر القوة والاستقلال والسيطرة إلى حد ما .

أما الرجل الشديد المتحمس للإرضاء فهو أبعدُ ما يكون عن اجتذاب النساء ، وإن كان من الممكن أن يشبعهن جنسيًا .

وهناك عاملٌ هام فى نجاح ملاءمة الرجل لرفيقته ؛ وهو معرفته أن كل امرأة تقريبًا - حتى تلك التى يتسم سلوكها بالعنف والشراسة فى النواحى الأخرى من حياتها - قد يكون فيها على الأقل بعض عناصر السلبية فى الجنس . وربما كان منشأ هذه السلبية هو الدور الاستقبالى البيولوجى الذى تلعبه فى عملية الجماع وفى الحمل . وتبدأ المرأة العادية الجماع مع زوجها أحيانًا - أو فى حالات نادرة - على نحو طبيعى ، وهذه حقيقة قد تؤدى به إلى اعتقاد أنها غير مهتمة بالجنس ، وليس هذا صحيحًا بالضرورة . ولما كان من النادر أن تثار بالصورة العقلية ، فإن شهوتها الحادَّة تحدث استجابةً للإثارة البدنية الحادة . والمرأة التى تبدأ غالبًا عملية الإثارة الجنسية ليست هى المرأة الحديثة العهد بهذه المسائل ، بل الخبيرة التى تتوقع الاستمتاع باللذة المألوفة لديها .

* س : متى تحس المرأة مزيدًا من الرغبة الجنسية ؟

ج : على العموم تحس المرأة مزيدًا من الرغبة الجنسية - بغض النظر عن الإثارة البدنية - قبيل وأثناء وعقب فترة الحيض . وربما كان بعض السبب فى هذا نفسيًا ؛ فهذه فترة الإخصاب فى أغلب النساء دون خوف من الحمل . ومن الممكن أن تكون الرغبة القوية عند الكثيرات من النساء أثناء

الحيض مسببةً للشعور بالخيبة ؛ لأنهن يشعرن أن الجماع أمر لا تجوز التوصية به طبيًا أو محرَّم خلقيًا ، أو لأنهن يجدن الرجل غير جذاب من الناحية الجمالية .

وتشعر كثيرات من النساء بازدياد الرغبة الجنسية أثناء الشهور الأولى من الحمل ، ومن الناحيتين البيولوجية والنفسية لا تستطيع المرأة الراغبة فى الإنجاب ممارسة الجنس بطريقة مرضية مشبعة إشباعًا عميقًا مثلما تستطيع في هذا الوقت ؛ فمن الناحية البدنية يكبر ثدياها ويصبحان أكثر حساسية ، ويصبح نسيج مهبلها أكثر سمكًا ، ويصبح المهبل نفسه أكثر ضيقا وإثارةً للذكر (هذه الأعراض تحدث أيضا فى الأيام السابقة للحيض) أما من الناحية العاطفية فهى تشعر بإحساس التوحُّد مع زوجها وبنجاحها كامرأة على نحو يفوق ذلك الإحساس فى أى وقت آخر فى حياتها . وقالت عدة إناث من المرضى إنهن من وجهة نظر الرغبة والإشباع الجنسيين يفضلن البقاء فى حالة الشهر الثالث من الحمل بصفة دائمة !

وإذا كان حمل المرأة طبيعيًا ولم يسبق لها إجهاض ؛ أمكن جماعها مع العناية بعدم إجهادها - بعد أربعين يومًا - كما جاء فى الحديث الصحيح - التالية للوضع - ففى تلك الفترة يصعب عدم إجهادها مع حركتها . وأهم من ذلك أنه ليس من الحكمة المخاطرة بإدخال البكتريا فى داخل القناة المهبلية والرحم ، ومع ذلك فإن بعض النساء يستمرون فى الرغبة فى إثارة البظر ، والبعض منهن يُقدِّمْن إشباعا مماثلا لأزواجهن .

وإذا كان الوضع والنفاسُ طبيعيين ، أمكن استئناف الجماع بعد أربعين يومًا ، وقد يكون - وقد لا يكون - لميلاد الطفل تأثير على موقف المرأة العاطفى من الاتصال الجنسى ، ولكن بعيد جدا عن الاحتمال فى هذه الأيام التى تَقَدَّم فيها علم التوليد أن يكون له تأثير هام على جهازها الجنسى . ولما كان المهبل العادى يبلغ طولُه ثلاث بوصات ونصف البوصة ، وقُطْرُه بوصةٌ ونصف البوصة ؛ فإن زيادة مقدار العمق والاتساع قليلا لا يسبب نقصًا فى الإثارة بالنسبة للذَّكَر العادى . والمهبلُ العادى شديد المرونة والقابلية للتمدد ، وبعد ميلاد الطفل يعود عادةً إلى حجمه الأصلى .

* س : هل لتقدم المرأة والرجل فى السن آثار على الأجهزة الجنسية ؟

ج : كلما تقدمت السن بالمرأة فلا بد من حدوث بعض التراخى فى عضلات الحوض والأنسجة ، كما يحدث ذلك فى جميع أعضاء الرجال والنساء . . فيصبح سطح المهبل أكثر نعومةً وأقل إثارةً للإحساس باللمس . وتصل الحرارة الجنسية والطاقة للاستجابة من ناحية أخرى إلى ذروتها عند النساء فى أواخر العشرينات من أعمارهن . وتظل مستمرة فى ثبات حتى الستينيات ! وإن كان من المحتمل أن يقل نشاطهن الجنسى بسبب تناقص اهتمام أزواجهن وقدرتهم . ويسمع الطبيب من النساء اللواتى تجاوزن مرحلة منتصف العمر الشكوى من برود أزواجهن وخمولهم .

أما عند الشباب فالحالة على عكس ذلك . ومن أكثر المشاكل شيوعا فى زيجات الشباب قلة اهتمام الزوجة بالجنس . وأحيانا قد يبدو للزوج عدم تساويهما فى الرغبة الجنسية ، ولكن هذا لا يقوم فى الواقع إلا على أساس قلة رغبة الزوجة فى عمليات الجماع ، وهذا أمر طبيعى من الناحية الإحصائية . وقد يشكو الزوج من نقص التجاوب الجنسى ، وقد يكون هذا أمرًا لا بد منه من الناحية البيولوجية ، ولكنه قد يقوم أحيانا بسبب نقص اهتمامها بالجنس بل وعدائها له .

* س : هل هناك ما يستطيع الرجل أن يفعله إذا كان متزوجًا حقًا من امرأة باردة فعلاً ؟

ج : فلنعرِّف أولا معنى هذا الاصطلاح : تكون المرأة باردة إن عجزت عن الإحساس بالرغبة أو الإشباع الجنسى ، أما المرأة التى تحس الرغبة والإثارة دون الإحساس بالإشباع فليست باردة ، بل

هى فقط لم تُشْبَع جنسيا . وتدرك المرأةُ الباردة فعلاً كل الإثارة الجنسية سواء فى حالة فقدان شعور أو بدون إحساس مدرك أم بصورة مؤلمة .

* س : هل تكون أسباب البرود بدنية ؟

ج : قد تكون أسباب البرود بدنية ، ويمكن شفاؤها طبيًا ؛ مثل معالجة الفرج بصورة ملائمة بعد الولادة ، أو الالتهاب الداخلى أو الخارجى فى أعضاء التناسل أو أمراض القناة البولية ، وهذه هى أكثر الأسباب البدنية شيوعًا للجماع المؤلم ، وكلها قابلة للعلاج . والخطوة الأولى التى يجب على المرأة التى تتألم فى الجماع أن تخطوها هى أن تزور طبيبًا من أطباء الولادة أو من أطباء المسالك البولية .

ولكن لما كانت أغلب الأسباب عاطفية ، ومن المحتمل أن تكون مجهولة من المرأة نفسها ، فإنها أحيانا تكون قائمة على أساس تجربة جنسية مؤلمة سبقت فى سِنٍّ مبكرة ، وقد يكون لها علاقة بحقد أو كراهية المرأة للرجال وما يستتبعه هذا من « الخضوع » للرجل فى الجماع . وأحيانا يكون السبب اتجاها شهوانيًا قويًا (أو حتى معتدلا) ظهر على المرأة فى سن مبكرة ، وعوقبت من أجله من أبوين شديدى الصرامة أو راغبين فى التعذيب . والمرأة التى يرجع برودُها إلى جراح نفسية تجد صعوبة كبرى فى جميع الفترات التى تتجلّى فيها أنوثتها ؛ مثل الحيض والولادة وفى سن اليأس ، وتستطيع - تلك المرأة - بصفة عامة أن تجد علاجها عند طبيب الأمراض النفسية دون سواه .

* س : هل البرود الجنسى كثير الشيوع ؟

ج : البرود المطلق لحسن الحظ نادر جدًا ، ولكن بعض النساء غير مستجيبات للجنس بالقدر الذى كان يجب أن يتوافر فيهن ، ولا يبعث هذا على الدهشة إذا بحث المرء المواقف المضطربة والتى تسودها الفوضى فى معلوماتنا عن النساء .

ولقد مرت علاقة النساء بالرجال فى عشرات السنوات الأخيرة بتغيرات جوهرية ؛ فأصبحت النساء أكثر نشاطا ، وأكثر ذكورة ورجولة فى سلوكهن بموجب تغير دورهن التاريخى التقليدى . وأصبح الرجال أكثر أنوثة لنفس السبب ، وتخلّوْا عن مركز السيطرة التى لا تنافَس ، وقبلوا بديلاً عنه علاقة أكثر تضامنا وتعاونا يشترك الزوجان فى إصدار القرارات بشأنها ، ويحددان طريق حياتهما فيها .

وأصبح المثل الجنسى الأعلى لبعض الرجال هو السلوك العدوانى المغرم بالتعذيب والمعروف باسم « ساديزم » وهو سلوك تنصح به الكتب الموجهة إلى الرجال . وهناك رجال آخرون يجعلون المثل الجنسى الأعلى لهم الكلاسيكية ؛ أى الأنثى التى تعتمد عليهم وتتعلق بهم وتقبل سيطرتهم بصفة كاملة . وهناك غير هؤلاء وهؤلاء ممن يتكلفون سيطرة شكلية المظهر ؛ ليخفوا عدم ثقتهم فى أنفسهم بشأن ذكورتهم ، ولكنهم يتطلبون علاقة فعلية أقرب إلى علاقة الأم بالابن من علاقة الزوجة بالزوج . والنساء المضطربات هن الأخريات يجهلن حالتهن ، وما يردنه لأنفسهن ، ويؤثر اضطرابهن هذا فى إحساسهن إزاء أنفسهن كنساء ، وتبعًا لذلك تتأثر مشاعرهن إزاء أنفسهن من الناحية الجنسية .

هذا نوع من الاضطراب السائد بصفة عامة ، ولكن هناك حالات أكثر خصوصية ؛ فالنساء فيما يتعلق بتبادل الحديث فى المسائل الجنسية فيما بينهن يعشن حياة أكثر عزلةً من حياة الرجال . وبالرغم من أن الفتيات والمراهقات يتحدثن كثيرًا عن الفتيان ، فإن حديثهن عن الجنس قليل ، فمثلا لا تتحدث معظم الفتيات عن العادة السرية ، وإن كان هذا الموضوع مفتوحا للبحث والمناقشة والتندر بين الفتيان . وقد تبين لـ « كنزى » أن ستين فى المائة من النساء اللاتى تحدث معهن قمن بممارسة العادة السرية فى فترة ما ، وأن معظم هؤلاء اكتشفن هذه العملية بأنفسهن ، بينما جهلت الكثيرات منهن معناها الجنسى ، أما الفتيان فكانوا يدركون تمام الإدراك معناها الجنسى ، واكتشفها أغلبهم عن طريق السماع عنها من الفتيان الآخرين .

وتثابر معظم النساء على هذا التكتم الجنسى حتى البلوغ ، فهن ، وإن كن يناقشن شخصيات أزواجهن وميولهم ومشاكلهم مع النساء ، فإن أغلب النساء لا يتحدثن مع الأخريات عن الجنس بصفة عامة وبدون تخصيص ، على عكس الرجال الذين يتناولون بالتفصيل الدقيق ممارستهم الجنسية .

وغالبا ما يجعل هذا التكتم النموذجى من الصعب على المرأة أن تتحدث بصراحة مع زوجها عن احتياجاتها الجنسية ورغباتها الجنسية ، خاصة إذا لم تكن واثقة كل الوثوق أنها « طبيعية » ، وهى حالة من المستبعد عليها أن تعرفها على وجه اليقين بسبب نقص اتصالها بالنساء الأخريات ، وقد يرى الرجل فى عدم ميلها للمناقشة الصريحة أمرًا غير معقول يبعث على الضيق ، وهذا هو الحال فعلاً إلى حدٍّ ما . فإنْ مرَّ بهذه التجربة كان الأفضل أن يقنع باستجابة زوجته البدنية دون أن يصر على أن يتم التعبير بالقول أيضا .

ويمثل هذا الموقف نموذجًا للتناقض القائم فى جميع أوجه ثقافتنا فيما يتعلق بالنساء والجنس ؛ فالنساء مطالبات أحيانا بالصراحة فى شأن الجنس ، وفى أحيان أخرى تكون الصراحة غير ملائمة لظروفهن .

وهناك تناقض آخر : وهو أن الكثير من الإعلانات الشخصية الموجهة إلى النساء تحتوى على العبارات الآتية ، كما قال « فيليب ويلى » فى « جيل من الأفاعى » : « سيدتى : هل أنت صالحة للتناسل؟ » . فإن نسبة كبيرة من مثل هذه الإعلانات تتضمن أن المرأة لكى تكون شريكة مغرية جنسيًا يجب أن تكون مطهَّرة بقدر ما تسمح لها العلوم الكيماوية بذلك . وتعتمد صناعةُ المواد المطهِّرة على خلق ودعم فكرة أن أجسام النساء ذات رائحة وإفرازات منفِّرة . وهناك حالة مهمة وهى شدة الإقبال على الدش المطهِّر للمهبل . وبالرغم من اتفاق علماء المسالك البولية وعلماء أمراض النساء على أن المهبل السليم ليس فى حاجة إلى غسيل صناعى ، فإن ملايين النساء يغتسلن بالدش شهريًا أو أسبوعيًا أو يوميًا .

وقد يكون هناك سبب طبى لذلك ، ولكن السبب الحقيقى هو أن هذه الوسيلة قد ابتُدِعَتْ تفاديًا لوهم أن تكون الرائحةُ الطبيعية لأعضاء التناسل منفرة . وهن يغسلنها لأسباب هى فى جوهرها تجميلية ، ومع ذلك فالأنثى الطبيعية النظيفة يكمن فى رائحتها حافز جنسى قوى لأغلب الرجال .

ويستطيع المرء طبعًا أن يذكر عشرات من التناقضات المماثلة ، ومن الواضح أن النساء العصريات يتعرضن لضغوط من عدة نواح أغلبها غير معقول . والرجل الذى يريد الحصول على أفضل علاقة ممكنة برفيقته عليه أن يبذل قصارى جهده لتخفيف أثر هذه الضغوط وألاّ يزيدها ؛ فإن تقبُّله للمرأة ضمن نطاق غريزته يساعد فى كسب ثقتها ورضاها واستجابتها ككائن بشرى وكشريكة جنسية [١] .

*** س : حدِّثنا عن نفحات الأمومة ؟**

ج : قالوا : الأمومة ، قلنا : نبع حنان ... سرُّ الحياة ، وذوب الخافق الحانى
خصَّ الإلهُ بـه حـواءَ مـكـرمـةً ... تعطى الوجود حياةً ، رغم نكران
اسمٌ تَـقـدَّسَ فـى الأديـان قـاطـبـةً ... وتـحـت أقـدامـهـا ، جـنـاتُ رضـوان
لـولاكِ يـا أمـنـا ضـاعـتْ مـعـالـمُـنـا ... بـل مـاتَ آدم مـنـبـوذًا بـأكـوان

(١) عن رسالة « الرجل والمرأة والجنس » تأليف الدكتور جوزيف كوفان والدكتور جريفيث بورجسون .

الطفلُ يا أمُ بعضٌ منكِ جسَّدَهُ ... ربُّ الوجود كَمالاً بعدَ نقصان
أمشاجُه مضغةٌ مِن نطفةٍ علقتْ ... أضحتْ عظامًا كساها لحم إنسان
دبَّتْ به الروحُ نشوَى ، جلَّ بارئها ... قد صورته يدُ البارى بإتقان
حملته زمنًا وهنًا على وهنٍ ... ينمو وئيدا ، ويُسقَى نبض شريان
أغفَى هنيئًا قريرَ العين حركَه ... دفءُ الأمومة فى رفقٍ وإحسان
تُحصى الليالى ارتقاب الطفلِ ساهرة ... ملهوفةَ الصبر مِن خوفٍ وحرمان
جاء المخاضُ فخاضتْ هولَ تجربةٍ ... قد تبذل الروحَ فيها رغمَ حسبان
عنايةُ الله مدَّتْ ظلَّ رحْمَتها ... فأنقذتها ، وجاء الغائب الدانى
مدَّ الطبيبُ يدَ البُشرى بفلذتها ... وزفَّ للأهل أفراحًا كألحانى
هدهدْتِه زمنًا فى المهد صابرةً ... وكم سهرْتِ بلا نوم لأجفان
وكم بكيتِ وعينُ الموتِ ترقبُنى ... وكم تعبتِ لأسعادى وأشجانى
وكم مهدت دروبَ الشوكِ من قدمى ... وكم رويتِ بدمع العين بستانى
وكم صبرتِ على جهلى بلا مَلَلٍ ... وكم سقَيْتِ فؤادى حبَّ أوطانى
وكم شكوتُ لكِ الدنيا وقسوتَها ... يا بلسمَ الروح ، كم خفَّفتِ أحزانى
أوصَى بك اللهُ خيرًا رُسْلَ رحمتِه ... والمؤمنين ، وأبناءَ الورى الفانى
مَن برَّ أمًا جزاه اللهُ جنتَه ... ومن أساء لَه زَجْرٌ بنيران
عُمرى فداكِ ، ومنكِ الصفحُ أطلبُه ... إذا أسأتُ لِروحى قبل عرفانى
لو كان يُعْبَدُ بعْدَ الله مِن بشرٍ ... لكنتِ أنتِ صلاتى بعد إيمانى

* س : حدِّثنا عن رسالة حب بعث بها زوج لزوجته ، وقد غاب عنها فى سفر . .

ج : « يسعدنى دائما أن أكتب لك صحائف صادقة ، فيها من أسرار الحب آيات رقيقة ، وفيها من لوعة الفراق وأمل اللقاء دنيا واعدة .

قد تخلو النفس من أشواقها ، والقلوب من حبها ، إن لم نلتق . . ولا ينبت ربيعٌ إن لم تُضَمِّخه روائح عنبر ومسكٍ مِن ذاتينا ، ولا يرفُ طيرٌ فى الفضاء ، إن لم يأنس قلبانا فى لقائنا .

ليس بيدنا أننا نحب ، كما الينابيع تتدفق ، وليس لنا حيلة فى أشواقنا التى تفوح كالطيوب . . ليس بيدنا أننا صادقَيْن فى حبنا ؛ فهذه ضرورة نؤمن بها . . والصدق لا يعاب .

قد يقوم نفاق بين الناس ، وقد يتخاصم الإخوة ويتنازع الأقرباء ويتنابذ الأهل . . غير أننا نحن بالحب ، أحباء وأقرباء وأهل .

قصتنا يا حبيبتى على مدار الأيام ، فوحُ الورد وبوحُ الحب . . وانهمار الأمطار وصخب البحار . . لوحة ضياءٍ وعذوبةُ كلام . . ارتحالُ عطرٍ . . ابتسامةُ فجرٍ وحلولُ سلام .

أشرعتى الموغلة فى الأحزان خفَّاقة لنسيم الفرح . . ملوِّحة لرياحك العاتية ، التى تقودنى لموانيكِ ، الهاجعة فى بحر الانتظار .

وروحانا من نور ، يحتويها البناء الصلصالى ، فى قالَبَىْ الشوق للشوق ، والتوق للتوق ، والرجولة للأنوثة . . ويحول بينهما مَن يسرق فصول العطاء ، من يُبقينا فى تيه الفراق المر .

أبحث عنكِ فى مرآتى ، فى صوتى ، فى لون عينى . . ولكنك كالفرس الملسوعة ، التى تسرع مع الزمن ، وتصهل فى تواثبها ؛ لأنها لا تعرف كيف تبوح بهمس بعد .

لا بد من خيط اتصال بيننا يلغى المسافة ، ويؤجج النار من تحت الرماد . . فولادةُ الحبِّ كولادة الدنيا فى بدوات الحياة . . فهيا يا حوَّائى الوحيدة ؛ لنستعيد الجنة المفقودة .

دُمتِ مشرقةً مثل الشمس » [١] .

*** س : ما رأيك بقول الشاعر ؟**

فإن تسألونى بالنساء فإننى بصيرٌ بأدواءِ النساء طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرء أو قلَّ مالهُ فليس له من وُدِّهِنَّ نصيبُ

ج : لا شك أن هناك نوعًا من النساء كما جاء فى وصف هذا الشاعر ، ومن كان على هذا الوصف ، فلا خير فيه ، ولا بارك الله له ، إذا كان ذلك بعد حصول الزواج سنين طويلة ، فكبرَ الزوجُ أو قلَّ ماله ، خاصةً إذا حدث معه ما أقعده . .

*** س : صف لنا شر النساء ؟**

ج : قيل لأعرابى كان ذا تجربة بالنساء : صف لنا شر النساء ؟ . فقال : السريعة الوثبة ، كأن لسانها حربة ، تضحك من غير عجب ، وتبكى من غير سبب ، عرقوبها حديد ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسنات ، وتفشى السيئات ، تعين الزمانَ على بعلها ، ولاتعين بعلَها على الزمان ، ليس فى قلبها رأفة ، ولا عليها منه مخافة ، إن دخل خرجتْ ، وإن خرج دخلتْ ، وإن ضحك بكتْ ، وإن بكى ضحكت ، صبيُّها بسبب سوء تربيتها مهزول ، وبيتها مزبول ، إذا حدَّثت تشيرُ بالأصابع ، وتبكى فى المجامع ، نبَّاحة عند بابها ، تبكى وهى ظالمة ، وتشهد وهى غائبة ، وقد دُلِّى لسانها بالزور ، وسال دمعُها بالفجور ، ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور .

ويقال : إن المرأة إذا كانت مبغضةً لزوجها ، فإن علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدةَ الطرفِ عنه كأنها تنظر إلى إنسان غيره من ورائه ، وإن كانت محبةً له لا تُقلع عن النظر إليه .

قال بعضهم فى وصف امرأته الشريرة :

لقد كنت محتاجًا إلى موت زوجتى ولكن قرينَ السوء باقٍ معمَّرُ
فيا ليتها صارتْ إلى القبر عاجلاً وعذَّبها فيهِ نكيرٌ ومنكرُ

*** س : هل خطر ببالك أن تكون هناك علاقة بين نسبة الطلاق ومبيعات أجهزة التلفزة ؟**

ج : نعم . . الملاحظ أن حوادث الطلاق ونسبة اقتناء أجهزة التلفزة قد ارتفعت فى السنوات الأخيرة حتى كاد أحد المراقبين لهذا التطور أن يرى فى ذلك مؤامرة يهودية لنسف العائلة ، لا سيما الأميركية ! وفى رأى المراقب أن أجهزة التلفزة ، التى توفر مجالاً واسعًا للترفيه والتسلية فى المنزل ، كثيرًا ما تشهد صراعًا عنيفًا بين الزوج والزوجة ، بحيث لم يعد يجوز اعتبارها نعمة للعائلات .

الأمثلة على ذلك كثيرة : زوجة لا تجد مبررًا ثقافيًا مقبولاً لإدارة الجهاز فى المساء فى غرفة النوم فى حين أن الزوج يعتبر الموسيقى التى يبثها الجهاز جزءًا أساسيًا من أجواء محببة إليه . ولذلك تشكو هذه الزوجة من أن زوجها يحب مشاهدة المعارك التى تدور بين المراكب الفضائية بواسطة أسلحة اللايزر مما يقطع عليها مطالعتها المفضلة ، كما تتهمة بالعمل على حرمانها من أى نشاط ذهنى بالقدر الكافى لها ؛ للتعبير عن استعدادها لخدمته .

وهنالك زوجة أخرى تسمع زوجها يصف ميلها لإدارة جهاز التلفزة بقوله إنها مستعدة للتفرج على أى برنامج ، أو يسألها أحيانًا أخرى عما إذا كانت تصر على مشاهدة الهراء المعروض !

---

(١) عن رسالة « الغزل عطر النساء » .

والواقع بالنسبة لزوجين آخرين أن وجود جهاز التلفزة فى غرفة النوم يتحول إلى مشكلة مزعجة حين يود أحد الزوجين أن يغفو ويحلم ، ولكنه يعجز حيال الموسيقى التى يجد الطرف الآخر نفسه مرتاحًا إليها قبل النوم .

وقد عرفتُ زوجين يختلفان حول ارتفاع صوت الجهاز ، أحدهما يريده منخفضًا هادئًا ، فى حين يحبه الآخر مرتفعًا ، حتى يخيل لشريكه أن زجاج النوافذ يتحطم . ولعله من المضحك أن نتصور هذين الزوجين يقفان أمام الجهاز : أحدهما يسترق غفلة من شريكه لخفض الصوت ، والآخر يثور ويغضب ويدير المفتاح لرفع الصوت !

كذلك عرفتُ أحدَهما يحصى على الآخر عدد المرات التى يشاهد فيها البرامج المعادة .

وهنالك زوجان أعرف أنهما يحبان مشاهدة البرامج التلفزيونية ، لكن كلاً منهما يود مشاهدة برنامج خاص به غير البرنامج الذى يفضله الآخر . هل يقتنيان جهازين فى غرفة النوم ؟ الحقيقة أن هذين الزوجين اقتنيا جهازين بالفعل ووضع كل منهما جهاز استماع خاصًا به على أذنيه وهو فى سرير النوم .

ما هو الحل لهذه المشكلة ؟ هل يكون فى التخلص من عادة وضع جهاز التلفزة فى غرفة النوم ؟ أحد الذين أعجزهم إيجاد الحل للمشكلة اقترح العودة إلى الحياة السابقة حين كان الزوجان يختلفان حول الاستماع إلى جهاز الراديو !!

*** س : ابنى فى الرابعة من عمره وقد دخل غرفة النوم فجأة حين كنا - زوجتى وأنا - فى وضع حميم . . . فهل يمكن أن يسبب له ذلك مشاكل فى وقت لاحق ؟**

ج : ليس من المتوقع أن يعانى ابنك من مشاكل عاطفية خطيرة فى نموه العاطفى لمجرد رؤيتك وزوجك مرة واحدة فى حالة حب ! غير أن هذه الصدفة قد تثير فيه مشاعر لا بد لكل منكما من معالجتها .

لعل ابنك شعر بالغيرة إزاء هذه العلاقة الخاصة بينك وبين والدته ، وهو محروم منها بالطبع ، وإذا كان شعور الولد بالطمأنينة وراحة النفس تقتضيان رؤية والديه متحابين ، فإن طفلاً فى مثل هذه السن يحمل أيضًا إحساسًا آخر يبدو متناقضًا : وهو أن تكون والدته له وحده ، وأن يكون والده خارج هذه الصورة .

وهنالك احتمال آخر وهو أن يكون ابنك ظن حين شاهدكما فى هذا الوضع ، أنكما فى خصومة ؛ لأن الأطفال يميلون أحيانًا إلى اعتبار الجنس عنفًا بسبب ما يسمعونه أو يلحظونه من حركات وتعبيرات . وإذا كان ابنك قد فسر هذا المشهد بأنه خصومة بينكما فلا شك أنه أحس بخوف ، أو لعله شعر بارتباك حين رأى تصرفا غريبًا لم يشهده من قبل .

ثم إن العامل المهم فى نظرة ابنك لهذا الوضع هو رَدُّ فعلكما - أنت وزوجك حين دخل عليكما ، فإذا كنتما قد تصرفتما بهدوء ، فالغالب أن الطفل لم يقلق لشىء غير عادى ، أما إذا تصرفتما بنوع من الاضطراب ، أو نهره أحدكما أو صاح به : أخرج بره ، مثلاً ، فالمرجح أن هذا التصرف قد عزز ما أحس به من خوف أو غيرة أو ارتباك ، على أن الوقت لم يفت لمحادثته وتطمينه ليشعر أنكما لستما غاضبيَنْ منه ، كذلك يحسن تشجيع طفلكما على أن يذكر لكما مشاعره إزاء ما شهد ؛ حتى إذا كانت لديه أية أسئلة ، أمكنكما الردُّ عليها وتصحيح أية أخطاء ، لا سيما إذا كان قد حسب أنكما تتخاصمان ، إن الإيضاحات التفصيلية ليست

ضرورية ، ولكن المعلومات التى تذكرانها يجب أن تكون متناسبة مع سنه وإدراكه ، ولعل أفضل الأساليب المتبعة فى هذه الحالة هى الرد على أسئلته بأقصى ما يمكن من الهدوء والصدق والعفوية .

* س : ما هى التقاليد (والموضات) التى تشوه جمال المرأة ؟

ج : لا أدرى هل كُتب على مجتمعاتنا الولع بمحاربة الفطرة . .

وفى الوقت ذاته نجد أنفسنا مطالبين بأن نعود للفطرة ؛ لأن الفطرة هى الأصالة ؟! .

ويد العابثين لم تمتد إلى أى جهة من أصالتنا بقدر ما امتدَّت إلى المرأة ، مُحاولة تشويه حقيقتها والحطّ من كرامتها ، تلك الكرامة التى استمدتها من الشرع الإسلامى الحنيف بعد أن أنقذها من ذل الجاهلية وفسادها إلى النور والعزة الإنسانية كى تساهم مع أخيها وأبيها وابنها وزوجها - الرجل - فى حمل أمانة التكليف . .

الشرع الإسلامى الذى قدَّم للإنسانية : خديجة وعائشة ، ونُسيبة وزينب والخنساء وخولة . . الدين الذى كرَّم المرأة بعفافها وتقواها وخدرها ، ونقلها من حيز الابتذال وتجارة الجسد إلى حيز الكرامة ، فجعلها فى حماية أو رعاية أبيها أو زوجها صونًا لعِرضها وماء وجهها وآدميتها . . هذا الدين كان ولا يزال عدوًّا للعابثين الذين باعوا عقولهم فى سوق التقليد الأعمى ويريدون من نسائنا أن يرجعن القهقرى يرزحن فى قيود النخاسة وليالى ألف ليلة وليلة ، كما رسم لهم سادتُهم اليهود وتلامذة « فرويد » ومحافل الماسونية والسَّادية . .

تراهم يمكرون ويحتالون ويظهرون كل يوم بلبوس ؛ من تقديم اللعنات للمرأة (وما يهمنا هو المرأة المسلمة ، أما لغيرها فنقول : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ . . .) ابتداء من موضة الماكياج والاستعطار والإرضاع الصناعى وتحديد النسل وتربية الكلاب ، وتقديم المرأة المتهتكة عنوانًا لكل عرض تجارى ودعاية ، حتى لو كانت إطارًا للسيارات أو علبة سجاير ، إلى التحلل الكامل والعرى المطلق وتشويه « آدمية » المرأة باسم « الموضة » . وإن بعض السطحيين يظن أن سماسرة وتجار الموضة لهم هدف تجارى وحسب ؛ إذ يراقبون دور الأزياء فى العواصم الأوربية بأساليبها الإبليسية الذكية للاستفادة من فروق أسعار الذهب والعملات ، ويرون الخصومة بين مصانع الأقمشة ؛ والتسابق بين الرسامين وعارضات الأزياء والصحف المسخّرة لهذا الغرض ، لكن الهدف الحقيقى ليس هنا ، وإنما يكمن عند أولئك القابعين خلف الكواليس بعيدين عن أزيز المقصّات وخيوط الموسلين الرقيقة ؛ فهم الذين يقررون ماذا ترتدى النساء فى كل موسم وكيف ستتدرّج المرأة فى هتك سترها وبذل جسدها رخيصًا للمشترين . . عندهم الهدف . . وإنه ليتملكنى العجب كيف استطاع جهل هؤلاء أن يؤثر فى تفكير بعض نسائنا ، وخاصة عندما أسمع امرأة تناقش صويحباتها ساعات طويلة فى السهرات أو الهاتف بكل طلاقة . وتعرف « كريستيان ديور » و« بالمان » و« نيناريتشى » و« باتوكانوا » و« شيرر » و« باكورابان » و . . . وتجيد التميز بينهم ؛ فهذا يعطى المشية الواثقة أو الرومانطيقية ، وذلك للمرأة المسيطرة ، والثالث للهادئة ، والآخر للحسَّاسة ، أما ذلك التايور الخاص فهو للخروج ، والبلوز الـ « كوريج » للسهرة ، والـ « بالمان » منفوخ الكمَّيـــن للعرس ، والـ « مينى » للنزهة ، أما الـ « ريدنكوت » فيذكرك بساكنات الأديرة و . . . إلى آخر ذلك المسلسل المضحك المبكى من الأوهام التى سيطرت على دماغ المرأة فصارت تنام وتفيق وهى تحلم أو تهذى به . رغم أن أمهاتنا ونساءنا العاقلات يخجلن والله العظيم من ارتداء مثل هذه الأزياء داخل منازلهن . . أعجب من امرأة تعرف كل هذا ولا تعرف شيئًا من أصول تربية أطفالها ومعاشرة زوجها ، أو شيئًا من تراث وتاريخ أجدادها وجدّاتها ، وإذا ما دار نقاش من هذا القبيل تجدها جاهلةً تمامًا ! .

تذهب للسوق فتعود بأشياء مبتدَعة ، ولا تعرف إلا أن البائع أو التلفزيون أو عارضة أزياء فى صحيفة قالت لها : « صيف هذا العام جوارب غامقة ، وحذاء موكاسان » وفى الوقت نفسه قالت عارضة أخرى « بل أحذية سيدونى لاريزى » ومعنى هذا قذف ألبسة الصيف الماضى وأحذيته فى الصندوق لتتخمر وتتلف ، أو رميها مباشرة فى سلة النفايات . . ووالله ما اشترت هذا ولا ذاك إلا انبهارًا بهذه الكلمات الأجنبية الممطوطة . . وأجزم أنها لا تعرف معناها . أو فُتنت بشكل تلك العارضة وهى تلبس الموضة حتى ولو كان اللباس الذى تلبسه لباس رجال . . إلى هذا النوع من النساء سأتكلم من باب النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما أظن عددهن قليلاً ، فهن كثيرات . ويا للأسف . . ! فأقول :

أختى ، بمنظار العلم والحقيقة أطلب إليك أن تتعرفى المكيدة لتقارنى وتحكمى وحدك . ولن أتكلم عن الهدر والتبذير فى الوقت الذى تقضينه فى اختيار « الموديل » ، ولا عن الأموال التى تصرفينها بلا نفع ولا فائدة ، بل سأتكلم من أجل صحتك .

* ألزموكِ بثياب رقيقة حتى يهتكوا سترك ، فصرت فى معيارهم أيقونة لهو ، وجارية فى بلاط مملكتهم التى شيَّدوها فى غفلة من الزمان . . واسمعى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيد إذ أهداه حُلة قبطية كثيفة ، فألبسها زيدٌ لزوجته ، فقال له الرسول ﷺ : « مُرْها فلتجعل تحتها غلالة ؛ فإنى أخاف أن تصف جسم عظامها » ، ثم اقرئى قول الحق تبارك وتعالى آمرًا النساء : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

* ابحثى عن مجتمع هؤلاء الذين يغرونك بالموضة ، واقرئى عن ضحايا الموضة والانحلال ، واسمعى ما تقول أوربية زارت بلادنا « الكاتبة الأمريكية هيلسيان ستانسبرى » تقول : « عندكم تقاليد فاضلة تحتم عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والأسرة فى أوربا وأمريكا ؛ لهذا أنصح أن تتمسكوا بتقاليدكم » . .

* يحاول تجار « الموضة » السيطرة على تفكيرك بحيث لا تسمعين إلا آراءهم ولا ترين إلا بأعينهم ؛ لتكونى مسلوبةَ الإرادة وحرية الاختيار ، وأوهموك أن هذا انطلاقٌ وتحرُّر ومساواة مع الرجل ، ولك أن تقارنى بين وصية رسول الله ﷺ الناصعة وبين من يقيدك للخروج بال « مينى » وال « جينز » الضيق الذى يكاد جسد المرأة يتفتق من خلاله ، فحددوا خطواتك ، وحبسوا الدم فى عروقك وأرهقوا عظامك وقالوا لك : انطلقى وتحرري :

ألقاهُ فى اليَمِّ مكتوفًا وقال لهُ : إيَّاكَ إيَّاكَ أن تبتَلَّ بالماء

وفى مناسبات فرضوا عليك لباسًا مضحكًا ، يستحى العقلاء من ارتدائه ، وقالوا لك : إنه العقل ، ثم زينوا لك لباس الفاسقات والكافرات إمعانًا فى تقليدهم والتشبه بهم ، نكاية بقول الصادق المصدوق : « من تشبَّه بقوم فهو منهم » . . منتهى الخداع ، عفوًا ؛ أترك لك الحكم وحدك !

العلم وأضرار الموضة :

والآن : هاك رأى العلم الذى أوهموك أنهم يصممون أزياءهم على هَدْيه .

إن اللباس الضيق تعذيب لحرية الجسد ، وضرر صحى محض للأنسجة والخلايا والأجهزة ؛ خاصة جهاز التناسل والدوران وجهاز الحركة والاستناد .

كثير من النساء أدى اللباس الضيق عندهن إلى العقم أو تشوهات الأجنة أو الولادة المقعدية [١] مما أدى للولادة بعمليات قيصرية أو تمزق عنق الرحم . وعلى جهاز الدوران يؤدى اللباس الضيق إلى ارتفاع ضغط الدم نتيجة تضييق مقطع العروق ، وإنى فى غِنًى عن الإسهاب فى شرح مخاطر هذا الداء (لدى الفتيات والمتزوجات على حد سواء) . وعن جهاز الحركة أقول لك سيدتى :

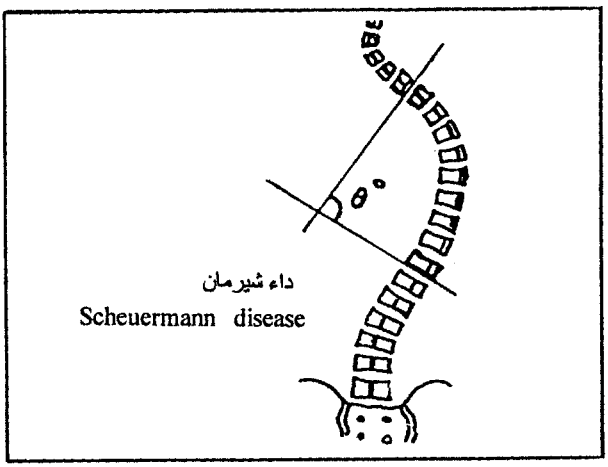

داء شيرمان Scheuermann Disease

هل جربت مرةً أن تسيرى ورجلاك مربوطتان بحبل ؟ إنه أمر غريب ومضحك ، لكن لا تضحكى ؛ فأنت تفعلين هذا !

الكعب العالى :

يؤدى إلى مرضين خطيرين هما :

١ - تصلب عضلات الساق . .

٢ - مرض شيرمان ، وهو عبارة عن تشوهات العمود الفقرى وانقلاب فى الرحم . .

ناهيكِ عن أنه تقييدٌ لحرية المشى ؛ إذ ينصبُّ جُلُّ اهتمام المرأة أين ستضع قدمها وكيف ، فتظل قلقة متوترة مشدودة التفكير وكأنها من لاعبات السيرك تمشى على الحبل ، علمًا بأن حركة المشى هى من الأفعال اللاإرادية ، ولا تحتاج لهذا الإرهاق الفكرى . .

---

(١) الولادة المقعدية : أن يكون رأس الجنين إلى أعلى معكوسًا . . .

* الكعب العالى خداع ؛ فهو مظهر كاذب ، وإن قِصَرَ قامة المرأة ليس عيبًا ، بل العيب أن تكذب على نفسها فتوهمها أنها أطول بخمسة سنتيمترات ، وأذكِّرها باعتبارى من معشر الرجال أن أبغض سمات المرأة إلى الرجل هى الكذب والخداع والغش . وإن هذا الكذب بما يورث عند المرأة من عذاب ضمير وعقدة الذنب يسبب التوتر النفسى والاضطراب اللذين هما السبب المباشر فى أمراض المعدة وجهاز الهضم (إنَّ ٩٠٪ من أمراض الهضم هى من منشأ نفسى) . وإن ظنَّت المرأة أن الكعب العالى اختيال وزهو يكسبها المشية الأنيقة المتعالية المثيرة للإعجاب .

إبهام أفحج فى قدم مشوهة

إن القدم أهم من الأيدى بكثير ؛ فهى تتحمل ثقلَ الجسم وضغطَه ، وتحتوى على مجموعة كبيرة من العظام والمفاصل ، ولذلك كان لها شكل خاص وكان سُمْكُ الجلد فى أسفلها عشرة أضعاف سُمْكه فى مناطق أخرى ، وقد خلقها الله تعالى مسطحة لتؤدى وظيفتها على أكمل وجه . .

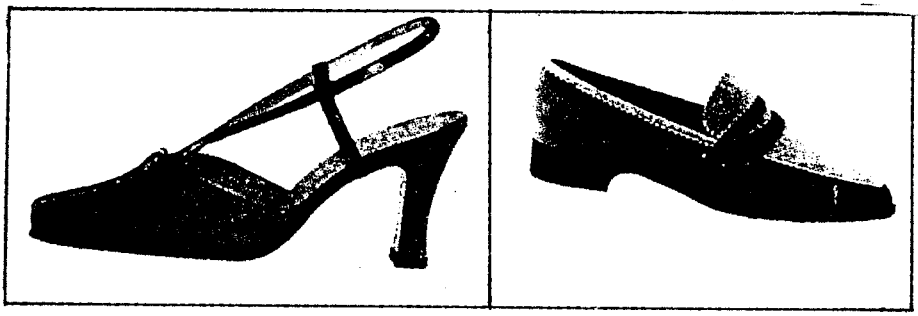

يقول خبراء الأقدام « إن راحة القدم فى المشى والوقوف تنجلى فى كونها مسطحة كى يتوزع ضغط الجسم على سطحها كاملاً وذلك حسب قانون الضغط : ض = ثقل الجسم على سطح القدمين . وإن تقليل السطح (ما يحدث فى الحذاء ذى الكعب العالى) مِن شأنه الضغط على منطقة دون منطقة ، مما يؤدى إلى إرهاق القدم وإصابتها بمسامير الأقدام المؤلمة ، إضافةً للآلام القاسية المعروفة وآلام شدّ عضلات الساقين ، وكذلك فإن الضغط الجانبى على القدم (وهو ما يحدث من الحذاء الضيق) أو على الأصابع (ما يحدث من الحذاء المدبب من مقدمته) يعطى النتيجة ذاتها ، زائد تشوهات القدم أو حالة الإبهام الأفحج بشكل خاص ، أو التحام أصابع القدمين وتسلخها وحدوث الفطريات فيها .

ومن باب الطرافة ، أقول لك : إن « الموضة » هى أقرب ما تكون فى لغتنا إلى « المضّ » الذى يعنى الحُرقة والهمّ والأسَى ، فلا تكونى امرأة موضة ، بل كونى خَفِرةً مَضَّة [١] !

سيدتى : هذه بعض حقائق ما يدعوكِ إليه أعداء الفطرة ، الذين يحاولون سلب أنوثة المرأة وآدميتها ، فإن لم تناصبيهم العداء فلا أقلَّ مِن أن تحمى نفسك من شرورهم وتتراجعى ، ورحمَ اللهُ أبا الدرداء إذ يقول : « ليس الذى يقول الحق ويفعله بأفضل ممن يسمعه فيقبله » . !

*** س : ما هو تعريف الجمال ؟**

ج : « كل فتاة تحب أن يقال إنها جميلة وساحرة وفاتنة وملكة جمال ، والسؤال هو : ما الجمال ؟

هل الجمال هو البودرة والأحمر والكريم والروج والكحل ؟

هل هو لون الشعر . . وطوله . . وشكل التسريحة . . ومقاس الصدر . . ومحيط الوسط . . وخرطة الرجلين . . واستدارة الردفين ؟

هل الجمال فستانٌ وباروكة وبوستيش وشنطة وجزمة ونظارة ؟

المرأة يخيل لها ذلك . . وكل تفكيرها غالبًا فى شكلها . . فى مقاساتها الخارجية . . . فى اللون والنقشة التى ترسمها حول العين والحاجب والشفة .

يخيل لها أن الجمال يمكن رسمه على الوجه ، ويمكن تفصيله بالتحزيق والتقميط والمكواه والمشط .

---

(١) خفرة : شديدة الحياء ، مَضّة : حساسة يؤلمها الكلام والشىء اليسير .

وتنسى أن كل هذا طلاء ودهان . . . وأنه سوف يذوب ساعة أن تضع رأسها تحت الحنفية . . وسوف يتحول وجهها إلى وجه بلياتشو بعد أول موجة من العرق . . وأنها بعد مشوار فى الحر سوف تتحول إلى امرأة أخرى ؛ ذلك لأن كل ما صنعته كان ديكورًا من الخارج . . كل ما فعلته كان سلسلة متقنة من الأكاذيب . . . وعمليةً مُحكمة من التلفيق اشترك فيها العطار والصيدلى والخردواتى .

وهو تلفيق لا يمكن أن يكتب له الدوام . .

حتى الجسم ومقاساته كذبةٌ كبيرة أخرى سرعان ما تفتضح من أول حمل ، فيتحول الغزال إلى حصان بلدية ، وخصرُ المَهَا إلى خصر سيد قشطة .

إن الوجه الجميل والتقاطيع الدقيقة الحلوة هى نوع من الجمال يفقد تأثيره مع التعود والمعاشرة . التعوُّد يُفقد الشكلَ طرافتَه وجدَّته وحلاوته .

هذا حكم الجمال الخارجى . . . مصيره دائمًا إلى الزوال وفقدان الأثر . . الجمال الخارجى مجرد مصيدة وجرُّ رجْلٍ . . وهو عادة قبيحة للمرأة . . لتصطاد بها رجلاً . . نوع من خداع البصر !! . . .

حتى إذا ما تمَّ المراد ووقع الصيد السمين فى الفخ ، وعُقد العقد ووقَّع المأذون وانتقلت العروسُ المزخرفة المزوَّقة إلى العش الموعود ومضى شهر أو شهران . . بدأ الديكور يقع ، وبدأ الطلاء يسقط ، والدهان يتشقق ، وبدأت تظهر النفس التى وراء الزواق والطلاء .

ساعتها يبدو الجمال الحقيقى إذا كان هناك جمال حقيقى .

إن الجمال الحقيقى هو جمال الشخصية . . وحلاوة السجايا . . وطهارة الروح .

النفسُ الفياضة بالرحمة والمودة والحنان والأمومة . . هى النفس الجميلة .

النفس العفيفة . . والعفة درجات : عفة اللسان ، وعفة اليد ، وعفة القلب ، وعفة الخيال . . . وكلها درجاتُ جمالٍ .

والخُلق الطيب الحميد .

والطبع الصبور الحليم المتسامح . .

والفطرة الصريحة البسيطة . .

والروح الشفيفة الحساسة . .

كل هذه ملامح الجمال الحقيقى .

أىُّ قيمة لوجه جميل وطبع قاس خوَّان مراوغ خبيث ؟!

وأىُّ قيمة لمقاسات الوسط والصدر . . . والقلب مشحون بالطمع والدناءة ؟! .

وأىُّ قيمة لشفاهٍ كالمرجان واللسانُ يقطر بالسم والقطران ؟

وأىُّ قيمة للساق الجميلة كأنها خرط المخرطة التى تمتد لك بشلوت والذراع الفاتنة التى تمتد لك بقبقاب .

وأىُّ قيمة لباروكة لا يوجد تحتها عقل ؟

وأىُّ قيمة لنهدٍ خصصته صاحبته لإرضاع العشاق لا إرضاع الأطفال ؟ وأرداف تتزين للنزوات ؟ وفم فاتن لا ينطق إلا الكذب ؟!

إذا أردتَ أن تحكم على جمال امرأةٍ ، فلا تنظر إليها بعينك ؛ وإنما انظر إليها بعقلك لترى ماذا يختفى وراء الديكور .

وحذار أن تنظر إليها بعاطفتك أو غريزتك ، وإلا فإنك ستفقد عقلك من أول نظرة ، ثم يخيل إليك أنك أمام فينوس الخارجة من زبد البحر .

وفى ضباب الحواس وصخب الإثارة تستحيل الرؤية ، وتتحول حدائق الحيوان إلى جنات مغرمين ، وملامح القردة إلى تقاطيع ملائكية .

المرأة كتاب عليك أن تقرأه بعقلك أولاً ، وتتصفحه دون نظر إلى غلافه . . قبل أن تحكم على مضمونه .

ذوقُ الناقد وليس ذوقُ العاشق هو الذى سوف يَدُلُّك .

ولذلك تحرص امرأة بذكائها على أن تحولك إلى عاشق أولاً حتى تُفقدك عقلك فلا ترى الحقيقة .

وأغلبُ الرجال لا يرون الحقيقة إلا بعد فوات الأوان .

والذين يرون الحقيقة يتحولون إلى فلاسفة ، فيعشقون الحقيقة لذاتها وينسون المرأة . . ويؤلفون الكتب فى دراسة الجمال وفلسفة الجمال وينسون حكاية المرأة الجميلة .

وحتى هذا الفيلسوف لا تعدم المرأة وسيلة للضحك عليه ؛ فتقابله كل يوم وتحت إبطها كتاب .

لقد وضعتْ الروجَ المناسب للرجل المناسب » [1] .

* س : حدِّثنا عن الزوج الأحمق .

ج : خرج قوم من قريش ، ومعهم أعرابى أحمق من بنى غفار ، فأصابتهم ريح صرصر عاتية ، يئسوا معها من الحياة ، ولما سلموا منها ، أعتق كل رجل منهم مملوكًا ، فقال الأعرابى الأحمق : اللهم لا مملوك لى فأعتقه ولكن امرأتى طالق لوجهك الكريم .

* س : إنى امرأة فى الأربعين ، وأعيش فى أزمة نفسية ، وأشعر أن نهايتى قد اقتربت ، مما أدى إلى انحراف صحتى ، فهل كل ذلك نتيجة كبر السن ؟ أم ماذا ؟

ج : مما يؤسف له أن الأفكار الخاطئة تجلب المآسى والأفكار السوداء ، ففى الحقيقة أن سن الأربعين أو ما تسمى خطأ بسن اليأس ، هى بداية حياة جديدة ، بعد التوقف عن الولادة وتربية الصغار التى قد تصرف عن المتعة الزوجية ، فما عليكِ إلا أن تُبعدى عنكِ الأفكارَ الخاطئة وتعتنى بملابسك وهندامكِ وتتفرغى لزوْجك من جديد .

وفى الأمثال : فلانة كالجلاس ، كلّما كبرتْ ، ازدادت حلاوةً وجمالاً !

مع أسمى التمنيات وأحلى الأمانى ، وأعذب الحياة ، وردِّدى على الدوام قوله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرّعْد : ٢٨] .

* س : فى بعض الأحيان ، أثناء المطارحة الجنسية ، لا يبلغ زوجى القمة أو ما يُسمَّى بالهزة . وأشعُر متى حدث هذا بأنى الملومة ، فما هى الحقيقة فى ذلك ؟ .

ج : لعل كل ذلك يحدث من زوجك ، نتيجة تعب جسدى أو فكرى ، أو نتيجة ملل بسبب

---

(١) من كتاب « الشيطان يحكم » للدكتور مصطفى محمود بعنوان : - الوقوع فى الفخ -

العادة ؛ ففى الحالتين الأوليين ، يحسن عدم ممارسة هذه المطارحة إلا فى حالة الراحة والسرور .

والزوجة الذكية الواعية باستطاعتها أن تخفف من هموم زوجها أو تزيلها بنصائحها وتوجيهاتها ومداعباتها وقصصها التى يجب أن تكون مزوَّدة بها عن الصابرين والصابرات .

وأما فى حال الملل فعليكِ أن تسارعى إلى تجديد الأساليب والحركات وتنويع الثياب ، كما يجب على كل منكما عدم المباشرة قبل أحاديث الغزل وحركات المداعبة المتنوعة ، واستخدام أنواع العطور المختلفة .

وأذكر مرة أن أحدهم قال لى : إنه مثقل بالهموم ، فقلت له : إنى محدثك بحديث يزيل عنك جميع همومك . فدُهش من ذلك وقال : كيف ذلك ؟ قلت : آخذك إلى أحد المستشفيات حيث تشاهد مصائب وآلام المرضى ، فترى نفسك فى نعمة كبرى . فقاطعنى صاحبى وقال : واللهِ لقد ذهبتْ كل همومى . . .

* س : حدِّثنى عن قصة زوجة قاسية .

ج : كانت زيارتى لمأوى العجزة . . مصادفة . .

فقد كنت توَّاقة لأن أشاهد هؤلاء الناس لعلنى أستشفّ من خلالهم أشياء تنقلنى إلى عالم قد يكون غريبًا طيبًا غير هذا العالم الذى يمور بالمتناقضات العجيبة . . وفى إحدى الردهات استوقفنى رجل عاجز مُسِنٌّ كان ينظر نحوى عندما مررت به بعينين دامعتين فى عمقهما شىء أدهشنى للوهلة التى أنا فيها . .

سلَّمتُ عليه ، فردَّ التحية بأعذب منها ، ولكنه سرعان ما طلب منى الجلوس إلى جانبه على المقعد الطويل فى الردهة . . ففعلت . قال :

- كم أرغب بالتحدث إلى إنسان يجلس معى . .

- سمعًا وطاعة يا عم ، أفصح لى عن مكنون صدرك . .

قلت له ذلك وكأننى أفتح معه تحقيقًا صحفيًا . . قال :

- هل لك أهلٌ (أسرة) أم لا ؟ « واغرورقت عيناه بالدموع . . . » وتابع :

- لى ولدان ولكنى لا أراهما . . .

- . . . . . .

للرجل ولدان : أحدهما طبيب ، والثانى مهندس . . الأول ترك البلد ليذهب إلى الخارج ليعمل فى بلاد أجنبية وليتزوج فيها امرأةً تركته بعد مدة من زواجهما آخذة طفلتها التى أنجبتها منه دون عودة . . وأما الثانى فإنه متزوج فى البلد بامرأة أنانية سليطة اللسان رعناء . . . لم تقبل بخدمة الأب الذى أمسى عاجزًا من شلل أصابه نتيجة كارثة حلت به ؛ إذ فقد ماله ، كما فقد ابنه الطبيب بعد أن تركته زوجته مع ابنتها منه ، تلك الطفلة التى كان يحبها حبًا جمًا أثّر فيه حتى أصابته علة فمات على أثرها فى بلاد أجنبية . . ولمّا لم تقبل زوجة ابنه الثانى أن تعوله وتخدمه فى بيتها ، آثر المجىء إلى هذه الدار - دار العجزة - لعله يستريح وينسى . .

كان هذا الملجأ ما اقترحته زوجة المهندس على زوجها فيما يتعلق بوالده . .

- كان المهندس من أولئك الذين يرضخون للزوجة رضوخًا تامًا ، مهزوز الشخصية ضعيفها . . [هكذا قال المسكين لِى . .] فقلت :

- ما دمتَ هنا . . وقد ارتاحت منك كَنَّتُكَ . . ألا يزورك ولدك المهندس المعمارى هذا . . ؟

- قليلاً . . !

- وكَنَّتُكَ . . ؟!

- هى . . . لا . . إذ كيف لها أن تزورنى وهى التى كانت صاحبة الاقتراح ؟! وأردف :

- كانت قد قبلتْنى فى منزلها بادئ ذى بدء . . وكنت أرعى أولادها بالرغم من عجزى عندما كانت تغادر البيت لأمرٍ تقضيه خارجه . . ولكنها كانت من جانب آخر تفترى علىَّ وتلفِّق الحوادث بأنى أشتمها وأشتم أهلَها فى غياب ولدى ؛ زوجها . . .

كثيرًا ما سمعتُها تكلم ولدى وهى فى غرفة ثانية معه تقول له - مثلاً :

- سأترك البيت وأرحل . .

وكانت الطامة الكبرى حين أخبرنى ولدى أن زوجته ستترك المنزل بسببى . . فما كان منى إلا أن أجبته إلى ما يرغب ، ونَفَّذْتُ رحيلى عن البيت آويًا إلى هذا المأوى . . إذ كانت زوجة ابنى خارج البيت وقتها . .

وبكى الرجل . . حتى علا نشيجه . .

ومرَّتْ أشهر ليست بالعديدة . . وكنت أجتاز الشارع الذى تقع فيه دار العجزة ، فرغبت أن أعرج عليها لعلنى أشاهد أو أزور ذلك الرجل العجوز المسكين ، وفرحت إذ علمتُ أن ابنه أخرجه منها بعد أن ترك زوجته القاسية إلى غير رجعة . . .

لقد رقَّ قلبه وخشى ربه لما سمع من المذياع :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .

وغادرت ذلك المأوى وأنا أجهش بالبكاء .

*** س : أود كتابة رسالة إلى خطيبتى التى عقدتُ عليها ، بانتظار شهر العسل ، وقد علمت أنها مريضة ، فماذا أقول لها ؟**

ج : « معكِ لا الصعابُ صعابٌ ولا الغربة غربة . . معكِ العقبات قش ، والحواجز واطئة . . معكِ ، الربيع دائم ، والشتاء والصيف غير مرتحل ، والخريف مزدهر . كل الفصول أعيشها معك على اختلاف أنماطها ، ولكل نمطٍ مغزًى . .

فى الأيام التى ننتظرها سَوِيًا . . حيث اللقاء العاصف ، الذى تتعانق فيه الفصول ، وترتفع الأرض إلى السماء ، وتقترب الشمس من القمر ، وتصبح الأرض بأسرها وطنًا واحدًا لغريبينِ التقيا . . ستظهر

تباشير كل ألوان الفرح ، وستنجلى إجابات كل الأسئلة بلا استثناء . . ستسفر سائر الأسرار عن وجهها . . ستطير كل الطيور والعصافير ، وستتلاطم الأشجار . . سيصفق الموج عنيفًا ، ويتحوّل النسيم عطرًا والكلام شدوًا . . للقائنا .

فى موطن لقائنا ستشبُّ النار ؛ لتضرب سورًا من الدفْء ، وستنبثق ينابيع الماء لتروى الظمأ . . ستنام الأحقاد ويموت الظلم ، وستخفق قلوب الناس بالحب طربًا . . من نشوتنا .

فيا له من لقاء . . سأعيدك فيه إلى طفولتك ، ثم تندرجين إلى أن تصبحى هَرِمةً . . ولكنكِ ستبقين تراوحين فى صحوة الشباب !

أجمع لكِ وردًا من شفتىّ وخدىّ . . ووردى ذابل بقلقى عليكِ ؟ إذا بعينىّ حمراوان من سهد ، وإذا بشفتىّ داكنتان من تعب ، وإذا بخدىّ صفراوان من حزن . . أىُّ الورود أجمعها لكِ لأعودك ، وأنتِ وردة ضياءٍ تملأ قلبى ؟

كيف أنت الآن ؟ أريدك معافاةً ، وأتمناكِ بخيرٍ دائمًا ، وأُهديكِ من عافيتى عافيةً ، ومن نبضات قلبى بلسمَ حنان . . أهديكِ أنهارًا من قلبى ، وضياءً من عينىّ ؛ لأتعافَى معكِ ولأكون بخيرٍ مثلكِ .

نحن معًا معجزة الفرح . . نحن عالم محبة وجمال . . نحن ثمارُ شوقٍ للخلود . . نحن سببٌ ونتيجة . . نسكنُ الغربة ومسكونون بالرقة .

ليحفظكِ الله كوكبًا دُرِّيًا ينهب مهجتى . . فحبُّك كل قلبى ، وقلبى ثمرة متوهجة بالشوق ، تفرعت جذورها فى أنحائى . . تريد أن تمتد منى ؛ لتصلكِ شراييني .

وأنا أقرأ خبر مرضكِ ، كدت أغرق بين كلماتكِ من فَرط الألم . . تلاحقت أنفاسى على سطوركِ ، فوق بقايا أنفاسكِ .

أنتِ الشمس فى حياتى ، فتألّقى فى ظهيرة صيف . . أنتِ نبضُ قلبى وبصرُ عينىّ ، وهدفى الذى أسعى إليه . . أنتِ جهاتى الأربع . . فليحمكِ الله من كل سوء » [1] .

* * *

*** س : ماذا عن جمال أسنانى ؟**

ج : ادرسى وجهك فى المرآة ؛ فستعلمين مكانة الأسنان منه ، وكيف أن سلامتها وصحتها تضفى على الوجه جمالاً ، وأولُ كلِّ شىء : ابتسمى ؛ فإن الابتسامة تجعل الوجه مشرقًا ، أليس كذلك ؟ وليكن ذلك عندما تنفرج الشفاه عن أسنان بيضاء سليمة .

ادرسى النصف الأسفل من الوجه ، وستجدين أن الأسنان هى التى تتحكم فى هذا الجزء ؛ فهى الأساس الذى تُبنى عليه الذقن والشفاه والفم ، وهى التى تجعل من الفك أداة جمال أو قبح ، وهى التى تجعل الوجه مشرقًا أو غير جذاب .

وأخيرًا انظرى إلى بشرتك الناعمة وإلى عينيك البراقتين وإلى قوامك الرشيق ، وثقى أن الفضل فى كل ذلك يرجع إلى أسنانك .

---

(١) عن رسالة : « قصص قصيرة من المجتمع » للكاتبة أديبة تقى الدين ، بقليل من التصرف .

ولا تعجبى من قولى هذا ؛ فإن الأسنان هى التى تجهِّز الطعام لعملية الهضم ، وهى التى تطحن وتعجن هذا الطعام فى الفم قبل أن يذهب إلى المعدة ، وبدون أسنان قوية سليمة ، يكون سوء الهضم ، والإمساك ، وما يترتب على ذلك من تأثير سيئ على منظر الأسنان .

* س : وماذا عن أثر السواك فى تقوية الأسنان ؟

ج : وضع العالم (رودات) مدير معهد علم الجراثيم والأوبئة بجامعة روستول بألمانيا الغربية مسحوق المسواك المبلل فى وسط مزرعة المكورات العنقودية ، ووضعها فى درجة (٣٧ مئوية) وبعد مدة اختفت الجراثيم من المزرعة تمامًا [١] .

وقد ثبت أن فى المسواك موادّ عطرية تعقم الفم ، بالإضافة إلى نظافته .

ولا يخفى ما فى نظافة الفم من دواعى المحبة والجمال ، وقد سُئلت عائشة رضى الله عنها : بأى شىء كان يبدأ رسول الله ﷺ إذا دخل بيته ؟ قالت : « بالسواك !! » رواه مسلم . (ولعل ذلك لمبادلة القبلات !!)

اذكرى على الدوام أنّ الأسنان بحاجة إلى مضمضة عدة مرات فى اليوم خشية تراكم مادة السكر الموجودة فى الفم ، مما يؤذيها ويسبب لها النخر .

* س : خطبنى شاب ، ولم أشعر بحبه ، فهل أتزوجه على أمل أن يتولد الحب بعد ذلك كما يقول بعضهم ؟

ج : يمكن أن يتولد الحب بعد الزواج ، إذا بُنى من أول الأمر على الإعجاب بينكما بالتخاطب ، والتفاهم معه ، والنظرة المشتركة للأمور ، على أن يكون مقبولاً لديك على الأقل ، كل ذلك يمكن أن يتولد منه الحب .

أما أن يكون هناك نفور ، ثم يؤمل بتولد الحب بعد ذلك ، ففى ذلك مجازفة وطبخة مجهولة .

وعلى كل حال يجب الانتظار قليلاً فى مدة الخِطْبة ؛ فإن فى العجلة الندامة ، وفى التأنّى السلامة !

ومهما كان من أمر الحب ، فإنه لا يُشترط أن يكون عاطفيًا بقوة كما هى الحال بين ليلى ومجنونها !

وأهم ما يجب أن نعلمه أن الزواج شركة ومهمة ومسئولية ، وتفاهم ، لا عاطفة هَوْجاء ، سرعان ما تنطفئ ؛ بل مودة مشتركة . وأوصيك على كل حال قبل الإقدام على الزواج بعمل « استخارة » كما ذكرتُه مفصلاً فى أول هذا الكتاب . والله سبحانه الموفق .

ومهما كان من شأن الحب - هذه العاطفة الهوجاء غالبًا - فهو ليس ضروريًا بين الزوجين ، وهو كثيرًا ما ينطفئ شأن كل هوى ، وخيرٌ منه المودة والرحمة وما أروع قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

* س : صِف لنا وصفًا مؤثرًا لموقف وداع جندى لزوجته قبل ذهابه للمعركة .

ج : . . قبِّلينى يا حبيبتى

وداعًا . . فأنا ذاهب إلى المعركة

---

(١) راجعى كتابى : « دلائل النبوة المحمدية فى ضوء المعارف الحديثة » .

انقضَى ربيعنا
وأنا الآن أسير بلهفة
فى غمرة الأعاصير
أعاهدك على مواصلة المسير
واعدًا أن حياتى هى ثمن الخلاص من العاصفة
إنى أعدك بأن أشعل لها النيران
فى منتصف الليل فوق القمم الثلجية
سأرحل فى الليل الحالك
عابرًا ظلامه الدامس
انظرى إلىّ يا وردتى
ولا تذرفى دموعك الغالية من أجلى
فإن ليلتى هذه
هى ميلاد أمتى
يا فتاتى الرائعة . .
إن بريق عينيك
وبراءة دموعك
أنارا ليلتى الأخيرة هذه .
فى الفجر ماتت النجوم
والقمر أسبل جفنيه واختفى
راقدًا بين السحب الحريرية
ولكن فى نظراته الأخيرة
كان نشيد الختام يغنى :
« قلبى يتوجه نحو آفاق جديدة
ويغمرنى حماسى للطريق الجديدة »
أمعنت التحديق والإبحار
عبر عينيك الوديعتين

يا فتاتى الرائعة

لنستقبل معًا نسمات الفجر

كما تفعل قطرات الندى

مع أوراق الشقائق

حبيبتى . . .

ارفعى إلىّ وجهك الآتى من الجنة

وانظرى نحوى

ملء عيونك السوداء الواسعة

وابتسمى . . وودِّعينى »[1] .

*** س : لماذا يحتم الرسولُ ﷺ على المرأة المسارعة إلى تلبية رغبة زوجها الجنسية فى مثل قوله :**

١ - « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ، فلتُجِبْ ، وإن كانت على ظهر قَتَب »[2] .

٢ - « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته ، فلتأتِهِ ، وإن كانت على التُّنور » .

٣ - « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ، فأبَت ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تُصبح » .

ج : جاء فى أحد الكتب الجنسية الحديثة ردًّا على مثل هذا السؤال :

« على الزوجة أن تسعى دائمًا إلى إشباع رغبة الزوج الجنسية حتى فى الأوقات التى لا تشعر فيها بالرغبة . فهذا أمر له أهميته البالغة بالنسبة للزوج ، وبالنسبة للزوجة نفسها ؛ حيث إنها بذلك تحافظ على سعادتها ، وتضمن استمرار الحياة الزوجية بنجاح ، وفضلاً عن ذلك ، فهى عندما تحاول إشباع الرغبة الجنسية لزوجها عندما يريد الزوج إشباع هذه الرغبة ؛ فإن الظروف قد تتهيأ خلال العملية الجنسية ، فتثور الرغبة لدى الزوجة ، وعندئذ تحسُّ بسعادة أكبر فى المضاجعة بدرجة لم تكن تتحقق لها بهذا العمق من قبل .

*** س : وهل يمكن أن يقال هذا الشىء نفسه بالنسبة للزوج ؟**

ج : نعم ؛ فرغم أنه من الحقائق المسلَّم بها أن أغلب الرجال يفقدون الرغبة فى استمرار العملية الجنسية مع الزوجة بعد أن يتم الإشباع بالنسبة لهم ، ورغم أنه ليس من الأمور السهلة على بعض الرجال أن يؤجِّلوا عملية القذف حتى تصل الزوجة إلى ذروة الإشباع ، فليس ثمة ما يمنع أن يعطى الرجل لزوجته فرصتين أو ثلاث فرص للإشباع إذا كانت الزوجة ترغب فى ذلك بعد أن يكون الإشباع قد تحقق للزوج فى تلك الليلة .

---

(١) مجلة القدس ٧٣٤ بتصرف : على إبراهيم .

(٢) القتب : الرَّحل الذى يوضع على ظهر الجمل . والأحاديث (٢و٣و٤) سندها صحيح .

علاوة على ما سبق من فوائد مسارعة الزوجة إلى تلبية رغبة زوجها الجنسية ، فإن تقاعسها عن هذه التلبية أو رفضها ، قد يسبب له الكبت المضر بصحته الجسمية والنفسية ، وربما أحدث عنده فى كثير من الأحيان : البرود الجنسى !

كما قد يثير الشكوك المختلفة فى نفسه ؛ فيفسر هذا الامتناع بعدم حبها له وعدم رغبتها فيه .

وما أصدق ما قاله المصدر السابق :

« إن الإحساس المتبادل بالرغبة يُعتبر من أهم الأسس التى ترتكز عليها السعادة الزوجية » .

* س : اذكر لنا قصيدة لامرأة غاب زوجها عنها وعن أولادها ، طويلاً ، فهى تبثه أشواقها وتدعوه للمسارعة إلى العودة .

ج : زمانكَ بستان ، وعهدُكَ أخضَرُ
وذِكرك عصفور من القلب يَنقُر
وكنتَ . . فكانت فى الحقول سنابلُ
وكانت عصافيرُ وكان صُنَوْبَرُ
لمستَ أمانينا ، فصارت جداولا
وأمطرتَنا حيًا ، ولا زلتَ تُمْطِرُ
تعاودنى ذكراكَ كلَّ عشية
ويُورِقُ فكرى . . حين فيك أُفكّرُ
وتأبى جراحى أن تضمَّ شفاهها
كأن جراحَ الحُبِّ لا تتخثَّرُ
أحبُك ! لا تفسير عندى لصبوتى
أُفسِّر ماذا ؟ والهوى لا يُفَسَّرُ !
تأخَّرْتَ يا أغلى الرجالِ ، فَلَيْلُنا
طويلٌ ، وأضواءُ القناديل تسهرُ
تأخَّرْتَ . . فالساعات تأكلُ نفسَها
وأيامُنا فى بعضها تتَعَثَّرُ » (١)

* س : حدثنا عن قصة ماشطة بنت فرعون ، وكيف كانت تقوم بدورها فى التمشيط ؟

ج : لم تحدِّثنا قصتها عن طريقة ذلك ؛ بل ذكرتْ خلافها مع بنت فرعون حول الإيمان والكفر .

* س : يظهر أنها قصة خطيرة وشيقة . . فكيف هى ؟

ج : قال رسول الله ﷺ : « لما أُسرى بى مرّت بى رائحةٌ طيبة ، فقلت (أى لجبريل) : ما هذه الرائحة ؟

قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها ؛ سقطَ المشطُ من يدها فقالت : باسم الله !

فقالت بنت فرعون : أبى ؟ (أى تريدين أبى ؟) وكان يأمر قومه بعبادته .

قالت : ربّى ، وربُّك وربُّ أبيك !

---

(١) لأحد الأدباء .

قالت (البنت) : أوَ لكِ ربٌّ غير أبى ؟!
قالت : نعم ! ربى ورب أبيك : الله ! . . .
فدعاها فرعون ، فقال : ألك ربٌّ غيرى ؟!
قالت : نعم ! ربى وربُّكَ اللهُ عَزّ وجل !
فأمر (فرعون) ببقرة من نحاس ، فأُحميت ثم أمر بها أن تُلقى فى النار !
قالت (الماشطة) : إنّ لى إليك حاجة !
قال (فرعون) : ما هى ؟
قالت : تجمع عظامى ، وعظامَ أولادى فى ثوب واحد ، وتدفننا !
قال : ذلك لكِ لِما لكِ عليها من الحق .
فأمر بهم فأُلقوا بين يديها واحدًا واحدًا ، إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها رضيع ، وكأنها تقاعست من أجله .
فقال : يا أمَّه ! اقتحمى ولا تقاعسى ؛ فإنك على الحق ؛ فإن عذاب الدنيا أهون مِن عذاب الآخرة » . [وسنده صحيح] .
وفى الحديث : « وتكلَّمَ أربعةٌ فى المهد وهم صغار: هذا ، وشاهِدُ يوسف ، وصاحبُ جُرَيْج ، وعيسى ابن مريم عليه السلام » .

* س : صف لنا حال الجنس فى معسكرات العراة .
ج : يتوهم الكثيرون أن معسكرات العراة ليس أكثر من حفلة جنسية لا أول لها ولا آخر ، وأن الحب فيها مبذول لكل راغب ، وأنها أمكنة تمارس فيها الرذائل بصورة مفضوحة .
ولقد أُجريتْ دراسة واسعة للتعرف على مختلف نواحى هذه الحياة الاجتماعية المكشوفة . ووُجهتْ إلى عدد من أعضاء أندية العراة أسئلة مختلفة عن شعورهم إزاء الجنس الآخر ، وتأثير الاختلاط بين العراة على مدى سعادتهم وسلوكهم الجنسى .
وقد كتب العالم النفسى « كلوفيس هيرنينغ » مقالاً حول هذا الموضوع فى دائرة معارف السلوك الجنسى جاء فيه : إن من بين الأهداف الرئيسية المتوخاة من إقامة أندية العراة تعويد الناس على رؤية أجسامهم على طبيعتها مما يضعف فى نفوسهم الحافز الجنسى الذى يقويه الكتمان ، وُلقد أكد هذا القول أعضاء أندية العراة أنفسهم ؛ فهم لا يتركون فرصة تمر دون أن يؤكدوا أن انتسابهم لأندية العراة قد أدّى إلى إضعاف اندفاعهم الجنسى ، وأن نسبة غريزة الجنس كادت تموت فيهم ، بينما يظن بعضهم أنها عند العراة عالية جدًا .
ومن الملاحظات العجيبة التى رواها أحد الباحثين عن مشاهداته فى أندية العراة : أن الشبان لا يميلون إلى لمس الفتيات وهن عاريات فى الأندية ، ولكن تصرفهم يختلف اختلافًا مطلقًا عندما يكون الجانبان مرتديَيْن ملابسهما .
فهل آن الأوان لتدرك المرأة المتبرجة مبلغ خطر تبرجها فى إحداث البرود الجنسى للرجل الذى ينبغى له الفرار من مشاهدتها كما يفر من الجرب !!

*** س : ما هى الطرق العلمية لمعالجة القذف السريع ؟ وكيف يستطيع الرجل تأخير الرعشة الجنسية فى الممارسة الجنسية [١] ؟**

ج : هناك عدة طرق وتقنيات إذا استخدمها الرجل أمكنه تأخير بلوغه الرعشة الجنسية . ولكن عددًا من علماء الجنس أعلنوا معارضتهم لاستخدام بعض هذه التقنيات انطلاقًا من أنَّ الرجل عندما سيحاول تصحيح خطأٍ ما فإنه حتمًا سيرتكب خطأ آخر . وبدلاً من ذلك ، فى رأيهم ، على الرجل تعلم السيطرة بطريقة أفضل على بلوغه الرعشة الجنسية وذلك باستخدام تقنية الضغط أى طريقة « ماستر وجونسون » . ولكننى شخصيًا لا أوافقهم على ذلك تمامًا . قد يكون من المفيد لهذا الرجل أن يتدرب على مراقبة نفسه من أجل تأجيل بلوغه الرعشة الجنسية ، لكن ليس من المحتمل أن ينجح دائمًا فى ذلك . وعلى أية حال أستطيع أن أقترح الوسائل التالية لاستخدامها من أجل تفادى القذف السريع :

١ - **فن المداعبة الجنسية قبل الجماع** : يتطلب فن المداعبة تحضيرًا عاطفيًا وذهنيًا صادقين ، ويلعب الكلام اللطيف والاحتكاك الجسدى دورًا رئيسيًا فيه . وأهم شروط فن المداعبة الجنسية : المودة بين الزوجين ، واستعداد كل منهما لإعطاء شريكه بدون خوف وبدون خجل أفضل ما عنده لإسعاده ، بعد ذلك يحاول الزوجان إثارة الأعضاء التناسلية ، وهنا ننصح بإيقافها كلما شعر الزوج باقتراب القذف ، ولا مانع من الاستراحة واللهو بأمور بعيدة عن الجنس ؛ وذلك لمساعدة الرجل على تهدئة أعصابه . ثم تعاد الإثارة مرة ثانية وثالثة ، وفى كل جلسة علاجية يمارسها الزوجان بعد بضعة أيام يسمح لهما بممارسة الجنس . وقد ساعد هذا الأسلوب الكثيرين على الشفاء من القذف السريع .

٢ - **طريقة الضغط المتقطع** : فى استعمال الضغط المتقطع لمعالجة القذف المبكر ، تعصر المرأة إطار حشفة القضيب ، بين إبهامها وسبابتها ، بضع ثوان كلما أوشك المنى أن يُقذَف وكأنى بها تمنع عملية حدوث القذف . وهذا العصر لا يُسَبِّب أىَّ ألم أو إزعاج للرجل ، ويستطيع أن يمارسه مع زوجته خلال أسبوع المداعبة . وتنجح هذه الطريقة فى تأخير القذف ثلاثين دقيقة ، وهى مدة كافية لتصل المرأة إلى شبقها ، وتغتبط المرأة كثيرًا ؛ لأنها أصبحت تشارك زوجها وربما للمرة الأولى لذة الشبق ، ولأنها استطاعت بمحبتها ورقة شعورها وتفانيها وصراحتها أن تعيد إلى زوجها رجولته وفحولته .

٣ - **استخدام بعض المراهم** : إن استخدام نوع من المراهم أو من « الكريم المخدر » مثلاً أو غيره من المراهم المركبة من شأنه تخدير أعصاب العضو التناسلى عند الرجل والتخفيف من حساسية الحشفة أى رأس القضيب . وقد استطاع رجال كثيرون أن يحصلوا على نتيجة باهرة من جراء استخدامهم لمثل هذه المراهم ، ولكن بعضهم فشلوا فى ذلك ، والمهم فى هذه الطريقة هو استخدام المرهم قبل مدة معينة من مزاولة الممارسة الجنسية لكى يتاح له الوقت اللازم لتخدير

---

(١) يراجع ما ذكرناه فى هذا البحث فى الموضوعات السابقة بالإضافة إلى هذا البحث ، ونذكّر بهذه المناسبة بأهمية الإيحاء النفسى وذلك بأن يوحى الزوجُ لنفسه وتوحى إليه زوجته بأنه قد نجا من القذف السريع وأصبح قادرًا على السيطرة .

الأعصاب كما يجب عدم إزالة المرهم قبل مدة طويلة من الممارسة ؛ لئلا يفقد تأثيره ، وبمجرد الانتهاء من الممارسة يجب إزالة المرهم بعناية فائقة ؛ لأن بقاء أى أثر منه على عضو الذكر من شأنه أن يخدر مهبل المرأة .

٤ - استخدام الواقى الذكرى (الكبوت) : إن استخدام الكبوت الرجالى ؛ أى الغمد يساعد كثيرًا على التخفيف من حساسية القضيب ويطيل مدة الجماع .

٥ - اتخاذ الوضع الفوقى : إن اتخاذ الوضع الفوقى للزوجة فى الممارسة الجنسية يسمح للذكر بأن يتزود بأكبر قدر من الضغط ؛ وهو حالة الاسترخاء على الظهر .

* س : رجل يعانى من قذف سريع ، هل باستطاعته أن يكرر الممارسة الجنسية عدة مرات متوالية خلال مدة قصيرة من الزمن ؟

ج : نعم ، ولكن ذلك يعتمد على سن الرجل ونشاطه وقوته الجنسية والجسدية ، ولكن مدة الفاصل الزمنى بين الممارسات المتتالية هى عمومًا أقصر عند الشباب وأطول عند المتقدمين فى السن .

* س : من المعروف أن القذف السريع يحصل عادة فور إيلاج العضو التناسلى فى مهبل المرأة . لكن هناك تقارير تشير إلى حصول قذف قبل عملية الإيلاج أى بمجرد العناق والمداعبة والتقبيل أو حتى بمجرد التفكير بالأمور الجنسية ، هل هذا النوع من القذف شائع بين الرجال ؟

ج : القذف السريع هو عدم قدرة الرجل على مراقبة وتوجيه عملية القذف حسب إرادته ، وهذا يحصل عند الرجل عادة فى أربع حالات :

١ - مشاهدة المرأة وهى عارية أو مشاهدة أعضائها التناسلية .
٢ - ملامسة جسدها .
٣ - ملامسة أعضائها التناسلية .
٤ - إيلاج العضو فى المهبل .

* س : ما هى أهم عوامل القذف السريع ؟

ج : لا يحدث القذف السريع إلا فى حالات مرضية نفسية . وأعتقد بأن حدوث القذف السريع يعود لأكثر من عامل :

أولاً : العامل الثقافى ؛ وهو عامل معروف جدًا يلعب دورًا هامًا فى محافظة الرجل على توازنه الفكرى والنفسى وبالتالى الجنسى .

ثانيًا : مدى مشاركة المرأة فى العملية الجنسية وقدرتها على مساعدة الرجل لكى يتخطى حافة الانهيار والإحباط ؛ لأن سلبية المرأة فى هذا المجال ، تؤدى بالرجل إلى إظهار رد فعل مصحوب بالقلق فى كل مرة يقدم فيها على ممارسة الجنس ؛ فيتحول ذلك إلى ألم وغضب وانتقام يؤدى به إلى قذف سريع . ويستمر على هذه الحالة يدور فى دائرة مغلقة [١] .

* س : هل يجوز للمرأة المسلمة أن تتقدم لخطبة أحد المسلمين الذى أعجبها فيه صلاحه وتقواه

---

(١) عن كتاب « الجنس والصحة » . والقذف السريع كثيرًا ما يكون فى أول العهد بالزواج بسبب الشوق ، ثم يزول من نفسه مع الأيام .

وسعيه فى طلب الرزق ؟ سمعتُ أن هذا جائز لمن تزوجت قبل ذلك ، فهل ينطبق هذا الحكم الشرعى على البِكْرِ ؟ أم يجب عليها أن تنتظر حتى يأتيها الخاطب ؟ وإلى متى تنتظر وقد يفوتها قطار الزواج ؟

ج : من الناحية الشرعية ليس هناك ما يمنع من أن تتقدم الفتاة أو أهلها لخطبة من أعجبها دينه وخلقه على أن يكون بوجود الولى ؛ جاء فى الحديث الصحيح : « لا نكاح إلا بشاهدَيْن وولىّ » . وفى الحديث : « كل نكاح بدون ولى فهو باطل باطل !! » ؛ فقد فعل ذلك الخليفة عمر رضى الله عنه من أجل ابنته حفصة أم المؤمنين رضى الله عنهما ، لما توفى زوجها ، عرضها على أبى بكر ، رضى الله عنه ، فلما لم يُجبه عرضَها على عثمان رضى الله عنه ، فلما لم يجبه شكاهما إلى رسول الله ﷺ عاتبًا عليهما موقفهما . . والقصة معروفة .

كما جاءت إحدى المؤمنات واهبةً نفسها لرسول الله ﷺ ، ولما لم تكن لديه حاجة فى زواجها سكتَ عنها ، حتى قال أحد الصحابة : يا رسول الله ، إن لم يكن لك بها من حاجة فزوِّجنيها . فزوَّجه رسول الله ﷺ إيّاها .

وسواء كانت المسلمة بكرًا أو ثيبًا ؛ فإن لها أن تخطب مَن تتوسم فيه العفة وحسن الخلق ، ويبقى الأمر بعد ذلك لأوليائها ليروا ما إذا كان الزوج صالحًا متدينًا فيزوِّجونها له ، أو غير ذلك فيقنعونها - بناءً على تجاربهم ونصحهم وحبهم لها الخيرَ وسعادةَ العشرة - بأن الأفضل ألاّ تغامر بمستقبلها مع إنسان لا يحظى بحسن السيرة .

*** س : إننى كثيرة الغَيرة على زوجى ، على الرغم من طهارته وعفته ، وأخشى أن أكدر حياته ، فما العمل ؟**

ج : عليكِ بالدعاء إلى الله تعالى ليبعد عنك هذه الغيرة الهوجاء . ولأمثالك أنشدَ أحد الشعراء[1] [2]:

إلَـى مـتـى أنـتَ فـى جـنـبِـىَ تـرتـجـفُ ؟
وكـيـف عـنـك - إذا مـا شـئـتُ - أنـصـرفُ
وكـيـف أنـجـو .. وعُـمْـرِى أنـتَ فـرحَـتُـهُ
وأنـت مـأسـاتُـه .. تـهـتـز أم تـقـفُ
وأنـت واحـةُ أحـلامـى إذا عَـصـفَـتْ
بِـىَ الـظـنـون وأدمـى هَـدأتِـى صَـلَـفُ
لـسـنـا عـلـى كـلِّ مـا نـرجـوه نَـتَّـفـقُ
فـهـل عـلـى الـودِّ - يـا مـخـدوع - نـخـتـلـفُ ؟

*** س : هل يجب أن يتعلم الطلبة فى المرحلة الإعدادية ، والثانوية والجامعية الجنس بطريقة علمية وبأسلوب محتشم بنّاء ؟ وكيف ؟**

ج : نعم ! وقد كنت دعوت إلى ذلك قبل ربع قرن تقريبًا . ويكون ذلك بعد إطلاعهم بصورة

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتصرف .

(٢) شعر ابن الفيصل : مجلة فيصل .

مفصلة على تلقيح النباتات ، وكتبت ذلك فى رسالة لى بعنوان « التربية الجنسية » . وقد بدأت بعض الجامعات تحقيق ما كنت قلته . .

* س : هل هناك محذور من ذلك ؟

ج : كلا إذا راعينا ما سبق ، كل ذلك مع العلم أننا إذا لم نعلّم هؤلاء الطلبة فى المدرسة ، هذه البحوث والمعلومات ، تعلّموها من بعضهم بعضًا ، ومِن الكتب الإباحية ، وخاصة المترجَم منها من أجل العمل على انحراف الأجيال .

والغريب أن نتقاعس عن هذا التعليم فى حين أنه قد ورد فى القرآن الكريم وفى السنّة الصحيحة الأمور الكثيرة عن الجنس .

وقد كنت حين مزاولة التعليم أدرّس الشباب قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فى المدرسة فى جوٍّ عَبِق وبشرح جذاب ومفيد .

ويراجع تفسير آية ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

* س : الرجاء الإجابة عن سؤالى السابق .

ج : فى قاعة المحاضرات الكبرى بجامعة منيسوتا الأمريكية ارتفع صوت الأستاذ « غيرهارد فيوبيك » مرددًا بعض الكلمات وطالبًا من تلاميذه الجامعيين ذكورًا وإناثًا معًا أن يردِّدوا وراءه نفس هذه الكلمات :

انتصاب ، انتصاب . .

المعاشرة الجنسية . . المعاشرة الجنسية . .

البظر . . البظر . .

المهبل . . المهبل . .

الخصيتان . . الخصيتان

وهكذا تحولت القاعة إلى شبة روضة للأطفال مع فارق كبير فى المغزى من الدرس والكلمات التى يكررها الأستاذ ثم يكررها الطلاب وراءه .

« لا تنظروا إلىّ ، وإنما انظروا إلى وجوه بعضكم بعضًا » . كانت هذه أوامر الأستاذ ، وأخذ الشبان والشابات يحدقون فى وجوه بعضهم بعضا وهم يشعرون بالحرج فى أول الأمر ؛ ورويدًا رويدًا تتلاشى حمرة الخجل من وجوه الفتيات وبعض الفتيان وتزول الضحكات ، تصبح الكلمات رغم « بذاءتها » مجرد ألفاظ عادية لا تثير فى النفوس الغضّة سوى المشاعر المبنية على العلم » . هكذا تقول كاتبة المقال « نانسى فابر » .

هذه المحاضرة الجنسية العجيبة كانت حلقةً فى سلسلة محاضرات تحت عنوان « السلوك الجنسى الإنسانى » .

يقول الدكتور « نيوبيك » محاولاً تفسير الدافع إلى هذا البرنامج الجنسى الذى قسَّمه على عدد من سنوات الدراسة الجامعيَّة : « إن فكرة الجنس كشىء قذر ، فكرة متأصلة فى النفوس ، والهدف من الدراسة هو إزالة الحساسية من نفوس الطلاب إزاء هذا الموضوع ، وذلك لكى يفقد الجنس غوامضه التى تدفع بالكثيرين والكثيرات إلى الجنوح سعيًا وراء المجهول الممنوع .

ويعتقد طلاب « جامعة منيسوتا » أنهم من هذه الناحية أحسن حظًا من كثير من طلاب الجامعات الأخرى ؛ لأنهم يجدون فى دروس الأستاذ « نيوبيك » تلك الصراحة والحماس والتسلية التى تفتقر إليها الجامعات الأخرى . . كذا .

إن دروس « نيوبيك » مفتوحة تمامًا أمام الطلبة ، وليست هناك أية قيود مفروضة على تلفُّظ الطلاّب والطالبات بأية كلمة حتى ولو كانت بذيئة مأخوذة من أفواه حُثالات الشوارع ، ولكن الأستاذ نفسه لا يتفوه بهذه الكلمات المنفرة ، ولكنه يترك لطلابه مطلق الحرية فى أن يقولوا أى شىء .

ولا يقتصر الدرس على ترديد الكلمات والأوصاف ، وإنما يتعدى ذلك إلى جميع النواحى الجنسية بوضوح وصراحة لا حدود لهما ؛ من البكارة إلى الخيانة الزوجية ، من البذاءة إلى الدعارة ، من الطمث إلى سن اليأس ، من الإجهاض إلى الشذوذ الجنسى ، ولا يبخل الأستاذ على طلبته بمقاطع من الكتب التى تناقش هذه المواضيع مناقشة صريحة ، وهو يقول إنه يهتم بطريقة التعليم أكثر من مادته ، (كل ذلك بأسلوب رزين موجَّه) .

الطريف فى الأمر أنه عندما بدأ البروفسور « نيوبيك » تدريس هذا الموضوع منذ عامين ، هدد أبناؤه وبناته الكبار بتنظيم مظاهرة أمام قاعة المحاضرات حاملين لافتة كتبت عليها هذه العبارة « أبونا عجوز قذر » ولكن الأب انتصر على أبنائه وعلى المجتمع الذى يرى أن الجنس شىء قذر لا يصح الإفصاح عنه .

ويوضح الدكتور « نيوبيك » سر نجاح مادته قائلا : لقد رُبِّينا على الاعتقاد بأن الجنس شىء قذر معيب ، ولكن ما أعظم الراحة النفسية التى يشعر بها طلابى عندما يجدون أن الجنس ليس أكثر من ناحية من نواحى الحياة » [١] .

*** س : هل يجوز شرعًا اتخاذ بعض الوسائل لمنع الحمل ؟**

ج : يجوز ذلك لبعض الأعذار ، وقد أباح الرسول ﷺ ذلك .

*** س : حدِّثنا عن سحب العضو ومبلغ فائدته فى منع الحمل ؟**

ج : سحبُ العضو من أقدم طرق منع الحمل ، تلك الطريقة الذائعة الانتشار فى جميع أنحاء العالم ، وهى طريقة التوقف أثناء الجماع أو الانسحاب ، وهى عبارة عن سحب القضيب من المهبل قبيل القذف ، وهناك عدة عوامل واضحة لإيثار هذه الطريقة ؛ وذلك أن الاتصال البدنى ، يكون فى أقصى قمته حتى لحظة القذف .

*** س : هل للانسحاب عيوبه ؟**

ج : لهذه الطريقة عيوبها أيضا ؛ فبعض أطباء الأجسام وأطباء الأمراض العقلية مقتنعون بأنها ضارة بدنيا وعاطفيا ! يعمد بعض الرجال إلى إمساك القضيب واعتصاره حتى لا يخرج المنى منه بعد سحبه من المهبل ، وفى هذا احتمال كبير للإضرار بالبدن ، كما أن الضغط إلى الوراء يسبب احتقان البروستاتا وغير ذلك من أمور غير مرغوب فيها وبعيدة المدى ، ومع ذلك فقد أعرب بعض الأطباء - كما قال ووكر وشتراوس - عن رأيهم بأن أضرار الانسحاب قد بولغ فيها كثيرا .

وهم يُحِسُّون أنه ما دام القذْفُ قد تَمَّ ؛ فلا أهمية لأن يحدث ذلك داخل أو خارج المهبل .

وأخطرُ عيوب الانسحاب هو عدم إمكان الاعتماد عليه كطريقة لمنع الحمل ، ويتوقف نجاحها

---

(١) نانسى فابر عن مجلة « لوك » .

على قدرة الرجل - وهى غير مؤكدة غالبًا - على التنبؤ بلحظة القذف والسيطرة عليها ، وحتى إذا تمت هذه السيطرة - وهى تتضمن التوتر وربما إنقاص فترة الاستمتاع - فإن السائل السابق للقذف قد يحتوى على بعض الحيوانات المنوية التى لها القدرة على الإنجاب ، ومهما كان السبب فإن الفشل فى منع الحمل بهذه الطريقة شائع وقد وجدت « كاترين ب . دى فيز » أن عدد الذين يفشلون فى منع الحمل بهذه الطريقة بين المثقفين ١٣ فى المائة ، أما فى المرضى فى المستشفى فالنسبة أعلى كثيرًا من هذه .

وليس الانسحاب بالتأكيد طريقةً مُرْضية إذا كانت المرأة شديدة الخوف من الحمل ولم تكن واثقة من قدرة زوجها على ضبط وقت الانسحاب ، أو إذا كان إشباعها أو شهوتها يعتمدان على الإحساس بالإثارة الجنسية والقذف من الذكر فى حالة نشوته [١] .

* س : حدِّثنا عن التحفُّظ فى الجماع .

ج : أثنَى بعض الكتَّاب على هذه الطريقة لمنع الحمل ، واعتبروها آخر كلمة فى حديث الجنس ، ويعرفها « ر. ل . ديكسون » فى كتابه « ضبط الحمل » بأنها « إطالة الجماع المصحوبة بأقصى إثارة متعددة الدرجات مع إثارة شهوة المرأة إذا كان ذلك مرغوبًا بدون قذف المنى - أو القذف خارج المهبل فى الحالات النادرة - مع إنقاص الإحساس عند الرجل » .

ويقول « ديكسون » أيضا : إن مجموعة الاختبارات التى أجريت بين قرابة ثلاثمائة عضو من أعضاء جالية دينية اجتماعية يمارسون جميعًا التحفظ فى الجماع لم تسفر عن أية آثار سيئة ، ويميل عالم أمراض المسالك البولية الحديث إلى النظر إلى هذه الاكتشافات بعين الريبة ، وقد أوضحت الدراسات التى قام بها الدكتور « أ. ج ليدر » أن إفراز المنى كثيرًا وعدة مرات مهم لصحة الأعضاء التناسلية للذكر ، وأن ضبط هذا الإفراز واحتجازه قد يأتى بنتائج عكسية ، ويجب أن يكون التحفظ فى الجماع كطريقة مغايرة فى أسلوب الجماع ، غير ضار ، كما يجب أن يكون أيضا أمرًا مرغوبًا فيه ، أما إذا أصبح وسيلة دائمة لمنع الحمل ، فإنه تصبح له أكثر عيوب الانسحاب ، كما يصبح شديد الإضرار بالصحة الجنسية وبقدرة الذكر .

* س : حدثنا عن طريقة الفترات المنتظمة .

ج : ليس الحمل عند البشر أمرًا ميسورًا تحقيقه بسهولة ؛ فإن الظروف المناهضة له كثيرة ، وتفرز المرأة المخصبة بويضة مرة واحدة فى كل دورة طمث مدتها ٢٨ يوما ، ولكى يحدث الإخصاب يجب أن يتصل الحيوان المنوى بالبويضة خلال اليوم أو اليومين اللذين تبقاهما البُوْيضة فى حالة حياة ، وإلا فإنه لن يحدث حمل . وإذا أمكن تحديد فترة إفراز البويضة بدقة أمكن تحقيق الحمل بسهولة نسبية ، كما يمكن تحاشيه أيضا إذا شاء الزوجان ، وذلك بقصر الجماع على الوقت الذى لا تكون فيه البويضة جاهزة للإخصاب ، أى فى « فترة الأمان » كما تسمى .

وتستطيع المرأة أن تحسب هذه الفترة بتدوين تاريخ حدوث الطمث لمدة عدة أشهر ، وعلى ضوء هذا البيان تحدد أطول وأقصر فترات الطمث ، وتنقص ١٩ يوما من أيام أقصر فترة ، و١٢ يوما من أيام أطول فترة ، ويمثل الرقمان الناتجان عن هذه العملية الحسابية الأيام التى يمكن أن تحمل فيها ، أما الأيام

---

(١) عن رسالة : الرجل والمرأة والجنس .

الباقية فهى أيام « الأمان » ، فمثلاً إذا اختلفت الدورة بين يومين وثلاثين يومًا أصبح الجماع خطراً بين اليومين الثامن والثامن عشر ، وإذا اختلفت بين ٢١ و٢٦ يوما امتدت الفترة المحرَّمة مِن اليوم الثالث إلى اليوم الثانى والعشرين - أى عشرين يومًا كل شهر ، ومع هذا التنوع الكبير تعتبر طريقة فترات الجماع المنتظمة مساويةً للامتناع عن الجماع .

وبالرغم من وضوح عيوب هذه الطريقة فإن ملايين من الناس يمارسونها فى جميع أنحاء العالم ، ولا يمارسون طريقة أخرى سواها .

والأزواج بالمثل أحرار فى الاستفادة إلى أقصى حد من القانون الطبيعى لإخصاب الأنثى باستخدام طريقة الفترات المنتظمة للجماع حين يكون هناك اعتراض سليم يَحُدُّ مِن حجم الأسرة باستخدام الطرق والوسائل الآلية والعلمية التى تساعد على معرفة « متى تكون المرأة مخصبة ومتى لا تكون كذلك » معرفة دقيقة حتى وإن استخدمت هذه المعلومات فى البلوغ بالطريقة حد الكمال كالعادة لتحديد النسل .

ولهذا السبب تستخدم النساء هذه الطريقة فى حساب الفترات التى يكون فيها الجماع مأمونا ، وأهم هذه الطرق مأخوذة من العلاقة بين درجة حرارة الجسم وأداء المبيض ووظيفته ، وغالبا ما تتغير درجة حرارة جسم المرأة فى الوقت الذى تنطلق فيه البويضة للإخصاب ، وقد استطاع بعضُ الأزواج شبه المخصبين عن طريق الاحتفاظ بسجل لدرجات الحرارة لزوجاتهم للاستهداءِ به فى تحقيق الحمل ، وعلى ضوء نفس هذه المعلوماتِ نجح أزواج آخرون نجاحًا كبيرًا فى تحاشى الحمل تمامًا أو لفترات متباعدة من الزمن .

وهناك طريقة أخرى ينصح بها بعض الأطباء : وهى طريقة تجربة جهاز اختبار القطران ، ويحمل هذا الجهاز صبغة حساسة بالنسبة إلى مقدار الجلوكوز الموجود فى مخاط عنق الرحم . ولكمية هذا المقدار دلالة أخرى على إفراز البويضة ، وعند إدخال الجهاز فى المهبل يتفاعل تفاعل ورق دوار القمر ويتلون بألوان تندرج من الأصفر حتى الأخضر الداكن .

وبالرغم من كل هذه التحسينات التى أُدخلت على طريقة تنظيم فترات الجماع والمستخدمة حاليا ؛ فإنها أبعد ما يمكن أن تكون عن إمكان الاعتماد عليها إحصائيا كوسيلة لتحديد النسل ، وإن كانت ناجحة نجاحًا كبيرًا فى بعض الحالات الفردية .

فالمرأة التى تقصر استخدامها على هذه الطريقة تكون فرصتها فى الحمل عن غير قصد بنسبة تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ فى المائة .

*** س : حدثنا عن طريقة الدش .**

ج : الدش المهبلى وسيلة معروفة لمنع الحمل فى أوروبا وأمريكا ، وهناك عدة مستحضرات طبية لاستخدامها مع الدش ، ولكن الوسيلة آلية لا كيميائية ، وأساسها إزالة المنى من المهبل ، والمادة الأساسية المستخدمة فيها هى الماء الفاتر ، وإذا استخدمت هذه الوسيلة فى أغراض منع الحمل فإنه يجب استخدامها بعد الجماع مباشرةً حتى وإن بدا احتمالُ عدم فاعليتها ؛ لأن الحيوان المنوى غالبًا ما يصعد فى قناة عنق الرحم - وهى مدخل الرحم - فى غضون فترة وجيزة جدا من القذف ، وبهذا يفلت من تأثير الدش فيه ، وفضلا عن ذلك فإن استخدام الدش قد يكون ضارًا لما يسببه من احتكاك ، وبالتدخل فى التكوين البكتيرى وتهيئة المكان لبكتريا غير طبيعية تغزو المهبل وتسبب له العدوى .

*** س : حدثنا عن طريقة الكيس .**

ج : إن هذه الوسيلة مِن أكثر وسائل منع الحمل الآلية انتشارًا ، وقد تكون هذه الوسيلة من أقدم تلك الوسائل ؛ فالكيس هو هدية عصر النهضة الإيطالية للحضارة ، وكانت الطرز الأولى تُصنع لمنع انتشار الأمراض التناسلية ، ثم لمنع انتشار طاعون وبائى ، ولا تزال الأكياس مما يوصَى باستخدامه إن كان أحد الشريكين مصابا بمرض معدٍ ، وكانت الأكياس تصنع أصلاً من أنسجة حيوانية هى أنسجة الأمعاء الدقيقة عادة ، ولا تزالُ أمثال هذه الأكياس تصنع وتباع بكميات كبيرة ويُقبل على شرائها ملايين الرجال ، بالرغم مما يصاحب استخدامها من شعور بعدم الراحة بسبب المادة التى تُصنع منها وبسبب استخدامها ، ولا بد من بلّها قبل الاستخدام ، كما أنها ليست مرنة ، وتتطلب دائمًا دقة فى استخدامها .

أما أكياس المطاط سواء كانت مسطَّحة أم مستديرة فإنها تتميز بالمرونة ، وتلائم كافة أحجام العضو الذكرى عند الرجال ، ثم إنها تحقق قدْرًا كبيرًا من الأمان فى منع الحمل ، وإذا أجيد غسلها وحفظها أمكن استخدامها عدة مرات ، وإن اقتصر استخدام معظمها على مرة واحدة . وظلت « مصلحة الأغذية والمستحضرات الطبية الاتحادية » فى الولايات المتحدة - منذ عدة أعوام تراقب جودة صناعتها ، ولهذا قلَّ جدًّا احتمال سوء نوعها .

والكيس ابتكار فعال جدًّا فى منع الحمل ، ولكن له بعض العيوب ، ويجب أن يُحسن استخدامه مع ترك مسافة نصف بوصة عند طرف القضيب حتى يتسع للمَنِى ، كما يجب اختباره قبل الاستخدام بنفخه ، فإن تمزق أو انشق وجب استعمالُ غيره بعد اختباره ، وإلا كان على المرأة أن تكون مستعدة لاستخدام الدش فورًا . والكيسُ يُستخدم عادة بعد حدوث الانتصاب ، وبذلك يقطع العملية الجنسية فى لحظةٍ هامة فيقلل من حدة الإحساس الشهوانى .

*** س : ما هى طريقة الحجاب الحاجز ؟**

ج : تعمل وسائل منع الحمل التى تستخدمها النساء عادة على سد الطريق أمام انتقال الحيوان المنوى إلى الرحم ، وهناك عدة وسائل مصممة لتحقيق هذه الغاية ، وكثرة هذه الوسائل دليل على عدم وجود طريقة مثالية محددة حتى الآن ، وسنذكر أغلب هذه الوسائل هنا وإن كنا نستنكرها ولا نوصى باستعمالها وهى :

(١) قلنسوة عنق الرحم : وهى من المطاط أو المعدن أو البلاستيك وتوضع فوق الرحم للامتصاص ، ولا بد من التحقق من ملاءمتها ، وقد نشأ استخدام هذه الوسيلة أصلاً فى أوربا ، ولكنها اكتسبت بعض المؤيدين لها بين أطباء الولايات المتحدة .

(٢) كعكة الرحم : وتُدَسُّ فى عنق الرحم ، ولها شفة تبقى خارج العنق للسماح بالانسحاب ، ويمكن تركها فى عنق الرحم مدة طويلة ، ولكنها غالبًا ما تسبب التهابًا للرحم وتجعله مستعدًا للعدوى .

(٣) حلقة جرافنبيرج : وهى عبارة عن زنبرك حلزونى دائرى من الفضة تُدخل فى تجويف الرحم بأداة خاصة ، وتُترك فى مكانها شهورًا أو سنوات ، وربما استخدمت فى الإجهاض ، وقد تُسبب عدوى الرحم أو القنوات ، أو قد تتسبب فى نزيف الرحم نزيفًا شديدا .

أما الجهاز المقبول بصفة عامة لسد الطريق فى وجه انتقال الحيوان المنوى إلى رحم الأنثى فهو الحجاب الحاجز : وهو يتألف من نصف كرةٍ رقيقة من المطاط تستند إلى حلقة مرنة ، وتضعها المرأة فى المهبل قبل الجماع ، ولكن كى يكون شديد الفاعلية يجب أن يقوم الطبيب بتركيبه ؛ لأنه يقوم

بتجربة عدة حلقات مرنة حتى يستقر على الحجم المناسب ، فإذا جاء التركيب ملائمًا لم تجد المرأة أية متاعب أو شعورًا بعدم الراحة ، وكذلك الحال مع زوجها ، أثناء الجماع ، ويمكن إدخالها فى أى وقت قبل عملية الجماع بعدة ساعات ، كما يمكن إزالتها بعد عملية الجماع بست أو ثمانى ساعات .

ولكى يكون الحجاب الحاجز فعّالاً جدًا يجب أن يكون مغطًى بطبقةٍ من كريم قاتل للحيوانات المنوية أو من الجيلى القاتل للحيوانات المنوية قبل إدخاله فى المهبل ، فإذا أجيد تركيبه وأحسن استخدامه وغُطى بطبقة من المركب الكيميائى القاتل للحيوانات المنوية كان معدل نجاحه فى منع الحمل منخفضًا بنفس النسبة التى تصل إليها أية طريقة أخرى معروفة . . ولقد ظل الحجاب الحاجز حتى تطبيق موانع الحمل الحديثة محل توصية معظم الأطباء ، إلا فى الحالات التى يكون فيها حوض المرأة فى حالة تجعل تركيبَ هذا الحجاب مستحيلاً .

*** س : وما هى طريقة الكريم وحده والجيلى وحده ؟**

ج : من أهم انتصارات أبحاث منع الحمل الأخيرة ابتكار الكريم والجيلى القاتلَيْن للحيوانات المنوية للذين يستمرون فى استخدامها بصورة فعالة بدون حجاب حاجز أو أية وسائل أخرى .

وقد بدأ مركز تخطيط الأبوة فى لوس أنجلوس - وهو يلى فى الأهمية مستشفى مرجريت سانجر فى نيويورك - فى دراسة هذه الطرق الجديدة منذ عام ١٩٥٤ ، وقد أثبتت مجموعة التجارب التى سجلت بعناية بشأن أكثر من ألف امرأة أن الكريمات والجيلات إذا استخدمت طبقًا للتعليمات المناسبة أصبحت شديدة الفاعلية كطريقة صالحة لمنع الحمل .

وتعطَى التعليمات التالية للمرضى فى مركز تخطيط الأبوة بشأن الاستخدام الصحيح للكريم وحده والجيلى وحده عند النوم فى كل ليلة أو أى وقت آخر يجوز فيه الاتصال الزوجى : « أدخِلى نصفَ جهاز الاستخدام من هذا التركيب الكيميائى فى المهبل إلى عمق بوصتين مع إدخال الجهاز وإخراجه ، وقد يحدث الجماع فورًا أو بعد انقضاء ساعة بدون إضافة المزيد من التركيب الكيميائى ، فإذا لم يتم الجماع إلا بعد ساعة من استخدام التركيب الكيميائى ، أو إذا تم فى غضون تلك الفترة ثم تكرر حدوثه فيما بعد ، تطلَّب الأمرُ إعادة استخدام كمية مماثلة من التركيب ، وليس الدش ضروريًا ، ولكن إذا رُغب فيه فيجب القيام به بعد انقضاء ست ساعات على الجماع » .

وإن النتائج التى يُحصل عليها باستخدام الكريم وحده أو الجيلى وحده فى منع الحمل هى أفضل من تلك التى يُحصل عليها باستخدام طريقة الكيس أو الحجاب الحاجز بالجيلى ، ويقع الحملُ فى حالة استخدام إحدى هذه الوسائل فى عدد قليل جدًا من الحالات ، ويجب عدمُ الإقلال من شأن هذه الحالات القليلة واعتبارُها « عيوبًا فى الطريقة » ؛ فقد يأتى الحمل فعلاً نتيجة لعدم ملاءمة الطريقة ، ولكنه قد يكون أيضًا نتيجة أخطاء عابرة أو متعمدة فى استخدام مانع الحمل .

*** س : حدثنا عن طريقة أقراص المهبل .**

ج : أقراص المهبل أحدث من الكريمات والجيلات القاتلة للحيوان المنوى ، وقد ظلت محل تجارب فى مستشفيات نيويورك ولوس أنجلوس منذ عام ١٩٥٥ ، ويبدو أن لها فاعليةَ طريقةِ الكريم وحده والجيلى وحده ، ولها نفس فترات استخدامها ، والقرص فى حجمه يشبه حجم لب القرع العسلى وله شكله ولونه ، وهو يتحلل بسرعة عقب إدخاله ويتميز بميزتى البساطة والسهولة ، وتتميز هذه الطريقة بعدم حاجتها إلى الأنابيب وأدوات التركيب ، وتدل الدلائل الراهنة على أن هذه الأقراص سوف تكون التحسين الهام التالى فى أساليب منع الحمل المهبلية .

* س : ما هى طريقة حبوب منع الحمل عن طريق الفم ؟

ج : نالت حبوب منع الحمل عن طريق الفم من اهتمام الصحف أكثر مما نالته أية طريقة أخرى من طرق منع الحمل المستحدثة أخيرًا ، وأسباب الاهتمام بها واضحة ، ويجب أن تكون هذه الحبوب مقبولة الطعم ، خالية من الأضرار ، وأن تكفل فترة منع حمل محدَّدة المدة .

ومن الممكن أن تكون هذه الحبوب أساس الطريقة الجديدة لتحديد النسل ، وإن كانت إلى كتابة هذه السطور فى مرحلة الاختبار والابتكار .

* س : هل لهذه الطريقة تعليمات ؟

ج : مثل كل الحبوب التى تؤخذ عن طريق الفم لا بد لنجاحها من اتِّباع التعليمات الصحيحة واستخدامها استخداما واعيًا ، وتأتى وظيفة منع الحمل فى هرمونات العقم من قدرتها الهرمونية على منع إفراز البويضات وكذلك منع الطمث ، وننصح المريضة التى تريد انتظام حدوث الطمث بأن تأخذ الدواء يوميًا ابتداءً من اليوم الخامس حتى اليوم الخامس والعشرون من الدورة ، ثم تتوقف لكى تسمح لفترة الطمث بأن تسير سيرها الطبيعى ، ثم تعود إلى تناول الحبوب فى اليوم الخامس من الدورة الجديدة ، ويبدأ الحساب من أول يوم من أيام الطمث ، ومن عيوب هذه الحبوب ما تتسم به من تعقيد فى طريقة التوقف ثم البدء ، وهناك مريضات كثيرات لا يستطعن تذكُّر تناول الحبة كل يوم خلال الأيام الواحد والعشرين ، أو يجدن أن طريقة حفظ الحساب الضرورية مرهقة لهن .

وهناك عيب آخر فى الاحتمال الكبير للآثار الجانبية غير المُرضية ؛ فمن بين الـ ٤٧٤ امرأة اللواتى توقفن عن الاستمرار فى استخدام الحبوب ضمن مجموعة اختبارات مركز تخطيط الأبوة ، فإن ٢٤٪ منهن توقفن بسبب إصابتهن بالغثيان أو التقيؤ أو الإسهال أو بكل هذه الأعراض معًا ، وتوقفت ٤١ فى المائة بسبب إصابتهن بنزيف الطمث فى تواريخ غير متوقعة أثناء فترات الطمث ، وتوقفت ١٨٪ منهن بسبب بدء تدفق الطمث فى مواعيد غير المواعيد المعهودة له .

وبالرغم من ذلك فإن الخبراء يعتبرون هذه الآثار القصيرة الأمد غير خطيرة بصفة عامة ، وإن كانت الآثار الطويلة الأمد قليلة الخطورة بالمثل ، فإن هرمونات العقم يمكن أن تكون خطوة هامة فى طرق منع الحمل [1] .

* س : حدثنا عن رياضة اليوغا .

ج : تستهدف هذه الرياضة السيطرة على الجسم ومن ثم السيطرة على النفس ؛ ذلك أن السيطرة الكاملة على النفس لا تتم إلا بالسيطرة الجسمانية ؛ وذلك عن طريق مجموعة من التمارين التنفسية التى تصاحبها ، وهى رياضة فى وسع جميع الناس من مختلف الأعمار أن يزاولوها من غير أن يتعبوا قلوبهم أو نفوسهم ، وهذه الرياضة مفيدة للهضم والتنفس ، وإذا زاولها المرء بانتظام ظفر بالقوة والصحة والرشاقة ، للرجال والنساء جميعًا .

ومن فوائد ونتائج هذه الرياضة :

١ - تحسين داخلى للأعضاء الجوفية ، تحسين الهضم ، تنظيم النشاط المعوى ، خفض التوتر

---

(١) أسفرت الدراسات الحديثة جدًا عن الوصول إلى حبوب مؤكدة لمنع الحمل ولا يترتب على استعمالها شىء من الغثيان أو القىء أو الإسهال أو الصداع ، كما أمكن إنتاج حبوب لا تؤخذ يوميًا بل مرة واحدة فى الشهر ، وتجرى التجارب الآن على حبوب تؤخذ مرة فى كل عام أو عدة أعوام (عن أحد الكتب الجنسية) .

العصبى ، استرخاء طيب للقلب . إذا وُفقت إلى إتقان هذه الحركة فأطلها ما استطعت من ٣٠ ثانية إلى خمس دقائق .

٢ - الدم يندفع إلى الأوعية الشعرية ، والتوازن يعود إلى الغدد .

٣ - النتيجة : الخصر نحيف والعمود الفقرى قوى .

٤ - تنمية التوازن الجسدى والعقلى وترميم الجهاز الهضمى .

ضع الكعب الأيسر تحت الفخذ اليمنى ، مُرّ بقدمك اليمنى فوق الساق اليسرى ، اقبض على قدمك اليمنى بيدك اليسرى ، أدر ظهرك وئيدًا نحو اليمين وكذلك الرأس ثم مد الذراع اليمنى إلى اليمين وراء ، وضع اليد على الأرض .

تنفس على وتيرة منتظمة ، كرر فى الجهة المقابلة .

٥ - يصحح وضعية العمود الفقرى ويرويه بالدم .

٦ - ينحف الخصر ويلينه . ويرمم العمود الفقرى .

٧ - يقوى عضلات البطن ويقوى أعصاب الظهر .

انتبه - يجب القيام بالحركة ببطء وحذر لا بعنف .

٨ - يرمم الغدة الدرقية وبجعل الجسم صحيحًا ، يمنع تجعدات الوجه ، وله أثرٌ ممتاز ضد الدوالى .

٩ - يعيد النشاط إلى الدماغ ، يحافظ على الشباب ، يطرد التعب ، يزيد قوة الذاكرة والتركيز ، ويشغل الغدة النخامية .

ملاحظة هامة : جميع هذه النتائج تتحقق بالصلاة ، وأكثر منها ، علاوة على ما فى الصلاة من طمأنينة وسكينتها اتكالاً على الله تعالى ، مما يبعد الإنسان عن القلق وغيره من الاضطرابات والأزمات النفسية التى تجعل من الحياة المعاصرة جحيمًا لا يطاق .

وتمتاز الصلاة عن اليوغا فى كونها تمارس عدة مرات فى اليوم يسبقها الوضوء وما فيه من فوائد صحية ونفسية [١] .

*** س : حدثنا عن عادة التقبيل عند بعض الشعوب .**

ج : من المحقق أن قبائل الإسكيمو والمورا لا يعرفون التقبيل ، وقد مضت قرون عديدة قبل أن تُعرف هذه العادة فى الصين .

واليابانيون يحرّمون التقبيل ويبالغون فى تحريمه ، حتى أنهم يحذفون جميع مناظر التقبيل من الأفلام الأوروبية والأمريكية التى تعرض فى بلادهم فما أشد وعيهم بما للتقبيل غالبًا من محاذير صحية ونفسية وخلقية ! .

وعرضت رسوم « رودان » فى معرض طوكيو سنة ١٩٤٢ ، فظهرت جميع اللوحات المشهورة ما

---

(١) راجع بحثنا « ألف جواب وجواب عن الجنس والحب والجمال فى ضوء الفضيلة والبطولة » الجزء الأول .

عدا اللوحة التى تحمل صورة القبلة ، فقد ألقى عليها غطاء كثيف ، وقد اعترض بعض الزوار الفرنسيين على ذلك ، فأجابه رئيس البوليس : إنّ التقبيل عادة أوروبية ممقوتة تمنعها اليابان بأى ثمن !!

وقد قام أحد علماء أمريكا فى الأيام الأخيرة يحذِّر العالم من التقبيل ، ويعلن أنه ينقص من عمر الإنسان ويسبب انتقال بعض الأمراض .

وهو يسبب انتقال العدوى ، ويثير الغريزة الجنسية [١] .

*** س : ما حكم القُبلة فى الإسلام ؟**

ج : الإسلام يحرِّم القبلة تحريمًا قاطعًا إلا بين الزوجين ، أما بين الأصول والفروع ؛ أى الآباء والأبناء ، فيجب أن تكون نادرة وفى بعض المناسبات كالسفر مثلاً .

*** س : حدثنا عن أغرب حادثة حب ؟**

فى خلال الحروب الصليبية وقبلها وبعدها اختلط العرب بالعجم ، وصارت بينهم صلات اجتماعية ذات طابع إسلامى ، بعيدًا عن الحروب وويلاتها ، ونرى فى أدبنا الشعبى كثيرًا من هذه العلاقات ؛ نرى بنات الروم يتصلن بفتيان العرب ، ويكون بينهم مغامرات وحكايات ، ينتهى معظمها نهايات سعيدة ، بالزواج وإنجاب الصبيان والبنات بعد أن تدخل الزوجة الإفرنجية فى دين الزوج المسلم « دين الإسلام » .

وهذا جانب اجتماعى للحروب واحتكاك المحاربين من عرب وروم ، وهو جانب أكثر عمقًا وثباتًا من المعارك الحربية ، فالحروب تكون سجالاً بين الفريقين ، يقع البلد فى يد فريق ، ثم ينتزعه منه الفريق الآخر ، أما الزوجة فقد استقرت عند زوجها وأنجبت منه ، وصارت جذرًا من جذور المجتمع .

الصعيدى والإفرنجية :

يحكى أن الأمير شجاع الدين محمدًا والى القاهرة قال :

بِتْنا عند رجل من بلاد الصعيد حيث ضيَّفنا وأكرمنا ، وكان ذلك الرجل أسمر شديد السمرة ، وهو شيخ كبير ، وكان له أولاد صغار بيض بياضُهم مشرَبٌ بحمرة ، فقلنا له :

يا فلان ، ما بال أولادك هؤلاء بيضًا وأنت شديد السمرة ؟

فقال :

أمهم إفرنجية . . أخذتُها من بلاد الشام ، ولى معها حديث عجيب . .

قلنا : أتحفنا به .

قال : كنت قد زرعت كتانًا فى هذه البلدة ، ثم حصدته وأنفقت عليه خمسمائة دينار ، ثم أردت بيعه فلم أره يكسب شيئًا . فقالوا لى : اذهب به إلى « عكا » وأنت تربح فيه ربحًا عظيمًا . وكانت عكا فى ذلك الوقت فى يد الإفرنج فذهبت به إلى هناك ، وبعته بثمن كبير ، ولكن بأجل ، يُدْفَع الثمن بعد ستة أشهر .

المرأة والعجوز :

وفى أثناء ذلك وأنا فى السوق مرت بى إمرأةٌ إفرنجية - ونساء الإفرنج كما تعلمون يمشين فى

---

(١) عن مجلة الدوحة ص : ٨٧ ، ع : ٤٩ . بتصرف واختصار . راجع قصيدة عن القبلة ومحاذيرها .

الأسواق بلا نقاب - أرادت أن تشترى منى كتانًا ، فرأيت من جمالها ما بهرنى وشدَّنى إليها ، فبعتُ لها شيئًا من الكتان ، وتساهلتُ فى الثمن متأثرًا بجمالها ، فأخذته وانصرفت .

ولم تذهب صورتها من خيالى ، حتى عادت إلىَّ بعد أيام ، فبعتُ لها شيئًا آخر ، وتساهلتُ معها أكثر من المرة الأولى . ثم كررتْ مجيئها إلىَّ ، ولم يخفَ عليها إعجابى بها . وقد اعتادت المجىء مع امرأة عجوز ، فقلت للعجوز وقد انتحيت بها جانبًا :

- إنى أحب هذه الفتاة ، وقد شغفت بها حبًّا ، فهل تتحيَّلين لى فى اللقاء بها ؟

*** س : إننى أتضايق من القيام بالأعمال البيتية ، فما العمل للخلاص من ذلك ؟**

ج : اقرئى بإمعان المقالَ التالى وهو بعنوان « الأعمال المنزلية سلوى وإبداع » :

فى العام الماضى كُسر عظمُ ترقوتى ، واضطُررتُ إلى تمضية عشرة أشهر مشبوكة الكتفين داخل رباطٍ مُحكَم تحت إشراف الطبيب وأوامره الناهية عن فرك أو تنظيف أو التقاط أى شىء يزيد وزنه على نصف كيلو غرام من الزبد . وتحمل زوجى أعباء المنزل وأظهر مهارة وتقبل الأمر راضيًا . أليس ذلك مدهشًا ؟ لكننى لم أشعر أبدًا بخيبة كالتى عرفتها آنذاك ؛ شعرتُ بنقص فى حياتى ، وكان علىَّ أن أوجد نظامًا يعيد منزلنا بيتًا صحيحًا .

وساعدتنى فترة الكسل الإجبارى على رؤية مزايا فى الأعمال المنزلية لم ألحظها من قبل : أولاً ، أنها رياضة بدنية عظيمة : فعندما توقفت عن الحركة والعمل فى المطبخ والركض نزولاً وصعودًا من القبو إلى المتحف كل يوم ، خسرت لياقة عضلاتى وشعرت بترهل . وبعدما توقف العمل نهائيًا ناقشت فى نفسى فكرة الانضمام إلى ناد للياقة البدنية ، لكنى بدلاً من ذلك قررت أن أعاود ممارسة الأعمال المنزلية ، وكأنها رياضة من نوع حديث . وأفدتُ كثيرًا ، وكنت على صواب . لم أنخرط فى دراسةٍ ، ولا احتجت إلى شراء لوازم رياضية ، كل ذلك بالإضافة عندما تزوجت كنت أعرف القليل عن الأعمال المنزلية ، ولحسن الحظ كان زوجى يعرف الكثير ، ولم يكن يعتقد أن تأدية الأعمال المنزلية تنقص من رجولته . وتدريجيًا تعلمتُ منه كل شىء وتعلقتُ بكل شىء .

ولهذه البداية غير العادية حَسناتها ؛ فأنا أستطيع تدبير شئون منزلى بدون أن ينال هذا العمل مِنِّى . ولقد قالت « بيرل باك » التى نالت « جائزة نوبل » : عملى يتم بين فترات من الأعمال المنزلية . لكننى لست مثالية ؛ أنا لا أحب أرضية لا يجوز المشى فوقها ، أو كراسى وطاولات يحرم لمسها واستعمالها .

المنزل الذى أدير أموره اليوم يختلف عن المنزل الذى انتقلت إليه أول الأمر .

ومع تبدل الحياة غيرتُ نمطَ حياتنا . لقد تخلت والدتى (٩١ عامًا) عن بعض مثالياتها القاسية مثل كَىّ فوط الطعام المستعملة يوميًا . وكانت امرأةً متحررة تعيش وحدها ، وقد كتبت إلىَّ قبل مدة تصف بعض انتصاراتها . قالت : « تركت سريرى بدون ترتيب اليوم لأننى كنت أعلم أننى أريد أن أرتاح فيه بعد شطف المدخل وخبز الكعك وغسل الصحون » . هنيئًا لانتصارك يا أماه !

إذا تركنا أَسِرَّتنا بدون ترتيب كل صباح ، فالأمر لا يستدعى عشرين جلدة ؛ فلكل يوم متطلباته . ولكن إذا رغبتَ فى ترتيب السرير بحنانٍ فعليكِ بشرشف نظيف مشدود ، ضعى فوقه شرشفًا خفيفًا ،

وضعى فوقه غطاءً دافئًا ، ولفيه جيدًا فوق السرير ، مع إرخائه قليلاً على الزوايا ، التمدد على هذا السرير يريح النفس والجسد ويساعد على النوم الهنىء .

والكىُ هو من أكثر الأعمال المنزلية التى تساعد على التأمل ؛ إنه يحفز العقل على القفز فوق السطح المجعد للإغراءات أو للمشاكل المعقدة والوصول إلى حلول ، وكنت دائمًا انتهى من كومة غسيل وأنا مدهوشة من إنهائها .

والطبخ عمليةٌ تتطلَّبُ مهارةً أكثر تعقيدًا ؛ فالوجبة البسيطة تقتضى اهتمامًا وتركيزًا تامًّا . وإنى لا أجرؤ على الطبخ وأنا أحاول أو أفتش عن حل لمشكلة عائلية ؛ لأننى أخاف أن تحترق اللوبياء أو أن أضع ملحًا أكثر من المطلوب .

وإذا كانت عملية التنظيف فى فصل الربيع تهددنى بإتعابى ، فإننى أفكر فى النوافذ وتلميعها وما يجلبه لى ذلك من إثارة وبهجة ؛ رشات قليلة من منظف النوافذ أمسحها سريعًا بورق نشاف أو صحيفة يومية ، وفجأة تلمع النوافذ ويبين خلفها منظر الحديقة الجميلة ومرتع العصافير .

وهناك شعور مثير ينتابنا عند تلميع قطع الأثاث التى نحبها ؛ إنه يبلسم الشقوقَ وينعِّم سطوح الطاولات .

وتلزمنا حماسةٌ وحيويةٌ وعَرَقٌ ودموعٌ لإبقاء أوانى النحاس والفضة لامعة.

أنظف الصوانى ومقابض المدفأة النحاسية وأنا أراقب الأطفال . وأنظف الفضة وألمعها عندما يمرض شخصٌ فى المنزل ؛ إن تلميع الفضيات يساعدنى فى تمرير يوم عصيب . وفى الأيام العصيبة التى تلى مأساةً حقيقية تساعد الأعمال المنزلية فى التغلب على اليأس والعودة إلى الحياة الطبيعية .

وإذا كانت الأعمال المنزلية تساعد النساء على الصمود ، فإنها تفعل ذلك فى الرجال أيضًا . وبعضٌ من الأعمال المنزلية يرحب بها الجنسان على السواء ، لكن عندما يعمل الزوجان فإن المرأة هى التى تتولى ترتيب المنزل وغسل الثياب .

كيفية اعتنائنا – نساءً ورجالاً وأولادًا – ببيوتنا هو فى الحقيقة صورةٌ مصغرةٌ لكيفية اعتنائنا بكوكبنا الذى هو بيتنا الوحيد [1] .

*** س : هل ينبغى للزوج معاونة زوجته فى الأعمال المنزلية ؟**

ج : لا شك فى ذلك . وقد سئلت عائشة زوج الرسول ﷺ عمَّا كان يفعله فى بيته فقالت : « كان فى مهنة أهله » . [سنده صحيح] . وصحَّ أيضًا : « كان ﷺ يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمله الرجال فى بيوتهم ! » .

*** س : والأولاد هل ينبغى لهم معاونة أمهم ؟**

ج : نعم ! وفى ذلك منافع أخرى غير معاونة أمهم ؛ فهم يتدربون على الاعتماد على النفس وتقدير الجهود التى تبذلها . ولْتعلم أن الولد الذى لا يُنَشَّأ على الاعتماد على النفس فى صغره فى أكله ولباسه ، وترتيب حوائجه ، ويشارك فى أعمال البيت ، وينشأ مدلَّلاً يكون فى مستقبله عاجزًا عن الاستقلال ، معتمدًا على غيره ، فيعجز ، مما يضطره إلى السرقة أو التسول .

---

(١) مجلة المختار .

الخاتمة

لقد طال هذا الكتاب ، وقد زدنا فى هذه الطبعة ما يقرب من مئتى صفحة حتى أصبح « موسوعة جنسية » للأزواج الذين يحرصون على الحياة السعيدة والبناءة ؛ ولا يخفى أن موضوع الزواج موضوع هام وخطير ، تتوقف عليه سعادة الفرد وسعادة الأمة ومستقبلهما .

ولا شك أن القارئ فوجئ بكثير من الصراحة فى قضايا الجنس ، وربما لامنا البعض على ذلك ، ولكننا نتحمل هذا اللوم فى سبيل تعليم أبنائنا وبناتنا المقبلين على الزواج ما يُسعدهم فى حياتهم الزوجية ويجنِّبهم المشاكل ، وينقذ الأسرة من الشقاء .

وقد سبقَنا فى هذه الصراحة بعضُ أئمة المسلمين وفقهائهم القدامى أمثال : الإمام ابن حزم الأندلسى فى كتابه « طوق الحمامة » والإمام ابن القيم فى كتابه « روضة المحبين » ، ونقلت عن الثانى الشىء الكثير ، وكنت أحوِّر كلام الأول فى بعض الأحيان ؛ لأخفف من صراحته ! . .

وقد رأينا فى السُّنّة الصحيحة كثيراً من مواقف هذه الصراحة الجنسية فنقلناها فى هذا الكتاب وخاصة فى بحث : « وصف الحياة الجنسية فى الجنة » وما فيه من صراحة تبعث على الدهشة !

والشباب ، وما أدراك ما الشباب ، شديد الرغبة فى الاطِّلاع على قضايا الجنس ، وقد اغتنم بعض تجار الكتب هذه الرغبة الملحة ، فسارعوا إلى تأليف وترجمة كثير من الكتب التى تثير الغريزة الجنسية دون توجيهها وتهذيبها ، مما يؤدى إلى وقوع الشباب فى حبائل الرذيلة وشباك الشهوات فيعبُّ منها ، ولا يلبث أن يشقَى ويعرِّض نفسه وجسمه للمهالك .

حتى فى الزمن الخالى انتهز بعض أعداء الإسلام ، ومَن لا خلاق لهم فرصة رغبة الشبان فى معرفة الجنس ، فألفوا لهم كتاباً سموه « رجوع الشيخ إلى صباه » فكانت له آثار مدمرة فى إفساد الأجيال . وفى أواخر هذا العصر تبارت الكتب الأجنبية فى تناول هذا الموضوع ، تعمل هدمًا وإغراءً تحت ستار العلم ، كان كل ذلك من الأسباب التى دفعتنى إلى الدخول فى هذا الميدان والسعى لمدارسة القضايا الجنسية فى جو علمى وإطار دينى ؛ لضمان المعرفة وتحقيق التوازن والتنبيه إلى خطورة هذه الغريزة الجنسية . وما أروع ما قاله أحد الأدباء :

« لقد حدَّثنا التاريخ كثيراً عن الشعور الجنسى وكيف قلبَ تاريخَ الدنيا وأثار الحروب فى بعض الحالات ، وسفكَ الدماءَ فى حالات أخرى . . . كما عمَّر الكون ، وثبَّت العائلة ، وأقام المصانع والمعامل ، وزرع الأرض ، وكان له شأنه وأثره فى نجاح الكثيرين من العظماء والمخترعين والكتاب والشعراء » .

لأجل هذا الشعور وفى سبيل الحب والإخلاص والعواطف التى يولِّدها هذا الشعور أقدَمَ رجالٌ على ما لم يُقدِم عليه سواهم ، ونجح علماء فيما لم ينجح فيه غيرهم ، فكان أن أصبحت الدنيا كما نراها الآن غنية بالعلم والمعارف والحضارة والفنون والجمال .

الشعور الجنسى المتكافئ المتبادل خلقَ الحياةَ الزوجية الصالحة السعيدة ؛ ودفع الناس إلى المخاطرة والمغامرات والتضحيات فى سبيل خير الإنسانية وعمران الكون .

وهو كما يُسعد كثيرًا من سكان هذه الأرض ، يُودِى بآخرين ويسلبُهم راحتَهم وطمأنينتهم .

لهذا عمدنا إلى تلقين هذا الشباب ثقافةَ الجنس بصراحة وأمانة وصدق وحذر ، فى جو دينى وعلمى يصونه عن الزلل والانحراف ويشجعه على الزواج وحسن معاملة كل من الزوجين للآخر ، وإفهامهما أن الزواج ليس متعة فحسب ، بل مسئولية جسيمة ومهمة مقدسة أيضًا .

وكنّا نقلنا كذلك فى المقدمة وغيرها كيف اضطربت المدينة المنورة لمحاولة مزاولة المهاجرين طريقةً طريفة من طرق الجماع تروق لهم ، استغربتْها فى بادئ الأمر نساءُ الأنصار اللاتى زُفِفن إلى

هؤلاء المهاجرين ، فرفضن قبولَها ، وخشين من عواقبها التى كان يزعمها يهود المدينة . . وحدثت الأزمة . . حتى كاد يتفاقم الأمر ويتهدم بنيان كثير من الأسر .

ولم يكن عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حَلٌّ لهذه الأزمة . . . وخلال كل ذلك تضجّ السماء ، فينزل الوحى - وما أدراك ما الوحى - بإباحة جميع طرق الجماع ما دامت الممارسة فى المكان الطبيعى للولادة .

فهل نُلام بعد كل ما تقدَّم على صراحتنا فى سبيل إيجاد الوعى فى شُبانِنا وشباتنا لِيُقْدِموا على متعة الزواج ، ويحذَرُوا عواقبَ الطيش والفساد ؟! .

وإنّى أعلنها صريحةً ، والألم يحزّ فى نفسى ، أن أكثر المسلمين ، قد جهلوا أو تجاهلوا خطورة الجهاز التناسلى ، فهم يحيطونه بجو من الكتمان الشديد ولا يتدارسونه ، وإذا حاولوا هذه الدراسة أحاطوها بكثير من الحذر والكتمان ، شأنهم شأن النعامة - كما قيل ولا أظنه يصح - إنها إذا دهمها الصياد ، تُخفى رأسَها فى الرمال ، معتقدةً أنها ما دامت لا تراه ، فإنه لا يراها ، وإذا تطرَّق أحدٌ إلى أمرٍ من أمورها بصورة علمية من مجلس من المجالس قامت الضجةُ ونظر إليه الناس شزراً وعابوا عليه القولَ .

ولا أرى فرقًا بين جهاز الهضم أو جهاز التنفس أو غيرهما وبين الجهاز التناسلى ، بل إن الأخِير من أخطرها فى حياة الإنسان وسلوكه ؛ مما يدعو إلى زيادة الاهتمام به وتفصيل أسراره ؛ فقد سبب الجهل به كثيرًا من المشكلات الخلقية وغيرها .

هذا ولا شك أن كثيرًا من القراء استغربوا ما جاء فى السُّنّة النبوية وسيرة السلف الصالح من يُسر وبساطة فى المهور والأعراس والولائم ، كما استغربوا مبلغ يقظة الإسلام ومحاربته للتبرج والاختلاط والتقاليد والعادات الأجنبية التى أدت - حتى بأصحابها الغربيين - إلى الهلاك والانحلال وقرب سقوط حضارتهم ، كما تنبأ بذلك كثير من علمائهم ، وراحوا يغبطون الشرق الإسلامى على دينه وتقاليده .

وكلُ هذا الاستغراب نتيجةَ جهلِ المسلمين بدينهم واختلاطهم بالأجانب وتقليدهم لهم وتشبُّههم بهم ، فأضاعوا بذلك خيرًا كثيرًا ، وفارقوا الفطرة السليمة التى فطر اللهُ تعالى الناسَ عليها ، مما كان سببًا فى انحراف أكثر البيوت الإسلامية . . .

وإهمالُ المسلمين لآدابهم الإسلامية فى البساطة واليسر ، زهَّدَ شبابَنا فى الزواج الذى جعلت منه التقاليدُ الباطلة والعادات الجاهلية مشكلة معقدة بحاجة إلى أموال ضخمة ، بل مأساة يُنكَبُ فيها الرجلُ ويَشْقَى ليس فى أيام عُرْسِه فحسْب ، بل قد يستمر فى هذا الشقاء سنين كثيرة ويعيش فى أتون من الهموم والأحزان .

كل ذلك من أجل الشهرة والتفاخر وإرضاء الناس على حساب الدين والذوق السليم ومستقبل الزوجين ، بل الأمة بأسرها .

وقد رأينا فى هذا الكتاب نماذج مِن ولائم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ومهور زوجاته وبناته ، ومهور الصحابيات وأعراسهن ، مما فيه الدروس البليغة .

إن هذه الحياة الإسلامية - علاوةً على ما فيها من جمال واجتناب للترف - فإنها بعيدة عن التنعم الذى نهى الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم عنه بقوله : « إياك والتنعُّم ؛ فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » . رواه البزار بسند جيد .

والأمّة المتنعمة هى أضعف الأمم فى الصمود أمام الحروب ومشكلات الحياة ، فلنعُد إلى إسلامنا ، لنعد إلى بساطته ، ولنتمسك بتوجيهاته إذا كنا جادِّين فى طلب السعادة وبناء المجد .

أين كل هذا من تقاليدنا الحديثة اليوم فى الأعراس ، وما فيها من إسراف وتبذير مخيفين وخَطِرَين ؛ كتقديم الأساور والخواتم والعقود الثمينة للعروس ! وقد كنت اشترطتُ على صهرىَّ الكريمين - خلافًا لما اعتاده الناس - عدم تقديم شىء من ذلك ؛ فكانت دهشتهما ودهشة ذويهما كبيرة .

وما يرافق حفلات الزفاف من تقديم الأزهار للعروسين التى تُلْقَى فى القمامة بعد أيام ، وتوزيع المُلَبَّس فى علب فضية أو معدنية أو خشبية أو بلورية ثمينة ، لا تلبث أن تهمَل فى البيوت حيث لا فائدَة منها ، وكم يَحسن الاستعاضةُ عنها بتوزيع هدايا من الكتب الإسلامية التى تبقى ذكرى نافعةً زمنًا طويلاً . . وخاصةً فى مواضيع الزواج والأسرة السعيدة .

وإذا كان لا بد من توزيع الملبَّس - بضاعة الأولاد - فليكن ملفوفًا فى ورق بسيط ، على أن يكون خاليًا من الصور البشرية أو الرموز غير الإسلامية .

ولما كانت نفقات الأعراس قد تفاقمت بصورة رهيبة ومدمرة تُعَرِّض سمةَ الأمة للخطر ، مما لا يجوز السكوت عليه ، فقد أصدرتْ بعض الدول قانونًا لمنع الإسراف فى هذه الأعراس وعدم إقامة مآدب وأفراح عامة للعروسين لا تخلو من تبذير وإسراف .

وهذا نص القانون :

١ - منع تشهير الجهاز فى الأعراس ونقله علنًا .

٢ - منع إهداء أكثر من ثوبين للعروس مِن قِبل « العريس » .

٣ - منع إقامة الأفراح لأكثر من يوم واحد .

٤ - منع إقامة مآدب وأفراح عامة يسودها الإسراف حبًّا للشهرة والرياء .

٥ - منع حفلات الخطبة وتوزيع الهدايا الثمينة للعروس وما شابه ذلك من التقاليد . .

٦ - تغريم المخالفين بغرامات مالية ومجازاتهم بالحبس لمدة لا تزيد على ستة أشهر . .

والإسلام قد أمرنا بالحجْر على أموال المسرفين وسمَّاهم سفهاء ، وسمَّى أموالهم أموالَ الأمة فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء : ٥] .

وقد قدَّمنا فى هذا الكتاب صورةً للبيت الإسلامى كما خططها الإسلام ، والبيت هو الخلية الأولى من خلايا الأمة ، فإذا صلُحَ صلحَتِ الأمة وإذا فسدَ فسدت الأمة .

ولا شك أن القارئ قد رأى فى هذا الكتاب بعضَ الحلول العلمية للمشكلة الجنسية التى تشغل الرأى العام العالمى ، فلا يجد لها علماءُ الغرب وقادتُه الحلولَ الصحيحة ، حتى باتت الأسرة مهدَّدة بالزوال والانقراض ، وأضحتِ الأمراض الجنسية تفتك بالغربيين فتكًا ذريعًا . والأطفال اللقطاء يملؤون الملاجئ التى من شأنها أن تُخرِّج المجرمين والأشقياء لحرمانهم من عطف الأبوين ومحبتهم .

وقد رأى بعض المتعالمين من الغربيين علاجًا لهذه المشكلة - وقلَّدهم فى ذلك بعض المغفلين من الشرقيين - استحسانَ الاختلاط بين الجنسين لتلطيف الغريزة الجنسية بزعمهم ، على أنغام الموسيقى وفى حلقات الرقص والنزهات الخلوية . . . فكان من نتيجة ذلك تهييج الغريزة الجنسية لا إخمادها ، وثورانها لا تلطيفها ، وكشفت أسطورة الاختلاط عن وهم كبير وعن مغالطات لا حدَّ لها ، وبات الطلبة فى المدارس المختلطة يهاجمون غرف الطالبات ، فلا تستطيع قوى الشرطة الحيلولة بينهم وبينهن ، وأصبح كثير من هؤلاء الطالبات حبالى وهن لم يتجاوزن الثالثة عشرة من العمر ، كما أصبح جميعهن ثَيِّبات . . !! فلا تعثر على بِكر مطلقًا حتى فى هذه السن المبكرة !

وممن تصدى لمعالجة هذه المشكلة « فرويد » - وقد تكلمتُ عن نظريته فى المقدمة - فوجد أن أقرب الحلول لها - ما دام الإنسان يمثل طورًا من أطوار الحيوان كما يقول « دارون » - كذبًا وافتراءً - هو سرعة إشباع هذه الغريزة بأى طريق كان خشية أن يُصاب صاحبها بالكبت والجنون . . و« فرويد » يهودى مثلُه مثل « دوركايم » وهدفهما واحد ، وهو القضاء على البشرية ، وهل يؤمَل منهما أن يقدما لها غير هذه الحلول الهدَّامة الإجراميّة !

وكل ذلك نتيجة اعتبار فرويد وغيره من دعاة الإصلاح فى الغرب : أن الإنسانَ حيوانٌ أرضى لا يَمُتُّ بسبب إلى السماء ، فوضعوا له الحلول الحيوانية التى جعلته يتمادى فى شهواته .

وقد أدى هذا الحل الجنونى المرذول المخالف للصحة الجسمية والنفسية ، وللفطرة السليمة إلى مضاعفة المشكلة الجنسية ، وتفاقُم خطرها وزيادة اشتعال غريزتها ، حتى أصبح الغربيون كالقردة . . مما اضطر بعضَ الدول - كالاتحاد السوفيتى - إلى طرد نظرية « فرويد » مِن مَعاهدها ومَنْعِ تدريسها باعتبارها معولاً هدّامًا يزيد فى فساد الجيل ! . .

ولقد كنت منذ سنوات بعيدة ، نقدت فى بعض الصحف والمجلات ، نظرية « فرويد » ، وأثبتُّ ما فيها من زيف وضلال وتخطيط صهيونى ، فلامنى على ذلك أحد كبار علماء النفس فى جمهورية مصر العربية فى اجتماع جرى بينى وبينه بحضور بعض الشخصيات العلمية بدمشق ، فدافع عن « فرويد » دفاعًا حارًا .

ومن عجيب الصدف أنه صدر بعد مدة من هذا الاجتماع بأعوام كتاب خطير للدكتور « صبرى جرجس » بعنوان : « التراث اليهودى الصهيونى فى علم النفس ونظرية فرويد » كشف فيه السر عن هوية هذا الرجل وعلاقته بالسياسة الصهيونية لهدم الأخلاق وإفساح المجال للسيطرة اليهودية العنصرية .

وقد تساءل الدكتور جرجس فى كتابه السابق كيف لم يتنبه أحد - وقد ناهزت نظرية « فرويد » ثمانين عامًا - إلى زيفها وخطرها اليهودى العنصرى !!

ومما كشف عنه هذا الدكتور القناع أن جميع من حملوا لواء نظرية « فرويد » من بعدِه كانوا يهودًا ، وممن تصدَّى لهذه المشكلة فى العصر الحديث أمثال « دوركايم » اليهودى الأستاذ فى جامعة السوربون ، فزعمَ أن الأسرة ليست أمرًا فطريًّا ، بل عادة اجتماعية يجب أن تتطور وتُلْغَى ! وإشباع الغريزة الجنسية ، لا ينبغى أن يكون عن طريق الزواج المقيِّد للحرية ، بل عن طريق المتعة المتجددة المتبادَلة بين المتحابين ! وللأطفال الملاجئ .

فأين هذه الحلول الكافرة التى خدعت كثيرًا من كتابنا وأدبائنا ، مما خطط له الإسلام للمسلم والمسلمة باعتبارهما مخلوقَيْن مِن أصل سماوى ؛ فجعل طريق الغريزة الجنسية مفروشًا بالزهر والورد بعيدًا عن الأشواك ؛ فلا كَبْتَ ولا زنا فى الوسط الإسلامى ، ما دام لا تبرُّجَ ولا اختلاطَ ولا رهبنة ، ويسر سبيل الزواج المبكر وحرَّم المغالاة فى المهور ، ونهَى عن التبذير فى تقاليده ، وأعطى للفتاة الحق فى اختيار زوجها فى حدود الدين ، ونهى عن إجبارها على الزواج بمن لا تريد .

وقد جعل الإسلام للزواج - بالإضافة إلى المتعة - مهمة اجتماعية وفريضة دينية ، ليس هدفه الشهوة البهيمية ، فيرضيها بأى طريق مهما كانت مرذولة وإجرامية ، إنما هدفه من زواجه : تحقيق رسالة السماء . . .

نسأله سبحانه فى الخاتمة أن يفقهنا فى كتابه وسنة نبيه ، ولا دينَ سواهما .

ونرجوه من فضله توفيقًا فى زواجنا ، ونبتهل إليه أن يُرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ، ويُرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، وأن يزيدنا حرصًا على التمسك بالإسلام ؛ فإنه لا سعادة ، ولا سلام ، ولا رقى للبشرية فى تشريع سواه .

وما أروع ما قاله الشاعر شوقى :

فَلَم أرَ غيْرَ شرْعِ اللّهِ شَرْعًا ولم أرَ غيرَ بابِ اللهِ بابا

وإنى لأقدِّم سلفًا إلى كل عروسين ينشدان حياة إسلامية سعيدة ، أسمى تمنياتى وتهانِئ ، بارك الله لهما ، وبارك عليهما ، وجمعَ بينهما فى خير .

دمشق — محمود مهدى الإستانبول

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
* كلمة شكر وعرفان	٣
* الإهداء	٧
* المشوّقات	٩
* المقدمات	١١
مقدمة الطبعة الأولى	١١
مقدمة الطبعة الثالثة	٢١
مقدمة الطبعة الرابعة	٢٣
* الحياة الزوجية عبادة	٢٥
الزواج مِن نعم الله على عباده	٢٥
الحض على الزواج	٢٦
التسامى بالغريزة الجنسية	٢٩
النساء من أجمل متع الحياة	٣٢
المسارعة لاستئصال العبادة المنحرفة	٣٤
* على عتبة الزواج	٣٧
اختيار الزوج والزوجة الصالحين	٣٧
مَن تزوجتْ زانيًا ، كانت زانية مثله	٤٢
وجوبُ النظر إلى الخاطب والمخطوبة	٤٣
الفحصُ الطبى قبل الزواج	٤٦
النهى عن المنافسة فى الخطبة	٤٧
الحب الدائم والزواج الناجح	٤٨
الحذر من الزواج بالصغيرة	٥٠
اشتراط الولى فى النكاح	٥٢
* رأى الإسلام فى الحب	٥٣
ليس للمتحابين مثل التزويج	٥٣
تفضيل الفتاة الزوج الشاب على الكهل	٥٣
الحب صعب	٥٥
الرحمة بالمحبين والشفاعة لهم	٥٨
* تيسير الزواج وبركته	٦١
وجوب استئذان الفتاة قبل الزواج	٦١
عضل المرأة	٦٢
عرض الرجل ابنته على الصالحين	٦٣
النهى عن التغالى فى المهور	٦٥
مشروع زواج	٦٨
المهر والحرص على الوفاء به	٧٠
الخطبة ودعاؤها	٧١
* وصايا وتوصيات قبل الزواج	٧٣
وصايا الأبوين للزوجة	٧٣
وصية الأب ابنته عند الزواج	٧٣
وصية العم لصهره	٧٤
وصية الزوج لزوجته	٧٥
وصية أم معاصرة لابنتها	٧٥
* أفراح العرس	٧٦
الغناء والضرب بالدف	٧٦
تزين لزوجتك ودعها تتزين لك	٨٠
النهى عن نتف الحواجب والوجه ووصل الشعر	٨٤
نهى النساء عن قص الشعر وكيه تقليدًا للأجنبيات	٨٥
النهى عن خاتم الذهب	٨٥
تحريم الذهب حتى على النساء أنفسهن	٨٦
إن الله جميل يحب الجمال	٨٧
الطِّيب يولد المحبة	٨٩
* فى مخدع العرس والسعادة	٩١

الموضوع	الصفحة
ملاطفة الزوجة عند الدخول بها	٩١
ما يقول الزوج إذا دخلت عليه امرأته ليلة الزفاف	٩٣
صلاة الزوجين معًا قبل الدخول	٩٤
محادثة النساء	٩٤
ما يقول الزوج عند الجماع	٩٧
تحريم نشر أسرار الاستمتاع	٩٧
ما يفعل الزوج صبيحة عرسه	١٠٠
كيف يأتى الزوج أهله ؟	١٠٠
الأجر والثواب حتى فى الجماع	١٠٢
مكافأة من يأتى أهله يوم الجمعة	١٠٤
تحريم إتيان المرأة فى غير موضع الولد	١٠٦
تحريم إتيان الحائض	١٠٩
ستر العورة إلا عن الزوجة	١١١
استحسان الغسل بين الجماعين	١١١
غُسل الجمعة فرض	١١٢
وجوب اتخاذ الحمام فى الدار	١١٣
أدب الزوج مع أقارب زوجته	١١٣
الترهيب من إفساد المرأة على زوجها	١١٤
* فن المداعبة	١١٧
مداعبة الزوجة	١١٧
المداعبة حتى أثناء الحيض	١٢٦
المداعبة حتى أثناء الغسل	١٢٦
حب نبوى ومداعبة من نوع طريف	١٢٧
مداعبة الزوجة بترخيم اسمها	١٢٧
رفع شأن مداعبة الزوجة	١٢٨
القبلة وإن كانت حارة لا تنقض الوضوء	١٣٠
قبلات حارة ومباشرة حتى أثناء الصوم	١٣٠
مواقعة الزوجة فى رمضان	١٣١
الرسول ﷺ الزوج المرح	١٣٣
* فرحة الزواج ووليمته	١٣٥
وجوب الوليمة	١٣٥
وجوب إجابة دعوة الوليمة	١٣٥
تحريم تخصيص الأغنياء بالدعوة للوليمة	١٣٦
دعوة الصالحين لها فقط	١٣٦
مشاركة الأغنياء بمالهم فى ولائم الفقراء	١٣٦
ترك حضور الوليمة التى فيها معصية	١٣٧
ما يستحَبُّ لمن حضر الوليمة	١٣٨
النهى عن الأكل والشرب فى آنية الذهب والفضة	١٣٩
بالرفاء والبنين تهنئة الجاهلية	١٣٩
* رفقًا بالقوارير	١٤٠
حُسن معاملة الزوجة	١٤٠
كيف تعامِل زوجة لا تحبها ؟	١٤١
استحسان حلم الرجل على زوجته	١٤٤
التوصية بالمرأة	١٤٥
رثاء الشعراء لزوجاتهم	١٤٦
رفع شأن المرأة	١٥٠
أسس قبول المرأة فى الإسلام	١٥٢
* مزايا ومساوئ	١٥٥
جمال نساء الجنة كما يصوره القرآن	١٥٥
صفات نساء الجنة كما يصورها الحديث	١٥٨
من صفات المرأة الصالحة	١٥٩

الموضوع	الصفحة
من صفات المرأة القبيحة	١٦٢
الزوجة المثالية	١٦٤
الرسول ﷺ الزوج الوفى	١٦٦
* حقوق وواجبات	١٦٨
حق الزوجة على الزوج	١٦٨
النهى عن غياب الزوج عن زوجته طويلاً	١٧٠
المرأة صديقة وزوجة	١٧٠
صراحة وحق	١٧١
حق الزوج على الزوجة	١٧٢
لا تصوم المرأة النفل إلا بإذن زوجها	١٧٣
الترهيب من إنفاق مال الزوج إلا بإذنه	١٧٥
الترغيب فى تصدُّق المرأة على زوجها الفقير	١٧٥
نهى المرأة عن هبة مالها إلا بإذن زوجها	١٧٦
الترهيب من طلب الزوجة الطلاق إلا بحق	١٧٦
دفاع الحور العين عن الرجل الصالح	١٧٦
جزاء طاعة المرأة لزوجها	١٧٧
نساء يرثين أزواجهن	١٧٧
التوصية بالمرأة	١٧٨
زوجتك لا تقدُر بمال	١٨٣
مسئولية الزوج والزوجة	١٨٣
غايات الزواج السياسية والعسكرية	١٨٥
من دلائل النبوة	١٨٦
* الزواج متعة ومسئولية	١٨٧
ليست الحياة الزوجية متعة فحسب	١٨٧
من مخدع العرس إلى ميدان الجهاد	١٨٨
تربية الإسلام للمرأة تربية قوية	١٨٩
حرص المرأة على العلم والأجر	١٩٠
خطورة أوقات الفراغ	١٩٠
صفات نساء القادة والزعماء	١٩٣
قوامة الرجل	١٩٩
الرسول ﷺ : الزوج الحازم	٢٠٢
أزمة فى بيت الرسول ﷺ	٢٠٣
لمحة من حياة الرسول ﷺ وصحبه البسيطة	٢٠٣
وجوب الاقتصاد	٢٠٤
وجوب صبر المرأة على فقر زوجها	٢٠٦
الترغيب فى النفقة على الزوجة	٢٠٩
تهديد من يبخل على أهله	٢١٠
ثواب السعى على العيال	٢١٠
حكم الزوج البخيل	٢١٠
الحض على الإكثار من النسل	٢١١
الأذان فى أذن المولود	٢١٣
استحباب تحنيك المولود والدعاء له	٢١٣
وجوب العقيقة والختان	٢١٤
أحب الأسماء إلى الله	٢١٥
ما تلقن به الصبى إذا أفصح بالكلام « لا إله إلا الله »	٢١٥
ما تعلّمه لطفلك من آداب المائدة	٢١٧
ملاطفة الرسول ﷺ للأطفال	٢١٧
تغيير الأسماء القبيحة	٢١٨
فتنة الأولاد	٢٢٠
الترهيب من السخط لولادة البنات	٢٢١
انتصار الإسلام للبنات	٢٢٣
ثواب العناية بالبنات	٢٢٣
وجوب تعليم البنات	٢٢٣
حرص الأنبياء على طلب الأولاد الصالحين	٢٢٥
حرص الإسلام على الحفاظ على صحة المرأة وطفلها	٢٢٦

الموضوع	الصفحة
* مبادئ تربوية عظيمة	٢٢٨
الحض على تربية الأولاد	٢٢٨
الحض على التبكير فى أمر الأولاد بالصلاة	٢٢٩
خطر إسناد تربية وتعليم الأولاد لغير الصالحين	٢٢٩
حكم الكذب على الأولاد	٢٣٣
وجوب المساواة بين الأولاد	٢٣٣
وجوب العطف على الأولاد	٢٣٥
جزاء صبر الأبوين على وفاء أولادهما	٢٣٨
شفاعة الأولاد لأبويهم	٢٣٩
تلطف الزوجة وتخفيفها من مصيبة زوجها	٢٤٠
فرّقوا بين الأولاد فى المضاجع	٢٤٠
حقوق الوالدين	٢٤١
* فتنة النساء	٢٤٦
فتش عن المرأة	٢٤٧
خطورة الفضية الجنسية	٢٤٩
* الأسرة أمام الزوابع	٢٥٢
خطورة الاختلاط والخلوة بالمرأة	٢٥٢
انتبهى أيتها الزوجة !	٢٥٤
صيانة المرأة وحمايتها	٢٥٥
النظر سهم من سهام إبليس	٢٥٦
صراحة مكشوفة	٢٥٩
وجوب مسارعة المرأة لتلبية دعوة زوجها الجنسية	٢٦٠
* أخطار تهدد الأسرة	٢٦٣
خطر أقرباء الزوج وأصدقاء الأسرة !	٢٦٣
التحذير من التبرّج	٢٦٤
نهى المرأة عن التشبه بالرجال وبالعكس	٢٦٧
انحراف غريزة حب الظهور	٢٧٠
النهى عن التشبه بالكفار	٢٧٣
شروط حجاب المرأة المسلمة	٢٧٦
* العفيف فى ظل الله	٢٧٧
جزاء العفة وثوابها	٢٧٧
ولا تقربوا الزنى	٢٧٩
وصف الحياة الجنسية فى الجنة	٢٨٤
إلى التوبة أيها الشباب والشابات	٢٨٥
مناجاة	٢٨٥
قاتِل اسمه : اللذة	٢٨٦
* لهيب الغيرة يحرق السعادة الزوجية	٢٨٨
الغيرة المحمودة والغير المذمومة	٢٨٨
ما أشد غيرة النساء ! ... ؟	٢٩٢
أمثلة من غيرة عائشة وصبر الرسول ﷺ عليها	٢٩٢
* قبل وقوع الكارثة	٢٩٥
لزوم التأنى والحذر من العجلة	٢٩٥
ما هى المشكلات ؟ وكيف يمكن التغلب عليها ؟	٢٩٩
* الأسرة فى مهب الريح	٣٠٣
نشوز الزوجة	٣٠٣
نشوز الزوج	٣٠٦
التحكيم	٣٠٧
ما يقوله الزوجان إذا دُعى كل منهما إلى حكم الله ؟	٣٠٧
* لكل سؤال جنسى جواب	٣١١
أنت تسأل عن الجنس ونحن نجيب	٣١٣
* ملحق حول الجنس والحب والجمال فى ظلال الفضيلة والبطولة	٣٧٧
* الخاتمة	٤٢٧
* فهرس المواضيع	٤٣١

ردمك : ٩ - ٥٢ - ٨٥٨ - ٩٩٦٠